



إيليا أبو ماضي

الأعمال الشعرية الكاملة

جمع الشعر وقدم له

د. عبد الكريم الأشتري



تدقيقاً

الأعمال الشعرية الكاملة

الناشر

مؤسسة جازة بيجد العزیز سعودیة الباطن للهبة الشعری

الكويت 2008

إيليا أبو ماضي  
(الأعمال الشعرية الكاملة)

جمع الشعر وقَدَّم له

د. عبد الكريم الأشتر

الكويت

2008

راجعته الباحث بالمؤسسة  
محمود إبراهيم البجالي

الصف والتفيز  
قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة  
تصميم الغلاف  
محمد عبد الوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9566 الأشر، عبد الكريم.

إيليا أبو ماضي: حياته وشعره (الأعمال الشعرية الكاملة) جمع الشعر وضبطه وشرحه وقدم له  
د. عبد الكريم الأشر. - ط 1. - الكويت : مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع  
الشعري، 2008.

1167 ص؛ 24 سم

ردمك: 8 - 55 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - لبنان - العصر الحديث.

2 - إيليا أبو ماضي - دواوين وقصائد. أ - العنوان

ردمك: 8 - 55 - 72 - 99906 - 978 ISBN :

رقم الإيداع : 2008 / 251 Depository Number :

حقوق الطبع محفوظة

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

## التصدير

رأى مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن يتم اختيار عدد من الشعراء الذين وردوا في «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» لإعادة إصدار إبداعاتهم وإنجازاتهم الشعرية كاملة... فوقع الاختيار على الشعراء عبدالغفار الأخرس (القرن التاسع عشر) من العراق، وإيليا أبي ماضي (الذي ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٥٧) من الشعراء المهجريين، وصقر الشبيب (القرن العشرين) من الكويت ليمثلوا شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

يُعد إيليا أبوماضي من رواد الشعر المعاصر وهو أحد أعلام النهضة الأدبية العربية في المهجر، فلقد أبصر النور في وطنه لبنان حيث الطبيعة الساحرة الخلابة ونشأ في أحضان سهول وجبال بلدته «المحيدثة» الجميلة، فألهمته التفكير والتأمل في الحياة وفلسفتها، ثم ارتحل يافعاً إلى مصر، وهناك التقى بالمتقنين اللبنانيين الذين لجأوا إلى مصر هرباً من بطش السلطة العثمانية، وفيها نشر قصائده في المجالات والصحف اللبنانية الصادرة في مصر، كما أصدر فيها أول دواوينه الشعرية «تذكار الماضي» عام ١٩١١، وبعد ذلك حطّت به عصا الترحال في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعرف هناك إلى عدد من المفكرين والشعراء في المهجر وأسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة «الرابطة القلمية» التي ذاع صيتها ومن خلالها كانت له ولزملائه شهرة واسعة.

لقد كان لمنشأ أبي ماضي وترحاله وهجرته أكبر الأثر في إبداعه الشعري من حيث المبنى والمعنى، ولقد صقلته تجربة المهجر الطويلة، وأثر عليه الموطن الجديد الذي اختاره وشهد من خلاله أهم أحداث العالم وراقب منه ما يحدث في وطنه العربي



الكبير، واهتم أبوماضي في مجمل شعره بوطنه لبنان معبراً عن شوقه وحبّه، لكنه لم ينسَ قضايا أمتّه، فتفاعل معها في شعره فهاجم الاستعمار والاحتلال مهما كان مصدره، وظلّ في قصائده محافظاً على شوقيته وعروبه رغم حياته في الغرب وتأثره بمجريات الحياة فيه اجتماعياً وأدبياً.

### عزيزي القارئ

يسر مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تقدم لمحبّي هذا الشاعر الكبير كل ما وصلت إليه من أعماله الشعرية من دواوينه المعروفة («تذكار الماضي بجزئيه» و«الجداول» و«الخمائل» و«تبر وتراب») إضافة إلى ما لم تجمععه هذه الدواوين، وهي القصائد التي وردت في كتاب (إيليا أبوماضي - دراسات عنه وأشعاره المجهولة) للدكتور جورج ديمتري سليم، وبذلك فإن المؤسسة تقدم لأول مرة أعمال الشاعر كاملة في سفرٍ واحد، ويسعدني أن أقدم بالغ الشكر للأستاذ الدكتور عبدالكريم الأشر الذي أعد هذا الكتاب ليكون متاحاً للجميع، والشكر موصول لكل من ساعد في إعداده ومراجعته.

والله ولي التوفيق...

### عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 7 شعبان 1429هـ  
الموافق 7 أغسطس 2008م

\*\*\*\*

# إيليا أبو ماضي

حياته وشعره

(الأعمال الشعرية الكاملة)

« دراسة »

قدّم بها لمجموع شعره في دواوينه الستة

الدكتور عبد الكريم الأشتر



## إيليا أبو ماضي.. حياته وشعره

### الأعمال الشعر الكاملة

#### دراسة

(١)

لم تُؤلِّ الدراسات، التي تناولت شعر الشاعر المهجري إيليا أبي ماضي، الاهتمام الكافي بالجوانب المتساوية الحزينة، من حياته، وما خلفت من أثر في مواقفه وشعره، من الحياة وأحداثها، ومذاهبه في تصويرها وتفسيرها، ومواقفه من الأحياء ومسالكهم التي اختاروها لأنفسهم فيها، في حدود تكوينه الخاص من ناحية، وظروف نشأته وأنوار نموه النفسي والفكري، في البيئات التي خالطها وخضع لملاساتها في الوطن والمهجر، من ناحية أخرى.

فتح الطفل إيليا عينيه في لبنان سنة ١٨٨٩ - وكان في نهاية القرن التاسع عشر، ما يزال جزءاً من سورية - في قرية اسمها (المحيثية)، من قرى المتن الشمالي فيه، قريبة من بكفيا، في سفح جبل صنيّ، غارقة في الخضرة، منتشية بجمال الطبيعة الممتدة من حولها.

ولكن يد السلطة العليا فيها، منذ سنة ١٩٠٧، كانت للسلطنة العثمانية التي كان المتصرف (يوسف باشا فرنكو) يمالئها، فيما يقول معاصرو تلك المرحلة.

كانت الأوضاع السياسية مضطربة، والدولة العثمانية على وشك الانهيار، حتى لقد اصطُلح، في معجم السياسة الدولية، على تسميتها بـ«الرجل المريض»، فكانت ترقب فيه نشاط العناصر المسيحية بخاصة، على اختلاف مذاهبها، بحذر بالغ، يفسر إعجاب أبنائها المستمر بثورة يوسف بك كرم الذي مثّل في أعينهم إرادة التحرر الوطني<sup>(١)</sup>.

---

(١) في شعر إيليا أبي ماضي نص يحوي فيه هذا «البطل» لحنه أحد الموسيقيين من المهاجرين اللبنانيين في أمريكا، وجعل (١٩٢٥) منه نشيداً ينشونه في بعض المناسبات (ما لم تجمعه النواوين: النص ٢٧ «نشيد يوسف بك كرم»).

ففي هذه الظروف انفتح باب الهجرة إلى أمريكا التي كانت تستدعي إليها الراغبين في تأسيس حياة جديدة لأنفسهم، بعيداً من أوطانهم التي ضاقوا بأوضاعهم فيها، أو طمحو إلى كسب فرص جديدة يجنون من خيراتها ما لم يتح لهم جنيهاً في أوطانهم.

ولكن الهجرة إليها من لبنان كانت تحكمها رقابة صعبة، فلجأ فريق من أهله إلى جعل مصر مرحلة من مراحل الهجرة إلى أمريكا. ويبدو أن أسرة الصبي إيليا، الذي لم يجاوز الحادية عشرة (١٨٨٩-١٩٠٠)<sup>(١)</sup>. لم تكن ميسورة. وكان أحد أقربائه (عمه «نعم»<sup>(٢)</sup>) ينوي الرحيل إليها، فلم يجد الصبي ما يمنعه من صحبته. ثم إن أخاه (مراد) بكر الأسرة، كان قد سبقه إلى الهجرة<sup>(٣)</sup>، وحلّ في أمريكا في مدينة سينسِناتي Cincinnati، من ولاية أوهايو، وزاول فيها مهنة تجارة السمّانة.

ولسنا ندري، على التحقيق: هل كان الصبي، وهو في الإسكندرية، يتطلع إلى متابعة الهجرة إلى أمريكا، والالتحاق بأخيه فيها، فقد التحق به حقاً بعد أن جاوز العشرين (١٨٨٩- أواخر ١٩١١)<sup>(٤)</sup>. ولكنه خُلف، على الحالين، في الإسكندرية، مرحلة غنية من مراحل نشاطه، في ميدان السياسة والشعر، لا يمكن تجاوزها، ولا يسهل الفصل معها في الحكم على ما كان نواه.



نقف عند نهاية هذه المرحلة الأولى من هجرته، قبل أن يغادر الإسكندرية، نستخلص فيها حقائق نشأته: طفلاً في لبنان، وصبياً في الإسكندرية، وقد بلغ فيها مرحلة الشباب الأولى، قبل أن يتابع هجرته إلى العالم الجديد.

---

(١) تضطرب المراجع التي في أيدينا، في تحديد سنة ولادته في (الحديثة)، ابتداءً من سنة ١٨٨٤ إلى ١٨٩٠ ولكنها تجتمع، في آخر الأمر، على اعتماد سنة ١٨٨٩.

(٢) يبدو أنه سبق إيليا في الرحيل إلى مصر (الإسكندرية) لأن إيليا، بعد أن عمل في بيع الدخان والسجائر في دكان أبي الياس بمينا البصل، ثم في دكان أخرى، انتقل إلى العمل معه في حي العطارين، بالإسكندرية.

(٣) بعض المراجع تجعل رحيله إلى أمريكا سنة ١٩١٢، إذ زار لبنان قبل رحيله إليها، فمكث فيه بضعة أشهر، وقف فيها إلى جانب المعارضة للمتصرف العثماني (يوسف باشا فرنكو)، هرب بعدها، وفي جعبته واحدة من قصائده السياسية (انظر الديوان الثاني «وداع وشكوى» النص ٩، وسنعود إليها من بعد).



كان الطفل - وقد نشأ في وسط يفيض بجمال الطبيعة وقوتها، في الجبال المكسوة بالأشجار - يتردد على مدرسة القرية الصغيرة، ويدّخر من غنى ما يطالعه، من حوله، صوراً أخصبت بها نفسه، وجد فيها - بعد أن استوى عوده، وأخذ يتمرس بالتعبير عما يحس، وهو في الإسكندرية - مشاهد حية من سحر الطبيعة وألوانها: زهراً وعطراً وندى وطيراً وجنولاً وخريراً.

يقول في ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي طبعه في الإسكندرية ١٩١١، من قصيدة بعنوان «قصيدة الطبيعة»<sup>(١)</sup> التي نسجها على منوال لا بدّ يحفظه، من «ديوان العرب»:

روضٌ إذا زُرْتَه كئيباً  
نَقَسَ عن قلبك الكُروبا  
إذا بكاه الغمامُ شَقَّتْ  
من الأسى، زهره الجُيوب  
وشأه قطر الندى فأضحى  
رداؤه مُعلماً قشيباً  
فمن غصون تميس تيهاً  
ومن زهور تخضع طيباً  
ومن طيور إذا تغنّت  
عاد المغني بها طروباً  
ونرجس كالرقيب يرنو  
وليس ما يقتضي رقيباً  
واقعدُ وان يُـريـك درأ  
وجأ نار حكي اللهيباً  
وجـدول لا يزال يجري  
كأنه يقتفي مُريباً

---

(١) النص ٢٣.

تَسْمَعُ طَوْرًا لَهُ خَرِيرًا  
وتارةً في الثُّرى دبَّيبًا  
وكلُّ مَعْنَى بِهِ جَمِيلٌ  
يُعَلِّمُ الشَّاعِرَ الدُّسَيْبَا  
أَرْضٌ إِذَا زَارَهَا غَرِيبٌ  
أَصْبَحَ عَنْ أَرْضِهِ غَرِيبَا

ويقول، في المرحلة نفسها، يصف النيل، من قصيدة جعل عنوانها (يا نيل) <sup>١</sup>، فافتتح وصفه على هذا النحو الفخم القوي الجزل:

فَتَمَّ جَلالُ يَمَازِ النَّفْسِ هَيْبَةً  
وَتَمَّ جَمالُ يَمَازِ الْعَيْنِ بَاهِرَةً  
وَالْحَظُّ شَمْسَ الْأَفْقِ، وَهِيَ مُطَلَّةٌ  
تَسَايِرُ فِيهِ ظِلُّهَا إِذْ تَسَايِرُهُ  
إِذَا هِيَ أَلْقَتْ فِي حَوَاشِيهِ نَوْرَهَا  
رَأَى التَّيْرَ يَجْرِي فِي حَوَاشِيهِ نَاضِرَةً  
يَرُوحُ النَّسِيمُ الرُّطْبُ فِي جَنَابَاتِهِ  
يَدَاعِبُهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا يَحَاوِرُهُ  
وَتَقْبِضُ مِنْ مَبْسُوطِهِ نَفْحَاتُهُ  
كَمَا قَبِضَ الثَّوْبَ الْمَطْرَرُ نَاشِرُهُ  
كَأَنِّي بِهَا سِفْرٌ تَدَانَتْ سَطَوْرُهُ  
أَوَائِلُهُ قَدْ شُكِّلَتْ، وَأَوَاخِرُهُ

ومن هنا نجد، في دلالة مستمرة، يسمي ديوانه الثالث (الجدول)، وديوانه الرابع (الخمائل). ومن هنا أيضاً تتدخل الطبيعة في أغراض شعره، تعينه على تدفق خاطره الشعري فيه. فإذا بكى حجب الليل قمره، وإذا ضحك أضحك الدراري معه.

---

(١) النص ٥٢ من الديوان نفسه



الإنكليزي الذي أطبق على مصر منذ سنة ١٨٨٢، ورجاله وأتباعه، مهنئاً من يُفرج عنه من رجالها (عبد العزيز جاويز) <sup>١</sup>، ومرحباً بمن يعود منهم من منفاه (محمد فريد)، وراثياً من يقضي من زعمائهم (مصطفى كامل)، إلى جانب رثائه رجال الفكر والإصلاح (الشيخ محمد عبده) والأدب (جرجي زيدان)، ومننداً بالسلطات العثمانية و باستبدادها بقومه، تنديداً ضارياً، معلناً شماتته بانكساراتها وهزائمها، محيياً خصومها، مشيداً ببطولاتهم، وبمن يرجع إلى الحق والدستور من رجالها <sup>٢</sup>.

وتقع، إلى جانبه، في الإسكندرية (١٩٠٩) فاجعة مبكرة: وفاة أخيه (طانيوس) <sup>٣</sup>، مفتتحاً بمسأته مساة أخويه الآخرين من بعد: واحد إلى جانب أبي ماضي أيضاً، في مدينة سينسنتاتي، في المهجر الأميركي، سنة قدومه إليها من مصر (ديمتري ١٩١٦)، منتحراً برصاصة أطلقها على نفسه، قبل أن يتجاوز العقد الثاني من عمره، وأخته (أوجيني - جيني) في لبنان، إثر ولادتها الأولى (١٩٢٣) <sup>٤</sup>، فضلاً عن موت فريق من أهل زوجته (دوروثي نجيب دياب) في سن مبكرة.

وقد أُتيح له، وهو بعد في هذه المرحلة من حياته في الإسكندرية، أن يصل صوته إلى بعض صحف المهجر، فنُشرت فيها بعض قصائده التي كانت بعض الصحف المصرية تنشرها اللواء و الهداية و الشعب و القلم ، وهي قصائد تحمل شكواه الاجتماعية أو السياسية، ضمها، من بعد، إلى (تذكار الماضي)، وتشير إلى ما تحمل نفسه من هموم الغربة وأوجاع الأحداث التي تقع من حوله، في الوطن الذي غادره (لبنان) والوطن الذي يعيش فيه (مصر)، وتحمل شكواه من بعض الوقائع العامة، ومن المعاناة الذاتية التي تضطرب بها نفسه.

---

(١) نشر سنة ١٩٠٩ في جريدة اللواء (وهي جريدة الحزب) كلمة عنيفة، في ذكرى واقعة (دنشواي)، فحكم عليه بالسجن اندفع أبو ماضي، مخالفاً نصيحة الكثيرين، فنشر في (اللواء) قصيدة، هنأ فيها بالإفراج عنه

(٢) تراجع الأمثلة في هذا كله، في ديوانيه الأول (تذكار الماضي) والثاني (الجزء الثاني من ديوان إيليا أبي ماضي)، إذ لا فائدة في إيراد نماذج منها هنا، أو في تحديد نصوصها

(٣) في (تذكار الماضي) قصيدة بعنوان: البدر الأقل: يبكي فيها بكاء مرّاً النص ٣٧

(٤) في المراجع، بين أيدينا، نفاً عن موت أخ آخر له، سمته (إبراهيم)، لم أجد تفصيلاً عنه

يقول، مثلاً، من قصيدة تحمل عنوان شكوى فتاة أرغمها نوحها على الاقتران برجل طاعن في السن ، فسور بلسانها عجزها عن الرضا بما كُتِبَ لها، وتطلعها إلى الحياة التي ترى نفسها أهلاً لها، حتى كأنه كان يحكي حكاية فُرقتَه عن أهله، وما كان يتطلع إليه ويرى نفسه قادراً على تحقيقه، بموهبته التي أصبح يسعى أن يلفت إليها الناس:

زَعَمُوا أَنَّ الْغَوَانِي لُغَبٌ  
إِنَّمَا الْغُفْبَةُ، طَبْعاً، لِلصَّبِي  
وَأَنَا مَا زِلْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا  
فَلِمَاذَا فَرَطَ الْأَهْلُونَ بِي  
لِي قَدْ وَجَمَّ مَالٌ يَزْدَرِي  
ذَاكَ بِالْغُصْنِ، وَذَا بِالْكُوكَبِ  
قَدْ جَرَى حُبُّ الْعَلَا مَجْرَى دَمِي  
فَهِيَ سَوْلي، وَالْوَفَا مِنْ مَشْرِبِي  
أَنَا، لَوْ يَعْلَمُ أَهْلِي، دَرَّةٌ  
ظَلَمْتُ فِي الْبَيْعِ كَالْمُخْشَلَبِ<sup>١</sup>

على هذا النحو، نحسب عمله في الحقل السياسي، ودفاعه عن مصر وحقوقها، ونشره شعره في صحفها، واتصاله برجالها<sup>٢</sup>، موصولاً باختيار السبيل إلى تعريف المصريين به، وبموهبته التي أصبح، من بعد، يعتزُّ بها غاية الاعتزاز<sup>٣</sup>، ويرفعها، أحياناً، فوق مستواها الإنساني<sup>٤</sup>.

---

(١) تذكُّار الماضي النص ٥، والمخشلَب الحزن، والحجر المزيف المصنوع  
(٢) في أخباره، عن هذه المرحلة اهتمامه بقضية المرأة، وقضية الإصلاح الديني ورجاله (الشيخ محمد عبده) والدعوة إلى الدستور، والانتصار للواقفين في وجه تمديد الترخيص لشركة قناة السويس البريطانية، أربعين عاماً (على حين أيد أغلب الضيوف «الشوام» ضدَّ الترخيص) ومن أخباره أيضاً، امتداحه ديواناً من الشعر كتبه علي العاياني، باسم (وطنيتي) صادرتَه سلطات الاحتلال البريطاني التي كان على رأسها المعتمد (سير الدون غورست) وفي شعر أبي ماضي ذكر له وتنديد به ما لم تجمعه الدواوين النص ٥٢ (مصر والاحتلال)  
(٣) انظر الأبيات الأولى من قصيدته ١٩١٠ (من تذكُّار الماضي) والأبيات الأخيرة من النص ٤٤ مريض بالعرور  
(٤) انظر النص رقم ٥١، «إنَّه الشاعر» (ما لم تجمعه الدواوين ص ١١٢٥)



على أنه وصل. في نهاية هذه المرحلة، إلى أن أوصل صوته، عن طريق الصحف في الوطن والمهجر، إلى الناس من المحررين وأصحاب الصحف ومن يقرؤها، وأن يجد في نفسه القدرة على تكوين ديوان من مجموع قصائده التي أجازها الرقيب، ودع به هذه المرحلة من حياته، وأدّخر في جعبته قصائد أخرى سياسية لم يُجَزَّ له الرقيب نشرها. وقال في آخر الديوان: إنه ينوي نشرها في الجزء الثاني.. وإن نشرها لقريب<sup>(١)</sup>.

فهكذا نرى أن صوته الخاص، في هذه المرحلة، لم يكن غائباً عنها، كما توحى بعض الدراسات التي تناولت شعره فيها، وإن كان صوت الآخر هو الغالب عليه، في اختياره قوالب التعبير الفني لقصائده، على نحوٍ يذكّرنا، ونحن نقرأها، بقصائد معينة لكبار شعرائنا القدامى.

ففي (تذكار الماضي) أصواتٌ يمكن أن نصل في تتبع أصداء مواقفها، إلى دواوينه الأخرى التي نشرها، في مراحل عمره التالية، مثل موقفه الشائع في شعره، من الإنسان وتعالیه على الطينة التي خلق منها<sup>٢</sup> :

قالوا: ترقى سليل الطين، قلت لهم:

الآن تم شقاء العالم الآن

إن الحديد إذا ما لان صار مدي

فكن على حذر منه إذا لانا

والمرء وحش، ولكن حسن صورته

أنسى بلاياه من سماء: إنسانا

وموقفه من قيمة الإنسان الروحية، وتقديمها على صورته الظاهرة: فالسر في الأرواح، كما صار يقول من بعد<sup>٣</sup> :

إذا كان حسن الوجه يدعى فضيلة

فإن جمال النفس أسمى وأفضل

(١) ملاحظة وردت في آخر ديوانه (تذكار الماضي) ص ٢٣١

(٢) تذكار الماضي النص الأول (الإنسان والدين) وانظر فيه أيضاً النص رقم ٤١: الكبرياء خلّة الشيطان. ونعود إلى الوقوف عليه، من بعد

(٣) النص ١٢ في (الديوان الثاني) ص ٢٩٦

وموقفه من رجال الدين الرهبان، في خطابه إلى لبنان وأهله<sup>١</sup> :  
إِنَّ الْأَبَالِسَ حِينَ أَعْيَا أَمْرُكُمْ  
جَاءَتْكُمْ فِي صُورَةِ الرُّهْبَانِ  
فَحَذَارِ مَنْ أَنْ تُخْدَعُوا بِلِبَاسِهِمْ  
فَهُمُ الضُّوَارِي فِي لِبَاسِ الضُّانِ  
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَهُمْ غُفْرَانُهُ  
اَثَرْتُ أَنْ أَبْقَى بِلا غُفْرَانِ  
أَوْ كُنْتُ فِي النَّيْرَانِ حَيْثُ لَدَيْهِمْ  
مِنْهَا النِّجَاجُ، رُضِيتُ بِالنَّيْرَانِ

فإذا رجعنا إلى النظر في اختيار أساليب التعبير، وصوغ الجمل فيها، طغى صوت الآخر، وبدأت تتوارد على الذاكرة أسماء كبار شعراء تراثنا الشعري (المتنبي، أبو العلاء، بشار، أبو نواس، وغيرهم) على نحوٍ يشعرون بمطالعات إيليا الجادة لدواوينهم، واختيار القصائد السائرة، من شعرهم، في جمهور المتدبين<sup>٢</sup>

والذي ننتهي إليه أن الشاب، في أولى مراحل، كان يستكمل عدته، ويستعرض أسس ثقافته الشعرية، قبل أن يرتقي بها، من بعد انتقاله إلى العالم الجديد، وتثريه، في مرحلته المقبلة، بجوانبه، وانتظامه عضواً في (الرابطة القلمية)، والتقاءه بكبار أعضائها: جبران ونعيمة ورشيد أيوب ونسيب عريضة.

\*\*\*\*

---

(١) انظر النص ٣٩ في سبيل الإصلاح: (تذكّار الماضي)

(٢) نلاحظ من بعد، أن أبا ماضي تعدى، في مطالعاته، شعراء العصر العباسي، إلى شعراء العصور المتأخرة (العصر الأيوبي والملوكي، لاحقاً بشعراء مرحلته الزمنية شوقي وحافظ والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل) وربما كان تأثيره بكل واحد منهم يحتاج إلى درس خاص، حتى في اقتباس بعض معانيه

## (٢)

ولكنه قطع شوطاً آخر، مهدّ له الطريق، نجد معالمة المتقدمة في ديوانه الثاني الذي نشرته له، في نيويورك جريدة (مراة الغرب اليومية) سنة ١٩١٩ . ففيه نستطلع المقدمات الحقيقية التي انتهى إليها في ديوانه الثالث (الجداول)، وشكّلت عالمة الشعري الرحب الذي دخل به تاريخ الشعر العربي من بابه الخاص، وأصبح معه معلماً متقدماً من معالم التجديد في حياتنا الأدبية.

ولهذه المعالمة، من هذا الجانب وحده، في هذا الديوان (الثاني)، رضي جبران أن يقدم له بمقدمة حفظ لأبي ماضي فيها قدرته على تخطي عالم الحس، وقربه من مفهومه الخاص للشعر، بأسلوبه المجازي المعروف: الشعر عاطفة تتشوق إلى القصي غير المعروف، وتجعله قريباً معروفاً، وفكرة تناجي غير المدرك، فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم... فالشعر يصعد إلى الملاء الأعلى على سلّم أقوى وأبقى من الجبال ! يصعد بعزم الروح ويتمسك بحبال غير منظورة... يتمسك بحبال الفكر، ويملاء كئسه من عصير أرق من ندى الفجر، يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح... وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه سلالمة بين المنطق وغير المنطق، وبحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها....

وقد كان الفاصل الزمني بين الديوانين، الأول والثاني، ثماني سنوات (١٩١١-١٩١٩)، وهو عين الفاصل الزمني بين ديوانه الثاني وهذا ديوانه الثالث (الجداول: ١٩١٩ - ١٩٢٧).

فما الفاصل الفكري والنفسي والفني بين هذين الديوانين (الأول والثاني) فبعد كثيراً من هذا الفاصل الزمني، وكان لانتقاله إلى العالم الجديد، لاشك، والتقاءه بعض

أعضاء الرابطة أثر فيه، بالرغم من أن انتقاله من سنسِنَاتِي<sup>١</sup> إلى نيويورك ١٩١٦<sup>٢</sup> حين التقى بجبران ونعيمة وزملائهما، واختلط بهم، تمّ في سنوات قليلة، قبل ظهور هذا الديوان، أعني قبل أن يعاد تشكيل الرابطة القلمية<sup>٣</sup>، وتعلن عن برنامجها وتصدر مجموعتها سنة ١٩٢١ .

على أن الديوان الثاني اشتمل أيضاً على قصائد كان كتبها في الإسكندرية، ولم يتح له نشرها، لأسباب سياسية. وفيه، لاشك، قصيدة أو أكثر كتبها في زيارته لبنان، لبضعة أشهر، قبل أن يركب البحر إلى أمريكا، هارباً، على ما تقول بعض المراجع، من وجه السلطة العثمانية القائمة فيه آنذاك، بعد أن انضم إلى صفوف معارضيها<sup>٤</sup> . منها قصيدته التي سماها وداع وشكوى<sup>٥</sup>، شكَا النوى في أولها، ووصف موج البحر الهائج الذي أحاط بمركبه، حتى ظن الموت قريباً منه. ثم قال، كنه مخاطبه من الحال التي نعرفها في لبنان اليوم:

نيويورك يابنت البحار، بنا اقصدي  
فلعلنا في الغرب ننسى المشرقاً  
وطنُ أردناه على حب العُلا  
فأبى سوى أن يستكين إلى الشُّقا  
أو كلما جاء الزمان بمُصلح  
في أهله، قالوا طغى وتزندقا

---

(١) انضم في سنسِنَاتِي إلى أخيه (مراد) في عمله التجاري، ولم يصدر له شيء خلال عمله معه، إلا أن يكون ما نشر في بعض الصحف والمجلات

(٢) دعي، في انتقاله، إلى الإشراف على مجلة تُصدرها مجموعة من الشباب الفلسطينيين، باسم (المجلة العربية) ثم انتقل إلى العمل مع شكري بخّاش في المجلة التي كان يصدرها باسم (الفتاة)، إلى أن استقر أخيراً في العمل مع نجيب موسى دياب، في جريدته (مرآة العرب اليومية)، وفيها تم طبع ديوانه الثالث (الجداول) أيضاً

(٣) ظهرت (الرابطة) في منتصف عام ١٩١٦، ثم أعيد تشكيلها من بعد، لإبعاد (نجيب موسى دياب) صاحب (مرآة العرب) عنها

(٤) (إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة) لجورج ديمتري سليم، ص ١٧٨، دار المعارف القاهرة ١٩٧٨

(٥) النصر ٩ (الديوان الثاني) ص ٢١٩

هذا جزاءُ ذوي النُّهى في أمةٍ  
أخذ الجمودُ على بنيها مَوثِقاً  
وطنٌ يضيق الحرَّ ذرعاً عندهُ  
وتراه بالأحرار ذرعاً أضيقاً  
شعبٌ كما شاء التخاذل والهوى  
متفرقٌ، ويكاد أن يتمزقاً  
لا يرتضي دينَ الإله موقفاً  
بين القلوب، ويرتضيه مفرقاً  
لم يعتقد بالعلم، وهو حقائقُ  
لكنه اعتمد التمايم والرقي  
وحكومة ما إن تزحزح أحمقاً  
عن رأسها، حتى تولى أحمقاً  
بيننا الأجانبُ يعبثون بها كما  
عبث الصُّبا سحراً بأغصان النُّقا  
(بغداد) في خطر، و(مصر) رهينةُ  
وغداً تنال يدُ المطامع (جِلْقاً)!

ثم التفت يصف الحياة في مغتربه الجديد، في ردة الفعل لما وقع له في لبنان:  
أصبحتُ حيث النفسُ لا تخشى أذىً  
أبدأ، وحيثُ الفكرُ يغدو مُطلقاً  
هذي هي «الدنيا الجديدة» فانظري  
فيها ضياءُ العلم كيف تألقا  
إني ضمنتُ لك الحياةَ شهيدةً  
في أهلها، والعيشَ أزهرَ مُونقاً  
نفسى! اخُلدي ودعي الحنينَ فإنما  
جهلُ بُعيد اليوم أن نتشوقاً



وفي الديوان نصوص أخرى - نُشر بعضها في عدد (السائح) الممتاز التي كان عبد المسيح حداد يصدرها، وفي (الفنون) لنسيب عريضة - من نتاج هذه المرحلة التي سبقت مجيئه إلى نيويورك.

ثم تم، في آخر الأمر، انتقاله محرراً في جريدة (مرآة الغرب) أوائل سنة ١٩١٨، وتمت خطبته لابنة صاحبها نجيب موسى دياب: «دوروثي-دورا». لكن حادثاً آخر لاحقه، وقع في السنة نفسها لأخت خطيبته (أولغا)، إذ دهمتها سيارة، في بروكلن، ذهبت بحياتها.

هذه جملة مقدمات هذا الديوان، توحى بأن كثيراً من قصائده كانت كتبت، كما أشرنا، في المرحلة الأولى من حياته، في الإسكندرية، وجعلته يسميه باسم (الجزء الثاني)، كنه لاحق بالجزء الأول (تذكار الماضي).

وهذا إذن تفسير ما اتصفت به جملة قصائد هذا الديوان بما اتصفت به قصائد ديوانه الأول (تذكار الماضي)، من النزوع إلى تقليد الشعراء الكبار القدامى<sup>(١)</sup>: التمسك بالجزالة في الصياغة، والقوة في المطالع، وطغيان الحسية، والذهاب إلى النهايات في مواقف النفس مما تشاهده أو تعانيه: الكلف بالمبالغات، والتزام مذهبهم في الوصف والتصوير واختيار التشابيه، بما يعني، في آخر الأمر، اقترابه منهم، في موقفه من صورة الحياة والإنسان في أنفسهم.

ولعل ما نقلناه هنا، قبل قليل، من قصيدته (وداع وشكوى) يمثل لما نقول. فالأبيات فيها وحدات مستقلة، تنفرد بمعانيها. والتراكيب تقريرية ذات خط بياني واحد، تدل على تماثل الرؤية، وإملاء الأحكام إملاءً يجعل المتلقي يتلقاها بفتور. ثم إن الصورة التشبيهية الوحيدة في الأبيات مقحمة، أملاها التزام التقفية، بل هي لا تخلو من التنافر، فعبث الأجانب المرذول بوطنه لا يُسيغ الإحساس السليم بتشبيهه بعبث الصبا، المرغوب سحراً، بَغْصان النقا !

---

(١) الرجوع إلى كتاب (إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد) لطالب زكي طالب، يزود الباحث بأمثله كافية، تمثل لهذا النزوع في شعر أبي ماضي، وترده إلى المتنبّي حيناً، وإلى أبي العلاء حيناً، وإلى آيات من القرآن الكريم حيناً

ومن نصوص الديوان المنتقاة قصيدته أنا وأخت المهة والقمر <sup>١</sup> المصوغة على نحو يذكر المتلقي بقصيدة معروفة لبشار بن برد، إذ البناء في القصيدة واحد، والروح واحد، والموقف النفسي واحد. وقد اقتضى أن يتقارب فيها سياق المعاني والصور، وإن اختلفت المفردات.

وقصيدة بلادي <sup>٢</sup> تفوح منها ريح خطابية وصياغات وأبنية تصلنا رأساً بالمناخ التقليدي في شعرنا القديم:

رويدك أيها الألاحي رويداً  
لك الويلات، ليت سواك لاما  
رجالَ التركِ ما نبغي انتقاماً  
لَعَمْرُكُم، ولا نبغي انتقاما

وفيها ما يذكرنا بقصيدة عمرو بن كلثوم وأسلوب التفاخر فيه:

السنا نحن أكثرهم رجالاً  
إذا عُدّوا، وأرفعهم مقاماً

وبالمعاني التقليدية، في مثل المواطن التي كانت تقال فيها:

وعِلْمُ المَرءِ أَنَّ المَوْتَ اتِ  
يُهَوِّنُ عِنْدَهُ المَوْتَ الزُّؤاماً

\*\*\*\*\*

---

(١) النصر ٥ من الديوان الثاني

(٢) النصر ٢٢

### (٣)

بعد سنتين من صدور الديوان الثاني (١٩١٩ - ١٩٢١)، أصدرت (الرابطة القلمية) مجموعتها الأولى، من نتاج أعضائها العاملين (وقد سمّتهم: عمّالاً)، وفيها خمسُ قصائد مختارة لأبي ماضي، ثلاث منها كانت صدرت في هذا الديوان الثاني فلسفة الحياة و لم أجد أحداً وابنة الفجر<sup>١</sup> واثنان تضمّنهما ديوانه الثالث الذي صدر بعد ست سنوات من صدور المجموعة (الجدول ١٩٢٧)، وهما: المساء ونحن<sup>٢</sup>.

بعد اختيار هذه القصائد في مجموعة الرابطة، بمثابة براءة انتساب إلى الحركة الأدبية الجديدة التي تتخذ من الأدب رسولاً بين نفس الكاتب ونفس سواه، لا معرضاً للأزياء اللغوية، والبهجة العروضية، على حد ما جاء في مقدمة المجموعة التي صاغها مستشارها وأمين سرها ميخائيل نعيمة، يرى القارئ من نفسه [فيه] ما كان خفياً عنه، وينطق بما كان لسانه عيباً عن النطق به، فيقترب من نفسه، ويقترب من العالم<sup>٣</sup>.

ضمن هذه المقدمات صدرت مجموعة أبي ماضي الشعرية الثالثة، (الجدول)، بعد أن مضى على صدور المجموعة الثانية، ثماني سنوات (١٩١٩-١٩٢٧) كما ذكرنا، أمضاها أبو ماضي في أجواء أشاعتها قصائده المختارة التي أقبل القراء في الوطن العربي<sup>٤</sup> على قراءتها، وطلبة المدارس على حفظها.

وقد اختلطت الأحداث السارة في حياته، خلال هذه السنوات، بالأحداث الحزينة، فأمّدت كلاهما بالزاد الوجداني والفكري، وبالحافز الفني، في تَمَلّ الحياة وتفسيرها

(١) انظر فيه، على التتابع، للنصوص التالية ١١ و ١٩ و

(٢) النص ١٥ و ١٩ وقد صدر النص الثاني «نحن»، في (الجدول)، بعنوان معايير العيمان

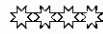
(٣) مجموعة الرابطة القلمية ص ١٨

(٤) كانت المجالات والصحف، في الوطن، تنقل نتاج المهجريين المختار إلى قرائها، على نحو ما كانت تُنقل في المهجر وتقف (المقتطف) و(الهلال) في مقدمتها

وتصوير معانيها وعبرها، والنفوذ إلى حقائقها، في ضوء ما حاق به وأتيح له معاً:

فقد ماتت خلالها (١٩٢١) حماته (كاترين) بالسرطان، في أول العقد الرابع من حياتها، ورزق بعدها بسنتين (١٩٢٣) بول أولاده (ريتشارد). ولكنه أصيب بعدها، بشهر قليلة، بموت أخته (أوجين) في لبنان، في ولادتها الأولى، كما أشرنا، ووصل والداه إلى نيويورك، بعد وفاتها بشهر. ورزق، في السنة التالية (١٩٢٤)، ولده الثاني المعوق (إدوارد)، وصار خلالها وكيلاً لمجلة (المقتطف)، وخاض بعدها حرباً هجائية قاسية تعود إليها من بعد<sup>١</sup>.

وكان ديوان (الجدول) نتاج ما خلفته هذه الوقائع وتَمَلَّ الحياة في أضوائها المتعاقبة، ومع ما اكتسب خلالها من قدرات فنية جديدة أرهفتها حقائق الحياة، في المحيط الجديد، وما أشاعه الرابطيون فيه، وبتأثيره، من حقائق العمل الأدبي ومعانيه الجديدة عندهم. فَبَوَّ ماضي، في هذا الديوان، طَلَّق الفكر، طَلَّق الإحساس، طَلَّق العاطفة، طَلَّق التعبير.



وامتد الزمن، بعد (الجدول)، ثلاثة عشر عاماً، غادر خلالها عمله في (مراة الغرب)، بعد أن أمضى فيه أكثر من عشر سنوات (١٩١٨-١٩٢٨). ثم تتابعت الأحداث: ففي الأخبار: أن خلافاً مالياً شب بينه وبين حميه (صاحب: مراة الغرب) استوجب، سنة ١٩٣٣، اللجوء إلى المحاكم<sup>٢</sup>. وفي الأخبار أن والده رجع إلى لبنان ١٩٢٨، بعد أن أمضى في أمريكا خمس سنوات، وخَلَّفَ زوجه (أم أبي ماضي: سلمى) فيها، حيث أمضت بقية حياتها! مما قد يعني أن خلافاً شديداً دب بين الزوجين، ماتا بعده، خلال هذه المدة، منفصلين (مات أبوه سنة ١٩٣١ وماتت أمه، بعد وفاة زوجها باثني عشر عاماً ١٩٤٣)!

وفي أخبار هذه المرحلة أيضاً ما يشير إلى مكان جبران من نفسه، فقد كان في اللجنة التي هيئت لحفل يوبيل جبران الفضي (١٩٢٩) في بروكلن - نيويورك. والخبر يعني

---

(١) نجد أثارها في الشعر الذي أغفله أبو ماضي وجورج صيدح، فلم يُجمع في النواوين (انظر مالم تجمعه النواوين، النصان المتتابعان ٤٢ و ٤٣)

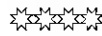
(٢) انظر كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٨٠

أن تثره بفكر جبران ينبغي أن يرد في تقويم نتاجه، مهما بدا محدوداً عند بعض دارسيه. على أن الحدث العريض، في هذه المرحلة، هو إنشاؤه مجلة (السمير)، وصدورها (١٩٢٩) نصف شهرية، قبل أن تتحول إلى جريدة يومية، بعد سبع سنوات من إنشائها (١٩٣٦) <sup>١</sup>.

ولكن أباه توفي في لبنان، في بلدته (المحيثية)، بعد إصدار (السمير) بسنتين (١٩٣١)، وأُعلنت، بعد وفاته، بقل من أسبوعين، وفاة جبران (١٠/٤/١٩٣١)، فخصصت (السمير) عدداً لذكراه، وتوفيت أخت زوجه (أولغا) في عقدها الثالث (١٩٣٢)، إثر عملية الزائدة المعوية. ولكنه رزق، في العام الذي تلا وفاتها (١٩٣٣)، بابنه (روبرت) ثالث أولاده. خليط من الأحداث السارة والوقائع الحزينة، سنّة الحياة التي تُظِلُّ الناس جميعاً، ولكنها، في حياة أبي ماضي، تبدو، في الجملة، أشدَّ كثافة وأكثر قتامة.

على أن الأخبار تتوارد أيضاً بتكريمه، في حفل خاص (١٩٣٥) رعته الجالية السورية. ويُطبع (الجداول)، في العالم العربي، من غير استئذان، في سورية والعراق، بما يفيد امتداد شهرته امتداداً لعل شاعراً آخر لم ينافسه فيه.

ومع هذه المقدمات أيضاً صدر ديوانه (الرابع: الخمائل ١٩٤٠)، وطبع في مطابع جريدته (السمير)، وأقيمت له حفلة نشرت (السمير) الكلمات التي أُلقيت فيها. وتبع صدوره انتشارٌ بعض قصائد (الجداول) على ألسنة كبار المطربين في العالم العربي: فقد غنى محمد عبد الوهاب (١٩٤٤) مقاطع من قصيدة (الطالاسم)، واختارت أسمهان، في العام نفسه، أجزاءً من قصيدة (المساء) لتغنيها، لحنها لها رياض السنباطي، ولكنها ماتت قبل تسجيلها <sup>٢</sup>.



---

(١) أدرجنا، في آخر هذه الدراسة، عدداً من صفحاتها المصورة، تنقل بعض ما كان يكتب فيها أبو ماضي  
(٢) خطوط هذه الأخبار كلها، وكثير غيرها، استقيت من المصدر السابق وحيثما أغفل ذكر المصدر، لوقائع من حياة أبي ماضي، فالمرجع فيها كتاب جورج ديمتري سليم

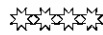


ثم عاد أبو ماضي فواجه، بعد صدور (الخمائل)، أيام الأحزان وأيام المسرة التي حفلت بها حياته كلها، على النمط المختلط نفسه: فقد توفيت والدته (سلمى) بعد صدور الديوان بثلاث سنوات (١٩٤٣)، وشارك في تبين بعض أصدقائه، ودشن، في السنة نفسها، المبنى الجديد لجريدته (السمير)، وشارك أيضاً في بعض حفلات الزفاف، ورأس، في الوقت نفسه، حفلة أقيمت لتبني زميله في (الرابعة) الشاعر الحمصي: نسيب عريضة، ورثي، زميله الحمصي الآخر: ندره حداد.

وأنيح له أن يزور وطنه لبنان في مؤتمر اليونسكو الذي عقد في بيروت (١٩٤٨)، مع صدور الطبعة الثانية، من ديوان (الخمائل) فيها، فزار (المحيضة) وأقيمت له حفلة تكريم في نادي مدرستها. وأذاعت الإذاعة مقتطفات من شعره كانت دعتة إلى تسجيلها. وصدر، في هذه الأوقات السارة، مرسوم بمنحه وسام الاستحقاق الفخري المذهب. وأقيمت حفلة علّق على صدره فيها وسام الأرز الوطني اللبناني، من مرتبة ضابط.

وزار سورية أول عام (١٩٤٩)، فقيمت له في الجامعة السورية (جامعة دمشق) حفلة تكريم رعاها رئيس الجمهورية، وعلق على صدره فيها وسام الاستحقاق بدرجة ممتاز<sup>١</sup>.

ثم مضى ما يقرب من ثماني سنوات بعدها، أمضاها أبو ماضي في رعاية جريدته (السمير). ولكنه مرض في نهايتها. ولم يلبث أن توفي بالسكتة القلبية سنة ١٩٥٧، بعد أن باع مطابع الجريدة وتخلّى عنها، فقيمت، في ذكراه، حفلات في سورية ولبنان ومصر والمهجر.



وكان قد ترك، في الصحف والمجلات، نصوصاً شعرية، قيل: إنه جمع بعضها، قبل وفاته، فنهض صديقه جورج صيدح باختيار ما يرضيه منها، وكوّن منها ديواناً سمّاه (تبر وتراب)، نشرته دار العلم للملايين في بيروت، في طبعته الأولى سنة ١٩٦٠، بعد عشرين

---

(١) كان كاتب هذه السطور في جملة من حضرها من طلبة الجامعة، ولكن القصيدة التي كتبها لهذه المناسبة لم يلقها هو، فآلقها بالنيابة عنه، وهو يسمّعها، الشاعر سليم الزركلي وربما خشي أن يبين في إلقائه أثر العربية الطويلة التي كان أمضاها في المهجر (١٩١١ - ١٩٤٩)

سنة من صدور (الخمائل)، وحوالي خمسين سنة من صدور ديوانه الأول، لم يحتجب ذكر أبي ماضي خلالها عن ضمير القراء العرب في الوطن والمهجر.

وقد ضم هذا الديوان الخامس تسعة وخمسين نصاً شعرياً لم تُضف لأبي ماضي شيئاً لم يُقْل فيه قبل صدوره، أو شيئاً لم نصل إليه.

وأكثر نصوصه قيل في مناسبات محدّدة، بعضها ذو قيمة نفسية أو قيمة إنسانية ساطعة، مثل وطن النجوم<sup>١</sup>، في مخاطبة وطنه (لبنان)، وقد رأى النجوم (في زيارته له ١٩٤٨) تتلأل في سمائه، بعد أن غادر سماء أمريكا التي تحجبها الأضواء المصنوعة، ومثل تحية الشام<sup>٢</sup> التي ألقى في دمشق (١٩٤٩) في حفلة التكريم التي أشرنا إليها، ومثل قصيدته الشاعر والكس<sup>٣</sup> التي تصوّر، حالاً من أحوال النفس، يرى صاحبها من حوله كل ما يتطلع إليه، ولكنه لا يعبّ به، كنه لا يراه ولا يريده:

كالتمائيل حوله	من نحاس ومن رُخام
لا اكتئاب ولا رضا	لا بكاء ولا ابتسام
فإذا الكون عنده	جدتْ كله رِمام

ومثلها، في أغلبه، مقطوعات قصيرة. أما قصائد المناسبات فطويلة، ولكنها مصروفة إلى غاياتها التي كتبت من أجلها. وربما جاء فيها بما كان يشغله ويصرف همه إليه. ففي قصيدته تلك السنون<sup>٤</sup> التي ألقاها في حفلة اليوبيل الفضي لجريدته السмир (١٩٥٤) وصف لما عانى في متابعة إصدارها:

إني أراني بـعد ما كابدته  
كالقُفْلك خارجة من الأنواء  
وكسائح بلغ المدينة بعدما  
ضلّ الطريق وتاه في البیداء

(١) النصر ١ ص ٨٤٩

(٢) النصر ٢ ص ٨٥١

(٣) النصر ٢ ص ٨٥٦

(٤) النصر ٩ ص ٨٦٩

وشكر لمن عاونه في رفع شأنها، وتقدير لقيمة ما بذلوه في ردها. ثم انعطف بعدها  
يقول، على عادته في خطاب من يسميهم الأعداء أو الحساد :

شكراً لأعدائي، فلولا عيئهم  
لم أدر أنهم من الغوغاء  
نهش الأسى، لما ضحكت، قلوبهم  
عرس المحبة مآتم البغضاء  
ذنبي إلى الحساد أني فئتهم  
وتركتهم يتعتثرون ورائي

...

عفو المروءة والرجولة، إنني  
أخطأت حين حسبتهم نظرائي

وفي الديوان، من مثل هذه المناسبات، عدد كبير، لحظه بعض الدارسين، فعدّ الديوان  
به خطوة إلى الوراء: شغله الانصراف فيه إلى المناسبة، عن تمل الحياة في معانيها  
العميقة ومجاليها الطلقة، واستجابة الفكر في تفسيرها وتصويرها وجلائها.

على أن هذا الحكم لا يصح، على إطلاقه، ففي الديوان قصائد كتبها أبو ماضي في بعض  
المناسبات، فكانت المناسبة فيها فرصة أتاحت له الوصول إلى عالم جديد، أو فكرة مبدعة<sup>١</sup>.



ولو لم يندب جورج ديمتري سليم نفسه لجمع ما لم تجمعه الدواوين، من شعر أبي  
ماضي، لبقى جانب منه مطوياً عناً. صحيح أن الصورة، في جملتها، لن تتغير علينا،  
ولكنها، في بعض أطرافها، لن تكتمل. ولن تكتمل صورة الحياة انذاك، من جانبيها  
الاجتماعي والثقافي، في أوساط المهاجرين العرب. يكفي أن نذكر أن مجموع ما جمعه في

---

(١) انظر قصيدته التي كتبها في قدوم أحد الأعياد: العيطة فكرة، فانتهى فيها إلى أننا قادرون على استجلاب  
الإحساس بالعيطة عن طريق الفكر، باستذكار ما نحن فيه من نعمة الوجود والتمتع بقدرات الحواس وسلامتها -  
(المائل) النص ٤٤ ص ١٩٣ وسنقف أيضاً، من بعد، على قصيدته (إنه الشاعر) التي ألقاها في حفلة تكريم  
زميله في (الرابطة)، الشاعر نسيب عريضة (ما لم تجمعه الدواوين النص ٥١) وساقه الرد على أصحاب  
الكشاكيل: إلى صوغ مثاله (العير المتكرر)

كتابه هذا يزيد على خمّس مجموع شعر أبي ماضي، وأنه يغطي أيام إقامته في الوطن (في مقامه في مصر ولبنان) وفي المهجر.

فقصيدته مصر والاحتلال ، مثلاً، كتبها أيام إقامته في الإسكندرية (١٩١٠)، ولكنه لم ينشرها في ديوانه الأول الذي أصدره فيها، ونشرتها جريدة (الشعب)، وكانت تنطق بلسان الحزب الوطني الذي اتصل به أبو ماضي، كما علمنا، إلى حد الظن بانتسابه إليه<sup>١</sup>. ومثلها قصيدته في تهنئة الشيخ عبد العزيز جاويش بخروجه من السجن، وقصائد أخرى تتصل بالسلطة العثمانية ودستورها المعلن سنة ١٩٠٨، ويلزم أن تكون كلها مما كتبه أبو ماضي خلال إقامته في الإسكندرية، فهي تنتسب إلى الدور الأول من حياته، دور التقليد والمشي على خطا حافظ إبراهيم وأحمد شوقي والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل، وصوتهم فيها واضح تمامًا.

ومثلها قصائد حنّ فيها إلى وطنه لبنان، وجرى فيها على بساط التقليد نفسه، مثل نفثة مصدور التي شكا فيها من الأوضاع القائمة فيه:

ولا أدري وقد طال اغترابي

لمن أشكو وقد طال انفرادي

.....

فيالهُفي على لبنان يُمسي

وأهلوه على وشك الحِداد

يسوم الساكنيه الخسفَ غرّ

غويّ ضلّ عن نهج الرشاد<sup>٢</sup>

وقصيدته (نجوى لبناني)<sup>٣</sup> التي طلع فيها طلعة تقليدية خالصة! ودعا فيها قومه إلى النهوض:

---

(١) كتاب جورج بيمتري سليم ص ٩٦

(٢) يعني سياسة المتصرف (يوسف باشا فرنكو) الذي قيل إنه كان يمالئ العثمانيين

(٣) النصر ٦ ص ١٠٠٩

لا الغيدُ تُصِيبُني ولا الأقداحُ  
 مهما تغالى فيهما المداخُ  
 إني امرؤُ كلفُ بإدراك العلا  
 دأبي الجهادُ وغايتي الإصلاحُ  
 أهوى بلادي دانيأً أو نائيأً  
 أعليُّ في حب البلاد جُنّاحُ  
 ❖❖❖❖❖

وفي المجموعة. بعد هذه، قصائد تنتسب إلى المهجر، هاجم فيها من سماهم (حاملي الكشاكيل) <sup>١</sup> ممن يسعون إلى جمع المال باسم التبرعات الخيرة، وفيهم رجال كانوا يحملونها باسم الدين:

كذا الذي طاف عليكم يستدر الصدقة  
 ويستثير الدين فيكم وهو ربُّ الزندقة  
 فما تراءى شبحٌ منكم إلا لحقه  
 وما رأى مائدةً إلا أمالَ عنقه

وفيه تفصيلات صغيرة من مجتمع المغتربين المتعلمين في المهجر. فعدا عمّن سماهم أصحاب الكشاكيل ، أناس ندبوا أنفسهم للطعن على من تقدمهم، باتهامهم بالسرقة، أو بارتكاب الأخطاء في اللغة. وقد رد عليهم أبو ماضي، من قصيدة طويلة عنوانها (ماذا؟) <sup>٢</sup>.

تبُّ النُّحاةُ وتبُّ المؤمنون بهم  
 أهلُ السُّخافاتِ والتضليلِ والكذبِ

....

---

(١) انظر النصين ٨ ٩ (ص ١٠١ ١٠٢٠) والكشكول جعبة يحملها صاحبها ليجمع فيها ما يحصله من الآخرين  
 (٢) النص ١٠ ص ١٠٢٤.

## النحوُ والصُّرفُ والإعرابُ أجمعُها

سفاسفٌ لم تكن من قبلُ في العَرَبِ

وربما اتسعت أوقاتهم للتطرُّف أيضاً، وإنشاء المواقف الضاحكة، والغمز، عن طريقها، ممن أساء إليهم من أهلهم، أو من المهمل، على مثال قول أبي ماضي في أبيات ملحقة بقصيدة وصف فيها كلبه<sup>١</sup> :

وانت يا واو عمرو	حتّام تَتْبَعُ عَمراً
ولست تجلبُ نفعاً	ولست تدفعُ ضرّاً
إن البليّة غرٌّ	أمسى يناصرُ غرّاً
لا تعدّلُ الشّعراً إما	جنى عليك الأمرُ
قد كنت قبل القوافي	أقلُّ عقلاً وقدرّاً

وقد يشتدُّ أوار الخصام فيدخل حقل المهاجّة المُرّة. وهذا الذي دعا أبا ماضي، إلى ألا ينقل ما جاء في ربوده منها، في الدواوين التي أصدرها. وقال بعضهم: إنه كفَّ عنها، وفضل أن تبقى حبيسة الصحف التي نشرتها، سماحاً منه لأصحابها، وترفعاً عن إيرادها في دواوينه. وتبعه، صديقُه جورج صيدح الذي جمع نصوص ديوانه الخامس (تبر وتراب)، فأغفلها.

قال مثلاً، من قصيدة عنوانها أيا عجل اليهود<sup>٢</sup> :

توعّدني مقلّد نِفْطويه  
كما توعّدُ الأنثى الرّجالا  
ويعلم أنه دوني مقاماً  
ولكنّ ينبجُ الكلبُ الهلّالا

.....

(١) النصر ١١ ص ١٠٢٩: حكاية، والأبيات في ص ١٠٢٢

(٢) النصر ١٢ ص ١٠٢٣

ويكذبُ آدمُ إمّا ادّعاءهُ  
فإنّ الناس لا تلدُ البرغالا

.....

ويا لهفَ الصحافةِ يدّعيها  
حماراً طالما ليس الجبالا

....

أتنهق والغضنفرُ قيدُ باعٍ  
وتحسّبه وما عاف القتالا  
فلستُ بنابغِ الشعراء إن لم  
أردَ عليك جُلك والسّحالا<sup>(١)</sup>

....

زعانفُ لست أرضاها مطايا  
ولا أرضى رؤوسَهُم ذِعالا

وقد شُهر من خصومه شاعر كان يعمل في الصحافة (وأغلب الظن أنه هو من وجّه إليه قصيدته السابقة)، واسمه أسعد رستم. وقد ختم بالرد عليه أبياته التي عنوانها دُعهُ ينيح<sup>٢</sup> بقوله:

قل لمن سبّه لئيمٌ كهذا  
شبّ بل شاب وهو في اللؤم يسبحُ  
عرّفِ الكلب أنه الكلبُ لنا  
س، ودّعهُ، من بعد ذلك، ينيحُ

ووجه إليه، في الرد على قصائد كان أسعد رستم نشرها في جريدة (الهدى).

---

(١) الجُلُ للدابة كالشوب للإنسان، والسحال اللجام

(٢) النص ٤٢ ص ١١٤

(٣) النص ٤٢ ص ١١٠٩، وقد رد أسعد رستم عليها، من بعد، بقصيدة جعل عنوانها: ها ها النور لي

قصيدة بعنوان إلى النابح العاوي<sup>٣</sup>.

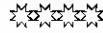
يا أيها النابحُ العاوي بلا سببٍ  
أما لنفسِكَ ذودٌ فينْهاها  
إن كان غرَّكَ أن الحِلْمَ شِمْثُنا  
فربما خالفتُ نفسُ سجاياها

.....

يا كلبَ سوقٍ ويا خنزيرَ مزيلةٍ  
يا جيفةً ما تَحامي الناسُ إلّاها  
على الدروبِ كلابُ مالها عددُ  
لا شك أنك أعداها وأغواها

.....

إنّ السفالةَ لو تأوي إلى سَكَنٍ  
كالخُلُقِ لم يكُ إلا أنتَ مأواها  
أعيانك أن ترتقي حتى ترى بشراً  
فصرتَ كالتيسِ نطاحاً وتياها



على أن في المجموعة طائفة أخرى من القصائد التي غنّى فيها أبو ماضي جمالات الطبيعة، وجعل منها أمثلة للعطاء السخي المكتوم، مثل الجدول الطروب<sup>١</sup>، وإطاراً لتكريم بعض النابغين من الشعراء من أصحابه، وسما بهم، في قدرتهم على الافتتان بجمال الطبيعة، إلى أن جعلهم من نسل الآلهة<sup>٢</sup>.

وطائفة أخرى من قصائد المناسبات (رثاء، خطبة، عرس، توديع، تعميق، امتداح).

---

(١) النص ٤٥ ص ١١١٦

(٢) النص ٥١ ص ١١٢٥ من قصيدته: إنه الشاعر، ونعود إليه بعد انظر ص ٥١ ٥٢ من هذه الدراسة

(٣) النص ٤١ ص ١١١٨ من قصيدته: يا ليتني



وطائفة من أبيات الغزل الرقيق<sup>٣</sup>، تبدو العودة فيه، إلى شعراء الغزل العرب لا معنى لها،  
فقوة الانفعال في موقفٍ مثله يمسّ القلب، تظهر الطبيعة فيه ناطقة:

إذا أطلَّ البدرُ من خِدرِهِ  
فإنما يطلُّ كي تنظريه  
وإن شدا البلبلُ في وكُره  
فإنما يشدو كي تسمعيه  
وإن يَفُحْ عطرُ زهورِ الرُّبا  
فإنما يعبِقُ كي تنشقيهِ  
يا ليتني البدرُ الذي تنظرين!  
يا ليتني الطيرُ الذي تسمعين!  
يا ليتني العطرُ الذي تنشقين  
أواه لو تصدق «يا ليتني»!

فقد حول الطبيعة وكائناتها إلى توابع لمن يحب، وحشد لها أجمل ما فيها نوراً  
وشدواً وعطراً، ونوع في إيقاع الجمل والمفردات والقوافي استجابة لغنى الإيقاع النفسي.

ومثلها مقطوعته التي نهج فيها النهج نفسه<sup>١</sup>:

لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدَيْكَ  
وَشَقَائِقَ النِّعَمَانِ فِي شَفَتَيْكَ  
وَنَشَقَّتْ مِنْ قَوْدِكَ نَدَاً عَاطِراً  
لَمَّا مَشَتْ كَقَاكَ فِي قَوْدِكَ  
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْصَاحِ مَتَوَجِّاً  
وَالْفَلَ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدَيْكَ  
أَيَقَنْتُ أَنَّكَ جَنْهُ خَلَابُ  
فَحَنَنْتُ، مِنْ بَعْدِ الْمَشْيِبِ إِلَيْكَ

---

(١) الحمائل النص ٣٠ (يا جَنَّتِي)

ولذاك قد صيرتُ قلبي نحلةً  
يا جئتني، كيما يحوم عليكِ  
روحي فداؤك، إنها لو لم تكن  
في راحتك هوتُ على قدميكِ!

لكنه هنا مشى على خطوات شعراء مرحلته في الوطن، الأخطل الصغير، مثلاً، فإن  
صوته يتردد فيها. ولكنه احتفظ لها بالطعم الذاتي، في إشارته إلى المشيب مع الحنين.

وطائفة من شعر المواقف السياسية والوطنية التي اعتاد أبو ماضي أن يقفها في  
أدوار حياته كلها، منذ أيامه في الإسكندرية، مثل توديع رستم بك: السفير العثماني في  
واشنطن، و عيد الحرية العثماني، و النكبة في سورية<sup>١</sup> وغيرها.

وطائفة تصور جلسات السمر في مجالسهم وبيوتهم، وهي المجالس التي كانوا  
يتبادلون فيها شعراً خفيفاً يجري على نغمة انقريا دف على الطارة<sup>٢</sup>.

\*\*\*\*

---

(١) (ما لم تجمعه النواوين) النص ١٤ ص ١٠٤٣ والنص ٤ ص ١٠٠١ والنص ٢٥ ص ١٠١٦، على التتابع

(٢) (ما لم تجمعه النواوين) النص ١٦ ص ٢٦ والنص ٢٦ ص ١٠٥٠

#### (٤)

على أن السؤال الكبير الذي يلزم أن تطرحه هذه الدراسة هو: بم اكتسب شعر أبي ماضي مكانته في حياتنا الأدبية؟ ما هي خصائصه وصفاته الأولى؟ وما الجديد الذي جاء به؟ وما الذي أضافته إليه الإقامة في المهجر؟

للإجابة عن هذا السؤال الذي يجمع ما كنا أشرنا إليه في الفقر السابقة، نعود إلى المرحلة التي تخطاها أبو ماضي بسرعة، وهي مرحلة التمرس والتقليد والمران التي يمثل لها أكثر ما أورده في ديوانه الأول (تذكار الماضي) وكثير مما أورده في ديوانه الثاني.

ففي هذه المرحلة يطغى، كما كنا أشرنا من قبل، صوت تراثنا الشعري، بسماته الكبرى: جهازة الصياغة، وحسية الصورة، والكلف بالمبالغة، على صوت أبي ماضي الخاص. ولكن هذا ينبغي ألا يذهب ببوادر توحى بالقدرة على النماء والتفتح. منها الميل إلى القص والاسترسال العفوي في الحوار:

سفرت فقلت لها: أهذا كوكبُ

قالت: أجل! وأين مني الكوكبُ

وتبسّمتُ فرأيتُ رؤماً ضاحكاً

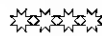
عن لؤلؤ، ككنه لا يُوهب

وتمايلتُ فالسمهريُّ مصمّمٌ

ورنتُ، فأبصرتُ السهامَ تصوبُ

قد كلّمتُ قلبي، ولم ترفُقْ به

واللحظُ، لو درتِ المليحةُ، مِخلَبُ<sup>(١)</sup>



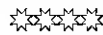
(١) تذكار الماضي النص ٢١، من قصيدته، الحسن لا يُشرى ولا يُستجلب ص ١٦٩

وقائلاً: ماذا لقيت من الحب؟  
 فقلت: الردى والخوف في البعد والقرب  
 فقالت: عهدتُ الحبُّ يُكسب ربه  
 شمائل غُراً لا تُنال بلا حب  
 فقلتُ لها: قد كان حباً، فزاده  
 نفورُ المها «راء» فأُسيئتُ في «حرب»  
 لقد كان لي قلب وكننت بلا هوى  
 فلما عرفتُ الحب صرتُ بلا قلب<sup>١</sup>

ومنها: سهولة النظم ويسر خاطر عليه، حتى كُن اختيار الوحدات اللغوية وبناءها يتمان دون جهد، وهي صفة يدركها قارئ شعره على الفور، وهي وإن لم تخلُ من إحساسه بضعف شحنها بانفعال كاتبها، تقربه، في الوقت نفسه، من الإحساس بامتلاء خاطره بها، بحكم التكوين. وإنما يكون الاكتساب لإغناء الأداة وصلها والتمرس بها، وشحن خاطر بالروى.

ومنها التلاعب بموسيقا الشعر، مستوحياً تلاعب الوشّاحين القدامى بها، على الصورة التي تطالعنا في قصيدته طيبى الخاص<sup>٢</sup>، وقد جعلها في مقاطع<sup>٣</sup>: يشتمل كل مقطع منها على أربعة أبيات، والرابع فيها يجيء على الروي الذي صاغه في البيت الأول وأفرده في مطلع النص<sup>٤</sup>، مع انتهاء صدور الأبيات، في كل مقطع، بروي واحد:

بتُ أرعى في الظلام الأنجُما  
 ليس للعشاق حظ في الكرى



(١) المصدر نفسه النص ٢٥ ص ١٥٢ من قصيدة: بلا قلب.

(٢) تذكّار الماضي النص ٢٩ ص ١٦٠

(٣) يسميها الوشّاحون الأبيات

(٤) هو المطالع في الوشّاح أيضاً، ثم هو القفل من بعد

صرعتني نظرة حتى لقد  
 كِدْتُ أن أحسُّد من لا يبصرُ  
 نظرة قد أورثت قلبي الكمدُ  
 ما بلاءُ القلب إلا النظرُ  
 لا رعاكَ الله يا يومَ الأحد  
 لا ولا حيَّاك عني المطرُ  
 أنت من أطلعت هاتيك الدُمى  
 سافرات فتنة للشُعرا

والنصر طويل يمتدّ فيه النفس على أربعة عشر مقطعاً، على النحو الذي نراه. وقد  
 أنهاه بهذا المقطع:

وجعلنا بعد أن طال العناقُ  
 نتناجى بأحاديثِ القلوبِ  
 بينما نحن على هذا الوفاقِ  
 فُرعُ البابِ فأوشكنا نذوبُ  
 فأشارت لي: قد حان الفراقُ  
 فانقطعنا وارتدتْ ثوبَ الطبيبِ  
 أقبل القومُ فقالت: كلُّ ما  
 كان يشكو منه، عنه قد سرى!



فأما في (ديوانه الثاني) فتبدأ تتجلى، في بعض نصوصه، حركة الفكر، والنزوع إلى  
 التفلسف، وتناول موضوعات متصلة بمعنى الحياة، وتأمل مكان الإنسان منه، وكيف ينبغي  
 أن يفهمه ويرعاه في مسلكه الذي يلزم أن يختاره بمقتضاه. ويقرب أن يكون (للمرابطة)  
 ورجالها. - وقد ظهرت، كما أشرنا، سنة ١٩١٦ في الوقت الذي غادر فيه أبو ماضي  
 سنيناتي إلى نيويورك، بعد أن خالطهم طوال هذه السنوات الثلاث التي سبقت صدور

الديوان - أثر في التفاته إليها. وهو، في ظني، ما جعل جبران يقدم له على هذا النحو الذي وقفنا عنده من قبل، وجعل نعيمة يقدم للديوان الثالث (الجدول) من بعد.

وكنْتُ سمعت من نعيمة - في الحوار الطويل الذي أجريته معه سنة ١٩٥٨ - ما يذهب هذا المذهب<sup>(١)</sup>. وقد أعاد نعيمة يومها الفضل فيه إليه، ونسب إليه المنحى الذي نحاه أبو ماضي في شعره، من بعد، صفة التجديد<sup>(٢)</sup>.

والحق أن استعداد أبي ماضي للذهاب في شعره مذهب المفكرين والمتفلسفين يكاد أن يكون نزعة من نزعاته المفطورة، فهو، بحكم التكوين، لا ينقطع عن التأمّل والتفكير في مظاهر الحياة والطبيعة ومكان الإنسان منها. وقد بدا هذا النزوع في شعره منذ بدأ تفتحه في الإسكندرية.

ثم إن صبيّاً تضطره الحياة إلى مفارقة أبويه والهجرة إلى أرض جديدة يمارس فيها عملاً يقعده في بعض الحوانيت، يرقب منه الوقائع والأحداث، ويستقبل ما تنتهي إليه بعد أن بدأ يعي معانيها ويتتبع أثرها في الواقع القائم من حوله، ويجد نفسه، من بعد، على الدوام، عرضة للمصائب المقيمة والوافدة: موت أخوته الثلاثة واحداً إثر واحد، وبينهم المنتحر، إضافة إلى موت أخته وهي تضع مولودها، الأول، ووضع زوجته مولودها الثاني (ادوار) مريضاً معوّقاً حياته كلها<sup>(٣)</sup>، يطالع إيليا وجهه صباح مساء، لا بدّ أن تجتذبه إلى التفكير وتوسّع من مساحته في العقل.

وما نستطيع أن ننكر، مع هذا، أن تأثره بجبران ونعيمة ونسيب عريضة، بعد هجرته إليهم، عمّق فيه هذا النزوع إلى التأمّل في آفاق الحياة، وفي مجالي الطبيعة الساحرة التي نشأ في أحضانها، في سفوح جبل صنّين بלבّان، والتفكير في معنى الوجود وغايته، حتى جعل منه، في النهاية، مذهب الأول في شعره، وهو المذهب الذي وقف عنده دارسوه، ووجدوا فيه مزيتة الكبرى، وأعادوا إليه فتح صفحة التجديد في الشعر العربي الحديث.

---

(١) ينكر مراد أبو ماضي، أخو الشاعر، تأثر أبي ماضي بنعيمة، بحجة اختلاف الدربين والنزعتين، يؤيده في إنكاره صديق أبي ماضي جورج صيدح (أوراق مهجيرة رسائل جورج صيدح إلى الكاتب، ص ١١٩ - ١٢١)

(٢) المرجع نفسه ص ١٨

(٣) كتاب جورج بيمتري سليم انظر فيه خلاصة لوقائع حياة أبي ماضي ص ١١٦ وما بعدها

ولعل قصيدته المشهورة، التي سماها (فلسفة الحياة)<sup>١</sup>، تمثل الطلعة الأولى لذهابه هذا المذهب الذي لامس قضايا الإنسان الكبرى، وتولى فحص نظرتة إلى الوجود، وكيف ينبغي أن يجعل موقفه منه. وقد كان يمكن، بعد هذه الوقائع التي ذكرناها في حياته، أن ينكفى إلى عالمه الداخلي، أو يسرح فيما وراء الحس. ولكنه حاول أن يرجع إلى عقله وإدراكه في فهمها، ويسعى وراء المعرفة عن طريق العقل لا عن طريق الحدس، ويفلسف ما يهديه إليه تَمَلُّه في الطبيعة التي تحتويها، فوقع على أسلوب في مخادعة النفس، لفتها عن الرسوف في الإحساس بالعجز عن كشف أسرار الوجود، انتهى معه إلى التمثل بالكائنات الأخرى من حولها، وسلوك مسلكها في تقبل الحياة والعمل على اختطاف حلالات التمتع المباشر بما تعرض الطبيعة من صور الجمال في ألوانها ومشاهدها، متناسياً عن قصد وتصميم، ما ستصير إليه بعد وقت قصير، وملاحظة ما يفرق بينه وبين كائناتها الأخرى من الوعي والإدراك، يغفلهما في حرارة رغبته في إحكام الخديعة، والتستر على حقائق العملية الأولى:

أَحْكَمْ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ أَنْاسُ  
عَلَّوْهَا فَأَحْسَنُوا التَّعْلِيلَا  
فَتَمَتَّعَ بِالصَّبْحِ مَا دَمَتْ فِيهِ  
لَا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حَتَّى يَزُولَا  
وَإِذَا مَـــــــا أَظْلُ رَأْسَكَ هُمُ  
قَصَّرَ الْبَحْثَ فِيهِ كِي لَا يَطُولَا  
أَدْرَكْتُ كُنْهَهَا طَيُورُ الرُّوَابِي  
فَمَنْ الْعَارُ أَنْ تَظْلُ جَهُولَا  
تَتَغَنَّى وَقَدْ مَلَكَ الْجَوُ  
عَلَيْهَا، وَالصَّائِدُونَ السُّبَيْلَا  
فَاطْلُبِ اللّهُو مَثْلَمَا تَطْلُبِ الْأَطْيَارُ،  
عِنْدَ الْهَاجِرِ، ظِلًّا ظَلِيلَا

---

(١) الديوان الثاني النص ٢ ص ٢٥٥

ولكنه، في هذا كله، لم يستطع آخر الأمر أن يبرح إحساسه بالعجز عن الوصول إلى  
الطمئينة المبتغاة، وإسكات الصوت العميق المنبعث من الأعماق:

لا خلوداً تحت السماء لحي  
فلماذا تُراود المستحيلاً؟

فالواضح أن أبا ماضي يطلب أن يغمض الإنسان عينيه عن مأساة الموت ويتجاهلها.  
الدواء عنده أن يتناسى الإنسان سيف القدر المسلط! فكيف يتهيب للإنسان هذا النسيان؟  
كيف يتهيب له أن يكفّ عقله عن السؤال وقلبه عن الإحساس بالمأساة المنتظرة؟ أو ليس  
السعي إلى معرفة الجواب هو منشأ الفلسفات والأديان؟.

إنّ ما يطلبه أبو ماضي من إشاعة التفاؤل في الناس، والنظر إلى الوجود من وجهه  
الباسم، لا يكون إلا مع الإيمان بجدوى الحياة، ومعايشة الموت بصفته وجه الحياة الآخر  
الذي تتم به دورتها.... فحينذاك قد تكتسب أبياته معناها المقنع، وينتفي التفاؤل الكاذب  
الذي تستريح إليه البهائم والأشياء وحدها، ويصبح لليل وللرياح السّموم التي تسفي  
التراب معناها في جدلية الوجود والعدم، ويقع بيته الأخير في القصيدة موقعه الصحيح،  
إذ يجعل الجمال ينبع من داخل النفس المطمئنة:

أي هذا الشاكي وما بك داء  
كن جميلاً ترّ الوجود جميلاً

على أنه استقلّ، وحده، بإعلانه العجز الصريح عن الوصول إلى الطمئينة المطلقة،  
فجعله الإقرار يبدو أقرب إلى الحقائق الإنسانية، وأدّخل إلى حدود قدراتها. وجعل شعره  
قريباً من فهم القارئ العربي، إلى اليوم، وزاده قريباً من وضوح مقاصد شعره.

وما قلناه، حتى الآن، يثبت أن انصراف أبي ماضي إلى جلاء هذه المعاني في  
شعره، ونحوه فيها المنحى التأملي الفلسفي، ومحوره: الخروج إلى الطبيعة الحية، وخلط  
النفس بها لتفكيك الكبة عنها، والتماس العزاء في الاستكانة إلى اليأس من قدرة العقل

---

(١) انظر كتابنا (في ديوان العرب - أحاديث في الشعر والشعراء، من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث) الجزء  
الثالث ص ٢٢٦



على فهم كنه الوجود، وفي التمثل بكائنات الطبيعة الأخرى<sup>(١)</sup>، قائم أساسه في النفس، أعانت، على تفتيحه وتقويته، عوامل متعددة استقوى أثرها، من بعد، في وقائع حياته العميقة الأثر من ناحية، وتآثره، في اتباع منهجه فيه، ببعض زملائه الذاهبين إلى ما وراء الحس، من أعضاء الرابطة، وفي رأسهم جبران ونعيمة من ناحية، وحياته في المجتمع الأميركي الجديد المنصرف، في ثقافته العامة يومذاك، إلى هذه الآفاق التي ورثوها عن كتّابهم وأدبائهم المعروفين بانتحائهم هذا المنحى في أدبهم (ويتمان، وإمرسون، وثورو)<sup>(٢)</sup>.

كانت هذه صورة ما حاط بالديوان الثاني، وما استقبل به في العالم العربي، فقد أقبل تلامذة المدارس على حفظ (فلسفة الحياة) في استظهاراتهم، وتناشدها الناس في محافلهم وندواتهم، لقد كانت على رأس محفوظاتنا، في الثلاثينيات من القرن الماضي. هذا ولم يمرض على أبي ماضي في مغتربه الجديد زمن طويل (١٩١١ - ١٩١٩) أضيفت إليه ثماني سنوات أخرى (١٩١٩ - ١٩٢٧)، قبل أن يصدر ديوانه الثالث، وفيه قصيدته التي أوشكت أن تتحول إلى ملحمة نفسية اختار لها عنواناً ذا رنين يرنُّ في أسماعهم (الطلاسم)، وختم مقاطعها بقرار واحد (الست أدري)، وشبَّع نفسه فيها على حيطان الوجود، حائراً، ملثاعاً، مغمض العينين، يكاد يجهل من لغز الوجود والخلق والتكوين كل شيء، فهزت سوق الشعر يومذاك، حتى سماها أحد الباحثين إحدى معلقات العصر<sup>(٣)</sup>، وراجت معها سوق الديوان، فقبلت بعض دور النشر على معاودة طبعه، دون إذن من الشاعر.

والغريب أن الناس قبلوها من زاوية الصدق في خطابها وخطاب النفس معها، والتوفيق بين الفلسفة والشعر، وهزتهم نعمة الإقرار بجهل حقائقها في مقاطعها التي زادت على السبعين. وتماسك الشاعر أمامها، واحتفاظه معها بالنزوع إلى التفاؤل، وإن صرفه ذلك عن الانفعال، فبقي حديثه فاتر العاطفة، معوضاً، قدرأ من التعويض، بالوصف وبغناء الطبيعة، وبالتقرير في بعض الأحيان.

(١) المصدر السابق الجزء نفسه ص ٢٢٦

(٢) انظر بعض التفصيل في دراسة صغيرة لصالح عبد الصبور منشورة آخر طبعة دار العودة، من ديوان أبي ماضي (تذكار الماضي) دار العودة بيروت ١٩٧٤

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٩

اتسع إذن، في (الجداول) أفق الشاعر، في التفاته إلى الإنسان، في شعره، وتناول قضايا وجوده الكبرى. ونحسب أن ما لقيتُ بعض نصوص ديوانه الثاني من الرعاية، مثل فلسفة الحياة التي وقفنا عندها، وهي في الرأس، وقصيدة الخلود<sup>١</sup> و ١٩١٤<sup>٢</sup>، حفزه إلى تعميق هذا الخط، وجعل صوت العقل والفكر والتأمل أعلى الأصوات في تناول هذه القضايا الكبرى في شعره، وهو الفتح المبين الذي كتبه لنفسه، وكتبه له دارسوه، وأعلوا من ذكره فيه، وزها به الشاعر، من بعد، زهواً شديداً<sup>٣</sup>.

ففي مطوّلته الطلاسم التي نحن في ذكرها، حيرة فلسفية، يحكيها أبو ماضي ببساطة وحميمية، بلغة سهلة بعيدة تماماً عن الرغبة في اختيار المفردة ذات الوقع الخاص، وهي اللغة التي تميز بها شعره، أحياناً كثيرة، ووصمها بعض دارسيه بالعقم و النثرية، وبميل الشاعر فيها، إلى العامية الساقطة<sup>٤</sup>.

والذي نراه: أنه يجنح في لغته، على العموم، إلى التعامل مع المفردة السائرة، حتى ليببو، في هذا الموطن بعينه (الطلاسم)، رجلاً من عامة الناس، يشكو لمن يسمعه، ما هو فيه من الجهل بحقائق قائمة بين السمع والبصر، ولكنه لم يمرّن على تعلّمها ومراجعة العقل فيها:

جئتُ لا أعلمُ من أين، ولكني أتيتُ  
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ  
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيتُ  
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟

لست أدري

---

(١) النص ١٩ ص ٢١٦

(٢) النص ٢٠ ص ٢٦٣

(٣) انظر في كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٠٥ وما بعدها، رسالة بخطه، أرسلها، أو كان يزعم إرسالها إلى طه حسين الذي نقد (الجداول)، في (حديث الأربعاء)، من الجانب اللعوي، نقداً حاداً، وجاء فيها قوله «هل رأيت، في كل ما رأيت، من البدواوين الحديثة التي صدرت باللغة العربية، قيل (الجداول)، ديواناً (كالجداول)، يحوي فكراً وشعراً وفلسفة، في قصائد لم يسبق أن نزل مثلاً في ديوان الشعر العربي كله»

(٤) إيليا الحايي (إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل)، ص ٨٠ وما بعدها

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود  
هل أنا حرٌّ طليق أم أسيرٌ في قيود  
هل أنا قائدٌ نفسي في حياتي أم مَقود  
أتمنّى أنني أدري، ولكنْ

لست أدري

على هذا النحو المفطور يأخذ الشاعر يتساءل، كَنه يشير بيديه، عن حل معضلات الوجود الكبرى، لا يريد ممن يسمعه شيئاً على الإطلاق، بل هو لم يسعَ إلى من يسمعه، ولكنْ يريد أن يحكي حكاية هذه الطلاسَم التي يعذبه الوصول إلى فهمها، بلغته البسيطة التي تجري كما يجري الماء بطبيعته في الأرض. هكذا وقف يخاطب البحر ويسأله عن سر بقاءه، على حين يمضي الشاعر إلى الفناء:

فيك مثلي أيها الجبار أصدافٌ ورملُ  
إنما أنت بلا ظلٍ، ولي في الأرض ظلُ  
إنما أنت بلا عقلٍ ولي يا بحر عقل  
فلماذا يا ترى أمضي وتبقى؟

لست أدري

ويمضي: فيقف على الدير، فيرى عقول رجاله اسنة، ويرى قلوب نسائه تموت في ظلمة الدير، فيسألهم عن سر ما هم فيه، ثم يزور المقابر يسأل أهلها: هل وجدوا الراحة في حفائهم؟ وهل، بعد هذه الحياة، حياة أخرى؟ وهل يصدّق ما يسمعه عن دعوى البعث والخلود، أم هو الفناء لا شيء بعده؟

أ وراء القبر بعد الموت بعثٌ ونشورُ  
فحياةٌ فخلودٌ أم فناءٌ ودمورُ  
أ كلام الناس صدق أم كلام الناس زُورُ  
أ صحيحٌ أن بعضَ الناس يدري

لست أدري!

ويمضي، بعدها، في جولته التي تعمّ مملكة الإنسان حيث يكون، فيقف على الكوخ والقصر، فيرى صاحبيهما يتماثلان، على اختلاف نصيبيهما من الدنيا، في الشك واليقين، وفي رسوفهما في قيود الزمان والمكان. ويسائل نفسه عن حركة الفكر: أين يذهب بعدها؟ وكيف يبحث عنه وهو معه داخل نفسه؟ وي طرح، في نهاية القصيدة، سلسلة طويلة من الأسئلة عما يتبدل في نفسه، ويتصارع من حوله، ينتهي بعدها إلى اليأس والحيرة من جديد، فيتراءى له أن الجهل بما يسأل عن حله، واليأس من الوصول إليه، ربما تستريح النفس إلى عجزها فيه، فتجد نعيم الراحة عنده:

كلما أيقنتُ أنني قد أُمطتُ السَّتْرَ عني  
وبلغتُ السرَّ، سرِّي، ضحكْتُ نفسيَ مني  
قد وجدتُ اليأسَ والحيرةَ لكن لم أجدني  
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ؟

لست أدري

ويختم مقاطع القصيدة بقوله:

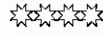
إنني جئتُ وأمضي، وأنا لا أعلمُ  
أنا لغزٌ، وذهابي كمجيئي طُلُسمُ  
والذي أوجد هذا اللُّغزَ لَغْزُ مبهم  
لا تجادلْ! ذو الحِجَا مَنْ قال: إنني

لست أدري



كان يمكن الإخفاق في التماس الرد على هذه الأسئلة، أن يلجئ أبا ماضي إلى الانكفاء والانسحاب إلى عالمه الداخلي. ولكن الحياة العملية اجتذبتة إليها، فلم ينقطع ما بينه وبينها، ولم يستسلم معها للعوالم الصوفية التي استسلم لها زميلاها جبران ونعيمة، وإن لامسها أحيانا. فبقي القلق والشك (بحكم تكوينه، وبحكم الضغوط التي أشرنا إليها، من قبل، في وقائع حياته، وبحكم التأثير بجواء الثقافة الشائعة، قريبا من (الرابطة) وبعيدا

عنها، تعترض حياته، ويغالبا أبو ماضي مغالبة ظاهرها الرغبة في الانتصار عليها،  
وحقيقتها رسوفه في قيودها، على نحو ما قلناه في قصيدته فلسفة الحياة .



وإلى جانب هذه القصيدة الطويلة تناقل الناس، في وطنه، قصائد أخرى سلك فيها  
المسلك نفسه، في الجمع بين الفكر الفلسفي والشعر عن طريق الأمثال التي تقرّب من  
الناس، مثل قصيدة العنقاء و الحجر الصغير و الطين و الغدير الطموح و الضفادع  
والنجوم و التينة الحمقاء و العير المتنكر وغيرها<sup>١</sup> .

وتناقلوا في (الخماثل) قصائد أخرى، تقف على رأسها قصيدة طويلة اقتدى أبو  
ماضي، في اختتام الديوان بها (بالجداول) في الطلاسم هي قصيدة الأسطورة الأزلية  
صاغها على أبيات متسلسلة في مقاطع، يشمل المقطع منها من يمثل دوراً من أدوار  
العمر، أو صفة من الصفات التي تمثل هويته (الفتى، والشيخ، والحسناء، والجارية،  
والفقر، والغنى، والأبله، والأريب)، وصاغ على ألسنتهم أبياتاً يعلنون فيها سخطهم على  
ما هم فيه من حدّ السن، أو الصفة، أو الغنى. ويختتم الأسطورة بقوله:

لما وعى الله شكايها الورى  
قال لهم: كونوا كما تشتهون!  
فاستبشر الشيخ، وسرّ الفتى  
والكاعب الحسناء، والحيزبون  
لكنهم لمّا اضمحل الدجى  
لم يجدوا غير الذي كانوا!

---

(١) نقصد بالأمثال هنا المعنى الذي يقرّبها من الحرافات ذات المعنى التريوي أو التعليمي (Les Fables) على مثال  
خرافات لا فونتين (la Fontaine) مثل : خرافة الطيرين و : الحمار والكلب و : الحصان والحمار (ونعتقد أن  
أبا ماضي اطلع عليها قبل أن يكتب قصيدته : العير المتنكر ) و : الأرنب والسلحفاة الخ وخرافات الحكيم  
اليوناني القديم (إيزوب Aisopos) ولكنها، في شعر أبي ماضي، تعدّت عالم الحيوان (على نحو ما فعل شوقي  
وإيزوب) إلى عالم النبات «التينة الحمقاء» و «الجماد الحجر الصغير» و «الطين»، وعالم الطبيعة : الغدير الطموح،  
وعالم الإنسان («في الأسطورة الأزلية») ونرى أن دراستها، في شعره، تستوجب الدراسة  
(انظر الحاشية ١ ص ٤٨) وفي تراثنا، في الموضوع نفسه، رسالة : الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري،  
ونظم : كلية ودمنة لابن المقفع، شعراً، لوزير السلاجقة (ابن الهيثمية) ت ٥٠٩ هـ)

إذ تتساوى الأمور في آخر المطاف، في الصفة والحدّ والمرتبة، أمام حقائق الحياة:

هم حدّوا القُبْحَ فكان الجمالُ  
وعرّفوا الخيرَ فكان الطلاحُ  
وليس من نقص ولا من كمالُ  
فالشوكُ، في التحقيق، مثلُ الأقاح  
وذرةُ الرَّمْلِ ككلِّ الجبالِ  
وكالذي عزّ الذي هانا:

وإذن فالحياة وحدة تتساوى فيها المتناقضات، وتتكامل الأضداد، وتتوحد الثنائيات من قبح وجمال، وخير وشر، ونقص وكمال. وما تناقضها، في أعيننا، إلا من صنع الوهم.

ولكنّ هذه الثنائيات والمتناقضات التي يجمعها حيناً ويفرقها، حيناً، ويوحدها حيناً، ويقرّبها حيناً، ويبعدها حيناً، لم تصل به إلى الحقيقة التي تفسرها وتستريح نفسه إليها، ولم تذهب بحيرته أمام لغز الوجود وقضاياه الكبرى، وما زالت حياته نهباً للوساوس والأسئلة الحارة التي تذهب به في كل اتجاه، حتى يجد ألا مفرّاً أمامها إلا بالاستسلام إلى الرؤى التي تولدها والفكرة التي تبدعها:

سرُّ السعادة في الرؤى، إنّ الرؤى  
لا كفّ تثبتها ولا تمحوها<sup>١</sup>

---

(١) الجداول : الكمنجة المحطّمة - النص ١٦ وانظر قصيدته : الغبطة فكرة (الحمائل النص ٤٤) والتي أنهارها بقوله

أبها الشاكي اللبالي إنما الغبطة فكرة  
ربما استوطنت الكوخ وما في الكوخ كسرة  
وخلت منها القصور الشامخات المشمخرة  
لمس الغصن المعرى، فإذا في الغصن نضرة  
وإذا رقت على القفر أسوى ماءً وخضرة  
وإذا مست حصاة صقلها فهي درة  
لك، ما دامت لك، الأرض وما فوق المجرة  
وإذا ضيّعها فالكون لا يعدل ذرة :

ثم تعود نفسه إلى الشك في رؤاها التي ظن أنها أراحته من عذاب الحيرة، فيراها، بدورها، وهماً من الأوهام، وينتهي إلى أن للأقدار غايات تحققها فيما ينفعنا وما يضر بنا، ولكن النفس تظل في ظمئها الحار وتطلعها الدائم إلى شدة اليقين.

وفي تصوير هذا الصراع القائم في النفس الذي يجلوه شعره وفي تناوله وتَمَلُّه والتفكير في مثيه ومعانيه وفي مداخلة ومخارجه حيناً بعد حين، كتب أبو ماضي أجمل شعره، وأحفظه بالإثارة، وأقدره على مزج الفلسفة بالشعر، والفكر بالوجدان، وكسب به شهرته الواسعة، حتى جعله بعض شعراء المرحلة (فدوى طوقان ونازك الملائكة) من أقدر شعرائها، وجعله اخرون (فدوى طوقان) أقدر الشعراء في قديم الشعر العربي وحديثه، بصرف النظر عما قالوه في دور العاطفة فيه ومكانها منه، بجانب قوة الفكر ودور العقل ومكانه منه.

وقد كان عالم الصوفية الذي يعتمد العرفان (المعرفة عن طريق الحدس الداخلي) قريباً منه، عالم جبران ونعيمة ورشيد أيوب، ولكنه كان، بحكم التكوين، وحكم الانغماس في الحياة العملية، كما ذكرنا، أقرب إلى العالم الآخر، عالم الفكر الحي والاتصال المباشر بالواقع القائم من حوله، وهذا الذي جعله يطمح إلى المعرفة، عن طريق المحاكمة العقلية والتَمَلُّ الواعي في الأشياء.

ولو استعرضنا حياته، منذ بدأ يعي الأشياء في عهد الصبا الأول في الإسكندرية، وانحيازه إلى جانب المعارضة ومداغة الاحتلال والاستبداد بحقوق الشعب (على الجبهة العثمانية والجبهة الغربية)، بدت لنا رغبته في المجاهرة برأيه والقتال دفاعاً عنه، في وضوح النهار، وفي ضوء الحقائق المعلنة.

وفي ضوء هذا الذي نقوله اكتسبت قصيدته وحدتها، إذ لا يمكن أن تتم المكاشفة إلا عن طريقها، ووردت فيها الأمثال المنتزعة من الواقع القائم من حول قارئها، فقربته منها مثل التينة الحمقاء و الحجر الصغير و الضفادع والنجوم و العير المتنكر . واتجه فيها إلى السرد، فكسب شعره به سمة القصص الموحى، إلى جانب خروجه الدائم إلى

الطبيعية: زهرها وشجرها وسمائها ونجومها وقمرها، وخلط النفس بها، بغية تفكيك الكبة عنها، والتخفف من عبء القلق والحيرة، وإعمال العقل في فهم كنه الوجود.

وقد نجى، ذلك كله، شعره التأملي، من أن يقع في حبال الجفاف الذهني الذي يصيب الشعر المتجه إلى الفلسفة والتفكير، والطموح إلى كشف الأستار عن وجوه الأشياء والكائنات، فوصل بالقارئ إلى تذوق جمال الموقف الشعري الذي وقفه منها، وتقبل حيرته في فهم أسرارها، وربما استجاب له في دعوته إلى الفرح بها والاستجابة لمفاتها.

ونقف هنا عند قصيدته التينة الحمقاء، ومقطوعته العير المتنكر اللتين سلك فيهما مسلك المثل المضروب: ففي التينة الحمقاء يقول: إن الإنسان ينمو بالعطاء (مماشاة سنة الطبيعة) لا بالنع (مخالفة سنتها)، فهذا معنى العطاء وجدواه.

وفي العير المتنكر يدعو إلى أن يلتزم الإنسان حقيقته التي خلق لها، فلا يتعداها. ويعزز في قصيدة المساء دعوته إلى التفاؤل، على غير المسلك الذي سلكه في قصيدته فلسفة الحياة<sup>(١)</sup> التي عرضنا لها من قبل.

ففي التينة الحمقاء<sup>٢</sup> تقول التينة، في آخر الصيف، لأترباها:

بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني  
عندي الجمال، وغيري عنده النظر  
كم ذا أكلف نفسي فوق طاقتها  
وليس لي بل لغيري الفيء والثمر

فتهزها هذه الحقيقة، وتقرر أن تكون لنفسها وحدها:

إني مفصلاً ظلي على جسدي  
فلا يكون به طول ولا قصر

(١) الديوان الثاني النص ٢ ص ٢٥٥

(٢) الجداول النص ١٢ ص ٥٨٥



ولست مثمرة إلا على ثقة  
أن ليس يطرفني طير ولا بشراً

فلما جاء الربيع واكتست الأشجار بخضرة أغصانها، في هذه الصورة الحية التي يرسمها الشاعر:

عاد الربيع إلى الدنيا بموكبه  
فأزينت واكتست بالسُّندس الشجرُ  
وظلت التينة الحمقاء عاريةً  
كأنها وتدُّ في الأرض أو حجرُ

كانت نهايتها على هذه الصورة البائسة:  
ولم يطق صاحبُ البستان رؤيتها  
فاجتثها، فهوت في النار تستعر  
من ليس يسخو بما تسخو الحياة به  
فإنه أحرق بالحرص ينتحر

فهي لو أعطت لم تختنق بما قصرته عن نفسها وكسبت بما أعطته لا بما حفظته.

وفي العير المتنكر<sup>١</sup>، بصفته مثلاً من الأمثال، يقرب فيها ممن يقرؤه بعض الحقائق الإنسانية، لتكون، كما أشرنا من قبل، أفعال في نفسه، إذ تشخص بها الفكرة، وينهض بها موقفٌ يَصورُ أو حدثٌ يُسرد. وتستحق، كما أشرنا منذ قليل<sup>٢</sup>، درساً خاصاً إذ أدخل، عن طريقها، أيضاً، عنصر الحركة والتحليل وتصوير الشخصيات:  
زعم المؤدّب أن عَيراً ساءاً  
ألاً يُسار به إلى الميدان<sup>٣</sup>

(١) الجداول النص ٦ ص ٥٧١ استُلت هذه الأبيات الستة من قصيدة طويلة بعنوان: يا نوح أين دلائل الطوفان ٩ (ما لم تجمعها الدواوين النص ١٣ ص ١٠٣٦)

(٢) الحاشية رقم ١ ص ٤٨

(٣) كما يسار بالحصان

فمَضَى فقصَّرتِ القواطعُ ذيلَهُ  
وسَطَّتْ مواضيها على الآذانِ  
حتى إذا جاء المروءُ واعْتلى  
مثنويه راب الفارسَ الكشْحانُ<sup>(١)</sup>  
لكنه ما زال غيرَ مُصدِّقٍ  
حتى علا صوتُ كصوتِ الجانِ  
فاستلَّ صارمَهُ فطاحَ برأسه  
ورمى بجثثته إلى الغربانِ  
مادام يصحبُ كلَّ حيِّ صوتهُ  
فالعَيرُ لا يُخفيه جلدُ حصانِ

وفي قصيدة المساء،<sup>(٢)</sup> يخاطب الإنسان عبر فتاة سماها سلمى<sup>(٣)</sup> وبدأها على نحوِ  
أخاذٍ يجمع مظاهر الرهبة في الطبيعة:

السُّحْبُ تركزُ في السماءِ الرحبِ ركضَ الخائفينَ  
والشمسُ تبدو خلفها صفراءَ عاصبةَ الجبينِ  
والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدينِ  
لكنما عيناكِ باهتانِ في الأفقِ البعيدِ  
سلمى بماذا تُفكرين؟  
سلمى بماذا تحلمين؟

جعل فيها المساء رمزاً للغروب والفناء، وصور، على هذا النحو الذي وصفه فيه،  
خوف الإنسان من فكرة العدم الزاحف قدره على الروح؛ اختفاء النور، وانتشار الصمت،  
وانطفاء مظاهر الحياة في الكون، بما يعكس ما يحسُّ الشاعر نفسه من رهبتها، ثم خرج  
منها على ما نعرف من تهوين الموقف مما يخافه الإنسان وما ينسى له، إلى دعوته إلى

(١) الكشح ما بين الحاصرة إلى الضلع الحلقى

(٢) الجداول النصر ١٥ ص ٥٩٢

(٣) اسم أمه التي كان أبو ماضي، كما تقول أخباره، يحبها حباً جماً

تجاهل هذا الوجه الكئيب من وجوه الحياة، والتعلق بالوجه المستبشر الآخر، قبل أن يطويه ضباب العدم. ذلك أن الليل الذي يطمس ملامح الكائنات على الأرض، يوقظ، في الوقت نفسه، الأحلام المرغوبة، وتنتشر في سمائه الكواكب النيرة، فلنتملأ إذن من الليل هذا الوجه، ولنحاول أن ننسى وجهه المعتم الآخر! ثم إن مظاهر أخرى من مفاتن الطبيعة ما تزال حية في الليل:

إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها  
لم يسلب الزهر الأريج ولا المياه خريرها  
كلا ولا منع النسائم في الفضاء مسيرها  
ما زال في الورق الحفيف وفي الصبا أنفاسها  
للعندليب صداحه  
لا ظفره وجناحه

ولكن الشاعر لم يستطع أن ينسى، مع هذه الدعوى التي تتردد في شعره، كنه ما يفتن يسكن بها روعه هو وهواجسه، أن الفناء بالمرصاد، وأن الموت بالباب، ومن ثم لا يجد في يديه غير دعوته التقليدية التي سُمي بها: شاعر التفاؤل: أن ندير ظهورنا له، ونقصر همنا على التمتع باليوم الذي نحن فيه، فينعطف يتابع خطابه لسلمي:

فاصغي إلى صوت الجداول جاريات في السفوح  
واستنشيقي الأزهار في الجنات<sup>١</sup> مادامت تفوح  
وتمتعي بالشهب في الأفلak ما دامت تلوح  
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان  
لا تبصرين به الغدير  
ولا يلد لك الخير

ثم يختم النصر بما اعتاد أن يختم دعوته إلى الفرح بالحياة: بالدعوة الصريحة إلى أن نعيش الحياة، بدل أن نرجع البصر في بعض حقائقها، وأن نكف من غرب<sup>٢</sup> العقل، وننشد الاستراحة إلى اليأس من كشف المجهول:

---

(١) البساتين

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي: كيف مات؟  
إن التأمّل في الحياة يزيد الـامّ الحياءَ  
فدعي الحكاية والأسى واسترجعي مرحَ الفتاة  
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللاً  
فيه البشاشة والبهاء  
ليكن كذلك في المساء

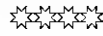
حاول أبو ماضي أن يكسب لنفسه لقب شاعر التفاؤل في فلسفته للحياة، ودعوته الإنسان العربي إلى مواجهة ما يعتاده من الكبة بالابتسام، وقصره البحث في معنى الحياة وقضاياها وثنائياتها الكبيرة: للموت والحياة، والخير والشر، والجمال والقبح، والحرب والسلام، والإنسان والآخر. وسلك في هذه السبيل مسلكاً يقوم على اعتماد بعض قوى النفس، من مثل عمل الإرادة والقدرة على صنع النسيان، برغم حقائق تكوينه التي تقفه موقف التساؤل الدائم من معرفة الحقيقة في خلق الكون والكائنات، واستخلاص عبرها عبر صورها المختلفة، وهو ما سماه، في الجملة فلسفة الحياة .

وقد يذهب من يقرأ شعره في هذه الدعوة والسير على بساطها الممدود، إلى أن أبا ماضي يحاول أن يخرج من أزمنة النفسية التي حاكتها الأحداث المتساوية التي وقعت في حياته. فدعوته نوع من المناجاة عن طريق تحويلها إلى حوار بينه وبين الآخرين . ينتهي دائماً إلى التعلل باليأس والوقوف على حده.

وقد استطاع أبو ماضي أن يستميل كثيراً من الناس بدعوته هذه برغم ما تستبطنه من الرغبة في تحويل خط العجز الذاتي، إلى وهم الرضا بالواقع والاستكانة له، إذ وجدوا فيها صوتاً أفادوا من صدهاء في أنفسهم، ورأوا فيه الخلاص السهل مما يعجزهم تغييره، فتغنوا به وردّوه وحفظوه، وحفظوا للشاعر به ذكراً جميلاً.

وربح الشعر بما حقق من التوفيق بين الفكر والشعر، عن طريق الرموز المستوحاة من الطبيعة، وسلوك الكائنات الأخرى فيها، بما جعله يمتلك أيضاً قدرة التمثيل والتخييل والإثارة الجمالية، وهو أقصى ما يعمل له الشعر في كل أحواله.

ثم إن الشاعر، وإن لم يستطع النفوذ في شعره إلى استيعاب ما تعنيه دورة الحياة الأبدية التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت، حتى يتعذر تصور الحياة دون الموت الذي هو البداية دورتها الجديدة ليقوم تفاؤله على هذا الأساس المكين الذي قد يستريح إليه العقل في آخر المطاف. قد استطاع في كل حال أن يحوّل الشعر العربي في عصره إلى الاحتفال بقضايا الإنسان الكبرى واستطاع من ناحية أخرى أن يصل بهذا الشعر إلى تحقيق وحدة القصيدة عن طريق رسم الدورات النفسية والانتهااء بها إلى نقطة المركز التي تتشعب عنها حين تتجلى في آخر النص الحقيقة الكبيرة التي تجمع خيوطه المتفرقة فيها.



وينبغي ألا ننسى، في النهاية، أن أبا ماضي رقد تكوينه الموهوب<sup>(١)</sup>، وقد طالعه في وقت مبكر من حياته حار بعض الدارسين في تصديقه<sup>(٢)</sup>، كما أشرنا، في الإسكندرية، على الدرس، لنفسه، في الليل، وفي بعض الكتابيب، كما تقول الروايات. وشعره يُنبئ بأنه لم ينقطع أبداً عن الاطلاع المكين المتصل بتراث العربية شعراً ولغةً، إلى حد الوصول بتقليب بعض مواد اللغة العربية في المعاجم، على معانيها الدقيقة، للإفادة منها في تركيب جملته الشعرية واستكمالها. أعانه في ذلك - لا شك - ذاكرة قوية قادرة، أحياناً كثيرة، على إشاعة الحياة في التعبير الذي يواتيه، بما تملك من دقائق المعاني وألوان الظلال التي ترخيها عليها، وإيقاظ الإحساس بغنى الرجوع النفسي الذي تثيره وبجمالياته العميقة.

وعلى من يقرأ شعره ألا ينسى، إلى جانب هذا، أن أبا ماضي لم يستكمل مراحل تعلمه الأولية في مدرسة القرية (المحيطة)، وأن ظروف الأسرة اضطرتّه إلى مغادرتها، والعمل في بلد بعيد، في بعض الدكاكين. فما وصل إليه، في تعلمه، هو نتاج الصبر العظيم، والرغبة القوية، والطموح العريض، والثقة العميقة بالنفس.

---

(١) لا يبعد أن يكون هذا الأمر متصلاً بحساسية موروثه تعدت أبا ماضي إلى بعض أفراد الأسرة الآخرين، فأخوه الأكبر (مراد) أصدر في مرحلة متأخرة (١٩٥٢)، ديوان شعر سمّاه (السنابل)، وكان له شعر في تأييد أخيه إيليا

(٢) يجسّد هذه الحيرة خلافتهم في تحديد سنة مولده على مدى خمس سنوات إذ لم يصدقوا أن يصل هذا الفتى إلى ما وصل إليه، في أكثر ما وصل إليه، في (تذكّار الماضي)<sup>٩</sup>

ولعلنا نجد تصديقاً لهذه الصفات في الشعر نفسه، ففيه قدرة نفسية هيّته، برغم ما حاق به، للاستمرار في الصعود إلى الدرجات العالية التي وجدناه يذكرها لنفسه<sup>١</sup>. ونجد إشارة بالغة إليها في الرسالة التي كتبها إلى الدكتور طه حسين<sup>٢</sup>، في أعقاب نقده الحاد لديوان (الجدول).

ويعود أكثر ما حصل أبو ماضي، في هذا الجانب الثقافي، إلى الطموح الحار الذي عُرف به، وصدقه انخراطه في الحياة السياسية المصرية، وهو في هذه السن الصغيرة، أملاً في الحصول على مكان يحفظه لنفسه في مغتربه الأول، ونشره قصائد من شعره في الصحف والمجلات (اللواء) و(العلم) و(الشعب) و(الزهور)، إضافة إلى ما كانت (مراة الغرب) و(الهدى) في الوقت نفسه، تنشرانه له في المهجر!

ومازلنا، إلى اليوم، نعدُّ أبا ماضي صفحة مفردة في تاريخنا الأدبي، نتجاوز فيها، على الأغلب، شعره الوطني والاجتماعي والسياسي إلى شعره الإنساني وحده، تقريباً، إذ فيه يقع تميّزه في الدعوة إلى جبر الروح المكسورة في الإنسان، والاستعلاء على الخوف والضعف، من خلال وقوفه أمام قضاياها الكبيرة القائمة، وثنائيات حياته المقلقة، عن طريق الفكر الشعري الحار الذي تحمله لغته السهلة القريبة من الحس، تأكيد إرثه، في الجانب الموروث من ثقافته الأدبية، مكّنه من يسر التعبير، ويسر التأليف بين الوحدات، ومن الرهافة العاطفية (إرث التكوين المفطور المتأثر بظروف حياته في المغتربات)، ومن الغنى الذي وفرته لها ثقافة معجمية جادة، مما يمكن أن يُعدَّ الجمع بين عناصره، توفيقاً بين صوت الأصالة وصوت العصر، في التجديد المعتدل الذي يقبله الناس، ويألفونه ويحبونه، ولا يحسون بالغربة معه.

وقد لا يصحّ أن يعني التحديث الواعي، في رأيه، تجاوز تراثنا الشعري والإفادة من طاقاته الإبداعية، الفكرية واللغوية، وكان المتنبي والمعري ركيزتيه فيه، بما ضمن له قدرة

---

لو شئتُ لاسنزلها كَلِّماً

(١) انظر قوله مثلاً: إن الكواكب في منازلها

الديوان الثاني النص ٦٤

(٢) انظر الحاشية ٢ من الصفحة ٤١ من هذه الدراسة

التأثير الدائمة في القارئ العربي الذي ألف مراجعة التراث الشعري (إذ إن كلاً منهما ينحو، بطريقته التي تتفق وتكوينه وظرفه، نحو العقل: يجمع المتنبي إليه عاطفته القوية، في حين يلجأ المعري إلى السخرية المبطنة والظاهرة، في التعليل لعجزه عن فهم أمور الخلق).

فالانصراف عن هذا التراث العظيم، والإزاء به، طمعاً في كسب صفة الحداثة لذاتها، فيما نكتبه، فهمٌ خاطئٌ لمعنى التحديث، يغربّه في عيون الأجيال، ويقطع حركته الواعية عن امتصاص روح التراث والتعبير عنها، في تناول قضايانا التي نعيش همومها، ونتطلّع إلى الفوز بفهمها وجلاء مكانها من حياتنا.

إن أول ما يتطلبه هذا الفهم العميق لحركة التحديث في الأدب عامةً: امتلاك اللغة امتلاكاً سليماً ينفذ بنا إلى أعماق المفردة العربية، ويضع في يدنا زمامها، ويقربنا من القيم التي تكوّن جوهرها، فتجعلنا أقدر على مخاطبتها وإعادة تشكيلها في نتاجنا الإبداعي الذي تظل الموهبة الموهوبة في التكوين هي الأساس فيه، وفي كل عملٍ إبداعي.

والمعنى الذي يكرره الحداثيون في كتاباتهم، فيما يطلقون عليه تفجير اللغة يلزم أن يشرب من هذا النبع، حتى لا تتطاير أشلاء الكلمات من حولهم، في غير نفع، وتتحول النصوص التي نكتبها إلى مقابر أشباح وهياكل عظمية، تغرينا بحفرها الرغبة في أن نطلع فيها طلعةً لافتة على حساب القيم الصحيحة الأخرى. وإن من يقرأ شعر أبي ماضي الباقي في ضمير الأجيال العربية، في ضوء هذا الفهم لحركة التجديد والتحديث، يدرك تماماً مبلغ ما وعى من حقائقها، وهو ما قرّبه من نتاج المهجريين الباقي أثره في النفس العربية إلى اليوم.

ولعل هذا هو الذي حبّب إليه الاحتفاظ بموسيقا الشعر الموروثة، في نظامه العمودي، ومن المحافظة على وقع القافية فيها، حتى لقد كرر القافية في صدر البيت وعجزه معاً، في بعض الأحيان. على أنه أفاد من التلاعب بموسيقاه الشعرية مقتدياً بالموشح الأندلسي. وجرّاه النجاح فيه على التلاعب بموسيقا الأبيات في القصيدة، على نحوٍ مميزٍ، ينفرد فيه بيت واحد، أحياناً، بمكانه في النص، أو يُترك شطر من شطريه طلقاً في أواخر المقاطع.

ومكّن هذا الناس، من ناحيةٍ أخرى، من حفظ شعره وتناقله، فعان على مدّ شهرته وتثنيّه. ومكّن طلبة المدارس من إنشاده. وقد رجعت إلى نفسي، فوجدتني أحفظ من شعره الذي حكى فيه بعض الحكايات، أو ضرب فيه بعض الأمثال، أكثر مما أحفظه للآخرين، منذ أيام التلمذة.

وما نستطيع، مع هذا، أن نُغفل حبه للموسيقا وتعلقه بسماعها في جلساتها وحفلاتها، وسعيه إليها في البيوت التي شُهرت برعايتها، ولهذا انتُخب، في أوساط المهاجرين العرب في أميركا، رئيساً لنادي الموسيقى العربية (١٩٣٣). ولم ينس، وهو في دمشق سنة ١٩٤٩، أن يسهر في بيت النائب يومذاك، فخري البارودي، المعروف برعايته للموسيقا والموسيقيين<sup>١</sup>. وله، في سهرته تلك، أبياتٌ أصرّ فيها على أن تظل السهرة عامرة إلى الصباح:

لتنعس الأنجم في أفلاكها  
سنسهر الليل ولا ننعس<sup>٢</sup>

فمما يمكن قبوله إن أن يجد في إيقاع القوافي المتتابعة، في القصيدة الواحدة، ما يدعوه إلى الحرص عليها. ثم إن ما انتهت إليه حركة التحديث الشعرية اليوم، في شعر التفعيلة، من إغفال القوافي المتتابعة، لم يكن منتشرًا آنذاك، ولعله لم يكن، على نحو ما، مقبولاً. وقد كان يسعه إغفالها، تثرأ بالشعر الغربي الذي لا بد أن يكون قرأ أو سمع أطرافاً منه، ولكنه لم يفعل، مكتفياً بالتلاعب بها، على نحو قريب مما فعل الوشّاحون في الأندلس. لقد غلب عليه، في أنوار حياته كلّها، تثره العميق بالشعر العربي، قديمه وحديثه على السواء، لدى الكبار منهم في الجانبين، وأرضته، في صوغ تعبيره عن فكره، جمالياته في البناء والتركيب والإيقاع المنتظم. وامتدّ هذا الشعور إلى حدّ المساس، في شعر المرحلة الأولى، بمن سماهم الشبان المتفرنجين من قومه، وهو يعيش إلى جانبهم، معهم، في دارٍ واحدة<sup>٣</sup>.



(١) يلزم أن نشير إلى تلحين بعض قصائده وإنشاده في أوساط المهاجرين العرب، من اللبنانيين وغيرهم، مثل قصيدته التي ذكرناها من قبل: نشيد يوسف بك كرم، وقصيدته: بين الضحك واللعب»، وقد أُلحنت سنة ١٩٢١،

وصدرت، مع لحنها، في ثمانين صفحات

(٢) (ما لم تجمعه الدواوين) النصر ٦١

(٣) تذكّار الماضي النصر ٦



ليس معنى هذا الذي قلناه ونقله، أننا لم نقف في لغته عند مفردات ممسوحة تبدو كأنها منقولة مباشرة عن المعجم، لم ينفخ فيها أبو ماضي من روحه، وهو ما التفت إليه بعض دارسيه، ورموه بالجمع بين الشعرية والنثرية في بعض صياغاته ومفرداته<sup>١</sup>. والسبب يعود، في رأينا، إلى أن حصيلة أبي ماضي من الثقافة اللغوية عامة، وثقافة المفردات خاصة، حصلها بالمطالعة والجمع لا بالمعيشة الحية. فقد يقع القارئ، في لغته، على مفردات مقهورة، أدخلها في مواضع لا تريدها، فطغت فيها صفة النظم وخفت صفة الشعر، أو انعدمت أحياناً.

ولكن الذي طغى على هذا كله، يقظة الفكر في شعره، ونجاحه، أحياناً كثيرة، في التوفيق بين الفكر والشعور، أعني بين العقل والقلب، فبقي الفكر حينها، وتحصيل المعرفة عن طريقه، هو سيّد المواقف وتعليلها في شعره، وخفت مكانة العاطفة والسؤال عنها، إذ خطف الفكر وتوهجه، مكان الالتفات إليها، كما خطف مكان المفردة الحية.



وقد كتب أبو ماضي الشعر في أغراض مختلفة، في الاجتماع والسياسة والتاريخ. تغنى بالوطن، وصوّر بعض الوقائع في حياته وحياة أصحابه، وردّ على منتقديه و حسّاده، ولم ينقطع، في الوقت نفسه، عن عمله الصحفي. منذ هبط نيويورك ١٩١٦، وبعد أن تفرد بإنشاء جريدته (السمير)<sup>٢</sup>، عن كتابة افتتاحياتها، كل ليلة، وتحرير بعض مقالاتها وربودها.

وهو، في هذا كله، لم يبلغ ما بلغه في تناول قضايا الإنسان الكبرى، من حيث الارتفاع إلى مستوى الشعر الذي يقرب الإنسان من نفسه، ويحرك، عن طريق الإيحاء،

---

(١) إيليا حاوي (إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل) ص ١٠ وما حولها، وانظر الأمثلة التطبيقية التي وردت فيها  
(٢) في آخر الدراسة، كما أشرنا في الحاشية ١ ص ١٦ من هذه الدراسة، نماذج مصوّرة من الجريدة، تضم بعض افتتاحياته، ومقالاته وربوده ومن المؤسف أن دور الكتب العامة عندنا لا تحتفظ بنسخة كاملة منها وقد اضطرت أن أرجع إليها يوماً، فوجدت أعداداً منها في مكتبة مجلس النواب اللبناني ببيروت انظر كتابنا (النثر المهجري الجزء الأول) المقدمة

جذوة الروح فيه، ويبعث قلق الرغبة في المعرفة، والإجابة عن أهم أسئلة الوجود الغامضة، ويعدّ صوته، في هذا الاتجاه، أحد أهم الأصوات وأعلامها في أدب المهجر الشمالي (الأمريكي) الذي عني بمدها حتى أصبحت سمّة من أبين سماته، منذ انطلاقته الأولى، وأكثرها وضوحاً في نتاجه. وقد يمكن أن تُعدّ تعبيراً عما أحس المهاجرون من أوجاع الغربة والضياع عن الذات المهاجرة القلقة المتشوّفة، في مخاضها العنيف الذي تعرضت له عبر الصراع، بين قيم الحضارة الجديدة وقيم المهاجرين القديمة، حتى شبّه بعضهم نيويورك ببابل القديمة التي تبلّلت فيها أصوات الشعوب<sup>(١)</sup>.

يمكن أن نقول في الإجمال: إن أبا ماضي وسّع من مساحة الفكر في شعره، وكساه ثوباً لغوياً شفوياً، في أسلوب طرحه، عن جماليات الطبيعة التي لم يبعد عنها حياته كلها، وقربه من وجدان القارئ في وقت واحد، وهيه للتفكير في قضاياها واتخاذ موقفه منها. فبقي شعره، لهذا الذي نقوله، محتفظاً، في ساحة الشعر العربي، بقدرته على التأثير ومحتفظاً بخصائصه معاً.



أمّا الأغراض العامة التي تناولها في شعره، فكثيرة، يطغى عليها، إلا في المختار منها، التقليد، يغيب فيها صوت الشاعر الخاص، ويعلو صوت الجماعة، لإحساسه بئنه يتحدث إليهم، أو نيابة عنهم. ولكنه يلطف في المختار منها، لدنوّها من نفسه.

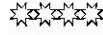
قصيدته بنت الدوالي<sup>٢</sup> من هذا المختار الذي يبين فيه صوته، وإن ظللنا نذكر معه، على نحو ما، بشار بن برد وأبا نواس معاً. وقد تلاعب بموسيقاها، في مقاطع تجتمع وتنفرد.

---

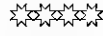
(١) انظر كتابينا (الأول والثاني) في درس النشر لدى أعضاء (الرابطة القلمية) في المهجر الشمالي وانظر بخاصة ص ١٦ من الكتاب الأول

(٢) الديوان الثاني النص ٢١ ص ٢٦١

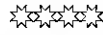
هاتِ اسقني بالقُدَح الكبيرِ  
صفراءَ لونَ الذهبِ المصهورِ  
كأنها في أكؤس البُلُورِ  
شعلة نارٍ في بقايا نور



عجبتُ للكأس التي تحويها  
كيف استقرَّت والحياةُ فيها  
لو لم يُدرّها بيننا ساقِها  
دارتْ على القوم بلا مُديرِ



بهذه اللغة السهلة الجارية التي يحملها الحسُّ على أجنحة الخيال، يصور ساعة من ساعات النشوة، يزيد الإيقاع السريع، واختيار المفردات والرويِّ المكرور، من قدرتنا على تذوق نشوتها معه، وهو غاية ما يستطيع الشعر رفع المتلقي إليه، وضمه، من الداخل، إلى تجربة الشاعر.



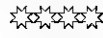
ومنه قصيدته موميات <sup>١</sup> وقد اختار لها أيضاً إيقاعاً سريعاً وروياً طلقاً مكروراً. فقد حركت فيه رؤية الفندق الفخم الذي لم ير فيه إلا عجائز فانيات، رؤية شعرية تقوم على الجمع بين المتناقضات، وهو المعنى الكبير الذي وقف عنده في قصائد أخرى، وخرج منه إلى، رؤية فلسفية توحد بينها. ولكنه هنا، غاب عنها:

لمن يغني الطيورُ	لمن يَضوعُ العبيرُ
لمن تُصبُّ الخُمورُ	لمن تُصَفُّ القناني
ولا شبابٌ نضيراً	ولا جمالٌ أنيقاً
أطالسٌ وحريراً	بل مومياتٌ عليها

---

(١) الحمائل النص ١١ ص ١٠٢

اللغة هنا تكرر على اللسان، كنما يكلم الشاعر فيها نفسه، دون أن يسعى إلى  
تحصيلها. وترد معانيها على خاطر فور أن تقع العين على المشهد.



ومنه، من شعر المناسبات، في تكريم أصحابه، قصيدة (سماها: إنه الشاعر) <sup>١</sup>،  
ارتفع فيها، من حدود المناسبة، إلى حدود الشعر الكونية، بل تعداها إلى خالق الكون  
نفسه، إذ هو صانع الجمال الذي يرضيه أن يتعبده الشاعر فيه. وقد لزمه، في مطلع  
القصيدة، أن يصور بعض حواشي جماله:

عندما أنشأ الوجودُ الله  
في زمانٍ، في الدهر، ما أقصاهُ  
وبدأت في الثُّبَاتِ والماءِ والأحْ  
ياءِ والصخرِ يقظةً وانتباهُ  
فأطلت من السماءِ الدُّراري،  
وتجارت على الصعيدِ المياه  
وترامى النسيم، في صفحةِ النه  
ر، بأسرار وجده وهواه  
وسرى الفجرُ يوقظُ الروضةَ الوسْ  
نى ويُذري على المروج نداءً  
ومشى الليلُ بعده يطمس الأشْ  
ياءَ إلا أحلامه ورؤاه  
والورودَ الحسناءَ إلا شذاها  
والغديرَ الطروبَ إلا صداه  
نظر الله في السَّماءِ وفي الأر  
ضِ طويلاً، فتمتت شفتاه:

---

(١) ما لم تجمعه النواوين النص ٥١ ص ١١٢٥

«إِنِّي قَدْ خَلَقْتُ كَوْنًا بَدِيعًا  
كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ كَمَا أَهْوَاهُ  
غَيْرَ أَنِّي نَسِيتُ أَخْلُقُ شَيْئًا  
لَا زِمًا لَا يُتِمُّهُ إِلَّا هُوَ  
وَهُوَ عَيْنُ تَرَى الْوُجُودَ كَعَيْنِي  
وَلِسَانُ يَقُولُ: مَا أَحْلَاهُ»

مقدمة لا يظن قارئها أنها مرتبطة بتكريم صديقه الشاعر (نسيب عريضة)، وتكشف  
عن شعرية مفطورة، كنما تجري معها كتابة الشعر دون إجهاد خاطر، ويجري اختيار  
المفردات اللغوية وتشكيل الجمل، من أقصر الطرق، بالاستجابة الطبيعية لديه. وقد عُرِفَ  
عنه أنه كان يُدعى، في بعض الحفلات، فيكاد يرتجل الشعر الذي يلقيه فيها ارتجالاً.

وإذن فقد تمنى الله أن يتدارك سهوه:  
فإِذَا كَانَتْ لَهُ هَيْكَلُ الطَّيْرِ  
نَ، وَفِي هَيْكَلِ التَّرَابِ إِلَهٌ  
كُلُّ مَنْ يَعِشُ الْجَمَالَ أَخُوهُ  
كُلُّ أَرْضٍ فِيهَا الْهَوَى مَغْنَاهُ  
ويتساءل كئنه يريد أن يفجأ من يتتبعه:  
مَنْ تَرَاهُ هَذَا الَّذِي صَاغَهُ اللَّهُ كَمَا يَشْتَهِيهِ لَمَّا اشْتَهَاهُ

ويجيب على الفور:  
إِنَّهُ الشَّاعِرُ الَّذِي كُلُّ دُنْيَا  
تَنْطَوِي قَبْلَ تَنْطَوِي دُنْيَاهُ

ويُخَذُ يَصِفُهُ كَئِنْهُ يَصِفُ نَفْسَهُ:  
وَجَدَ الْمَالَ عَاتِيًا مُسْتَبَدًّا  
فَأَبَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَسْرَاهُ

لا تقولوا: ماذا اقتنى وحواء  
أي شيء خياله ما حواء  
إنه الشاعر الذي ازدادت الدُّدُ  
يا بهاء لما غدت مأواه  
فاشربوا يا رفاق سرفتي العا  
صي، وحييَّوه، إنه إيَّاه

ما أرادَه أبو ماضي. في هذه القصيدة، برغم ما أثارتَه عند فريق ممن درسوه، من ظن ادِّعاء الألوهة، هو أن يُفرد الشاعر بخلق الرؤى والأفكار، وهو ما نسميه: الإبداع في الفن. والخلق من صفات الألوهة، فبهذا المعنى يكون الشاعر هو خالق الفكرة المبدعة، وهو هيكلها الترابي:

إنني قد خلقتُ كوناً بديعاً  
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه  
غير أنني نسيتُ أخلق شيئاً  
لازمَماً لا يُتَمِّمُه إلَّاه

وليس الاعتداد بقدرة الخلق جديداً على الشاعر في هذا النص. فابو ماضي شديد الاعتداد بقدراته الفنية. وما يضيفه على نفسه، في شعره، يزيد كثيراً على ما أضفاه الشعراء من قبله على أنفسهم، باستثناء محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) الذي وصل بالفكرة إلى أقصى ما تصل إليه، حتى تعدى بها خلق الله<sup>١</sup>:

نُشَارِكُ اللهَ، جَلَّ اللهُ، قُدْرَتَهُ  
ولا نضيق بها خَلْقاً وإِتْقاناً  
وَأَيْنَ إنْسَانُهُ المِصْنُوعُ من حَمَأٍ  
ممن خَلَقْنَاهُ أَطْيَاباً وأَلحَاناً

(١) الديوان دار العودة بيروت، ص ١٢٩

ولو جلا حسنه إنسانُ قدرتنا  
لو دَجبريلُ لو صُغناه إنسانا  
وأيُّ نَعْمى نرجّئها لدى بشرٍ  
واللهُ قَرَبنا منه وأدنانا  
وليس يبعد تثر أحد الشعارين بالآخر. إن ذهب كلٌّ منهما، بالفكرة، في اتجاه.

\*\*\*\*

## (٥)

ونفضل أن ننهي هذه الدراسة المكثفة ببيان موقف أبي ماضي من وطنه الذي وسع الأرض العربية كلها، وهو موقف كاد أن يمتاز فيه، من زملائه، في (الرابطة القلمية)<sup>١</sup>، فقد كان دائم التفكير في لبنان وسورية، وفي مصر، وفي أرض الجزيرة العربية. يستجيب لآلامها وأحداثها، فإن من خصائص تكوينه الوفاء للأرض التي نمته، والأرض التي ينتسب إليها، وتذكير المهاجرين معه بوطنهم الذي خلفوه لئلا يناموا عنه (متى يذكر الوطن النوم)<sup>٢</sup>.

وإن مراجعة سريعة لشعره في دواوينه الخمسة، وفي شعره خارج هذه الدواوين، تصلنا بفيض من القصائد احتفظت بعناوينها، أو بإشارات كثيرة وقعت ضمنها، تغنى فيها بالوطن، وحنّ إليه، وشكا أمله مما يلقي من مستبديه ومستعمره، منذ غادره إلى أن دفن في مهجره البعيد.

ففي ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي أهداه إلى الأمة المصرية... لا طلباً للمثوبة ولا ابتغاءً للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحه من العطف عليها والتعلق بها، دافع عن مناضليها وشارك في مدافعتهم المحتل ورثى زعمائها الذين قاوموه، وجمع إليها معاناة أهله في الشام وما بات يشكو من وجع الحنين إليهم<sup>٣</sup>:

تحنُّ إلى بلاد الشام نفسي  
أقْطِرُ الشام حياءَ الغمامِ  
وما غيرَ الشام وساكنيه  
لبانثْنَا وإن بَعُدَ الشام

(١) قد يلزم، أن نضيف إليه إلى حد كبير، صديقه الشاعر الحمصي (نسيب عريضة)

(٢) الديوان الثاني النص ٤٦

(٣) تذكار الماضي النص ٤٩



ولولا أن في مصر مُقامي  
لعمرُ أبيك ما طال المُقام  
وما مصرُ التي ملكت فؤادي  
ولكن أهلها قومُ كرام  
يودُّ الطامعون بأرض مصر  
لو أنهم بها أبدأ أقاموا!

ووصف النيل والشمس تنسكب عليه، وصفاً حياً يعجب القارئ أن يصل إلى كتابته  
شاب لم يتعدَّ العقد الثاني من عمره. ولكن ذلك يعود، مع قدراته المبكرة، إلى ارتباطه  
العاطفي بالنيل، ارتباطاً له دلالاته القوية على ارتباطه بالأرض<sup>١</sup> :

فثمَّ جلالُ يمالِ النفسِ هَيبَةٍ  
وثمَّ جمالُ يمالِ العينِ باهرَةٍ  
والحظُّ شمسَ الأفقِ وهي مُطلَّةُ  
تساير فيه ظلُّها إذ تُسايره

...

إذا هي ألقت في حواشيه نورها  
رأى التَّبر يجري في حواشيه ناظره  
أطالت به التَّحديقُ حتى كأنما  
تحاول منه أن تبين سرائره  
كأنني به سِفَرُ تدانٍ سَطوره  
أوائله قد شكَّلت وأواخره

وكانت له، في هذه المرحلة من حياته، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، قصائد نال  
فيها من السلطة العثمانية وممثليها منالاً وصل به إلى مواجهة الهلال (رمز الدولة العثمانية)  
بالصليب (رمز قوى الغرب التي واجهتها، على إطلاقه) وهي مواجهة قد لا تتفق مع ميوله

---

(١) (تذكُّار الماضي) النصر ٥٢ ص ٢٥

العلمانية الأصيلة (بصفة الهلال رمزاً إسلامياً) ولكن كرهه للعثمانيين الذين أذلّوا وطنه - فيما كان فريق كبير من الوطنيين مسيحيين ومسلمين يرونه - أورده هذا المورد.

ووقف موقفاً متشدداً جداً من المحتل الإنجليزي بعدهم، حتى لقد أيقظ النسب الذي يجمعه بـهـلها<sup>١</sup> :

خَلَّنِي أَسْتَصِرْخُ الْقَوْمَ النَّيَامَا  
أَنَا لَا أَرْضَى لِمَصْرٍ أَنْ تُضَامَا  
.....

قَسَمًا بِالنَّيْلِ لَوْ أَنَّ بِهِ  
مَا بِنَفْسِي مِنْ حَوَى سَالَ ضِرَامَا  
حَسَبُ مَصْرٍ أَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي  
أَمَّنَ اللَّهُ بِهَا الْبَيْتَ الْحَرَامَا  
.....

لَسْتُ مَصْرِيًّا وَلَكِنْ نَسَبُهُ  
بَيْنَنَا تَجْمَعُ مَصْرًا وَالشَّامَا

ثم انثنى يخاطب المحتل:  
كَبَّلُوا أَقْلَامَنَا جُهِدَكُمْ  
وَامْنَعُوا الْأَلْسُنَ وَالصَّحُفَ الْكَلَامَا  
وَإِذَا عَزَّ عَلَيْنَا أَنْ نَا  
فِي وَثَامٍ فَانْشُرُوا فِينَا الْخِصَامَا!

وفي ديوانه الرابع (الخمائل) يتنسى لموت فيصل أبي غازي<sup>٢</sup> ويرثيه رثاءً أراع معه البيت والبلد الحرام ، ومجدد خلّق الصحارى ومروءة الخيام التي خرج منها، وخاطب من سكتوا عن إسقاطه عن عرش الشام ورحيله عنها:

---

(١) ما لم تجمعه النوابين النص ٢ (مصر والاحتلال)  
(٢) الخمائل النص ٤٢ وراجع في كتابنا (النثر المهجري) موقفاً لزملاء أبي ماضي في (الرابطة)، من (فيصل)، في مؤتمر الصلح، بعد الحرب العالمية الأولى، ص ١٤١ وما حولها

فقلّ للساخطين على الليالي  
 ومن سكّنوا على يأسٍ وناموا  
 سيخسر الضباب عن الروابي  
 ويبدو الورد فيها والخزام  
 ونرجع أمة تُرجى وتُخشى  
 وإن كره الزعانف والطغام  
 وشغلته مأساة فلسطين وأهلها شغلاً دائماً<sup>١</sup> :  
 فخطب فلسطين خطب العلاء  
 وما كان رزء العلاء هيناً  
 سهرنا له فكان السيوف  
 تحزبنا كبنا ههنا  
 وكيف تطيب الحياة لقوم  
 تسد عليهم دروب المني  
 بلادهم عرضة للضياع  
 وأمّتهم عرضة للفناء  
 لقد دافعوا أمس دون الحمى  
 فكانت حروبهم حاريناً  
 وجادوا بكلّ الذي عندهم  
 ونحن سنبدل ما عندنا  
 فقل لليهود وأشياءهم  
 لقد دعتكم بروق المني  
 فإننا سنجعل من أرضها  
 لنا وطناً، ولكم مدفننا

(١) المصدر نفسه النص ٤٣

كتب هذا الكلام وأصدره في ديوان نشره سنة ١٩٤٠، قبل قيام دولة الاغتصاب  
بثمانين سنين، وفيه نستطيع أن نلمس الجرح المفتوح، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية  
القرن العشرين. ثم إنه كتبه وقد أمضى في المهجر الأمريكي ثلاثين عاماً بعيداً عن المنطقة.  
ويلمس قارئه فيه حُرقة صادقة هي التي جعلت صلته بها لا تنقطع.

وقد زار لبنان بعدها وخاطبه الخطاب الذي أشرنا إليه في السابق، للرد على من  
نسب إليه نسيانه، وذكر معه الفقر الذي عرفه فيه، مباحياً به <sup>١</sup> :

زعموا سلوئك...ليتهم      نسبوا إليّ الممكنا  
فالمرء قد ينسى المسي      عَ المفتري والمُحسنا  
ومرارة الفقر المذ      لِّ بلي، ولذات الغنى  
لكنه مهما سَلا      هيهات ينسى الموطنا!

وكانت تعذبه فيه، حين يذكره، ما حمل معه من ذكرى الفتن الطائفية قبل تقسيم ديار  
الشام، وبعده. يقول في (ديوانه الثاني)، داعياً إلى التسامح:

ما كان أحوجَّ سوريّاً إلى بطلٍ  
يردّ بالسيف عنها كل مفترسٍ  
ولا يزال بها والسيف في يده  
حتى يطهرها من كل ذي دَنَسٍ  
ويجعل الحبّ دين القاطنين بها  
دينٌ يقربُ بين «البيت» والقدُس  
حتى أرى ضاربَ الناقوسِ يُطربهُ  
صوتُ الأذنين، وهذا رثّة الجَرسِ <sup>٢</sup>

ولما زار دمشق، كما ذكرنا، مطلع سنة ١٩٤٩، وألقى فيها تحيته، وحيّاً شهيدها  
يوسف العظمة الذي استشهد على أبوابها، ونعى على قومه ما وقع في فلسطين، وكانت  
نكبتها حلّت بهم:

(١) تير وتراب النصر ١ ص ٨٤٩ (وطن النجوم)

(٢) الديوان الثاني النصر ٤٩ ص ٤٢٦ والأذنين هو الأذان وارجع في المصدر نفسه (الديوان الثاني) إلى مطوخته التي سماها (يا بلادي) النصر ٥٦ ص ٤٦٢

عجباً لقومي والعدوّ ببابهم  
كيف استطابوا اللهو والألعابا  
وتخاذلت أسيافهم عن سحقه  
في حين كان النصر منهم قابا

.....

دنياك يا وطن العروبة غابة  
حشدت عليك أراقمأ وذئابا  
فالبس لها ماء الحديد مطارقاً  
واجعل لسانك مخلباً أو نابا

.....

ثم أخذ يصف مجد دمشق:  
فاستنطق التاريخ هل في سقره  
مجد يضاهي مجدها الخلابا  
شابت حضارات، ودالت وانطوت  
أمم، ومجد أمية ما شابا

على أن في شعراء المهجر الشمالي من جاري أبا ماضي في هذا الميدان. ولكن في التاريخ إشارات لعلها لم تكتب لغيره ممن زاملوه وعاصروه وغنّوا وطنهم معه<sup>١</sup>. صفحة لعله ينفرد بها في المهجر الشمالي (الولايات المتحدة الأمريكية) خاصة. وقد تستهل هذه الإشارات، أن تظّل ريشة في تاج الدور التاريخي الذي لعبه أبو ماضي في الحركة الشعرية المهجرية، في الشمال، إلى جانب بعض الشعراء المعروفين في المهجر الجنوبي (البرازيل والأرجنتين).

\*\*\*\*

---

(١) انظر في انفراد أبي ماضي، في موقفه من الانتداب الفرنسي على سورية، بعد الحرب العالمية الأولى، مخالفاً زملاءه من أعضاء (الرابطة) في لجنة سميت (لجنة تحرير سورية ولبنان) كتابنا (النثر المهجري الكتاب الأول ص ١٥٢ وما قبلها وما بعدها)

## الخاتمة

خلاصة ما ننتهي إليه، في هذه الصفحات، ألا شيء يخلدُ معه العمل المبدع غير الصدق الذي يحييه ويشتقه من أضلاع المبدع. وما النصوص الشعرية التي كتبها أبو ماضي، وبقيت إرثاً أدبياً ثميناً في تراثنا الشعري الحديث، إلا التعبير الصادق عن حيرته العميقة، في فهم مرامي الحياة، فيما عرض من صورها وتساءل عن حقائقها ومعانيها.

وقد تهيأ له بهذا أن يغزو ميداناً جديداً في تاريخ الشعر العربي، لم يتهيأ لشاعر قبله، على امتداد عصورنا الأدبية أن يغزوه، أعني: ميدان الفكر والعقل والتفلسف، وصياغة الفكر الشعري الحارّ الذي يتناول أعقد ما يواجه عقل الإنسان ويتحدّاه: لغز الوجود، ومعنى الحياة مع الموت، وما وراء الموت، فغنّى الفكر، في تساؤله عنها، غناءً رقيقاً عذباً فُتّن به الناس، وأقبلوا عليه، وتغنّوا به.

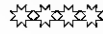
وقاده هذا التساؤل، الملحُّ، بدوره، إلى صياغة المطوّلات الشعرية، وما داخلها من تنوع المساءلات، وألوان التعبير عنها واختلاف الإيقاعات، في نظم الحكايات والأمثال، واتّباع طرق السرد الشعري المكثّف السريع، في وصف الأحداث وتصوير شخصوها، وإدارة الحوار بينها، وتطوير مسالكه إلى النهاية المرسومة.

وحاول أن يتخفف من ضغوطه النفسية، على مدار حياته في لبنان ومصر والمهجر الشمالي، عن طريق التملُّ والتفكير، فاتجه إلى دعوة الآخر إلى التفاؤل والابتسام، على ما عانى من قسوة الأقدار التي لاحقته، منذ طفولته إلى خاتمة حياته، وعلى ما كان فيه من الإحساس بالحاجة التي اضطرتّه إلى العمل ليل نهار، في ميدان الصحافة المتعب. وبدت، في دعوته هذه، على إخلاصه فيها، الرغبة في التغافل عن حقائق الواقع الإنساني، وحدود القدرات فيه، فانتهى، أخيراً، إلى التسليم بالعجز عن الوصول إلى أجوبة ما تسأل عنه. واتخذ من هذا التسليم سبيلاً إلى الرضا بما هو فيه، ودعا الناس إلى أن يحذوا حذوه.

عن هذه الطريق، حاول أن يقنع نفسه بنفي التناقضات والثنائيات التي يعذبه التفكير فيها، فليرض إذن بما كان يتمنى أن يتغير في حظوظ الخلق والتكوين، إذ لا سبيل، في النهاية، إلى تغييره. ولو تغير لتمنى أن يعود إلى ما كان عليه، فالسعادة في الحياة، والفرح بالوجود، يتدفقان من داخل النفس، عن طريق التملّ فيما وهبه، وفيما يستطيعه، بما يملك من القدرات والنعم (الغبطة فكرة).

ولم يبخل على قومه، مع هذا، بوصف ما هم فيه من أسباب التخلف والشقاق، فدعا إلى نفيها عن حياتهم. وحثهم على التضامن وحرص الصفوف، وحمل على مدعي الصلاح منهم، ولو كانوا من رجال الدين، فسماهم أصحاب الكشاكيل، وحضر قومه على ردهم والوقوف في وجوههم.

وحمل اللغة الشعرية هذا العبء كله، فجرت على قلمه ولسانه جرياناً سهلاً، بدت المفردات معه، في كثير من الأحيان، هامدة لا روح فيها.



يبقى أبو ماضي، في دوريه: التقليدي والمجدد، ظاهرة تستحق الالتفات. فهذا رجلٌ خلقه الله، ولكنه صنع نفسه، وأخضع ظرفه، وشقّ طريقاً، في الشعر، يُنسب إليه. حاول أن يُسعد الناس ويفيدهم ويمتّعهم، عبر معاناته الذاتية، حتى لقد كاد، وهو يخاطبهم ويدعوهم إلى الفرحة بالحياة، يتخذ من خطابهم سبيلاً إلى خطاب الذات.



## المصادر والمراجع

- ١ تذكر الماضي .إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العودة) ١٩٧٤
- ٢ إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر (مع دراسة لزهير ميرزا) - دمشق (دار البقعة العربية) ١٩٥٤
- ٣ الجداول .إيليا أبو ماضي - نيويورك ١٩٢٧
- ٤ الخمائل .إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣
- ٥ تبر وتراب. .إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٠
- ٦ ديوان إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العودة) ٢٠٠٢
- ٧ إيليا أبو ماضي (دراسات عنه وأشعاره المجهولة) جورج ديمنري سليم - القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٧
- ٨ مجموعة الرابطة القلمية ١٩٢١ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٤
- ٩ إيليا أبو ماضي شاعر النساؤل والنفاؤل .إيليا حاوي - بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٧٢
- ١٠ إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث عيسى الناعوري - بيروت (منشورات عويدات) دون تاريخ
- ١١ - إيليا أبو ماضي عبد اللطيف شرارة - بيروت (دار صادر) ١٩٦٥
- ١٢ - إيليا أبو ماضي جميل جبر - بيروت (دار المشرق) دون تاريخ
- ١٣ - إيليا أبو ماضي بين النجد والنفاد طالب زكي طالب - صيدا - بيروت (منشورات المكتبة العصرية) دون تاريخ
- ١٤ الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم - بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٧
- ١٥ شعراء الرابطة القلمية نادرة جميل سراج - القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٤



- ١٦ قراءة جديدة لإيليا أبي ماضي صلاح عبد الصبور - ملحقة بديوان «الخمائل» بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣.
- ١٧ شعر من المهجر محمد قره علي - بيروت (دار الإنصاف) ١٩٥٤
- ١٨ الشعر العربي في المهجر محمد عبد الغني حسن - القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٥
- ١٩ أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية جورج صيدح - بيروت ١٩٥٧
- ٢٠ أوراق مهجرية عبد الكريم الأشتر - دمشق (دار الفكر) ٢٠٠٢
- ٢١ أدب المهجر، عيسى الناعوري - القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩
- ٢٢ الأدب العربي في المهجر حسن جاد حسن - القاهرة ١٩٦٣
- ٢٣ التجديد في شعر المهجر أنس داود - القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) دون تاريخ
- ٢٤ في ديوان العرب (أحاديث في الشعر والشعراء من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث)، الجزء الثالث (العصر العثماني والعصر الحديث) عبد الكريم الأشتر - حلب ٢٠٠٦
- ٢٥ النثر المهجري (المضمون وصورة التعبير) عبد الكريم الأشتر - دمشق (دار الفكر الحديث) ١٩٦٤

\*\*\*\*\*

## كلمة موجزة

لا يحتاج هذا العمل، بعد الذي قدّمناه في درسه، إلى مقدمة طويلة، ففيه جماع أعمال أبي ماضي الشعرية، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأميركة، واحتوته دواوينه الخمسة التي أصدر أولها (تذكار الماضي)، في الإسكندرية، قبل أن يغادر مصر (١٩١١)، وأصدر الدواوين الثلاثة بعده في نيويورك (الجزء الثاني من ديوانه - وهو «ديوانه الثاني» ١٩١٩ - و«الجداول» ١٩٢٧، و«الخمائل» ١٩٤٠). ثم أصدر صديقه الشاعر المهجري جورج صيدح، ديوانه الخامس (تبر وتراب)، بعد وفاته (١٩٥٧) بثلاث سنين (١٩٦٠)، جمعه من الشعر المنشور في الصحف والمجلات، مما لم تجمعه دواوينه الأربعة، في الوطن والمهجر.

ثم تصدّى أحد الباحثين، ممن عاشوا زمناً في المهجر الأميركي، الدكتور جورج ديمتري سليم، لجمع ما لم تجمعه هذه الدواوين الخمسة المنشورة، فجمعه من الصحف والمجلات العربية، في الوطن والمهجر، بعد أن تتبّع ما نُشر من شعر الشاعر فيها، في كتاب سماه: (إيليا أبو ماضي - دراسات عنه وأشعاره المجهولة)<sup>(١)</sup>.

وإذن، فالذي نقدمه اليوم، كتاب يجمع، للمرة الأولى، شعرَ الشاعر المنشور كله، ما جمعته دواوينه الخمسة، وما لم تجمعه. فيه صورة الشاعر، من وجوهها المختلفة، وفيه نصوص شعره، من جانبها المعروف لنا، وجانبها المحجوب عنا، منذ عرفنا الشاعر.

على أن المعروف من شعر الشاعر، لدى عامة القراء العرب، لم يكن يتعدّى، في الغالب، بعض نصوص شعره ومطولاته المعروفة، الذاهبة مذهب التأمل والتفكير في قضايا الوجود الكبرى، مثل قصيدته «فلسفة الحياة» ومطولتيه «الطلاسم» و«الأسطورة الأزلية»، وبعض الحكايات الرمزية والأمثال المسرودة سرّاً شعرياً، مثل «الحجر الصغير»، و«التينة الحمقاء»، و«الشاعر والسلطان الجائر».

(١) نشرته دار المعارف بالقاهرة (١٩٧٧)

وما تعانى هذه النصوص، فيلزمه، معها، بعد الجمع، الضبط والشرح، إذ تكررت طبعاته في بعض دور النشر العربية، في لبنان وسورية والعراق، دون أن يُعنى بأسره بضبطه وشرح معانيه، ومراجعة البعيد، من مفرداته، عن ساحة التداول العام، إذ كان من مذهب الشاعر، أحياناً - وهو الذي لم يحاوز، في نشأته، بعض مرحلة الدراسة الأولية، في مدرسة القرية - أن يلجأ إليها أحياناً، ليدل على اطلاعه على مفردات اللغة البعيدة الساكنة في بطون المعاجم، على مثال الأذين، في مكان الأذان، والكيبا، مكان البخور، والسُميدع مكان السيد السخي، والرقيع، مكان الرقعة، والإكدار، مكان الكدر، الخ ثم إن غير المعروف، من نصوص شعره، لم يحظ بالمراجعة، إلى جانب حجبهِ وحجزه عن النشر في الدواوين وما قدمه الدكتور جورج ديمتري سليم، لم يتعدَّ حدود الجمع، وإلقاء الضوء على مناسبات نظمه، أو أسباب إلقائه في الحفلات.

وقد رأيت أن أحفظ الدواوين الخمسة صورتها التاريخية لأحفظ لموضعها من حياة الشاعر الإنسانية ولكي تُوَجت النص برقم يسهل الرجوع إليه وجعلت المجموع، من شعره، خارج هذه الدواوين، بحسب رقم الديوان السادس بعد الدواوين الخمسة وبقيت أرقام الصفحات، في كل ديوان، تتسلسل، تعين القارئ على الرجوع إلى النص المطلوب.

ويلزمي، في هذه الكلمة الموجزة، أن أنقل إلى القارئ بعض ما عانيت، في الوصول إلى بعض دواوين الشاعر، في طبعاتها الأولى التي صدرت في حياته (تذكار الماضي، والجزء الثاني - أعني الديوان الثاني - والجداول)، وما وُفِّقْتُ في تحصيله، وما عجزت عنه فعوّضته بالرجوع إلى مصادر أخرى بديلة.

والخيبة الكبيرة كانت في الوصول إلى الديوان الثاني، إذ عانى الدارسون، قبلي، من خيبة الوصول إليه، حتى جعل بعضهم (في دار اليقظة العربية)، قبل رحيل الشاعر<sup>(١)</sup>، يفخر بتقديم أكثر مادة هذا الديوان، في طبعته الأولى، لما سَمَّاهُ «إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر»، إذ وقرها القارئ في السوق وما يزال الوصول إلى هذا الديوان - إذ لم

(١) صدر الكتاب سنة ١٩٥٤، وتوفي الشاعر سنة ١٩٥٧.

يُصَبَّعُ بعد طبعته الأولى. في نيويورك (١٩١٩). متعذر تماماً وقد وجدت. وثأط الطب والـ  
في الطب. بظافة تحفل اسمه. في (مكتبة الجامعة الأمريكية). في بيروت. ولكي لم نجد  
الديوان

فلجأت. مرة أخرى. إلى كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم. إذ أحصى. وكان  
الديوان في يده. نصوصه. وسلسلها في صفحة منفردة. بعناوينها وأعداد أبياتها. في  
المراجع التي رجع إليها. بغية توثيقها. من ناحية. وإعانة الدارسين على الإحاطة بها. من  
ناحية أخرى وقد تابعته. في إصدار (دار البقطة العربية ١٩٥٤). خطوة خطوة وامتنع  
علي. في النهاية. الوصول إلى نصين من نصوص هذا الديوان (نص الإهداء. ونص  
معرّب عن الإنجليزية. بعنوان تنيد التباراري) فحفظت لهما مكانهما في الكتاب. <sup>١١</sup>  
لغني أصل إليهما يوماً. وإن لم يكن لهما. في ظني. قدر في الدرس

ووجدت النسخة الأصلية من ديوان الحداول المصروعة في نيويورك (١٩٢٨) في  
مكتبة مقاصد الإسلامية في طرابلس الشام. وبحثت في الحصول على صورة  
لها. لتذكّر لماضي. <sup>١٢</sup> بيزله لأول الذي نشره في الإسكسرية (١٩١١) فقد وجدت  
صورة له في مكتبة جامعة حلب.

ولا اعرف مصدراً الحملة النصوص التي جمعناها في ما لم تجمعها الدواوين من  
شعره. غير كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم الذي أشرت إليه ويهتمني أن يعرف القاري  
العربي والدارس والباحث. أن هذا الكتاب يقرب الشاعر منهم. على نحو يلزم أن يذكر له <sup>١٣</sup>  
تبقى. بعد ذلك. كلمة في تقويم الشاعر ومكانه من حركة الشعر العربي الحديث. ومن حركة  
التجديد فيها فهذا ليس موضعه هنا. وموضعه في الدراسة المكثفة التي تتقدم الكتاب

(١١) الهدى السيول في بحر السحاب الشرقي في نيويورك وقد طبع ديوان على نفقة وأسمه بعمه تاريس وفي  
ديوان (ما لم تجمعها دواوين) نص من أربعة أبيات كتبه الشاعر بعنوان بويغ بعمه تاريس. النص ٣٣

من ١٠٩٢) ورقم النص الثاني: «نشيد التباراري» ٧٥ من ٥٢٣

(١٢) ذكر صاحب نكال صيف الود الشاعر شفي زورث ونشأ بعد وفاته في من الرجوع إلى محفوظات التي  
حطب. رغب بقراءتها الكتاب بعد أن نشر في ١٢ من ١٢٠٠ وفي شعر حر. ما ينشر من بعد  
(من ٩٤ من الكتاب)

وما تعدى هذه النصوص، فيلزمه، معها، بعد الجمع، الضبط والشرح، إذ تكررت طبعاته في بعض دور النشر العربية، في لبنان وسورية والعراق، دون أن يُعنى ناشروه بصبغة وشرح معانيه، ومراجعة البعيد. من مفرداته، عن ساحة التداول العام، إذ كان من مذهب الشاعر حيانا - وهو الذي لم يجاوز، في شتائه، بعض مرحلة الدراسة الأولية، في مدرسة القرية - أن يلحأ إليها أحيانا ليدل على اطلاع على مفردات اللغة البعيدة الساكنة في بطن المعاجم، على مثال الآلين، في نكل، الأمان، والكبا، نكل، البحور، والسنباع، نكل، السيد السحي، و الرقيب، نكل، الرفعة، و، الإكر، نكل، الإكر، الخ.

ثم إن غير المعروف، منصوص شعره لم يحظ بالمراجعة إلى جانب حبه وحجده عن الشعر في الدواوين وما قلناه الدكتور جورج دبشري سليم، لم يتعد حدود الجمع، واتخذ الضوء على مناسبات نظمه، أو أسباب الخانة في الحفلات

وقد رأيت أن أحفظ الدواوين الخمسة، صورتها التاريخية لأحفظ لها موضعها من حياة الشاعر الإبداعية ولكنني توّجت النص برقم يسهر الرجوع إليه وجعلت المجموع، من شعره، خارج هذه الدواوين، يحمل رقم الديوان السادس بعد الدواوين الخمسة وبقيت أرقام الصفحات في كل ديوان، تتسلسل، تعين القارئ على الرجوع إلى النص المطلوب

ويرسمي في هذه الكلمة الموحدة أن انظر إلى القارئ بعض ما عاليت، في الوصول إلى بعض دواوين الشاعر في طبعاتها الأولى التي صارت في حياته (تذكر الماضي والحر، الثاني - أعني الديوان الثاني - والحدود) وما أنفقت في تحصيله وما عحرت عنه فعوضته بالرجوع إلى مصادر أخرى بديلة.

والحياة الكثيرة كانت في الوصول إلى الديوان الثاني، إن عانى الدارسون، قبلي، من حيلة الوصول إليه، حتى جعل بعضهم (في دار اليقظة العربية)، قبل رحيل الشاعر<sup>(١)</sup> يفخر بتقديم أكثر مادة هذا الديوان، في طبعته الأولى، لما سماه إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر. إذ وفّرهما للقارئ في السوق وما يزال الوصول إلى هذا الديوان - إذ لم

(١) صدر الكتاب سنة ١٩٥٤، وتوفي الشاعر سنة ١٩٥٧.

يُطبع بعد طبعته الأولى، في نيويورك (١٩١٩) - متعذراً تماماً. وقد وجدتُ، وأنا أطلب وألحُ في الطلب، بطاقةً تحمل اسمه، في (مكتبة الجامعة الأمريكية)، في بيروت، ولكنني لم أجد الديوان!

فلجأتُ، مرة أخرى، إلى كتاب الدكتور جورج ديمثري سليم، إذ احصى - وكان الديوان في يده - نصوصه، ولسبب في صفحة مفردة، بغريبها وأعداد أياتها في مراجع التي رجع إليها. بغية توثيقها من ناحية وإعانة الدارسين على الإحاطة بها، من ناحية أخرى وقد تابعته، في إصدار (دار البقعة العربية ١٩٥٤)، خطوة خطوة واستمع علي، في النهاية، الوصول إلى نصير من نصوص هذا الديوان (نصر الإمام)، ونصر شعوب عن الإنجليزية، بعنوان «نشيد التباراري» فحفظتُ لهما مكانهما في الكتاب! لعلني نصر اليهنا يوماً، وإن لم يكن لهما، في ظني، قدرٌ في الدرس.

ووجدتُ النسخة الأصلية من ديوان «الحدائق» المصنوعة في نيويورك (١٩٢٧) في مكتبة المقاصد الإسلامية في طرابلس الشام بلبنان، وجحت في الحصول على صورة لها أمّا (تذكاري الماضي)، ديوانه الأول الذي نشره في الإسكندرية (١٩١١)، فقد وجدت صورة له في مكتبة جامعة حلب.

ولا أعرف نصراً الحداثة للنصوص التي جمعتها في عالم تحنوه السواوير! شعوره غير كتاب الدكتور جورج ديمثري سليم الذي انتشرت إليه، ويهني أن يعرف القارئ العربي والدارس والمُباحث، أن هذا الكتاب يقرب الشاعر منهم، على نحو يلزم أن يُذكره! تبقى، بعد ذلك، كلمة في تقويم الشاعر ومكانه من حركة الشعر العربي الحديث، ومن حركة التجديد فيها فهذا ليس موضوعه هذا، وموضوعه في دراسة المكثفة التي تتقدم الكتاب

(١) هدى ديوان إلى تاجر السجاد الشرقي في نيويورك، وقد صنع الديوان على غفقه، وسنه بعنة تدرس وفي ديوانه لم تحمعه السواوير! نصر من أربعة أيات كتبه الشاعر بعين نوري بعنة تدرس، نصر ٣٣ من ١٠٩٢) ورقم النص الثاني: «نشيد التباراري» ٧٥ ص ٥٣٣.

(٢) كان صاحب الكتاب صديقاً لولد الشاعر الذي (روبرت)، ومكثه، بعد وفاة أبيه، من الرجوع إلى المحفوظات التي حفظها، وعنها نقل صاحب الكتاب نصاً لم ينشر أبداً (ص ٢٢ من الكتاب) وفيه شعر آخره، لم يُسر من بعد (ص ٩٤ من الكتاب).

جهد أسأل الله أن يجعله في حسنات العمر، ويجزيَنِي به. فإني بدأت العمل لا  
أقصد به غير الاستجابة لمن ندبني له. فلما بدأتُه أصبح شُغلي الشاغل، وأصبحت أراه،  
على نحوٍ ما، رسالةً أؤديها، لا عملاً أعمله فحسب.

والله وحده المسؤول أن ينفع به

د. عبد الكريم الأشتري

\*\*\*\*\*



# الديوان الأول

## الجزء الأول

### (تذكار الماضي)

الطبعة الأولى (المطبعة المصرية - الإسكندرية ١٩١١)

يضم الديوان الأول «تذكار الماضي» - وهو، عند أبي ماضي، الجزء الأول من ديوانه، إذ أتبعه، بعد ثماني سنوات، من هجرته إلى أمريكا، بالجزء الثاني - أربعة وخمسين نصاً شعرياً، بين طويل، ومعتدل، وقصير.

وقد طبعه في الإسكندرية، وكان مضى على هجرته إلى مصر حوالي عشر سنوات (١٩٠٠ - صيف ١٩١١) قبل هجرته، مرة أخرى، إلى أمريكا فعمره إذن، حين تمّ له طبع هذا الجزء الأول، لا يزيد كثيراً على العشرين (١٨٨٩ - ١٩١١).

\*\*\*\*\*





## إهداء الديوان

إلى الأمة المصرية

« أيتها الأمة الودود!

هذا ديواني الذي نظمته تحت سمانك، وبين مغانيك، أرفعه إليك، لا طلباً للمثوبة،  
ولا ابتغاء للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك..

وهو بحمد الله لا يجمع بين دفتيه سوى ما يرضي الحق، ويرضيك، ويرضي هذا

الفن الجميل

ولقد يكون لي أن أهديه إلى أحد أفرادك من ذوي الفضل، جرياً مع العادة، ولكنني

رأيت المجموع خيراً وأبقى»

( إيليا )

\*\*\*\*\*

## ١ - الإنسان والدين

[البسيط]

إني عرفتُ من الإنسان ما كانا  
فلستُ أحمدُ بعدَ اليوم إنسانا  
بلوتهُ، وهو مشتدُّ القوى، أسداً  
صعبَ المراس، وعند الضَّعْفِ تُعبانا  
تعوّدُ الشُّرَّ حتى لو نبتَ يدهُ  
عنه إلى الخير سهواً، بات حَسْرانا  
خَفُّهُ قديراً وخَفُّهُ لا اقتدارَ له  
فالظلمُ والغدرُ إما عزٌّ أو هانا  
القتلُ ذنبٌ شنيعٌ غيرُ مُغْتَفَرٍ  
والقتلُ يغفره الإنسانُ أحياناً  
أجلُ قتلِ نفوسِ السَّائِمَاتِ له  
والطيرِ، والقتلُ قتلٌ حيثما كانا  
أذاقَ ذنبَ الفلا من غدره طَرفاً  
فلا يزالُ مَدَى الأيام يقظانا  
ونفّرَ الطيرَ حتى ما تلمُّ به  
إلا كما اعتادتِ الأحلامُ وسنَّانا  
سروره في بكاءِ الأكثَرينَ له  
وحزنُهُ أن ترى عيناهُ جَذْلانا  
كأنما المجدُّ ربُّ ليس يعطفُهُ  
إلا إذا قَدَّمَ الأرواحُ قُربانا

هو الذي سلب الدنيا بشاشتِها  
وراح يملؤها همًّا وأحزاناً  
لا تصطفِيه وإن أثقلتْهُ مِننا  
يَعْبُدُوْكَ عَلَيْكَ وَإِنْ أَوْلَاكَ شُكْرَانَا  
قالوا ترقى سليل الطين قلت لهم  
الآن تم شقاء العالم الآن  
إن الحديد إذا ما لآن صار مُدَى  
فكن على حذرٍ مِنْهُ إذا لانا  
والمرء وحشٌ، ولكن حُسن صورته  
أنسى بلاياه من سمِّاه إنساناً  
قد حارب الدين خوفاً من زواجه  
كان بين الوري والدين غدواناً  
وراح يهدم ما الرحمن شيْده  
وليس ما شيْد الرحمن بنيانا  
إني ليأخذني من أمره عجب  
أكلما زاد علماً زاد كُفْرانا ؟  
وكلما انقادت الدنيا وصار له  
زمأمُها إنقاد للآثام طغيانا  
يرجو الكمال من الدنيا وكيف له  
نيل الكمال من الدنيا وما دانا  
إذا ارتدى المرء ما في الأرض من بُردٍ  
وعاف للدين برداً عاد عُريانا  
هو الحياة التي ما غادرت جسداً  
إلا اغتدى الميت أحيا منه وجدانا

وهوالضياء الذي يمحو الظلام فَمَنْ  
لا يهتدي بسنائه ظلَّ حيرانا  
والمنهلُ الرائقُ العذبُ الورودِ فَمَنْ  
لا يستقي منه دأماً الدهرَ عطشاناً  
ليس المبدّرُ من يقلّي<sup>(١)</sup> دراهمه  
إن المبدّرَ من للدينِ ما صاناً  
ليس الكفيفُ الذي أمسى بلا بصرٍ  
إني أرى من ذوي الأبصارِ عُمياناً

\*\*\*\*\*

---

(١) قلاذ - يقلّيه نفسه

## ٢ - المرأة والمرأة

[الطويل]

أقامتُ لدى مرآتها تقسّماً  
على غفلةٍ ممّن يلومُ ويعذلُ  
وبين يديها كلُّ ما ينبغي لمن  
يصوّرُ أشباحَ الورى ويمثّلُ  
من الغيّدِ ثقلي كلُّ ذاتِ مَلاحِةٍ  
كما باتَ يَقلّي صاحبَ المالِ مُرمِلُ  
تغارُ إذا ما قيل: تلكَ مليحةٌ  
يَطيّبُ بها للعاشقين التَغزلُ  
فتحمرُّ غيظاً ثمّ تحمرُّ غيرةً  
كانَ بها حُمى تجيء وتُفِلُ  
وتُضمّرُ حقداً للمحدث، لودري  
به ذلكَ المسكينُ ما كادَ يهزلُ  
أثارَ عليه حقدَها غيرَ عامِدٍ  
وحقّ الغواني صارمٌ لا يُقلُّ  
فلو وجَدتُ يوماً على الدهرِ غادةً  
لأوشكُ من غُلوانه يتحوّلُ<sup>(١)</sup>  
فتاةٌ هي الطاووسُ عُجْباً وذيلاً  
- ولم يكُ ذيلًا - شعرُها المتهدّلُ

(١) وجد عليه موجدة حقد والعُلوان العُلُو ( يريد حقد العواني، في البيت السابق )

سَعَتْ لاحتِكَارِ الحُسْنِ فِيهَا بِأُسْرِهِ  
وَكَمْ حَاولَتْ حَسَنَاءُ مَا لَا يُؤْمَلُ  
وَتَجَهَّلُ أَنَّ الحَسْنَ لَيْسَ بِدَائِمٍ  
وَإِنْ هُوَ إِلَّا زَهْرَةٌ سَـوْفَ تَذْبُلُ  
وَأَنْ حَكِيمَ القَوْمِ يَأْنِفُ أَنْ يُرَى  
أَسِيرَ طِلَاءٍ بَعْدَ حِينَ سَيَنْصِلُ  
وَكُلُّ فَتًى يَرْضَى بِوَجْهِهِ مَنْمُقٍ  
مِنْ النَاعِمَاتِ البَيضِ فَهُوَ مُغْفَلُ  
إِذَا كَانَ حُسْنُ الوَجْهِ يُدْعَى فَضِيلَةً  
فَإِنْ جَمَالَ النَفْسُ أَسْمَى وَأَفْضَلُ  
وَلَكِنَّمَا أَسْمَاءٌ بِالْغَيْدِ تَقْتَدِي  
وَكُلُّ الْغَوَانِي فِعْلٌ أَسْمَاءُ تَفْعَلُ  
فَلَوْ أَمِنْتُ سُخْطَ الرِّجَالِ وَأَيَقَنْتُ  
بِسُخْطِ الْغَوَانِي أَوْشَكْتُ تَتَرَجَّلُ<sup>(١)</sup>  
قَدْ اتَّخَذْتُ مِرَاتَهَا مُرْشِداً لَهَا  
إِذَا عَنْ أَمْرٍ أَوْتَعَرَّضَ مُشْكَلُ  
وَمَا نَمُّ مِنْ أَمْرٍ عَوِيصٍ وَإِنَّمَا  
ضَعِيفُ النَّهْيِ فِي وَهْمِهِ: السُّهْلُ مَعْضَلُ  
تُكْتَمُ عَمَّنْ يَعْقِلُ الْأَمْرَ سِرُّهَا  
وَلَكِنَّهَا تُفْشِيهِ مَا لَيْسَ يَعْقِلُ  
فَلَوْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَحْفَظُ ظِلَّهَا  
رَأَيْتَ بَعْضِينَكَ الَّذِي كُنْتَ تَجْهَلُ  
وَزَادَ بِهَا حُبُّ التَّبَرُّجِ أَنَّهُ  
حَبِيبٌ إِلَى فَتْيَانِ ذَا الْعَصْرِ، أَوَّلُ

(١) تَرَجَّلَ ( في اللغة ) : مشى راجلاً . والقصد هنا : أوشكت تكون رجلاً .

الْمُؤَا بِهِ حَتَّى لَقَدْ أَشْبَهُوا الدُّمَى  
فَمِمَّا فَاتَتْهُمْ، وَاللَّهُ، إِلَّا التَّكْحُلُ  
فَتَى الْعَصْرِ أَضْحَى فِي تَطْرِيهِ حُجَّةً  
تُقَاتِلُنَا فِيهَا النِّسَاءُ فَتَقُتِلُ  
إِذَا ابْتَدَلَتْ حَسَنَاءُ ثُمَّ عَذَلَتْهَا  
تَوَلَّتْ وَقَالَتْ كُلُّكُمْ مَتَّبِعِي

\*\*\*\*\*



### ٣ - المودة

[الخفيف]

مَا لِهُنْدٍ وَكُلِّ حَسَنَاءٍ هِنْدُ  
كُلِّ يَوْمٍ تَبْدُو بَزِيٍّ جَدِيدِ  
تَلْبَسُ الثَّوْبَ يَوْمَهَا وَهِيَ تُطْرِدُ  
بِهِ وَتُطْرِدُهُ عَنْهَا كُلُّ خُودٍ<sup>(١)</sup>  
فَإِذَا جَاءَ غَيْرُهُ أَنْكَرَتْهُ  
فَرَأَيْنَا الْحَمِيدَ غَيْرَ حَمِيدِ  
أَوَّلَعَتْ نَفْسَهَا بِكُلِّ طَرِيفِ  
لَيْتَهَا أَوَّلَعَتْ بِبَعْضِ التَّلِيدِ<sup>(٢)</sup>  
أَصْبَحَتْ تَعْشَقُ الْمِشْدَ<sup>(٣)</sup> وَلَمْ أَبِ  
صِرْ طَالِقاً مَتَيْماً بِالْقَيُودِ  
رَحْمَةً بِالْخُصُوفِ أَيْتَهَا الْغِيدُ  
دُورَ فَرَقاً رَفَقاً بِتِلْكَ الْقُدُودِ  
مَا جَنَّتْهُ الزُّنُودُ حَتَّى يَنَالَ الْـ  
عُرْيُ مِنْهَا، يَا عَارِيَاتِ الزُّنُودِ؟  
وَعِلَامَ الْأَذْيَالِ أَمْسَتْ طَوَالاً  
كَلِيَالِي الصُّدُودِ أَوْ كَالْبُنُودِ؟<sup>(٤)</sup>

(١) الأصل: خُود، وهي الحسناء.

(٢) القديم.

(٣) «الكورسيه».

(٤) الأعلام.

لوتكونُ الذبولُ أعمارَ قسومٍ  
لضُمَّنَا لَهُم نوالَ الخلودِ  
قصرتُ همَّها الحسانُ على الله  
ويا ليتَ لها بها بالمفيدِ  
ساءَ حالُ الأزواجِ في عصرنا هـ  
هذا، وساءتِ أحوالُ كلِّ وليدِ  
كلُّ زوجٍ شاكٍ، وكلُّ صفييرِ  
دامعِ الطرفِ كسَّارةً للوجودِ  
يظلمُ الدهرُ حينَ يعزُّو إليه الـ  
بؤسٌ، والبؤسُ كلُّ أمٍ كَنودِ<sup>(١)</sup>  
لا رعى اللهُ زوجةً تنفقُ الأمَّ  
نوالَ والعميرَ في اقتناء البُرودِ  
ليسَ في اللهو والبطالةِ فخرٌ  
إنما الفخرُ كلُّ عرسٍ كدودِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) كافرة بالنعمة

(٢) شديدة في العمل

## ٤ - عن مصر

[البسيط]

لا أَخِذْ الدَّهْرَ مَهْمَا ضَنَّ أَوْ بَخِلَا  
تَاللهِ يَحْمِلُ وَزْرِي وَهُوَ مَا عَقِلَا<sup>(١)</sup>  
جَنَى عَلَيَّ طَلَابُ الْعِلْمِ فِي فِتْنَةٍ  
لا تَعْرِفُ الْمَرْءَ إِلَّا بِالْغِنَى وَجَلَا  
وَكُنْ لِلْحَرِّ أَنْ يُثْرِيَ ثَرَاءَهُمْ  
لو كُنْ يَرْضَى بِهِ مَنْ عَرَضَهُ بَدَلَا  
أَهْوَى الْحَيَاةَ فَإِنْ عَنَّتْ عَلَى ضَعْفَةٍ  
صَدَفَتْ عَنْهَا كَأَنِّي أَعَشَقُ الْأَجَلَا  
لَيْسَتْ حَيَاةُ الْفَتَى إِلَّا كِرَامَتُهُ  
سَاءَ الذَّلِيلُ مُقَاماً أَيْنَمَا نَزَلَا  
يَا رَبُّ مَعْتَرِضٍ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ  
وَافِي يَسُوقُ لِي التَّعْنِيفَ وَالْعَذَلَا  
حَتَّى أَمَّ تَدْفَعُ عَنْ مَصْرِ وَلَسْتُ لَهَا  
بَابِنِ وَلَا نَاقَةً تَبْغِي وَلَا جَمَلَا  
فَلُذْتُ بِالصُّمِّ حَتَّى لَاحَ لِي عِلْمٌ  
ضَافٍ تَدَاعَبُهُ أَيْدِي الصُّبَا جَذَلَا  
وَقُلْتُ: أَنْظِرْ، فَوَلَّى شَطْرَهُ فَرَأَى  
رَسْمَ الْهَلَالِ<sup>(٢)</sup> فَوَارَى وَجْهَهُ خَجَلَا

(١) لا يعقل.

(٢) إشارة إلى الراية العثمانية.

وعدتُ أرثي له مما أَلَمُ بِهِ  
وعاد يعثرُ في أذياله خَبَلاً

وقائل: كيف ترقى مصر؟ قلت له:  
حَسْبُ الكِنَانَةِ شَعْبٌ يَعشُقُ الْعَمَلَا  
يَقْظَانُ لَا جَزَعاً مِمَّا يَحَاذِرُهُ  
فَمَنْ يَخَفُ فَشْلاً فِي سَعْيِهِ، فَشِلاً  
ثَبَّتَ الْعَزِيمَةَ لَا يَلْوِي بِهِمَّتِهِ  
كَيْدَ الطَّغَامِ وَلَا بُعْدَ الْمَرَامِ، وَلَا  
خَيْرُ الْمُحِبِّينَ صَبٌّ لَا سَلْوَةَ  
لَا خَيْرَ فَيَمَنْ إِذَا حُمَّ الْفِرَاقُ سَلَا  
شَعْبٌ يَسَابِقُ نَحْوَ الْمَجْدِ هَاجِسَهُ  
إِنِّي وَجَدْتُ التَّوَانِي يَخْلُقُ الْكَسَلَا  
وَلَا يَنِي إِنْ عَرَاهُ حَادِثٌ جَلُّ  
حَتَّى يَكُونَ عَلَيْهِ حَادِثٌ جَلَا  
حَوَادِثُ الدَّهْرِ إِعْصَارٌ تَهْبٌ، فَمَا  
يَبْقَى عَلَيْهَا سِوَى مِنْ أَشْبَةِ الْجَبَلَا  
وَلَوْ أَقَالَ الْفَتَى مِنْ غَمْرَةٍ وَجَلُّ  
لَمْ تَلَقَ فِي النَّاسِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْوَجَلَا  
شَعْبٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَوْتُ مُحْتَرِماً  
مَنْ أَنْ يَعِيشَ طَوَالَ الدَّهْرِ مُبْتَذِلاً

مَا أَجْمَلَ الْحُكْمَ بَيْنَ الْقَوْمِ مُشْتَرِكاً  
فَالْمَرْءُ مِنْفَرِداً لَا يَأْمَنُ الْخَطَلَا

لَا يَعْجَبُ النَّاسُ إِلَّا سَوَدُوا رَجُلًا  
 فَسَامَهُمْ مَا يَسُومُ الْجَازِرُ الْهَمَلَا  
 فَالْبَدْرُ يَكْسِفُ نُورُ الشَّمْسِ طَلَعَتْهُ  
 وَالْبَدْرُ لَوْلَا ضِيَاءُ الشَّمْسِ مَا كَمَلَا  
 إِنَّ الْمَالِكَ قَدْ تَحْيَا بِلَا مَلِكٍ،  
 إِذَا أَرَادَتْ ، وَلَا تَحْيَا الْمُلُوكُ بِلَا...<sup>(١)</sup>  
 وَإِنْ سَرَى الْجَهْلُ فِي شَعْبٍ فَضَعُضَعُهُ  
 فَالْعِلْمُ خَيْرُ دَوَاءٍ يُصْلِحُ الْخِلَا  
 بَحْرُ لُثْنٍ غَاضٍ<sup>(٢)</sup> مَاتَ الْخَلْقُ مِنْ ظَمَأٍ  
 وَكَوْكَبٌ تُظْلِمُ الدُّنْيَا إِذَا أَفَلَا  
 هُوَ الْجُرَّازُ<sup>(٣)</sup> الَّذِي مَا مَسَّهُ فَلَلُ  
 وَكُلُّ عَضْبٍ نَرَى فِي حَادِّهِ فَلَا  
 بَلَى هُوَ السَّيْفُ لَكِنْ لَا يُرِيقُ دِمَاءً  
 وَلَيْسَ يَكْتُمُهُ غِمْدٌ إِذَا نَصَلَا<sup>(٤)</sup>  
 لَوْلَاهُ لَمَّا نَرَى الْأَمْوَاجَ حَامِلَةً  
 مِنَ الْحَدِيدِ جِبَالًا تَحْمِلُ الْقُلُلَا<sup>(٥)</sup>  
 مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ فِي اللَّجِّ تَحْسَبُهَا  
 ذَا حَاجَةٍ رَاحَ يَعْدُو نَحْوَهَا عَجَلَا  
 جِزءٌ مِنَ الْأَرْضِ فَوْقَ الْمَاءِ مَنْتَقِلُ  
 فِيهِ مِنَ النَّاسِ جِزءٌ بَاتَ مُرْتَحِلَا  
 وَلَا الْقَطَارُ الَّذِي أَضْحَى يَخْبُ بِنَا  
 فِي كُلِّ فَجٍّ يَرُوضُ الْحَزْنَ وَالسَّهْلَا

(١) الملوك لا تحيا بلا شعوب.

(٢) جف.

(٣) السيف.

(٤) نصل: ظهر نصله.

(٥) أعالي الجبال.

من كلِّ مضطربٍ في الأرض ذي لجَبٍ  
 يُنْسِيكَ منظرُهُ الأحـداجَ<sup>(١)</sup> والإبـلا  
 لا يشتكي في السُّرى أئناً ولا لغباً<sup>(٢)</sup>  
 وتشتكي الأرضُ جهرأ عبءَ ما حملاً  
 سوى عجائبَ لا يُحصى لها عددُ  
 حتى يُعْدُّ يراع الكاتب الرملاً<sup>(٣)</sup>  
 ولو يُطيف ذووها بالآلى درجوا  
 من قبلنا حسبَتهم رُسُلهم رُسُلاً  
 ما كان يخطر في قلبي ولا خلدي  
 أنِّي أرى المرءَ في الأفلاكِ منتقِلاً  
 سما إلى الأفق فارتاعت فراقده  
 حتى اغتدى رُحْلٌ يخشى به رُحلاً  
 وأيقن الليثُ أن لا حصن يعصمه  
 فكاد من زعره يستعطفُ الحملاً  
 وأصبح الحوتُ ملتاعُ الفؤاد أسيً  
 كالحوت في الماء يخشى النارَ والأسلاً<sup>(٤)</sup>  
 كذلك العلمُ يُعلي قدرَ صاحبه  
 في الناس حتى يُرى بالشهب منتعلاً  
 انظر إلى الشرق في جهلٍ وخذ عظةً  
 وانظر إلى الغرب في علمٍ وخذ مثلاً

\*\*\*\*\*

(١) ما تحمله الجبال من بيوت الراحلين.

(٢) الأئِنَّ واللَّغَبُ: التعب والإعياء.

(٣) يقصد التمهّل في العد.

(٤) الرماح.

## ٥ - شكوى فتاة

نظمها الشاعر بلسان فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن في العمر

[الرملة]

لِي بَعْلٌ ظَنَنَهُ النَّاسُ أَبِي  
صَدَّقُونِي، إِنَّهُ غَيْرُ أَبِي  
وَاعْدِلُوا عَنِ لَوْمٍ مِّنْ لَّوْمٍ زَجَّتْ  
مَا بِهَا بِالمَاءِ لَمْ يُسْتَقْدَبِ  
رُبُّ لَوْمٍ لَمْ يَفْزِدْ إِلَّا الْعَفَا  
كَمْ سَهَامٌ سُدَّدَتْ لَمْ تُصِيبِ ؟  
يَشْتَكِي الْمَرْءَ لِمَنْ يَرِثِي لَهُ  
رُبُّ شَكْوَى خَفَفَتْ مِنْ نَصَبِ

زَعَمُوا أَنَّ الْغَوَانِي لُعْبُ  
إِنَّمَا اللَّعِبَةُ طَبْعاً لِلصَّبِي  
وَأَنَا مَا زِلْتُ فِي شَرْخِ الصُّبَا  
فَلَمَّا إِذَا فَرَطَ الْأَهْلُونَ بِي ؟  
لِي قَدْ وَجَمَّالٌ يَزْدَرِي  
ذَاكَ بِالْغُصْنِ، وَذَا بِالْكُوكَبِ  
قَدْ جَرَى حَبُّ الْعُلَا مَجْرَى دَمِي  
فَهِيَ سُوْلِي وَالْوَقَا مِنْ مَشْرِبِي  
أَنَا لَوْ يَعْلَمُ أَهْلِي دَرَّةٌ  
ظَلِمَتْ فِي الْبَيْعِ كَالْمُخْشَلَبِ<sup>(١)</sup>

(١) الخز.

أخـذوا الدينار مـنـي بـدلاً  
أثراني سلعةً للمكسب ؟  
لا، ولكن راعهم عـصـرُ به  
ساد في الفتيان حبُّ الذهبِ  
ليس للأدب قـدـرٌ بينهم  
أه لو كان نُضـاراً أدبي !  
حـسـرٌ بـوني حين لازمتُ البكا  
طفلةً أجـهـلُ ما يـدري أبي  
ثم بالفـؤول أبي هـدـدني  
أين من غول المنايا مـهـرُ بي ؟  
أشـيبُ لو أنه يغـشـي الدجى  
شـابَ ذعراً منه رأسُ الغـيـهـبِ (١)  
ليت ما بيني وبين النوم من  
فـرقـةٍ بيني وبين الأشـيبِ  
يا له فظاً كـثـيرَ الحزن، لا  
يعـرفُ الأنس، قليلَ الطربِ  
يـخـضبُ الشـعرَ ولكن عـبـثاً  
ليس تخفى لغة المستعربِ

قل لأهل الأرض: لا تخشوا (٢) الردى  
إنه مشـتـغلٌ في طلبي  
ولن يعـجـبُ من بُغـضي له:  
أيـها الجاهل أمـري، أثـب (٣)

(١) لظمة

(٢) الأصل: « تخشوا ».

(٣) أثب: ثأني وتمهل واستحيا.



إِنَّمَا الْغَصْنُ إِذَا هَبَّ الْهُوَ  
مَالَ لِلْأَغْصَانِ لَا لِلْحَطَبِ  
وَإِذَا الْمَرْءُ قَضَى عَصَرَ الصُّبَا  
صَارَ أَوْلَى بِالرَّدَى فِي مَذْهَبِي

\*\*\*\*\*

## ٦ - إلى الشبان المتفرنجين

[الكامل]

يا أيها الشرقُ التعيسُ، انظرُ إلى الـ  
قوم الذين شددتَ أزرَكَ فيهمُ  
ما زلتَ تكلوهم بطرفِ ساهرٍ  
يُحيي الظلامَ وهمُ هجودُ نومٍ  
والغربُ يرنو خائفاً أن يَخلفوا  
أجدادهم ويودُّ لو لم يَنعموا  
حتى إذا طرَّتْ شواربهم ويا  
تَ من الشَّبَابِ لهم طرازُ مُعلمٍ  
خرجوا عليكِ وأنتَ لا تدري وهمُ  
لا يشعرون ولو دروا لتندموا  
يا طالما مَثَّلوا لديك كأنهم  
أَسَدُ الشُّرَى فنسيتَ أنك تحلمُ  
ورجوتَ ما يرجوه كلُّ أبٍ لدى  
أبنائه، إنَّ العقوقَ مَذْمُومٌ  
ولطالما شِدَّتْ القصورَ مِنَ المُنَى  
خَابَ الرجاءُ وساءَ ما تَتَوَهَّمُ  
ألهتْهمُ الدُّنيا فهذا بالطلا  
صبُّ، وهذا بالحِسانِ متيِّمٌ  
والخميرُ فاتكةٌ فكيف بناعمُ  
ترفٍ يكادُ من النسائمِ يُسقَمُ

قد أصبحوا وقفاً على شهواتهم  
 يستسلمون لها ولا تستسلم  
 لم يفهموا معنى الحياة وكنّهم  
 إن البليّة أنهم لم يفهموا  
 فليقلعوا عن غيّهم، إنني أرى  
 خور الشيوخ بهم ولمّا يهرموا  
 قد قلّدوا الغربيّ في آفاته  
 تقليدُ الشرق في ما يعصم  
 فتنتهم لغة الأعاجم إنّما  
 لغة الأعاجم منهم تتبرّم  
 أمسى الذي تُهدى إليه لآلئ  
 وكأنّما هو بالحجارة يُرجم  
 لا تعذل الشعراء إن بخلوا به  
 إن القريض على الغبيّ مُحَرَّم  
 بثنا وبات الشرق يمشي القهقري  
 مع ذاك نحسب أنّنا نتقدم!

\*\*\*\*\*

## ٧ - هديتي

إلى مدارس الشعب بالاسكندرية (وهي مدارس كان الحزب الوطني قد أنشأها بالمدينة)

[الكامل]

ما للهُمومِ الطَّارِقَاتِ وما لي  
أسهَرُنَّني ورقَدُنْ عن أوجالي  
أمسينَ ملءَ جوانحي، ما نابني  
خطبُ، ولا خطرَ الغرامِ ببالي  
أهوى وقد عبتُ المشيبُ بمفرقي  
ليس الغواية للكبير البالي  
ما ثمَّ داءٌ يُستطار له الكرى  
ما ثمَّ غيرُ كآبةٍ ومَلالٍ  
أرعى الثواقبَ<sup>(١)</sup> في الظلام كأنها  
زهرُ الحقائقِ أو نثِيرُ لآلٍ  
وكانما شوكُ القَتَارِ بمضجعي  
وكانَ حَشَوَ وسادتي بلبالي<sup>(٢)</sup>  
حتى إذا عكفتُ عليَّ وساوسي  
ونبأ الفراشُ نزعَتُ للنَّجْوَ  
فخرجتُ كالمنشور بعد مماته  
وركبتُ متنَ الليلِ غيرَ مُبالٍ

(١) الثاقب: صفة للشهاب (شهاب ثاقب) أراد: النجوم الثواقب (جمع: ثاقبة).

(٢) قلقي.

وزهبتُ اخترقُ المسالكَ مدلجاً<sup>(١)</sup>  
 وكأَنما أُطلقت من أغلال  
 أسعى وما من غايةٍ أسعى لها  
 سعيّاً إلى أملٍ من الآمال  
 فاشتدَّتْ فتنِي ضجّةٌ في حدةٍ  
 حبستُ مقاعدها على الجهال  
 حاموا على الصُّهباء يرتشفونها  
 كالطير حولَ مصفّقِ السُّلّال<sup>(٢)</sup>  
 في غفلةٍ العُذال في غسقِ الدجى  
 إنَّ السَّعادةَ غفلةُ العُذال  
 نهَبَ الكؤوسُ عقولَهُم ونُضارَهُم  
 نهَبَ المديرِ الخادعِ المحتال  
 أمسى يسوقُ إليهمُ أجالهم  
 وحتّوفهم في صورة الجريال<sup>(٣)</sup>  
 شرُّ الشرابِ الخمرُ، يصبحُ صبُّها  
 قيدَ الضُّنَى، ويبعثُ رهنَ خَبال  
 يا سـالـبَ الأرواحِ بعضَ ترفُّقٍ  
 يكفِّبك أنكَ سـالـبُ الأموال  
 لا تدفعنَّ تلكَ النفوسَ إلى الردى  
 إنَّ النفوسَ وإن صغرُنَّ غَوَال  
 وإذا بمخمورٍ يتيه مُعريداً  
 خـبـلُ به، ما زالَ تـيـه دلال

(١) سائراً بالليل.

(٢) تصفيق الشراب: تحويله من إناء إلى آخر.

(٣) الخمر.

حَيْرَانٌ مُضْطَرَبٌ الْخُطَا فَكَأَنَّمَا  
 قَدْ رَاحَ يَمْشِي فَوْقَ جَمْرِ صَالٍ  
 مَتَخَمَّطٍ<sup>(١)</sup> فِي سَيْرِهِ مَتَأَوِدٍ  
 كَالْفَصْنِ بَيْنَ صَبَا وَبَيْنَ شَمَالٍ  
 عَقْدَ الشُّرَابِ لِسَانَهُ وَلَقَدْ يُرَى  
 طُلُقَاءً، وَفَكَ مُجَامِعَ الْأَوْصَالِ  
 فَكَبَا كَمَا يَكْبُو الْجَوَادُ عَلَى الثُّرَى  
 شُدَّتْ عَلَيْهِ فَوَادِحُ الْأَثْقَالِ  
 وَتَقَدَّمَ الشَّرْطِيُّ يَمْشِي نَحْوَهُ  
 مَشْيَ الْفَخُورِ بِنَفْسِهِ، الْمُخْتَالِ  
 مَتَلَفَتَا عَنْ جَانِبِيهِ كَعَاشِقٍ  
 مُتَلَفَّتٍ حَذَرَ الرَّقِيبِ الْقَالِي<sup>(٢)</sup>  
 وَرَأَيْتُهُ وَبِنَانُهُ فِي جَيْبِهِ  
 فَعَلِمْتُ سِرُّ تَلَفَّتِ الْحَتَالِ  
 لَا تَعَجَّبُوا مِمَّا أَحَدْتُكُمْ بِهِ  
 كَمْ تَحْتَ ذَاكَ الثُّوبِ مِنْ نَشْتَالِ  
 ثُمَّ انْتَشَى مَتَبَسِّمًا وَإِذَا فَتَى  
 غَضَرَ الْإِهَابَ مَمْرُقَ السُّرِّيَالِ  
 وَاتَى فَحَرَكُهُ فَالْفَى جَنَّةً  
 هَمَسَتْ فَأَجْفَلَ أَيْمًا إَجْفَالِ  
 وَحَنًا عَلَيْهِ يَضْمُهُ وَدَمُوعُهُ  
 تَنْهَلُ مِثْلَ الْعَارِضِ الْهَطَالِ

(١) نوع من أنواع السير.

(٢) الكاره.

وأتى ذويه نعيه فتألبوا  
 والغيد تُعول أئماً إعوال  
 أرخصن ماء الجفن ثم أنلنه<sup>(١)</sup>  
 ولقد يكون الدمع غير مُذال  
 ولقد شهدت صيفارة في حيرة  
 من أمرهم، لهفي على الأشبال  
 لا يفقهون الحزن غير تأوه  
 ما الحزن غير تأوه الأطفال  
 ما كنت أعلم قبل ما حَفَّوا به  
 أن الشقي الجَد<sup>(٢)</sup> ربُّ عيال  
 أسفي عليه مُضرجاً لم تمتشق  
 يدُّه الحسام ولم يسِرْ لِقْتال  
 أودى ضحيَّة جهله، كم يانس  
 أودى شهيدَ الجهل والإهمال  
 فرجعتُ مصدوعَ الفؤاد أبثكم  
 شَجْوي وأندبُ حالة العمال  
 باتوا من الأرزاء بين مَخالِب  
 من دونهنَّ مَخالبُ الرِّبَال<sup>(٣)</sup>  
 خَطَرانٍ من جهلٍ وفقرٍ، ما الردى  
 غيرُ اجتماعِ الجهل والإقلال  
 فخذوا بناصيرهم فإن حياتهم  
 في مازقٍ حرجٍ من الأهوال

(١) الإذالة: الإهانة. اذاله: أهانه

(٢) الحظ

(٣) الأسد

ما أجدر الجهلاء أن يتعلموا  
 فالعلم مصدر هيبته وجلال  
 فاسعوا لنشر العلم فيهم إنما  
 فضل الغمام يبين في الإمحال<sup>(١)</sup>  
 إن الجاهول إذا تعلم واهتدى  
 بث الهدى في صحبه والآل  
 يا قوم إن لم تسعفوا فقراءكم  
 فلنم انخاركم إذا للممال  
 هلا رضيتم بالمحامد قنية  
 إن المحامد قنية الفسحال  
 أولستم أبناء من سارت بهم  
 في المكرمات روائع الأمثال  
 جودوا فغير الحمد غير مخلص  
 ما المال؟ إن المال طيف خيال  
 هيهات! ما يبقى ولو عدد الحصى،  
 أنى يسدوم ورئيه لزال؟

\*\*\*\*\*

(١) الجذب



## ٨ - الرجل والمرأة

[البسيط]

يا رَبُّ قاتلةٍ، والقولُ أجملُهُ  
ما كان من غادةٍ حتى ولو كَذِباً  
إلّا تُحسِّنَ قَرُّ الغاداتُ بينكمُ  
وهنَّ في الكونِ أرقى منكمُ رُتَباً  
كنّا لكمُ سبباً في كلِّ مكرمةٍ  
وكنتم في شقاءِ المرأةِ السَّبباً  
زعمتم أنهنَّ الخاملاتُ نهى  
ولو أردنَّ لصيرنَّ الثرى ذهباً  
فلقات لو لم يكن ذا رأيٍ غانيةٍ  
لهاج عند الرجالِ السُّخطُ والغضبُ  
لم تنصرفينا وقد كنّا نؤملُ أن  
لا تُنصفينا لهذا لا نرى عَجَباً  
هيئاتُ تعدلُ حسناً إذا حكمتُ  
فالظلمُ طبعُ على الغاداتِ قد غلبا

يحارب الرجلُ الدنيا فيخضعُها  
ويفزع الدهرُ مدعوراً إذا غضبنا  
يرنو فتضطربُ الأسادُ خانفةً  
فإن رنت ذاتُ حسنٍ ظلَّ مُضطرباً

فإن تشأ أودعت أحشائه برداً  
وإن تشأ أودعت أحشائه لهباً  
يُفني الليالي في همٍّ وفي تعبٍ  
حذار أن تشتكي من دهرها تغباً  
ولو درى أن هذي الشُّهب تزعجها  
أمسى يروّع في أفلاكها الشُّهباً  
يشقى لتصبح ذات الحلي ناعمة  
ويحمل الهم عنها راضياً طرباً  
فما الذي نفحت الغانيات به  
سوى العذاب الذي في عينه عذاباً  
هذا هو المرء يا ذات العفاف، فمن  
ينصفه لاشك فيه يُنصف الأدبا  
عنفتيه وهو لا ننب جناه سوى  
أن ليس يرضى بأن يغدو لها ننباً!

\*\*\*\*\*

## ٩ - عباد الذهب

[البسيط]

ما ساء نفسي من الدنيا سوى نقر  
لا خيرَ فيهم ولكن شرهم عمم  
ماتت ضمائرهم فيهم أنانية  
فليس تنشر حتى تُنشر الرمم  
ساعت خلانقهم، أولاً خلاق لهم  
إلا الشسراة والإيثار والنهم  
إذا رأوا صسورة الدينار بارزة  
خروا سُجوداً إلى الأذقان كلهم  
قد أقسموا أنهم لا يُشركون به  
بئس الإله وبئس القوم والقسم

\*\*\*\*\*

## ١٠. (الإنسان والدنيا) <sup>(١)</sup>

[الكامل]

المرءُ في غَفَلَاتِهِ وَسُبَبَاتِهِ  
والدَّهْرُ كَالرَّيْبَالِ <sup>(٢)</sup> فِي وَثَبَاتِهِ  
وَالْعَمْرُ ظِلٌّ وَالزَّمَانُ يَجْدُ فِي  
إِخْفَائِهِ، وَالمرءُ فِي إِثْبَاتِهِ  
وَالْحَرْبُ لَا تَنْفَكُ بَيْنَهُمَا وَلَا  
يَنْفَكُ هَذَا المرءُ فِي خَسَرَاتِهِ  
لَا تَعْجَبُوا مِنْ جَهْلِهِ وَغُرُورِهِ  
وَتَعْجَبُوا إِنَّ حَالَهُ <sup>(٣)</sup> عَنْ حَالَاتِهِ  
يَسْعَى وَلَا يَدْرِي إِلَى حَيْثُ الرَّدَى  
وَكَذَا الْفَرَّاشُ يَحُومُ حَوْلَ مَمَاتِهِ  
وَتُحِبُّبُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ نَفْسَهُ  
فَيُطِيعُهَا، وَالنَّفْسُ مِنْ آفَاتِهِ  
وَيَضْيِرُّهُ إِفْلَاتُهُ مِنْ قَيْدِهَا  
وَسَعَادَةُ الْإِنْسَانِ فِي إِفْلَاتِهِ  
يَلْقَى الضُّرَّاعِمَ <sup>(٤)</sup> غَيْرَ مَكْتَرِثٍ بِهَا  
فَإِذَا سَطَتْ ضَرْبَتْ عَلَى سَطَوَاتِهِ  
مَا قَاتِلُ الْبَطْلِ النَّجِيدِ غَضَنْفَرٍ <sup>(٥)</sup>  
إِنَّ الْغَضَنْفَرَ مَنْ عَصَى شَهْوَاتِهِ

\*\*\*\*\*

(١) هذه القصيدة في الأصل بلا عنوان.

(٢) الأسد (٣) تغيّر عنها.

(٤) الأسود (٥) أسد.

## ١١ - وردة وأميل

[الكامل]

يا ليتما خلُقَ الزمانُ أصيلاً  
إنِّي أراه كالشبابِ جميلاً  
ولَّى فودعتِ السماءُ بهاءها  
من بعده، وهوى النهارُ عليلاً  
جنحتْ ذُكاءً<sup>(١)</sup> إلى الغروبِ كأنما  
تبغي رُقّاداً أو تريدُ مَقِيلاً<sup>(٢)</sup>  
وتناثرتْ قطعُ السحابِ كأنها الـ  
جيشُ اللّهُامِ<sup>(٣)</sup> إذا انثنى مفلولاً<sup>(٤)</sup>  
هذا وقد بسطَ السكونُ جناحه  
والليلُ أمسى ستره مَسْدولاً  
قد بات كلُّ مسهدٍ طوع الرُّقا  
وكلُّ جفنٍ بالكرى مكْحُولاً  
إلا مهفهفَةً<sup>(٥)</sup> بها نزل الهوى  
ضيفاً ولكن لا يريدُ رحيلاً  
غيداء قد وصلتْ ذواتُها الثرى  
إنِّي لأحسبُ ذلك الموصولاً

(١) الشمس

(٢) القبلولة الراحة، وعادة تكون بعد الطهر

(٣) الكثير العدد، كأنه يلتهم كل شيء

(٤) يريد الكسرة

(٥) صمرة النض

تحكي المدامة رقعة وقساوة  
 تحكي المهابة لواحظاً وتليلاً<sup>(١)</sup>  
 ماء الحياة يجول من وجناتها  
 فكأن في تلك الكؤوس شـمـولاً<sup>(٢)</sup>  
 والخد أبهج ما يكون مُورداً  
 والطرف أفن ما يكون كحـيلاً  
 نظرت ورب منية من نظرة  
 قد كان عنها ربها مشغولاً  
 فهوت، ورب هوئى تُنال به المنى  
 وهوى يُنال به الحـمـامُ نبـيلاً  
 والحب مصدره العيون وربما  
 تخذ السماع إلى القلوب سببلاً  
 فإذا عشقت فلا تلم أحداً سوى  
 عينيك إن من العيون قتلوا  
 ودت وقد نال الذبول خدودها  
 لو أن في الشقوق المقيم ذبولاً  
 وإذا تملكت الصبابة في امرئ  
 لم يجدر عذل العاذلين فتبلاً  
 سمعت دويلاً في الظلام فهرولت  
 مذعورة بعد الوقوف طويلاً  
 وأنين محتضر يقول قتلتني  
 ثكلتك أمك لم أنل ماءً—ولاً  
 تعدو وتجنّبها روافقها إلى  
 خلف فتجهد خصرها المتبولاً<sup>(٣)</sup>

١ عبق

٢ حصر

(٣) المقيم، ويعني هنا النحيف.

فكأن في ذاك الوشاح مُتَيِّمًا  
وَكأن في ذاك الإزار عُدُولًا  
تَخِذْتُ من الليل المخيم صاحباً  
ومن الأنين إلى الأنين دليلاً  
تبغي الوقوف على حقيقة أمره  
تبغي جليلاً لا تراه جليلاً  
وتدير في تلك البنان مُسَدَّسًا  
تركت قذائفه السهام فضولاً  
في طرفه كَمَنَ الهلالُ فلورنا  
طرفُ الزمانِ إليه عاد كليلًا  
قد أسكنت أكر الرصاص جفونهُ  
فكأن أكباداً تُجِنُّ غليلاً  
يحمي الضعيف من القوي وربما  
قتل الجبان به الفتى البهلولا<sup>(١)</sup>  
ومن الأسى لم تعرف الحسناء هل  
قطعت ذراعاً في السرى أم ميلاً  
حتى إذا رأت المراد وما رأت  
إلا خيلاً واقفاً مجهولاً  
حسبته قاتل من تحب وأيقنت  
أن الذي علقت به المقستولاً  
فدنت وأطلقت المسدس نحو من  
بصرت به عرضاً، فخر قتيلاً  
صرعت فتى صرع الرقيب، وجندلت  
أسداً يخر له الهزبر ذليلاً

(١) العزيز الجامع لكل خير.

كالبدْرِ حُسْنًا، كالغمامِ سماحةً،  
 كالغصنِ غضاً، كالחסامِ صقيلاً  
 ثَبَّتَ الْجَنَانَ قُوَّيْهِ، عَفَا الْإِذَا  
 رِنَقِيَّهِ، مَا خَانَ قَطُّ خَلِيلًا  
 هَذَا هُوَ الدُّنْفُ<sup>(١)</sup> الَّذِي أَرْضَى الْهَوَى  
 فِيهَا، وَأَغْضَبَ كَاشِحاً وَعَذُولًا  
 مَا نَالَ بَعْدَ جَهَادِهِ إِلَّا الرَّدَى،  
 وَالْبَدْرُ يُكْسِبُهُ الْمَسِيرُ أَقُولًا  
 لَمْ تَعْلَمْ الْحَسَنَاءُ أَنَّ قَتِيلَهَا  
 مَنْ لَمْ تَرَ<sup>(٢)</sup> أَبْدَأُ سِوَاهُ جَمِيلًا  
 عَرَفْتُ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا طَلَعَ الضُّحَى،  
 وَرَأَتْ عِيَاناً نَعَشَهُ مَحْمُولًا  
 لَمْ يَبْلُغُوا الْقَبْرَ الْمَعْدُ لِدَفْنِهِ  
 إِلَّا وَقَدْ بَلَغَ الرَّدَى الْعُطْبُولًا<sup>(٣)</sup>  
 يَا صَاحِبِي إِنْ جُزْتَ فِي قَبْرِئِهِمَا  
 فَاتْلُ السَّلَامَ عَلَيْهِمَا تَرْتِيلًا  
 مِنْ شَاعِرٍ مَا حَرَّكَ الْغَصْنَ الْهَوَا  
 إِلَّا تَذَكُّرَ «وَرْدَةٍ وَأَمِيلًا»

\*\*\*\*\*

(١) المريض.

(٢) مد حركة الراء للضرورة.

(٣) المرأة الممثلة.



## ١٢. أنا هو

[الكامل]

كانت قُبَيْلَ الْعَصْرِ مَرْكَبَةٌ  
تَجْرِي بِمَنْ فِيهَا مِنَ السَّفَرِ<sup>(١)</sup>  
مَا بَيْنَ مَنْخَفِضٍ وَمُزْتَفِعٍ  
عَالٍ وَبَيْنَ السَّهْلِ وَالْوَعْرِ  
وَتَخُطُّ بِالْعَجَلَاتِ سَانِرَةً  
فِي الْأَرْضِ أَسْطَاراً وَلَا تَدْرِي  
كَتَبَتْ بِلَا حَبْرِ، وَعَزَّ عَلَى  
الْأَقْلَامِ حَرْفٌ دُونَمَا حَبْرٍ  
سَيَّارَةٌ فِي الْأَرْضِ مَا فَتَنَتْ  
كَالطَّيْرِ مِنْ وَكْرٍ إِلَى وَكْرٍ  
تَابَى وَتَأَنَّفَ أَنْ يَلُمَّ بِهَا  
تَعَبٌ، وَأَنْ تَشْكُو سَوَى الزَّجَرِ  
حَمَلَتْ مِنَ الرُّكَّابِ كُلِّ فَتًى  
حَسَنَ الرُّوَاءِ<sup>(٢)</sup> وَكُلَّ ذِي قَدَرٍ  
يَتَحَدَّثُونَ، فِذَاكَ عَنْ أَمَلٍ  
أَتِ، وَذَا عَنْ سَالِفِ الْعُمُرِ  
يَتَحَدَّثُونَ وَتِلْكَ سَانِرَةٌ  
بِالْقُومِ لَا تَلْوِي عَلَى أَمْرِ  
فَكَانَمَا ضَرَبَتْ لَهَا أَجْلاً  
أَنْ تَلْتَقِيَ وَالشَّمْسُ فِي خِيَدٍ

(١) السَّافِرُونَ

(٢) النُّظَرُ

حتى إذا سارت بداحية<sup>(١)</sup>  
 ممدودة أطرافها صفر  
 سقطت من العجلات واحدة  
 فتحطمت إرباً على الصخر  
 فشاعم الركاب واضطربوا  
 مما ألم بهم من الضرر  
 وتفرقوا بعد انتظامهم  
 بدداً، وكم نظم إلى نثر  
 والشمس قد مالت أشعئها  
 تكسو أديم الأرض بالتبر  
 والأفق موحمر كأن به  
 حنقاً على الأيام والدهر  
 والقوم واجيفة قلوبهم  
 قلقاً كأنهم على الجمر  
 قد كان بين الجمع ناهدة الذئب  
 ثديين ذات ملاحاة تُغري  
 تبكي بكاء القانطين، وما  
 أسخى دموع الغادة البكر!  
 وقفت وشمس الأفق غاربة  
 تذري غلاً كالورد.. كالقطر  
 شمسان لولا أن بينهما  
 صلة لما بكتا من الهجر  
 وتدير عينيها على جزع  
 كالظبي ملتفتاً من الذعر

(١) الأرض المنبسطة.

وإذا فتى كالفجر طلعتُهُ  
 بل ربّما أرى<sup>(١)</sup> على الفجر  
 وافى إليها قائلًا عجبا  
 ممّ البكاء شقيقة البدر؟  
 قالت أخاف الليل يدمني  
 ما أوحش الظلماء في القفر  
 وأشد ما أخشاه سفك دمي  
 بيسر الأثيم اللص ذي الغدر  
 «هنري» اللعين، وما الفتى «هنري»  
 إلا ابن أم الموت لو تدري  
 رصد السبيل فما تمر به  
 قدم، ولا النسائم إذ تسري  
 واشتت فتوتني إن الطريق إلى  
 سكتني على مستحسن النكر  
 إني لأعلم أنما قد دمي  
 تسعى حثيثاً بي إلى القبر  
 قال الفتى: هيهات خوفك لن  
 يجديك شيئاً رية الطهر  
 فتشجعي وعليّ فاتكلي  
 فأنا الذي يحملك من «هنري»  
 قالت: أخاف من الخؤون على  
 هذا الشبّاب الناعم النضر  
 فأجابها: لا تجزعي وثقي  
 إني على ثقة من النضر

(١) زاد.

عَادَتْ كَأَن لَّمْ يَغْرِهَا خَلٌّ  
 تَخِدُ<sup>(١)</sup> الْقِفَارَ، سَفِينَةُ الْبَرِّ<sup>(٢)</sup>  
 وَاللَّيْلُ مَعْتَكِرٌ يَجِيشُ كَمَا  
 جَاشَتْ هُمُومُ النَّفْسِ فِي الصَّدْرِ  
 فَكَأَنَّهُ الْأَمَّالُ وَاسْمَعَةٌ  
 وَالْبَحْرُ فِي مَدٍّ وَفِي جَرْدٍ  
 وَكَأَنُّ أَنْجَمَةٍ وَقَدْ سَطَعَتْ  
 دَمْعُ الدَّلَالِ وَنَاصِعُ الدُّرِّ  
 وَالْبَدْرُ أَسْفَرَ رَغَمَ شَامَخَةٍ  
 قَدْ حَاوَلَتْ تَطْوِيهِ كَالسَّارِ  
 أَلْقَى أَشْعُتَهُ فَكَانَ لَهَا  
 لَوْنُ اللَّجَيْنِ وَلَوْلُو الثُّغْرِ  
 فَكَأَنَّهُ الْحَسَنَاءُ طَالِعَةٌ  
 مِنْ خِيَدِهَا أَوْ دُمِيَّةُ الْقَصْرِ  
 وَكَأَنَّمَا جُنْحُ الظَّلَامِ جَنَى  
 ذَنْباً فَجَاءَ الْبَدْرُ كَالْعُذْرِ  
 وَضَحَتْ مَسَالِكُ اللَّمَاطَةِ قَدْ  
 كَانَتْ شَبَابِيَّةَ غَوَامِضِ الْبَحْرِ  
 فَغَدَتْ تُحَاكِي السَّهْمَ مَنْطَلِقاً  
 فِي جَرِيهَا وَالطَّيْفِ إِذَا يَسْرِي  
 وَالْقُومُ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرْبٍ  
 يَتَنَاشِدُونَ أَطَايِبَ الشُّعْرِ  
 حَتَّى إِذَا صَارَتْ بِمَنْعَرَجٍ  
 وَقَفَتْ كَمَنْتَبِهِ مِنَ السُّكْرِ

(١) تشق، (وخذ - يخذ).

(٢) عادت السيارة إلى السير.

فترجّلتُ «ليزا» وصاحبُها  
 ومشّت وأعقَبَها على الإثر  
 واستأنفتُ تلك المطيّة ما  
 قد كان من كَرٍّ ومن قَرٍّ  
 مشّت المايحة وهي مُطْرِقة  
 ما ثمّ من تيهٍ ولا كِبَرٍ  
 أنى تَتَيّه وقد أناخ<sup>(١)</sup> بها  
 همٌّ وبعضُ الهمِّ كالوقُر<sup>(٢)</sup>  
 لم تحتسِ خمراً وتحسبُها  
 مما بها نشوى من الخمر  
 في غابةٍ تحكي ذوائبَها  
 في لونها واللف والنشور  
 ضاقتُ مسالكها فما انفرجتُ  
 إلا لِسَيرِ الذنبِ والنمور  
 كالليلةِ الليلاءِ ساجية  
 ولربّ ليلٍ ساطعٍ غرّ  
 قد حاول القمرُ المنيرُ بها  
 ما حاول الإيمانُ في الكُفر  
 تحنو على ظبيٍّ وقَسْوَرَةٍ<sup>(٣)</sup>  
 أرايتُمُ سرّين في صدرٍ؟  
 صقرٌ وورقاء<sup>(٤)</sup> ومن عجبٍ  
 أن تحتمي الورقاء بالصقر

(١) ثقل عليها.

(٢) الثقل.

(٣) أسد.

(٤) حمامة.

- 110 -

قال الفتى: «أَو كُنْتَ فِي خَطَرٍ؟»  
 قالت له: عَجِيباً .. أَلَمْ تَدْر؟  
 فَأَجَابَهَا: «مَا كَانَ فِي خَطَرٍ  
 مِنْ كَانَ صَاحِبُهُ الْفَتَى .. هُنْزِي»  
 فَتَقَهَّقَتْ فَرْعاً فَقَالَ لَهَا  
 لَا تَهْلَعِي وَاصْنَعِي فِي إِلَى حُرٍّ  
 مَا كُنْتُ بِالشَّرِّ رِيرَ قَطُّ وَلَا  
 الرَّجُلِ الَّذِي يَرْتَاخُ لِلشَّرِّ  
 لَكُنْ دَهْرٌ يَجُودُ عَلَى  
 دَهْرٍ يَجُودُ عَلَى بَنِي الدَّهْرِ  
 بَلْ إِنِّي خَطَرٌ عَلَى فِتْنَةٍ  
 مِنْهَا عَلَى خَطَرٍ نَوَا الْخُرُّ  
 قَتَلُوا أَبِي ظُلُمًا، فَقَتَلَهُمْ  
 عَدْلٌ وَحَسْبِي الْعَدْلُ أَنْ يَجْرِي  
 لَا سَلَامَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ  
 لَا سَلَامَ بَيْنَ الْهَرِّ وَالْفَارِ  
 سَيَرُونَ فِي الْمَوْتِ مَنَاقِمًا  
 لَا شَافِعَ فِي الْأَخْذِ بِالثَّارِ  
 تَا اللَّهُ مَا أَنْسَاكَ يَا أَبَتِي  
 أَبَدًا وَلَا أُغْضِي خِي عَلَى الْوِثْرِ  
 قَالَتْ لَهُ: هَيَّجَتْ لِي شَجْنًا  
 فَإِلَيْكَ مَا قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِي  
 بَعَثَ الْمَلِكُ إِلَى أَبِي فَمَضَى  
 وَأَخِي مَعًا تَوًّا إِلَى الْقَصْرِ

فإذا أبي في القبر مرتين  
 وإذا أخي في رقيقة الأسر  
 يا ساعدي بترثما ويد الذ  
 دهر الخوفون أحق بالبيتر  
 نأبي وظفري بت بعدك ما  
 وحدي، بلا ناب ولا ظفر  
 ويلاه من جور الزمان بنا  
 والويل منه لكل مؤفتر  
 وكأنا والموت يرتع في  
 أرواحنا، مريع، ومُسْتَمْرِي  
 لما انتهت وإذا به دهش  
 خيران كالمأخوذ بالسحر  
 شاء الكلام فناله خرس  
 كل البلاغة تحت ذا الحمر<sup>(١)</sup>  
 وكذلك الغيداء أنهلها  
 مئيل إلى هذا الفتى الغر  
 قالت .. أخي .. والله واقتربت  
 ترنو إليه بمقلة العُفْرِ<sup>(٢)</sup>  
 وإذا به ألقى عباة  
 برح الخفاء بها عن الجهر  
 صاحت أخي .. فكتور .. واطربي  
 روي شقيقي .. مهجتي .. نخري

(١) قلة الكلام

(٢) واحدة الأيائل، وهي نوع من الغزلان جميلة المنظر.



وتعانقاً فبكى الفتى فرحاً  
إن البخارَ نتيجَةُ الحَرِّ  
وتساقطتْ في الخدِّ دموعُهَا  
كـالْقَطْرِ فوق نواضِرِ الزُّمَرِ  
قل لئلاَّ يشكوزَ دهرُهُمُ  
لا بدَّ مِن حلوٍ وَمِن مُـرٍّ  
صـبـراً إذا جَلَّ أصـابكـمُ  
فـالْعُسْرُ أخـرُهُ إلى اليُسْرِ

\*\*\*\*\*

### ١٣ - ضيف ثقيل

[الطويل]

أَقْصُ عَلَيْكُمْ مَا جَرَى لِي بِالْأَمْسِ  
فَلِي قَصَصٌ تَجْلُو الْهَمُومَ عَنِ النَّفْسِ  
إِذَا قُلْتُ، قَالَ الدَّهْرُ «أَحْسَنْتَ يَا فَتَى»  
وَلَوْ كَانَ ذَا حَسٍّ لِفَاجٍ عَنِ الْحَسِّ  
فَدُونَكُمْ هَذَا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ  
أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ مُعَاقِرَةِ الْكَأْسِ  
جَلَسْتُ إِلَى طِرْسِي<sup>(١)</sup> وَقَدْ عَسَعَسَ الدَّجَى  
أَسْطَرُّ مَا تُوحِيهِ نَفْسِي فِي طِرْسِي  
وَلَيْسَ سِوَى نَوْرِ ضَائِلٍ بِجَانِبِي  
يَلُوحُ وَيَخْفَى كَالرَّجَاءِ لَدَى الْيَأْسِ  
وَكَالنَّقْعِ فِي جَوْفِ الدَّوَاةِ أَوِ الدَّجَى  
وَكَالْهِنْدُؤَانِي<sup>(٢)</sup> بَيْنَ أُنْمَلَى الْخَمْسِ  
فَصَاحَةُ قُسٍّ<sup>(٣)</sup> أَوْدَعَتْ فِي لِسَانِهِ  
وَحِكْمَةُ لَقْمَانٍ<sup>(٤)</sup> وَيُحْسَبُ فِي الْخُرْسِ  
ضَعِيفُ الْخَطَى بَادِي النُّحُولِ كَأَنَّمَا  
يُشَدُّ إِلَى قَيْدٍ، يُشَدُّ إِلَى حَبْسِ  
أَقْلَبُوه فَوْقَ الطَّرُوسِ وَإِنَّمَا  
أَقْلَبُ فَوْقَ الطَّرْسِ سَعْدِي أَوْ نَحْسِي

(١) ورقى

(٢) السيف

(٣) خطيب من خطباء الجاهلية اشتهر بالفصاحة ( قُسٌّ بن ساعدة الإيادي ).

(٤) حكيم ورد ذكره في القرآن الكريم.

فَنَبَّهَنِي طَرُقَ عَلَى بَابِ غُرْفَتِي  
وَصَوْتُ ضَعِيفٌ وَهُوَ أَقْرَبُ لِلْهَمْسِ  
نَهَضْتُ وَلَكِنْ مِثْلَمَا يَنْهَضُ الَّذِي  
بِهِ نَشْوَةٌ أَوْ مِنْ يَفِيقُ مِنَ الْمَسِّ  
وَلَمَّا فَتَحْتُ الْبَابَ أَبْصَرْتُ رَاهِبًا  
وَلَوْ كُنْتُ طِفْلاً قُلْتُ: غَوْلٌ مِنَ الْإِنْسِ!  
فَأَزْعَجَنِي مَرَأَهُ حَتَّى كَأَنَّمَا  
رَسُولُ الرَّدَى قَدْ جَاءَ يَنْعَى لِي نَفْسِي  
فَقُلْتُ: وَقَانِي اللَّهُ شَرَّكَ مَا الَّذِي  
أَتَى بِكَ يَا مَشْؤُومٌ فِي سَاعَةِ الْأُنْسِ؟  
أَجَابَ: كُفَيْتَ السُّوءَ جِئْتُكَ طَالِبًا  
مَدِيحَكَ لِي بَيْنَ الْأَعَارِبِ وَالْفُرسِ  
فَقُلْتُ: وَحَقَّ الشُّعْرُ مَدْحُكَ وَاجِبٌ  
وَمِثْلِي يَقْضِيهِ عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ  
خَبَرْتُ بَنِي الدُّنْيَا وَفَتَّشْتُ فِيهِمْ  
فَلَمْ تَرَ عَاسِيَنِي قَطُّ.. أَثْقَلَ مِنْ قَسِّ

\*\*\*\*\*

## ١٤ . قتل نفسه

[المتقارب]

تأمل في أمــــــــــــــــســــــــــــــــة الدابر  
فكاد يُجَنُّ من الحــــــــــــــــاضــــــــــــــــر  
أهاج التذكُّرُ أشجَّانُهُ  
وكم للسُّــعة مــة من ذاكِــر  
فتى كان أنعم من جاهلٍ  
فأصبح أتعس من شاعر  
أضاع الغنى، وأضاع الصُّحَّابَ  
وربَّ مــســة رريضٍ بلا زائر  
ويا طالما أحْدَقُوا بالفــتى  
كما تُحْدِقُ الجندُ بالظَّافر  
فلما انقضى مجده أعرضوا  
ومما الناسُ إلا مع القــادر  
ومما الناسُ إلا عبيدُ القويِّ  
فكُنْ ذاكَ أو كُنْ بلا شــاكــر  
أشــدَّ من الدهرِ مكرًا بَنُوهُ  
فــويلٌ لمن ليس بالماكِــر  
فكن بينهم خــاتلاً غادراً  
ولا تشبَّكِ الغدرَ من غادر  
تعيْسُ تُعانقُه النائباتُ  
عِناقَ الحــبــائلِ للطائر

كثيرُ الهمومِ بلا ناصِرٍ  
كسِيرُ الفؤادِ بلا جَابِرِ  
قضى ليله ساهياً ساهراً  
إلى كوكبٍ مثله ساهر  
يُفْتَشُّ عن أفلٍ في الثُّرَى  
وما كان في الأفقِ بالسَّافِرِ  
وتالله يُجدي فتى بئساً  
كلامُ المنجمِ والسَّاحِرِ  
ولمّا توارتْ دراري السُّمَاءِ  
وغاب الهلالُ عن الناظرِ  
بكى ثم صاح: أحتى النجومُ  
تَصُدُّ عن الرجلِ العاثرِ  
إلّا أعاندُ هذا الزمانَ  
عنادَ السُّفينةِ للزائرِ  
وأدعو وما ثم من سامعٍ  
وأشكو ولكنّ إلى سائرِ  
وأرجو الوفاءَ وتأبى النفوسُ  
وأنى الولادةُ للعاقِرِ  
سئمتُ الحياةَ فليت الحِمَامُ  
يعيدُ إلى أصله سائرِي  
فتنطلقُ النفسُ من سجنِها  
ويُسجَنُ تحت الثُّرى ظاهري  
وزاد سوادُ الدُّجى يأسَهُ  
وقد كاد يُسفِرُ عن بَاهرِ

فَشَاءَ التَّخْلُصَ مِنْ دَهْرِهِ أَلْـ  
خَوَّوْزٍ وَمِنْ عَيْشِهِ الْخَازِرِ<sup>(١)</sup>  
فَأَغْمَدَ فِي صَدْرِهِ مُدِيَّةً  
أَشَدَّ مَضَاءً مِنَ الْبِاتِرِ  
وَكَمْ مِثْلُهُ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ  
شَهِيدَ التَّأْمَلِ فِي الْغَابِرِ

\*\*\*\*\*

---

(١) الحامض، يعني الكره

## ١٥. ذكرى وعبرة

[الكامل]

عاطيتُها في الكأسِ مثلَ رُضابِها  
تسري إلى قلب الجبانِ فَيَشْجُ  
يطفو الخَبَابُ على أديمِ كؤوسِها  
فَكَانَ تَبَرُّراً بِالْأَجِينِ يُرْصَعُ  
وَكَلَاماً تِلْكَ الْكُؤُوسُ نَوَاضِرُ  
تَبْكِي. وهاتيكِ الفُـواقِعُ أدمع  
مشمولةٌ تُغري بصُفْرِتِها البَخِيَّ  
لَـبَها. فيطمعُ بالنُّضارِ وتطمع  
شَمْطاءٌ إلا أَنها مُحْجوبةٌ  
عِـذراءٌ إلا أَنها لا تَمْنَعُ  
ما زِلْتُ أَسْقِيها إلى أنْ أخضعتُ  
منها فَوَاداً لِلْهُوَى لا يَخْضَعُ  
فَعَلْتُ بِهَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتُ بِنَا  
الْحَاضِطُهَا، إنَّ اللَّحَاطَ لَتَصْرَعُ  
لَمَّا انْتَشَتْ وَمَضَى الْخَفَاءُ لَشَانِهِ  
بَاحَتْ إِلَيَّ بِمَا تُكِنُّ الْأَضْلَعُ  
بَرَّخَ الْحَيَاءِ وَأَعْلَنْتُ أَسْرَارَهَا  
إنَّ الْحَيَاءَ لِكُلِّ خَسُودٍ أَلْبَرُّعُ

١١) لفظة

١٢) شعر

١٣) الحياء

فَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ خُدَعْتُ بِحُبِّهَا  
زَمَنًا، وَكُنْتُ أَظُنُّنِي لَا أُخْدَعُ  
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ أَنْ أَسْكُرْتُهَا  
أَنَّ الْفُؤَادَ بِحُبِّ غَيْرِي مَوْلَعُ  
فَتَرَكْتُهَا نَشْوَى تَغَالِبُ أَمْرَهَا،  
وَالْأَمْرُ، بَعْدَ وَقْعِهِ، لَا يُدْفَعُ  
وَرَجَعْتُ عَنْهَا وَاتَّقَا مِنْ أَنَّ مَا  
قَدْ كَانَ مِنْ حُبِّي لَهَا لَا يَرْجِعُ  
وَبَكَيْتُ لَوْ أَنَّ الْبِكَاءَ أَفْسَادَنِي،  
وَنَدِمْتُ لَوْ أَنَّ النَّدَامَةَ تَنْفَعُ

\*\*\*\*\*



## ١٦ - مصرع حبيبين

[الكامل]

في ذلك الروضِ الأغنُّ بدا فسُئِ  
قد يبلغُ العشرينَ عاماً ذو نُهى  
كالبدرِ إلا أنه مُتَكَتَّمٌ  
والغُصْنُ إلا أنه غُصْنُ ذَوَى<sup>(١)</sup>  
كتبَ الضننَى في وجهه هذا الذي  
كساد الغرامُ به يؤولُ إلى الفنا  
دَفِ تروَعُه الغصونُ إذا انتثتْ  
طرباً، ويقلُّقه النسيمُ إذا جرى  
حيرانُ، يُقَعِدُه الهوى ويقيمُه،  
فكأنه علمٌ يداعبُ به الهوا  
فإذا رنا للأفق ظنُّ نجومة  
عِقدَ التي من رامها، رام السُّمَّا  
وتوهمَ القمرَ المخلَّقَ وجة من  
ضنَّتْ وجاداتُ باللقاءِ وبالنوى  
حجبَ الغمامُ البدرَ عند مسيره  
فكأنه (أسماءُ) تسري في الدُّجَى  
حسناً قد عَشِقَ المحبُّ عفافها  
وتعشقتْ أدا بهُ فما سَوا  
كالغصنِ قامتْها إذا الغصنُ انثنى  
وجبيئُها يحكي الصبَّاحُ إذا انجلَى

(١) نبل.

وقعت غدا نرها على أقدامها  
 فكانها قد عضها ناب الهوى  
 خوذاً إذا نطقت حسبت حديثها  
 دراً ولكن ليس مما يشترى  
 وقفت تحيط بها الزهور كأنما  
 قمر تحيط به الكواكب في الفضاء  
 ومشيت تحف بها الغصون كأنها  
 ملك تحف به الجنود إذا مشى  
 لله زورتها وقد قنط<sup>(١)</sup> الفتى  
 فكانها روح جرى فيمن ثوى<sup>(٢)</sup>  
 هيئات ما ظفر المؤمل بالغنى  
 بالذ من ظفر المتيم باللقا  
 فدنا يطارحها تحية عاشق  
 ويقول أهلاً بالحبيب اللذ<sup>(٣)</sup> أتى  
 بينا تصافح من يصافحها ، إذا  
 بدموعها سحت فصافحت الثرى  
 ما للعيون تحدرت عبراتها  
 وعلام هذا الحزن يا ذات البها  
 قالت: حبيبي لو ترى ما قد جرى  
 في ربنا<sup>(٤)</sup> شاركتني فيما ترى  
 جار القضا علي في أحكامه  
 ما حيلة الإنسان إن جار القضا

(١) ياس

(٢) دفر

(٣) [ اللذ ] بمعنى الذي وهو من الشواد

(٤) بيتنا

فأبكِ معي فلربما نفع البُكا  
إنَّ الليالي لا تدومُ على الصُّفا  
قال الفتى ودمعُ منتثرٌ على  
خديهِ: يا «أسماء» قولي ما جرى  
فَتَلَقَّيْتِ في الروضِ خِيفَةً سامع  
فكانها الطَّيُّ الغريرُ إذا رنا  
وتردَّتْ بكلامٍ هـا فكانما  
تبغي ولا تبغي التفوُّه بالنبا  
قالت ودمعُ العينِ يَخْنُقُ صوتها  
وشتَّ الحواسيدُ عند مَنْ نخشَى بنا  
وغداً يعودُ الشَّمْلُ منقصمِ العُرا  
هذا هو الخبرُ اليقينُ بلا خَفَا  
قد أنبأته بالفُراقِ وما درت  
أنَّ الفراقَ حِمَامٌ مَنْ عَرَفَ الهوى  
فكانما سهمٌ أصابَ قِوَادَهُ  
وكانه لَمَّا ارتمى طوداً<sup>(١)</sup> هوى  
أما الفتاةُ فراعها ما صار في  
محبوبها وكانها ندمتُ على<sup>(٢)</sup>  
جعلتُ تُناديه بصوتٍ مُحزَنٍ  
فيجيبُها كندانها رَجْعُ الصدى  
حتى إذا قَنَطَتْ دنتُ منه كما  
يدنو أخو الداءِ العُضال من الدوا  
وَحَنَّتْ فحَرَكَتِ الفتى وإذا به  
جسِمٌ ولكن لا حياةً به ولا ..

(١) حمل

(٢) نوع من الدمع يقال له الاكتفاء، وهو الإتيان بكلمة من العبارة، يستدل على ماقيها بالسياق

قد فارق الدنيا ففارقها الرِّجَا  
وهوتُ تعانقُه ففَارقتِ الوري  
قمرانِ ضمَّهما الترابُ وما عرِفُ  
تُ سِواهما قمرينِ ضمَّهما الثُّرى

\*\*\*\*

## ١٧. معركة شمولبو ( بين اليابان وروسيا )

[الكامل]

دَبَّتْ وَقَدْ أَلْقَى الظُّلَامُ سِتَارَا  
وَلطالما كُنْتُمْ الدُّجَى الْأَسْرَارَا  
سَفَرٌ هِيَ الْأَضْوَاءُ لَوْلَا سَيِّئُهَا  
أَعْيَدْتُمْ جَبِلًا مَشَى أَوْ سَارَا  
كَالظَّيْرِ نَسْرَابًا وَلَكِنْ إِنْ غَسَدَتْ  
بَغْتِ الرِّيحِ . وَتَسْبِقُ الْأَطْيَارَا  
مِثْلُ الْكَوَاكِبِ فِي النِّظَامِ وَأَنْهَارَا  
لَكِنَّ الْكَوَاكِبَ تَبْعُ الْأَنْوَارَا  
هِيَ كَالْمَالِكِ غَيْرِ الرِّيَالَا  
بِمَا لَهَا يَتَوَقَّعُ الْأَحْضَارَا  
وَاطْنَهَا فَفَقَدَتْ حَبِيبَا أَوْ أَخَا  
وَلِلذَلِكَ رَتَدَتِ السُّودُ تَبَعَارَا  
تَغَشَى الْمِيَادَ لَعْنًا فِي قَلْبِهَا  
يُظْفَأُ فَتَزْدَادُ الضُّلُوعُ أَوَارَا<sup>١٦</sup>  
وَتَمِيدُ حَتَّى لَا يُشْكُ بِأَنْهَارَا  
سَكْرَى وَلَمْ تَذُقِ السُّفَيْنُ عُقَارَا<sup>١٧</sup>  
وَتُسْرُ إِنْ رَأَتْ الثَّفُورَ كَأَنَّهَا أَلْ  
مَقْرُورٌ أَبْصَرَ بَعْدَ جَهْدٍ نَارَا

بين اليابان وروسيا ١٩٠٤ - ١٩٠٥ هجرت فيها الناس فحدث بصرها بعض شعراء لغز وجرى

بعضهم على سفيد

سعد وجرى

حضر

وَخَارُ قَدْ سِيرْتُ كَالْجَحْرِ  
 جَرَّارٌ تَحْصُرُ جَحْفَلًا جَرَّارًا  
 حَبْلُ نَسَا كَالْقُرُورِ، وَحَوْفِيَّةُ  
 صَفَرَاءُ يَحْكِي وَجْهَهَا الدِّينَارَا  
 فَطَسُ الْآتُوفُ، قَصِيرَةٌ قَامَاتُهُ،  
 هَيْهَاتَ لَا تَتَجَاوَزُ الْأَشْبَارَا  
 قَدْ قَادَهَا طَوْغُوًّا فَقَادَ ذُلُولَةً  
 تَهْوَى الصَّعَابَ وَتَعْشَقُ الْأَشْفَارَا  
 فِي قَلْبِهِ نَارٌ وَفِي أَحْشَانِهَا  
 مِثْلُ الَّذِي فِي نَفْسِهِ قَدْ تَارَا  
 مَا زَالَ يَنْدَفِعُهَا الْبَخَارُ فَتَرْتَمِي  
 كَالْتَّهْمِ أَطَقَ فِي الْخَضَاءِ فَسَارَا  
 ضَرْبُ تَرَاهُ فِي السُّحَابِ، وَتَارَةً  
 فِي الْقَاعِ يُوشِكُ جَرْنُهَا أَنْ يَتَوَارَى  
 حَتَّى نَشَأَ مِنْ ثَغْرِ تَوْنُوسٍ لَيْسَ  
 جَمْعُ الْأُمَى لَمْ يَعْرِفُوا مَا صَارَا  
 نَفَرٌ مِنَ الرُّوسِ الَّذِينَ سَمِعَتْ عَنْ  
 أَعْمَالِهِمْ فَيَمَّا مَضَى الْأَخْبَارَا  
 مِنْ كُلِّ مَفْغُورٍ إِذَا زَارَ الْوَعَى  
 زَارَ الْجُمْهُامُ الْفَارَسَ الْمَفْغُورَا  
 مَا كَانَ غَيْرُ الْفَارِياجِ<sup>(١)</sup> لَدِيهِمْ  
 وَسَفِينَةُ أُخْرَى أَخْفُ بَثَارَا

١- حبس  
 ٢- قد بدى  
 ٣- حسم  
 ٤- سمع  
 ٥- سمارة

قال العدو لهم وقد داناها  
 وكفى بما وافى به إنذارا  
 إما القتال فتلقون بمن مضوا  
 أو تحسنون فتؤخذون أسارى  
 كان الجواب قذافاً نارياً  
 تهوى الورود وتكره الإصدا  
 مثل الرجوم إذا هوت لكنها  
 لا تعرف الأخيـار والأشـرار  
 وأقلها خطباً - فكيف أشدها -  
 لو نالت الجبل الأشم أنهارا  
 حقت بهم سفن العدو وأصدقت  
 حتى لكدت إخالها أسوارا  
 ما بين بارجية وطراد إلى  
 نسافة والكل يقذف نارا  
 ملأ الفضاء دخانها، وذكاء احـ  
 تجبت وما برح النهار نهارا  
 والجو أظلم واكف فـهر أديمه  
 حتى كأن على السماء ستارا  
 والبحر خضب بالدماء وأصبحت  
 أمواجه، وهي اللجين، نضارا  
 ذا والقنابل لم تزل منهلة  
 منها تحاكي الصيـب المـدرا  
 والمركبان « الفاريان » وأخـثها  
 في هبوة<sup>(١)</sup> لا يعرفان قرارا

(١) هبوة وهي العاصف أو الهبوب من جهته (الدار)

إِحْدَاهُمَا ظَفِرَتْ بِهَا مَقْدُوفَةٌ  
فَكَانَ صَاعِقَةً أَصَابَتْ دَارَا  
فَهَوَتْ بِمَنْ فِيهَا وَقَدْ فَتَحَتْ لَهَا  
الْأَمْوَاجُ صَدْرًا يَكْتُمُ الْأَسْرَارَا  
هَبَطَتْ وَزَادَ هَبْوَ طُهَا الْمُتَقَاتِلِي  
نَ عَلَى مَدَاوِمَةِ الْوَعْيِ إِصْرَارَا  
لَكِنَّمَا الْآخَرَى أَصِيبَتْ بِالْأَذَى  
حَتَّى غَدَتْ لَا تَمْلِكُ التَّسْيَارَا  
فَرَأَى الْفَتَى رُبَانُهَا أَنْ يَفْتَدِيَ الْـ  
جَنْدَ الْكِرَامِ مِنَ الْمَمَاتِ فِرَارَا  
قَدْ قَرَّ بَعْضُهُمْ وَلَكِنْ جُلُّهُمْ  
طَلَبُوا الْفِرَارَ مِنَ الْفِرَارِ خَيَارَا  
أَوْدَوْا بِهَا نَسْفًا وَمَاتُوا عِنْدَهَا  
غَرَقًا وَيَأْبَى الْبِاسِلُونَ الْعَارَا  
هَذَا حِكَايَتُهُمْ أَسْطَرُّهَا لَكُمْ  
لَا دَرَاهِمًا أَبْغِي وَلَا دِينَارَا  
فَلَنْ أَفَادَتَكُمْ فَخِيرٌ جَاءَ مِنْ  
شَرٍّ وَإِلَّا فَلَتَكُنْ تَذَكُّارَا

\*\*\*\*\*



## ١٨ - رسم سياسي

(في وصف رسم سياسي رآه في «جريدة النيل» الأسبوعية القاهرية)

[البسيط]

رسمٌ تعلّم منه ناظري الولعِ  
كأن طرفي قلبي فيه قد وُضعا  
يُمثّلُ «البيض» حولَ «الصين» قد وقفوا  
وذلك «الدب» في «منشوريا» رتعا  
مشى به نحوها في نفسه أملٌ  
وراح يمشي إلى ما بعدها جشعا  
كالنار تاكل أكلاً ما يصادفها  
والسيلُ يجرفُ ما يلقاه مُندفعا  
فقام (بالصُفْر) داع من حليفَتهم  
مليكة الهند، أن هبوا فقد طمعا  
قالت: أحذركم من أن يُخادِعْكم  
فطالما خُدعَ الإنسانُ فانخدعا  
إني محضتُكم نصيحَ الصديق عسى  
خيراً يُفيدكم فالنصحُ كم نفعاً  
وغيرُ منتفعٍ بالنصحِ غيرُ فتى  
إذا تحدّثَ ذوعقلٍ صفاً<sup>(١)</sup> ووعى  
سارت إليهم فتاةً وانتثنت رجلاً  
وما رأى أحدٌ هذا ولا سمعا

(١) مال ( صفا - يصفو ).

حتى إذا ما رأَتْ «منشوريا» اختنقتُ  
بالقوم ضيقاً وخرقَ الشرِّ مُتْسِعاً  
كادت تطيرُ سروراً بالنجاح وقد  
كادت على الهند تقضي قبل ذا جَزَعاً  
نُبِّئتُ أنْ الوغى في الصين دائرةٌ  
فَمَا لها صادفتُ في النيلِ مُرتَبِعاً؟

\*\*\*\*\*

## ١٩. الكرنفال

[المنسرح]

أَمَسْتُ ثِيَابِي وَكُلُّهَا خِرْقُ  
تُشْبِهُ رَوْضاً أَلْوَانُهُ فِرْقُ  
مَنْ أَزْرَقَ كَالسَّمَاءِ جَاوِرُهُ  
أَحْمَرُ قَانٍ كَأَنَّهُ الشُّفْقُ  
وَأَبْيَضُ نَاصِعٍ وَأَسْوَدُ فَا  
حَمٍ فِذَاكَ الضُّحَى وَذَا الْغَسَقُ  
كَأَنَّ قَوْسَ السَّحَابِ بَاتَ عَلَى  
جَسَمِي رِداءً وَمَا أَنَا إِلَّا أَفْقُ  
بُرْدٌ عَجِيبٌ قَدْ خَاطَهُ لَبِقُ  
فَلَيْسَ بِدَعَاءٍ لَهُ أَنْ حَازَهُ لَبِقُ  
لَمَّا تَنَكَّرْتُ لَمْ يَعُدْ صُحْبِي  
يَدْرُونَ أَنِّي الصَّدِيقُ إِنْ رَمَقُوا  
لِذَاكَ لَمْ يُشْفِقُوا عَلَى جَسَدِي  
مَنْ الرُّمَايَا<sup>(١)</sup> وَلَوْ دَرَوْا شَفِيقُوا  
مَرَرْتُ بِالْحَانَقِينَ فَابْتَسَمُوا  
لَمَّا رَأَوْنِي وَكُلُّهُمْ قَلِقُ  
لَوْ عَلِمُوا أَنَّنِي عَدُوَّهُمْ  
أَوْشَكَ يَقْضِي عَلَيْهِمُ الْفِرْقُ<sup>(٢)</sup>

(١) من البنود والورق، كما يقول بعد. كأنما مفردهما: رَمِيَّة.

(٢) الخوف.

أَرْخَى الدَجَى ذَيْلَهُ وَرُحْتُ أَجْرُ  
رُ الذَيْلِ عُجْباً وَغَيْرِي النَّزِقِ  
وَالْجَمْعُ حَوْلِي يَضِجُ مِبْتَهِجاً  
كَأَنَّهُ السَّيْلُ حِينَ يَنْدَفِقُ  
تَالِبُوا كَالْغَمَامِ وَاتَّصَلُوا  
بَعْضُ بَبْعُ كَأَنَّهُمْ حَلَقُ  
وَانْتَثَرُوا وَالدُّرُوبُ وَاسْعَةٌ  
كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ حِينَ تَنْبَثِقُ  
أَطْلَقْتُ نَفْسِي مِنَ الْقَيُودِ إِلَى  
أَنْ صِرْتُ كَالسَّهْمِ حِينَ يَنْطَلِقُ  
وَيْتُ الْقَوْمِ كُلَّمَا اجْتَمَعُوا  
رَمَيْتُهُمْ (بِالْبَذْرِ) فَافْتَرَقُوا  
أَسْخَرُ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ سَخِرُوا  
مَنِّي، اخْتَلَفْنَا وَنَحْنُ نَتَّفَقُ  
وَالْحَرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَشْرَبَتْ  
حَرْبٌ وَلَكِنْ سِيَّاهَا الْوَرَقُ  
فَلَا رِمَاحَ هُنَاكَ مُشْرِعَةً  
وَلَا سِيَّوْفَ هُنَاكَ تُمْتَشِقُ  
لَمْ أَخْشَ غَيْرَ الْحَسَنِ نَازِرَةً  
أَشَدُّ فَعَالاً مِنَ الظُّبَى الْحَادِقِ  
هَذَا هُوَ الْكَرْنَفَالُ فَاسْتَبِقُوا  
إِلَيْهِ فَهُوَ السَّرُورُ يُخْتَلَقُ

\*\*\*\*\*

## ٢٠. أنا .. وهي

[مؤيد]

حسنتُ لبيبا واشترطتُ به يعدو  
إلى حيث لا وافر هناك ولا صعد  
قد انتظمتُ هي القصرات في الترى  
كان الترى حيداً وتشر له عفت  
ننى هي عفت من عفتوا إلا ترى  
على الأرض سلاك تدور فتتمتع  
يسير فيصوي الأرض هي كأنما  
بوايينه يد كسر الترى نرى  
فكأن طوره الآن زيار تاست  
وكسارريح الآن هاتين لا تمعدو  
توهمت من سرعة اسير راكدا  
ون الآن فيمن على ظهرها تعبد  
تجود عليه المركبات كأنه  
مليء وتشر المركبات له حيد  
تقصر عنه اريح أنك تسبقنا  
تكيف تحاربه المضطربة الخرد  
على به في كفا عسر رمشة  
فيا من رى منك يصرفه عبدا  
كاسي به به صاح را صيافة  
يعادد وفقد ويقصده وفقد

١ كل فرد حيد يعدو في سببه

٢ ريد حيد، حيد من سببه، لحد المقصود

خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَى بِهِ رُغْمَ عَاذِلِي  
 وَلَمْ يَكْ غَيْرَ الْقُرْبِ لِي وَلَهَا قَصْدُ  
 فَسَارَ بِنَا فِي الْأَرْضِ وَخُذًا<sup>(١)</sup> كَأَنَّمَا  
 ذَرَى أَنَّ مَا نَبَغِيهِ مِنْهُ هُوَ الْوَحْدُ  
 فَمَا رَاعَنِي وَاللَّهِ إِلَّا وَقُوفُهُ  
 فَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَفَاجِئَنَا وَغَدُ  
 وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ سَيْرِهِ وَإِذَا بِنَا  
 عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّذِي مَا لَهُ حَدٌ  
 هُنَاكَ وَقَفْنَا وَالشَّفَاءُ صَوَامَتُ  
 كَأَن بِنَا عِيَا<sup>(٢)</sup> وَلَيْسَ بِنَا وَجُدُ  
 سَكَنُنَا وَلَكِنْ الْعَيُورُ نَوَاطِقُ  
 أَرَقُ حَدِيثِ مَا الْعَيُورُ بِهِ تَشْدُو  
 سَكَرْنَا وَلَا خُمُرٌ وَلَكِنَّهُ الْهَوَى  
 إِذَا اشْتَدَّ فِي قَلْبِ امْرِئٍ صَفْقُ الرُّشْدِ  
 فَقَالَتْ، وَفِي أَجْفَانِهَا الدَّمْعُ جَائِلٌ  
 وَقَدْ عَادَ مَصْفَرًّا عَلَى خَدَّهَا الْوَرْدُ:  
 أَلَا حَبِّذَا يَا صَاحِبِي الْمَوْتُ هَهْنَا  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْ نَذُوقَ الرَّدَى بُدً  
 فَيَا لَكَ مِنْ فِكْرٍ مُخْضِفٍ وَهَائِلٍ  
 وَيَا لَكَ مِنْ مَرَأَى يَرَقُّ لَهُ الصُّلْدُ<sup>(٣)</sup>  
 فَقُلْتُ لَهَا: إِنِّي مُحِبٌّ لِكُلِّ مَا  
 تُحِبِّينَ، إِنْ السَّمُّ مِنْكَ هُوَ الشُّهُدُ

(١) نوع من السير  
 (٢) عدم القدرة على الكلام  
 (٣) المحر

فَقَالَتْ: أَمِنْ أَجْلِي تَحْنُ إِلَى الرَّدَى  
دَعِ الْهَزْلَ، إِنَّ الْمَرْءَ حَلِيئُهُ الْجِدُّ  
فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ كُنْتُ فِي الْخُلْدِ رَاتِعاً  
وَلَسْتُ مَعِيَ، وَاللَّهِ مَا سَرَّنِي الْخُلْدُ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَهْدٌ إِلَيْكَ يَضْمُنِي  
فِيَا حَبَّذا يَا «هَنْد» لَوْ ضَمَّنَا لِحْدًا!  
فَقَالَتْ: لَعَمْرُ الْحَقِّ إِنَّكَ صَادِقٌ  
فَسَدُمْتُ عَلَى وَدٍّ وَدَامَ لَكَ الْوُدُّ  
فَلَوْلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَعْشَقُ حُسْنَهَا  
لَهَمْتُ بِهَا، وَاللَّهُ حَسْبِي مِنْ بَعْدُ!

\*\*\*\*\*



## ٢١ - طفلة والقمر

[الرمل]

دمية حسناء تُغري النُّظرا  
أم ملاك طاهر فوق الثُّرى  
طفلة ساذجة أظهر من  
زهرة الرُّوض وأنقى جـوهرا  
شَرُفَتْ أصلاً، وطابت عُصُورا  
وارتقت نفْساً، وراقت منظرا  
حملت قلباً أبى أن يحمل الـ  
حقد أو يكتم حسّاً كدُرا  
تجهل الشر، ولا تُحسن أن  
تخدع الغَير، ولا أن تغدُرا  
لا تبالي ببينات الدهر إن  
أقبل الدهرُ بها أو أدبرا  
يعظمُ الكون لدينا جرْمُهُ  
وتراه عندها قد صَغُرا  
إنما الدنيا لديها كلُّها  
أبواها وهمها كلُّ الورى  
جُودُرٌ لكنهنها أنسُهُ  
لم يرغها ما يروغ الجُودُرا<sup>(١)</sup>

(١) ولد البقرة الوحشية وعيناه جميلتان.



سُرِقَ التَّفَاحُ مِنْ وَجَنَتِهَا  
وَاسْتَعَارَ الظُّبْيُ مِنْهَا الْخَوْرَا  
ذَاتُ شَعَرٍ زَهَبِيٍّ لَوْنُهُ  
قَدْ حَكَى نَوْرَ الضُّحَى مُنْتَشِرَا  
وَعَيُونَِ بِالنُّهَى عَابِثَةً  
جَذَبَ الْغُنْجُ إِلَيْهَا الْخَفْرَا  
شَغِفْتُ بِالْبَدْرِ حُبًّا فَهِيَ لَا  
تَعْرِفُ الْغُمُضَ إِلَى أَنْ يُسْفِرَا  
وَقِفْتُ تَرْقُبُهُ فِي لَيْلَةٍ  
مِثْلَ حَظِّ الْأَدْبَاءِ الشُّعْرَا  
تَكْتُمُ الظُّلُمَاءُ مِنْ لَأَلَّتْهَا  
أَيُّ بَدْرِ فِي الظَّلَامِ اسْتَتَرَا  
أَرْسَلْتُ نَحْوَ الدَّرَارِي لِفَتْةٍ  
أَذْكَرْتُ تِلْكَ الدَّرَارِي الْقَمْرَا  
وَإِذَا بِالْبَدْرِ قَدْ مَزَّقَ عَنْ  
وَجْهِهِ بَرْقَعَةً ثُمَّ انْبَرَى  
فَأَضَاءَ الْجَوَّ وَالْأَرْضَ مَعَا  
نَوْرُهُ الْفَضِي لِمَا ظَهَرَا  
فَرَنْتُ عَنْ فَاتِرٍ وَابْتَسَمْتُ  
عَنْ نَظِيمٍ قَدْ أَكَنَّ الدُّرَا  
ثُمَّ قَالَتْ: يَا حَبِيبِي مَرْحَبًا  
لَا رَأَى الطَّرْفُ إِلَّا نَيَّـرَا  
قَفَّ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا فَعَسَى  
نَوْرُكَ الْبَاهِرُ يَجْلُو الْبَاحِرَا

إن تغيب فالصبحُ عندي كالُدجى  
والدجى إن جئت بالصبحِ ازدرى  
لم تُحبِّ السَّيْرَ ليلاً فإِذا  
ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ عَانَقَتِ الكرى؟  
أَتَخَافُ الشَّمْسَ أم أنت كذا  
تعشَقُ الليلَ وتهوى السَّهْراً؟  
ثم نَاجَتْ نَفْسَهَا قَائِلَةً  
أَتُرَى أَبْلُغُ مِنْهُ وَطْراً  
ليت لي أَجْنَحَةٌ بل لِيَسْتَنِي  
نَجْمَةٌ أَتَبْعُهُ أَتَى سَرَى  
وَهُمِ الْبَعْضُ فَقَالُوا دَرَهْمُ  
مَا أَرَى الدَّرَهْمَ إِلَّا حَجَراً  
ولقد أَضْحَكَنِي زَعَمُهُمْ:  
إِنَّهُ يُشَبِّهُهُ فِي الْحَجْمِ الثُّرَى  
زَعَمُوا مَا زَعَمُوا لَكِنَّمَا  
هُوَ عِنْدِي لَعِبَةٌ لَا تُشْتَرَى!

\*\*\*\*\*

## ٢٢ - فنون الوصف

[الطويل]

كأنني في روضٍ أرى الماءَ جارياً  
أمامي وفوقي الغيمُ يَجْهَدُ بالنُّشْرِ  
توهَّمْتُه همّاً فقلت له: انجلِ  
فإنَّ همومي ضاقَ عن وصفِها صدري  
بربك سرُّ حيثُ الخَلْيُ فإنني  
فتى لا أرى غيرَ المصائبِ في دهري  
فأقشعُ حتى لم أشكُ بأنه  
أصاخَ إلى قولي، وما شكُّ في أمري  
رعى الله ذِيَّكَ الغمامَ الذي رعى  
عهودي، وأولاني الجميلَ، ولم يدرِ  
تظَلَّلْتُ بالأشجارِ عندَ اختفائه  
ويا ربُّ طُلُّ كان أجملَ من قَطْرِ  
جلستُ أبثَّ الزهرَ سرّاً كتمُّته  
عن الناسِ حتى صرتُ أخفى من السرِّ  
ولمَّا شكوت الوجْدَ، وجُدِي، تمايلتُ  
كأن الذي أشكوه ضربٌ من الخمرِ  
وأدهشَهَا صبري، فأدهشني الهوى،  
دُهشتُ لأنَّ الزهرَ أدهشَهَا صبري  
ولمَّا درتُ أني محبٌ متيِّمٌ  
بكتُ وبكاني كلُّ ضاحكٍ مُفْتَرٍ

عجبتُ لها تبكي لما بي ولم يكن  
 عجيباً على مثلي البكاء من الصخر  
 كأنني بدرُ والزهورُ كـواكبُ  
 وذا الروضُ أفقُ ضياءٍ بالبدرِ والزهر  
 كأنني وقد أطلقتُ نفسي من العنا  
 ملكٌ لي الأغصانُ كالعسكرِ المَجْرُ (١)  
 فما أسعدَ الإنسانَ في ساعةِ المُنَى!  
 وما أجملَ الأحلامَ في أوّلِ العُمْرِ!  
 وهاتفه قد أقلقَتنِي بنوحِها  
 فكنتُ كمخمورٍ أفاقَ من السكرِ  
 تُرى رُوِّعتُ مثلي من الدهرِ بالفِرا  
 قٍ أمْ بُدِّلتُ مثلي من اليُسْرِ بالعُسْرِ؟  
 بكيتُ ولو لم أبكِ مما بكّتْ له  
 بكيتُ لما بي من سَقَامٍ ومن ضُرِّ  
 ونهرٍ إذا والى التَّجْعُدَ ماؤُه  
 ذَكَرْتُ الأفاعي إذ تلوَّى على الجمرِ  
 تحيطُ به الأشجارُ من كلِّ جانبٍ  
 كما دارَ حولَ الجيدِ عِقْدُ من الدُّرِّ  
 وقد رفعتُ أغصانُها في أديمه  
 كتاباً من الأوراقِ سطرأً على سطرِ  
 كأن دنانيراً تساقطُ فوقَه  
 وليس دنانيرُ سوى الورقِ النُّضْرِ  
 كأنني به المرأةُ عند صفائها  
 تُمَثِّلُ ما يدنو إليها ولا تدري

(١) الكفيف أو الكثير.

فما كان أدري الغصن بالنظم والنثر  
 وما كان أدري الماء «بالطي والنثر»<sup>(١)</sup>  
 ذر المدح والتشبيب بالخمير والمها  
 فاني رأيت الوصف أليق بالشعر  
 وما كان نظم الشعر دأبي وإنما ..  
 دعاني إليه الحب، والحب ذو أمر  
 ولي قلم كالرمح يهترز في يدي  
 إلى الخير يسعى، والرمح إلى الشر  
 وتفئك هاتيك الأسنة في الحشا  
 ويحيا الحشا إن راح يفتك بالحبر  
 إذا ما شدا في الطرس أذهب شدوه  
 هموم ذوي الشكوى، ووقر ذوي الوقر<sup>(٢)</sup>  
 تبختر فوق الطرس يسحب ذيله  
 فقالوا: به كبر، فقلت عن الكبر  
 لكل من الدنيا حبيب وذا الذي  
 أشد به أزري، ويعلو به قدري  
 ويبقى به ذكرى إذا غالني الردى  
 وحسب الفتى ذكرا يدوم إلى الحشر

\*\*\*\*\*

(١) من مصطلح العروض.

(٢) الوقر: الحمل والوزن. والوقر: الثقل في الأذن.

## ٢٣. قصيدة الطبيعة

[مخلع البسيط]

روضٌ إذا زرتُهُ كـئيباً  
نفْسٌ عن قلبك الكُروباً  
يُعِيدُ قلبَ الخالي مفرى  
ويُنسي العاشقَ الحبيباً  
إذا بكاهُ الغمُّ شقَّتْ  
من الأسى زهره الجُيوباً  
تلقى لديه الصُّفا ضروباً  
ولستَ تلقى له ضارباً<sup>(١)</sup>  
وشَّاهُ قَطْرُ الندى فأضحى  
رداؤه مُعلماً قشرباً  
فَمِنْ غصونٍ تَمِيسُ تيهاً  
ومن زهورٍ تَضُوعُ طيباً  
ومن طيورٍ إذا تَغَنَّتْ  
عناد المعنى بهاً طروباً  
ونرجسٍ كالرقيب يرنو  
وليس ما يقتضي رقيباً  
وأقْحَ حـوانٍ يُريك دُرّاً  
وجلنارٍ حكى اللهيباً  
وجـدولٍ لا يزال يجـري  
كأنه يقتضي ... مُريباً

(١) مثيل

تسمعُ طوراً له خَـريراً  
وتارة في الثرى دبيباً  
إذا ترامى على جـديبٍ  
أمسى به مَرَبَعاً خَصيباً  
أو يتجنى على خَصيبٍ  
أعادة قاحلاً جديباً  
صحّ فلو جـاءه عليلٌ  
لم يأت بعدُ منه طبيباً  
وكلُّ مَـعْنَى به جـمـيلٌ  
يُعلِّمُ الشاعِرَ النُّسِيباً  
أرضٌ إذا زارها غـريبٌ  
أصبح عن أرضيه غريباً

\*\*\*\*\*



## ٢٤. سقوط بورت آرثور<sup>(١)</sup>

[الخفيف]

مَنْ أُسُوْدُ تَسْرِبِلَتْ بِالْحَدِيْدِ ؟  
وَمَنْ الْجَنْ فِي رِءَاءِ الْجَنُوْدِ ؟  
يَنْشُدُوْنَ الْوَعْيَ وَمَا يَنْشُدُ الْـ  
حَسَنَاءَ غَيْرُ الْمَتِيْمِ الْمُعْمُوْدِ  
كُلُّ قَرْمٍ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ دَرْعٌ مِنَ الصَّبِّ  
رِوْدَرْعٌ مَسْرُوْدَةٌ مِنْ حَدِيْدِ  
تَحْتَهُ أَجْرَدُ أَشَدَّ حَنِينًا  
وَاشْتِيَاقًا إِلَى الْوَعْيِ مِنْ نَجِيْدِ  
سَابِغٍ عِنْدَهُ الْعَسِيْرُ يَسِيْرُ  
وَالْقَصِيُّ الْقَصِيُّ غَيْرُ بَعِيْدِ  
لَوْ صَبَا لِلنَّجُوْمِ مِنْ قَدْ عَلاهُ  
أَصْبَحَ الْجَوُّ تَحْتَهُ كَالصُّعِيْدِ  
تَحْسَبُ الْأَرْضَ قَدْ جَرَتْ حِيْنَ يَجْرِي  
وَتَرَاهُ كَمَا أَتَتْهُ فِي رَكُوْدِ  
إِنَّمَا يَرْكَبُ الْجَوَّادَ ... جَوَّادُ  
وَيَصُوْنُ الذَّمَّارَ غَيْرُ بَلِيْدِ  
وَحَمِيْسٍ<sup>(٣)</sup> يَحْكِي النُّجُوْمَ اِنْتِظَامًا  
عَجَبًا مِنْ كَوَاكِبٍ فِي بَيْدِ

(١) Port Arthur ميناء في شمالي الصين (منشوريا) احتله الروس ١٨٩٨، خلال الحرب اليابانية الروسية، فحاصر اليابانيون الأسطول الروسي واضطروا الروس إلى الجلاء، في النهاية، عن منشوريا، سنة ١٩٠٥

(٢) شجاع.

(٣) جيش.



أوقع الرُّعبَ في قلوب الضُّواري  
فاسْتَكَّانَتْ كأنَّها في قيود  
أصبحت تهجرُ المياه وكانت  
لا ترى الماءَ غيرَ ماءِ الورود  
خافَقَاتِ أعلامُهُ، أرايتمْ  
كقلوبِ العشَّاقِ عند الصُّدود؟  
قادةُ ذلك الغَضَنَفَرِ «توجي»<sup>(١)</sup>  
ويناطُ الحَسَامُ بالصَّنديد ..  
رجلٌ دونَهُ الرجالُ مقاماً  
مُشَبَّهٌ في الأنامِ بيتَ القصيد  
كلُّ سيفٍ في غيرِ قبضةٍ «توجي»  
فهو عند السيوفِ غيرُ حديد  
يا يَراعِي سَلَّ «بورت آرثر» عنه  
إنَّ تلك الحصونَ خيرُ شهود  
معقلٌ أصبحت جحافلُ «هيتو»<sup>(٢)</sup>  
حولَه كالْعُقودِ حولَ الجيد  
هجموا هجمةَ الضراغمِ لمَّا  
حسِبُوها فريسةً للأسُود  
وتعالى الضُّجيجُ للأفقِ حتَّى  
كاد ذاك الضُّجيجُ بالأفقِ يُودي  
وتوالى هجومُهمْ، والمنايا  
ضاحكاتُ، فيا لها من هَيود!  
كَمْ جريحٍ مُضَرَّجٍ بدماءٍ  
وقتلٍ على الثُّرى ممدود

(١) قائد ياباني

(٢) امبراطور اليابان

وأسِير إلى أسير يُساقو  
 نَ تباعاً إلى الشُّقاء العتيد  
 أمطرتهم مدافعُ الروسِ ناراً  
 أصبَحوا بعدها بغيرِ جُلود  
 دامتِ الحربُ أشهراً كلِّما قيّد  
 لَ خَبَتَ نارُها ذَكَتْ من جديد  
 والمنايا تحومُ حولَ السُّرايا  
 حومةُ العاشقين حولَ الغيد  
 حيثُ حظُّ المِقْدَامِ مثلُ سِوَاهُ  
 وكَحَظِّ الكَبِيرِ حظُّ الوليد  
 صَبَرَ الروسُ صَبْرَ أيوبَ للبَلِّ  
 حوى على ذلك العدوَّ العنيد  
 غيّرَ أنْ الأيامُ طالتْ وسَقَو  
 سل<sup>(١)</sup> يُمني أجفانه بالهُجود  
 فتَولاهمُ القنوطُ من النُّصْد  
 برِفرِدُوا أسياقَهُمُ للغُمود  
 كانَ هذا للصُّفْرِ عيداً وعند الرِّ  
 روسِ ضرباً من الليالي السُّود  
 قلعةُ صانها الزمانُ فلولا  
 كَيْدُ «توجي» لبُشَّرتْ بالخلود

\*\*\*\*\*

(١) قائد روسي

## ٢٥. بلا قلب

[الطويل]

وقائلة: ماذا لقيت من الحب  
فقلت: الردى والخوف في البعد والقرب  
فقلت: عهدت الحب يكسب ربه  
شمائل غراً لا تُنال بلا حب  
فقلت لها: قد كان حباً فزاده  
نفور المها «راء» فأمسيت في حرب  
وقد كان لي قلب وكنت بلا هوئى  
فلما عرفت الحب صيرت بلا قلب

\*\*\*\*\*

## ٢٦ - لقاء وفراق

[البسيط]

صبراً على هجرها إن كان يُرضيها  
غير المليحة مملولٌ تجنيها  
فالوصلُ أجملُ ما كان بعد نوى  
والشمسُ بعد الدُجى أشهى لرائيها  
أسلمتُ للسُّهد طرقي والضنى بدني  
إن الصبابة لا يرجى تلافيها  
إن النساء إذا أمرضن نفس فتى  
فليس غيرُ تدانيهن يشفيها  
فاحذروا من الحب إن الريح ما خفيتُ  
لولا غرامٌ عظيمٌ مُخْتَفٍ فيها  
يمضي الصُّفاء ويبقى بعده أثرُ  
في النفس يؤلها طوراً ويُشجيها  
مرّت ليالٍ بنا ما كان أجملها!  
تمت، فما شأنها إلا تلاشيها  
تلك الليالي لا أرجو تذكُّرها  
خوفَ العناء، ولا أخشى تناسيها  
أصبو إليها، وأصبو كلما ذكّرتُ  
عندي اشتياقاً إلى مصرٍ وأهلها  
أرضُ سماءٍ سواها دونها شرفاً  
فلا سماءٌ ولا أرضٌ تحاكيها

رَقَّتْ حَوَاشِيُّهَا وَاخْضُرَّ جَانِبُهَا  
 وَأَجْمَلُ الْأَرْضِ مَا رَقَّتْ حَوَاشِيُّهَا  
 كَأَنَّ أَهْرَامَهَا الْأَطْوَادُ بِإِذْخَةٍ  
 هَذِي إِلَى جَنْبِهَا الْأُخْرَى تُسَامِيهَا  
 كَأَنَّهَا كَعْبَةٌ حُجَّ الْأَنَامُ لَهَا  
 لَوْلَا التَّقَى قَلَّتْ فِيهَا: جَلَّ بَانِيهَا  
 وَنِيلُهَا الْعَذْبُ مَا أَحْلَى مَنَازِرَهُ  
 وَالشَّمْسُ تَكْسُوهُ تَبَرًّا فِي تَوَارِيهَا  
 وَمَا أَحْيَى الْجَوَارِي<sup>(١)</sup> الْمَاخِرَاتِ بِهِ  
 تُقَلُّ مِنْ أَرْضِهِ أَحْلَى جَوَارِيهَا  
 مِنْ كُلِّ رُعْبُوبَةٍ<sup>(٢)</sup> عَبْلٌ<sup>(٣)</sup> رَوَادِفُهَا  
 تَأْتِي الْقَعُودَ فَتَأْتِي أَنْ تَجَارِيهَا  
 ضَحُوكَةُ الْوَجْهِ يُغْرِينَا تَبَسُّمُهَا  
 إِنْ نَجْتَدِيهَا وَيَتَنِينَا تَقْنِيهَا  
 وَنَاهِدِ حُجَبَتْ عَنْ كُلِّ ذِي بَصَرٍ  
 حُشَّاشَتِي خِدْرُهَا وَالْقَلْبُ نَادِيهَا  
 فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهَا لَهَا أَثَرُ  
 «وَالدَّارُ... صَاحِبُهَا أَدْرِي بِمَا فِيهَا»  
 وَفِي الْكَوَاكِبِ جِزْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهَا  
 وَفِي الْجَائِزِ<sup>(٤)</sup> جِزْءٌ مِنْ مَعَانِيهَا  
 إِنْ عَنَّفُونِي فَإِنِّي لَا أَعْنَفُهَا  
 وَإِنْ أَسَمَّ فَإِنِّي لَا أَسْمِيهَا

(١) المراكب.

(٢) البيضاء الناعمة.

(٣) ممثلة.

(٤) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، عيناه جميلتان.

يَمُتُّهَا وَنَجُومُ الْأَفْقِ تَلَحُّظُنِي  
فِي السَّيْرِ شَزْزاً كَأَنِّي مِنْ أَعَادِيهَا  
كَادَتْ تَسَاقُطُ غَيِظًا عِنْدَمَا عَلِمْتُ  
أَنِّي أَوْمُ الْتِي بِالنَّفْسِ أَفْـدِيهَا  
أَسْرِي إِلَيْهَا وَجَنَحُ اللَّيْلِ مُضْطَرِبٌ  
كَأَنَّهُ مَشْفِقٌ إِلَّا الْأَقْيَمُهَا  
وَالشَّوْقُ يَدْفَعُنِي، وَالْخَوْفُ يَدْفَعُنِي  
هَذَا إِلَيْهَا، وَهَذَا عَنْ مِغَانِيهَا  
أَطْوِي الدِّيَاجِي وَتَطْوِينِي عَلَى جَزَعٍ  
تَخْشَى افْتِضَاحِي وَأَخْشَى الصَّبْحَ يَطْوِيهَا  
فَمَا بَلَغْتُ مِغَانِي مَنْ شَغِفْتُ بِهَا  
إِلَّا وَقَدْ بَلَغْتُ نَفْسِي تَرَاقِيَهَا<sup>(١)</sup>  
هَنَّاكَ أَلْقَيْتُ رَحْلِي وَانْتَحَيْتُ إِلَى  
خَوْدِ<sup>(٢)</sup> يَرَى الدُّمِيَّةَ الْحَسَنَاءَ رَائِيهَا  
بَيْضُ تَرَائِبُهَا<sup>(٣)</sup>، سَوْدُ نَوَائِبُهَا  
رُجْ<sup>(٤)</sup> حَوَاجِبُهَا كَحُلِّ مَاقِيهَا  
نَهْوُهَا مِنْ ثَنَائِ الثُّوبِ بَارِزَةً  
كَأَنَّهَا تَشْتَكِي مِمَّا يَوَارِيهَا  
وَالثُّوبُ قَدْ ضَاقَ عَنْ إِخْفَائِهَا فَنَبَا  
عَنْهَا، فَيَا لَيْتَنِي بُرْدٌ لِأَحْمِيهَا  
وَتَحْتَ ذَلِكَ خَاصِرٌ يَسْتَقِلُّ بِهِ  
دِعْصُ<sup>(٥)</sup> تَرْجُرَجُ حَتَّى كَادَ يَلْقِيهَا

(١) الترقوة: العظم الواصل بين ثغرة النحر والعاتق. وجمعها التراقي.

(٢) الشابة الحسناء.

(٣) الترائب موضع القلادة من الصدر (المفرد: تريبة).

(٤) زججت المرأة حواجبها: دققتها وطوأتها.

(٥) الرمل.

قامت تُصافحُني والرِّدفُ يمنُّها  
 والوجدُ يدفعُها والقَدُّ يثنيها  
 دُهِشتُ حتَّى كَأَنِّي قَطُّ لَمْ أَرها  
 وكَدْتُ واللَّهِ أَنسى أَن أُحْيِيها  
 باتتُ تكلِّمُني منها.. لَو اِحْظُها  
 بما تَكُنْ وأجفاني تُناجِيها  
 حتَّى بدا الفجرُ واعتَلَّتْ نِساءُها  
 وكاد ينشُرُ أسرارِي ويفشيها  
 بكتُ دموعاً وأبكتني الدموعُ دماً  
 ورحتُ أَكثُمُ أَشياءَ وتبديها  
 كأنها شعرتُ في بُعْدنا أبداً  
 فأكثرُتُ من وداعي عند وادِيها  
 فما تَعَزَّتْ بَأَن الدَهرَ يجمَعُنا  
 يوماً، ولا فرحتُ أَني أُمْنِيها  
 تقوُّلُ والدمعُ مِثْلُ الطلِّ منتَثِرُ  
 على خدودٍ خَشِيتُ الدمعُ يُدْمِيها:  
 وَاهْهَفَ نَفْسِي على أَنسٍ بلا كِدرٍ  
 تُرى نِزالُ مِنَ الدُنيا أمانِيها؟  
 فقلتُ: صَبِراً على كِيدِ الزمانِ لَنا  
 فكلُّ حَافِرٍ بِئسَ واقِعٌ فِيها

\*\*\*\*\*



## ٢٧. بنت الزرقدين<sup>(١)</sup>

[الطويل]

أزورُ فَتَقْصِينِ<sup>(٢)</sup> وأناى فَتَقْتَبُ  
وأوهَمُ أنى مَذْنَبُ حِينَ تَغْضَبُ  
وأرجو التَّلَاقى كَلَمَّا بَخِلْتِ بِهِ  
كَذَلِكَ يُرْجَى الْبَرْقُ وَالْبَرْقُ خُلْبُ  
وأعجبُ من لَاحِ<sup>(٣)</sup> يُطِيلُ مَلامَتى  
وَيَعْجَبُ مِنى عَازِلِى حِينَ أَعْجَبُ  
هوالبخلُ طَبْعُ فى الرِّجالِ مُذَمَّمُ  
ولكنه فى الغَيدِ شىءٌ مُحَبَّبُ  
كَلِفْتُ بِها بِيضاءَ سَكْرَى من الصَّبَا  
وما شَرِبْتُ خَمِراً ولا هِىَ تَشْرَبُ  
لِها الدُّرُّ ثَغَرٌ وَاللَّجِينُ تَرائِبُ<sup>(٤)</sup>  
وشمِسُ الضَّحَى أُمٌّ وَبَدْرُ الدُّجَى أَبُ  
خَلِيلِى أُمًّا خَدُّها فَمُورِدُ  
حِياءَ وَأُمًّا ثَغَرُها فَهُوَ أَشْنَبُ<sup>(٥)</sup>  
لئن فَرَّقْتَ بَينَ الغَوانى جِمالِها  
لدام لَها ما يَجْعَلُ الغَيدَ تَغْضَبُ

(١) الليل والنهار.

(٢) قصا يقصو: بعد.

(٣) لآتم.

(٤) موضع القلادة من الصدر ( المفرد: تربية).

(٥) الشناب: بياض الأسنان وبروتها.



ولو أن رهبان الصوامع أبصروا  
ملاحضتها، والله، لم يترهبوا  
تُكَلِّفَنِي فِي الْحَبِّ مَا لَا أَطِيقُهُ  
وتضحك إما جنتها أتعجب  
أفأنتي حسب المتيم ما به ..  
وحسبك أني دون ذنب أعذب  
أحبك حب النازح الفرْدِ أهله  
فهل منك حب الأهل من يتفرَّب  
وهبتك قلبي واستعصت به الأسى  
وهبتك شيئاً في الورى ليس يؤهب  
فإن يك وصل فهو ما اتطلب  
وإن يك بُعد فالمنيّة أقرب

\*\*\*\*\*

## ٢٨. أخت ليلي

[الكامل]

ولقد علقْتُ من الحِسانِ مليحة  
تحكي الهلال بحاجبٍ وجبين  
كلفتُ بها نفسي ودونَ وصالها  
وصلُ النُّونِ، وثمَّ ليثُ عـرـين  
حسناً أضحى كلُّ حُسنٍ دونها  
ولذاك عُشَّاقُ المَحاسنِ دوني  
قد رُوِّعتُ حتَّى لَنُخْشَى بُرُدها  
من أن يـبـوـحَ بسرَّها المَكْنُونِ  
وتُريِّبُها أنفاسُها، ويُخيفُها  
عند اللقاء تنهَّدُ المَحـزُونِ  
هجرتُ فكلُّ دقيقةٍ من هجرها  
عندي تُعدُّ بأشهرٍ وسنين  
يا هذه! لا تجحدي حقِّي فقد  
أصليتِ قلبي بالنُّوى فـصـليني  
أطلقتِ دمعاً كان قبلُ مقيّداً  
وسجنتِ قلباً كان غيرَ سجين  
أشبهتِ «ليلى العامريّة» فاكْتُمي  
خبر الذي قد صار كالـمـجـنـون<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) ليلي العامرية معشوقة قيس الذي غتن بها ورفض أهلها رواجها منه، فاصابه الحزن حتى انتهر به

## ٢٩ . طيببي الخاص

[الرمل]

بتُّ أرعى في الظُّلام الأنجُمَـبا  
ليس للعشَّاقِ حظٌّ في الكرى

صرعْتُني نظرةٌ حتى لقد  
كدتُ أن أحسُّدَ من لا يُبصِرُ  
نظرةٌ قد أورثتْ قلبي الكمدُ  
مـبا بلاءُ القلبِ إلا النظرُ  
لا رعاكَ اللهُ يا يومَ الأحدِ  
لا ولا حياءَكَ عني المَطَرُ  
أنتَ من أطلعتْ هاتيكَ الدُّمى  
سافراتِ فتنةٍ للشُّعرا

هيمتُ في من حسُنْتَ صورُها  
مثلما قد حسُنْتَ منها الخصالُ  
أخجلتْ شمسَ الضحى طلعتُها  
واستحي من لحظِها لحظُ الغزال  
كل ما فيها جميلٌ يُشْتَهَى  
ما بها عيبٌ سوى فرطِ الجمال  
لو رآها لآتمى فـيـهـا لما  
لامني في حبِّها، بل عذرا

ذاتُ حسنٍ خدُّها كالوردِ في  
لونه والطَّيبِ في نكهته  
زهرةٌ لكنَّهم ساءَ لم تُقطِفِ  
وجمَّالُ الزَّهرِ في روضته  
درةٌ ما أُخرجتْ من صدف  
تُرخصُ الدرُّ على قيمته  
بضَّةُ الخُدينِ والنَّهدينِ، ما  
سُفرتْ إلا رأيتَ القمرا

ذاتُ شَعَرٍ مُسَبَّلٍ كالأُفْعُوَانِ  
يتهاذى فسوقَ ردفٍ كالكتيبِ  
وقوامٌ لو رآه الغُصنُ بأنْ  
خجلاً من ذلك الغُصنِ الرطيبِ  
كاد لولا ما به من عُنفوانٍ  
يقفُ الورقُ به والعندليبُ<sup>(١)</sup>  
وجفونٌ أشبهتني سَقَما  
كَمَنَ السَّحَرُ بها واستترا

تبسَّعتُ الحبَّ إلى قلبِ الخَلِي  
وهو لا يدري ولا يستشعرُ  
والهوى في بدنه عذبٌ شهِي  
كلُّ شيءٍ بعده محتَقِرُ  
كلُّ مَنْ لا يعرفُ الحبَّ شَقِي  
لا يرى في دهره ما يُشكرُ

(١) الورقُ الحمانم ( الورقاء )، والعندليبُ الهزار من الطير

يَحْصِرُ الْعَمْرَ وَلَكِنْ سَأَمَّا  
عَبَثًا يَطْلُبُ أَلَا يَضْجَرَا

لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مَا مَعْنَى الْهِنَا  
قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ مَا مَعْنَى الْغَرَامُ  
يَضْحَكُ النَّاسُ سُرُورًا وَأَنَا  
عَابِسٌ حَتَّى كَأَنِّي فِي خِصَامٍ  
عَجِبُوا مِنِّي وَقَالُوا عَلَنَّا.  
قَدْ رَأَيْنَا الصُّخْرَ فِي زِيِّ الْأَنَامِ  
أَوْشَكُوا أَنْ يَحْسِبُونِي صَنَمًا  
لَوْ رَأَوْا<sup>(١)</sup> الْأَصْنَامَ تُخَفِّي كَدْرَا

لَمْ أَزَلْ فِي رِبْقَةِ الْيَأْسِ إِلَى  
أَنْ أَعَادَ الْحُبُّ لِي بَعْضَ الرَّجَا  
كُنْتُ قَبْلَ الْحُبِّ أَسْرِي فِي ظَلَا  
مٍ وَلَا أَلْقَى لِنَفْسِي مَخْرَجَا  
فَجَلَاهُ الْحُبُّ عَنِّي فَنَاجَلَى  
مِثْلَمَا يَجْلُو سَنَا الشَّمْسِ الدُّجَى  
بَاتَ قَلْبِي بِالْأَمَانِيِّ مُقْفَمًا  
وَهُوَ قَبْلًا كَانَ مِنْهَا مُقْفِرَا

رَوَّعْتَنِي بِالنَّوَى بَعْدَ اللَّقَاءِ  
وَكَذَا الدُّنْيَا دَنُوءًا وَافْتِرَاقًا

(١) يلزم أن تُقرأ رؤوا، للضرورة

غَضِبَ الدهرُ على كَأْسِ الصَّفَاءِ  
مُنْذَرَاهَا فـأَبَى الـأُثْرَاقُ  
ولو أَنَّ الدهرَ يَدْرِى بالشُّقَاءِ  
سَاعِدَ الصَّبِّ على نَيْلِ التُّلَاقِ  
لم أَجِدْ لي مُشَبِّهًا تحت السَّمَاءِ  
فِي شَقَائِي لَا وَلَا فَوْقِ الثُّرَى!



وَأَبِي! لو أَنَّ مَا بي بِالْجَبَالِ  
أَصْبَحْتُ تَهْتَزُّ مِنْ مَرِّ النِّسِيمِ  
فَاعْذُرُونِي إِنْ أَكُنْ مِثْلَ الْخِيَالِ  
وَاعْذُرُونِي إِنْ أَكُنْ غَيْرَ سَقِيمِ  
إِنْ دَائِي جَاءَ مِنْ صَادِرٍ وَدَالٍ  
وَدَوَاءُ الْقَلْبِ فِي ضَادٍ وَمِيمِ  
بَاتَ صَبْرِي مِثْلَ جِسْمِي عَدَمًا  
إِنَّمَا يَصْبِرُ مَنْ قَدْ قَدَّرَا



رُبُّ لَيْلٍ عَادَنِي فِيهِ السُّهَادُ  
وَنَأَى عَنِ مُقْلَتِي طَيْبُ الْكَرَى  
هَاجَتِ الذِّكْرَى شُجُونًا فِي الْفَوَادِ  
فَبَكَى طَرْفِي عَقِيقًا أَحْمَرَا  
نُبَّسَةُ الْأَهْلِ بِكَائِي وَالْعَبِيدِ  
فَانْتَوَا يَسْتَطْلِعُونَ الْخَبْرَا  
قُلْتُ: دَاءٌ فِي الْفَوَادِ اسْتَحْكَمَا  
كَسَادَ قَلْبِي مِنْهُ أَنْ يَنْفَطِرَا

صَدَقُوا مَا قُلْتُه ثُمَّ مَضَى  
وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَسْتَدْعِي الطَّبِيبَ  
سَارَ وَالْكَلُّ عَلَى جَمْرِ الْفَخْضَا  
وَأَنَا بَيْنَ أَنْيْنٍ وَنَحْصِيْبٍ  
لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَبْرِقٍ وَمَضَا  
وَإِذَا (الدُّكْتُورُ) مِنْ مَهْدِي قَرِيبُ  
قَالَ لِلْجَمْهُورِ: مَاذَا الْاجْتِمَاعُ؟  
اخْرَجُوا أَوْ زِدْتُمُوهُ خَطَرًا

خَرَجَ الْكَلُّ فَأَمْسَتْ غُرْفَتِي  
مِثْلَ قَلْبِ الطُّفْلِ أَوْ جَيْبِ الْأَيْبِ  
فَدَنَا يَسْأَلُنِي عَنْ عِلَّتِي  
وَأَنَا أَسْمَعُ لَكِنْ لَا أَجِيبُ  
فَنَضَّا الثَّوْبَ فَأَبْصُرْتُ الَّتِي  
كَادَ جِسْمِي فِي هَوَاها أَنْ يَغِيبُ  
خَلَعْتُ عَنْهَا لِبَاسَ الْحُكْمَا  
فَرَأْتُ عَيْنَايَ بَدْرًا نَيَّارًا

وَاعْتَرَتْهُنِي دَهْشَةٌ لَكِنَهَا  
دَهْشَةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالْفَرْحِ  
كَيْدَتْ أَنْ أَخْرَجَ عَنْ طَوْرِ النُّهَى  
رُبُّ سُكْرِ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَلْدَحِ  
يَا لَهَا مِنْ سَاعَةٍ لَوْ أَنَّهَا  
بَقِيَتْ كَالدَّهْرِ لَمْ تُسْتَقْبَحِ

عـانقـسـتـنـي وآنـا أبـكـي دـمـا  
وهـي تبـكـي لبـكـائـي دُـرـا

وجـعلـنا بـعد أن طـال العـناقُ  
نـتـناجـى بأحـسـاسـا ديث القـلوبُ  
بـينـمـا نـحـنُ عـلى هـذا الوـفاقُ  
قُـرـع البـابُ فـاوشـكـنا نـذوبُ  
فـاشارتُ لـي قـد حـان الغـراقُ  
فـانـقـطـعـنا وارتـدت ثـوبـ الضـبيب  
قـلـبـ القـود فـقـلت كـمـا  
كـان يـشـكـو نـبه عـنه قـد مـرى

\*\*\*\*\*



### ٣٠. حنة مشتاق

[الطويل]

ألا أيها الباكي فديتُك باكياً  
علامَ وفيما تستحث المأقياً  
رويدك ما أرضى لك الحزن خلةً  
وهيهات أن أرضاك بالحرز راضياً  
يعتقني من كنت أدعوه صاحباً  
فما انفك حتى بت أدعوه لاحياً  
دعوتُ لربي إن دعائي لائمٌ  
ولم أعصر إلا يستجيب دعائياً  
لقد أرخص العذال عندي قولهم:  
إذا همت العين أن أرخصت غالياً  
أمنع ماء ما يروى أخا صدئ  
وقد كنت لا أحمي المناهل صادياً<sup>(١)</sup>  
علي البكا والنوح ضربة لازب  
وإنني لأبكي أنني لست باكياً  
وكيف ارتياحي بعد هند وبيننا  
مهامة<sup>(٢)</sup> لا تلقى بها الريح هادياً  
يظلُّ بها السرحان<sup>(٣)</sup> يعوي من الطوى  
نهاراً ويطوي ليله الخوف طواياً<sup>(٤)</sup>

١ | عصار ( صدي يصدى )

٢ | قفار ومغارات واسعة ( مهمه )

٣ | السرحان

٤ | حانف

لقد كنتُ أخشى أن يُفَرِّقَ بيننا  
 فأصِبحْتُ أخشى اليومَ ألا تلاقِيا  
 فيا مَنْ لِقَلْبٍ لا تَنامُ هـمومُه  
 ويا مَنْ لَعينٍ ما تَنامُ اللَّيالِيا  
 رأيتُ اللَّيالِيا ما تَزالُ تَروَعُنِي  
 بأحداثِها، ما لِلِيالِيا وما لِيا!  
 ولم يبقَ عندَ الدهرِ خطبٌ أخافُه  
 فكيف اعتذارُ الدهرِ إن رحتُ شاكِيا  
 إذا لم تَكُنْ لي أسِياً أو مؤاسِياً  
 فلا تَكُ لوامِماً، وذُرْنِي وما بَيا  
 فإنِّي رأيتُ اللومَ يُذَكِّني صَبابَتِي  
 كذاك عَهدتُ الرِّندَ بالقَدَحِ واريّا<sup>(١)</sup>  
 ألا حَبذا مِنْ سالفِ العِيشِ ما مَضَى  
 ويا حَبَّذا لو كان يَرجعُ ثانيا  
 زمانُ كقلبِ الطِفْلِ صافٍ وكالمُنَى  
 لذيذٌ ولكن كان كالحُلُمِ فانيا  
 أحِنُ إِلَيهِ في العَشيِّ وفي الضُّحَى  
 حنينٌ غريبٌ جاءه الشوقُ داعِيا  
 وأنكُرُه ذَكَرَى العَجوزِ شِبابَها  
 وأبكي لَدَى ذَكَرِها أحمرَ قانيا  
 ولولا أُمورٌ في الفُؤادِ أُسِرُّها  
 جعلتُ عَلَيهِ الدهرَ وقُفاً لِسانِيا  
 خَليلِي أَعِواءُ السُّرورِ دَقائِقُ  
 وأيامُها كعادَتِ تَكونُ ثوانِيا

(١) الرِّندُ العودُ الَّذي يُقدَحُ به والواريُّ المُستَعِلُّ

وأجملُ أوقاتِ الفتى زمنُ الصُّبَا  
وخيَرُ الصُّبَا ما كان في الحبِّ ناميا  
رعى الله أيامي التي قد أضعتُها  
فكنتُ كأنِّي قد أضعتُ فسؤاديا  
ليالي لا «هند» تُصدِّقُ واشيا  
ولا هي تخشى أن أضدِّقُ واشيا  
ويا طالما بئنا ولا ثالثُ لنا  
سوى الراحِ نُدنيها فتُدني الأمانيا  
ودارَ حديثُ الحبِّ بيني وبينها  
فطورا مناجاةً وطورا تشاكيا  
ألم ترَ أني قد نظمتُ حديثُها  
لألى غناها الرواةُ قوافيا  
تولَّى زمانُ اللهو كالطيفِ في الكرى  
فلستُ تراني بعددَ الدهرِ لاهيا  
سئمتُ لذاذاتِ الحياةِ جميعها  
ولو رضيتُ هندُ سئمتُ شبابيا  
سلامٌ على «هند» وإن فات مسمعي  
سلامٌ التي أهدى إليها سلاميا  
ترى عندها أني على العهد ثابتُ  
وإن يكُ هذا البينُ أوْهى عظاميا  
فوالله ما أخشى الحِمَامَ على النوى  
ولكنني أخشى خلودي نائيا

\*\*\*\*\*

### ٣١. الحُسْنُ لَا يُشْرَى وَلَا يُسْتَجَلَبُ

[الكامل]

سَفَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا: أَهَذَا كَوْكَبٌ؟  
قَالَتْ: أَجَلٌ وَأَيْنَ مِنِّي الْكَوْكَبُ؟  
وَتَبَسَّمَتْ فَرَأَيْتُ رَيْمًا<sup>(١)</sup> ضَاحِكًا  
عَنْ لَوْلُو، لَكِنَّهُ لَا يُوَهَّبُ  
وَتَمَايَلَتْ فَالَسَّمْهُرِيُّ<sup>(٢)</sup> مَصَمَّمٌ  
وَرَنْتُ فَبَاصَرْتُ السَّهَامَ تُصَوِّبُ  
أَنْشَبْتُ الْحَاطِظِي بَوْرِدٍ خُدُودِهَا  
لَمَّا رَأَيْتُ لِحَاطَظَهَا بِي تُنْشَبُ  
قَدْ كَأَمْتُ قَلْبِي وَلَمْ تَرْفُقْ بِهِ  
وَاللَّحْظُ، لَوْ دَرَّتِ الْمَلِيحَةُ، مِخْلَبُ  
بِيضَاءٍ نَاصِعَةٍ كَانَ جَبِينَهَا  
صُبْحٌ، وَطُرَّتْهَا عَلَيْهِ غَيْهَبُ  
يَا طَالَمَا اكْتَسَبَ الْحَرِيرُ مَلَاخَةً  
مِنْهَا، وَيُكْسِبُ غَيْرَهَا مَا يُكْسِبُ  
وَلَطَالَمَا بَعْضُ النِّسَاءِ حَسَدَتْهَا  
وَلَطَالَمَا حَسَدَ السَّلِيمُ الْأَجْرَبُ  
بَيْنَ الطَّلَاءِ وَبَيْنَهُنَّ قَرَابَةٌ  
مَشْهُورَةٌ، عَنْهَا الْجَمِيلَةُ تُنْكَبُ<sup>(٣)</sup>

(١) الطي الخالص البياض

(٢) الرمح

(٣) تعدل عنها

إن الملاحنة عندها عربينة  
 وجمال هاتيك الدُمى مُسْتَعَرِب  
 قل للغواني إنها خلقت كذا  
 الحُسن لا يُشْرِى ولا يُسْتَجَلَب  
 فإذا بلغستَ الجمالَ طَرِيًّا  
 فاعلمن أن بقاءه مُسْتَحْزَب  
 هيهات، ما يُغني الملاح الحُسن إن  
 كانت خلائقُهن لا تُسْتَعَذَّب  
 إني بلوتُ الغنائيات فلم أجِدْ  
 فيهنَّ قطُّ مَليحةً لا تُكْذِب  
 وصحبتهنَّ فما استفدتُ سوى الأَسَى  
 ما يُسْتَفَارُ من الغواني يُتَعَب  
 وخبرتهنَّ فما لبكرِ حُرْمَةٍ  
 تُرعى، وأغدرُ من رَيتُ التَّيَب  
 لا يخذعنك ضَعْفُهُنَّ فإنما  
 بالضَّعفِ أهلكِ الهزير<sup>٢</sup> الأرنَبُ

\*\*\*\*\*

## ٣٢ - أنا إمام الذين هاموا

[مطلع البسيط]

لُني إذا حُلْتُ عن عُهدٍ هـودي  
ولا تَلُمْنِي على هُيَامِي  
مَا كُنْتُ أَخْشَى مِنَ الْمَنَايَا  
فَكَيْفَ أَخْشَى مِنَ الْمَآلَامِ  
قَد نَزَلَ الْحَبُّ فِي فُؤَادِي  
ضَئِيفًا وَلَكِنْ عَلَى الدَّوَامِ  
فَبَاتَ قَلْبِي لَهُ طَعَامًا  
وَبِتُّ أَنَايَ عَنِ الطَّعَامِ  
أَعْدَى غَرَامِي النُّجُومَ حَتَّى  
أَسْهَرَهَا مِنَ الدُّجَى غَرَامِي  
لَوْ تَعْرِفُ الشَّمْسُ مَا الْهَوَى لَمْ  
تَبْرَأْ لَطَرْفٍ مِنَ السَّاقَامِ  
أَصَابَ سَهْمُ الْفَرَاقِ قَلْبِي  
وَأَخْطَأَتْ قَلْبَهُ سَهْمُ هَامِي  
وَكَيْفَ خُصُوفِي مِنَ التَّنَانِي  
خُوفًا كَسْفِيْفٍ مِنَ الثُّرَامِ<sup>١</sup>  
إِنْ فَرَاقَ الْخَبِيرَ عِنْدِي  
أَشَدُّ وَقْعًا مِنَ الْجِمَامِ  
لَوْ يَبْعُدُ الْبَعْدُ عَنْ حَبِيبِ  
مَا عَن يَوْمِ الْمُسْتَهَامِ

<sup>١</sup> كانت الاسكندرية حربيةً يعهد بوجود الثرداء، ومن هذا كان خوف الاعشى من سنة الفرس عنده

أنا إمامُ الذين هَامُوا  
وأيُّ قَوْمٍ بلا إمامٍ؟  
فليس قبلي وليس بعدي  
ولا ورائي ولا أمامي

\*\*\*\*\*

### ٣٣. الرزء الأليم

[البسيط]

في رثاء الشيخ إبراهيم اليازجي  
عَدِمْتُ قَلْبِي إِذْ لَمْ يَعْـدَمِ الْجَلْدَا  
وَنَالَ نَفْسِي الرَّدَى إِنْ لَمْ تَذُبْ كَمَدَا  
أَهْأَ وَلَوْ نَفَعْتُ «أَهْأَ» أَخَا شَجِنٍ  
لَمْ يَبْتَغِ غَيْرَهَا، عِنْدَ الْآسَى، عَضْدَا  
أَهْأَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ خَطْبُ الْمَ بِنَا  
مَا سَطَرْتُهَا يَدِي فِي كَاغْدٍ<sup>(١)</sup> أَبَدَا  
الْمَرْءُ مَجْتَهِدٌ وَالْمَوْتُ مَجْتَهِدٌ  
أَنْ لَيْسَ يَتْرُكُ فَوْقَ الْأَرْضِ مُجْتَهِدَا  
سِوَى الرَضِيعِ بِهِ مَنْ شَابَ مَفْرُقُهُ  
وَالْعَبِيدُ سَيِّدُهُ وَالثَّعْلِبُ الْأَسَدَا  
قَدْ غَادَرَ الْفَضْلَ بِالْأَحْزَانِ مَنْفَرْدَا  
مَنْ كَانَ بِالْفَضْلِ دُونَ النَّاسِ مَنْفَرْدَا  
مَاتَ الْبَيَانُ بِمَوْتِ «الْيَازْجِيِّ» فَمَنْ  
لَمْ يَبْكِ هَذَا بَكَى ذَاكَ الَّذِي فُقِدَا  
وَاللَّهِ مَا وَلَدْتُ «حَوَاءً» أَطْهَرَ مِنْ  
هَذَا الْفَقِيرِ فَوَادَا، لَا وَلَن تَلِدَا  
ابْنَ «الضِّيَاءِ»<sup>(٢)</sup> الَّذِي زَانَ الْبِلَادَ كَمَا  
يُزَيِّنُ الْبَدْرُ فِي جُنْحِ الدُّجَى الْجَلِيدَا<sup>(٣)</sup>

(١) الورق

(٢) اسم المحلة التي كان اليازجي بصدرها

(٣) حُلْدُ السَّمَاءِ أَدِيمُهَا فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ



أَيْنَ الْيَرَاغُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُطْرِبُنَا  
صَرِيرُهُ فِي أَدِيمِ الطَّرْسِ مُنْتَقِداً  
وَأَيْنَ أَيْنَ سَجَايَاهُ الَّتِي حُسِبَتْ  
مِنْ أَجْلِهِ، وَكَذَا مِنْ أَجْلِهَا حُسِبَا  
حَقٌّ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَبْكِيَ عَلَيْهِ كَمَا  
يَبْكِي الشَّقِيقُ أَخاً وَالْوَالِدُ وَلِداً  
أَقْسَمْتُ مَا اهْتَزَّ فَوْقَ الطَّرْسِ لِي قَلَمٌ  
إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ مَدْمَعِي مَدَداً  
وَلَا اتَّخَذْتُ أَخاً فِي الدَّهْرِ يُونُسُنِي  
بَعْدَ الْخَلِيلِ سِوَى الْحَزَنِ الَّذِي وُجِدَا

\*\*\*\*\*

## ٣٤ - الخطبُ الفادح

[الكامل]

رثى بها المغفور له الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية<sup>(١)</sup>

هيهاتَ بَعْدَكَ مَا يُفِيدُ تَصَبُّرُ  
ولئن أَفَادَ فأنِّي قلبٍ يَصْبِرُ؟  
إنَّ البكاءَ من الرِّجَالِ مُذَمَّمٌ  
إلا عليك فَتَرَكُّهُ لَا يُشْكُرُ  
لو كَانَ لي قلبٌ لقلتُ له ارْغَوِ  
إنِّي بلا قلبٍ فأنِّي أَرْجُو  
لأَزِمْتُ قَسْبَ بَرِّكَ والبكاءُ مُلَازِمِي  
والليلُ دَاجٍ والكواكبُ سُهُورُ  
أبكي عليك بأدمعِ هَطَالَةٍ  
ولقد يَقِلُّ لك النُّجُيعُ<sup>(٢)</sup> الأَحْمَرُ  
وودِدْتُ من شَجَوِي عليك وَحَسْرَتِي  
لو أَنَّ لَحْدَكَ في فَوَادِي يُخَفِّرُ  
إنِّي لأَعْجَبُ كيفَ يعلوك النُّرَى  
أنِّي ثَوَى تحتَ الرُّعَامِ<sup>(٣)</sup> النَّيِّرِ  
أَمْسَيْتَ مُسْتَتِرًا بهِ لَكُنْما  
أَثَارُ جَوْدِكَ فَوْقَهُ لَا تُسْتَتِرُ  
مَرِيضَ النَّدَى لما مَرِضْتُ وَكَادَ أَنْ  
يَقْضِي من اليَأْسِ المُلَمَّ المُفْسِرُ

(١) توفي في الإسكندرية سنة ١٩٠٥.

(٢) الدم.

(٣) القراب.

يرجوك أنك أنت جابر كسره  
 فإذا فُقدت فكسره لا يجبر  
 وعلت على تلك الوجوه سحابة  
 كذراء لا تصفو ولا تستمطر  
 كم حاولوا كنتم الأسى! لكنه  
 قد كان يخرق الجسوم فيظهر  
 حامت حواليك الجموع كأنما  
 تبغي وقاء الشرق مما يحذر  
 الكل يسأل: كيف حال إمامنا؟  
 ماذا رأى حكماؤنا؟ ما أخبروا؟  
 والداء يقوى ثم يضغف تارة  
 فكأنه يبلو القلوب ويسبُر<sup>(١)</sup>  
 أوردته عذبا فأوردك الردى  
 تبث يده فذنبه لا يغفر  
 هيهات ما يثني المنية جحفل  
 عمّن تؤم<sup>(٢)</sup> ولا يفيد العسكر  
 رصد الردى أرواحنا حتى لقد  
 كدنا نُعزّي المرء قبل يُصور  
 نهوى الحياة كأنما هي نعمة  
 وسوى الفواجع حبها لا يُثمر  
 ونظن ضحك الدهر فاتحة الرضا  
 والدمر يهزأ بالأنام ويسخر  
 أفقيد أرض النيل! أقسم لودرى  
 بالخطب أوشك ماؤه يتسعر

(١) يجس.

(٢) تقصد.

وَضَعُوكَ فِي بَطْنِ الثَّرَابِ وَمَا عَهْدُ  
تُ الْبَحْرِ قَبْلَكَ فِي الصُّفَائِحِ يُذْخِرُ  
وَرَأَوْا جَلَالَكَ فِي الضُّرَيْحِ فَكُلُّهُمْ  
يَهْوَى وَيَرْجُو لَوْ كَانَكَ يُقْبَرُ!  
لَمْ تَخُلْ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْكَ حُشَّاشَةٌ  
أَبْدًا فَيَخْلُو مِنْ دَمَوِعِ مِحْجَرِ  
أَبْوَا<sup>(١)</sup> وَمَا أَبَ الْعَزَاءُ إِلَيْهِمْ  
وَالْحُزْنَ يُنْظِمُ وَالْمَدَامُ تُنْثَرُ  
وَالْكُلَّ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُ بِلَادِهِمْ  
مَنْ بَعْدَ مَا مَاتَ الْإِمَامُ، يُفَكِّرُ  
لَمْ يَبْلُنَا هَذَا الزَّمَانَ بِفَقْدِهِ  
لَوْ كَانَ مِمَّنْ بِالرُّزْيَةِ يَشْفُرُ!

\*\*\*\*\*

---

(١) رجعوا

## ٣٥ - فقيد الوطنية

[الصويل]

(رثى بها فقيد المناير، الطبيب الذكر، المغفور له مصطفى كامل)  
بكيتُ ولكن بالدموع السَّخِيَّةِ  
وما نَفِدْتُ حتَّى بكيتُ بمُهْجَتِي  
على الكاملِ الاخلاقِ والنَّدْبِ<sup>(١)</sup> مصطفى  
فقد كان زينَ العقلِ زينَ الفُتُوَّةِ  
نَعَاهُ لَنَا النَاعِي فَكَادَتْ بِنَا الدُّنَا  
تَمِيدُ لَهَوْلِ الخطْبِ، خطْبِ المروءةِ  
وزابتْ قلوبُ الْعَالَمِينَ تَلْهُفًا  
وسالتْ دموعُ الحزنِ من كلِّ مُقْلَةٍ  
أجلَ قد قَضَى في مِصرَ أعظمُ كاتبِ  
فخَلَفَ في الأكْبَارِ أعظمَ حَسْرَةٍ  
فَتَى، وأبي، لو أَنَّ في النَّاسِ مِثْلَهُ  
لَهَانَ عَلَيْنَا وَقَعُ هَذي الرِّزْيَةِ  
ولو كان يُفْدَى بالنفوسِ من الرَّدَى  
جَعَلْنَا فِدَاهُ كُلَّ نَفْسٍ أَيْيَةً  
فَتَى ماتَ غَضَّ العُمُرِ لم يَعْرِفِ الْخَنَا  
ولم يَنْطَوِ في نَفْسِهِ حُبُّ رِيْبَةٍ  
وقد كان مقداماً جريئاً، ولم يكن  
ليبغى الردى غيرُ النفوسِ الجريئةِ

(١) الذي يتدب في السدائد

وكان جواداً لا يَضِرُّ بحاجةٍ  
 لذلك أعطى روحه للمنيّة  
 سلامٌ على مصرِ الأسيفةِ بعدهُ  
 فقد أودعتُ أمالها جوفَ حُفْرةِ  
 خطيبِ بلادِ النيلِ مالِكُ ساكِتاً  
 وقد كنتُ تُلقِي خُطبةً إثرَ خُطبةٍ  
 تطاولتِ الأعناقُ حتّى اشْرأبتِ  
 فهل أنت مُسديها ولو بعضَ لُفْطةٍ  
 نَعَمْ كنتُ. لولا الموتُ، فارِحِ كَرْبِها  
 فيا للردى من غاشمٍ متعنّتٍ  
 تَفطّرتِ الأكبادُ حزنًا كأنما  
 مماتُك سهمٌ حلّ في كلِّ مُهْجَةٍ  
 وما حزنْتُ أمُّ بفقدِ وحيدها  
 بأعظمَ من حزنِي عليك ولو عَنتِي  
 تناديكِ مصرُ الآن: يا خيرَ راحلٍ  
 ويا خيرَ مَنْ يُرجى لدفعِ المُلْمةِ  
 عهدُكُ تابى دعوةً غيرَ دعوتي  
 فما لك تابى (مصطفى) كلَّ دعوةٍ  
 فَقَدْتُكَ رياناً فيا طولَ لَهْفَتِي  
 لقد كنتُ سيفي في الخُطوبِ وجُنَّتِي<sup>(١)</sup>  
 أجلُّ طالما رافعتُ عن مصرٍ مثُلما  
 يدافعُ عن مأوأةِ نَحْلِ الخَلِيّةِ  
 فايَقظَتْها من رقدةٍ بعدَ رقدةٍ  
 وأنهضَتْها من كِبْوةٍ بَلْوَ كِبْوةٍ

(١) وقائتي

وَقَوَّيْتُ فِي أَبْنَائِهَا الْحُبَّ نَحْوَهَا  
وَكُنْتُ لَهَا فِي ذَاكَ أَفْضَلَ قُدْوَةً  
رَفَعْتُ «لِوَاءَ»<sup>(١)</sup> الْحَقِّ فَوْقَ رِبْوَعِهَا  
فَضَمُّ إِلَيْهِ كُلِّ ذِي وَطَنِيَّةٍ  
لَنْ تَكُ أَتْرَعَتِ الْقُلُوبِ مَحَبَّةً  
فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ الْمَحَبَّةِ  
فَنَمَّ أَمْنًا وَقُيِّتَ قَوْمَكَ قِسْطَهُمْ  
فِيَا طَالَمَا نَامُوا وَأَنْتِ بِيَقُظَّةٍ  
سَيُبْقِي لَكَ التَّارِيخُ ذِكْرًا مُخَلِّدًا  
فَقَدْ كُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ  
عَلَيْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ  
وَمِنْ أَرْضِ مِصْرٍ أَلْفُ أَلْفِ تَحِيَّةٍ

\*\*\*\*\*

---

(١) اسم الجريدة التي كان الحزب الوطني، بزعامته، يصدرها آنذاك

## ٣٦. كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ

[الطويل]

بعث بها إلى صديقه السيّد أفندي فهمي يعزيه وقد فُجع بموت والدته وكريمته وشقيقه، في أسبوع واحد.

فـدِينَاكَ لَوْ أَنَّ الرَّدَى قَبْلَ الْفِدَا  
بِكُلِّ نَفِيسٍ بِالنَّفَائِسِ يُفْتَدَى  
أَبَى الْمَوْتُ إِلَّا أَنْ يَنَالَكَ سَهْمُهُ  
وَأَلَا يَرَى شَمْلَ السَّخَاءِ مُبَدَّدَا  
فَأَقْدَمَ لَا يَبْغِي سِوَاكَ، وَكَلَّمَا  
دَرَى أَنَّهُ يَبْغِي عَظِيمًا تَشَدَّدَا  
دِهَاكَ الرَّدَى لَكِنْ عَلَى حِينِ فَجَاءَ  
فَتَبَّتْ يَدَاهُ غَادِرٌ صَرَغَ النَّدَى  
دِهَاكَ وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى الصَّبِيَّةِ الْأَلَى  
تَرَكَتِهِمْ يَكُونُ مَثْنَى وَمَوْحِدَا  
فُقِدَتْ وَأَوْجَدَتْ الْأَسَى فِي قُلُوبِنَا  
أَسَى كَادَ لَوْلَا الدَّمْعُ أَنْ يَتَوَقَّدَا  
بِكَيْنَاكَ حَتَّى كَادَ يَبْكِي لَنَا الصَّفَا<sup>(١)</sup>  
وَحَتَّى بَكَتْ مِمَّا بَغَيْنَا لَهُ الْعِدَا  
وَمَا كَادَ يَرْقَا<sup>(٢)</sup> الدَّمْعُ حَتَّى جَرَى بِهِ  
غَدُ عِنْدَمَا<sup>(٣)</sup> يَا لَيْتُنَا لَمْ نَرَ<sup>(٤)</sup> غَدَا

(١) صفائح الحر

(٢) يجف

(٣) نبات أحمر

(٤) تشيع حركة الراء للضرورة



قَضَيْتُ طِفْلَةً تَحْكِي الْمَلَانَ طَهَارَةً  
 وَالْحَقَّ هِيَ الْمَوْتُ الزَّوَامُ بِمَنْ عَدَا  
 لَقَدْ ظَعَنْتُ تَبْغِي لِقَاءَ كَانَمَا  
 ضَرَبْتَ لَهَا قَبْلَ التَّفَرُّقِ مَوْعِدَا  
 كَانَ لَهَا نَذْرًا أَرَادَتْ قَضَاءَهُ  
 كَأَنَّكَ أَنْتَ الصَّوْتُ جَاوِبُهُ الصَّدَى  
 مَشَتْ فِي طَرِيقٍ قَدْ مَشَى فِيهِ بَعْدَهَا  
 فَتَسَاكَ الَّذِي أَعَدَدْتَ مِنْهُ الْمَهْدَا  
 فَتَى طَابَ اخْلَاقًا وَطَابَ مُحَامِدًا  
 وَطَابَ فَوَادًا مَثَلَمَا طَابَ مَحْتَدَا  
 فَتَى كَانَ مَثَلُ الْغَصَنِ فِي عَنَفْوَانِهِ  
 فَلِلَّهِ ذَاكَ الْغَصَنُ كَيْفَ تَأَوَّدَا  
 تَعَوَّدَ أَنْ يَلْقَاكَ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ  
 فَكَانَ قَبِيحًا تَرَكُ مَا قَدْ تَعَوَّدَا  
 فُجِعْنَا بِهِ كَالْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ  
 وَلَمْ نَرِ بَدْرًا قَسْبَهُ الْأَرْضُ وَتَسَدَا  
 غَلَمَ يَبْقَى طَرْفُ لَمْ يَسِلْ دَمْعُهُ دَمَاءً  
 وَلَمْ يَبْقَ قَلْبُ فِي الْمَلَا، مَا تَصْعَدَا  
 كَوَارَتْ لَوْ نَابَتْ جِبَالًا تَوَاهِقَا  
 لَخَرَّتْ لَهَا تِلْكَ التَّوَاهِقُ تُجَنَّدَا  
 وَلَوْ لَهَا فِي جُلْمٍ صَارَ سَالَا  
 وَلَوْ لَهَا فِي سَائِلٍ صَارَ جُلْمَدَا  
 فَهَيْهَاتَا إِنْ الصَّرَّ بَقِيَ الْغَتَى  
 وَلَا سَيَمَا مِنْ كَنْ مَثَلَتْ (سَيِّدَا)  
 فَكَنْ قَسْدِيَّةً لِلْحَصَّالَيْنِ، فَكَانَمَا  
 مَثَلَتْ فِي دَفْعِ الْخَلْفَاتِ يُقَاتِلَانِي

لَعَمْرُكَ مَا الْأَحْزَانُ تَنْفَعُ رَبُّهَا  
فَيَجْمَلُ بِالْمَحْزُونِ أَنْ يَتَجَلَّدا  
فَمَا وَجِدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيُفْقَدا  
وَمَا فُقِدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيُوجِدا  
وَمَا أَحَدٌ تَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ نَفْسُهُ  
وَلَوْ أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاكِينِ اصْفَدا  
فَلَا يَحْزَنُ الْبَاكِي وَلَا تَشْمَتُ الْعِدا  
فَكُلْ أَمْرِي يَا صَاحِبَ غَايِشِهِ الرَّدى

\*\*\*\*\*

## ٣٧ - البدر الآفل

[الوافر]

بكى فيها شقيقه المغفور له طانيوس ظاهر أبي ماضي وقد مات شاباً<sup>(١)</sup>.  
أَبْعَدَكَ يَعْرِفُ الصَّبْرَ الْحَزِينُ  
وقد طاحت بمهجته المَنُونُ!  
رَمَتْكَ يَدُ الزَّمَانِ بِشَرِّ سَهْمٍ  
فَلَمَّا أَنْ قَضَيْتَ بَكَى الْخُؤُونُ  
رَمَاكَ وَأَنْتَ حَبِئْتُ كُلَّ قَلْبٍ  
شَرِيفٍ، فَالْقُلُوبُ لَهُ رَنِينُ  
وَلَمْ يَكْ لِلزَّمَانِ عَلَىكَ ثَارُ  
وَلَمْ يَكْ فِي خِلَالِكَ مَا يَشِينُ  
وَلَكِنْ كُنْتَ ذَا خُلُقٍ رَضِيٍّ  
عَلَى خُلُقٍ لَغِيْبٍ لَا يَكُونُ

وَكُنْتَ تُحِيطُ عِلْمًا بِالْخَفَايَا  
وَتَمْنَعُ أَنْ تُحِيطَ بِكَ الظُّنُونُ  
كَانَكَ قَدْ قَتَلْتَ الدَّهْرَ بَحْثًا  
فَعِنْدَكَ سِرُّهُ الْخَافِي مُبِينُ  
حَكَيْتَ الْبَسْدَ فِي عَمُرٍ وَلَكِنْ  
ذَكَرْنَا أَنْ لَا تَكُونَهُ قُـرُونُ  
عَجِيبٌ أَنْ تَعِيشَ بِنَا الْأَمَانِي  
وَأَنَا لِلْأَمَانِي نَسِيْتُكَ

(١) مات في الاسكندرية ( عشرين عاما ) سنة ١٩٠٩ وكان أول إخوته الثلاثة الذين فقدهم إبليا واحداً إثر واحد

ومما أرواحنا إلا أسـارـي  
ومما أجسادنا إلا سـجـون  
ومما في الكون مثـل الكون فان  
كما تـفـنى الديار، كذا القـطـين  
لقد علقـتـك أسـبابـ المنايا  
وفـيـسـاً لا يُخـان ولا يـخـون  
أيدري النعش أي فـتـى يُـوارـي  
وهذا القـبـر أي فـتـى يـصـون  
فتى جُمِعَتْ ضُروبُ الحُسْنِ فيه  
وكانت فيه للحُسْنى فنون  
فبعض صفـاتـه ليث ويدر  
وبعض خـلالـه شـمـم ولين  
أمـارات الشـبابِ عليه تبـدو  
وفي أثوابـه كـهـل رزين  
ألا لا يشـمـت الأعداء منا  
فكل فتى بمصـرعه رهيـن

أيا نور العـيـون بـعدت عـنا  
ولمّا تـمـلئ منـك العـيـون  
وعاجـلك الحـمـام فلم تُودّع  
وبـنـت فلم يودّعك القـرـين  
ومما عـفـت الوداع قـلـى ولكن  
أردت ولم يُرد دهر ضـنـين  
فـيـا لـهـفـي لأـمـك حين يـدوي  
نـعـيـك بـعد ما طال السـكـون

وَلَهْفَ شَقِيْقَكَ النَّائِيْ بِعِيْدَا<sup>(١)</sup>  
 إِذَا مَا جَاءَهُ الْخَبَرُ الْيَقِيْنُ  
 سَتَبْكِيْكَ الْكَوَكِبُ فِي الدِّيَاجِي  
 كَمَا تَبْكِيْكَ فِي الرَّوْضِ الْغُصُونُ  
 وَيَبْكِيْ إِخْوَةً قَدْ غِيْبَتْ عَنْهُمْ  
 وَأَمَّ شَاكِلُ وَأَبُ حَسْبُ زَيْنِ  
 فَمَا تَنْدِي لَنَا أَبَدًا ضَلُوْعُ  
 عَلَيْكَ، وَمَا تَجِفُّ لَنَا شَوْوُن<sup>(٢)</sup>  
 قَدْ اَزْدَانَتْ بِكَ الْفَتِيَانُ طِفْلًا  
 كَمَا يَزْدَانُ بِالتَّاجِ الْجَبِيْنُ  
 ذَهَبَتْ بَزِيْنَةُ الدُّنْيَا جَمِيْعًا  
 فَمَا فِي الدَّهْرِ بَعْدَكَ مَا يَزِيْنُ  
 وَكَنْتَ لَنَا الرَّجَاءُ فَلَا رَجَاءُ  
 وَكَنْتَ لَنَا الْمُعِيْنُ فَلَا مُعِيْنُ  
 أَبْعَدَكَ، يَا أَخِي، أَبْغِي عِزًّا  
 إِذَا شُلَّتْ يَسَارِي وَالْيَمِيْنُ  
 يَهْوُوْنَ الرُّزُّ إِلَّا عِنْدَ مِثْلِي  
 بِمِثْلِكَ، فَهَوْرُ رُزٍّ لَا يَهْوُوْنَ  
 عَلَيْكَ تَقَطُّعُ الْحَسَرَاتِ نَفْسِي  
 وَفِيْكَ أَطَاعَنِي الدَّمْعُ الْحَرَوْنُ  
 فَمَلُّ جَوَانِحِي حَزْنٌ مَذِيْبٌ  
 وَمَلُّ مَحَاجِرِي دَمْعٌ سَخِيْنُ  
 وَمَا أَبْقَى الْمَصَابُ عَلَى فَوَادِي  
 فَفَزَعُمُ أَنَّهُ دَامَ طَعِيْنُ

(١) يقصد أحاه الأكر مراد في أمريكة. وقد سبقهم جميعاً إليها

(٢) العروق التي تدر الدمع في العين

يذودُ الدمعُ عن عيني كَـرَاهاً  
وتأبى أن تقارِفَه الجُفون  
لقد طال السُّهادُ وطالَ ليلى  
فلا أدري الرُّقادُ متى يكون  
كانَ الصُّبحُ قد لبسَ الدِّياجي  
عليك آسىً لذلك ما يَبين  
جـزأك الله عَنَّا كلَّ خَيْرٍ  
وجادَ ضريحك الغيثُ الهَنُون

\*\*\*\*\*

### ٣٨ - أنا والنجم

[السريع]

مِثْلِي هَذَا النَجْمُ فِي سُهْدِهِ  
وَمِثْلُهُ الْحَبِيبُ فِي بُعْدِهِ  
يَخْتَالُ فِي عُرْضِ السَّمَاءِ تَائِهًا  
كَأَنَّمَا يَخْتَالُ فِي بُرْدِهِ  
إِنْ شِدَّتْ فَهُوَ الْمَلِكُ فِي عَرْشِهِ  
أَوْ شِلَّتْ فَهُوَ الطِّفْلُ فِي مَهْدِهِ  
يَرْمُقُنِي شِدْرًا كَمَا نِي بِهِ  
يَخْسِبُنِي أَطْمَعُ فِي مَجْدِهِ  
يَسْعَى وَلَا يَسْعَى إِلَى غَايَةٍ  
كَأَنَّمَنْ يَرَى الْغَايَةَ فِي جِدِّهِ  
كَأَنَّمَا يَبْحَثُ عَنْ ضَمَانِهِ  
لَا يَسْتَطِيعُ الصَّبْرُ مِنْ بَعْدِهِ  
ضَالٌ سُرَادٌ وَهُوَ فِي حَيَاةٍ  
كَأَنَّهُ الْحَزُونُ فِي وَجْدِهِ  
فِي جُنْحِ لَيْلٍ خَالِكٍ قَاحِمٍ  
كَأَنَّهُ خَطِيئٌ قُدُّ مِنْ جِلْدِهِ  
لَا يَحْسِبُ الْأَعْمَى بِهِ مُبْصِرًا  
كَأَنَّهُمَا قَدْ ضَلَّ عَنْ قَصْدِهِ  
سَاوَرَنِي الْهَمُّ وَسَاوَرْتُهُ  
مَا أَعْجَزَ الْإِنْسَانَ عَنْ رَدِّهِ

ما أعجب الدهر وأطواره  
 في عين من يُمنع في نقوده  
 جرَّبته دهرًا فما راقني  
 من هزله شيء ولا جوده  
 أكبر مني أنني زاهد  
 ما زهد الزاهد في زوده  
 أكبر مني ذا وأكبررت أن  
 يطمع، أن أطمع في رفوده  
 وعدني أعجوبة في الورد  
 مُدِّ رحاً لا أعجب من حقه  
 يا رب خلِّ كـان دوني نُهي  
 عجب من نخسي ومن سَعده  
 وعائش يخطر فوق الثرى  
 أفضل منه الميت في لحده  
 أصبح يجني الورد من شوكة  
 وبيت أجني الشوك من ورده  
 أكذب إن صدقته بعدما  
 عرفت منه الكذب في وعده  
 لا أشتكي الضُرَّ إذا مسَّني  
 منه، ولا أطرب من رغبده  
 أعلم أن البؤس مُستنفد  
 والرغد، ما لا بد من فقده  
 إذا ليالي قُرِبَتْ نازحا  
 وكنت مشتاقا إلى شهده



أَمَلِكُ عَنْهُ النَّفْسَ فِي قُـرْبِهِ  
خَوْفًا مِنَ الْوَحْشَةِ فِي صَدِّهِ  
وَأَنْ أَرَى الْحُزْنَ عَلَى فِائَتِ  
أَضَرَّ بِي الْحُزْنُ وَلَمْ يُجِدْهُ

\*\*\*\*\*

### ٣٩ - في سبيل الإصلاح

[الكامل]

حَيَّا الصَّبَا عني رُبَا لِبْنَانِ  
حَيْثُ الهَوَى وَمِرَاتِعُ الغِزْلَانِ  
وَرَعَى المَهِيْمُنُ سَاكِنِيهَ فَإِنَّهُمْ  
فِي خَيْرِ أَرْضٍ، خَيْرَةُ السَّكَّانِ  
قَوْمٌ صَفَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ  
فَالْحُسْنُ مَجْمُوعٌ إِلَى الإِحْسَانِ  
لَهُمُ الْيَادِي الْبَيْضُ وَالشَّيْمُ التِّي  
لَوْ تَلَّتْ كَانَتْ عُقُودَ جُفَا<sup>(١)</sup>  
شَيْمُ الْكَرَامِ قَصَائِدُ فِي الْكُونِ عُرُ  
رُ، وَهِيَ فِي شَيْمِ الْكَرَامِ مَعَانِ  
قَوْمٌ إِذَا زَارَ الْغَرِيبُ بِلَادَهُمْ  
جَعَلُوهُ مِنْهُمْ فِي أَجَلٍ مَكَانِ  
إِنْ خِيفَتْ شَرُّ طَوَارِقِ الْحِدْثَانِ فَاؤُ  
صَبَدَهُمْ تَخَفَكَ طَوَارِقُ الْحِدْثَانِ  
لَوْ أَنَّ فِي كِيَوَانِ<sup>(٢)</sup> دَارُ إِقَامَتِي  
لَهَجَرْتُ كِيَوَانًا إِلَى لِبْنَانِ  
قَيَّدْتُ قَلْبِي فِي هَوَاؤُ فَلَمْ أَعُدْ  
أَهْوَى السَّوَى إِذَا لَيْسَ لِي قَلْبَانِ  
وَالْحُبُّ يَجْمَلُ فِي الشَّبِيهِ وَالصَّبَا  
كَجَمَالِ زَهْرِ الرُّوضِ فِي نَيْسَانَ

(١) الحنظل سويد

(٢) الكريج

هو جنة الخلد التي مُني بها  
رُسل الهدى قِدماً بني الإنسان  
خَلَّتِ الدهورُ ولا يزال كـانما  
بالأمس شادته يدُ الرحمن  
يا ساكنيه تحيةً من نازح  
إنَّ التحيةَ لَهِيَّ جُهدُ العاني<sup>(١)</sup>  
أصبحتم فوق الممالك رفعةً  
لولا وجودُ معاشِرِ (الغريبان)<sup>(٢)</sup>  
قومٌ قد اتَّخذوا الديانةَ بينكم  
شركاً لصيدِ الأصفرِ الرنان  
فتظاهروا بالزهدِ حتى أوشكتُ  
تُخفي دُخانُلُهُم على اليقظان  
وتفننوا بالكرِّ حتى أصبحوا  
وغيبيُّهم أدهى من الشيطان  
ضربوا على الشعبِ الرسومَ شراهةً  
حَسَبُ التعيسِ ضرائبُ السلطان  
كفروا بنعمته التي أسداهم  
ورمَوْه بالإلحادِ والكُفران  
ولقد تفانوا في انتهاكِ حقوقه  
وهو المُحبُّ رضاَهُم. المُتفاني  
حتى حَسِبنا أَنه ينحطُّ عن  
كسَلٍ، ولم يكُ قطُّ بالكسَلان  
لكنه يسعى ويذهبُ سعياً  
للنَّسِ والشَّمسِ والمطران

(١) النعم

(٢) يفسد رجال الدين

لولا احترامي مذهباً عُرِفُوا بِهِ  
لَكَشَفْتُ مَسْئُورَاتِهِمْ بِبَيَانٍ  
فَسْتَنْبِهُوا إِنْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ  
فَالدَّهْرُ بِالْمَرْصَادِ لِلْغَفْلَانِ  
إِنْ الْأَبَالِسَ حِينَ أَعْيَا أَمْرُكُمْ  
جَاءَتْكُمْ فِي صُورَةِ الرُّهْبَانِ  
فَحَذَارِ مَنْ أَنْ تُخْدَعُوا بِلِبَاسِهِمْ  
فَهُمُ الضُّوَارِي فِي لِبَاسِ الضَّانِ  
مَنْ يَتَّبِعِ الْعِمِّيَّانَ حُبّاً بِالْهُدَى  
لَا يَأْمَنُ تَعَثُّرَ الْعَمِّيَّانِ

فَجَعَلَ قَوْماً يُلُومُونَهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ .  
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَهُمْ غُفْرَانُهُ  
أَثَرْتُ أَنْ أَبْقَى بِلَا غُفْرَانٍ  
أَوْ كُنْتُ فِي النَّيِّرَانِ حَيْثُ لَدَيْهِمْ  
مِنْهَا النِّجَاحُ، رَضِيتُ بِالنَّيِّرَانِ  
أَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ الذَّلِّ الرَّدَى  
لَا يَرْضَى بِالذَّلِّ غَيْرُ جَبَّانٍ

\*\*\*\*\*

## ٤٠. الحرية

[الخفيف]

فَتَنَّنَتْهُ مُحَاسِنُ الْحَرِيَّةِ  
لَا سُلَيْمَى وَلَا جَمَالَ سُمِّيَّةِ  
هِيَ أُمْنِيَّةُ الْجَمْمِيعِ وَلَكِنْ  
قَلُّ مَنْ نَالَ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ  
لَيْسَ هَذَا الْإِنْسَانُ عَبْدًا وَلَكِنْ  
أَرْهَقَتْهُ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةِ  
وَعَجِيبٌ أَنْ يُخْلَقَ الْمَرْءُ حُرًّا  
ثُمَّ يَأْبَى لِنَفْسِهِ الْحَرِيَّةِ  
غَادَةً مَا عَرَفْتُ قَلْبًا خَلِيًّا  
مِنْ هَوَاهَا، حَتَّى الْقُلُوبِ الْخَلِيَّةِ  
غَرَسَتْ فِي فُؤَادِهِ الْحُبَّ طِفْلًا  
فَنَمَا الْحُبُّ وَالْفُؤَادُ سَوِيَّةِ  
ثُمَّ لَمَّا فَشَا الْغَرَامُ وَذَاعَتْ  
عَنْهُمَا فِي الْوَرَى أُمُورٌ خَفِيَّةِ  
حَجَبُوهَا عَسَاهُ يَسْلُو وَلَكِنْ  
كَانَ قَيْسًا وَكَانَتْ الْعَامِرِيَّةِ  
بَاتَ يَشْكُو النُّوَى الشَّقِيَّ وَتَشْكُو  
مَانَعِيهَا مِنْ أَنْ تَرَاهُ الشَّقِيَّةِ  
مُسْتَهَامٌ قَضَى زَمَانًا طَوِيلًا  
فِي عَنَاءٍ مِنَ الْقَيْدِ الْقَوِيَّةِ

وعليه من الزمان رقيب  
عاشق للسيادة الوهميَّة  
ولكلِّ مطامعٍ وأمنانٍ  
يبذلُّ النفسَ دونها للمنيَّة  
ويراها لديه أشـرفَ شيءٍ  
وهي أدنى من الأمور الدنيَّة  
زعموا أنَّه المَلِكُ المَفْدَى  
بالرعايا. من شرِّ كلِّ بليَّة  
إنما تفتدي الرعيَّةَ مَلَكاً  
بأزلاً نفسَه فِدَى للرعيَّة  
ظَلَمَ القومَ من توهمَةِ القو  
مُ نصيراً للامَّة (الروسيَّة)  
وإذا أخرج الضعافَ قويُّ  
نسبتَ ضعفَها النفوسُ الأبيَّة!

\*\*\*\*\*

## ٤١. تحية الدستور العثماني

[الطويل]

إلى حيثُ أَلَقْتُ<sup>(١)</sup> يا زَمَانَ المَظَالِمِ  
ولا عُدْتُ يا عَهْدَ الشُّقَا المَتَقَادِمِ  
زَهَبْتَ فلا بَاكِ وَأَتَى بِكِي العَظَمَى  
كفِيفُ رَأَى الأَضْوَاءَ مِلءَ العَوَالِمِ  
وما عَجَبُ أَنْ لَيْسَ فِي القَوْمِ نَادِبُ  
ولَكِنْ عَجِيبٌ أَنْ أَرَى غَيْرَ بِاسْمِ  
نَزَلْتُ عَلَى الشَّرْقِيِّ فَاِنْحَطَّ شَأْنُهُ  
وقَدْ كَانَ غَضُّ الفَخْرِ، غَضُّ المَكَارِمِ  
فَفَرَّقْتَ حَتَّى لَيْسَ غَيْرَ مُفَرِّقِ  
وَخَاصَمْتَ حَتَّى لَيْسَ غَيْرَ التَّخَاصُمِ  
أَقْسَمْتَ فَخَلَّى أَهْلَهُ وَبِلَادَهُ  
إِلَى كُلِّ فَجٍّ مِنْ خَصِيبٍ وَقَاحِمِ<sup>(٢)</sup>  
نَأَى كَاطِماً لِلْغَيْظِ خَوْفَ شِمَاتِهِ  
وَلَمْ يَطْلُبِ الإِنْصَافَ خِيفَةً لَانِمْ  
وَلَوْ شَاءَ لَمْ يَخْتَرُ سِوَى الشَّرِّ مَرْكَباً  
فَقَدْ كَانَتْ الأَحْقَادُ مِلءَ الحَيَازِمِ<sup>(٣)</sup>  
صَحْبِنَاكَ لَا خَوْفَا ثَلَاثِينَ حُجَّةً<sup>(٤)</sup>  
وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا وَضَعْفُ العِزَائِمِ

(١) تصيح مثلاً بالدعود إلى الهلاك

(٢) قاهر

(٣) الحبروم وسط الصدر

(٤) المدد لني قصده السلطان عبدالحميد الثاني في الحكم

وما ذاك عن حبٍّ فما فيك شيمَةٌ  
تُحِبُّ، ولسنا من غُـسْوَاةِ الماتَمِ  
فكنتَ وكان الجَـهْلُ أحسنَ خَلَّةٍ  
لنا، ونجاةُ الحقِّ إحدى الغنائمِ  
وكنتَ وما فينا فتىً غيرُ ناقدٍ  
عليك، ولا ذو سلطنةٍ غيرُ غاشمِ  
ثلاثون عاماً والنوائبُ فوقنا  
مخيِّمةٌ مثل الغيومِ القَوامِ  
فلا العِلْمُ مَرموقٌ، ولا الحقُّ نافذٌ  
ولا حُرمةٌ تُرعى لغيرِ الدراهمِ  
وما نَمَّ غيرُ البَغْيِ والظلمِ والأذى  
فَقُبِّحَتْ من عصرٍ كثيرِ السُّخائمِ<sup>(١)</sup>  
فأغرِبُ، شقيتَ الدهرَ غيرَ مودِّعٍ  
من القومِ إلا بِالظُّبى والصُّوَارِمِ  
فواللهِ ما تَرْضَى قِيودَكَ أَمَّةٌ  
من الناسِ إلا أصبحتُ في البَـهائمِ  
ويا أيها الدُستورُ أهلاً ومرحباً  
«على الطائرِ الميمونِ يا خيرَ قادمِ»<sup>(٢)</sup>  
طلعتَ علينا كوكباً غيرَ أَفَلٍ  
على حينِ أنَّ الشُّرْقَ مُثْقَلَةٌ هائمِ  
فقرتُ عيورُ قبلُ كانتَ حسيرةً  
وجادتُ سروراً بالدموعِ السُّواجِمِ  
وضجَّ الورى في الشرق والغرب ضجَّةً  
أفاق لها، مُستيقظاً، كلُّ نانمِ

(١) الأحقاد ( المفرد. سخيمة ).

(٢) من شعر البهاء زهير



أهبت ففرّ الظلم في الأرض هارباً  
ونكس خزيّاً رأسه كلّ ظالم  
وفاضت على ثغر الحزين ابتسامه  
تخبّر أنّ الحزن ليس بدائم  
وأطلقت الأقلام بعد اعتقالها  
فأسمعت الأكوان سجع الحمائم  
ولم يبق عان<sup>(١)</sup> لم يفك أساره  
ولم يبق جان لم يفز بالمراحم  
وكنا نرى الأحزان ضربة لازب  
فصيرنا نرى الأفراح ضربة لازم  
توهم قوم أنما الشروق واهم  
وأنك يا دستور أضغاث حال  
ورجم قوم أنما تلك خدعة  
فأعدنا ربّ الناس من كل راجم  
تجلّيت فأسودت وجوه وأسفرت  
وجوه، وأمسي غانماً كل غارم  
وما عدت حتى كاد يشتجر القنا  
لأجلك والخطي<sup>(٢)</sup> أعدل حاكم  
وأوشك أن يهتر في كل ساعد  
لكل أبي، كل سيف وصارم  
أبى الجيش إلا أن تكون مؤيداً  
وتأبى سوى تأييد جيش مسالم  
فبوركتما من ساعد ومهند  
برغم خؤون مارق متشائم

(١) الأسير ( السجين )

(٢) الرمح

ولا برح الأحرارُ يشدو بذكرهم  
بنو الشرق، فخرأً، في القرى والعواصم  
رجالٌ لهم ذكرُ الرجالِ وإنما  
جسومهمُ فيها نفوسُ ضراغم  
همُ قَيِّدُونَا بالعوارفِ<sup>(١)</sup> والنَّدَى  
وهمُ أطلقونا من عِقَالِ المغارم  
فلم يبقَ فينا حاكمٌ غيرُ عادلٍ  
ولم يبقَ فينا عادلٌ غيرُ حاكم

\*\*\*\*\*

---

(١) العارفة: المكرمة.

## ٤٢. عبد الحميد بعد إعلان الدستور

[الطويل]

أبا الشعب! اطلع من حجابك يلتق  
بطرفك مثل العارض<sup>(١)</sup> المُتَدَفِّقِ  
جماهير لا يُحصي اليراع عديدها  
هي الرَّمْلُ إلا أنه لم يُنسَقْ  
هو الشعبُ قد وافاك كالبحر زائراً  
وكالجيش يقفو فيلقُ إثرَ فيلق  
تطلع تجده حول قصرِكَ واقفاً  
يحسدُّ تحديقَ الحبِّ الموقِّق  
لقد البستته الأرضُ حلياً كأنه  
أياديكَ فسيهه لم تزل ذات رونق  
وألقت عليه الشمسُ نظرة عاشق  
غيبور تلقأها بنظرة مُشفق  
يهشُّ لمراك الوسيم وإنما  
يهشُّ لمراي الكوكب المُتَنَالِق  
ويعشقُ منك البأسَ والحلمَ والندى  
كذلك من ينظرُ إلى الحُسْنِ يعشق  
يكاد به يرقى إليك اشتياقه  
فيا عجباً: بحرٌ إلى البدر يرتقي!  
تفرِّقُ عنك المفسدون وطالما  
رموا<sup>(٢)</sup> الشعبَ بالتفريق خوفَ التفرِّق

(١) السحاب المطر

(٢) تقرأ بضم الميم للضرورة

وكم أقلقوا في الأرض ثم تراجعوا  
 يقولون: شعبٌ مقلقٌ أيُّ مقلق  
 وكم زفدوا عنه الأراجيفَ وادَّعَوْا  
 وأيدكم ذبائكم الزاهدُ التَّقي  
 لمن يرفعُ الشُّكوى وقد وقفوا له  
 على الباب بالمرصادِ، فاسأله ينطق  
 وأمّا ولا واشٍ ولا متجسسٌ  
 فقد جاء يسعى سعيَ جذلانٍ شقيق  
 يطارحك الحبُّ الذي أنتَ أهله  
 وحسبكُ منه الحبُّ غيرَ مزوق  
 فها جيشك الطامي يضحّ مكبراً  
 بما نال من عهدٍ لديك وموثق  
 يطأطيُّ إجلالاً لشخصيكِ أروساً  
 يطأطيُّ إجلالاً لها كلُّ مفريق  
 لهُامٍ<sup>(١)</sup> متى تُنذِرُ به الدهرُ يصُّعِقُ  
 وإن يتعرّضَ للحوادثِ تفرّق  
 يفاخرُ بالسُّلم الجيوش، وإنه  
 لأضربُها بالسَّيفِ في كلِّ مأزق  
 وأشجعُها قلباً وأكرمُها يداً  
 إذا قال لم يتركُ مجالاً لأحمق  
 ألا أيها الجيشُ العظيمُ ترفُّقاً  
 ملكتَ قلوبَ الناسِ بالعُرفِ<sup>(٢)</sup> فارْفُق  
 ويا أيُّها المَلِكُ المقيمُ (بيلدن)<sup>(٣)</sup>  
 أرى كلَّ قلبٍ سُدَّةً<sup>(٤)</sup> لك فارْتَق

(١) كثير العدد.

(٢) بالمعروف.

(٣) قصر يلدن: قصر النجم.

(٤) عرش

ألا حبّذا الأجنادُ غوثاً لخائفٍ  
ويا حبّذا الأحرارُ ورداً لمُسْتَقٍ  
ويا حبّذا عيّدُ الجلوسِ فإنه  
أجلُّ الذي وَلَّى وأجملُ ما بقي

\*\*\*\*\*

### ٤٣. الذئاب الخاطفة

[الكامل]

ما بالهم نقضوا العهودَ جهّاراً  
وتعمّدوا الإيذاء والإضراراً  
واستأسدوا لما رأوا ليث الشّرى  
عاف الزئيرَ وقلّم الأظفاراً  
داروا به والشرُّ في أحداقهم  
ذا يدعي حقّاً، وذلك ثاراً  
لؤم لعمرُ أبيك لم ير مثله النّـ  
تاريخٌ منذ استقرّاً الأخبّاراً  
وخيانةٌ ما جاءها القوم الألى  
تخذوا مع الوحش القِفارَ دياراً  
أمسى يحرضُ (عاهل الألمان) من  
أمسى يحرضُ في الخفا (البُلغاراً)  
أمعّاشِرَ الإفرنج ليس شهامةً  
ما تفعلون، إذا أمِنْتُمْ عاراً  
أمنَ المروءة أن يُساءَ جوارئنا  
في حين أنّا لا نُسيء جواراً  
أمنَ المروءة أن يطأطيء تاجه  
ملكٌ ليملك في الثرى أشباراً؟  
البقي مرتعّة وخيم فاعلموا  
والظلم يُعقب للظّلم دماراً

إِن تُخْرِجُوا الرِّبَالَ فِي عَرِّيسِهِ<sup>(١)</sup>  
 يَذِرُ السَّكُوتَ وَيَرْكَبُ الْأَخْطَارَا  
 وَكَمَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ الْجَيْشَ الَّذِي  
 دَكَ الْعَسْـرُوشَ وَدَوَّخَ الْأَقْطَارَا  
 جَيْشٌ يَهْزُ الرَّاسِيَاتِ إِذَا انْتَحَى  
 الْهَيْجَا ، وَهَزَّ الصَّارِمَ الْبِئَّارَا  
 وَكَمَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ الشَّعْبَ الَّذِي  
 يَأْبَى وَيَأْتَفُ أَنْ يُرَى خُـوَارَا  
 فَالْوَيْلُ لِلدُّنْيَا إِذَا نَفَضَ الْكُرَى ،  
 وَالْوَيْلُ لِلْأَيَّامِ إِمَّا شَارَا  
 إِنِّي أَرَى لَيْلًا يَخِيْمُ فَوْقَنَا  
 لَا يَنْجِلِي حَسْبِي نُسَيْبُ النَّارَا  
 فَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْ يَوْمٍ بِهِ  
 يَجْرِي النَّجِيْعُ عَلَى الثَّرَى أَنْهَارَا  
 يَوْمٍ تَبَاعُ بِهِ النُّفُوسُ رَخِيصَةً  
 يَوْمٍ يَقْصَرُ هَوْلُهُ الْأَعْمَارَا  
 يَوْمٍ يَكُونُ بِهِ الْجَمِيْعُ عَسَاكِرَا  
 وَالْكَلُّ يَدْخُلُ فِي الْوَغَى مُخْتَارَا

\*\*\*\*\*

(١) عريته او غايته

## ٤٤ - مريض بالغرور

[الكامل]

وقال ينقد أحدهم :

لَمَّا سَكْتُ حَسَبْتُ أَنَّكَ نَاجٍ  
هِيَ هَات، إِنِّي كَالْمَنُونِ أَفْجَايِ  
تَالله تَطْمَعُ بِالسَّلَامَةِ بَعْدَ مَا  
أَلْقَاكَ جَهْلُكَ فِي يَدِ الْأَمْوَاجِ  
إِنْ كَانَ دَاخِلَكَ الْغُرُورُ فَإِنَّهُ  
مَا أَنْفَكَ فِي الْبُسْطَاءِ وَالسُّدَاكِ  
إِنِّي أَنَا الْأَسَدُ الْهَصُورُ بِسَالَةٍ  
وَيْلٌ لِقَوْمٍ حَاوَلُوا إِخْرَاجِي  
حَاوَلْتَ أَنْ تَهْتَاجَنِي عَنْ مَرِيضِي  
لَتَنَالِ ذِكْرًا، خِيبْتَ يَا ذَا الرَّاجِي  
عَارٌ إِذَا أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِبِي  
إِذْ لَيْسَ مِنْ خُلُقِي افْتِرَاسُ نِعَاجِ  
وَضَنَنْتَ أَنَّكَ بِالْعُشْرِ أَشَدُّ  
رُمْتَ الْقَرِيضَ فَمَا ظَفِيرَتَ بِحَاجِ<sup>(١)</sup>  
إِنَّ الْقَوَافِي كَالْخِرَائِدِ<sup>(٢)</sup> مِثْلُ  
وَتَفُوقُهَا فِي نَبْذِ كُلِّ مُدَاجِ  
وَالشَّعْرُ تَاجٌ لَوْ عَلِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ  
مِمَّنْ يَلِيْقُ بِحَمْلِ هَذَا الثَّجَاجِ

(١) حاجة أو رعدة

(٢) الحريدة اللؤلؤة قبل أن تنقلب



خُذْهَا مَثْقَفَةً إِذَا وَقَعَتْ عَلَى  
جَبَلٍ لِأُزْعَجِ أَيَّمَا إِزْعَاجِ  
أَنَا خَيْرٌ مِنْ قَالَ الْقَوَافِي، مَادِحاً  
أَنَا خَيْرٌ مِنْ قَالَ الْقَوَافِي، هَاجِي  
قَدْ كُنْتُ أَزْهَدُ فِي الْهَجَا لَوْلَمْ يَكُنْ  
لَكَ يَا مَرِيضَ الْعُجْبِ خَيْرٌ عِلَاجِ

\*\*\*\*\*

## ٤٥. عفو بغير مقدرة

وقال فيه أيضاً :

[البسيط]

سكتُ خوفاً، وقلت: الصَّفْحُ من خُلُقي!  
ونمت جُبْنًا، وقلت الحِلْمُ من شِيمي!  
وانما أنت والأقوامُ قد علِموا  
لولا خُمولُك لم تسكتَ ولم تنم  
لم تمتنع أنْفَةً<sup>١</sup> لكن قد امتنعتُ  
عليك أشباهَ ما قد صاغهُ قلمي  
حاولتُ وجدان عيب لي فكنتُ كمن  
يحاول الماء في البركان ذي الضَّرم  
فقلت للقوم - في ما قلت - تخذعهم:  
لقد هجاني وبعضُ الهجو كالوصم  
الذَّمَّ عارٌ ولكنَّ ذمَّ ذي كرم،  
والحمدُ لله لم نذممُ أخا كرم  
سأحبسُنَّ<sup>٢</sup> لساني عنك، عن شمم،  
وحرمة لأهل الودِّ والذَّم  
قومٌ لعمر أبي، لو كان سَفْكُ دمي  
ولا مغالاة يُرضيهم، سَفَكْتُ دمي  
إني أجالهم عن أن يُغيِّرهم  
كلام ذي حَسَدٍ أو قول متَّهم

(١) يريد أنْفَةً، وسَكَنَ للضرورة

(٢) جاء بها في موضع (لاحبسُنَّ)

ما العجزُ أقعدني لما كفتُ يدي،  
لكن لأجلهم نهنتُ<sup>(١)</sup> من كلمي  
ولو أشياء ملأت الأرض قاطبةً  
قوافياً، والفضاء الرُحْبَ بالحِكم  
ولستُ أعجبُ أن لم تشتكِ الماءُ  
أنَّ الجماداتِ لا تشكو من الألم

\*\*\*\*

---

(١) نهنته كَفَّه

## ٤٦. فتنة ١٣ أبريل<sup>١</sup>

[المديد]

بورك الصَّمَّ صامٌ من حكم  
بين محكِّومٍ ومحتكمٍ  
إنني بعثُ السَّيراعَ به  
لا أبيعُ السَّيفَ بالقِمامِ  
صاحٍ إن العزَّ ممْتنعُ  
نَيْلُهُ إلا على الخِدمِ<sup>٢</sup>  
إنما الضَّرغامُ سَوْدُهُ  
نابَهُ المَرْهوبُ في البِهمِ  
لو يُسمَّى السَّيفُ ثَانِيَةً  
بات يُدعى: مُنْقِذُ الأَمَمِ  
فلهُ في الغَرْبِ مَأْتَرَةٌ  
مِثْلُهَا في التُّركِ والعِجَمِ  
ضَيْفُ (سَالُونِيك)<sup>٣</sup> مالِك في  
سَجْنِهَا ضَيْفُ سَوَى السَّامِ  
ذاك ضَيْفٌ غَيْرٌ مُحْتَشِمِ  
إنَّ تَحَاوُلَ طَرْدِهِ يُقِمُ  
قَدْ خَلَّتْ (يَلْدِين)<sup>٤</sup> مِنْكَ وَمَا  
ذَكَرُهَا يُخَالِيكَ مِنْ أَلَمِ

(١) خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولية السلطان رشاد ( باسم محمد الخامس ) سنة ١٩٠٩

(٢) سرعة القطع يريد السيف

(٣) السلطان عبد الحميد وقد نزل سجيناً بسالونيك بعد خلعهِ

(٤) قصره في استانبول

زُلْتُ عَنْهَا وَهِيَ بَاقِيَةٌ  
 عِظَّةُ الْخَلْقِ كَأَنَّهُمْ  
 إِنْ تَكُنْ تَبْغِي الرِّجُوعَ لَهَا  
 ذَاكَ مَقْضِيٌّ لَدَى الْحُلَمِ  
 مَرْتَعُ الْغَيْدِ الْأَوَانِسِ بِلِ  
 مَرْبَعِ الْوَاشِشِينَ وَالنُّهْمِ  
 خَبَّرِينَا إِنْ فَيْكَ لَنَا  
 حَكْمَةٌ تَعَالَوْ عَلَى الْحِكَمِ  
 خَبَّرِينَا كَيْفَ عَاقِبَةُ الْـ  
 بَغْيِ: هَلْ كَانَتْ سِوَى نَدَمٍ؟  
 جُرْتُ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ بِنَا  
 غَيْرَ أَنْ الْجَوْرَ لَمْ يَدُمْ  
 كُنْتَ كَالْأَيَّامِ مَا قَصِدْتُ  
 بِالرِّزَايَا غَيْرَ ذِي شَمَمِ  
 ظَلْتُ تَقْرِي<sup>١</sup> الْحَوْتَ مِنْ جِشْتِ  
 أَوْشَكْتُ تُبَالِيهِ بِالنُّخَمِ<sup>٢</sup>  
 نِعْمُ لِلْبَحْرِ.. تَطْرَحُهَا  
 يَا لَهَا فِي الْبَرِّ مِنْ نِقَمِ  
 وَلَكُمْ حَالَتْ مِنْ حُرْمِ  
 وَلَكُمْ أَفْسَسَدَتْ مِنْ ذِمَمِ  
 لَمْ تَرَاعِ قَطُّ ذَا صِلَاةِ  
 لَا وَلَمْ تُشْشَفِقْ عَلَى رَحِمِ  
 رَاعِكَ الدُّسْتُورَ مِنْتَ صِرَاً  
 فَأَثَرْتُ الْجُنْدَ (بِالْعِمَمِ)<sup>٣</sup>

(١) تطعم (من القرى)

(٢) قيل عن السلطان عبد الحميد إنه كان يأمر بإلقاء خصومه السياسيين في خليج البسفور المطل عليه قصره طعماً لحيتانه التي أعدت لهذا العرض والمدافعون عنه يقولون إنه ألقى فيه رجلاً واحداً اغتصب ابنته، فكبر عليه إثمه

(٣) أصحاب العمام

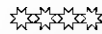
كَادَ يَلْقَى مِنْكَ مَصْرَعَهُ  
 وَهَوَّ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى الْحُكْمِ  
 رَبُّ اللَّيْلِ بَتَّ تَرْقُوبَهُ  
 رَقَبَةُ السَّرْحَانِ<sup>١</sup> الْغَنَمِ  
 وَنَهَارٍ كَدَّتْ فِيهِ لَهُ  
 غَيْرَ خَاشٍ كَيْدَ مَنْتَقِمِ  
 أَحْسَبْتَ الْقَوْمَ قَدْ غَفَلُوا  
 وَنَسُوا مَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ  
 أَمْ ظَنَنْتَ الشَّعْبَ حَنًّا إِلَى  
 أَمْرَةِ الْخَصَّيَّانِ وَالْخَدَمِ  
 أَمْ حَسِبْتَ الْجَيْشَ مَبْتَعِدًا  
 وَهُوَ أَدْنَى مِنْ يَدِ الْفَقَمِ  
 لَمْ يُطِيقْ صَبْرًا عَلَى مَضَضِ  
 فَاتَى يَسْعَى عَلَى قَدَمِ  
 عِلْمٍ مِنْ خِلَافِهِ عِلْمٌ  
 وَكَمِي<sup>٢</sup> يَقْتَفِيهِ كَمِي  
 حَاطَ يَلْدِي زَا فَكَانَ لَهَا  
 كَسِيوَارٍ غَيْرِ مَنْفَصَمِ  
 وَرَأَتْ عَيْنَاكَ غَضَبَتَهُ  
 فَبَكَتْ خَوْفَ الرُّدَى بِدَمِ  
 ثَلُّ مِنْكَ التَّاجَ مَهْتَضِمًا  
 مِنْ يُعَادِ الشَّعْبَ يُهْتَضِمُ<sup>٣</sup>

(١) الذئب

(٢) شجاع

(٣) يُخْلَلُ وَيُنْكَسَرُ

بَتُّ لَا جَيْشٌ وَلَا عِشْرٌ  
 يَا صَرِيحَ الْجَيْشِ وَالْعِشْرِ  
 وَفَشَا مَا كُنْتَ تُضْمَرُهُ  
 فَعَرَفْنَا نَاقِضَ الْقَسَمِ  
 كُنْتَ مَسْلُوبَ الْكَرَى حَذِرًا  
 وَلَقَدْ أُعْطِيَتْهُ فَنَمَ!  
 وَدَعَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا  
 مَا أَرَى الْحَسَنَاءَ لِلْهَرَمِ!  
 لَسْتُ مِنْ طِرْسِي وَلَا قَلَمِي  
 إِنْ كَبَا فِي حَائِبَةِ قَلَمِي  
 قُلْ لِمَنْ رَامُوا مُسَاجِلَتِي  
 لَيْسَ غَيْرِي تَاجِرُ الْكَلَمِ



يَا رِشَادَ الْمُلْكِ<sup>١</sup> تَهْنِئَةٌ  
 بِالَّذِي أُوتِيَتْ مِنْ نِعَمٍ  
 إِنْ تَكُنْ ذَاكَ السَّجِّينَ فَيَا  
 رَبُّ عَانٍ<sup>٢</sup> غَيْرَ مُجْتَرَمٍ  
 أَنْتَ كَالصَّدِيقِ<sup>٣</sup> أَسْكَنَهُ  
 فَضْلُهُ فِي السَّجْنِ مِنْ قِدَمٍ  
 كُنْ لِهَذَا الشَّعْبِ يَوْسُفَهُ  
 يَنْجُ مِنْ عُدْمٍ وَمِنْ عُدَمٍ  
 لَسْتُ تَرْضَى أَنْ يُقَالَ: كَبَا  
 دُونَ شَعْبِ هَامٍ بِالصَّنَمِ

(١) السلطان محمد رشاد الخامس الذي ولي الملك بعد عبد الحميد

(٢) العاني هو الأسير أو السجين

(٣) النبي يوسف، ومعلوم أنه كان سجيناً قبل أن يلي تموين مصر

أنت الشورى نعوذها  
 بك من عات ومن نهم  
 فتقلد سيف جذك عث  
 -مان<sup>١</sup> جد البيض والحذم<sup>٢</sup>  
 وتول الممك من أمم  
 وبحبل الله فاعترضم  
 قد شفا مراك مقائه  
 من عمى ، والأذن من صمم  
 دمت يا خير الملوك له  
 غير ما هم ولا سقم

\*\*\*\*

---

(١) عثمان أرطغرل المؤسس الأول لدولة سميت باسمه في آسيا الصغرى العثمانيون .

(٢) البيض السيوف والحذم سرعة القطع يريد السيوف القاطعة



## ٤٧. الكبرياء خلة الشيطان

[الكامل]

لي صاحب دخل الغرور فؤاده  
ان الغرور أخي من أعمداني  
أسديته نُصحي فزاد تمادياً  
في غييه وازداد فـفيه بلاني  
أمسى يسيء بي الظنون ولم تسو،  
لولا الغرور، ظنونه بولاني  
قد كنت أرجو أن يُقيم على الولا  
أبداء، ولكن خاب فيه رجائي  
أهوى اللقاء به ويهوى ضده  
فكأنما الموت الزؤام لقاني  
اني لأصحبهُ على علاته  
والبدر من قدم أخو الظلّماء  
يا صاح ان الكبر خلق سيء  
هيهات يوجد في سوى الجهلاء  
والعجب داء لا يُنال بواؤه  
حتى ينال الخلد في الدنيا  
فاخفض جناحك للأنام تفرّ بهم  
ان التواضع شيمه الحكماء  
لو أعجب القمر المنير بنفسه  
لرايته يهوي إلى الغبراء

\*\*\*\*

---

(١) يريد الدنيا، ونمذها للضرورة

## ٤٨ . أيها القلم

[البسيط]

ماذا جنيت عليهم أيها القلم  
والله ما فيك إلا النصح والحكم  
إني ليحزنني أن يسجنوك وهم  
لولاك في الأرض لم تثبت لهم قدم  
خلقت حراً كموج البحر مندفعاً  
فما القيود وما الأصفاد والأجـم  
إن يحبسوا الطائر المحكي في قفص  
فليس يحبس منه الصوت والنغم  
الله في أمة جار الزمان بها  
يفنى الزمان ولا يفنى لها ألم  
كأنما خصها بالذل بارئها  
أو أقسم الدهر لا يعلوها علم  
مهضومة الحق لا ذنب جنته سوى  
أن الحقوق لديها ليس تنهضم  
مرت عليها سنون كلها نغم  
ما كان أسعدها لو أنها نعم  
عدوا شكيته ظلماً، وما ظلمت،  
وانما ظلموها بالذي زعموا  
ما ضرهم أنها باتت تسألهم  
أين الموثيق؟ أين العهد والقسم؟

أما كفى أن في اذانهم صمماً  
حتى أراوا بأن ينتابها الصم  
كأنما سئموا ألا يزال بها  
روح على الدهر لم يظفر بها السأم  
فقيدوها لعل القيد يسكتها  
وعز أن يسكت المظلوم لو علموا  
وأرهمقوا الصحف والأقلام في زمن  
يكاد يعبد فيه الطرس والقلم  
إن يمنعوا الصحف فينا بث لوعتنا  
فكأننا صحف في مصر ترتسم  
إنالقوم لنا مجد سنذكره  
ما دام فينا لسان ناطق وفم  
كيف السبيل إلى سلوان رفعتنا  
وهي التي تتمنى بعضها الأمم  
يأبى لنا العز أن نرضى المذلة في  
عصر رأينا به العبدان تحترم  
للموت أجمل من عيش على مضض  
إن الحياة بلا حريّة عدم

\*\*\*\*

## ٤٩. مصر والشام

[الوافر]

أ طال الليلُ أم طال المُقامُ؟  
أم المحزونُ خامره الهُيامُ؟  
فبات يُصعدُ الزفراتُ وجداً  
وأمّا نأح أسعده<sup>(١)</sup> الحمام  
تعودُ جسمه الأسقام حتى  
ليحذر أن يُزايله السقام  
وأغرى جفنه بالسُّهد حتى  
ليُشفق أن يُطيف به المنام  
تجمعتِ الهُمومُ عليه تترى  
كما اجتمعت على الماء السوام<sup>(٢)</sup>  
وأعوزهُ على البلوى مُعينُ  
وأعوز ليله القمرُ التمام  
فضاق فؤاده بالهم ذرعاً  
وضاق بهمه وبه الظلام  
كانُ نجومه أجفانُ باك  
كان الليل صببُ مستهَام  
أبالأقمارِ ما بي، فهي مثلي  
تحاولُ أن تنام فلا تنام؟  
أبت إلا السكوت وبِت أشكو  
وأنى يصحبُ الوجدُ اكْتِتام

(١) أسعفه وأنجده

(٢) السوام الماشية التي ترعى

وليس بنافعٍ منها سكوتٌ  
 وليس بنافعٍ الشُّهْبُ الكلام  
 كَأَنِّي قَارِئٌ وَاللَّيْلُ سِقْفٌ  
 لَهُ بَدْءٌ وَلَيْسَ لَهُ خِتَامٌ  
 كَذَاكَ الِهْمُّ أَعْسَرَ مَا تَرَاهُ  
 إِذَا سَكَنَ الدُّجَى وَغَفَا الْأَنَامُ  
 تَحَنُّنٌ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ نَفْسِي  
 أَقْطَرُ الشَّامَ حَيَّاكَ الْغَمَامُ  
 وَمَا غَيْرَ الشَّامِ وَسَاكِنِيهِ  
 لِبَانَتْ نَا<sup>(١)</sup> وَإِنْ بَعْدَ الشَّامِ  
 وَلَوْلَا أَنْ فِي مِصْرٍ مُقَامِي  
 لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا طَالَ الْمُقَامُ  
 مَضَى عَامٌ عَلَيَّ بِأَرْضِ مِصْرٍ  
 وَذَا عَامٌ وَسَوْفَ يَجِيءُ عَامٌ  
 وَمَا مِصْرُ الَّتِي مَلَكَتْ فَوَادِي  
 وَلَكِنْ أَهْلُهَا قَوْمٌ كِرَامٌ  
 وَدَانَهُمْ عَلَى الْأَيَّامِ بِأَقْ  
 وَجَارَهُمْ عَزِيزٌ لَا يُضَامُ  
 وَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ لَيْنُ الْحُمَيَّا<sup>٢</sup>  
 إِذَا انْتَسَبَتْ إِلَى اللَّيْنِ الْمُدَامُ  
 وَتُبْصِرُ فِي صَدْرِهِمْ أَنَاةٌ  
 إِذَا الْأَحْلَامُ<sup>٣</sup> طَاحَ بِهَا الْخِصَامُ

(١) غرضنا

(٢) الحمرة

(٣) العقول (العلم)

أَبَتْ إِلَّا عَنَّا دَهُمَّ الْإِلْيَالِي  
فَمَا يَتَّسُوا الْغَدَاةَ وَلَا اسْتَنَامُوا  
يُودُ الطَّامَعُونَ بِأَرْضِ مِصْرٍ  
لَوْ أَنَّهُمْ بِهَا أَبَدًا أَقَامُوا  
فَلَا عَجَبٌ إِذَا خَفَرُوا زِمَامًا<sup>١</sup>  
شَدِيدُ الْبَطْشِ لَيْسَ لَهُ زِمَامٌ  
نَلَامُ عَلَى الْكَلَامِ وَقَدْ أَصْبَيْنَا  
وَقَدْ ضَلَّوْا الصَّوَابَ فَلَمْ يَلَامُوا  
أَقَانُونًا قِيُودُهُمْ تُسَمَّى ؟  
إِذَا قَدْ أَنْتَ الرَّجُلُ الْإِثْمَانُ  
إِلَّا مَا تُمْنَعُ الدُّسْتُورِ مِصْرُ  
وَقَدْ كَادَتْ تَفُوزُ بِهِ (سِيَام)<sup>٢</sup>  
بَنِي مِصْرٍ عَلَى الْأَحْدَاثِ صَبْرًا  
فَقَبْلَ الصَّبْحِ يَجْتَمِعُ الْغَمَامُ  
وَلَا يَلْحَقُ بِكُمْ ضَجْرٌ فَإِنِّي  
رَأَيْتُ الظُّلَمَ لَيْسَ لَهُ نَوَامُ  
فَإِنَّ اللَّيْلَ يَعْقُبُهُ صَبَاحُ  
وَإِنَّ الْحَرْبَ أَخْرُهَا سَلَامُ

\*\*\*\*\*

(١) العهد

(٢) من دول الشرق الأقصى وتمد ميم ( إلام ) في أول البيت للضرورة

## ٥٠ - (عام ١٩١٠)

[الكامل]

إني سكتُ وما عدمتُ المنطقا  
لولا أخوك سبقتُ فيك الأسبقا  
وهززتُ أوتار القلوب بصامتٍ  
يشتااقُ كلُّ مهذبٍ أن ينطقا  
فبعثتُ في أفواههم مثل الطلّا  
ونفثتُ في أسماعهم شبه الرُقَى<sup>١</sup>  
والنَّتْ قاسي الشعْر حتى يبتغى  
وشدّدتُ منه اللّين حتى يُنقى  
وجلّوتُ للأبصار كلَّ خريدة<sup>٢</sup>  
عصماء تحسّدها النفوسُ تالقا  
تبدو فتتركُ كلَّ قلبٍ شيق  
خلّوا وتتركُ كلَّ خالٍ شيقا  
ولّى أخوك فما أمضني النوى  
ولقد قدمتُ فما هشتُ إلى اللقا  
أقبلتُ والدنيا إليّ بغِيضةً  
هلا سبقتُ إليّ أسباب الشقا  
حنّقتُ بلا سببٍ عليّ، وإنه  
سببٌ جديرٌ عنده أن أحنّقا

(١) الطلا الحمر والرقية العوزة (والجمع رُقَى)

(٢) اللؤلؤة قبل أن تنقب يرید القصيدة من شعره

عَلِيتُ أَخِي كَفُّ الْمُنُونِ وَكِدْتُ أَنْ  
 أَسْعَى عَلَى اثَارِهِ لَوْلَا النَّتْقَى  
 مَا أَشْفَقْتُ نَفْسِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا  
 أَشْفَقْتُ أَنْ أَبْكِيَ الصَّدِيقَ الْمَشْفِقَا  
 وَدَعَيْتُهُ كَالْبِدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ  
 وَالْبِدْرُ لَيْسَ بِأَمِنْ أَنْ يُمَحَقَّا  
 وَلَقَدْ رَجَوْتُ لَهُ الْبِقَاءَ وَإِنَّمَا  
 يَدْنُو الْحَمَامُ لِمَنْ يُحِبُّ لَهُ الْبِقَا  
 أَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ قُصَّ جَنَاحُهُ  
 فَهَوَى وَلَوْ سَلِمَ الْجَنَاحُ لَحُلِقَا  
 نَانِي الرَّجَاءِ فَلَا أَسِيرُ مُوْتَقٍ  
 أَرْجُو الْفِكَاكَ، وَلَسْتُ حُرّاً مُطْلَقَا  
 وَلَقَدْ لَبَسْتُ مِنَ السَّوَادِ شَعَانِرَا  
 حَتَّى خَضِبْتُ مِنَ الْحِدَادِ الْمَفْرَقَا  
 وَزَجَرْتُ عَيْنِي أَنْ تُسَرَّ بِمَنْظَرِ  
 وَمَنْعْتُ قَلْبِي بَعْدَهُ أَنْ يَخْفِقَا  
 لَا أَظْلِمُ الْأَيَّامَ فِي مَا قَدْ جَنْتُ  
 لَا تَأْمِنُ الْأَيَّامُ أَنْ تَتَفَرَّقَا  
 كُنْ كَيْفَ شِئْتُ فَلَسْتُ أَسْكُنُ لِلْمُنَى  
 بَعْدَ الْحَبِيبِ وَلَسْتُ أَحْذَرُ مُوْبِقَا<sup>١</sup>  
 عَامٌ نَسِيتُ سَعُودَهُ بِنُحُوسِهِ  
 قَدْ يَحْجُبُ اللَّيْلُ الْهَلَالَ الْمُشْرِقَا  
 لَمْ أَنْسَ طَاغِيَةَ الْمُلُوكِ وَقَدْ هَوَى  
 عَنْ عَرْشِهِ وَأَسِيرَهُ لَمَّا ارْتَقَى

(١) الموبق المهلك (وبق يبق هلك )



والشاه منخلع الحُشاشة واجفُ  
 رأيت شاهاً قط أصبح بيدقاً  
 ما زال يحتقر الظُّبا حتى غدا  
 لا تُذكرُ الأسيافُ حتى يُصعقاً<sup>١</sup>  
 بتُّنا إذا التركيُّ ضجَّ مهلاً  
 عبث الهوى بالفارسيِّ فصعقاً  
 ذكرى تُحرك كلَّ قلب ساكنٍ  
 حتى ليعشق بعدها أن يعشقا  
 فيما على النِّيلِ النحوسُ ولم يكن  
 دون الخليج ولا الفُرات تدفقاً  
 إن لم أذد عن أرض مصر موقفاً  
 أودى بمالي الزمان موقفاً  
 ما بالها تشكو زوال بهانها  
 وهي التي كانت تزين المشرقاً  
 قد أخلفت كف السياسة عهداً  
 إن السياسة لا تُراعي موثقاً  
 كذبوا على مصر وصدق قولهم  
 والشرُّ أن تجد الكذوب مصدقاً  
 وأبوا علينا أننا لا ننتهي  
 من مازقٍ حتى نصادف مازقاً  
 سلكوا بنا في كلِّ وادٍ ضيقٍ  
 حتى قنطننا أن يصيبوا ضيقاً  
 منعوا الصحافة أن تبث شكائنا  
 منعوا الكواكب أن تبين وتشرقاً

(١) القُبَّة حد السيف والسنان والحنجر ( والجمع ظُبا وظبات وظيرون )

لوأنصفوا رفعوا القيود فإنما  
يشكو الأسير الأسراماً أرهاقاً  
وسعوا إلى سلب القناة فأخفقوا  
سعيًا، وشاء الله أن لا نخفقا  
عرض الحساب المستشار ولم يكن  
لولا السياسة حاسباً ومدققاً  
أكون غاصبنا ويزعم أنه  
أمسى علينا محسناً متصدقاً  
أبني الكنانة! لستم أبناءها  
حتى تقوا مصر البلاء المطبقاً  
إن تحفظوها تحفظوا في نسلكم  
ذكراً يخلد في الليالي رونقا

\*\*\*\*

## ٥١ - دعاية<sup>١</sup>

وقال يداعب صديقاً له يعشق التمثيل:

[الكامل]

نُبِّئْتُ أَنَّكَ تَعِشُّقُ التَّمَثِيلَا  
عِشْقاً يَمَثِّلُ فِي حَشَاكَ فُصُولَا  
وَتَكَادُ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ وَالْجَوَى<sup>٢</sup>  
أَنْ تَهْجُرَ الْمَشْرُوبَ وَالْمَأْكُولَا!  
عَلَّيْتُ نَفْسَكَ بِالْمُحَالِ فَأَصْبَحْتُ  
فِي غَمْرَةٍ، وَغَدَوْتُ أَنْتَ عَلِيلاً  
وَالنَّفْسُ تَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَحَبِّذَا  
لَوْ أَنْتَ صَيَّرْتَ الْقَلِيلَ السُّوْلَا<sup>٣</sup>  
تَأْتِي الْمَرَاسِحُ<sup>٤</sup> أَنْ تُنْيِكَ وَدَهَا  
إِنْ الْمَرَاسِحُ لَا تَحِبُّ ثَقِيلَا!

\*\*\*\*

---

(١) هذا العنوان لا يوجد بالأصل

(٢) الجوى الحرقرة وشدة الوجد

(٣) السؤل هو السؤل، أي الشيء الذي يريده الإنسان

(٤) هكذا كانت تُنطق هذه الكلمة، أحياناً، في ذلك العصر

## ٥٢ - أيا نيل

[الطويل]

وقفتُ ضحىً في شاطئ النيل وقفةً  
يُضِنُّ بها إلا على النيل شاعره  
تهلّل حتى كاد يبدو ضميّره  
وعبّس حتى كاد يُشكّل ظاهره  
فطوراً أُجِيلُ الطرف في صفحاته  
وطوراً أُجِيلُ الطرف فيما يُجاوره  
فثمّ جلالٌ يملأ النفس هيبةً  
وثمّ جمالٌ يملأ العين باهره  
والحظُّ شمس الأفق وهي مُطلّة  
تسايرُ فيه ظلّها إذ تُسايره  
فأحسبُها فيه تُساهمني الهوى  
وتُحسبُني فيها الغرامُ أشاطره  
إذا هي ألقت في حواشيه نورها  
رأى التّبر يجري في حواشيه ناظره  
أطالت به التّحديق حتى كأنما  
تحاولُ منه أن تبين سرائره  
فيا لهما الفَيْنِ باتا بمعزل  
يخامرُها من حُبّه ما يخامرُه  
يروحُ النسيمُ الرطبُ في جنباته  
يداعبُه طوراً، وطوراً يحاورُه

وتقبضُ من مبسوطه نفحاته  
 كما قبض الثوب المطرّن ناشره  
 فيصدف عنه وهو داجٍ مقطّب  
 كأن عدواً بالنسيم يحاذره  
 كأتي به سيفٌ تدانت سطورهُ  
 أوائله قد شكّلت وأواخرهُ  
 إذا ما جلا لناظرين رموزه  
 تجلّى لهم ماضي الزمان وحاضره  
 أيا نيل! نبئني أحاديث من مضوا  
 لعلّ شفاء النفس ما أنت ذاكرهُ  
 حيالك صبّ بالخطوب مهدد  
 جوانحه رهن الهموم وخاطرهُ  
 أطاع شجوناً لو أطاع فؤاده  
 عليها لفاضت بالنّجيع محاجرهُ  
 يحثُّ إليّ الدهرُ كلّ رزيئة،  
 على عجلٍ، حتى كأتي وأترهُ  
 وما أنا بالعبد الذي يرهّب العصا  
 ولكنني حرٌّ تروّع بوادرهُ  
 أيا نيل! فامنحني على الحقّ قوة  
 فما سودّ الضّرغام إلا أظافرهُ  
 وهبني بأساً يسكن الدهرُ عنده  
 فقد طالما جاشت عليّ مناخرهُ  
 إذا لم تكن عون الشجيّ على الأسى  
 فخازله فيه سواءً وناصره

قَنِي الْيَأْسَ، وَامْنَعْ شَعْبَكَ الضَّعْفَ يَتَّقِي  
 وَيُنْصِفُهُ مِنْ حُسَّادِهِ مَنْ يُنَاكِرُهُ<sup>١</sup>  
 هُوَ الدَّهْرُ مِنْ ضِدِّينَ: ذُلٌّ وَعِزَّةٌ  
 فَمَنْ ذُلٌّ شَاكِيهِ، وَمَنْ عِزٌّ شَاكِرُهُ  
 وَلِلْقَادَرِ الْمَاضِي الْعَزِيمَةِ حُلُوهُ<sup>٢</sup>  
 وَلِلْعَاجِزِ الْوَاهِي الشَّكِيمَةِ حَازِرُهُ<sup>٣</sup>  
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْقَادِرُونَ عَلَى الْعُلَا  
 وَلَيْسَتْ صُنُوفُ الطَّيْرِ إِلَّا كَوَاسِرُهُ  
 أَلَمْ تَرَهُ مُنْذُ اسْتَلَيْتَ قَنَاةَهُ  
 تَمْشَتْ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ تُسَاوِرُهُ  
 فَأَرْهَقَ حَتَّى مَا يَبِينُ كَلَامُهُ  
 وَقَيَّدَ حَتَّى لَيْسَ تَسْرِي خَوَاطِرُهُ  
 وَلَوْ مَلَكَوا الْأَقْدَارَ، أَسْتَغْفِرُ الَّذِي  
 لَهُ الْمُلْكُ يَوْتِيهِ الَّذِي هُوَ أَثَرُهُ  
 لَمَا تَرَكَوا شَمْسَ النَّهَارِ يَزُورُهُ  
 سَنَاهَا، وَلَا زُهْرَ النُّجُومِ تُسَامِرُهُ  
 يَرِيلُونَ أَنْ يَبْقَى وَيَذْهَبُ مَجْدُهُ  
 وَكَيْفَ بَقَاءُ الشَّعْبِ بَادَتْ مِثْرُهُ  
 فَغُورِسْتُ<sup>٣</sup> فِي مِصْرٍ يَسُدُّ سَهْمَهُ  
 إِلَيْهِ، وَقَتَّاصُ الْوَحُوشِ يُضَافِرُهُ  
 يَلْجُونَ فِي أَعْنَاتِهِ، فَإِذَا شَكَا  
 يَصِيحُونَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ ثَارَ ثَائِرُهُ

(١) ينكر حقه في الحياة

(٢) الحزير من اللبن أشد من الحامض

(٣) غورست هو المعتمد البريطاني في ذلك العهد

لقد هزّنوا لما تنبّه بعضه  
فلمّ ذمّروا لما تنبّه سائره؟  
يقولون: جان لا يحلّ فكاهه  
ولو أنصفوه حمل الإثم اسيره  
عجبت لقوم يُنكرون شعوره  
وهاتا مجاليه وتلك مظاهره  
ألم يك في يوم القنّاة ثباته  
دليلاً على أن ليس توهي مرانره<sup>١</sup>  
يعزّ على المصري أن يحمل الأسى  
وحاضره يأبى الهوان وغابره  
لئن تك للتاريخ والله زينه  
فما زينه التاريخ إلا مفاخره  
رعى الله من أبنائه من يذود عن  
حمّاه، ومن أضيافه من يُظَاهره<sup>٢</sup>  
همُ بعثوا فيه الحياة جديدة  
فشُدّت أواخيه<sup>٣</sup> وعزّت أواصره  
وهمُ أسمعوا الأيام صوتاً كأنما  
هو الرعدُ تدوي في السماء زماجره  
وهمُ أطلقوا أقلامهم حين أصبحت  
مكبّالة أقلامه ومحابره  
كذلك إن يعدم أخو الظلم ناصراً  
فلن يعدم المظلوم حراً يناصره

\*\*\*\*

(١) المرّة القوة وشدة العقل

(٢) يسانده أو يساعده يقصد السوريين الذين وقفوا إلى جانب المصريين في المطالب الوطنية

(٣) الأخية عروة تُربط إلى وتد وتشد فيها الدابة

### ٥٣. شكاة إلى صديق<sup>١</sup>

[مجزوء الكامل]

وقال وقد أرسلها إلى صديق

يَا مَنْ قَرَّبْتَ مِنَ الْقُفُوءَا  
دَوَّأَنْتَ عَنْ عَيْنِي بِعَيْدٍ  
شَوْقِي إِلَيْكَ أَشَدُّ مِنْ  
شَوْقِ السَّالِمِ<sup>٢</sup> إِلَى الْهَجُودِ<sup>٣</sup>  
أَهْوَى لِقَاءَكَ مَثَلَمَا  
يَهْوَى أَخُو الظُّلْمِ الْوُرُودَ  
وَتَصَدَّقْنِي عَنْكَ النَّوَى  
وَأَصْدُ عَنْ هَذَا الصُّنُودِ  
وَرَدَّتْ نَمِيْقَتُكَ<sup>٤</sup> الَّتِي  
جَمَعْتُ مِنَ الدَّرْرِ النَّضِيدِ  
فَكَأَنَّ لِفُظِّكَ لَوْلُؤُ  
وَكَأَنَّمَا الْقِرْطَاسُ جَرِيدُ  
أَشْكَو إِلَيْكَ وَلَا يَلَا  
مُ إِذَا شَكََا الْعَانِي الْقَيُودَ  
دَهْرًا بِإِيْدَا مَا يُنِيدُ  
لُ وَدَادَهُ إِلَّا بِبَلِيدِ  
وَمُعَاشِرًا مَا فِيهِمْ

(١) هذا العنوان غير موجود بالأصل

(٢) الملبوغ

(٣) النوم

(٤) رسالتك



إِن جِئْتَهُمْ، غَيْرُ الْوَعُودِ  
 مُتَّفَرِّجِينَ وَمَا التُّفَّرُ  
 نُجٌ عِنْدَهُمْ غَيْرُ الْجُحُودِ  
 لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الشُّجَا  
 عَةِ غَيْرَ مَا عَرَفَ الْقُرُودِ  
 سَيَّانٍ قَالُوا بِالرُّضَا  
 عَنِّي أَوِ السُّخْطِ الشَّدِيدِ  
 مِنْ لَيْسٍ يَصْدُقُ فِي الْوَعْوِ  
 دٍ فَلَيْسَ يَصْدُقُ فِي الْوَعِيدِ  
 نَفَرٌ إِذَا عُدَّ الرَّجَا  
 لُ عَدَدَتَهُمْ طِيَّ الْأُحُودِ  
 تَأَبَّى السَّمَاخَ طِبَاعُهُمْ  
 مَا كُلُّ ذِي مَالٍ يَجُودِ  
 أَسْخَاهُمْ بِنُضَارِهِ  
 أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصُّلُودِ  
 جَعَدُ الْبَنَانِ بِعَرَضِهِ  
 يَفْدِي الْأُجَيْنَ مِنَ الْوُفُودِ<sup>١</sup>  
 وَيَخَافُ مِنْ أَضْيَافِهِ  
 خَوْفَ الصَّغِيرِ مِنَ الْيَهُودِ<sup>٢</sup>  
 تَعَسَّ أَمْـرُؤٌ لَا يَسُ  
 تَفِيدُ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا يُفِيدُ  
 وَأَرَى عَدِيمَ النَّفْعِ أَنْ  
 وَجُودَهُ ضَرُرُّ الْوُجُودِ

(١) جعودة البنان كناية عن خصلة الكرم والنضار الذهب واللجين الفضة  
 (٢) الشائعة التي تقول إن اليهود يقتلون الأطفال ويمزجون دماءهم بالفطير في الفصح

## ٥٤. الشعر والشعراء

[الوافر]

بَغَيْشِكَ هَلْ جُزِيتَ عَنِ الْقَوَافِي  
بَغَيْرِ «أَجَدْتُ» أَوْ «لَا فُضُّ فُوكَا»  
جَزَاؤُكَ مِنْ كَرِيمٍ أَوْ بَخِيلٍ،  
رَقِيقاً كَانَ شِعْرُكَ أَوْ رَكِيكاً  
كَلَامٌ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً  
إِذَا لَمْ يَقْتُلِ الْآمَالَ فَيَكَا  
وَرُبُّنَا مَا يَمُنُّ عَلَيْكَ قَوْمٌ  
كَأَنَّكَ قَدْ غَدَوْتَ بِهِ مَلِيكاً  
إِذَا أُرْسِلْتَ قَافِيَةً شَرُوداً<sup>(١)</sup>  
فَقَدْ أَيْقَظْتَ فِي النَّاسِ الشُّكُوكَا  
وَقَدْ تُبْلَى بِأَحْمَقٍ يَدَّعِيهَا  
فَإِنْ تَغْضَبُ لَذَلِكَ.. يَدَّعِيكََا

[البسيط]

وقال معاتباً :

إِنْ كَانَ ذَنْبِي دَفَاعِي عَنْ حَقِّ وَقْكَمُ  
فَلَسْتُ أَدْرِي وَرَبِّي كَيْفَ أَعْتَزِّرُ  
أُعِيذُكُمْ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: قَدْ مُدَحُّوا  
فَمَا أَثَابُوا عَلَى قَوْلٍ وَلَا شَكَرُوا!

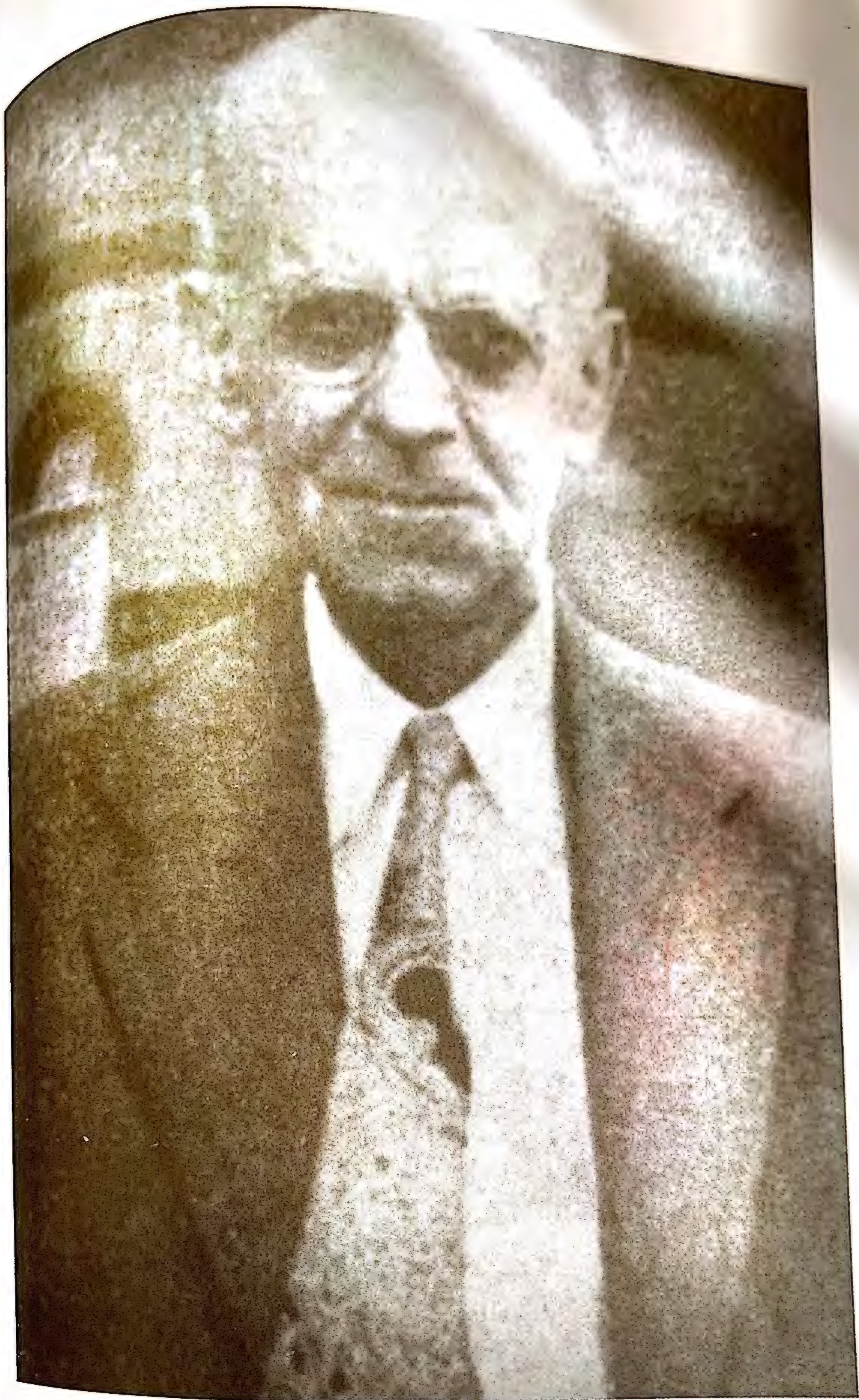
ملاحظة :

ختم إيليا أبوماضي ديوانه هذا بهذه العبارة: « تنبيه - لا يزال لدينا طائفة من  
الفصائد التي كنا قد أعدناها لهذا الجزء، وموعداً بها الجزء الثاني، وإنه لقريب ... »

\*\*\*\*\*

(١) قافية مشتهرة.

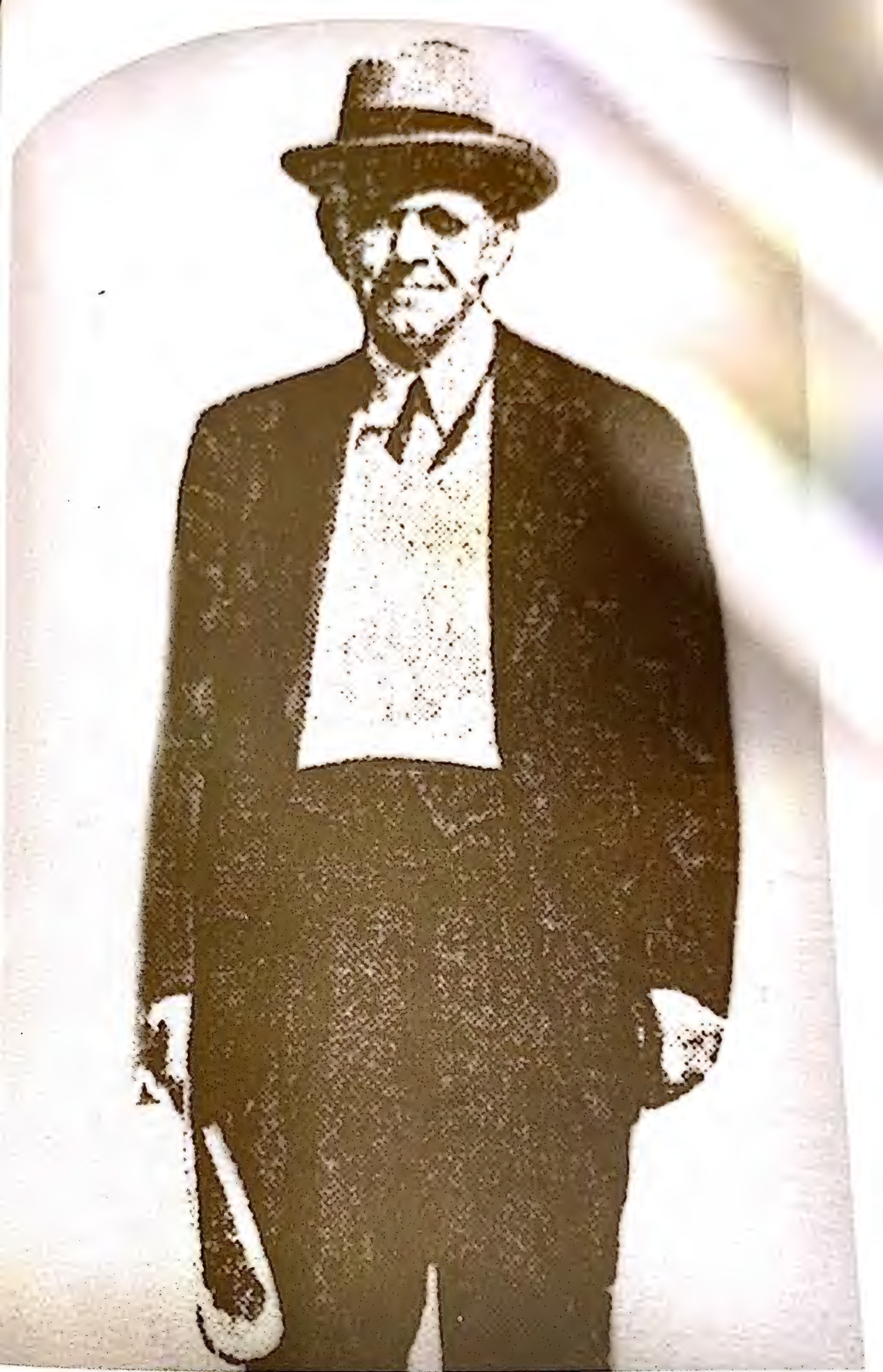














## تولكو شبركة دير ديوان التجارة

( لصاحبها )

حسن محمود

و

« حمدان عبد الحميد غنام

أكبر مصادرها في أوروبا .

وبغيرها . فان شركة دير ديوان تستورد كل هذه الاصناف من

اذا كنت تريد الربح . واذا كنت تريد ان تكون بضاعتك هي

المفضلة الرابعة المرغوب فيها . واذا كنت تريد ان تتعامل

مع قوم يجرعون على مصلحتك حرصهم على مصلحتهم

فعامل مع « شركة دير ديوان »

فهي الشركة التي تستحق ان توليها ثقتك اولا لاستقامة اصحابها

ثانيا طبرتهم الطويلة في عالم التجارة . ثالثا لما اشتهروا به من

المتعة في انتشاء السجاء الايطالي والفرنسي والابنري

والسكارات ولفظة الفرثة والمالولات من كل الانوع والقيامات

وخروما التي عليها الكتابات المكية والتفوش والصور الشرفية

**DARDEWAN TRADING CO.**

**10 WEST 33rd ST**

**NEW YORK CITY**

( مطبعة السهير التجارية )

— اطلع مطروحاتك في السير مرة فليها كل مرة —



لستها - ايليا ابرمساخي

( بطل الاشرار الجنوبي )

سنة دولارات في الولايات المتحدة : سنة دولارات في حازر البلدان الاجبية

افنداري - بيلك - بانشا

زكا تقيبا ونس نيتيها

من الامور التي تجري عندنا على غير قياس نثبت جهود كبير من

ابناء الاصناع المربية بالالتداب والنموث التي جاهدتهم من تركيا الارستوقراطية

البائنة وهي الحكومة التي ابتغوها حتى حاربوها ، وسادوها حتى انزلت  
اعلاها من سائهم .

اليس من الشؤذ في المنطق ، والحيث على القوية ان يكون . قوم دولة

ما وفي الوقت ذاته يشتون القابا ويحرمون على ما عندهم منها حرمهم  
على تذكارات قيمة من حبيب غالي

بلى . واغرب ما تقدم ان يلقي الاثر لك هذه الالتاب لاسيماهم اباما

وهي القاب في ارضهم ثبات وسما خرجت . وصب عليها نحن ان تقارنا  
فبتي عندنا وهي غربة عنا وديعة علينا

ترأنا منذ عهد قريب ان مسكوة المازدي في اقره وصلت ان حصل





# السَّامِر



« منشأ - ايليا ابوماضي »

اول ايار

سنة ١٩٣٣

## فراشة واقحوانة

في يوم من ايام الصيف الذهبية سمعت فراشة تهمس في اذن اقحوانة:  
- يامسكينة لو كنت مجنحة مثلي لما امتدت اليك ايدي الصبيان  
فاجابتها !لاقحوانة : يامتكبرة لو كنت مثلي غير مجنحة لما تراكض  
الصبيان خلفك لامساكك ..

— ( ) —

وفي ليلة من ليالي الشتاء الكالحة جلست امام الموقد اصطلي وفتحت  
كتاباً اتلى بالمطالعة فوجدت في الكتاب عظتين صامتين - جناحاً  
فراشة . واوراق اقحوانة !

— ( ) —

وعادت مواكب الصيف الى الارض مرة اخرى، فخرجت الى الحقل  
فاذا في الحقل فراشة تقول لاقحوانة : ليتك مجنحة مثلي . فتقول لها  
الاقحوانة : ليتك مثلي غير مجنحة ..... !



مجلة علمية - أدبية - روائية - كالمية  
- الرسائل -

١ دولارات لمدينة نيويورك كل الرسائل يجب ان تكون باسم  
٢ دولارات في الولايات المتحدة صاحب السيرة ورئيس تحريرها  
٣ دولارات في الخارج ايضاً او ماني

العدد ٢١١ ١٥ غرامات ١٩٣٢ السنة الثالثة

## الحرب ا...

حديث ذو خجون



لقت بالأمس في طريقي الى الحي السوري رجلاً لي به مرفة فما كنت  
طارحه. لتجبه حتى ابتدرني قائلاً - ما رايك؟ هل تقع الحرب بين الولايات  
المتحدة واليابان؟

قلت - بلوحي من سر الأمور ان الموقف يخرج غير اني اتيك منسوب الحرب  
بين الدولتين واعتقد ان السواس يميلون بحكمتهم ودرابهم للمحاول دون وفيها

فيها محدثي وبنا لي من ملاحظه ان جوابي لم يكن عند رضاء ثم قل -  
ولكن كير من الناس يعتقدون ان اللازمة المتأخرة في العالم التي نتجت عن

الحرب السابقة لا يحل عقدها غير حرب جديدة على حد ما قبل - وداذا في ما التي  
كانت هي الماء ١

قلت - وعلم انت من اتباع هذا الرأي؟  
قال - بل انما من احد المومنين به فقد كانت ترى الواحدة من المكمل

مجلة علمية - أدبية - روائية - كالمية  
- الرسائل -

١ دولارات لمدينة نيويورك كل الرسائل يجب ان تكون باسم  
٢ دولارات في الولايات المتحدة صاحب السيرة ورئيس تحريرها  
٣ دولارات في الخارج ايضاً او ماني

## اذا ٥٥٥٥

اذا كنت تنظر الى السير بين المبدق المحب والمبدق هو الذي لا يتناول  
في قضاء حقوقه صديقه .

واذا كنت تنظر اليها بين الرجل امير على لاديب . فميرة على الأدب  
تتغير تغيره .

واذا كنت تنظر اليها بين المهاجر فلا ريب انك تعرف كم يقتضي امداد  
مجلة كالسير مرتين في الشهر من النفقات الباهظة .

وعلى كل الاحوال تنوه ان تعدد حسابك اذا كنت لم تعدد بعد . ولك  
سلفاً شكرنا الوافر .

- نزهة وراحة وتوفير -

بوسطن ٤ دولارات - بروكفيلد ٣ دولارات . وستر ٥ دولارات و٦ سنوات  
هذه الامار تشمل سربير النوم . ويضاف دولار واحد لفرقة خارجية فيها مايجاز

فرقة المرسى ١١ عند آخر شارع ليرتي

COLONIAL LINE

PHONE: BARCLAY 7-1800

- موسيقى ورقص -



الجزء ١٩

أول طباعة ١٩٣٤

لغة الطب

# التبليغ

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

الكتاب الثاني (

GEORGE C APOSTLE  
UNDERPRIKER  
- CHAPELS -  
NEW YORK BROOKLYN  
45 E 43 ST  
TEL: 4-2387222 / TEL: 4-674522

اننا مستعدون لخدمة السورين واللبنانيين الخطة النموذج ونجرب ان نوفر  
عليهم كثيرا من مميزات النائم . وقد اتفقت مع السيد داود الحماري والتفاهم  
بيننا وبينهم فليكن بخياره شخصيا او اطلبوه بالاتفون فليطعنكم اسيارنا التي  
لا يجارثا نيا احد

عندنا لاجل وادرس محلات للمآآتم في النطاق والاطااط التي نحن بها  
واستعدادنا تام لارضا. اي كان ونظمي اسيارا خصوصية للفران.  
ومن احب مغامرة مستعدنا السيد داود للحماري فيكون ذلك الى فرعا  
الوجود تحت رقم ٢١٩ انلا تلتك اثير بروكلن ونفزة التلنون -

مابين ٤ - ٧٦١١ ومابين ٤ - ٧٦١٢

- موبيتي ورفض -

كولوبل لابن - هي الشركة التي يلك للبر. السفر في بواخرها الشقة  
قد خففت اسيارها مومرا ففارت هكلنا -

نحن بونوروك الى برويندنس ذخابا او بابابا ثلاثة دولارات ونصف د . ه  
نولارات ذخابا وبابابا

ومن بونوروك الى بوملن ٤ دولارات ونصف . وستة دولارات ذخابا  
بابابا . فاقتموا هذه التزيمة واكثروا اليها راما او بواسطة مجلة السير

COLONIAL LITER  
Phone: Barclay 7-1800





# الشمس

الرمائل -

بدل الاصحاح

٦ دولارات في مدينة نيويورك  
٥ دولارات في الولايات المتحدة  
٦ دولارات في الخارج

كل الرمال يجب ان تكون باسم  
ماحب السير ورئيس تحريرها  
ابليسا ابو ماضي

العدد الثالث عشر - ١٥ تشرين الاول ١٩٣١ - العدد الثالث عشر

## رجع الصدى -

وقف رجل بابنه مرة عند جبل وقال له ارفع صوتك . فرفع الولد صوته  
واذا بالصدى يجاوبه . فقال له - ما هذا ؟ قال - الصدى .

فخطر اليه وقال : يا بني لو رفعت صوتك هارثا ماخرا . لعاد اليك الصدى  
هارثا ماخرا . ولو ارسلت صوتك مترنما لرجع اليك مترنما .

منلما تحلي تاخذ . فاعرف اذن كيف تعطي الذي يرضي سواك لكي يعود  
اليك ما يرضيك . فانت لا سواك الذي يسعد نفسه وينقيها . واعلم ان لا شيء يفي  
منه الحياة ينهب مدى وان كل ما يفرحك ويقمك . ويريحك ويتعبك هو منك  
واليك .

واعلم فوق ذلك ان المال وان كثر في يديك معار . وان الشهرة لا تقوم  
وان الاصحاب يتغيرون ولا يبقى الا انت . فلا تعمل الا حساً ولا تصنع الا خيراً  
فانك ملاق غدا كل ما عملت اليوم . وسيمود اليك كما عاد الصدى .



## تبرهنة جبران ؟ !

قرأنا في كثير من الاستغراب والدمع مثالا في جريئة البشير بضم الباء  
على الفاعل، الساذج بأن جبران حليل جبران كان خلا فاعدي . وكافرا فارتد  
الذي الايمان . وميتا قلب . وليس من هذا الذي ذكرته البشير شيء . فجبران  
الكافر في نظر رجال الدين لم يكن كافرا عند نفسه لكي يتوب ويرتد . وهو في  
كتاباته الاخيرة مثله في كتاباته الاولى . ذلك الشاعر الرمام المنحرف ذو الايمان  
: ترايح الذي تضحل لديه العهود المسكانية وتبيخه العوارق المنجية الموزونة  
وقد بقي على ايمانه هذا الى آخر لحظة من حياته .  
وقد رأينا تنويرا للعارى، ان تغل من مقال البشير اهم النقاط التي انارت  
استغرابنا وبطالغ كلتنا فيها بعد ان ينتهي منها .

## كلام البشير

• فنحن ان كنا مع روضاء المطائفة الاجلاء، شكرنا الله على - ارتداد ؟ فزيد  
لبنان الى حظيرة الايمان . واعلانه - سراجه او ضنا . بكتاباته الاخيرة . وما  
اظهره . قبل موته ؟ انه جحد تلك السبابة، والنظريات التي اثرتنا اليها . نرى  
من واجباته القراء، الى ان توبة جبران ؟ . . . لا تسوع مطالعة الكتب التي  
حارب بها العقائد والترايع وتحامل فيها على رجال الدين . وان ما حرمت  
مرآته من مؤلفاته لا يزال محرما بالبنمة التي استقبل بها .

فليحذر المتدين . وطلبه المدارس . وكل المطالعين الترضي لمخالفته  
اوامر الدين ونواحيه . ظنا منهم ان التوبة اصلحت المحفوظ من كتاباته المضللة .  
ويتأ بها جلدت به توبة جبران من الاقوال المأثورة نرى ان يسند الى  
جينة كتاباته من يهود المخلول . وجميع الصالح منها في كتب يسهل اقتلاعه

على كاهن صليبيته ايمانه لا يهوى من الحزب المسمى . ولا يصحح المعاني  
تسرات ذلك الفكر المحض . وقد في طرفة بطلين على زمانيه المعية لا حية  
ورعايب الحقيقة المأثورة الزقية .

## كلنا

اجريئة البشير الذي تعلق بلسان رجال الدين ان تسير جبران كغيرها او  
فانما ان مصلا وهذا رأي لها لا حاد لها به ولا تسير به . ولكن المعنى هو  
لها عن توبة جبران جميع بين المحسنة والمساكن لا به حصص من حيران كغيرها  
وموسنا في وقت واحد . بل بسعة فدا هو ضمه لا من الكافرين ولا من المؤمنين  
ولم كانت سيرة ادب كبير كجبران . يجب ان تكون حالة من ثواب المسكين  
من ثوابت الوهم . سواء عند رجال الدين موسنا مضمرة كورا . وروا .  
بعض كتاباته ام خجوما كلها . نأية نحن الذين عابوا جبران رمتا طوبلا  
نروي ما نعرفه عنه من عدم الناجية حتى اذا ما ظلم لنا مخرج سيرة سيرة  
استطاع ان يبردها كما هي بلا عناء وان يأتي بها مريحة لا عموما فيها ولا  
عاشي جبران لا يشي الى مسبب من المساهب الدينية لا هي اقواله ولا

انصاه بل كوثن نفسه عينة خامه مسئلة تختلف في كبر من وجودها عن البشير  
التي ولد فيها وتربي عليها . وهي مبنية في كبره وصانده وروحه . وقد  
لمون ان يعمل عنها او يبدل جنا منها . وهذا قوله لعائنة البشير التي داق لها ان  
توده الى حظيرة الايمان بعد ان عمل الموت لسانه وحلم موهبته . فسق  
عزاهه الاذنون لم تسع به ولم تنراه له كلنا بل على انه جحد بشا في  
ظلياته وجادته . بل الذي تنوه انه لم يرجع في حياته الى كبري ولا حرم  
مرا من الاقراء التي ترميها الكبة على ابناءها الوثنية . وادادته في سيرة  
تختلف عن اداء البشير كبرا . وعصا ملك السوء في السنن وهو في ربه  
عسا ان كان كاتوبكا البشير - كبر .

المراد هو ان يسهل ذلك على من يري انهم في سيرة سيرة



بحسب نفسه فهو صنف الكاتب .

حكاية هذا الضمير المضموع هي انه قرأ نسخة بالانكليزية للكاتب الهمداني احمد عبادته فوجدت له النفس الالهية بالصور . ان ترجمتها الى العربية على وجهه اللغتين . وتكون ان العاموس بعده امانه المسائب وبطلان المسائب فاشيا في عاموسه الانكليزية عربية وانكسب على ترجمه النسخه وجاء النسخه كاتبا حديث المخرج او طبع بطا لا لم العربية ولا الانكليزية وجاءت النسخه كاتبا حديث المخرج او طبع بطا لا لم يتوفر على ترجمتها غير مترجم واحد لا دماغ وهو حاضرة العاموس . . . .

وكان بعد ذلك ان النسخه وصلت الى ادارة جريدة عربية هي نيويورك وفيها اولها كلمة يهدي فيها المترجم هذه الى محرر تلك الجريدة . ولكن المحرر لم يكن من الذين يخلون مثل عدم الرضا بعد اعمال الرواية اما النسخه التي مر بها مستورا بكلمه لطيفة ان المقام لا يسمح لنشرها في الجريدة وكان ذلك من المحرر اتفاقا على احاطي النسخ . وليس هذا المحرر باول من اخرج ضميرهم ان الادعاء احاطا ! .

وكانت النتيجة ان ذلك الضمير المختار المضموع طبع الجريدة وطمع بفتح على المحرر بانه غبي لا يقيم للاتباء المحببة وزا . وحسنه ان احمد عبادته كاتب كبير وان المسجلات الاخير كنه سرت لفضله . ولكنه سي انه هو الذي ترجمها . وان احمد عبادته لم عرف بجانبه على اسمه لوجه في المارستان ! وما هي غير فترة قصيرة من الزمن حتى رجعت النسخه من التي ترجمها اليها نيويورك وحلت بها طبلا في ادارة مجلة عربية . لما فتحها المحرر حتى لهما نائية واعادها الى صاحبها مستورا عن سرها بانها لا تنق وسهاج المسجلة وتوقع المحرر ان يكون ذلك الضمير لينا فيهم بالاعتادة . لير انه لم يهتم ! وهو الان يتحدث الى اصحابه واقربائه الذين يحسونه بنيا . يقول لهم انه الناس الذين يحررون البراءة والمسجلات المترجمة لا يهتمون ! . صدق الضمير . فالجملية لا يهتمون الا لملك الضمير ! .

حديث التوبة مكتوب وسموس عليه . ضد ضمير بانه حتى اطلق الردي اجنانه فاذا كانت التوبة التي اخارت اليها البشير قدسدت بمذواته فذلك اعجوبة يصيب قسدها حتى على البشير .

واخيرا ان جبران لم يتعد خط انه زائع بالمعنى المفهوم من رجال الدين لكي يتوب . او كافر ليرتد الى حظيرة الايمان . ولكنه كان يؤمن باث على طريقته . فلرجال الدين ان يشيروا حروجا على الدين او الحاد وانما لا يسوع لهم ان يقبلوا من جبران بمعنى كرينوا بمعنى الاخر فجبران واحد لا اثنان . وبما انهم اخرون لا يضيفون ان ياخذوا شهرته كرجل ممتاز وينجيوا كتاباته ويحفظوا مطالبها فجبران ليس ذلك الرجل الممتاز الا بكتاباته . فاذا فجيوا شجوة . اما ان يعد الى تنقية كتاباته فامر لا ينطبق على رغائب التقيد الاخيرة ولا سبل اليه لان هذه الكتابات قد اصبحت ملك الجمهور والاربع وليس لاحد مهما احب جبران او افضه ان يغير نفسه المتصرف بشيء ليس له ولا يملك حق التصرف به غير صاحبه وهو الان بين يدي ربه .

### ادعياء الادب

ليس احب الى هذه المسجلة من تنجي اي ناثي . تنزع به النفس التي ان يكون كتابا او مؤلفا او غيرا . ولكننا لا نقدر ان نخلق من غير الكاتب كاتب ولا من غير الشاعر شاعرا . ولا ان نجعل من الضمير ملسانا فصيح . قلله وحده هذه الامور .

فهي بلدة وليس من ولاية وست فوجينا غايه لا نفسه ولكننا نخس حكايته لعله اذا قرأها بهتة من غلوائه وبقين من مكرمة المروءة ثم لعل في مردها وادعا الاعماله معنى يترقى لهم ان الشهيرة امر ميسور لكل من استطاع ان يبرز اسمه مطبوع في كتابه مقال مسروق او مستعمل وان معبود نشره اي كلام في جريدة يرسله لان



## المحتوى

٣	■ التصدير .. أ. عبدالعزيز سعود البابطين
٧	■ إيليا أبو ماضي .. حياته وشعره (الأعمال الشعرية الكاملة - دراسة) . د. عبدالكريم الأشتر
٧١	■ المصادر والمراجع
٧٣	■ كلمة موجزة

### الديوان الأول / الجزء الأول (تذكارات الماضي)

٧٩	■ إهداء الديوان
٨٠	١ - الإنسان والدين
٨٣	٢ - المرأة والمرأة
٨٦	٣ - المودة
٨٨	٤ - عن مصر
٩٢	٥ - شكوى فتاة
٩٥	٦ - إلى الشبان المتفرنجين
٩٧	٧ - هديتي
١٠٢	٨ - الرجل والمرأة
١٠٤	٩ - عبّاد الذهب
١٠٥	١٠ - الإنسان والدنيا
١٠٦	١١ - وردة وأميل
١١٠	١٢ - أنا .. هو
١١٩	١٣ - ضيف ثقيل
١٢١	١٤ - قتل نفسه

١٢٤	١٥ - ذكرى وعبرة
١٢٦	١٦ - مصرع حبيبين
١٣٠	١٧ - معركة شمولبو
١٣٤	١٨ - في وصف رسم سياسي
١٣٦	١٩ - الكرنفال
١٣٨	٢٠ - أنا .. وهي
١٤١	٢١ - طفلة والقمر
١٤٤	٢٢ - فنون الوصف
١٤٧	٢٣ - قصيدة الطبيعة
١٤٩	٢٤ - سقوط بور آرثور
١٥٢	٢٥ - بلا قلب
١٥٣	٢٦ - لقاء وفراق
١٥٧	٢٧ - بنت الفرقدين
١٥٩	٢٨ - أخت ليلي
١٦٠	٢٩ - طببي الخاص
١٦٦	٣٠ - حنة مشتاق
١٦٩	٣١ - الحسن لا يشرى ولا يستجلب
١٧١	٣٢ - أنا إمام الذين هاموا
١٧٣	٣٣ - الرزء الأليم
١٧٥	٣٤ - الخطب الفادح
١٧٨	٣٥ - فقيد الوطنية
١٨١	٣٦ - كل من عليها فان
١٨٤	٣٧ - البدر الأقل

١٨٨	٣٨ - أنا والنجم
١٩١	٣٩ - في سبيل الإصلاح
١٩٤	٤٠ - الحرية
١٩٦	٤١ - تحية الدستور العثماني
٢٠٠	٤٢ - عبد الحميد بعد إعلان الدستور
٢٠٣	٤٣ - الذئاب الخاطفة
٢٠٥	٤٤ - مريض بالغرور
٢٠٧	٤٥ - عفو بغير مقدرة
٢٠٩	٤٦ - فتنة ١٣ إبريل
٢١٤	٤٧ - الكبرياء خلة الشيطان
٢١٥	٤٨ - أيها القلم
٢١٧	٤٩ - مصر والشام
٢٢٠	٥٠ - عام ١٩١٠
٢٢٤	٥١ - دعاية
٢٢٥	٥٢ - أيا نيل
٢٢٩	٥٣ - شكاة إلى صديق
٢٣١	٥٤ - الشعر والشعراء
٢٤٤	■ المحتوى

\*\*\*\*\*

# الديوان الثاني

## (ديوان إيليا أبي ماضي - الجزء الثاني)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة مرآة الغرب اليومية - نيويورك ١٩١٩) وأعيد طبعه<sup>١</sup> في كتاب عنوانه: (إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر) دار اليقظة العربية - دمشق ١٩٥٤.

أكبر دواوين أبي ماضي، يزيد ما جُمع فيه على ألفي بيت، موزعة على تسعة وسبعين نصاً شعرياً، ضم نتائج السنين الثماني التي أعقبت صدور ديوانه الأول - وعدّه هو الجزء الأول (١٩١١ - ١٩١٩) - إلى ما امتنع عن نشره فيه، وهو في مصر، لدواع مختلفة. وقدّم له - وقد سماه: الجزء الثاني من ديوانه - جبران خليل جبران، بعد ظهور الرابطة القلمية (١٩١٦) وقبل نشرها مجموعتها المعروفة (١٩٢١) بسنتين.

\*\*\*\*

---

(١) باستثناء نصين لم أقع عليهما في مكان آخر إهداء الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك (نعمة تادرس ١٢ بيتاً)، وقصيدة معربة عن الإنجليزية عنوانها (نشد التباراري ٢١ بيتاً) ونصين آخرين، وقعت عليهما في الديوان الذي نشرته دار العودة، بيروت ٢٠٠٢





## مقدمة

الشعر عاطفة تتشوق إلى القصي غير المعروف فتجعله قريباً معروفاً، وفكرة تناجي الخفي غير المدرك فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم.

أما الشاعر فهو مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون، وأذن باطنية تسمع من همس الأيام والليالي ما لا تعيه الأذان.

ينظر الشاعر إلى وردة ذابلة فيرى فيها مئساة الدهور، ويشاهد طفلاً راكضاً وراء الفراشة، فيرى فيه أسرار الكون، ويسير في الحقل فيسمع أغاني البلابل والشحارير وليس هناك شحارير ولا بلابل، ويمشي في العاصفة فيخوض غمار معركة هوجاء بين جيوش الأرض وفيالق السماء.

يقف الشاعر أمام شلال، فيقول:

فيه من السَّيْفِ الصَّقِيلِ بَرِيقٌ

وله ضَجِيجُ الجَحْفَلِ الجَرَّارِ

أبدأ يرشُّ صخوره بدموعه

أُتْرَاهُ يَغْسِرُهَا من الأوزارِ

ويرفع عينيه ليلاً نحو السماء، فيصرخ :

أبكي وتُصْغِي إلى بكائي

يا ربُّ هل تعشقُ النجوم؟

ويلتقي بحبيبه فيهمس:

وددتُ الإفاضة قبل اللقاءِ

فلمَّا لقيتُك لم أنبسِ

وَبِتَّ وَايَّـكَ فِي مَعـَزَلٍ  
كَأَنِّي وَايَّـكَ فِي مَجـَاسٍ

يرى الشاعر ويسمع كل هذه الأمور من خلال برقع الحياة، وأنت واقف بجانبه لا ترى غير مظاهرها الخارجية، ولا تسمع سوى أصواتها المشوشة، فتقول في ذاتك: يا له من خياليَّ مجنون، يتمسك بخيوط العنكبوت ويصعد نحو النجوم على سلم مصنوع من أشعة القمر، ويحاول أن يملأ جرّته من ندى الصباح، بل من السراب! إي، فالشاعر يصعد إلى الملاء الأعلى ولكن على سلم أقوى وأبقى من الجبال - يصعد بعزم الروح، ويتمسك بجبال غير منظورة، ولكنها أمتن من سلاسل الحديد - يتمسك بجبال الفكر، ويملاً كنّسه من عصير أرقّ من ندى الفجر - يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسيّر أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح.

الشاعر يفعل كل ذلك وأنت على الأرض، لا تستطيع المسير إلا على قدميك، ولا الصعود إلا على سلم من خشب، ولا السُّكْرُ إلا من عصير العنب، ولا المسرة إلا بالريح، ولا الألم إلا بالخسارة.

الشاعر طائر غريب يُفَلّت من الحقول العلوية، ولكنه لا يبلغ الأرض حتى يحنّ إلى وطنه الأول، فيغرّد حتى في سكوته، ويسبح في فضاء لا حدّ له ولا مدى، مع أنه في قفص.

وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه هذا سلام بين المنظور وغير المنظور، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفائها، وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم تشقّها تظلّ ظمناً حتى تملّ الآلهة البشر، فتغمرهم ثانية بالطوفان.

جبران خليل جبران

\*\*\*\*

## ١ - إهداء الديوان \*

(ثلاثة عشر بيتاً) إلى الثريِّ نعمة تادرس تاجر السجاد الشرقي في نيويورك، وقد تمَّ طبع الديوان على نفقته.

(٢ / ٦ / ١٩١٩ وهو تاريخ صدور الديوان)

\*\*\*\*\*

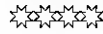
---

(\*) لم نعثَر عليها

## ٢ - الشاعر

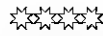
[مختلط]

قالت وصفت لنا الرحيق وكوبها  
وصريغها ومديرها والعاصيرا  
والحقل والفلاح فيه سائرا  
عند المساء يرعى القطيع السائرا  
ووقفت عند البحر يهدر موجه  
فرجعت بالألفاظ بحراً هادرا  
صورت في القرطاس حتى الخاطرا  
فخالبتنا وسحرت حتى الساعرا  
وأريتنا في كل قفر روضه  
وأريتنا في كل روض طائرا  
لكن إذا سأل امرؤ عنك امراً  
أبصرت محتاراً يخاطب حائرا  
من أنت يا هذا؟ فقلت لها: أنا  
كالكهرياء أرى خفياً ظاهرا  
قالت: لعمرك زدت نفسي ضلالة  
ما كان ضرك لو وصفت الشعرا؟

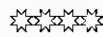


فأجبتُها: هو من يسائل نفسه  
عن نفسه، في صبحه ومساءه  
والعين سر سهادها ورقادها  
والقلب سر قنوطه ورجانه

فيحارُّ بين مجيئه وذهابه  
 ويحارُّ بين أمامه وورائه  
 ويرى أقول النجم قبل أقوله  
 ويرى فناء الشيء قبل فنائه  
 ويسير في الروض الأغن فلا ترى  
 عيناه غير الشوك في أرجائه  
 إن نام لم ترقُد هواجس روحه  
 وإذا استفاق رأيتَه كالتَّائه  
 ما إن يُبالي ضحكنا وبكاءنا  
 ويُخيفُنا في ضحكِه وبكاءه  
 كالنار يلتهم العواطف عقله  
 فيميتها ويموت في صحرائه!



قالت: أتعرف من وصفت؟ فقلت: من؟  
 قالت: وصفت الفيلسوف الكافرا  
 يا شاعر الدنيا وفيك حصافة  
 ما كان ضرك لو وصفت الشاعر؟

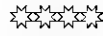


فقلت: هو امرؤ يهوى العُقاراً<sup>١</sup>  
 كما يهوى مُغازلة العذارى  
 إذا فرغت من الرّاح الدّنانُ  
 توهّم أنّ ما فرغ الزمانُ  
 يُعاقِرُها على ضوء الدّراري<sup>٢</sup>  
 فإنّ غربت، على ضوء النهار

---

(١) العُقار الحمر والعُقار (بالتشديد) أصل الدواء، والعقار (بالتخفيف) الأرض والضباع والنخل

وَيَحْسَبُ مَهْرَجَانِ النَّاسِ مَا تَمَّ  
 بِلا خَمَرٍ، وَجَنَّتْهُمْ جَهَنَّمُ  
 مَا لَوْ لَا يَدُومُ عَلَى وَلَا  
 وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى عِدَاءِ  
 أَخُو لَبٍّ وَلَكِنْ لَا إِرَادَةَ  
 وَنُو زَهْدٍ وَلَكِنْ بِالزُّهَادَةِ  
 يَمِيلُ إِلَى الدُّعَابَةِ وَالْمُزَاحِ  
 وَلَوْ بَيْنَ الْأَسْنَةِ وَالصَّفَاحِ  
 وَيُوشِكُ أَنْ يَقْهَقَهُ فِي الْجَنَازَةِ  
 وَيَرْقُصُ كَالْعَوَاصِفِ فِي الْمَفَازَةِ  
 إِذَا بَصُرَتْ بِهِ عَيْنُ الْأَدِيبِ  
 فَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى رَجُلٍ مُرِيبِ  
 يُعَذِّفُهُ الصَّحَابُ فَلَا يُنِيبُ  
 وَيَرْجُرُهُ الْمَشِيبُ فَلَا يَتُوبُ  
 فَقَالَتْ: جِئْتُ بِالْكَلِمِ الْبَدِيعِ  
 وَلَكِنْ مَا وَصَفْتُ سِوَى الْخَلِيعِ !



وَخِفْتُ إِعْرَاضَهَا عَنِّي فَقُلْتُ: إِنَّ  
 هُوَ الَّذِي أَبْدَأُ يَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ  
 كَأَنَّمَا لَيْسَ فِي الدُّنْيَا سِوَاهُ فَتَى  
 مَعْرُضٌ لَخَطُوبِ الدَّهْرِ وَالْحَنِ  
 يَشْكُو السَّقَامَ وَمَا فِي جِسْمِهِ مَرَضُ  
 وَالسُّهْدَ وَهُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْوَسَنِ  
 وَالْهَجَرَ، وَهُوَ بِمَرَأَى مِنْ أَحَبَّتِهِ  
 وَالْأَسْرَ، وَهُوَ طَلِيقُ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

ولا يرى حسناً في الأرض يالْفَه  
 أو يشتهيه، وكم في الأرض من حسن!  
 ينوح في الروض والأشجار مورقَه  
 كما ينوح على الأطلال والدمن  
 فقاطعتني وقالت: قد بعدت بنا  
 ما ذي الصفات صفات الشاعرِ الفطن  
 ❖❖❖❖❖

قلت: مهلاً إذا ضللت وعذراً  
 ربما أخطأ الحكيم وضلاً  
 هو من ترسم الجمال يداه  
 فنراه في الطرس أشهى وأحلى  
 لوذعي<sup>(١)</sup> الفؤاد يلعب بالأل  
 باب لعباً إن شاء أن يتسلى  
 ويرينا ما ليس يبقى سيبقى  
 ويرينا ما ليس يبلى سيبلى  
 يطبع الشهب للأنام نقوداً  
 وهو يشكو الإملاق كيف تولّى  
 أفهذا من تبغين وأبغى  
 وصفه؟ قالت المايحة: كلا!..

❖❖❖❖❖  
 يا هذه اني غيبت بوصفه  
 وعجزت عن إدراك مكنوناته  
 لا تستطيع الخمر سرد صفاته  
 والروض وصف زهوره ونباته

(١) اللوزعيّ الحبيب الفؤاد واللسان، الظريف السريع الإدراك (من اللدّع حدة النار)



هو من نراه سائراً فوق التُّرى  
وكان فوق فؤاده خطواته  
إن نأح فالأرواح في عِبراته  
وإذا شدا فالحب في نغماته  
يبكي مع النائي على أوطانه  
ويشارك المحزون في عِبراته  
وتُغير الأيام قلب فتاته  
ويظل ذا كآف بقلب فتاته  
هو من يعيش لغيره ويظنه  
من ليس يفهمه، يعيش لذاته!!!

\*\*\*\*

### ٣ - فلسفة الحياة

[الخفيف]

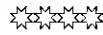
أي هذا الشُّاكي وما بك داءٌ  
كيف تغدو إذا غدوت عالياً؟  
إنَّ شرَّ الجناةِ في الأرضِ نفسٌ  
تتوقى، قبل الرحيل، الرُّحَيْلا  
وترى الشُّوك في الورود، وتعمى  
أن ترى فوقها النُّدى اكليلاً  
هو عبءٌ على الحياةِ ثَقِيلٌ  
من يظنُّ الحياةَ عبئاً ثَقِيلاً  
والذي نفسه بغيرِ جمالٍ  
لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً  
ليس أشقى ممن يرى العيش مرّاً  
ويظنُّ اللُّذات فيه قُضُولا  
أحكُّم الناس في الحياةِ أناسٌ  
عللوا فأحسنوا التعلُّيلاً  
فتمتّع بالصُّبح ما دُمَّت فيه  
لا تخفُّ أن يزول حتى يزولا  
وإذا ما أظلَّ رأسك همٌّ  
قصر البُحث فيه كيلاً يطولا  
أدركتُ كُنْهها طيورُ الرُّوابي  
فمن العار أن تظلَّ جهُولاً

ما تراها، والحقلُ ملكٌ سِواها  
تَخِذْتُ فيه مسرَحاً ومَقِيلًا  
تَتَغَنَّى، والصقْرُ قد ملكَ الجَوَّ  
عليها، والصائدون السَّيْلًا  
تَتَغَنَّى، وقد رأتَ بعضها يُؤْ  
خِذُ حَيًّا والبعضُ يَقْضِي قَتِيلًا  
تَتَغَنَّى، وعمرُها بعضُ عامٍ  
أفتَبِكِي وقد تعيشُ طويلًا؟  
فهي فوق الغصونِ في الفجرِ تتلو  
سُورَ الوجدِ والهوى ترتيلا  
وهي طورا على الثُّرى واقعاتُ  
تَلْقُطُ الحبَّ أو تجرُّ الذيولا  
كأما أمسك الغصونُ سكونُ  
صَفَّقَتْ للغصُونِ حتى تميلًا  
فإذا ذهبَ الأصيلُ الروابي  
وقفتَ فوقها تُناجي الأصيلًا  
فاطْلُبِ اللَّهْوَ مثْلًا ما تَطْلُبُ الأَطْ  
يَارُ عندَ الهجيرِ ظلاً ظليلا  
وتعلمُ حبَّ الطُّبيعةِ منها  
واتركِ القالَ اللورى والقِيلا  
فالذي يَتَّقِي العواذلَ يلقى  
كلَّ حينٍ، في كلِّ شخصٍ، غَنُولا

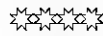


أنتِ للأرضِ أولاً وأخيراً  
كنتِ مَلَكاً أو كنتِ عبيداً ذليلا

لا خلودٌ تحت السَّماءِ لحي  
فأما إذا تُراودُ المستَحِيلَا؟..  
كلُّ نجمٍ إلى الأفقُولِ ولـكنْ  
أفئدةُ النجمِ أن يخافَ الأفقُولَا  
غايةُ الورْدِ في الرياضِ ذُبُولُ  
كنْ حكيماً واسبقْ إليه الذُّبُولَا  
وإذا ما وجدت في الأرض ظلاً  
فتتفياً به إلى أن يحولَا  
وتوقعْ، إذا السماءُ اكفهرتْ  
مطراً في السُّهولِ يُحيي السُّهولَا  
قلْ لقومٍ يستنزفون المقي  
هل شفيتُم مع البكاء غليلاً؟  
ما أتينا إلى الحياة لنشقى  
فأريحوا، أهل العقولِ، العقُولَا  
كلُّ من يجمعُ الهمومَ عليه  
أخذتهُ الهمومُ أخذاً وبليلاً

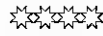


كنْ هزّاراً في عَشَّةٍ يتغنّى  
ومع الكَبَلِ لا يبالِ الكُبُولَا  
لا غراباً يطاردُ الدُّودَ في الأرْ  
ضِ، وبوماً في الليل يبكي الطُّلُولَا

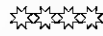


كنْ غديراً يسير في الأرض رُقْراً  
قأ فيسقي من جانبيه الحُقُولَا  
تستحمُّ النجومُ فيه ويالقي  
كلُّ شخصٍ وكلُّ شيءٍ مثليلاً

لا وعاءٌ يقيّدُ الماءَ حتى  
تستحيل المياهُ فيه وحولا



كنْ مع الفجر نسمةً تُوسِعُ الأَنْز  
هَارِ شَمًّا، وتارةً تَقْبِيلا  
لا سَمُومًا من السُّوافي<sup>١</sup> اللواتي  
تملأُ الأرضَ في الظلامِ عويلا  
ومع الليلِ كوكباً يونسُ الغا  
بات والنَّهرَ والرُّبا والسُّهولا  
لا دجى يكرهُ العوالمَ والنَّا  
سَرفياقي على الجميعِ سُدولا



أي هذا الشُّاكي وما بك داءُ  
كنْ جميلاً تر الوجودَ جميلا



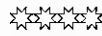
---

(١) السافية الريح التي تسفي التراب (تذروه)

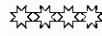
## ٤ - أم القرى

[الكامل]

أبصرتُها، والشمسُ عند شُروقِها  
فرأيتُها مغمورةً بالنَّارِ  
ورأيتُها عند الغروب غريقَةً  
في لُجَّةٍ من سُنْدُسٍ ونُضارٍ<sup>١</sup>  
ورأيتُها تحت الدُّجى، فرأيتُها  
في بُردَتَيْنِ: سَكِينَةٍ ووقارٍ  
فتنبَّهتُ في النفس أحلامُ الصَّبَا  
وغرقتُ في بحرٍ من التُّذْكارِ



نَفْسِي لَهَا مِنْ جَنَّةٍ خَلَابَةٍ  
نَسِجَتْ غِلَانَهَا يَدُ الْأَمْطَارِ  
أَتَى مَشِيَّتُ نَشَقَّتْ مِسْكَاً أَذْفَرَا<sup>٢</sup>  
فِي أَرْضِهَا وَسَمِعْتُ صَوْتَ هَزَارٍ<sup>٣</sup>



ذَاتِ الْجِبَالِ الشَّامَخَاتِ إِلَى الْعُلَا  
يَا لَيْتَ فِي أَعْلَى جِبَالِكَ دَارِي  
لَأَرَى الْغَزَالَ قَبْلَ سُكَّانِ الْحَمَى  
وَأَعَانِقِ النَّسَمَاتِ فِي الْأَسْحَارِ

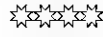
---

(١) السُّنْدُسُ رقيق الدِّيَاجِ ورفيعه والنُّضَارُ الذهبُ الحَالِصُ

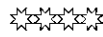
(٢) الذَّفَرُ شدة ذكاء الرِّيحِ مِنَ الطَّيْبِ

(٣) الهَزَارُ طائرُ الْعَنْدَلِيبِ

لأرى رُعَاتكِ فِي الْمُرُوجِ وَفِي الرُّبَا  
وَالشَّاءِ سَارِحَةً مَعَ الْأَبْقَارِ  
لأرى الطَّيُورَ الْوَاقِعَاتِ عَلَى الثُّرَى  
وَالنَّحْلَ حَائِمَةً عَلَى الْأَزْهَارِ  
لَأَسَاجِلَ الْوَرَقَاءِ فِي تَغْرِيدِهَا<sup>١</sup>  
وَتَهَزُّ رُوحِي نَفْحَةً الْمَزْمَارِ  
لَأَسَامِرَ الْأَقْمَارِ فِي أَفْلَاكِهَا  
تَحْتَ الظَّلَامِ إِذَا غَفَا سُمَّارِي  
لَأَرَاقِبَ الدَّلَّوَارِ فِي جَرِيَانِهِ<sup>٢</sup>  
وَأَرَى خِيَالَ الْبَدْرِ فِي الدَّلَّوَارِ



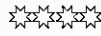
بِئْسَ الْمَدِينَةُ إِنَّهَا سِجْنُ النَّهْيِ  
وَنُوْيُ النَّهْيِ، وَجَهَنَّمُ الْأَحْرَارِ  
لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ فِيهَا نَفْسَهُ  
حَتَّى يَرُوعَهُ ضَجِيجُ قِطَارِ  
وَجَدْتُ بِهَا نَفْسِي الْمَفَاسِدَ وَالْأَذَى  
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ وَكُلِّ جِدارِ  
لَا يَخْدَعُنَّ النَّاضِرِينَ بِرُوجِهَا  
تِلْكَ الْبُرُوجُ مَخَابِيُ الْعَارِ  
لَوْ أَنَّ حَاسِدَ أَهْلِهَا لَأَقَى الَّذِي  
لَا قِيَّتَ لَمْ يَحْسُدْ سِوَى بَشَارِ<sup>٣</sup>  
غُفْرَانِكَ اللَّهُمَّ مَا أَنَا كَافِرٌ  
فَلَمَّا تُعَذِّبُ مُهْجَتِي بِالنَّارِ



---

(١) الورقاء الحمامة  
(٢) الدلوار نهر جارٍ في المنطقة

لله ما أشهى القُرى وأحبُّها  
لِفَتَى بَعِيدِ مَطَارِحِ الْأَفْكَارِ  
إِنْ شِئْتَ تَعْرِى مِنْ قِيُودِكَ كَأَنَّهَا  
فَانْظُرْ إِلَى صَدْرِ السَّمَاءِ الْعَارِي  
وَامْشِ عَلَى ضَوْءِ الصُّبْحِ، فَإِنْ خَبَا  
فَامْشِ عَلَى ضَوْءِ الْهَلَالِ السَّارِي  
عِشْ فِي الْخَلَاءِ تَعِشْ خَلِيًّا هَانِئًا  
كَالطَّيْرِ.. حُرًّا، كَالْغَدِيرِ الْجَارِي  
عِشْ فِي الْخَلَاءِ كَمَا تَعِيشُ طَيُورُهُ  
الْحُرِّيَّابِي الْعَيْشِ تَحْتَ سِتَارِ!



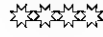
شَلَّالٌ مَلْفُودٌ لَا يَقْرُقُ رَأْيَهُ<sup>١</sup>  
وَأَنَا لَشَوْقِي لَا يَقْرُقُ قَرَارِي  
فِيهِ مِنَ السَّيْفِ الصَّقِيلِ بَرِيقُهُ  
وَلَهُ ضَجِيجُ الْجَحْفَلِ الْجَرَّارِ  
أَبْدًا يَرُشُّ صَخُورَهُ بِدَمَوَعِهِ  
أَتُرَاهُ يَغْسِي أَلْهَامًا مِنَ الْأَوْزَارِ؟  
فَإِذَا تَطَايَرَ مَاؤُهُ مَتَنَاثِرًا  
أَبْصَرْتَ حَوْلَ السَّفْحِ شِبْهَ غُبَارِ  
كَالْبَحْرِ ذِي التِّيَّارِ يَدْفَعُ بَعْضُهُ  
وَيَصُولُ كَالضَّرْغَامِ ذِي الْأَطْفَارِ  
مِنْ قِمَّةٍ كَالنُّهْدِ، أَيُّ فُتَى رَأَى  
نَهْدًا يَفِيضُ بِعَارِضِ مَدَارِ؟

---

(١) هي التي يُسميها (أم القرى) في أمريكا



فكانما هي منبرٌ وكأنه  
ميرابٌ بين عصائب الثوار<sup>١</sup>  
من لم يشاهد ساعة وثباته  
لم يدرك كيف تغطرس الجبار  
ما زلت أحسب كل صمت حكمة  
حتى بصرت بذلك الثرثار  
أعددت، قبل أراه، وقفة عابر  
لاه فكانت وقفة استعبار!..



يا أخت دار الخلد، يا أم القرى،  
يا ربة الغابات والأنهار  
له يوم فيك قد قضيت  
مع عصابة من خيرة الأنصار  
نمشي على تلك الهضاب ودوننا  
بحر من الأغراس والأشجار  
تنساب فيه العيون بين جداول  
وخمائل ومسالك وديار  
انأ على جبل مكين راسخ  
راس، وانأ فوق جرف هار<sup>٢</sup>  
تهوي الحجارة تحتنا من حلق  
ونكاد أن نهوي مع الأحجار  
لو كنت شاهداً نُهرول من عل  
لضحكت منا ضحكة استهتار

---

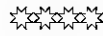
(١) ميرابو خطيب الثورة الفرنسية (١١٨٩)

الريح ساكنة ونحن نخلدنا  
 للخوف مندفعين مع إعصار  
 والأرض ثابتة ونحن نخالها  
 تهتز مع دفع النسيم الساري  
 ما زال يسند بعضنا بعضاً كما  
 يتماسك الرواد في الأسفار  
 ويشهد هذا ذاك من أزراره  
 فيشيدني ذياك من أزراري  
 حتى رجعنا سالمين ولم نعد  
 لو لم يمد الله في الأعمار  
 ولقد وقفت حيال نهرك بكرة  
 والطير في الوكنات والأوكار<sup>١</sup>  
 متهيباً فكانني في هيك  
 وكأنه سيفر من الأسفار  
 ما كنت من يهوى السكوت وإنما  
 غقلت لساني رهبة الأدهار  
 مر النسيم به فمرت مقالي  
 منه بأسطار على أسطار  
 فالقلب مشتغل بتذكاراته  
 والطرف مندفع مع التيارات  
 حتى تجلت فوق هاتيك الربا  
 شمس الصباح تلوح كالدينار  
 فعلى جوانبه وشاح زبرجد<sup>٢</sup>  
 وعلى غواره وشاح بهار<sup>٣</sup>

(١) الوكن عش الطائر في جبل أو جدار، وجمعه وكن وأوكن

(٢) الزبرجد الزمرد

لو أبصرتُ عيناك فيه خيالها  
لرأيتُ مرآةً بغيرِ إطار  
يُمَمِّتُهُ سحراً وأسراري معي  
ورجعتُ في أعماقه أسراري!...



إني حسدتُ على القُرى أهل القُرى  
وغبِطتُ حتى نافخ المِزمار  
ليلٌ وصُبحٌ بين إخوان الصفا  
ما كان أجملَ ليالي ونهاري!



## ٥ - أنا وأخت المهابة والقمر

[المشرح]

إِهْ مِنْ الْحَبِّ، كُلُّهُ عَيْبَرُ  
عِنْدِي مِنْهُ الدَّمُوعُ وَالسَّهَرُ  
وَوَيْحَ صَرَعَى الْغَرَامِ إِنَّهُمْ  
مَوْتَى، وَمَا كُفَّنُوا وَلَا قُبُورَا

~~~~~

يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ يَأْخُذُهُمْ  
زَهْوٌ وَلَا فِي خُدُودِهِمْ صَغَرُ<sup>(١)</sup>  
لَوْ لَجَّ النَّاسُ فِي سِرَانِهِمْ  
هَانَتْ، وَرَبِّي، عَلَيَّهِمْ سَقَرُ

~~~~~

مَا خَفَرُوا ذِمَّةً، وَلَا نَكُتُوا  
عَهْدًا، وَلَا مَالُؤَا وَلَا غَدَرُوا  
قَدْ حَمَلُوا الْهُونَ غَيْرَ مَا سَامِ  
لَوْلَا الْهُوَى لِلْهُوَانِ مَا صَبَرُوا

~~~~~

لَمْ يُبْقِ مِنِّي الضَّنَى سِوَى شَبَحِ  
يَكَادُ، لَوْلَا الرِّجَاءُ، يَنْدَثِرُ  
أَمْسَى وَسَادِي مَشَابَهًا كَبِيدِي  
كَلَاهُمَا النَّارُ فِيهِ تَسْتَعِرُ

~~~~~

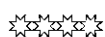
---

(١) إمالة الحد من الكبر

أَكُلُ صَبًّا، يَا لَيْلُ، مَضَجَعَهُ  
مِثْلِي فِيهِ الْقِتَادُ وَالْإِبْر  
لَعَلَّ طَيْفًا مِنْ هِنْدٍ يَطْرُقُنِي  
فَعِنْدَ هِنْدٍ عَنْ شِقْوَتِي خَبِرْ



مَا بَالُ هِنْدٍ عَلَيَّ غَاضِبَةٌ  
مَا شَابَ قُودِي وَلَيْسَ بِي كَبِيرٌ  
مَا زِلْتُ غَضُّ الشَّيْبَابِ لَا وَهْنُ  
يَا هِنْدُ فِي عَزَمَتِي وَلَا خُورُ



لَا دَرَّ نَرُّ الْوُشَاةِ قَدْ خَافُوا  
أَنْ يُفْسِدُوا بَيْنَنَا وَقَدْ قَدِرُوا  
وَاهَا لِأَيَّامِنَا.. أَرَا جَعَلَتْ  
فَإِنَّهُنَّ الْحُجُولُ وَالْقُرَرُ



أَيَّامُ لَا الدَّهْرُ قَابِضٌ يَدَهُ  
عَنِّي، وَلَا هِنْدُ قَابِضٌهَا حَجَرُ



لَمْ أَنْسَ لَيْلًا سَهَرَتْهُ مَعَهَا  
تَحْنُو عَلَيْنَا الْأَفْنَانُ وَالشُّجَرُ  
غَفَرْتُ ذَنْبَ النُّوَى بِزُورَتِهَا  
ذَنْبُ النُّوَى بِالْقَاءِ يُغْتَفَرُ




---

(١) الْحَجَلُ الطُّخَالُ وَالْعَرَّةُ الْبَيَاضُ وَالشَّرَفُ كُنَايَةٌ عَنْ جَمَالِ الْأَيَّامِ وَامْتِيَازِهَا

بِتُّنَا عَنِ الرَّاصِدِينَ يَكْتُمُنَا  
الْأَسْوَدَانِ: الظَّلَامُ وَالشُّعُرُ  
ثَلَاثَةٌ لِّلسَّرُورِ مَا رَقَدُوا  
أَنَا وَأَخْتُ الْمَهَاةُ<sup>(١)</sup> وَالْقَمَرُ  
~~~~~

فَمَا لِهَذِي النُّجُومِ سَاهِيَةٌ  
تَرْنُو إِلَيْنَا كَأَنهَا نُذُرٌ؟...  
إِنْ كَانَ صُبْحُ الْجَبِينِ رَوْعَهَا  
فَإِنَّ لَيْلَ الشُّعُورِ مَعْنَكَ  
~~~~~

أَوْ انْتِظَامُ الْعُقُودِ أَغْضَبَهَا  
فَإِنَّ دُرَّ الْكَلَامِ مِّنْتِثِرٌ  
وَمَا لَتِلْكَ الْغُصُونِ مُطَرِّقَةٌ  
كَأَنهَا لِّلْإِسْلَامِ تُخْتَصِرُ  
~~~~~

تَبْكِي كَأَنَّ الزَّمَانَ أَرْهَقَهَا  
عُسْرًا، وَلَكِنْ دَمَوْعُهَا الثَّمَرُ  
طَوْرًا عَلَى الْأَرْضِ تَنْثَنِي مَرَحًا  
وَتَارَةً فِي الْفَضَاءِ تَشْتَجِرُ  
~~~~~

وَجَفَلَتْ هَنَدٌ عِنْدَ رُؤْيَيْهَا  
وَقَدْ تَرَوَّعَ الْجَانِزُ الصُّورُ  
هَيْفَاءً لَوْلَمْ تَلِنْ مَعَاظِفُهَا<sup>(٢)</sup>  
عِنْدَ التَّثْنِي خَشِيتُ تَنْكَسِرُ  
~~~~~

---

(١) البقرة الوحشية، كناية عنها لجمال عينيها

(٢) العطف الجانب، من الرأس إلى الورك لأن الانعطاف يكون عنده (المعطف)

مِنَ السَّوَاتِي وَلَا شَبِيهَ لَهَا  
يَزِينُنَهُنَّ الدُّلَالُ وَالْخَفَرُ  
فِي كُلِّ عَضْوٍ وَكُلِّ جَارِحَةٍ  
مَعْنَى جَدِيدُ الْحُسْنِ مَبْتَكَّرُ  
❖❖❖❖❖❖

تَبَيَّتْ زُهْرُ النُّجُومِ طَامِعَةٌ  
لَوْ أَنَّهَا فَوْقَ نَحْرِهَا نُرٌّ  
رَخِيمَةٌ الصَّوْتِ إِنْ شَدَّتْ لَفَتَتْ  
لَهَا الدَّرَارِيُّ وَأَنْصَتِ السَّحَرُ  
❖❖❖❖❖❖

أَبْتُهَا الْوَجْدُ وَهِيَ لَا هِيَّةُ  
أَذْهَلَهَا الْحُبُّ فَهِيَ تَفْتَكُرُ  
يَا هَنْدُ كَمْ ذَا الْأَنَامُ تَعَذَّلْنَا  
وَمَا أَثْمَنْنَا وَلَا بِنَا وَزُرْ  
❖❖❖❖❖❖

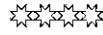
فَابْتَدَرَتْ هَنْدُ وَهِيَ ضَاكِكَةٌ :  
مَاذَا عَلَيْنَا وَإِنْ هُمْ كَثُرُوا  
فَدَتِكَ نَفْسِي لَوْ أَنَّهُمْ عَقَلُوا  
وَأَسْتَشْعَرُوا الْحُبَّ مِثْلَنَا عَذَرُوا  
❖❖❖❖❖❖

مَا جَحَدَ الْحُبُّ غَيْرُ جَاهِلِهِ  
أَيَجْحَدُ الشَّمْسُ مِنْ لَهْ بِصَرٍّ؟  
زَرْهُمْ وَإِنْ أَجْلَبُوا وَإِنْ صَخَبُوا  
وَلَا تَلُمَّهُمْ فَمَا هُمْ بِبَشَرٍ!  
❖❖❖❖❖❖

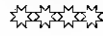
---

(١) أراد (الوزر) بمعنى الإثم أما (الوزر) فهو الملجأ

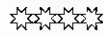
سِرْنَا الْهُوِينَا وَمَا بَنَا تَعَبٌ  
وَقَدْ سَكَنَّا وَمَا بَنَا حَصْرٌ<sup>(١)</sup>  
لَكِنْ فَرَطُ الْهُيَامِ أَسَّ كَرْنَا  
وَقَبَّلْنَا الْعَاشِقُونَ كَمْ سَكِرُوا!



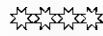
فَقُلْ لِمَنْ يُكْثِرُ الظَّنُونَ بَنَا  
(مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ)  
حَتَّى رَأَيْتُ النُّجُومَ أَفَالَةً  
وَكَادَ قَلْبُ الظَّلَامِ يَنْفَطِرُ



وَدَعَتْهَا وَالْفَوَادُ مَضْطَرِبٌ  
أُكْفِكَ الدَّمْعُ وَهُوَ يَنْهَمِرُ  
وَوَدَعْتَنِي وَمِنْ مَحَاجِرِهَا  
فَوْقَ الْعَقِيقِ الْجُمَانُ يَنْحَدِرُ<sup>(٢)</sup>



قَدْ أَضْحَكَ الدَّهْرَ مَا بَكَيْتَ لَهُ  
كَأَنَّمَا الْبَيْتُ عِنْدَهُ وَطَرُ  
كَانَتْ لِيَالِي مَا بِهَا كَدْرُ  
وَالْآنَ أَمَسْتُ وَكُلُّهَا كَدْرُ



إِنْ نَفِدَ الدَّمْعُ مِنْ تَذَكُّرِهَا  
فَجَادَهَا بَعْدَ أَدْمَعِي الْمَطَرُ  
عَسَى اللَّيَالِي تَدْرِي جِنَايَتَهَا  
عَلَى قَتِيلِ الْهُوَى فَتَعْتَذِرُ



---

(١) الحصر العي (حصر يحصر)

(٢) الجمَان اللؤلؤ (يريد الدمع) والعقيق أراد به لون خديها



## ٦ - الشاعر والأمة

[الرمز]

خيرُ ما يكتُبُه ذو مِرْقَمٍ<sup>١</sup>  
قصَّةُ فيها لقومٌ تذكِّره  
\*\*\*\*\*

كان في ماضي الليالي أمَّةٌ  
خلع العِزَّ عليها خيرُه<sup>٢</sup>  
يجدُ النَّازلُ في أكنافِها  
أوجُّها ضاحكةٌ مُستبشرة  
ويسيرُ الطُّرفُ من أرباضِها  
في مغانٍ حالياتٍ نضيرة  
لم يقسَّ شعبٌ إلى أمجادها  
مجده الباذخ إلا استصغره  
همُّها في العلم تُعلي شأنه  
بينها، والجهلُ تمحو أثره  
ما تغيبُ الشمسُ إلا أطلعتْ  
للورى محمَّدةٌ أو مائتُره<sup>٣</sup>  
فتمنَّى الصبحُ تغدو شمسُه  
وتمنَّى الليلُ تغدو قمره

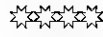
---

(١) المِرْقَمُ القلم والرِّقْمُ الكتابة  
(٢) الحبرة بُرد يمانى (جمعه حبر)





ثم لما عثب اليأس به  
مرق الطرس وشج الحبره!!



مريوما فرأى أشياخها  
جاسوا يـكون عند المقبره  
قال مالكم؟... ما خطبكم  
أي كنز في الثرى أو جوهره؟  
ومن الثاوي الذي تبكونه  
قيصر، أم تبع، أم عنتره؟  
قال شيخ منهم مخلوب  
ودموع اليأس تغشى بصره  
إن من نبيكـيه لو أبصره  
قيصر أبصر فيه قيصره  
كيف يا جاهل لا تعرفه  
وحداة العيس<sup>(١)</sup> تروي خبره؟  
هو ملك كان فينا ومضى  
فمضت أيامنا المـزدهره  
ولبئنا بعده في ظلم  
داجيات فوقنا مـعتكره  
والذي كان بنا معرفه  
لصروف الدهر أمسى نكره  
فأنتهى التاج إلى معتسف  
لم يزل بالتاج حتى نثره

---

(١) العيس الإبل البيض (المفرد أعيس عيساء)

كل ما تصيبو إليه أنفسه  
 مُعَصِرُ أو خمرة معتصره  
 مُستهينٌ بالليالي وبنا  
 مستعينٌ بالطعام الفجره  
 كلما جاء إليه خائنُ  
 واشياً قرّبه واستوزره  
 فإذا جاء إليه ناصحُ  
 شك في نيّته فانتهره  
 مُستبِدُّ باذلٌ في لحظة  
 ما انّخرناه له وانّخره  
 يهبُ المرء وما يملكه  
 وعلى الموهوب أن يستغفره  
 هزأ الشاعرُ منهم قائلًا:  
 بَلَّغِ السُّوسُ أصولَ الشجره  
 رحمةُ الله على أسلافكمُ  
 إنهم كانوا تُقاةً برره  
 رحمةُ الله عليهم، إنهم  
 لم يكونوا أمّةً منشطِره  
 إن من تبكونه يا سادتي  
 كالذي تشكون فيكم بطره  
 إنما بأسُ الألى قد سلفوا  
 قتلَ النهمه فيه والشّره  
 فاحبسُوا الأدمع في اماقكمُ  
 واتركوا هذي العظام النّخره

لَوْ فَعَلْتُمْ فِعْلَ أَجْدَادِكُمْ  
 مَا قَضَى الظَّالِمُ مِنْكُمْ وَطَرَهُ  
 مَا لَكُمْ تَشْكُونُ مِنْ مُحْتَكِمٍ  
 رَضْتُمْ أَلَسُنُكُمْ أَنْ تَشْكُرَهُ؟  
 وَجَعَلْتُمْ مِنْكُمْ عَسْكَرَهُ  
 وَحَلَفْتُمْ أَنْ تُطِيعُوا عَسْكَرَهُ؟  
 كَيْفَ لَا يَبْغِي وَيَطْغَى أَمْرٌ  
 يَتَّقِي أَشْجَعُكُمْ أَنْ يَنْظُرَهُ؟  
 مَا اسْتَحَالَ الْهَرُّ لَيْثًا إِنَّمَا  
 أَسَدُ الْأَجَامِ صَارَتْ هِرْرَهُ  
 وَإِذَا الْإِیْثُ وَهَتْ أَظْفَارُهُ  
 أَنْشَبَ السُّنُورُ فِيهِ ظُفْرَهُ!!

\*\*\*\*\*

## ٧ - وأنّي...١

[الخفيف]

نَظَرْتُ مَرَّةً إِلَيَّ وَقَالَتْ:  
مَا يَقُولُ الْحُسَّادُ عَنْكَ وَعَنِّي؟  
قُلْتُ: مَاذَا عَسَاهُمْ أَنْ يَقُولُوا  
غَيْرَ أَنِّي جُنَنْتُ فَيْكِ.. وَأَنِّي...

\*\*\*\*

## ٨ - أمّا أنا...

[الكامل]

لا تَنثَنِي في الرُوضِ أغصانُ الشَّجَرِ  
حتى تدغدغها النسائمُ في السُّحَرِ  
وأنا كذلك لا يفارقُني الضُّجَرُ  
حتى تداعبَ لِمَّتِي<sup>١</sup> بيديها  
❖❖❖❖❖❖

الشمسُ تُلقِي في الصُّباحِ حبالها  
وتبيتُ تنظرُ في الغديرِ خيالها  
أمّا أنا فإذا وقفتُ حِيالها  
أبصرتُ نورَ الشَّمْسِ في خديها  
❖❖❖❖❖❖

الطُّودُ يقرأ في السماءِ الصَّافِيَةَ  
سَفَرًا، جميلٌ<sup>٢</sup> مَثْنُهُ والحاِشِيَةَ  
أمّا أنا فإذا فَقَدْتُ كِتَابِيهِ  
أتلو كتابَ الحبِّ في عينيها  
❖❖❖❖❖❖

الطَّيْرُ إن عطِشتْ ولجَّ بها الظُّلُمَا  
هبطتْ إلى الأنهارِ من علِّو السَّما  
أمّا أنا فإذا ظلمتُ فإِنما  
ظمأي الشديدُ إلى لَمَى<sup>٣</sup> شفتيها  
❖❖❖❖❖❖

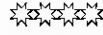
---

(١) الشعرُ لأنه يلمُّ بالكُفِّ

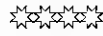
(٢) الصحيحُ جميلًا



النَّدِ يَطْلُبُهُ الْخَلَانِقُ فِي الرُّبَا  
بَيْنَ الْوُرُودِ وَفِي نُسَيْمَاتِ الصَّبَا  
أَمَّا أَنَا فَالَّذُ مِنْ نَشْرِ الْكِبَا  
عِنْدِي، الَّذِي قَدْ فَاحَ مِنْ نَهْدِيهَا



الرَّاحُ تَصْرِفُ ذَا الْعَنَاءِ عَنِ الْعَنَا  
وَتَطِيرُ بِالصُّعْلُوكِ فِي جَوْ الْمُنَى  
فَيَرَى الْكَوَاكِبَ تَحْتَهُ، أَمَّا أَنَا  
فَتَظَلُّ أَفْكَارِي تَحُومُ عَلَيْهَا



فِيهَا وَمِنْهَا ذَلَّتِي وَسِقَامِي<sup>١</sup>  
وَبِهَا غِرَامِي، الْقَاتِلِي : وَهْيَامِي  
أَشْتَاقُهَا فِي يَقْظَاتِي وَمَنْعَامِي  
وَاطُولَ شَوْقِ الْمُسْتَهَامِ إِلَيْهَا!



---

(١) المرض

## ٩- وداع وشكوى

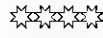
[الكامل]

أزِفَ الرحيلُ وحنَّ أنْ نتفرَّقَا  
فإلى اللّقا يا صاحبي إلى اللّقا  
إنْ تبكِ يا فلقد بكيتُ من الأسى  
حتى لكدتُ بأدمعي أنْ أغرقَا  
وتسعُرتْ عند الوداع أضالعي  
ناراً خشيتُ بحرّها أنْ أحرَقَا  
ما زلتُ أخشى البين قبل وقوعه  
حتى غدتُ وليس لي أنْ أفرَقَا<sup>١</sup>  
يوم النّوى، لله ما أقسى النّوى  
لولا النّوى ما أبغضتُ نفسي البقا  
رُحنا خيارى صامتين كأنما  
للّهول نحذرُ عنده أنْ ننطِقا  
أكبادُنا خفاقةً وعيوننا  
لا تستطيع، من البكا، أنْ ترمُقا  
نتجاذبُ النظراتِ وهي ضعيفةُ  
ونغالبُ الأنفاسَ كيلاً تُزهَقا  
لولم نعللْ باللقاء نفوسنا  
كادتْ مع العبراتِ أنْ تتدفّقا

---

(١) الفرق الحوف

يا صاحبيّ تصبّراً فلربما  
عُدْنَا وعاد الشَّمْلُ أبهى رُونِقا  
إن كانتِ الأيامُ لم تَرفُقْ بِنَا  
فَمِنَ النُّهى بِنُفوسِنَا أن نَرفُقَا  
إن الذي قدر القطيعة والنَّوى  
في وَسْعِهِ أن يجمع المَـتَـفَرِّقَا!..



ولقد ركبْتُ البحرَ يزأراً هانِجاً  
كالليثِ فارقٍ شِبْلَهُ بل أحنِقا  
والنفسُ جازعَةٌ ولستُ ألومُّهَا  
فَالْبَحْرُ أعْظَمُ مَا يُخَافُ وَيُتَّقَى  
فلقد شهدتُ به حكيماً عاقلاً  
ولقد رأيتُ به جَهْولاً أخْرقَا  
مُسْتَوْفِزٌ مَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِنَا  
مَـتَـرَفِّقٌ مَا شَاءَ أَنْ يَـتَـرَفِّقَا  
تَتَنَازَعُ الأمْوَاجُ فِيهِ بَعْضُهَا  
بَعْضاً عَلَى جَهْلٍ تُنَازَعُنَا الْبَقَا  
بَيْنَا يَرَاهَا الطُّرْفُ سُوراً قَانِماً  
فإذا بها حَالَتْ فَصَارَتْ خُنْدَقَا  
وَالْقُلُوكُ جَارِيَةٌ تَشُقُّ عُمَابَهُ  
شَقّاً، كَمَا تَقْرِي رِداءَ أَخْلَاقَا<sup>١</sup>  
تعلو فنحسبُهَا تَوْمٌ بِنَا السَّما  
ونظنُّ أَنَّا رَاكِبُونَ مُحَلَّاقَا

---

(١) خَلُقُوا خَلَقُوا بَلِي

حتى اذا هبطت بنا في لجة  
 أيقنت أن الموت فينا أحدا  
 والأفق قد غطى الضباب أديمه  
 فكأنما غشي المداد المهرقا  
 لا الشمس تسطع في الصباح، ولا نرى  
 أما استطال الليل : بدرأ مشرقا  
 عشرون يوماً أو تزيد قضيتها  
 كيف التفت رأيت ماء مغدقا  
 (نيويورك) يا بنت البخار، بنا اقصدي  
 فاعلنا بالغرب ننسى المشرق  
 وطن أردناه على حب العلاء  
 فابى سوى أن يستكين إلى الشقا  
 كالعبد يخشى، بعد ما أفنى الصبا  
 يلهو به ساداته، أن يعتقا  
 أو كلما جاء الزمان بمصلح  
 في أهله قالوا طغى وترنقا؟  
 فكأنما لم يكفه ما قد جنوا  
 وكأنما لم يكفهم أن أخفقا  
 هذا جزاء نوي النهي في أمة  
 أخذ الجمود على بنيتها موثقا  
 وطن يضيق الحر زرعاً عنده  
 وتراه بالأحرار زرعاً أضيقا  
 ما إن رأيت به أديباً موسيراً  
 فيما رأيت، ولا جهولاً ممليقا  
 مشيت الجهالة فيه تسحب ذيلها  
 تيهأ، وراح العلم يمشي مطرقا

أمسى وأمسى أهله في حالة  
 لو أنها تعرفوا الجماد لأشفقوا  
 شعبٌ كما شاء التخاذل والهوى  
 مُتفرقٌ ويكاد أن يتمزقاً  
 لا يرتضي دين الإله مُوفقاً  
 بين القلوب، ويرتضيه مُفرقاً  
 كلفُ بأصحاب التعبد والتقى  
 والشر ما بين التعبد والتقى  
 مُستضعفٌ، إن لم يُصب متماًقاً  
 يوماً تملق أن يرى متماًقاً  
 لم يعتقد بالعلم وهو حقانق  
 لكنه اعتقد التمانم والرقى!  
 ولربما كره الجمود وإنما  
 صعبٌ على الإنسان أن يتخافاً!..  
 وحكومة ما إن تُزحزح أحمقاً  
 عن رأسها حتى تُولي أحمقاً  
 راحت تُناصبنا الغداء كأنما  
 جننا فرياً أو ركبنا موبقاً<sup>١</sup>  
 وأبت سوى إرهابنا فكأنما  
 كلُّ العدالة عندها أن نُرهقاً  
 بينا الأجانب يعبتون بها كما  
 عبت الصبا سحراً بأغصان النقا<sup>٢</sup>  
 (بغداد) في خطرو (مصر) رهينة  
 وغداً تنال يد المطامع (جلقا)

(١) الفريّ المصنوع المخلق (من الفرية الاختلاق) والموبق المهلكة وبوقوبقاً هلك

ضَعُفَتْ قَوَائِمُهَا وَلَمَّا تَرَعَوِي  
عَنْ غَيِّهَا حَتَّى تَزُولَ وَتُمَحِّقَا  
قِيلَ: اَعْشَقُوها، قُلْتُ: لَمْ يَبْقَ لَنَا  
مَعَهَا قُلُوبٌ كِي نُحِبُّ وَنَعْشَقَا  
إِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُ الْبَنِينَ شَفِيقَةً  
هِيَ هَاتِ تَلْقَى مِنْ بَنِيهَا مُشْفِقَا  
أَصْبَحْتُ حَيْثُ النَّفْسُ لَا تَخْشَى أَدَى  
أَبْدَأُ، وَحَيْثُ الْفِكْرُ يَغْدُو مُطَاقَا  
نَفْسِي اخْلُدِي، وَدَعِي الْحَنِينَ، فَإِنَّمَا  
جَهْلٌ، بَعِيدُ الْيَوْمِ، أَنْ نَتَشَوَّقَا  
هَذِي هِيَ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةُ فَانْظُرِي  
فِيهَا ضِيَاءَ الْعِلْمِ كَيْفَ تَأَلَّقَا  
إِنِّي ضَمَنْتُ لَكَ الْحَيَاةَ شَهِيَّةً  
فِي أَهْلِهَا، وَالْعَيْشَ أَزْهَرَ مُونِقَا

\*\*\*\*\*

## ١٠ - عصر الرشيد

[الكامل]

كم بين طيّات العصور الخالية  
عِظَةٌ لأبناء الدهور الآتية  
عَبْرُ الليالي كالليالي جمّة  
لكنما النَزْرُ القلوب الواعية  
الدهر يُقْنِينَا ونَحْسِبُ أَنَّهُ  
يُفْنِي بِنَا أيامه ولياليه  
فإذا مشى فينا الفناء فراعنا  
خلق الخيال لنا الحياة الثانية  
إن الحياة قصيدة، أبياتُها  
أعمارنا، والموتُ فيها القافية  
كم تعشق الدنيا وتُنكر صدها  
أنسيت أن الخُلف طبع الغانيه؟  
وتودُّ لو يبقى عليك نعيمُها  
أجهلت أن عليك ردُّ العاريه؟  
خلَّ الغرور بما لديك فإنما  
دنياك زائلةٌ ونفسك فانية  
إنَّ الألى وطِئتْ نعالُهم السُّها  
وطِئتْ جباهُهم نعالُ الماشيه  
لو أن حيّاً خالداً فوق التُّرى  
مامات هارونُ وزال معاويه

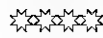
أو كان عزّ دائماً ما أصبحت  
 بغدادُ في عددِ الطُّلولِ الباليه  
 أخذتُ عليها الحادّثاتُ، فدورها  
 خربُ تعاودها الرياحُ السّافيه  
 يؤي اليها اليومُ غيرُ مُروّع  
 من كلّ نَعَابٍ أحمُ الخافيه<sup>١</sup>  
 نزل القضاءُ فما حماها سورُها  
 ولطالما ردّ الجيوش الغازيه  
 واجتاح مُجتاحُ العُروشِ ملوكها  
 فكانهم (أعجازُ نخلٍ خاويه)  
 أين القصورُ الشاهقاتُ وأهلُها  
 باد الجميعُ، فما لهم من باقيه  
 درستُ معالمُها وغيرُها البلى  
 ولقد تُرى حُلّ المحاسنِ كاسيه  
 أيام لا نوحُ المعارفِ ذابلُ  
 ذاوٍ، ولا نورُ الصنّاعةِ خاليه  
 أيام لا لغةُ الكتابِ غريبه  
 فيها، ولا هممُ الأعرابِ وانيه  
 أيام كان العِلمُ يَغِيظُ أهله  
 أهلُ الثُّراءِ، نوو البرودِ الضّافيه  
 أيام كان لكلِّ حُسنٍ شاعرُ  
 كلفُبه ولكلِّ شِعْرِ راويه  
 أيام بجلةُ مُطمئنّ هادي  
 جذلانُ يهزأ بالبُحورِ الطّاميه

---

(١) الأحمُ الأسود من كل شيء، والحوافي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت مفردتها خافيه



النَّيْلُ خَادِمُهُ الْأَمِينُ، وَعَبْدُهُ  
 نَهْرُ الْفِرَاتِ وَكُلُّ عَيْنٍ جَارِيَةٍ  
 تَهْوَى الْكَوَاكِبُ أَنَّهَا حَصْبَاءُؤُهُ  
 أَوْ أَنَّهَا شَجَرٌ عَلَيْهِ حَانِيَةٍ  
 وَتَوَدُّ كُلُّ سَحَابَةٍ مَرَّتَ بِهِ  
 لَوْ أَنَّهُ سَحَبٌ عَلَيْهَا هَامِيَةٍ<sup>١</sup>  
 وَتَرَى الْغَزَالَةَ طَيْفَهَا عِنْدَ الضُّحَى  
 فِي سَطْحِهِ فَتَبَيَّتْ عَطَشَى رَاوِيَةٍ  
 أَيَّامَ كَانَ الشَّرْقُ مَرْهُوبَ الْحِمَى  
 يَكْسُو الْجَلَالَ سَهْوَهُ وَرَوَابِيَهُ  
 أَيَّامَ تَحْسُدُهَا الْعَوَاصِمُ مِثْلَمَا  
 حَسَدَ الْعَوَاطِلُ أُخْتَهُنَّ الْحَالِيَهُ  
 وَلَطَالَمَا كَانَتْ تَعِزُّ بِعِزِّهَا  
 مِصْرُ، وَتَحْمِي ذِكْرَهَا أَنْطَاكِيَهُ

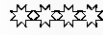


أَيَّامَ هَارُونَ يُدِيرُ شُؤْنَهَا  
 يَا عَصْرَ هَارُونَ عَلَيْكَ سَلَامِيهِ  
 مَلِكُ أَدَالٍ مِنَ الْجَهَالَةِ عِلْمُهُ  
 وَأَذَلُّ صَارِمُهُ الْمُلُوكِ الْعِغَاتِيهِ  
 وَمَشَتْ تَطَوَّفُ فِي الْبِلَادِ هِبَاتُهُ  
 تَغْشَى حَوَاضِرَهَا وَتَغْشَى الْبَادِيَهُ  
 مَلَأَ الْبِلَادَ عَوَارِفًا وَمَعَارِفًا  
 وَالْأَرْضَ عَدْلًا وَالنَّفُوسَ رِفَاهِيَهُ

---

(١) همى سال، من مطر وغيره

فَتَحْضُرُ الْبَانُونَ فِي أَيَّامِهِ  
وَاسْتَأْنَسَتْ حَتَّى الْوَحُوشُ الضَّارِيَهُ  
وَتَسْرِبَلَتْ بِغَدَادٍ ثَوْبَ مَهَابَةٍ  
لَيْسَتْ تَرَاهُ أَوْ تُرَاهُ ثَانِيَهُ  
هَاتِيكَ أَيَّامٌ تَلَاشَتْ مِثْلًا مَا  
تَمَحُّو مِنْ الرُّقِّ الْحُرُوفِ الْمَاحِيَهُ  
لَمْ يَبْقِ إِلَّا ذِكْرُهَا يَا حُسْنَهَا  
ذَكَرَى تَهَشُّ لَهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَهُ  
لَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ سَفَرٌ كُنْتُ يَا  
عَصْرُ الْحَضَارَةِ مَتْنَهُ وَالْحَاشِيَهُ  
عَصْرُ لَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِعَوْدِهِ  
فَلَاخْلَعَنَّ عَلَى الْبَشِيرِ شَبَابِيَهُ!..



إِيهِ أَبَا الْمَأْمُونِ ذَكَرُكَ أَبَدُ  
فِي الْأَرْضِ، مِثْلُ الشَّامِخَاتِ الرَّاسِيَهُ  
بَاقٍ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ بَقَاءَهَا  
وَكَذَلِكَ ذِكْرُ نَوَى النُّفُوسِ السَّامِيَهُ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ مِثَالِ بَيْنِنَا  
فَلَنْ رُوحَكَ كُلَّ حِينٍ دَانِيَهُ  
هِيَ فِي الْخِمَانِ زَهْرَةٌ فَيَّاحَةٌ  
هِيَ فِي الْكَوَاكِبِ شَمْسُهَا الْمُتَالِيَهُ  
إِنِّي لِأَعْجَبُ كَيْفَ مِتُّ وَفِي الْوَرَى  
حَيٌّ وَكَيْفَ طَوْتُكَ هَذَا الطَّوِيَهُ  
وَمِنْ الزَّمَانِ يَهْدِي مَا شِئِدَّتْهُ  
وَيُحِ الزَّمَانِ، أَمَا تَهَيَّبُ بَانِيَهُ!

---

(١) الرُّقُّ الصحيفة البيضاء وأراد بالحروف الماحية الحروف التي تذهب بآثرها

تشكو اليك اليوم نفسي شجوها  
 فلأنت مَقْزَعُ كُلِّ نَفْسٍ شَاكِيه  
 أَتُرَاكَ تَعْلَمُ أَنَّ دَارَكَ بَدَّلْتُ  
 مِنْ صَوْتِ إِسْحَقٍ بِصَوْتِ النَّاعِيهِ؟<sup>١</sup>  
 أَتُرَاكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَتَّأْتُهُ  
 قَدْ ضَيَّعْتُهُ الْآنَ نَفْسُ الْمُتَلَاهِيهِ؟  
 يَا وَيْحَ هَذَا الشُّرْقِ بَعْدَكَ، إِنَّهُ  
 لِلضَّعْفِ بَاتَ عَلَى شَفِيرِ الْهَوَايِهِ  
 مَا كَانَ يَقْنَعُ بِالنَّجُومِ وَسَانِدًا  
 وَالْيَوْمَ يَقْنَعُ أَهْلُهُ بِالْعَافِيهِ!  
 مُسْتَرْسِلُونَ إِلَى الذُّهُولِ كَأَنَّمَا  
 سُحِرُوا أَوْ اصْطَرَعُوا بِبِنْتِ الْخَابِيهِ  
 مُسْتَسْلِمُونَ إِلَى الْقَضَاءِ كَأَنَّمَا  
 أُخِنُوا، وَلَمَّا يُوْخَنُوا، بِالْغَاشِيهِ  
 الْمَجْدُ ادْرَاكَ النَّفْسِ، وَعِنْدَهُمْ  
 مَا الْمَجْدُ إِلَّا شَادِنٌ أَوْ شَادِيهِ  
 يَهْوَى الْحَيَاةَ النَّاسُ طَوْعَ نَفْسِهِمْ  
 وَهُمْ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ كَمَا هِيَ  
 صَغُرَتْ نَفُوسُهُمْ، فَبَاتَ عَزِيزُهُمْ  
 يَخْشَى الْجَبَانَ، كَمَا يَخَافُ الطَّاغِيهِ  
 حَمَلُوا الْمَغَارِمَ سَاكِتِينَ كَأَنَّمَا  
 كَبُرَتْ عَلَى أَحْنَاكِهِمْ لَا النَّهْيِ  
 لَمْ تَسْمَعْ الدُّنْيَا بِقَوْمٍ قَبْلَهُمْ  
 مَاتُوا وَمَا بَرَحُوا الدِّيارَ الْفَانِيهِ

---

(١) اسحق الموصلي المعني أيام الرشيد

الله، لو حرصوا على أمجادهم  
 فلتلك عنوان الشعوب الراقية  
 ملك العلوج أمورهم ومتاعهم  
 حتى سواهم وحتى الأنبياء  
 واخجلة العربي من أجداده  
 صارت عبيدهم الطغام مواليه!..  
 ❦❦❦❦❦

أبني الغطارفة الجبابرة الألى  
 وطئوا اللوار ووخوا إسبانيه<sup>١</sup>  
 من حولكم وأمامكم تاريخهم  
 فاستخبروه فذاك أصدق راويه  
 قادوا الجيوش فكل سهل ضيق  
 ورموا المعازل فهي أرض داحيه<sup>٢</sup>  
 وسطوا فأسقطت العروش ملوكها  
 رعباً وأجفلت الصروح العاليه<sup>٣</sup>  
 ومشوا على هام النجوم فلم تزل  
 في الليل من وجل تحرق ساهيه  
 وردت خيولهم المجرة شرباً  
 والشهب من حول المجرة صابيه<sup>٤</sup>  
 أعطاهم صرف الزمان زمامه  
 آمنوا وما أمن الزمان لوايه

(١) اللوار أطول أنهار فرنسا (Loire) وعنده جرت المعارك بين العرب (عبد الرحمن العافقي) والفرنجة في القرن الثامن الميلادي

(٢) دحا بسط يريد هنا المحوّة (تحويل المعازل إلى أرض ميسوطة)

(٣) أجفل شرد فذهب

(٤) ضامرة (الشازب الضامر)، وخيل شرب ضامرة البطن وصدي يصدى عطش

لَا أَسْتَغْفِرُكُمْ لِمِثْلِ قُتُوجِهِمْ  
 لَكِنْ إِلَى حِفْظِ الْبَقَايَا الْبَاقِيَةِ  
 أَتَذِلُّ أَنْفَ الْمَلُوكِ جُبُودَكُمْ  
 وَتَسْوِمُكُمْ خُسْفَاءَ رِعَاةِ الْمَاشِيَةِ؟  
 كَمْ تَصْبِرُونَ عَلَى الْهَوَانِ كَأَنَّكُمْ  
 فِي غِبْطَةٍ وَالذِّلُّ نَارُ حَامِيَةٍ  
 يَا لِرِجَالٍ! أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ  
 إِنْ لَمْ تَثْبُرُوا، أُمَّةٌ مُتَلَاشِيَةٌ؟  
 ❖❖❖❖❖

دَارُ السَّلَامِ تَحِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ  
 حَسَدَتْ مَدَامَعُهُ عَلَيْكَ قَوَافِيَهُ  
 فَأَرَاكَ مَاءَ شَوْوْنِهِ وَلَوْ أَنَّه  
 فِي الْغَادِيَاتِ أَرَاكَ مَاءَ الْغَادِيَةِ<sup>(١)</sup>  
 لَوْ كَانَ مَجْدُكَ مُسْتَرْدًّا بِالْبُكََا  
 قَطَرَتْ مُحَاجِرُهُ الدَّمَاءَ الْقَانِيَهُ  
 فَعَلَيْكَ تَذَهَبُ كُلُّ نَفْسٍ حُسْرَةً  
 وَلِثَلِّ خُطْبِكَ تُسْتَغَارُ الْبَاكِيه!!

\*\*\*\*\*

---

(١) العادية السحابية تنشأ عند الصباح

## ١١ - لم أجد أحدا...

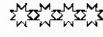
[الكامل]

قالت: سكتُ وما سكتُ سُدِّي  
أعْيَا الكلامُ عليك أم نَفِدا؟  
إنّا عرفنا فيك ذا كرمٍ  
ما إن عرفنا فيك مُقتَصِدا  
فأطلقُ يراعك ينطلقُ خَبِيباً  
واحلُلْ لسانك يحلُلْ العُقدا  
ما قيمةُ الإنسانِ مُعتَقِداً  
إن لم يُقلْ للناسِ ما اعتَقدا؟  
والجيشُ تحتَ البَنَدِ مُحْتَشِداً  
إن لم يكنْ للحَرْبِ مُحْتَشِداً؟  
والنورُ مُسْتَتِراً؟ فقلتُ لها:  
كُفِّي الملامةَ واقصُري الفندا<sup>(١)</sup>  
ماذا يُفيدُ الصوتُ مرتفعاً  
إن لم يكنْ للصوتِ ثمّ صدَى؟  
والنورُ مُنْبِثِثاً ومنْتَشِراً  
إن لم يكنْ للناسِ فيه هُدَى؟  
إن الحوادثِ في تتابُعِها  
أبدلُنني من ضلّتي رشداً

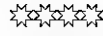
---

(١) قصرٌ ضد طال (يقصرُ - قصرأ) والفند هنا اللوم والعنل

ما خائنني فكري ولا قلبي  
لكن رأيت الشَّعر قد كسدا!

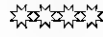


كان الشَّبابُ، وكان لي أملٌ  
كالبحر عمُّقاً، كالزمان مدي  
وصحابةً مثل الرياض شذاً  
وصواحبٌ كورودها عددا  
لكنني لما مدت يدي  
وأدركت طرفي لم أجد أحداً!...



ذهب الصَّبَا ومضى الهوى معه  
أصبايةً والشَّيبُ قد وفدا؟  
فاليوم إن أبصرت غانيةً  
أعْضِي كأن بمقالي رمدا  
وإذا تُدار الكأسُ أصرْفُها  
عني، وكنت ألوم من زهدا  
وإذا سمعت هُتاف شادية  
أمسكت عنها السَّمْع والكبدا  
كفَّنت أحلامي وقلت لها:  
نامي! فإنَّ الحبَّ قد رقدا  
وقَعَ الخُطوب عليَّ أخرسني  
وكذا العواصف تُسكت الغردا  
عمرو صديقٌ كان يحلف لي  
إن نُحت نأح وإن شئت شدا  
وإذا مشيت إلى المنون مشى  
وإذا قعدت لحاجة قعدا

صَدَّقْتُهُ، فَجَعَلْتُهُ عَضُدِي  
وَأَقَمْتُ مِنْ نَفْسِي لَهُ عَضُدًا  
لَكُنِّي لِمَا مَدَدْتَ يَدِي  
وَأَدْرْتُ طَرْفِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا!..



هَنَدُ، وَأَحْسَبُنِي إِذَا ذُكِرْتَ  
أَطَأُ الْأَفَاعِي، أَوْ أَجِسُّ مَدَى<sup>١</sup>  
كَانَتْ إِلَهَاءُ، كُنْتُ أَعْبُدُهُ  
وَأُجِلُّهُ، وَالْحُسْنُ كَمْ عُبِدَا  
كَمْ زُرْتُهَا وَالْحَيُّ مَنَنْتَبَهُ  
وَتَرَكْتُهَا وَالْحَيُّ قَدْ هَجَدَا  
وَلَكُمْ وَقَفْتُ عَلَى الْغَدِيرِ بِهَا

وَالرَّيْحُ تَنْسُجُ فَوْقَهُ زُرْدَا  
وَالْأَرْضُ تَرْقُصُ تَحْتَنَا طَرِبًا  
وَالشُّهْبُ تَرْقُصُ فَوْقَنَا حَسَدَا  
وَلَكُمْ جَلَسْنَا فِي الرِّيَاضِ مَعَا  
لَا طَارْنَا نَخْشَى وَلَا رَصَدَا  
وَاللَّيْلُ فَوْقَ الْأَرْضِ مَنَسَدُ  
وَالْغَيْمُ فَوْقَ الْبَدْرِ قَدْ جَمَدَا  
قَدْ كَاشَفْتَنِي الْحُبُّ مُقْتَرِبًا  
وَشَكَتْ إِلَيَّ الشُّوقُ مَبْتَعِدَا  
لَكُنِّي لِمَا مَدَدْتَ يَدِي  
وَأَدْرْتُ طَرْفِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا!..

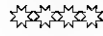


---

(١) المَدْيَةُ السَّكِينُ (وَالْجَمْعُ مَدَى)



قومي، وقد أطربتهم زمناً  
 ساقوا إلي الحزن والكمدا  
 هم عاهدوني أن مددت يدي  
 ليمد كل فتى إلي يدا  
 قالوا غدا تهمني سحائبنا  
 فرجعت أدراجي أقول غدا  
 وظننت أني مدرك أربي  
 إن غار تحت الأرض أو صعدا  
 فذهبت أمشي في التُّرى مرحاً  
 ما بين جلاسي، ومُنْفردا  
 تيه المجاهد نال بُغْيته  
 أو تيه مسكين إذا سَعدا  
 لكنني لما مددت يدي  
 وأدركت طرفي لم أجِد أحدا...

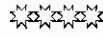


هم هدّوني حين صِحت بهم  
 صيحاتي الشُّعواءِ منتقدا  
 ورأيت في أحداقهم شرراً  
 ورأيت في أشداقهم زبدا  
 وسمعت صائحهم يقول لهم:  
 أن أقتلوه حينما وجدنا  
 فرجعت أحسبهم برابرة  
 في مهمته وأظنني ولدا<sup>١</sup>

---

(١) المهمة المفازة البعيدة (والجمع مهمته)

مَرَّتْ لَيْالٍ مَّا لَهَا عَدْدُ  
وَأَنَا حَزِينٌ بَاهِتٌ كَمَدًا<sup>(١)</sup>  
أَرْتَاعُ إِنْ أَبْصَرْتُ وَاحِدَهُمْ  
ذُعُرَ الشُّوَيْهَةِ أَبْصَرْتُ أَسَدًا  
وَإِذَا رَقَدْتُ رَقَدْتُ مَضْطَرِبًا  
وَإِذَا صَحَوْتُ صَحَوْتُ مُرْتَعِدًا  
لَكِنِّي لَمَّا مَدَدْتُ يَدِي  
وَأَدْرْتُ طَرْفِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا!..



لَا تَذْكُرُوهُمْ لِي، وَإِنْ سَأَلُوا  
لَا تَذْكُرُونِي عَنْهُمْ أَبَدًا  
لَا يَمْلَأُ السَّرِيَالَ وَاحِدُهُمْ  
وَلَهُ وَعُودٌ تَمْلَأُ الْبِلَادَا<sup>(٢)</sup>  
يَا لَيْتَنِي ضَيَّعْتُ مَعْرِفَتِي  
مَنْ قَبْلَ أَعْرِفَ مِنْهُمْ أَحَدًا<sup>(٣)</sup>



---

(١) الكمد والكمد الحزين الذي يكم حزنه

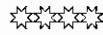
(٢) السريال القميص

(٣) التقدير أن أعرف

## ١٢ - السُّرْفِي الأرواح

[الكامل]

قال الغرابُ وقد رأى كلفَ الوري  
وهَيَامُهُمَّ بِالْبَلْبَلِ الصُّدَّاحِ:  
لِمَ لَا تَهَيِّمُ بِي الْمَسَامِعُ مِثْلَهُ  
مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَنَاحِهِ وَجَنَاحِي؟  
إِنِّي أَشَدُّ قُوًى وَأَمْضَى مِحْلَاباً  
فَعَلَامَ نَامَ النَّاسُ عَنْ تَمْدَاحِي؟



أَمْفَرَّقَ الْأَحْبَابَ عَنْ أَحْبَابِهِمْ،  
وَمَكْدَرُ اللَّذَاتِ وَالْأَفْرَاحِ!  
كَمْ فِي السَّوَانِلِ مِنْ شَبِيهِ بِالْطَّلَا  
فَعَلَامَ لَيْسَ لَهَا مَقَامُ الرَّاحِ؟  
لَيْسَ الْحُطُوطُ مِنَ الْجِسْمِ وَشَكْلِهَا  
السُّرُّ كُلُّ السُّرْفِي الأرواحِ  
وَالصَّوْتُ مِنْ نِعَمِ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَكُنْ  
تَرْضَى السُّمَّا إِلَّا عَنِ الصُّدَّاحِ  
حُكْمُ الْقَضَاءِ فَإِنْ نَقِمْتَ عَلَى الْقَضَا  
فَاضْرِبْ بَعْنَكَ مُدِيَةَ الْجَرَّاحِ



## ١٣ - بنت سورية

[الرمل]

ليس يدري الهمُّ غيرُ المُبتلى<sup>١</sup>  
طالَ جنحُ الليلِ أو لم يطُلْ  
ما لهذا النجمِ مثلي في الثرى  
طائر النومِ شديد الوجلِ  
أُتراه يتَّقِي طارئةً  
أم به أني غريبُ المنزلِ؟  
كلَّما طالعتُ خطباً جلالاً  
جاغني الدهرُ بخطبِ جلالِ  
أشتكي الليلَ ولو ودَّعته  
بتُّ من همِّي بـليلِ اللَّيلِ<sup>٢</sup>  
يا بناتِ الأفقِ ما للصبِّ من  
مُسعدٍ في الناس: هل فيكُن لي؟  
لا عرفتُن الرزايا إنها  
شيَّبت رأسي ولم أكتَهِلِ  
سُهدتُ سُهدي الدُّراري<sup>٣</sup> إنما  
شِدَّ ما بين المَعْنَى والخلي  
ليت شعري ما الذي أعجبها  
فهي لا تنفكُ ترنو من علِّ

---

(١) يريد المبتلى

(٢) شديد الظلمة

(٣) النجوم لأنها تلمع في السماء كالدرر

أَنَا لَا أَغِيْطُهَا خَالِدَةً  
 وَلَقَدْ أَحْسَدُهَا لَمْ تَعْقِلْ  
 كَلَّمَا رَاجَعْتُ أَحْلَامَ الصَّبَا  
 قُلْتُ: يَا لَيْتَ الصَّبَا لَمْ يَزَلْ!..  
 أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي فِي أَضْأَعِي  
 إِنَّمَا اللَّذَّةُ جَهْلًا فَاجْهَلِ<sup>(١)</sup>  
 تَجَمَّلُ الرِّقَّةُ فِي الْعَضْبِ فَإِنْ  
 كُنْتُ تَهَوَّاهَا فَكُنْ كَالْمُنْصَلِ<sup>(٢)</sup>  
 هِيَ فِي الْغَيْدِ الْغَوَانِي قُوَّةٌ  
 وَهِيَ ضَعْفٌ فِي فَوَادِ الرَّجُلِ  
 لَا يَغُرُّ الْحُسْنَ ذَا الْحُسْنِ فَقَدْ  
 يَصْرَعُ الْبَلْبِلُ صَوْتَ الْبَلْبِلِ  
 تُقْتَلُ الشَّاةُ وَلَا ذَنْبَ لَهَا  
 هِيَ، لَوْلَا ضَعْفُهَا، لَمْ تُقْتَلْ  
 إِنْ تَكُنْ فِي الْوَحْشِ كَنْ لَيْثِ الشَّرَى<sup>(٣)</sup>  
 أَوْ تَكُنْ فِي الطَّيْرِ كَنْ كَالْأَجْدَلِ<sup>(٤)</sup>  
 أَوْ تَكُنْ فِي النَّاسِ كَنْ أَقْوَاهُمْ  
 لَيْسَتْ الْعَالِيَاءُ حَظَّ الْوَكْلِ!<sup>(٥)</sup>  
 ❖❖❖❖❖  
 مَا لِقَوْمِي لَا وَهَى حَبْلُهُمْ  
 قَنَعُوا مِنْ دَهْرِهِمْ بِالْوَشْلِ<sup>(٦)</sup>

(١) الصحيح إنما اللذة جهل إلا إذا لجأنا إلى التقدير

(٢) النصل حديد السيف، والمنصل السيف

(٣) موضع تُنسب إليه الأسود

(٤) الصقر

(٥) أرادها جمعاً للوكل البلبد الجبان، المتكل على غيره

أَنَا مِنْ أَمْرِهُمْ فِي شُغْلٍ  
 وَهُمْ عَنْ أَمْرِهُمْ فِي شُغْلٍ  
 كَلَّمَا فَكَّرْتُ فِي حَاضِرِنَا  
 عَاقَنِي الْيَأْسُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ  
 نَحْنُ فِي الْجَهْلِ عَبِيدُ الْهَوَى  
 وَمَعَ الْعِلْمِ عَبِيدُ الدُّوَلِ  
 نَعْشَقُ الشَّمْسَ وَنَخْشَى حَرَّهَا  
 مَا صَعِدْنَا وَهِيَ لَمَّا تَنْزِلُ  
 قَدْ مَشَى الْغَرْبُ عَلَى هَامِ السُّهَى  
 وَمَشِينَا فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ  
 سَجَّلَ الْعَارُ عَلَيْنَا مَعْشَرُ  
 سَجَّلُوا الْمِرَاةَ بَيْنَ الْهَمْلِ  
 فَهِيَ أَمَّا سِلَاحٌ حَامِلَةٌ  
 سِلَاحٌ أَوْ الْهَيْ فِي مَعْمَلِ  
 أَرْسَلُوهَا تَزْرَعُ الْأَرْضَ خُطًى  
 وَتُبَارِي كُلَّ بَيْتٍ مِثْلُ<sup>١</sup>  
 تَتَهَادَاهَا الْمُوَامِي وَالرُّبَا<sup>٢</sup>  
 فَهِيَ كَالدِّينَارِ بَيْنَ الْأَنْمَلِ  
 لَا تُبَالِي الْقَيْظَ يَشْوِي حَرَّهُ  
 لَا وَلَا تَحْذَرُ بَرْدَ الشَّمَمَالِ  
 وَلَهَا فِي كُلِّ بَابٍ وَقْفَةٌ  
 كَأَمْرِ الْقَيْسِ حِيَالِ الْطَّلِ<sup>٣</sup>

(١) في عجز البيت ركاقة وغموض لم أجده في النسخ بين يدي، صورة أخرى

(٢) الموماة المفازة الواسعة، والفلاة التي لا ماء فيها (وجمعها الموامي)

(٣) إشارة إلى مطلع معلقته التي طلب فيها من صاحبيه الوقوف على الحبيب ومنزله، بسقط اللوى

تتقي قول اغربي خشيتها  
قولة القائل يا هذي ادخلي  
فهي كالعصفور وافي صادياً<sup>١</sup>  
فرأى الصياد عند المنهل  
كامناً، فانصاع يذنيه الظلما  
ثم يُقصر به اتقاء الأجل  
ولكم طافت به امالة  
وانتنت تقطع خيط الأمل  
ولكم مدت الى الرفد<sup>٢</sup> يداً  
خلقت في مثلهما اللؤلؤ  
ما بها؟ لا كان شراً ما بها  
ما لها من أمرها في خيل؟  
سائلوها أو سألوا عن حالها،  
ان جهلتم، كل طفل محول<sup>٣</sup>  
في سبيل المال أو عشاقه  
تكدح المرأة كدح الإبل  
ما تراها وهي لا حول لها  
تحت عبء فادح كالجبيل  
شدت الأمراس في ساعدها  
من رأى الأمراس حول الجلول؟  
جشموها كل أمر مغضيل  
وهي لم تخلق لغير المنزل

(١) صدي يصدى عطش والصادي العطشان

(٢) الرفد العطاء

فإذا فارقت الدار ضُحى  
لم تعدّ الأقبيل الطُّفل<sup>(١)</sup>  
ألِفَتْ ما عوَّوها مثلاً ما  
تألفَ الطَّبيَّة طعمَ الحنظل!  
بنت سُورِيَا التي أبكى بها  
هَمَّةَ الليثِ وروحَ الحمل  
ما أطاعوا فيك أحكامَ النهى  
لا ولا قولَ الكتابِ المُنزل  
قد أضاعوكِ وما ضيَّعتهم  
فأضاعوا كلُّ أمٍّ مُشْبِل<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الدخول في المساء

(٢) قامت على أولادها بعد زوجها، وليَّة مشبل معها أولادها



## ١٤ - الفقير

[الفقير]

هَمُّ الْمُبِّهِ مَعَ الْخَطِّ الْمَمَّاءِ  
فَتَأَى بِمَقَالَتِهِ عَنِ الْإِغْفَاءِ  
تَعِسُ أَقَامُ الْحَزْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِ،  
وَالْحَزْنَ نَارُ غَيْرِ ذَاتِ ضِيَاءِ  
يَرْمَى نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَ بِهِ هَوًى  
وَيُخَالُهُ كَلِيفاً بِهَنْ الرَّائِي  
فِي قَلْبِهِ نَارُ (الْخَالِيلِ) وَأَمَّا  
فِي وَجْنَتَيْهِ أَدْمَعُ (الْخَنَسَاءِ) <sup>(١)</sup>  
قَدْ عَضَّهُ الْيَأْسُ الشَّدِيدُ بِنَابِهِ  
فِي نَفْسِهِ، وَالْجُوعُ فِي الْأَحْشَاءِ  
يَبْكِي بِكَاءِ الْطِفْلِ فَارِقُ أُمِّهِ  
مَا حِيلَةُ الْحَزُونِ غَيْرُ بَكَاءٍ!  
فَأَقَامَ حِلْسَ الدَّارِ وَهُوَ كَأَنَّهُ  
لَخَلَوْتُكَ الدَّارِ فِي بَيْدَاءِ  
حَيْرَانَ لَا يَدْرِي أَيَقْتُلُ نَفْسَهُ  
عَمْدًا فَيُخَلِّصُ مِنْ أَذَى الدُّنْيَاءِ <sup>٢</sup>  
أَمْ يَسْتَمِرُّ عَلَى الْغَضَاضَةِ وَالْقَذَى  
وَالْعَيْشِ لَا يَحَالُو مَعَ الضَّرَاءِ

---

(١) النبي إبراهيم الحليل عليه السلام انظر سورة الأنبياء في القرآن الكريم الآية ٦٩ والحساء الشاعرة المخضمة التي بكت أخاها (صخرأ) بكاءً مرأً

(٢) أرادها جمعاً (لذنيء)

طردَ الكرى وأقام يشكو ليله  
 يا ليل طُلْتُ، وطال فيك عنائي!  
 يا ليلُ قد أغريت جسمي بالضنا  
 حتى ليؤلمُ فقدُهُ أعضائي  
 ورميتني يا ليلُ بهم الذي  
 يفرى الحشا، والهَمُّ أعسرُ داء  
 يا ليلُ! مالك لا ترقُّ لحالتي  
 أتُراك والأيام من أعمداني؟  
 يا ليلُ! حسبي ما لقيتُ من الشقا  
 رحماك لستُ بصخرة صماء  
 بن<sup>(١)</sup> يا ظلامُ عن العيون فربما  
 طلع الصباحُ وكان فيه عزائي  
 ورحمتا البائسين فإنهم  
 موتى وتحسبهم من الأحياء  
 اني وجدتُ حظوظهم مُسودةً  
 فكانما قُدت من الظُلماء  
 أبداً يُسرُّ بنو الزمان وما لهم  
 حظٌ كغيرهم من السُّراء  
 ما في أكفهم من الدنيا سوى  
 أن يُكثروا الأحلام بالنعماء  
 تدنوبهم أمالهم نحو الهنا  
 هيها تيدنوب بالخيال الناني  
 بطر الأنام من السُّرور وعندهم  
 أن السُّرور مرادفُ العنقاء

---

(١) بان، بيب، بعد

أَنِّي لِأَحْزَنُ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُمْ  
 غَرَضَ الْخَطُوبِ وَعُرْضَةَ الْأَرْزَاءِ  
 أَنَا مَا وَقَفْتُ لَكِي أَشْبَبُ بِالْطَّلَا  
 مَا لِي وَلِلتَّشْبِيبِ بِالصَّهْبَاءِ؟  
 لَا تَسْأَلُونِي الْمَدْحَ أَوْ وَصْفَ الدُّمَى  
 أَنِّي نَبَذْتُ سَفَاسِفَ الشُّعْرَاءِ  
 بَاعُوا لِأَجْلِ الْمَالِ مَاءَ حَيَانِهِمْ  
 مَدْحًا وَبِتُّ أَصُونُ مَاءَ حَيَانِي  
 لَمْ يَفْهَمُوا مَا الشُّعْرُ، إِلَّا أَنَّهُ  
 قَدْ بَاتَ وَاسِطَةً إِلَى الْإِثْرَاءِ  
 فَلِذَاكَ مَا لَاقَيْتُ غَيْرَ مَشَبِّبٍ  
 بِالْغَانِيَّاتِ وَطَالِبِ لِعَطَاءِ  
 ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا الرَّحِيْبَةُ فَانْتَنَى  
 بِالشُّعْرِ يَسْتَجِدِّي بَنِي حَوَاءِ  
 شَقِي الْقَرِيضُ بِهِمْ وَمَا سَعِدُوا بِهِ  
 لَوْلَاهُمْ أَضْحَى مِنَ السُّعْدَاءِ  
 نَانُوا عَلَيْنَا بِالْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى  
 وَصُدُّوهُمْ طُبِعَتْ عَلَى الْبَغْضَاءِ  
 أَلْفُوا الرِّيَاءَ فَصَارَ مِنْ عَادَاتِهِمْ  
 لَعَنَ الْمَهِيْمُنُ شَخْصَ كُلِّ مُرَاءٍ!  
 إِنْ يَغْضَبُوا مِمَّا أَقُولُ فَطَالَمَا  
 كَرِهَ الْأَدِيبُ جَمَاعَةَ الْغَوْغَاءِ  
 أَوْ يَنْكُرُوا أَدِيبِي فَلَا تَتَعَجَّبُوا  
 فَالرُّمْدُ يُؤْلَاهُمْ طُلُوعُ ذُكَا<sup>(١)</sup>

(١) ذُكَا: الشمس والرُّمْدُ من الرُّمْدِ (أرمد ورمداء)

أو كلما نصر الحقيقة فاضلٌ  
 قامت عليه قِيامةُ السُّفهاءِ!  
 أنا ما وقفتُ اليومَ فيكم موقفي  
 إلا لأندبَ حالةَ التُّعساءِ  
 عليّ أحرَكَ بالقريضِ قلوبكم  
 إن القلوبَ مواطنُ الأهواءِ  
 لهفي على المحتاجِ بين ربوعكم  
 يُمسي ويصبحُ وهو قيدُ شقاءِ  
 أمسى سواءَ ليلُهُ وصباحُهُ  
 شتانَ بين الصُّبحِ والإمساءِ  
 قطعَ القنوطُ عليه خيطَ رجائه  
 والمرءُ لا يحيا بغيرِ رجاءِ  
 لهفي! ولو أجدى التعيسُ تلهفي  
 لسفكتُ دمي عنده ودمائي  
 قل للغنيّ المُستعزِّ بماله:  
 مهلاً لقد أسرفتُ في الخيلاءِ  
 جبلُ الفقيرِ أخوك من طينٍ ومن  
 ماءٍ، ومن طينٍ جُبلتِ وماءِ  
 فمنِ القساوةِ أن تكونَ مُنعماً  
 ويكونَ رهنَ مصائبٍ وبلاءِ  
 وتظلَّ ترفُلُ بالحريرِ أمامه  
 في حينٍ قد أمسى بغيرِ كساءِ  
 اتَّخِذْ بالدينارِ في إسعافِهِ  
 وتجوّدْ بالآلافِ في الفحشاءِ  
 انصرْ أخاك فإن فعلتَ كفيته  
 ذلُّ السؤالِ ومِنَّةُ البُخلاءِ

أذوي اليسار! وما اليسارُ بِنافعٍ  
إن لم يكن أهْلُوه أهْلُ سَخاءٍ  
كم ذا الجُحودُ وما لُكم رهنُ البلى  
وبم الغُرورِ وكلُّكم لفناء؟  
إن الضُّعيفَ بِحاجةٍ لِنُضارِكُم  
لا تقعدوا عن نُصرةِ الضُّعفاءِ  
أنا لا أذكُرُ منكم أهْلَ النُّدى  
ليس الصَّحيحُ بِحاجةٍ لدواءٍ  
إن كانت الفقراءُ لا تجزيكُم  
فألهُ يجزيكُم عن الفقراءِ

\*\*\*\*



حَرَّمُوهَا حِينَ مَا خَافُوا عَلَيَّ  
هَـا سِوَاهُمْ فَاسْقِنِي مَا حَرَّمُوا  
أَنهَا سِرٌّ فَشَا بَيْنَ الْوَرَى  
وَإِذَا السِّرُّ فَشَا لَا يُكْتَم

\*\*\*\*

## ١٦ - في السفينة

[مجزوء الوافر]

تَسِيرُ بِنَا عَلَى عَجَلٍ  
وَأَنْ شَاءَتْ عَلَى مَهْلٍ  
وَتَسْعَى سَعْيَ مُشْتَاقٍ  
بَلَا قَلْبٍ وَلَا عَقْلٍ  
وَتَمْشِي فِي عُبَابِ الْمَا  
مَشْيَ الصَّلِّ فِي الرَّمْلِ<sup>١</sup>  
فَمَا تَعْبِسُ لِحَزْنٍ  
وَلَا تَضْحَكُ لِسَهْلٍ<sup>٢</sup>  
أَبْتَ أَنْ تَعْرِفَ الشُّكُوفِ  
مَنْ التُّرَحَّالِ وَالْحِلِّ  
فَطُوراً فِي قَرَارِ الْيَمِّ  
لِلْغَامِضِ تَسْتَجِلي  
وَأَوْنَةً تُنَاجِيهَا  
دَرَارِي الْأَفُقِ بِالصَّوَصِلِ<sup>٣</sup>  
وَأَحْيَاناً تُوَالِي سَيْدَ  
رَهْمَا سَاكِنَةِ الظَّلِّ  
وَالْمَوْجِ حَوَالِيَّهَا  
زُنَيْرُ الْإِيثِ ذِي الشُّبْلِ

(١) الصَّلُّ الحية التي تقتل، من ساعتها، إذا نهشت

(٢) الحزن غلظة الطريق

(٣) الدراري النجوم لأنها تضيء في السماء، مثل الدرر



رَكِبْنَاهَا وَنَارُ الشُّوْ  
 قِي فِي أَحْشَانِهَا تَغْلِي  
 فَيَا إِلَهَ حَتَّى السُّفْ  
 نِ مِثْلِي مَا لَهَا مُسَلْ<sup>١</sup>  
 فَلَا تَعَجِّبْ إِذَا أُعْجِ  
 بَ مِنْ أَطْوَارِهَا مِثْلِي  
 فَمَا أَعْرِفُ مَرْكُوبًا  
 سِوَى الْأَفْـ رَاسِ وَالْإِبِلِ  
 وَمَا أَعْلَمُ قَبْلَ الْآ  
 نَ أَنَّ الطُّـوْدَ نَاقِلِي<sup>٢</sup>  
 تَرَكْنَا غَاةَ الشُّرْقِ  
 إِلَى بَنَانِ ذِي الْفَضْلِ  
 فَـ مِنْ وَطَنِ إِلَى وَطَنِ  
 وَمِنْ أَهْلِ إِلَى أَهْلِ

\*\*\*\*

(١) أسلاه عن همّه فتسلى (من السلوان)

(٢) يريد ناقة لي، وقد شبه السفينة بالجبل

## ١٧ - يا صاح! ...

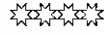
[السريع]

يا صاح كم تفأحة غضة  
يحملها في الروض غصن رطيب  
ناضجة ترتج في جوها  
مثل ارتجاج الشمس عند المغيب  
حرّضك الوجد على قطفها  
لما غفا الواشي ونام الرقيب  
لكن لأمر أنت أدري به  
رجعت عنها رجعة المستريب  
تقول للنفس الطموح: اقصري  
ما سرقة التفاح شأن الأريب  
~~~~~  
ورب صفراء كلون الضحى  
ينفي بها أهل الكروب الكروب  
دارت على الشررب بها عادة  
كأنها ظبي الكناس الربيب<sup>١</sup>  
في طرفك الساجي هيام بها  
وبين أحشائك شوق مذبذب  
لكن لأمر أنت أدري به

---

(١) الكناس موضع الظبي في الشجر، يكتن فيه ويستتر والربيب المريبوب (من ربّه أنشاه)





خُلِّ البُكا يا صاحبي والأسى  
الليلُ لا يُقْصِيه عنكَ النُّحيبُ  
لا خير في الشيء انقضى وقته  
ما لقتيلٍ حاجةٌ بالطبيب!



## ١٨ - بلاء أم نعمة

[المقارب]

أحبُّ معانقة النرجسِ  
لعينيكِ يا ابنة كُولْمُبُس<sup>١</sup>  
وأهوى الشَّقِيقِ ولتَمَّ العَقِيقِ  
لخدكِ والتُّغْرِ الْأَلْعَسِ<sup>٢</sup>  
أعِنْدكِ إنْ غِيبَتْ عن ناظري  
مشيتُ من الصبحِ في حِنْدَسِ  
وأنَّ الظَّلامَ على هَوْلِهِ  
إذا جِئْتَ حالٍ إلى مُشَمْسِ  
وفي الصَّدْرِ قلبٌ ولا كالقُلُوبِ  
متى شئتِ يسعدُ أو ينْعَسِ  
وددتُ الإفاضةَ قبل اللقاءِ  
فلمَّا لقيتُك لم أنْسِ  
وبتُّ وإيَّاكِ في مَعْزِلِ  
كأنِّي وإيَّاكِ في مَجْلِسِ  
ولو أنَّ ما بي بالَطَّودِ دُكَّ  
وبالأسدِ الورْدِ لم يَفْرِسِ<sup>٣</sup>  
هممتُ فأنكرني مِقْوَلِي  
وشاء الغرامُ فلم أهْجِسِ<sup>٤</sup>

(١) وجهها إلى زوجته دوروثي، بصفتها مقيمة في أمريكا مع والدها نجيب موسى دياب صاحب (مرآة العرب)

(٢) اللعس لون الشفة إذا مال إلى السواد

(٣) الفرس الكسرويق العنق

كَأَنِّي لَسْتُ أَمِيرَ الْكَلَامِ  
 وَلَا صَاحِبَ الْمَنْطِقِ الْأَنْفَسِ  
 جَلَّالُكَ وَاللَّيْلُ فِي صَمَّتِهِ  
 فَلَا غُرُوَّ أَنْ رَحْتُ كَالْأَخْرَسِ  
 وَمَرَّتْ بِنَا سَاعَةٌ خَلَّتُنَا  
 خَلَعْنَا الْجِسْمَ عَنِ الْأَنْفُسِ  
 وَأَنَا مِنَ الرُّوضِ فِي جَنَّةِ  
 وَأَنَا مِنَ الْعُشْبِ فِي سُنْدُسِ  
 كَذَاكَ الْهَوَى فِعْلُهُ فِي النِّفَوسِ  
 كَفَعَلَ الْمُدَامَةِ فِي الْأَرْوَسِ  
 تَنَبَّهْ فِيهَا وَفِي الْهَوَى  
 فَلَوْ نَعَسَ النِّجْمُ لَمْ نَنْعَسِ  
 وَكُلُّ فَوَادٍ شَدِيدِ الْعُرَامِ  
 إِذَا رَضَّتْهُ بِالْهَوَى يَسْأَلِسِ  
 فَمَالَتْ فَطَوَّقَهَا سَاعِدِي  
 مُنْعَمَةٌ بِضُئَةِ الْمَالِسِ  
 وَإِنَّ الْعَفَافَ لَفِي بُرْدِهَا  
 وَإِنَّ الْإِبَاءَ لَفِي مِعْطَسِي  
 وَقُلْتُ وَكَفِّي فِي كَفِّهَا:  
 أَلَا صَرَّحِي لِي أَوْ فَاهِمِ مِسي  
 بَلَاءُ هُوَ الْحُبُّ أَمْ نَعَمَةٌ؟  
 أَجَابَتْ: تَجَلَّدْ وَلَا تَيَّاسِ!

\*\*\*\*\*

## ١٩ - الخلود

[الرمل]

غِلَطِ الْقَائِلُ: إِنَّا خَالِدُونَ  
كَلْنَا، بَعْدَ الرَّيِّ، هِيَ بِنُ بِي<sup>١</sup>  
\*\*\*\*\*

لَوْ عَرَفْنَا مَا الَّذِي قَبْلَ الْوُجُودِ  
لَعَرَفْنَا مَا الَّذِي بَعْدَ الْفَنَاءِ  
نَحْنُ لَوْ كُنَّا كَمَا قَالُوا نَعُودُ  
لَمْ تَخَفْ أَنْفُسُنَا رَبِّبِ الْقَضَاءِ  
إِنَّمَا الْقَوْلُ بِنَّا لِلْخُلُودِ  
فَكِرَةً أَوْجَدَهَا حُبُّ الْبَقَاءِ  
نَعِشْقُ الْبَقِيَا لِأَنَّا زَانِلُونَ  
وَالْأَمَانِي حَيَّةٌ فِي كُلِّ حَيٍّ  
\*\*\*\*\*

زَعَمُوا الْأَرْوَاحَ تَبْقَى سَرْمَدًا  
خَدَعُونَا... نَحْنُ وَالشَّمْعُ سَوَاءٌ  
يَلْبِثُ النُّورُ بِهَا مُتَّقِدًا  
فَإِذَا مَا احْتَرَقَتْ بَادَ الضَّيَاءُ  
أَيْنَ كَانَ النُّورُ؟ أَنَّى وَجِدَا؟  
كَيْفَ وَلَّى عِنْدَمَا زَالَ الْبِنَاءُ؟  
شَمْعَتِي فِيهَا لَطَّلَابُ الْيَقِينِ  
أَيُّهُ تَدْفَعُ عَنْهُمْ كُلُّ غِيٍّ<sup>٢</sup>  
\*\*\*\*\*

(١) هِيَ بِنُ بِي كِتَابِيَّةٌ عَمَّنْ لَا يُعْرِفُ وَلَا يُعْرِفُ أَبُوهَا

(٢) الْخِلَالُ (غَوَى بِغَوَى فَهُوَ غَوِيٌّ)

ليست الروح سوى هذا الجسد  
معه جاءت ومعه ترجع  
لم تكن موجودة قبل وجود  
ولهذا حين يمضي تتبع  
فمن الزور الموشى والفند<sup>١</sup>  
قولنا: الأرواح ليست تُصرع  
تلبث الأفياء ما دام الغصون

فإذا ما ذهب لم يبق في



لو تكون الروح ما لا يضمحل  
ما جزعنا كما جسم همد  
لو تكون الروح جسماً مستقل  
لراها من يرى هذا الجسد  
كل ما في الأرض من عين وظل  
سوف ينحل كما انحل الزبد  
ولئن صح بأننا منشرون

جاز أن يعقب ذاك النشر طي



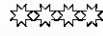
ليت من قالوا بأننا كالزهور  
خبرونا أين تمضي الرائحة؟  
أترى تبقى كالحان الدهور؟  
أم تلاشى مثل صوت النانحة؟  
ليت شعري أي خلد للبُ نور  
بعد أن تلقى بنار لافحة؟

---

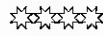
(١) الفند الكذب (أفند كذب)



قل لمن يخبِطُ في ليلِ الظُّنونِ  
ليس بعد الموتِ للظامئِ رِيّ



مثالما يذهبُ لونُ الورقةِ  
عندما تيبسُ في الأرضِ الأصولُ  
مثالما يُفقدُ نورُ الحقةِ  
حينَ أقضي.. هكذا نفسي تزولُ  
كتلاشي الشمعةِ المحترقةِ  
كتلاشي بين ضحكٍ وعويلٍ  
أنا بعد الموتِ شيئاً لا أكونُ  
حيثُ اني لم أكن من قبلُ شيء!



إيه أبناءُ الثرى نسلُ القُرودِ<sup>(١)</sup>  
عالموا أنفسكم بالثرهاتِ  
البسوا في صحوكم ثوبَ الجمودِ  
واحلّموا في نومكم بالمُعجزاتِ  
فسيأتي زمنٌ غيرُ بعيدٍ  
تتهادى بينكم فيه آياتٌ<sup>(٢)</sup>!  
ويحلُّ الله في ماءٍ وطينٍ  
فيراه الشيخُ والشابُّ الأحي<sup>(٣)</sup>!



---

(١) إشارة إلى نظرية " داروين " في أن أصل الإنسان قرد

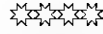
(٢) قرأناها آيات آيات

(٣) الأكثر حياة (صيغة خاصة بالشاعر)

## ٢٠ - عيناك

[السريع]

عيناك والسحر الذي فيهما  
صيّرتاني شاعراً ساحراً  
علّمتاني الحبّ علّمته  
بدر الدجى والغصن والطائرا



إن غبت عن عيني وجنّ الدجى  
سألتُ عنك القمر الزّاهرا  
وأطرقُ الروضة عند الضّحى  
كيما أناجي البليل الشاعرا



وأنشقُ الوردة في كمّها  
لأنّ فيها أرجاء عاطرا  
يُذكّرُ الصّبّ بذاك الشّدّا  
هل تذكرين العاشق الذّاكرا؟



كم نلّنا في وكره هانئ  
نبّهته من وكره باكرا  
أصبح مثلي تائها حائرا  
لمّا راني في الرّبا حائرا



وراح يشكولي وأشكوله  
بطش الهوى والهجر والهجرة  
وكوب أسمعتة زفرتي  
فبات مثلي ساهياً ساهراً



زجرت حتى النوم عن مقلتي  
ولم أبال اللانم الزاجرا  
يا ليت أني مثل سائر  
كيما تقولي المثل السانرا



[المقارب]

لِيَطْرِبَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَطْرِبَا  
 فَلَسْتُ بِمَسْتَمِطِرٍ خُطْبَا<sup>١</sup>  
 عَرَفْتُ الزَّمَانَ قَرِيبَ الْأَذَى  
 فَصِرْتُ إِلَى خَوْفِهِ أَقْرِبَا  
 وَهَذَا الْجَدِيدُ أَبَوُهُ الْقَدِيمُ  
 وَلَا تَلِدُ الْحَيَّةُ الْأَرْنبَا  
 أَرَى الْكَوْنَ يَرْمُقُهُ ضَاكِكَا  
 كَمَنْ رَأَى فِي تَيْهِهِ كَوَكْبَا<sup>٢</sup>  
 وَلَوْ عَلِمَ الْخَلْقُ مَا عِنْدَهُ  
 أَهْلُوا إِلَى اللَّهِ كِي يَغْرِبَا<sup>٣</sup>  
 وَلَوْ عَلِمَ الْعِيدُ مَا عِنْدَهُمْ  
 أَبَى أَنْ يَمَزَّقَ عَنْهُ الْخَبَا  
 أَلَا لَا يَغُورُكَ تَهْلَايُ أَهْمُ  
 وَقَوْلْتُ لَهُمْ لَكَ يَا مَرْحَبَا!  
 فَقَدْ لَبِسُوكَ لَكِي يَخْلَعُوكَ  
 كَمَا تَخْلَعُ الْقَدَمُ الْجَوْرِبَا  
 وَلَوْ عَوَّنَ بِالْغَدْرِ مَنْ طَبَعَهمْ

(١) لِيَطْرِبَ تُحْرَكُ الْبَاءُ بِالْفَتْحِ لِيَسْتَقِرَّ الْوِزْنُ

(٢) رَأَى رَأَى

(٣) أَهْلُوا إِلَى اللَّهِ أَرَادَهَا هُنَا بِمَعْنَى رَفَعَ الصَّوْتَ بِالْدُعَاءِ

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ غَادِرًا جَرِيًّا  
 وَكَانَنْ فَتْنَى هَزْنَى قَوْلُهُ  
 أَنَا خِدْنُكَ الصَّادِقُ الْمُجْتَبَى  
 أُرَافِقُ مَنْ شَكَلَهُ ضَيِّغُمَا  
 يُرَافِقُ مَنْ نَفْسُهُ ثَعَالِيَا  
 هُمُ الْقَوْمُ أَصْحَابُهُمْ مُكْرَهَا  
 كَمَا يَصْحَبُ الْقَمَرُ الْغَيْهَبَا<sup>١</sup>  
 أَرَانِي أَوْحَدٌ مِنْ نَاسِكَ  
 عَلَى أَنَّنِي فِي عِدَادِ الدُّبَى<sup>٢</sup>  
 وَأَمْرٌ فِي بِلَادِ عَامِرٍ  
 وَأَحْسِبُنِي قَاطِنًا سَبَسِيَا<sup>٣</sup>  
 وَقَالَ خَلِيلِي: الْهَنَاءُ الْقُصُورُ  
 وَكَيْفُ وَقَدْ مُلِئْتُ أَنْوِيَا  
 أَلَفْتُ الْهَمُومَ فَلَوْ أَنَّنِي  
 قَدَرْتُ تَمَنَّعْتُ أَنْ أَطْرِيَا  
 كَأَنَّ الْجِبَالَ عَلَى كَاهِلِي  
 كَأَنَّ سُرُورِي أَنْ أَغْضِيَا  
 وَكَيْفَ ارْتِيَا حُ أَخِي غُرْبَةً  
 يُصَاحِبُ مَنْ هَمُّهُ عَقْرِيَا  
 عَتَبْتُ عَلَى الدَّهْرِ لَوْ أَنَّنِي  
 أَمِنْتُ فَوَادِي أَنْ يَعْثِيَا  
 ❦❦❦❦❦❦❦

(١) العيب شدة سواد الليل أو الظلمة إطلاقاً

(٢) الدُّبَى الجراد قبل أن يطير

وجدتك والشَّيبُ في مفرقي  
 وودَّعني وأخوك الصَّبا  
 فليس بكَاني عاماً خلا  
 ولكنَّ شباي الذي غُيِّبا  
 فيا فرحاً بمجيء السنين  
 تحيُّ السنون لكي تذهبها  
 عجيبٌ مشيبي قبل الأوان  
 وأعجبُ ألا أرى أشييبها  
 فإنَّ نوائب عاركتها  
 تردُّ فتى العشرِ مُحَدِّدِها  
 ويا بنتَ كولب كم تضحكين  
 كأنك أبصرتِ مُستغرياً<sup>١</sup>  
 أليس البياض الذي تكرهين  
 يحبِّبني تغركِ الأشنبا<sup>٢</sup>  
 فمن كان يكرهه إشراقه  
 فإني أكرهه أن يخضبها  
 أحبُّك يا أيها المُستَنيرُ  
 وإن تكُ أشمتُ بي الرِّبِّيا<sup>٣</sup>  
 وأهوى لأجلك لمع البروق  
 وأعشقُ فيك أقاح الرِّبِّيا  
 ❦  
 ويا عامٌ هل جئتنا مُحَرِّماً  
 فنرجوك أم جئتنا مُحَرِّباً

(١) إشارة إلى أنها تسكن أمريكا (كريستوف كولمب)

(٢) الشنب برودة تُحمد في الأسنان

(٣) الرِّبِّب القطيع من بقر الوحش (في الأصل)

تولى أخوك وقد هاجها  
 أقلُّ سلاحٍ بنيتها الظُّبى  
 يُجندِلُ فيها الخميسُ الخميس  
 ويصطرعُ المِقْنَبُ المِقْنَبَا<sup>١</sup>  
 إذا ارتفع الطَّرْفُ في جوِّها  
 رأى من عجاجتها هَيْدَبَا<sup>٢</sup>  
 وجيَّاشة برقها رَعْدُها  
 تدكُّ من الشاهق المنكبَا  
 يسير بها الجُنْدُ محمولاً  
 قضاءً على عجل رُكْبَا  
 يودُّ الفتى أنه هاربُ  
 ويمنعه الخوفُ أن يهرِبا  
 وكيف النجاةً ومقنوقها  
 يطولُ من الشَّرْقِ من غربا؟  
 ولو أنه في ثنايا الغيومِ  
 لما أمِنَ الغيمُ أن يطلبا  
 تسحُّ فلو أن تهتَّانها  
 حياً أنبت القاحل المجدبا<sup>٣</sup>  
 فما المنجنيقُ وأحجاره  
 وما الماضيات الرِّقاقُ الشُّبَا؟<sup>٤</sup>  
 ❦

(١) أقنبت الحيل نحو العيو تجمعت وصارت مقنبا

(٢) العجاجة العيار (وجمعها عجاج) والهَيْدَبُ السحاب القريب من الأرض

(٣) التهتان والحيا المطر الحفيف

(٤) الماضيات السيوف وشباها حدها

أَن شَكَتِ الْأَرْضُ حَرَّ الصُّدَى  
 سَقَاهَا النُّجَيْعُ الْوَرَى صَيِّبًا<sup>٥</sup>  
 فَيَا لِحَرُوبٍ وَأَهْوَالِهَا  
 أَمَا حَانَ يَا قَوْمُ أَنْ تُشْجِبَا  
 هُوَ الْمَوْتُ اتِّ عَلَى رَغْمِكُمْ  
 فَالْقُوا الْمَسْدُسَ وَالْأَشْطَبَا<sup>١</sup>  
 وَلِلْخَالِقِ الْمُلْكُ وَالْمَالُ الْكَوْنُ  
 فَلَا تَتَّبِعُوا فِيكُمْ أَشْعَبَا<sup>٢</sup>  
 وَلَمْ أَنْسَ مَصْرَعَ تَيْتَانِكَ  
 وَمَصْرَعَنَا يَوْمَ طَارَ النُّبَا<sup>٣</sup>  
 فَمِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ فِي صِدْقِهِ  
 رَغَبْنَا إِلَى الْبَرْقِ أَنْ يَكْذِبَا  
 لِيَالِي لَا نَسْتَطِيبُ الْكَرَى  
 وَلَا نَجِدُ الْمَاءَ مُسْتَعَذِبَا  
 وَبَاتَ فَوَادِي، بِهِ صَدْعُهَا  
 وَبِتُّ أَحَاذِرُ أَنْ يُرَابَا  
 وَلِي نَاطِرُ غَرَقٍ مِثْلُهَا  
 مِنْ الدَّمْعِ، بِالْبَحْرِ مُسْتَوْتِبَا  
 إِذَا مَا تَذَكَّرْتُهَا هَجَّتْ بِي  
 أَسَى تَنْقِيهِ الْحَشَا مِخَابَا  
 فَأُمْسِي عَلَى كَبِدِي رَاحَتِي  
 أَخَافُ مَعَ الدَّمْعِ أَنْ تَسْرِبَا<sup>٤</sup>

(١) السيف يترك خطوطاً في الجسم (وهي الشُّطَب، الواحدة شُطْبَة)

(٢) رمز الطمع في ثراث العرب (ت ١٥٤ هـ)

(٣) تَيْتَانِكَ البَاخِرَةُ المعروفة التي غرقت في رحلتها الأولى

(٤) سَرَبَ ذَهَبٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي الْأَرْضِ



خَطُوبٌ يَرَاهَا الْوَرَى مِثْلَهَا  
لِذَلِكَ أَشْفَقْتُ أَنْ تُكْتَبَا  
~~~~~  
لَقَدْ نَكَبَ الشُّرُوقُ نَكْبَاتَهُ  
وَحَاوَلَ أَنْ يَنْكُبَ الْمَغْرِبَا  
وَأَشَقَى نَفْسُوسَ بَنِي آدَمِ  
لِيَرْضَى السُّرَاحِينَ وَالْأَعْقَابَا<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ جَازَ بَيْنَ الضُّحَى وَاللَّجَى  
لِقَاتِلٍ فِيهِ الضُّحَى الْغِيَّهَبَا  
لَعَلَّكَ تَمْحُو جُنَايَاتَهُ  
فَنَنْسِيَ بِكَ الذَّنْبَ وَالْمُذْنِبَا  
إِذَا كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ الْخُلُودُ  
فَعِشْ بَيْنَنَا أَثَرًا طَيِّبَا  
فَإِنَّكَ فِي أَثَرِهِ رَاحِلُ  
مَشَيْتِ السَّوَاكِ أَوْ الْهَيْدَبَى!<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*\*

---

(١) السُّرَحَانُ الذَّنْبُ وَالْأَعْقَابُ الْعُقَابَانِ (جَمْعُ عُقَابٍ)  
(٢) السَّوَاكُ السِّرُّ الضَّعِيفُ وَالْهَيْدَبَى ضَرْبٌ مِنْ مَشْيِ الْحَيْلِ

## ٢٢ - بلادي

[الوافر]

تركت النجم منك مُستهاما  
فإن تسه سها أو نمت ناما  
بنفسك لوعة لوفي الغواوي  
لصارت كل ماطرة جهاما<sup>١</sup>  
وفيك صباية لوفي جماد  
لأشبه دمك الجاري أنسجاما  
هوى بك في العظام له دبيب  
أشاك<sup>٢</sup> وهولم يبرح غلاما  
يظن الليل يحوي فيك شخصا  
وما يحوي الدجى إلا عظاما  
نفيت الغمض عن جفنيك يأتي  
كأنك واصل فيه الملاما  
أتأرق ثم ترجو الطيف يأتي  
شكاك الطيف لوملك الكلاما  
شجتك النانحات بجنح ليل  
فبت تساجل النوح الحماما  
لكدت تعلم الطير القوافي  
وكدت تعلم الليل الغراما

---

(١) السحاب الذي لا ماء فيه

(٢) جعل الشيب يلحق بك



غَدُونَا كُلَّ مَا ذُكِرُوا طَرِبْنَا  
كَأَن بِنَا المَعْتَقَةَ المُدَامَا  
وَلَمْ أَرْ كَالضَّمِيرِ الحَرُفُخِرَا  
وَلَمْ أَرْ كَالضَّمِيرِ العَبْدِ ذَامَا  
إِذَا غَابَ الذَّلِيلُ النَفْسِ عَنِّي  
نَظَرْتُ إِلَى الَّذِي حَمَلَ الوَسَامَا  
إِذَا جَلَبَ الكَلَامُ عَلَيَّ عَارَا  
هَجَرْتُ النُّطْقَ أَحْسَبُهُ حَرَامَا  
وَأَجْفُو القَصْرَ يُلْزِمُنِي هَوَانَا  
وَأَهْوَى العِزَّ يُلْزِمُنِي الحِمَامَا  
❖❖❖❖❖❖

رَجَالُ التُّرْكِ مَا نَبْغِي انْتِقَاضَا  
لَعَمْرُكُمُ وَلَا نَبْغِي انْتِقَامَا  
وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ  
وَنَكْرَهُ مَنْ يَرِيدُ لَنَا اهْتِضَامَا  
حَمَانَا نِيرُ ظُلْمِكُمْ قَرُونَا  
فَأَبْلَاهَا وَأَبْلَانَا وَدَامَا  
رَغِيئَتُمُ أَرْضُنَا فَتَرَكْتُمُوهَا  
إِذَا وَقَعَ الجَرَادُ رَعَى الرُّغَامَا<sup>١</sup>  
فَبَاتَ الذَّنْبُ يَشْكُوكُمْ عَوَاءً  
وَبَاتَ الظُّلْمُ يَشْكُوكُمْ بُغَامَا<sup>٢</sup>  
جَرِيئَتُمُ (بِالْهَلَالِ) إِلَى مِحَاقٍ  
وَلَوْ لَا جَهْلُكُمْ بَلَّغَ التَّمَامَا

---

(١) الرغام التراب

(٢) البعاع صوت الظبية

وَكُنْتُمْ كُلُّمَا زِدْنَا إِيَّانَا  
 لِنَسْبُرَ غُورَكُمْ زِدْتُمْ عُرَامَا  
 فَمَا رَاقِبْتُمْ فِينَا جَوَارَا  
 وَلَا حَفِظْتُمْ لَنَا يَدُكُمْ زِمَامَا  
 أَثَرْتُمْ بَيْنَنَا الْأَحْقَارَ حَتَّى  
 لِيَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا خِصَامَا  
 وَشَاءَ اللَّهُ كَيْدَكُمْ فَيَتَنَا  
 كَمِثْلِ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ التِّئَامَا  
 فَجَهْلًا تَبْعَثُونَ الرُّسُلَ فِينَا  
 تَدِيفُ لَنَا مَعَ الْأَرْيِ السَّمَامَا <sup>(١)</sup>  
 سَنَرْمُقُهُمْ إِذَا طَاعُوا عَلَيْنَا  
 كَأَنَّا نَرْمُقُ الدَّاءَ الْعُقَامَا <sup>٢</sup>  
 فَإِنْ عُرِيَ شَدَدْنَاهَا وَثَاقَا  
 نَمُوتُ وَلَا نَطِيقُ لَهَا انْفِصَامَا  
 خَفِ التُّرْكِيُّ يَحْلِفُ بِالثَّنَائِي  
 وَخَفَهُ كُلُّمَا صَلَّى وَصَامَا  
 وَمَنْ يَسْتَنْزِلِ الْأَتْرَاكَ خَيْرَا  
 كَمَنْ يَسْتَقْبِسُ الْمَاءَ الضَّرَامَا  
 هُمْ نَزَعُوا لَوَاءَ الْمُؤَاكَ مَنَّا  
 وَنَارَ عَنَا طَغَامُهُمْ <sup>٣</sup> الطَّعَامَا  
 وَقَالُوا: نَحْنُ لِلْإِسْلَامِ سُورُ  
 وَإِنْ بَنَّا الْخِلَافَةَ (وَالْإِمَامَا)

(١) دافِ خَلَطَ وَالْأَرْيِ الْعَسَلُ وَالسَّمُ الْقَاتِلُ وَجَمَعَهُ سَمَامُ

(٢) الدَّاءُ الَّذِي لَا بَرَاءَ مِنْهُ

(٣) الطَّعَامُ الْعَوْغَاءُ

فهل في بين أحمد أن يجوروا  
وهل في بين أحمد أن نُضاماء؟  
إلى كم يحصرون الحكم فيهم  
وكم ذا يبتغون بنا احتكاما  
السُّننا نحن أكثرهم رجالا  
إذا علّوا وأرفعهم مقاما  
إذا طلعت ذُكاءُ فليس تخفى  
ولو حاكوا الظلام لها لثاماً  
~~~~~

مخوفنا المثقفة العوالي  
لقد هدّدت بالجمر النعاما<sup>(١)</sup>  
سنوقدها تُعير الشمس نارا  
ويُعَي أمرها الجيش اللُّهاما<sup>(٢)</sup>  
وعِلمُ المرء أن الموت ات  
يَهونُ عنده الموت الزُّواما

\*\*\*\*

---

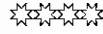
(١) المعروف أن النعامة تنفن رأسها في الرمال الحارة

(٢) اللُّهام الجيش الكيف الذي يلتهم كل شيء

## ٢٣ - البلبل السجين

[مخلع البسيط]

يَا رَبَّ لَيْلٍ بِلَا سَنَاءٍ<sup>١</sup>  
كَأَنَّمَا بَدْرُهُ يَتِيمٌ  
مَشَى بِهِ الْيَأْسُ فِي الرَّجَاءِ  
كَأَنَّهُ النَّارُ وَالْهَشِيمُ



لَيْتَ الدُّجَى رَقَّ لِلْمَحَبِّ  
أَوْ لَيْتَ لِي مَهْجَةٌ حُجِرُ<sup>٢</sup>  
أَقْضُ هَذَا الْفَرَّاشُ جَنَنِي  
كَأَنِّي فِي مَضْجَعِي الْإِبْرُ<sup>٢</sup>  
هَلْ بَكَ يَا نَجْمٌ مِثْلُ كَرْبِي؟  
أَمْ أَنْتَ مِنْ طَبْعِكَ السُّهْرُ؟  
سَهَرْتَ شَوْقًا إِلَى ذُكَاءٍ؟  
أَمْ عِنْدَكَ الْمُقْعِدُ الْقَيِّمُ؟  
أَبْكِي وَتُصْغِي إِلَيَّ بِكَائِي  
يَا رَبِّ! هَلْ تَعْشَقُ النُّجُومُ؟



قَدْ نَالَ فَرْطُ السُّهَارِ مِنِّي  
وَاشْتَاقَ طَرْفِي إِلَى الْهَجْوِ

---

(١) يريد السنا، وهو النور

(٢) أقض المضجع، وأقض عليه المضجع خشن، أو جعله خشناً

وَقَرَّحَ الْجَفْنَ مَاءً جَفَّنِي  
 فِي الْحَبِّ، مَا فَاخِرُ مِنْ دَمْعِي  
 وَشَابَ رَأْسِي مِنَ التَّجَنِّي  
 يَا لَيْتَ ذَا الشَّيْبِ فِي الْوُلُوعِ<sup>(١)</sup>  
 لَعَلَّ فِي سَالَوْتِي شِفَانِي  
 هِيَ هَاتِ دَاءُ الْهَوَى قَدِيمٌ  
 مَا يَحْسِبُ النَّاسُ فِي رِدَائِي؟  
 فِي بُرْدَتِي هِيَ كُلُّ رَمِيمٍ!  
 ❖❖❖❖❖❖❖

قَدْ طَالَ يَا لَيْلُ فَيْكَ صَبْرِي  
 وَأَشْبَهْتَ سَاعَكَ الْقُرُونَا  
 فَقُلْ لِهَذَا النُّجُومِ تَسْرِي  
 أَوْ فَاسْأَلِ الصُّبْحَ أَنْ يَبِينَا  
 وَإِنْ تَشَاءُ أَنْ تَكُونَ قَبْرِي  
 فَكُنْ كَمَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَا  
 فَبِي سَكُونٌ إِلَى الْبَلَاءِ  
 قَدْ يَأْلَفُ الْعَلَّةُ السُّقِيمُ  
 مَنْ كَانَ فِي قَبْضَةِ الْهَوَاءِ  
 هَانَ عَلَى نَفْسِهِ النَّسِيمُ!  
 ❖❖❖❖❖❖❖

قَرَّبَ بَيْنَ الضُّنَى وَجِسْمِي  
 مَا أَبْعَدَ النَّوْمُ عَنْ جُفُونِي  
 يَا لَيْلُ فَيْكَ الرِّقَادُ خَصْمِي  
 يَا لَيْلُ مَا فَيْكَ مِنْ مُعِينٍ

---

(١) الولوع مثل الولع (ولع يولع ولعاً)

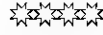


سَوَى شَيْءٍ هَمُّهُ كَهَمِّي  
يُنْشِدُ وَاللَّيْلُ فِي سُكُونِ  
أَيْمَرْحُ الْبُيُومِ فِي الْخَلَاءِ  
وَتُمْسِكُ الْبَلْبِلُ الْهَمُومُ؟  
هَذَا ضَلَالٌ مِنَ الْقَضَاءِ  
فَلَا تَأْمَنْنِي إِذَا الْيَوْمُ  
~~~~~

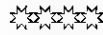
يَا سَيِّدَ الْمُنْشِدِينَ طُرّاً  
وَصَاحِبَ الْمَنْطِقِ الْمُبِينِ  
لَوْ كُنْتُ يَوْمًا أَوْ كُنْتُ نَسْرًا  
مَا بَتُّ فِي أَسْرِكَ الْمَهِينِ  
خُلِقْتُ، لِمَا خُلِقْتُ، حُرّاً  
فَرَجَّكَ الْحُسْنُ فِي السُّجُونِ  
وَأَطْلَقَ الْبُيُومِ فِي الْفَضَاءِ  
زَعَمُ الْيُورَى أَنَّهُ دَمِيمٌ  
وَأَنَّهُ غَيِّبٌ رُذِي رُوءٍ  
وَلَا لَهُ صَوْتُكَ الرَّخِيمُ!  
~~~~~

تَيَّمَكِ الرُّوضُ فِيهِ حَتَّى  
تَخَذَتْ بِأَحَادِهِ مُقَامَا  
رَأَيْتُ فِيهِ النِّعِيمَ بِحَتَا  
وَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ الْأَنَامَا  
مَلَّوْا الْأَحَابِيلَ فِيهِ شَتَّى  
أَقْلَاهَا يَجْلِبُ الْحِمَامَا

لو كنتَ كالْيَوْمِ فِي الْجَفَاءِ  
مَا صَادَكَ الْمَنْظَرُ الْوَسِيمُ  
أَصْبَحْتَ تَبْكِي مِنَ الشُّقَاءِ  
لِيَضْحَكَ الْأَسْرُ الْمُضِيمُ!



والمَرءُ وحشٌ فإن تَرَقَّى  
أَصْبَحَ شَرًّا مِنَ الْوَحْشِ  
فَخَفَهُ حُرًّا وَخَفَهُ رِقًّا  
وَخَفَهُ مَلَكًا عَلَى الْعُرُوشِ  
فَالشَّرُّ فِي النَّاسِ كَانَ خُلُقًا  
وَأَيُّ طَيْرٍ بِغَيْرِ رِيشٍ؟  
مَا قَامَ فِيهِمْ أَخُو وَفَاءٍ  
يَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا رَحِيمٍ  
فَكُلُّ مَسْتَضْعَفٍ مَرًّا  
وَكُلُّ ذِي قُوَّةٍ غَشَّيَ يَوْمًا!

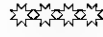


إِنْ كَانَ الْوَحْشُ مِنْ نُيُوبٍ  
فَالنَّاسُ أَنْيَابُهُمْ حَدِيدٌ  
مَا كَانَ، وَاللَّهِ، لَالْحُرُوبِ  
لَوْلَا بَنُو آدَمَ وَجُودُ  
لَوْ أَمَحَى عَالَمُ الْخُطُوبِ  
لِقَامَ مِنْهُمْ لَهَا مُعِيدُ  
قَدْ نَسَبُوا الظُّلْمَ لِلسَّمَاءِ  
وَكُلُّهُمْ جَانِرُ ظُلُومٍ

---

(١) يريد بالرق الرقيق

لَمْ يَخْلُ مِنْهُ أَخُو التُّرَاءِ  
وَلَا الْفَتَى الْبَائِسُ الْعَدِيمُ



أَعْجَبُ مَا فِي بَنِي التُّرَابِ  
قَاتِلُهُمْ فَوْقَهُ عَلَيْهِ  
قَدْ صَيَّرُوا الْأَرْضَ كَالْكِتَابِ  
وَانْحَشَرُوا بَيْنَ دَفْنَيْهِ  
وَاسْتَعْجَلُوا الْمَوْتَ بِالْعَذَابِ  
وَكَاأُتُهُمْ صَانِرٌ إِلَيْهِ  
مَا خَابَ دَاعٍ إِلَى الْعِذَاءِ  
وَلَمْ يَقُزْ نَاصِحٌ حَكِيمٌ  
مَا رَغِبَ النَّاسُ فِي الْفَنَاءِ  
لَكِنَّمَا ضَاعَتِ الْحُلُومُ<sup>(١)</sup>



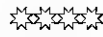
لَوْلَمْ يَكُ الظُّلُمُ فِي الطَّبَانَعِ  
مَا اسْتَنْصَرَ الْعَاجِزُ الْعِدَالَةَ  
لَوْ عَدِلَتْ فِيهِمُ الشَّرَائِعُ  
مَا اسْتَحْدَثُوا لِلْقِتَالِ الْهَـ  
عَجِبْتُ لِلْقَاتِلِ الْمُدَافِعِ  
جَزَاؤُهُ الْمَوْتَ لَا مَحَالَةَ  
لَكِنَّمَا سَافَكَو الدِّمَاءَ  
يَوْمَ الْوَعَى قَادَةُ قُرُومٍ<sup>(٢)</sup>

---

(١) الحُلُومُ العقول، مفردُها حُلْمٌ

(٢) الْقُرْمُ السيدُ المَكْرَمُ

وهكذا المجرمُ الفِدائي  
في عُرفهم فاتحٌ عظيمٌ!



أقبحُ من هذه الضلالة  
أن يحكم الواحدُ الألوفا  
ويدعي الفضل والنُّباله  
من يسلبُ العاملَ الرغيفا  
يا قومُ ما هذه الجهالة  
قد حان أن تُنصِفوا الضعيفا  
فراقبوا ذمّة الإخاء  
ولتنس أحقادها الخُصومُ!<sup>(١)</sup>  
لا تتبعوا سنّة البقاء  
فإنّها سنّة ظالمٍ!



---

(١) جعل الحصوم في مقام الجماعة

## ٢٤ - أنت....

[الخفيف]

مهبط الوحي مطلع الأنبياء  
كيف أمسيت مهبط الأرزاء؟  
في عيون الأنعام عنك نبؤ  
لم يكن في العيون لو لم تُسأني  
أنت كالحُرّة التي انقلب الدهر  
رُعليها فأصبحت في الإماء  
أنت كالبردة الموشاة أبلى الط  
طبي والنشر ما بها من رواء  
أنت مثل الخميالة الغناء  
عُرّيت من أوراقها الخضراء  
أنت كالليث قلم الدهر ظفري  
به وأخني عليه طول التواء  
أنت كالشاعر الذي ألف الوح  
دة.. في محفل من الغوغاء  
أنت مثل الجبار يرسف في الأغ  
لال، في مشهد من الأعداء  
لو تشائين كنت أرفه حالاً  
أو لست قديرة أن تشأني  
أنا ما زلت ذا رجاء كثير  
ولئن كنت لا أرى ذا رجاء



ما هجرناك إذ هجرناك طوعاً  
 لا تظنني العقوق في الأبناء  
 يسأم الخلد والحياة نعيم  
 أفترضى الخلود في البأساء؟  
 هذه أرضنا بلاقع، تمشي  
 فوقها كل عاصف هوجاء<sup>١</sup>  
 هذه نورنا منازل أبو  
 م وكانت منازل الورقاء<sup>٢</sup>  
 بدلتها السنون شوكا من الزم  
 ر، وبالحوش من بني حواء  
 ما طوت كارتاً يد الصبح إلا  
 نشرته لنا يد الإمساء  
 نحن في الأرض تائهون كأننا  
 قوم موسى<sup>٣</sup> في الليلة الأيلاء  
 تترامى بنا الركائب في البي  
 داء طورا؛ وتارة في الماء  
 ضعفاء محقرون كأننا  
 من ظلام والناس من لآلاء  
 واغتراب القوي عز وفخر  
 واغتراب الضعيف بدء الفناء  
 غابنا البيض أننا غير عجم  
 والعبدى<sup>٤</sup> بالسحنة البيضاء

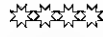
(١) البلقع والبلقعة الأرض القفر التي لاشيء فيها وأراد بالعاصف العاصفة

(٢) الورقاء الحمامة

(٣) يشير إلى تيه موسى وقومه، في صحراء سيناء، بعد خروجهم من مصر

(٤) العبدى أحد جموع العبد، وهي كثيرة

ويح قومي قد أطمع الدهر فيهم  
كل قوم حتى بني السَّوداءِ  
فإذا فاتنا عدوُّ تجنَّي  
فأرانا الأحباب في الأعداءِ  
أطربتنا الأقلامُ لمَّا تغنَّتْ  
بالمساواة بيننا والإخاءِ  
فسكرنا بها فلما صحوْنَا  
ما وجدنا منها سوى أسماءِ!



نحن في دولةٍ تلاشت قُواهرها  
كالنُّصار<sup>١</sup> المدفون في الغُبراءِ  
أو كمِثْلِ الجنين ماتتْ به الحَا  
ملٌ حيًّا يَجول في الأحشاءِ  
عجبا كيف أصبح الأصلُ فرعاً  
والضحى كيف حلَّ في الظُّلُماءِ  
ما كفَّتنا مظلَمُ التُّرك حتى  
زحفوا كالجراد أو كالوباءِ  
طُردوا من ربوعهم فأرادوا  
طُردنا من ربوعنا الحسناءِ<sup>٢</sup>  
ما لنا، والخطوبُ تأخذُ منَّا  
نتلهي كأننا في رخاءِ  
ضيم أحرارنا وريح حمانا  
وسكَّتنا، والصُّمْتُ للجبناءِ

---

(١) الذهب الحالص

(٢) يعني اليهود



نهضة تكشفُ المذلةَ عنّا  
 فلقد طال نومُنا في الشقاء  
 نهضة تلفتِ العيونَ إلينا  
 إنَّ خوفَ البلاءِ شرُّ بلاء  
 نهضة يحملُ الأتيرُ صداها  
 للبرايا في أولِّ الأنبياء  
 نهضة تُبلغُ النفوسَ منهاها  
 فهِيَ مشتاقَةٌ إلى الهيجاء  
 إنَّ ذا الملكِ هيكْلُ نَحْنُ فيه الـ  
 قلبُ، والقلبُ سيّدُ الأعضاء  
 زعم الخائنون أنّا بما نبغِ  
 يه نَبغي الوصولَ للعنقاء<sup>(١)</sup>  
 سوف يدرون أنما العُربُ قومُ  
 لا يُبالون غيرَ ربِّ السماء  
 يوم لا تُنبتُ السهولُ سوى النّـ  
 س، وغيرِ الأسِنَّةِ السُّمراءِ  
 يوم تمشي على جبالٍ من الأشـ  
 لاء، تمشي في أبْحَرٍ من دماء  
 يوم يستشعرُ المراءون منّا  
 أنما الخاسرون أهلُ الرِّياء

\*\*\*\*

---

(١) أصل العنقاء طائر عظيم، معروف الاسم، مجهول الجسم، خلقتة المخلقة، وأصبح يعني الداهية

## ٢٥ - معركة بورغاس<sup>١</sup>

[الكامل]

هذي الوغى مشبوبة النيران  
مشدودة الأسباب والأقران<sup>٢</sup>  
شابت مفارقها وكانت طفلة  
عذراء منذ دق ناق وثوان  
طوي السلام فليس ينشر بعدها  
أويبعث الملحود في الأكفان  
شقوقا الطروس وحطمو أقلامكم<sup>٣</sup>  
اليوم يوم شواجر المُرَّان<sup>٤</sup>  
هانت على الصمصام كل يراعة  
ما لليراعة في الحروب يدان<sup>٥</sup>  
يا صاحبي! ليس الوغى من مذهبي  
هاتيك وسوسة من الشيطان  
فالناس إخوان وليس من النهي  
أن يفتك الإخوان بالإخوان  
لو تعقل الأجناد أن ملوكها  
أعداؤها انقلبَت على التيجان

(١) Burgos مدينة في شمال إسبانية كانت فيها وقعة بين الجيش العثماني وقوى أوروبا الشرقية، بعد سقوط

مقدونيا (في شبه جزيرة البلقان) في القرن الرابع عشر

(٢) يريد مشدودة حبالها السبب والقرن، كلاهما يعني الحل

(٣) المُرَّان الرماح الصلبة اللدنة واشترجت دخل بعضها في بعض، كأغصان الشجر كناية عن المواجهة

(٤) اليراعة القصبية، والجمع يرَاع

قوم إذا شأؤوا الصعود لمطلب  
 تخذوا مراقبيهم من الأديان  
 أو إن كرهت الحرب كنت يراعة  
 وإذا قتلت أخاك غير جبان؟  
 إن كان قتلي النفس غير مُحرم  
 ما الفرق بين المرء والحيوان؟  
 الحرب مجلبة الشقاوة للورى  
 والحرب يعشقها بنو الإنسان  
 لمن الخميس خوافق راياته  
 مئماسك الأجزاء كالبنيان  
 متالب كالليل جن سواده  
 مستوفر كالقدر في الغليان  
 متدفق كالسيل في العُدران  
 متدفع كالعاصف المرنان<sup>١</sup>  
 تتزلزل الأطواد من صدماته  
 وتظل منه الأرض في رجفان  
 عجلان يكتسح البلاد وأهلها  
 إن الشقي العاجز المتواني  
 في كل سرّج ضيغم متحقّر  
 في كفه ماضي الشبابة يمان<sup>٢</sup>  
 سمح إذا ضن الجبان بروحه  
 فكأنما في جسمه روحان  
 ما صان مَهجته التي في صدره  
 إلا ليبدلها بيوم طعان

(١) ذو الرئس، لحق رباح العاصفة

(٢) الشبابة الحد يريد الحد الماضي

لا شيء، يوم الروع، أجملُ عنده  
من أن يرى والقرن يصطرعان<sup>(١)</sup>  
يا رب معركة تراكم نفعها  
حتى اختفى في ظلها الجيشان<sup>٢</sup>  
باتت صيقلُ الهند في أفئانها  
كالبرق يسطع من خلال نُخان  
والخيل طائرة على أرسانها  
تهوى لو انعتقت من الأرسان  
بوت المدافع كالرعود قواصفا  
نطق الحديد فعي كل لسان<sup>٣</sup>  
ترمي بأشباه الرجوم تخالها  
حمراء قد صيغت من المرجان  
ما ان تطيش وإن نأت أغراضها  
ولكم تطيش قذائف البركان  
صخابة تذرُ الحصون بلاقعا  
وتدكها دكا إلى الأركان  
تنقض والفرسان في أثارها  
تنقض مثل كواسر العقبان<sup>(٤)</sup>  
هي وقعة ضجت لها الدنيا كما  
ضجت وضج الناس في سيدان

(١) القرن هو القرين المساوي

(٤) النفع غبار المعركة والجيشان هما الجيش العثماني وقوى أوروبا الشرقية

(٢) عي وعي يعيا من الإعياء والتعب

مشيت المنايا حاسراتٍ عندها  
 تتطَلَّبُ الأرواحُ في الأبدانِ  
 فعلى أديمِ الجوِّ ثوبٌ أسودٌ  
 وعلى أديمِ الأرضِ ثوبٌ قانٍ  
 وإذا نظرتِ إلى الجُسومِ على الثُّرى  
 أبصرتِ كُتباناً على كُتبانٍ  
 لمَّا رأوا (بورغاس) ضِرَّةَ (مكدن)<sup>١</sup>  
 حملوا عليها حملةَ اليابانِ  
 وقد انجلتْ فإذا الهلالُ منكسٌ  
 علمٌ طَوَّتهُ رايةُ الصُّلبانِ  
 رجحتْ قُواهرهم أيما رجحانٍ  
 فيها، وشال التُّركُ في الميزانِ  
 نفروا كالحُمُرِ<sup>٢</sup> التي رُوِّعتْها  
 بابينِ الشُّرى المتجهَمِ الغَضبانِ  
 وقلوبهم قد أسرعَتْ ضرباتُها  
 وتظنُّنها وقفتْ عن الخفقانِ  
 مُتلفَتين إلى الوراءِ بأعينِ  
 تتخيلُ الأعداءِ في الأجفانِ  
 يتلمَّسون من المنيةَ مهرباً  
 هيئاتُ أنْ الموتُ كلُّ مكانٍ  
 والله ما ينجون من أشراكِ  
 ولو استعاروا أرجلَ الغزلانِ

(١) يريد مكدونيا (مقيدونية) Macédoine التي سقطت في يد العثمانيين في القرن الرابع عشر

(٢) يُجمع (الحمار) على حُمُرٍ وحُمُرٍ وأحْمِرَة

أَسْلَابُهُمُ لِلظَّافِرِينَ غَنِيمَةٌ  
وَجُسُومُهُمُ لِلحَاجِلِ الْغَرَثَانِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ يَأْمَنُوا وَقَعَ الْأَسَنَّةُ وَالظُّبَى  
فَالذُّعْرُ طَاعِنُهُمْ بِشَرِّ سِنَانٍ  
❖❖❖❖❖

مَا أَنْسَى لَا أَنْسَى عَصَابَةَ خُرْدٍ  
فِي اللَّهِ مَسْعَاهُنَّ وَالْإِحْسَانِ<sup>(٢)</sup>  
عِقْنِ الْوَثِيرِ إِلَى وَسَائِدِ قَضَى  
وَنَزَحْنِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ أَوْطَانِ<sup>(٣)</sup>  
وَوَقَفْنِ أَنْفُسَهُنَّ فِي الدُّنْيَا عَلَى  
تَأْمِينِ مُلْتَاعٍ وَنُصْرَةِ عَانٍ  
يَحْمِلُنَ الْوَيْلَةَ السَّلَامَ إِلَى الْأَلَى  
حَمَلُوا لَوَاءَ الشَّرِّ وَالْعُدْوَانِ  
كَمْ مِنْ جَرِيحٍ بِالنَّجِيعِ مُخْضَبٍ  
فِي الْأَرْضِ لَا يَحْنُو عَلَيْهِ حَانٍ  
مَا رَاعَهُ طَيْفُ الْمَنِيَّةِ مَثَلَمَا  
رَاعَتْ حَشَاةُ فُرْقَةٍ الْخُلَانِ  
فَلَهُ، إِذَا ذَكَرَ الدِّيَارَ وَأَهْلَهُ،  
أَهْ الْغَرِيبِ وَأَنَّهُ التُّكْلَانِ  
نَفْسُنْ مِنْ بُرْحَانِهِ، وَأَسْوَنُهُ  
وَأَعْضَانُهُ مِنْ خَوْفِهِ بِأَمَانِ<sup>(٤)</sup>

---

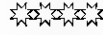
(١) حجل مشى مشية المقيّد والغرثان الجائع (غرث يعرث جاع)

(٢) الحريّة اليك من النساء

(٣) القضاة من قضا المضيع وأقضى نيا وخشن

(٤) البرحاء الشر والعذاب الشديد أسوئه من أساه (داويته) أعضته عوّضته

ما حبيب الجنّات عندي أنّها  
مَثْوَى سَلامٍ، مُسْتَقَرٌّ حَسَنان  
لولا حنانُ الغانيات وعطفُها  
ما كانت الدنيا سوى أحزان



مَنْ مُسْمِعُ الأَيامِ عَنِّي نَبَأَهُ  
يَرْتاعُ مِنْهَا كُلُّ ذِي وَجَدان  
إِنَّ الأَلَى جَبَبُوا أَمامَ عُدَاتِهِمْ  
شَجَعُوا عَلَى الأَطْفالِ والنِّسوان  
وصواريما قد أَغَمَدَتْ يَوْمَ الوغَى  
شُهِرَتْ عَلَى الأَضْيافِ والقُطَّان  
أَكْذا يُجَازِي الأَمَنونَ بِدُورِهِمْ  
أَوْ هَكَذا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ؟



أَخْنَى عَلَى الأَتراكِ دَهْرُ حَوْلٍ  
أَخْنَى عَلَى اليُونانِ والرومان  
وَطَوَى مُحاسِنَ يَأْدِزٍ قَدْرُ طَوَى  
رَبُّ السُّدَيْرِ وصاحبُ الإِيوان<sup>١</sup>  
فَالْيَوْمَ لَا أَسْتانُهُ أَسْتانُهُ  
تَزْهَوُولا السُّلطانُ بالسُّلطانِ<sup>٢</sup>  
دَارَتْ دَوائِرُهُ عَلَيْها مِثْلُما  
دَارَتْ دَوائِرُهُ عَلَى طَهْران

---

(١) (بيلز) قصر السلطان عبد الحميد الثاني و(السدير) أخو (الحورنق) في الحيرة عاصمة المناذرة و(الإيوان) إيوان كسرى وهو قائم إلى اليوم

أُنْبِيَّهِ الْأَضْغَانِ كَيْفَ هَجَعْتُمْ  
لَمَّا تَنَبَّهْنَا نَامُ الْأَضْغَانِ  
وَحُكُومَةُ الْأَشْيَاخِ وَيَحْكُ مَا الَّذِي  
خَالَفَتْ فِيهِ عَصَبَةُ الْفَتَيَانِ  
قَالُوا: لَنَا الْمَمْلُوكُ الْعَرِيضُ وَجَاهُهُ  
كَذِبُوا، فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ لِلرَّحْمَنِ  
مَا بَالُ قَوْمِي كُلَّمَا اسْتَصْرَحْتُهُمْ  
وَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ عَلَى الْأَذَانِ  
أَبْنَاءُ سُورِيَا الْفِتَاةُ تَضَافَرُوا  
وَحُذِنُوا مِثَالَتَكُمْ عَنِ الْبِلْقَانِ<sup>(١)</sup>  
مَا التَّرْكُ أَهْلٌ أَنْ يُسَوِّدُوا فِيكُمْ  
أَوْ تَحْكُمَ الْأَسَادُ بِالظُّلْمَانِ<sup>(٢)</sup>  
هَمْ الْبَسُّوا الشَّرْقِيَّ ثَوْبَ غَضَاظَةٍ  
وَسَقَوْهُ كَأْسِي ذَلَّةٍ وَهَوَانِ  
فَإِذَا جَرَى ذِكْرُ الشُّعُوبِ بِمَوْضِعِ  
شَمَخَتْ، وَطَاطَأَ رَأْسُهُ الْعُثْمَانِي!..

\*\*\*\*

(١) أراد بالمثالة المثال (في المعاجم حسن الحال)

(٢) الظليم ذكر النعام (وجمعه ظلمان)



## ٢٦ - خير شيء

[الوافر]

ذهبتُ مُسأئلاً عن خير شيءٍ  
لأعرفَ كُنْهَ أخلاقِ البِريَّةِ  
فقالَت لي الكَنيسةُ: خيرُ شيءٍ  
هو الزُّهْدُ الَّذِي يَمْحُو الخَطِيئَةَ  
وقالَت لي الشُّريعةُ: خيرُ شيءٍ  
شُمُولُ العَدْلِ أبْناءِ الرِّعيَّةِ  
وقال: الشُّهرةُ، الجُنْدِيُّ، خيرُ  
وإن كانت تُقودُ إلى المَنِيَّةِ<sup>١</sup>  
وقال أخو الحَصافةِ: خيرُ شيءٍ  
هو الحقُّ المَبِينُ بلا مَرِيَّةِ  
وقال أخو الجَهالةِ: خيرُ شيءٍ  
سُرورُ النَفْسِ في الدُّنيا الدُّنيَّةِ  
وقال لي الفتى: وصلِّ الصُّبَايا  
وقالَت لي: الهوى، البنتُ الصَّبيَّةُ<sup>٢</sup>  
ولمَّا أنْ خَلوتُ سَأَلْتُ نَفْسِي  
لأعرفَ رَأْيَهَا في ذي القَضِيَّةِ  
فقالَت: لا أرى خيراً وأَبْقَى  
من الإحسانِ لِنَفْسِ الشُّقِيَّةِ

\*\*\*\*

---

(١) فاعل الفعل في البيت، هو الجندي

(٢) فاعل الفعل هي البنت الصبية

## ٢٧ - حكاية حال

[مجزوء الكامل]

الحشد ملء الدار  
كُنْ لم يرَ أحداً سِواها  
فتأنَّه خلابة  
كالياسمين في شذاها  
أوفى عليها وهي تَحْ  
طرُّ كالفراشة فاشتهاها  
شكتِ الصَّباة مُقلتا  
ه فجأوبته مُقلتاها  
حتى إذا ما اختار كُ  
لُ فتى رفيقته اصطفاها  
ورأت به من تبتغي  
وكمما رآته كذا راها  
وتقدَّم الرقص يق  
رأ ناظره ناظراها  
متلاصقي<sup>(١)</sup> الجسمين يس  
نُدُّ ساعديه ساعداها  
وتكاد لولا الخوف تَأ  
مس وجنتيه وجنتاها  
متدافعين كموجتي  
ن، خطاه تتبعها خطاها

---

(١) يريد متلاصقي

يمشي فتَمْشِي وهي تحُ  
 سَبَّهَ يَسِيرَ عَلَى حِشَاهَا  
 هي في لثَامٍ كَالدُّجَى  
 مُحَاوَلِكٍ وَكَذَا فَتَاهَا  
 لَكِنَّمَا الْأَحَاطُ تَحُ  
 تَرَقُّ السُّتُورَ وَمَا وَرَاهَا  
 فَاضَ الْغَرَامُ فَقَالَ أ  
 هِ وَقَالَتِ الْحَسَنَاءُ إِهَا  
 فَا نَسَلٌ مِّنْ أَصْحَابِهِ  
 سِرًّا، وَأَغْضَتْ جَارَتَاهَا  
 وَمَشَى بِهَا فِي رَوْضَةٍ  
 قَدْ نَامَ عَنْهَا حَارِسَاهَا  
 حَتَّى إِذَا أَمِنَّا الْوَرَى  
 وَشَكَاهُ الْهَوَى وَشَكَتْ هَوَاهَا  
 طَارَتْ بِبُرْقُعِهَا وَيَرُ  
 قُوعَهُ عَلَى عَجَلٍ يَدَاهَا  
 كَيْمَا تُقْبِلُ ثَغْرَهُ  
 وَيُقْبِلُ الْمُعْشَوِّقُ فَاهَا  
 فَرَأَى الْمُتَتِمِّمُ بِنْتَهُ  
 وَرَأَتْ مَلِيحَتُنَا أَبَاهَا!

\*\*\*\*

## ٢٨ - شكوى

[الرمل]

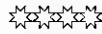
نَسِيتُ عَهْدِي، فَلَمَّا جِئْتُهَا  
زَعَمْتُ أَنِّي تَنَاسَيْتُ الْعَهْدَ  
وَادَّعَتْ أَنِّي خَلَيْتُ زَاهِدًا،  
أَنَا لَوْ كُنْتُ كَذَا كُنْتُ سَعِيدًا



رَغِبْتُ فِي الصَّدِّ عَنِّي بَعْدَمَا  
بَتَّ لَا يَحْزُنُنِي مِثْلُ الصُّلُودِ  
مِثْلَمَا أَنْكَرْتُ غَيْرِي خُدُّهَا  
أَنْكَرْتُ فَأَتَيْتَنِي تِلْكَ الْوَعُودُ



يَا شُهُودِي عِنْدَمَا كُنَّا مَعًا  
ذَكَرْتُمَا.. أَيْنَ أَنْتُمْ يَا شُهُودَ؟  
سَكَتَ الْبَدْرُ الَّذِي رَاقَبَنَا  
وَذَوَتْ فِي الرُّوضِ هَاتِيكَ الْوُرُودُ



وَمَشَتْ رِيحُ الصَّبَا حَائِرَةً  
فِي الْمَغَانِي حَيْرَةَ الصَّبِّ الْعَمِيدِ

يا هواها قل متى تتركني  
قال: أو تصفر<sup>١</sup> هاتيك الخدود  
~~~~~  
أنا لا أدمع عليها بالضنى  
أتقى أن يشمت القالي<sup>٢</sup> الحسود...

\*\*\*\*

---

(١) التقدير لن أتركك أو تصفر

(٢) المبعض (قلاده . يقلبه)

## ٢٩ - بائعة الورود

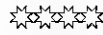
[البسيط]

من الفرنسيس قيد العين صورتها  
عذراء قد ملئت أجفانها حورا  
كانما وهبت لها الشمس صفحتها  
وجهها، وحاكت لها أسلاكها شعرا  
يد النية طاحت غيب مولدها  
بأمها، وأبوها مات منتحرا  
في قرية من قرى باريس ما صغرت  
عن الفتاة، ولكن همها كبرا  
والنفس تعشق في الأهلين موطنها  
وليس تعشقه يحويهم حفرا  
وتعظم الأرض في عينيك محترما  
وليس تعظم في عينيك مُحترقا  
فغادرتها وما في نفسها أثر  
منها، ولا تركت في أهلها أثرا  
إلى التي تفتن الدنيا محاسنها  
وحسن من سكنوها يفتن البشر  
إلى التي تجمع الأضداد دارتها  
ويحرس الأمن في أرجائها الخطرا<sup>١</sup>  
إذا رآها تقي ظننها عدنا

---

(١) الدارة أخص من الدار وهي الهالة من حول القمر أيضاً

وان راها شقيٌّ ظنَّها سقرا  
تودَّ شمسُ الضُّحى لو أنها فلَكُ  
والأفقُ لو طلعتْ في أوجِه قمرِا  
والغربُ لو كان عوداً في منابرِها  
والشرقُ لو كان في جدرانِها حجرا  
في كلِّ قلبٍ هوَى منها كأن له  
في أهلِها صاحباً، في أرضِها وطرا  
(باريسُ) أعجوبةُ الدنيا وجنَّتُها  
وربُّه الحُسنُ مطروقاً ومبتكرا

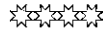


حلتْ عليها فلم تُنكرْ زخارفِها  
فطالما أبصرتْ أشباهها صُورا  
ولا خاللقَ أهلِها وزِيَّهمُ  
فطالما قرأتْ أخلاقهم سِيرا  
وانما أنكرتْ في الأرض وحدثها  
كذلك الطيرُ إمّا فارق الوكرا  
يتيمهُ ما لها أم تلوذُ بها  
ولا أبٌ إن دعتْ نحوها حضرا  
غريبةٌ يقتفِيها البؤسُ كيف مشتْ  
ما عزَّ في أرضِ باريسٍ من افتقرا  
مرَّتْ عليها ليالٍ وهي في شُغلٍ  
عن سالفِ الهمِّ بالهمِّ الذي ظهرا  
حتى إذا عضَّها نابُ الطوى نفرتْ  
تستنزلُ الرزقَ فيها الفردُ والنَّفرا  
تجني اللُّجين ويجني البازلوه لها

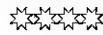




فأصبحت تتوقّى في الهوى الحذرا  
قد عرّضت نفسها للحب واهية  
فنال منها الهوى الجبار مقتدرا  
والحب كاللص لا يُدريك مواعده  
لكنّه قائما، كالسارق، استترا



وليلة من ليالي الصيف مُقَمِّرة  
لا تسأم العين فيها الأنجم الزهرا  
تلاقيا فشكاها الوجد فاضطربت  
ثم استمرّ فباتت كالذي سحرا  
شكا فحرك بالشكوى عواطفها  
كما تحرك كف العازف الوترا  
وزاد حتى تمنّت كل جارحة  
لو أصبحت مسمعا أو أصبحت بصرا  
ران الهيام على الصبيّن فاعتنقا  
لا يملكان النّهي وردا ولا صدرا<sup>١</sup>  
وكان ما كان مما لست أذكره  
تكفي الإشارة أهل الفطنة الخبرا



هامت به وهي لا تدري لشقوتها  
بأنها قد أحبّت أرقما ذكرا<sup>٢</sup>  
رأته خشفا فادنّته، فراء بها

---

(١) يعني لا اخذا ولا ردا

(٢) الحية فيها بياض وسواد ويريدها هنا أن تكون الثعبان

(٣) راء من (راى راءة) راء يرء

شاة، فأنشِبَ فيها نابه نَمِرا<sup>٣</sup>  
 ما زال يؤمِّنُ فيها غير مَكْثَرِ  
 بالعاذِلين، فلمَّا امنتُ كَفِرا  
 جنى عليها الذي تَحْشَى، وقاطعها  
 كَأَنَّمَا قد جَنَّتْ ما ليس مُعْتَفِرا  
 كانتُ وكان يرى في خدِّها صَعِرا<sup>١</sup>  
 عنه، فبانت تَرى في خدِّه صَعِرا<sup>١</sup>  
 فكلَّما استعطفتُه ازورَّ مُحْتَدِما  
 وكلَّما ابتسمتُ في وجهه كَشِرا  
 طال النِّفَارُ وفرجيني على مضضٍ  
 تجرَّعُ الأنقَعين: الصَّابُ والصِّبِرا<sup>٢</sup>  
 قالت، وقد زارها يوماً، مُعْرَضَةً:  
 متى، لعمرُك، يجني الغارسُ الثَمرا؟  
 كم ذا الصُّدودُ ولا ذنبُ جَنَّتِه يدي  
 أرجو بك الصُّفُو لا أرجو بك الكدرا  
 تركتني لا أدوقُ الماءَ من وُلَهي  
 كما تركت جفوني لا تنوقُ كَري  
 أشْفُو عليَّ ولا تَنسَ وعودك لي  
 فإنَّ ما بي لو بالصَّخِرِ لا نفطرا  
 أطالت العُتْبُ ترجو أن يرقَّ لها  
 فؤادُه فأطال الصِّمَتُ مُختَصِرا  
 وأُخرجتُه لأنَّ الهمَّ أخرجها  
 وكلَّما أخرجتُه راغ معتذرا  
 وضاق ذرعاً بما يُخفي فقال لها:

(١) صعر خده أماله من الكِبَر

(٢) يريد النقيع، لأنهما يُنقعان في الماء الصاب عصارة شجر مرّ (واحدته صابَة) والصبر مثله

الام ألزم فيك العي والحصرا  
أهواك صاحبة.. أمّا اقترانك بي  
فليس يخطر في بالي ولا خطرا  
أهوى رضاك ولكن إن سعت له  
أغضبت نفسي والديان والبشرا  
عنيت ما لي من قلبين في جسدي  
وليس قلبي الى قسمين منشطرا  
تطالبيني فؤادي وهو مرتهن  
في كف غيرك، رمت المطلب العسيرا  
يكفيك أني فيك خنت امرأتي!  
ولم يخن قلبها عهدي ولا خفرا  
قد كان طيشا هيامي فيك بل نزقا  
وكان حبك ضعفا منك بل خورا  
قالت: متى صرت بعلا؟ قال: من أمد  
لا أحسب العمر إلاه وان قصرا  
يا هول ما أبصرت! يا هول ما سمعت!  
كادت تكذب فيه السمع والبصرا  
لولا بقيّة صبر في جوانبها  
طار له نفسها من وقع شذرا  
يا للخيانة! صاحت وهي هائجة  
كما تهيج ليث بابنه وترا  
الآن أيقنت أني كنت واهمة  
وأن ما كل برق يصحب المطرا  
وهبت قلبك غيري وهو ملك يدي  
ما خفت شرعا ولا باليت مزجرا  
ليست شرائع هذي الأرض عادلة

كان الضعيفُ ولا ينفكُ مُحْتَقِرًا  
قد كنتُ أخشى يدَ الأقدارِ تصدّعنا  
وكان أجدرُ أن أخشاك لا القدرا  
وصالَتني مثل شمسِ الأفقِ ناصعةُ  
وعِفَّتني مثل جُنحِ الليلِ مُعتكِرا  
كما تعافُ السَّراةُ الثُّوبُ قد بليتُ  
خيوطُه والرُّواةُ الموردُ القذرا  
خِفتُ الأقاويلَ بي قد نامَ قائلُها  
هلاً خشيتُ انتقامي وهو قد سهرا  
يا سالي عِفَّتني من قبلِ تهجرني  
أُرِدُّ عليَّ عفا في وارِدِ الطُّهرا<sup>(١)</sup>  
هيهات هيهات ما من عِفَّتني عوضُ  
لاح الرِّشادُ وبان الغيُّ وانحسرا...



وأقبلتُ نحوه تَغْلِي مُراجِلُها  
كأنها بركانُ ثارٍ وانفجرا  
في صدرها النارُ، نارُ الحقدِ، مُضَرَمَةٌ  
لكنَّما مُقاتِلَتاها تقذفُ الشررا  
وأبصرَ النصلُ تُخَفِيهِ أناملُها  
فراح يركضُ نحو البابِ مُنذِعرا  
لكنها عاجِلَتَه غيرَ وانيةٍ  
بطعنةٍ فجَّرتُ في صدره نَهرا  
فخرَّ في الأرضِ جسمًا لا حراكَ به

---

(١) أراد من قبل أن تهجرني

لكن فرجين ماتت قبلما احتضرا  
جئت من الرعب والأحزان فانتحرت  
ما حبت الموت لكن خافت الوضرا  
❖❖❖❖❖

كانت قبيل الردى منسية فغدت  
بعد الحمام حديث القوم والسُمرا  
تتلو الفتاة عِظَاتٍ في حكايتها  
كما يطالع فيها الناشئ العبرا

\*\*\*\*\*

٣٠ - ١٩١٤

[الرمل]

طوى العام كما يطوى الرقيم<sup>١</sup>  
وهوى في لجة الماضي البعيد



لم يكن.. بل كان لكن ذهباً  
وانقضى حتى كأن لم يكن  
لو درى حين أتى المُنْقَلَبُ<sup>٢</sup>  
لتمننى أنه لم يكن<sup>٣</sup>  
أي نجم شارق ما غرباً  
أي قلب خافق لم يسكن  
جاهل من حسب الآتي يوم  
أحمق من حسب الماضي يعود

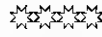


مالنا يأخذ منا الطرب  
كلما عام تلاشى واضمحل  
أفرحنا أننا نقتررب  
من غد؟ إن غداً فيه الأجل  
عجب هذا ومنه أعجب  
أننا نفنى ولا يفنى الأمل

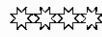
---

(١) الرقيم الكتاب  
(٢) حيث ينقلب مبتعداً

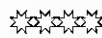
فكأنّا ما سمعنا بالحُتوم  
أو كأنّا قد نعمنا بالوجود



يا رعااه الله من عام خلا  
فلقد كان سلاماً وأماناً  
صافح الجحفل فيه الجحفاً  
واستراح السيف فيه والسنان  
ما انجلي حتى رأى النقع<sup>١</sup> انجلي  
وخبت نار الوغى في البلقان<sup>٢</sup>  
لست أنسى نهضة الشعب النؤوم  
ان فيها عبرة للمستفيد



والتقى البحران فيه بعدما  
مرت الأجيال لا يلتقيان  
أصبح السد الذي بينهما  
ترعة يزخر فيها الأزقان  
فلتدم (اميركا) ما التظما  
ما لهذا الفتح في التاريخ ثان  
ولتعش رايتها ذات النجوم  
أجمل الرايات، أولى بالخلود!



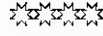
واعتلى الناس به متن الهواء  
فهم حول الدّاري<sup>٣</sup> يمرحون

(١) العبار (غبار المعارك)

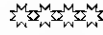
(٢) هي المنطقة الجبلية في جنوب أوروبا وتضم رومانيا وألبانيا وبلغاريا واليونان ويوغوسلافيا وصربيا والجانب الأوروبي من تركيا

(٣) النجوم المضيئة بلون الدر

يَمُخِّرُ الْمُنْطَادُ فِيهِمْ فِي الْفَضَاءِ  
مِثْلَمَا يَمُخِّرُ فِي الْبَحْرِ السَّفِينُ  
مُعْجَزَاتُ مَا أَتَاهَا الْأَنْبِيَاءُ  
لَا وَلَمْ يَطْمَحْ إِلَيْهَا الْأَقْدَمُونَ  
سَخَّرَ الْعِلْمُ لَهُمْ حَتَّى الْغَيُومُ  
فَهُمْ، مِثْلُهُمْ، فَوْقَ الصَّعِيدِ<sup>١</sup>



حَلَقَ الْغَرْبِيُّ فَوْقَ السَّمَوَاتِ  
وَلَبِثْنَا نَنْدُبُ الرَّسْمَ الْمَحِيلَ<sup>٢</sup>  
فَإِذَا مَا قَالَ أَهْلُ الْمَكْرُمَاتِ  
مَا وَجَدْنَا، وَأَبْيَكُمُ، مَا نَقُولُ  
لَوْ فَقِهْنَا مِثْلَهُمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ  
مَا أَضْعَعْنَاهَا بِكَاءٍ فِي الطُّلُولِ  
أَلَفَتْ أَنْفُسُنَا الضَّيِّمَ الْمُقِيمَ  
مِثْلَمَا يَسْتَعِذُّ الظَّبْيُ الْهَبِيدَ<sup>٣</sup>



أَدْرَكْتُ غَايَاتِهَا كُلَّ الشَّعُوبِ  
نَهَضَ الصَّيْنِيُّ وَمَا زَلْنَا نِيَامَ  
عَبِثْتُ فِينَا الرُّزَايَا وَالْخَطُوبُ  
مِثْلَمَا يَعْبِثُ بِالْحَرِّ اللَّئَامُ  
صَوِّرَ الْكَاتِبُ مِنَّا وَالْخَطِيبُ  
مُنَعَتْ أَلْسُنُنَا حَتَّى الْكَلَامُ

---

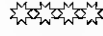
(١) الصَّعِيدُ التُّرَابُ، يَرِيدُ سَطْحَ الْأَرْضِ

(٢) الْمَحِيلُ حَالٌ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، يَرِيدُ الزَّمَانَ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَشِيرُ إِلَى بَكَاءِ النَّيَارِ وَأَطْلَالِهَا عِنْدَ الشَّعْرَاءِ الْعَرَبِ فِي الْقَدِيمِ

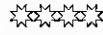
(٣) الْهَبِيدُ الْحَنْظَلُ، أَوْ حَبَّهِ (يُطْبَخُ بَعْدَ أَنْ يَنْقَعُ فِي الْمَاءِ لَتَذْهَبَ مَرَارَتُهُ)



نحن في الغفلة أصحاب الرقيم<sup>١</sup>  
نحن في الذلة إخوان اليهود<sup>٢</sup>



ليت أننا حين مات الشَّممُ  
لحقت أرواحنا بالغابرين  
ما تمردنا على من ظلموا  
لا ولم نفكك وثاقاً عن سجين  
ليس يمحوا عارنا إلا الدم  
فإلى كم نذرف الدمع السَّخين؟  
قام فينا ألف جبار غشوم  
غير أننا لم يمت منا شهيد



يا لقومي بلغ السيل الزبى<sup>٣</sup>  
واستطال البغي واستشرى الفساد  
فاجعلوا أقلامكم بيض الظبا<sup>٤</sup>  
واستعيروا من دم الباغى المداد  
كتب السيف.. اقرؤوا ما كتبنا:  
لا يُنال المجد إلا بالجهاد  
أي رجال الشرق أبناء القُروم!<sup>٥</sup>  
لا تناموا. افه الماء الرُّكود!!



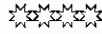
---

(١) يشير إلى قصة أهل الكهف الذين لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً. انظر سورة الكهف، في القرآن الكريم (الآية ٩)  
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: وضربت عليهم الذلة والمسكنة. سورة البقرة، الآية ٦١  
(٣) الزبية الراية لا يعلوها الماء  
(٤) الظبة حد السيف والجمع الظبا

### ٣١ - بنت الدوالي

[الرجز]

هاتِ اسقني بالقُدحِ الكبيرِ  
صفراءِ لونِ الذهبِ المصهورِ  
كانها في أكؤسِ البأورِ  
شُعلةُ نارٍ في بقايا نورِ



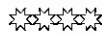
عجبتُ لأكاسِ التي تحويها  
كيف استقرتْ والحياةُ فيها  
لولم يُدرها بيننا ساقِها  
دارتْ على القومِ بلا مُديرِ



هاتِ اسقنيها مثلِ عينِ الديكِ  
صافيةً تنهضُ بالصُّعُوكِ  
حتى يرى التّيه على الملوكِ  
ولا يُبالي سَطوةَ الأميرِ



بنت الدوالي ضرة الرُّضابِ<sup>(١)</sup>  
أخت التّصافي زوجة السُّحابِ  
أنتِ وإن لام الـورى شـرابي  
في الخالدين: القُرّ والهجير<sup>٢</sup>



---

(١) الزّيفُ يريد طيه حين يرشفه

أَشْرِبُهَا بِلِ أَشْرَبُ الْإِكْسِيرَا  
تَحْلُقُ فِي شَارِبِهَا السُّرُورَا  
فَقُلْ لِمَنْ يَحْسِبُهَا غُرُورَا  
مَا الْعَيْشُ إِلَّا سَاعَةٌ الْغُرُور

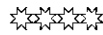
\*\*\*\*

## ٣٢ - الطيران

[الخفيف]

لو رأى آدمُ فتاهُ لزالَ الـ  
حِقدٌ من قلبه على حواءِ  
صير الأرضَ جنةً لونها الجنـ  
نةُ في الحُسنِ والبها والرواءِ  
ما أظنَّ النعيمَ فيه الذي في الـ  
أرضِ من بهجةٍ ومن لآلئِ  
كلِّ ما في الوجودِ للمرءِ عبـ  
دٍ وهو عبـدُ الشَّهواتِ والأهواءِ  
كأنَّ كلَّ كائنٍ حارٍ فيه  
فهو حُلومٌ ودرٌّ وناـ  
هو طوراً يكون نصفُ الـ  
وهو طوراً أدنى من العجـماءِ  
عجبا كيف طاعه الطَّيْنُ والمـاءُ  
وما كان غيرَ طينٍ وماءٍ؟  
سادَ في الكونِ مثلما سادَ فيه  
خالقُ الكونِ مُبدعُ الأشياءِ  
فهو في الماءِ سابحٌ وعلى الغـبـ  
راءِ ماشٍ وطائرٌ في الفضـاءِ  
تخـذُ الجوَّ ملعباً ثمَّ أمسى  
راكضاً في الهواءِ رُكضَ الهوا

فهو فوق السحاب يحكيه في مسد  
—راه لـكنه أخو خيلاء  
وهوبين الطيور تحسبه العند  
قاء لولا استحالة العنقاء  
أبصرته فأكبرت أن ترى في الـ  
جـو صيادها على الغبراء  
فاستوى في قلوبها الذعر حتى  
كاد يحكي البلاء خوف البلاء  
وتناجت تبغي النجاة فراراً  
أين أين المفر من ذا القضاء  
ويح هذي الطيور تجني على المو  
تى وترجو سِلماً من الأحياء  
اهبطي أو فحلقي أو فسييري  
إنما المنتهى إلى الأرزاء!



وهوبين النجوم يسترق السّم  
مع ولا يتقي رجوم السماء  
مشهد روع الدّاري فباتت  
حانرات في القُبّة الزرقاء  
نافرات كأنّها ظبيات  
رأت القانصين في البيداء  
سائلات إذا رسول سلام  
من بني الأرض أم نذير فناء؟  
هالها أن ترى من الإنس قوماً  
يتهاون مثلاًها في الفضاء  
فرايت الجوزاء تشكو الثّريّا  
والثّريّا تشكو إلى الجوزاء

لَا تُرَاعِي يَا شَهْبُ مَنْأَ فَإِنَّا  
 مَا حَمَأْنَا إِلَيْكَ غَيْرَ الْوَلَاءِ  
 قَدْ كَرِهْنَا الْمَقَامَ فِي الْأَرْضِ لَمَّا  
 قِيلَ إِنَّ السَّمَاءَ مَقَرُّ الْهَنَاءِ  
 إِنَّمَا شَوْقُنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَسَى  
 رَأَى بِنَا لَا الْهَيْأَمُ فِي الْإِسْرَاءِ  
 فَصَلِّينَا نَزْدَدُ غَرَامًا وَوَجْدًا  
 غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ كَثِيرُ الْإِبَاءِ  
 نَحْنُ يَا شَهْبُ فِي حِمَاكَ ضَيُوفُ  
 وَجَمِيلُ رِعَايَةِ الْغُرَبَاءِ  
 أَكْرَمِي ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ فَوْقَ السَّ  
 سَحَبٍ يُثْنِي عَلَيْكَ خَيْرَ ثَنَاءِ  
 وَأُنِيرِي طَرِيقَهُ إِنْ دَجَا الْآدِ  
 لٌ وَدَبَّتْ عَقَارِبُ الظُّلُمَاءِ  
 صَاغَكَ اللَّهُ شُعْلَةً مِنْ ضِيَاءِ  
 وَبَرَا الْمَرْءَ شُعْلَةً مِنْ ذِكَا  
 تَخْذِيهِ أَخَا يَكُنْ لَكَ عَوْنًا  
 كُلُّ نَفْسٍ مُحْتَاجَةٌ لِلْإِخَاءِ  
 لَا تَفَاخَرْ بِالْوَاخِدَاتِ وَلَا بِالْخَيْ  
 لٍ مِنْ أَدْهَمٍ وَمِنْ شَهْبَاءِ<sup>١</sup>  
 هَازِ عَصْرُ النَّيَاقِ وَالرَّأَكِبِيهَا  
 عِنْدَ عَصْرِ الْبُخَارِ وَالْكَهْرِبَاءِ!

\*\*\*\*\*

---

(١) الْوَحْدُ سَعَةُ الْمَشْيِ وَالْإِسْرَاعُ فِيهِ

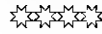
### ٣٣ - العاشق المخدوع

[الكامل]

أبصرتُها في الخمسِ والعشرِ  
فرأيتُ أختَ الرنمِ والبدرِ  
عذراءً ليس الفجرُ والدها  
وكأنَّها مولودةُ الفجرِ  
بسَّامةٌ في ثغرها دُرٌّ  
يهفو إليها الشاعرُ العصري  
ولها قوامٌ لو أشبَّهه  
بالغصنِ بآءِ الغصنِ بالفخرِ  
مثلُ الحمامةِ في وداعتِها  
وكزهرةِ النُّسرينِ في الطُّهرِ  
مثلُ الحمامةِ غير أن لها  
صوتَ الهزارِ ولقَّة الصُّقْرِ  
❖❖❖❖❖

شاهدتُها يوماً وقد جالستُ  
في الرُّوضِ بين الماءِ والزُّهرِ  
ويدُ الفتى هنري تطوَّقها  
فحسدتُ ذاك الطُّوقَ في الخصرِ  
وحسدتُ مقلَّتهُ ومسمِّعهُ  
لجمالِها وكلامِها الدُّرِّي  
أغمضتُ أجفاني على مضمضِ  
وطويتُ أحشائي على الجَمَرِ

وَحَشِيتُ أَنْ الْوَجْدَ يَسْلُبَنِي  
 حِلْمِي<sup>(١)</sup>، وَيَغْلِبَنِي عَلَى أَمْرِي  
 فَرَجَعْتُ أَدْرَاجِي أَعْلَابَهُ  
 بِالْيَأْسِ أَوْنَةً وَبِالصَّبْرِ  
 ثُمَّ انْقَضَى عَامٌ وَأَعْقَبَهُ  
 ثَانٍ وَذَاكَ السَّرْفُ فِي صَدْرِي  
 فَعَجِبْتُ، مَنِي كَيْفَ أَذْكُرُهَا  
 وَقَدْ انْقَضَى حَوْلَانٍ مِنْ عُمْرِي  
 خِلْتُ الْإِيَالِي فِي تَتَابُعِهَا  
 تُزْرِي بِهَا عِنْدِي فَلَمْ تُزِرْ  
 زَادَتْ مَلَا حَتُّهَا فَزِدَتْ بِهَا  
 كَلْفًا، وَمَوْجِدَةٌ عَلَى هُنْرِي



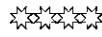
وَسَنَّمْتُ دَارِي وَهِيَ وَاسِعَةٌ  
 فَتَرَكْتُهَا وَخَرَجْتُ فِي أَمْرٍ  
 فَرَأَيْتُ فَتَيَانَ الْحِمَى انْتَضَمُوا  
 كَالْعَقْدِ، أَوْ كَالْعَسْكَرِ الْمَجْرَى<sup>(٢)</sup>  
 يَتَفَكَّهُونَ بِكُلِّ نَادِرَةٍ  
 وَعَلَى الْوُجُوهِ عِلَانُ الْبِشْرِ  
 سَارُوا فَأَعْجَبَنِي تَدْفُقُهُمْ  
 فَتَبِعْتُهُمْ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي  
 مَا بَالُهُمْ؟ وَلَا يَتَوَقَّفُوا؟  
 لِمَنِ الْبِنَاءُ يَلُوحُ كَالْقَصْرِ

(١) الحلم العقل

(٢) الجيش العظيم



أَوَاهُ! هَذَا دَارُ فَاتِنَتِي  
 مِنْ قَالَ: مَا لِلشَّمْسِ مِنْ خِذْرٍ؟  
 وَعَرَفْتُ مَنْ فِرْجَيْنِ جَارَتِهَا  
 مَا زَادَنِي ضُرًّا عَلَى ضُرِّ  
 قَدْ كَانَ هَذَا يَوْمَ خُطْبَتِهَا  
 يَا أَرْضُ مِيدِي! يَا سَمَا خُرِّي  
 وَرَأَيْتُ سَاعِدَهَا بِسَاعِدِهِ  
 فَوَدِدْتُ لَوْ غُيِّبْتُ فِي قَبْرِ  
 وَشَعَرْتُ أَنَّ الْأَرْضَ وَاجِفَةٌ  
 تَحْتِي، وَأَنَّ النَّارَ فِي صَدْرِي  
 وَخَشِيتُ أَنْ الْوَجْدَ يَسْلُبَنِي  
 حِلْمِي وَيَغْلِبَنِي عَلَى أَمْرِي  
 فَرَجَعْتُ أَدْرَاجِي أَغَالِبُهُ  
 بِالْيَأْسِ أَوْنَةً وَبِالصَّبْرِ

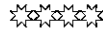


قَالُوا: الْكَنِيسَةُ خَيْرُ تَعْزِيَةٍ  
 لِمَنْ ابْتُلِيَ فِي الْحَبِّ بِالْهَجَرِ  
 فَنَذَرْتُ أَنْ أَقْضِيَ الْحَيَاةَ بِهَا  
 وَقَصَدْتُهَا كَيْمَا أَفِي نَذْرِي  
 لَأَزِمْتُهَا بِدَرِينِ مَا التَفَقْتُ  
 عَيْنِي إِلَى شَمْسٍ، وَلَا بِدَرٍ  
 أَتْلُو أَنَاشِيدَ النَّبِيِّ ضُحَى  
 وَأَطَالُ الْإِنْجِيلَ فِي الْعَصْرِ  
 حِينَئِذٍ مَعَ الرَّهْبَانِ، أَوْنَةً  
 وَحَدِي، وَأَحْيَانًا مَعَ الْحَبْرِ<sup>١</sup>

---

(١) الحبرُ واحد الأبحار من رجال الكنيسة

في الغاب فوق العشب مضطجعا  
في السّفح، مُستنداً إلى الصُّخر  
في غرفتِي، والريحُ راكدةٌ  
بين المغارس، والصَّبَا تسري  
حتى إذا ما القلبُ زايلاً  
تبريحهُ، وصحوتُ من سُكري  
وسلوتُها وسلوتُ خاطبها  
وألقتُ عيش الضنك والعُسْر  
عاد القضاء إلى مُحاربتِي  
ورجعتُ للشكوى من الدهر



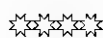
في ضحوة وقف النسيمُ بها  
متردداً في صفحةِ النّهر  
كالشاعر الباكي على طلل  
أو قارئِ حيران في سِفْر  
والشمسُ ساطعةٌ ولامعةٌ  
تكسو حواشي النّهر بالتّبر  
والأرضُ حاليّةٌ جوانيها  
بالزّهر من قانٍ ومصفّرٍ  
فكأنّها بالعشب كاسيةٌ  
حسناً في أثوابها الخضر  
وعلا هُتافُ الطيرِ إذ أمنتُ  
بأس العقابِ وصوله النّسر  
تتأوى على أهل الهوى سُوراً  
ليست بمنظومٍ ولا نثر

يحنو الهزارُ على أليفته  
ويداعبُ القُمريَّة القُمري<sup>١</sup>  
وأنساب كلِّ مصقِّ عذبٍ  
واهتز كلُّ مهفِّفٍ نضر  
فتذكَّرتُ نفسي صبايتها  
ما ألع المَهجور بالذِّكر  
أرسلتُ طرفي رائداً فجرى  
وجرى على آثاره فيكُري  
حتى دوى صوتُ الرنيس بنا  
فهُرعتُ والرهبانُ في إثري  
وإذا بنا نلقى كنيسةً بنا  
بالوافدين تموجُ كالبحر  
وإذا بها وإذا الفتى هنري  
في حُلَّة بيضاء كالفجر  
تمشي ويمشي بين ذي أدبٍ  
حُلُو، وبين مليحةٍ بكر  
رفع الرنيسُ عليهما يده  
وأنا أرى ويدي على صدري  
يا قلبُ ذبِّ! يا مُهجَّتِي انْفطِري  
يا طَرْفُ فُضْ بالأدمعِ الحُمَر  
أغمضتُ أجفاني على مضضٍ  
وطويتُ أحشائي على الجُمَر  
وخشيتُ أنَّ الوجدَ يسُلُبني  
حلمي، ويغالبني على أمري

---

(١) القُمري طير أبيض ومؤنثه قُمريَّة

فرجعتُ أدراجي أغاليبه  
 باليأسِ اوننةً وبالصبرِ  
 وخرجتُ لا ألوي على أحدٍ  
 ورضيتُ بعد الزهد بالكفر



أشفقتُ من همِّي على كيدي  
 وخشيتُ من دمعي على نحري  
 فكلفتُ بالصَّهْبَاءِ أَشْرِبَهَا  
 في منزلي، في الحان، في القفر  
 أبغي الشفاء من الهموم بها  
 فتزيدني وقرأ على وقرأ  
 وتزيدني ولعاً بها وهوى  
 وتزيدني حقدًا على هنري  
 قال الطبيبُ وقد رأى سقمي :

لله من فعل الهوى العُدري  
 ما لي بدائك يا فتى قبلُ  
 السَّحَرُ محتاجٌ إلى سِحْرٍ  
 ومضى يقلبُ كفه أسفاً  
 ولبثتُ كالقَتولِ في الوكرِ  
 ما أبصرتُ عينا ي غانيةً  
 إلا ذكرتُ إلى الدُّمى فقُري



وسئمتُ داري وهي واسعةُ  
 فتركْتُها وخرجتُ في أمر

فرأيتها في السوق واقفة  
 ودموعها تنهل كالقطر  
 في بردة كالليل حالك  
 لهفي على أثوابها الحمر  
 فدنوت أسألها وقد جزعت  
 نفسي، وزلزل حزنها ظهري  
 قالت: قضي هنري! فقلت: قضي  
 من كاد لي كيِّداً ولم يدر  
 لا تكرهوا شراً يصيبكم  
 فلرب خير جاء من شر  
 وهفا هواها بي فقلت لها:  
 قد حل هذا الموت من أسري  
 قالت: ومن أسري! فقلت: إذن  
 لي أنت؟ قالت: أنت ذو الأمر  
 فأدركت زندي حول منكبها  
 ولثمتها في النحر والتغر  
 وشفيت نفسي من لواعجها  
 وثارت بالتصريح من سري  
 ثم انتنيت بها على عجل  
 باب الكنيسة جاعلاً شطري<sup>١</sup>  
 وهناك باركني وهنّاني  
 من هنؤوا قبلي الفتى هنري




---

(١) جعله شطره اتجه نحوه

من بعد شهرٍ مرَّ لي معها  
أبصرتُ وضَّحَ الشَّيْبِ في شَعْرِي  
ما كنتُ أدري قبلُ صُحْبَتِهَا  
أنَّ المَشْيَبَ يَكُونُ في شَهْرٍ  
فكَّرتُ في هَنْرِي وكيفَ قَضَى  
فوجدتُ هَنْرِي واضِحَ العُذْرِ  
يا طالما قد كنتُ أَحْسَدُهُ  
واليومَ أَحْسَدُهُ على القَبْرِ!

\*\*\*\*

### ٣٤ - أهلها عرب

[مجزوء الوافر]

أقـاح ذاك أم شـنـبُ  
وريقُ ذاك أم ضـنـبُ  
ووجهُ ذاك أم قـمـرُ  
وخـدُ ذاك أم ذهبُ  
جمالُ غيرُ مكـتـسبِ  
وبعضُ الحُسنِ يُكـتـسبِ  
ثـكـأتِ الظُّرفِ، عاذِلتي  
أهـذا الحُسنُ يُجـتـنـبِ؟  
عـدـدتُ لها العيوبَ ولي  
سـإلا الظُّرفُ والأدبُ  
فـتـاةُ بـين مـبـسـمـها  
وبـين عُقـودها نـسـبِ  
لـواحـظُها نـمـتُها الهـنـدُ  
دُلكنَ أهـلُها عـربِ  
مـرـنـحةٌ إذا خـطـرتُ  
رأيت الغـصنَ يـضـطـربِ  
مـشـتٌ وونـتٌ روادقُها  
فـكـاد الخـصـرُ يـنـقـضـبِ<sup>١</sup>

---

(١) الضرب العسل الأبيض والشبب صفة في الأسنان برودتها

يُسِرُّ الْعَازِلُونَ إِذَا  
نَأَتْ وَيَعُوذُنِي الْوَصْبُ<sup>(١)</sup>  
وَيَصْطَلِحُونَ أَنْ قُرِبْتُ  
وَعِنْدِي يَحْسِنُ الطَّرِبُ  
فَأَبْكِي كُلَّمَا ضَحَكُوا  
وَأَضْحَكُ كُلَّمَا غَضِبُوا!

\*\*\*\*

---

(١) الوجد



### ٣٥ - صاحب القلم

[البسيط]

أشقى البرية نفساً صاحبُ الهمم  
وأتعسُّ الخلقَ حظاً صاحبُ القلم  
عاف الزمانُ بني الدنيا وقيدهُ  
والطيرُ يحبسُ منها جيدُ النعم  
وحكمتُ يدهُ الأقلام في دمه  
فلم تصنَّه ولم يعدلْ إلى حكم  
فيا له عاشقاً طاب الحمام له  
إن الحبَّ لمجنونٌ فلا تلم  
لكلِّ ذي همٍّ في دهره أملٌ  
وكلُّ ذي أملٍ في الدهرِ ذو ألم  
ويل الليالي لقد قلدنني ذرباً  
أدنى إلى مهجتي من مهجة الخصم<sup>١</sup>  
ما حدثتني نفسي أن أحطمه  
الأخشيتُ على نفسي من الندم  
فكلُّ ما قلتُ: زهدي طاردٌ كافي  
رجعتُ والوجدُ فيه طاردٌ سأمي  
يأبى الشقاء الذي يدعونه أدباً  
أن يضحك الطرسُ إلا أن سفكتُ دمي  
لقد صحبتُ شبابي واليراع معاً

---

(١) اللسان الذرب الحاد (ذرب لسانه يذرب فصح)

أودى شبابي.. فهل أبقى على قلبي  
كأنما الشُّعراتُ البيضُ طالعةٌ  
في مفرقي، أنجمُ أشرقن في الظلم  
تضاحك الشَّيبُ في رأسي فعرض بي  
ذو الشَّيب عند الغواني موضعُ التُّهم  
فكلُّ بيضاء عند الغيد فاجعةٌ  
وكلُّ بيضاء عندي ثغرٌ مبيتسم  
قل للتي ضحكت من لمتي: عجباً  
هل كان ثمَّ شبابٌ غيرُ منصرم؟  
أصبحتُ أنحل من طيف، وأحير من  
ضيف، وأسهر من راع على غنم  
وليلةٌ بتُّ أجني من كواكبها  
عقداً كآتي أنال الشُّهب من أمم<sup>١</sup>  
لا ذاق جفني الكرى حتى تنال يدي  
ما لا يفوز به غيري من الحُلم  
ليس الوقوفُ على الأطلال من خلقي  
ولا البكاءُ على ما فات من شيمي  
لكنَّ (مصرأ)، وما نفسي بناسيةٍ  
مليكة الشُّرق ذات النَّيل والهرم  
صرفتُ شطر الصُّبا فيها فما خشيتُ  
نفسِي العِثار، ولا نفسي من الوصم  
في فتية كالنجوم الزُّهر أوجههم  
ما فيهم غيرُ مطبوع على الكرم  
لا يقبضون مع اللاؤاء أيديهم

---

(١) يعني طوع يده (من أمامه)

وَقَلَّ مَا جَادَ نَوْفَرٍ مَعَ الْأَزْمِ<sup>٢</sup>  
 حَسْبِي مِنَ الْوَجْدِ هُمَّ مَا يُخَامِرُنِي  
 إِلَّا وَأَشْرَقَنِي بِالْبَارِدِ الشَّيْمِ<sup>١</sup>  
 فِي ذِمَّةِ الْغَرْبِ مَشْتَاقٌ يُنَازِعُهُ  
 شَوْقٌ إِلَى مَهَيْطِ الْآيَاتِ وَالْحِكَمِ  
 مَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ إِلَّا أَدْمَعِي شَفَقُ<sup>٣</sup>  
 تَنْسَى الْعَيُونَ لَدَيْهِ حُمْرَةَ الْعَنَمِ<sup>٢</sup>  
 وَمَا سَرَتْ نَسَمَاتٌ نَحْوَهَا سَحَرًا  
 إِلَّا وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي كُنْتُ فِي النَّسَمِ  
 مَا حَالَ تِلْكَ الْمَغَانِي بَعْدَ عَاشِقِهَا  
 فَإِنِّي بَعْدَهَا لِلْهَمِّ وَالسُّقَمِ  
 جَادَ الْكِنَانَةَ عَنِّي وَابِلُ غَدَقُ<sup>٤</sup>  
 وَإِنْ يَكُ النَّيْلُ يُغْنِيهَا عَنِ الدَّيَمِ  
 الشَّرْقُ تَاجٌ، وَمَصْرٌ مِنْهُ دَرَّةٌ  
 وَالشَّرْقُ جَيْشٌ، وَمَصْرٌ حَامِلُ الْعِلْمِ  
 هِيَ هَاتِ تَطَرَّفُ فِيهَا عَيْنُ زَانِرِهَا  
 بَغَيْرِ ذِي أَدَبٍ أَوْ غَيْرِ ذِي شَمَمِ  
 أَحْنَى عَلَى الْحُرِّ مِنْ أُمٍّ عَلَى وَلَدٍ  
 فَالْحُرُّ فِي مَصْرٍ كَالْوَرَقَاءِ فِي الْحَرَمِ<sup>٣</sup>  
 مَا زِلْتُ وَالِدَهُرُ تَنْبُو عَنْ يَدِي يَدُهُ  
 حَتَّى نَبَتْ ضِلَّةٌ عَنْ أَرْضِهَا قَدَمِي<sup>٤</sup>  
 أَصْبَحْتُ فِي مَعْشَرٍ تَقْدَى الْعَيُونَ بِهِمْ

(١) الشَّيْمُ البَارِدُ (تأكيد للماء البارد)

(٢) الْعَنَمُ أطراف الحرنوب الحمر، أو هو الزُّعُرُور

(٣) الْوَرَقَاءُ الحمامة

(٤) الضِّلَّةُ العيوبية في خير أو شر

شَرُّ مِنَ الدَّاءِ فِي الْأَحْشَاءِ وَالنَّخَمِ  
مَا عَزَّ قَدْرُ الْأَدِيبِ الْحُرِّ بَيْنَهُمْ  
إِلَّا كَمَا عَزَّ قَدْرُ الْحَيِّ فِي الرَّمَمِ  
مَنْ كُلَّ فَظٍّ يُرِيكَ الْقِرْدَ مُحْتَشِمًا  
وَيَضْحَكُ الْقِرْدُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ  
إِذَا بَصُرَتْ بِهِ لَا فَاتَهُ كَدْرُ  
رَأَيْتَ أَسْمَحَ خَلْقِ اللَّهِ كَلَّهِمْ  
مِنَ الْأَعَارِبِ لَكِنْ حِينَ أَنْشَدَهُ  
جَوَاهِرَ الشَّعْرِ الْقَاهُ مِنَ الْعَجَمِ  
مَا إِنْ تَحَرَّكَهُ هَمًّا وَلَا طَرِبًا  
كَأَنَّمَا أَنَا أَتْلُوهَا عَلَى صَنَمِ  
لَا عَيْبَ فِي مَنْطِقِي لَكِنْ بِهِ صَمَمٌ  
إِنْ الصُّوَارِحُ خُرْسٌ عِنْدَ ذِي الصَّمَمِ  
حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ مَعْلُومٍ النَّهْيُ دُرِّي  
إِنِّي أَضِيءُ عَلَى الْأَنْعَامِ بِالنَّعَمِ  
قَوْمٌ أَرَى الْجَهْلَ فِيهِمْ لَا يَزَالُ فِتْنَى  
فِي عُنفَوَانِ الصَّبَا، وَالْعِلْمِ كَالْهَرَمِ

\*\*\*\*\*

### ٣٦ - إلى الله راجعون

[مطلع البسيط]

بينني وبين العيون سرُّ  
الله في السرِّ والعيون  
إذا عصتْ فكرتي القوافي  
أوحى لِنفسي بها الجُفون  
هات اسقني الخمر جهرا  
ولا تبالي بما يكون  
إن كان خيرا أو كان شرًّا  
إنّا إلى الله راجعون!!

\*\*\*\*\*

## ٣٧ - نزوة أله

[الوافر]

دعي لومي وقاك الله ما بي  
فغير الحُرّ أولى بالعتاب  
إلى كم تعجبين من انفرادي  
وكم ذا تعدّلين على اكتئابي  
وانك لو خبرت الخلق خبري  
زهدت الخلق زهد أبي تراب<sup>١</sup>  
همّ إمّا غبيّ ليس يدري  
ونو علم ولوع بالتغابي  
لهم صُور الملائك والأناسي  
وأخلاق الأبالس والذئاب  
أعاذل، ربما مرّت برأسي  
خطوب لا يمرُّ بها حسابي  
أبت نفسي النزول إلى الدنيا  
وقلبي أن يميل إلى التّصابي  
فما دانيت أقداح الحميا  
ولم أهتمّ بغانية كعاب<sup>٢</sup>  
وما منع الزّهادة فيّ أني  
حديد ناظري، غرض إهابي

---

(١) كنية للإمام علي بن أبي طالب

(٢) الحميا الحمرّة والكعاب التي كعب ثديها (بدا للنهود)

وما كان الشبابُ ليَرُدَّهيني  
لأنني ما أمنتُ على شبابي  
أضنُّ به على الشُّهُواتِ ضِنِّي  
على هُنْدٍ بِشَعْرِي والرِّبابِ  
ربيعُ العُمُرِ إن يذهبْ جُزافاً<sup>١</sup>  
أَكُنْ من بعده صِفْرُ الوطابِ<sup>٢</sup>  
ذريني أضطربْ في الأرض، إني  
رأيتُ السَّيْفَ يصدأُ في القِرَابِ<sup>٣</sup>  
وما أنا بالغريبِ الدَّارِ وحدي  
فكلُّ الناسِ عندي في اغْتِرابِ  
أفكَّرُ كيف جئتُ، وكيف أمضي  
على رغمي، فأعيا بالجوابِ  
أتيتُ ولم أكن أدري مجيئي  
وأذهبُ غيرَ دارٍ بالإيابِ  
إذا كان المَصيرُ إلى التلاشي  
فلِمَ جئنا وكُنَّا في حِجابِ؟  
وإن كان المَصيرُ إلى خُلودِ  
فما معنى المنيَّةِ والتَّيَّابِ؟<sup>٤</sup>  
أمرٌ لا يُحيطُ بهنَّ فكَّرُ  
ولو أمسى يُحيطُ بكلِّ بابِ  
أرقتُ لها وأصحابي هُجودُ  
بلايلٍ مثلِ خافيةِ العُرابِ<sup>٤</sup>

(١) الوطاب سقاء اللين أنية الزاد (ومثله الوطب)

(٢) القِرَاب غمد السيف والسكين (الجمع قُرْب)

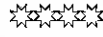
(٣) التَّيَّاب الهلاك

(٤) خافية العراب ريشة تختفي تحت جناح كل طائر





أرى أنهارها فأنظن ماءً  
كذاك العين تُخدعُ بالسُّراب  
فلم أعتُرْ على لفظٍ سليمٍ  
ولم أظفرَ بمعنى مُستطابٍ  
ولا حُسْنُ هِنَّاك ولا رِواءُ<sup>(١)</sup>  
وأنى الحُسْنُ للطللِ الخرابِ<sup>١</sup>  
فإن تشكُّ من القُرَاءِ عاباً<sup>٢</sup>  
شكا القراءُ منها ألفَ عابٍ<sup>٢</sup>



نوي الأقلامِ إنَّافي احتياجٍ  
إلى غيرِ الشُّتَانمِ والسَّبَابِ  
فهل من قائدٍ فيكمْ حكيمٍ  
يسيرُ بنا إلى القصدِ الصُّوابِ  
فنظفرَ بالرجاءِ على يديه  
ويظفرَ بالأمانِ والتُّوابِ!



---

(١) الرِّواءُ المنظر

(٢) العابُ العيب

## ٣٨ - الكأسان

[الرجز]

كـان عـلى خـوانِ ربِّ المـالِ  
كـأسـان: مـن خـمـرٍ ومـن زُلالٍ<sup>١</sup>  
هـاتـيـك في الحُمـرةِ مِثْلُ العُندَمِ<sup>٢</sup>  
وتـلك في بـياضِها كـالـدَهرِ  
فـقـالتِ السُّلـافَةُ النُّثـارَ  
عـنـدي حـديثٌ فـاسـمـعـي يا جـارَ  
أنا الـتي تـخـضـعُ لي الرُّؤـوسُ  
أنا الـتي يـعـبُدـني المـجـوسُ  
كـم قـانـدٍ أضـحـكتُ مـنـه جُنـودُه  
وسـيِّـدٍ حـكَّـمتُ فـيـه عـبـدُه!  
ومـلـكٍ أـسـقـطُ عـنـه التَّاجـا  
وسـاكـنٍ هـيَّـجـتُه فـهـاجـا  
وزـوجـةٍ عـاـمَـتُـها الخـيـانَ  
ووالـدٍ أنـسـيـتُه الأـمـانَ  
وحـدثٍ خـدعـتُه فـانـتـخـدعـا  
حـتَّى إذا مـا شـبَّ عـضُّ الإصـبـعـا  
إنَّ العـغـنَى والصَّـيـتَ والذِّكـاءَ  
مـتـى أُرِدَّ صـيِّـرُتُـها هـبـاءَ

(١) الماء الزلال الصافي

(٢) العندم نبات يُستخرج منه صباغ أصفر

فَسَمِعَ الْمَاءُ فَهَاجَ غَضَبًا  
 وَقَالَ: مَهْلًا، بَلِّغِ السَّيْلُ الزُّبَى<sup>١</sup>  
 إِنَّ تَفْخِرِي، يَا جَارَتِي، بِالشَّرِّ  
 فَإِنَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ فَخْرِي  
 أَنَا الَّذِي تُغَسِّلُ بِي الْكُلُومُ<sup>٢</sup>  
 وَيَرْتَوِي الظَّامَى وَالْمَحْمُومُ  
 يُحِبُّ بَنِي الْمَالِكِ وَالْمَمْلُوكُ  
 وَالسَّيِّدُ الْمُطَاعُ وَالصَّيَّعُ الْوَكُ  
 حَيْثُ أَكُونُ جَارِيًا يَكُونُ  
 الْوَرْدُ وَالْأَقْحَاحُ وَالنَّسْرِينُ  
 إِنَّ الْمَرْجَ الْخَضِرَ لَا يُحْيِيهَا  
 غَيْرُ وَجُودِي حَوْلَهَا وَفِيهَا  
 كَمْ سِيرْتُ فِي الْوَادِي وَفِي الْغَدِيرِ  
 عَلَى شَبَابِيهِ الدَّرُّ وَالْكَافُورُ<sup>٣</sup>  
 وَجَلَسَ الْعِشَاقُ حَوْلِي فِي السُّحْرِ  
 عَلَى بَسَاطِ الْعُشْبِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ  
 كَمْ اشْتَهَوْا، إِذْ سَمِعُوا خَرِيرِي،  
 لَوْ أَنَّنِي أَسِيرُ فِي الصُّدُورِ  
 أَنَا الَّذِي لَوْلَاهُ مَاتَ النَّاسُ  
 وَالطَّيْرُ وَالْأَسْمَاكُ وَالْأَعْرَاسُ  
 يَا خَمْرُ كَمْ ذَا تَدْعَيْنِ الْفَضْلَا

(١) يقال بلغ السيل الزبى أي اشتد الأمر، والزبية الهضبة التي لا يصل إليها الماء

(٢) الجراح (مفرد لها كلم)

(٣) نبات له زهر أبيض

وبالمياه تُقْتَلُ الْبَنَاتُ  
وَأُمُّكَ الْكَرْمَةُ يَا صَهْبَاءُ  
مَا وَجِدْتُ فِي الْأَرْضِ لَوْلَا الْمَاءُ!

\*\*\*\*

---

(١) الحمرة للونها الأصهب

### ٣٩ - أقوى من الشيب والهزم

[البسيط]

ما زلت أحسب أن الحب زایلني  
حتى نظرت إليها وهي تبسم

\*\*\*\*\*

فاهتز قلبي كما تهتز نابتة  
في القفر مر عليها النور والنسم<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

يا حُبّها لا تخفّ شيباً ولا هزماً  
فليس أقوى عليك الشيب والهزم

\*\*\*\*

---

(١) النسم والنسمة نفس الروح

## ٤٠ - لَأَرْفَعَنَّ لَكَ سَمًا مَّحْتَجِجًا

[الرجز]

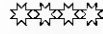
جاء الشتاء جِيئَةً الْمُفْجَاجِي  
كَأَنَّمَا قَدْ كَانَ فِي الرُّتَاجِ  
فَجَمَدُ السَّائِلِ فِي الرُّجَاجِ  
وَكَتَسَتْ الْأَرْضُ بِمِثْلِ الْعَوَاجِ  
فَامْتَنَعَ الْمَرْعَى عَلَى النَّوَاجِ  
وَامْتَنَعَ الْحَبُّ عَلَى الدَّجَاجِ  
وَامْتَنَعَ السَّيْرُ عَلَى النَّوَاجِي<sup>١</sup>  
رَبِّ جُودٍ لَاحِقٍ هِـمْلَاجٍ<sup>٢</sup>  
مُعْوَدٍ الْإِلْجَامِ وَالْإِسْرَاجِ  
وَالْوَحْدِ وَالذَّمِّيلِ وَالْإِهْمَاجِ<sup>٣</sup>  
أَصْبَحَ مِثْلَ الْعِرْقِ فِي اخْتِلَاجِ  
مُنْعَرَجٍ فِي غَيْرِ ذِي انْعِرَاجِ  
لَوْ هَاجَ الرَّاكِبُ بِالْكُرْبَاجِ  
لَمَّا مَشَى بِهِ سَوَى اعْوِجَاجِ  
لَوْلَا الْجَايِدُ طَارَ بِالْمَهْتِاجِ  
مِثْلَ الْبُرَاقِ بَفَتْي الْمَعْرَاجِ

(١) الناجية الناقة السريعة التي تتجو بمن يركبها (وجمعها النواجي)

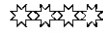
(٢) حسن السير في سرعة وبخيرة

(٣) الوخذ والذميل والإهمال ضروب من عبث الإبل

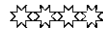
وخطَّه والشمسُ في الأبراج  
لكنه منه على الزَّجاج<sup>١</sup>



وأمسك الناسُ عن الأجاج  
أما ترى نداءهم تناج  
كأنَّما الجموعُ في الملاهي  
على منى مواكب الحجاج  
ورغب المُنْزري عن الديباج  
إلى اللباس الخشن النساج  
وكان أن جيء له بالنباج  
أعرض عنه وأرم الأوداج<sup>٢</sup>



وانقبض النهار عن الهياج  
وكان مثل الزَّأخر العجاج  
يصارع الأمواج بالأمواج  
يأبى مسبح الإوز والبدراج  
كيف غدت موطئ الأحداج<sup>٣</sup>  
ومعبر الخلق إلى الخراج؟



مالي والصَّبيح على أنبلاج  
أخبط كالعشواء في الدياجي  
إذا أردت السَّير في منهاجي

---

(١) بسبب الجليد

(٢) الودج عرق في العنق (وهما وديجان)

(٣) الحدج المحفَّة من مراكب النساء

طال عثاري فيه وانزلاجي  
 كأنني أمشي على زجاج  
 محتذياً بالزنبق الرجراج  
 خيل لي، لشدة ارتجاجي  
 أن دمي يرتج في أوشاجي<sup>١</sup>  
 أرى الدنا ضيقة الفجاج  
 ولم تضيق، لكن ما احتياجي  
 إلى طريق واضح الشجاج<sup>٢</sup>  
 أسألك فيه غير ما انزعاج  
 وحاجتي بالكوكب الوهاج  
 كحاجة الأعمى إلى سراج!  
 إن لج هذا القُرُفي احراجي  
 لأرفعن لاسم ما احتياجي!

\*\*\*\*\*

---

(١) وشج وشجاً وشيجاً تداخل وتشابك والوشائج عروق الأذن  
 (٢) أصل الشجة الجرح في الوجه والرأس، وجمعه شجاج يريد هنا المسالك



## ٤١ - أنتم معي

[الكامل]

في المنزلِ المهجورِ أذكرُكم  
فإخالي في جنّةِ الخُأدِ  
~~~~~  
أنتم معي في كلِّ أونةٍ  
والنَّاسُ تحسبُ أنَّني وحدي!

\*\*\*\*

## ٤٢ - الحرب العظمى

[الكامل]

لو أستطيعُ كُتِبْتُ بالنيرانِ  
فلقد عَيَّيتُ بَكْمَ وَعِيَّ بِيَانِي  
ولَكِدْتُ أَسْتَحْيِي الْقَرِيضَ وَأَتَّقِي  
أَنْ يَسْتَرِيبَ يِرَاعَتِي وَجَنَانِي  
أَمْسَى يُعَاصِبُنِي لِمَا جَشَّمْتُهُ  
فِيكُمْ، وَكُنْتُ وَكَانَ طَوْعَ بَنَانِي  
يَشْكُو إِلَيَّ وَأَشْتَكِي إِعْرَاضَكُمْ  
اللَّهُ فِي عَانٍ يَلُودُ بَعَانٍ  
عَاهَدْتُهُ أَلَا أَثِيرَ شُجُونَهُ  
أَوْ يَسْتَثِيرَ كَوَامِنَ الْأَشْجَانِ  
يَا طَالَمَا اسْتَبَكَيْتُهُ فَبَكَى لَكُمْ  
لَوْلَا الرَّجَاءُ بِكَيْتُهُ وَبِكَانِي  
كَمْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتُهَا مُتَمَلِّمًا  
طَرْفِي وَطَرْفُ النَّجْمِ مُلْتَقِيَانِ  
تَحْنُو عَلَى قَلَمِي يَمِينِي، وَالدُّجَى  
حَانَ عَلَى الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ  
أَجَلُوا عِرَاسَهُ لَكُمْ وَأَزْفُهَا  
مَا بَيْنَ بَكْرٍ كَاعِبٍ وَعُوانٍ<sup>١</sup>  
مَتَالُافِيكُمْ وَفِي أَبْنَانِكُمْ  
وَهُمْ وَأَنْتُمْ نَانُمُ الْأَحْزَانِ

---

(١) العَوَانُ النَّصْفُ (الْجَمْعُ عُوْنُ)

ما غال نومي حبٌ معسولِ الّلمى  
ممنوعه، لكنّ هوى الأوطان  
أنفقتُ أيامَ الشبابِ عليكم  
في ذمّة الماضي الشبابِ الفاني  
~~~~~

كم تسألوني أن أعيذ زمانه  
يا قوم، مرّ زمانه وزماني  
هان اليراعُ على البواتر والقنا  
ما تصنعُ الأقلامُ بالمُرّان<sup>(١)</sup>  
ليس الكلامُ بنافعٍ أو تغتدي  
حُمُرُ المضاربِ خلف كلِّ لسان<sup>(٢)</sup>  
والشعبُ ليس بمدركِ أماله  
حتى يسير على النّجيع القاني!  
~~~~~

صلّ الحديدُ وشُمُرتْ عن ساقها  
وتنكّر الإخوانُ للإخوان<sup>(٣)</sup>  
فالخيلُ غاضبةٌ على أرسانها  
والبيضُ غاضبةٌ على الأجفان<sup>(٤)</sup>  
والموتُ من قُدّامهم وورائهم  
والهولُ كلُّ ثنيّةٍ ومكان  
بسطتْ جناحيها ومدّتْ ظلّها  
فإذا جناحا السُّلم مقصّوصان

---

(١) المُرّان الرماح (واحدة مرّانة)  
(٢) المضرب ما ضرب به، والجمع مضارب  
(٣) صلّ وصلصل صوت

تَغْشَى مَوَاكِبَهَا ثَلَاثُ غِيَاهِبٍ  
مِنْ قَسْطِ ظِلٍّ وَبُجْنَةِ وَدْخَانٍ <sup>(١)</sup>  
وَيَرْدٌ عَنْهَا كُلُّ خَائِضٍ لُجَّةٍ  
سَيِّلانٍ: مِنْ مَاءٍ وَمِنْ نِيرَانٍ  
أَنْى التَّفَتُّ رَأَيْتُ رَأْساً طَائِراً  
أَوْ مَهْجَةً مَطْعُونَةً بِسِنَانٍ  
يَمْشِي الرَّدَى فِي إِثْرِ كُلِّ قَذِيفَةٍ  
فَكَأَنَّمَا تَقْتَادُهُ بِعِنَانٍ  
فَالجُومُ مِمَّا فَاضٍ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ  
لَا تَسْتَبِينُ نُجُومُهُ عَيْنَانِ  
وَالنَّهْرُ مِمَّا سَالَ مِنْ مُهْجَاتِهِمْ  
يَجْرِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْمَرْجَانِ  
وَالْأَرْضُ حَمْرَاءُ الْأَدِيمِ كَأَنَّهَا  
خَدُّ الْحَيَّةِ أَوْ خَضِيبُ بَنَانٍ  
كَمْ مِنْ مُبِيعٍ لِلضِّيَوفِ طَعَامُهُ  
أَمْسَى طَعَامُ الْأَجْدَلِ الْغَرْتَانِ <sup>(٢)</sup>  
وَمَقَاتِلِ نَاشِ الْكَتِيبَةِ، نَاشَهُ  
ظَفَرُ الْعُقَابِ وَمِخْلَبُ السَّرْحَانِ  
وَمُحَلِّقِ بَيْنِ الْمَجَرَّةِ وَالسُّهَى  
صَعْدَ الْحِمَامُ إِلَيْهِ فِي الطُّيْرَانِ  
وَمُشَيِّدِ وَقْفِ الزَّمَانِ حَيَالَهُ  
مُتَحَيِّراً بِجَمَالِهِ الْفَتْنَانِ

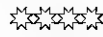
(١) القسطل الدخان

(٢) الأجدل الصقر، والغرتان الجائع

أَخْنَى عَلَى ذِكْرِ الْخَوَرْنَقِ ذِكْرَهُ  
وَسَمَا عَلَى الْحَمْرَاءِ وَالْإِيوَانَ <sup>١</sup>  
وَقَضَى الْعَصُورَ النَّاسُ فِي تَشْيِيدِهِ  
أَوْدَتْ بِهِ مَقْدُوفُهُ وَثَوَانَ  
وَمَدِينَةُ زَهْرَاءَ أَمْنُهُ الْحُمَى  
هُدِمَتْ مَنَازِلُهَا عَلَى السَّكَّانِ  
خَرِسَتْ بِلَابِلُهَا الشَّوَادِي فِي الضُّحَى  
وَعَلَا صِيَاخُ الْبُومِ وَالْغُرَبَانِ  
وَتَعَطَّلَتْ جَنَاطُهَا وَقُصُورُهَا  
وَلَقَدْ تَكُونُ بِغَبِطَةٍ وَأَمَانِ  
حَرْبٌ أَذَلَّ بِهَا التَّمَدُّنُ أَهْلَهُ  
وَجَنَى الشَّيْخُوحُ بِهَا عَلَى الشُّبَّانِ  
سَحَقَ الْقَوِيُّ بِهَا الضَّعِيفَ وَدَاسَهُ  
وَمَشَى عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْأَبْدَانِ  
بَسَسَ الْوَعْيَ، يَجْنِي الْجَنُودُ حَتُوفَهُمْ  
فِي سَاحِلِهَا، وَالْفَخْرُ لِلتَّيْجَانِ  
مَا أَقْبَحَ الْإِنْسَانُ يَقْتُلُ جَارَهُ  
وَيَقُولُ هَذَا سُنَّةُ الْعِمْرَانِ  
بَلَى الزَّمَانُ وَأَنْتَ مِثْلُكَ قَبْلَهُ  
يَا شِرْعَةً قَدْ سَنَّهَا الْجَدَّانِ  
فَالْقَاتِلُ الْأَلْفِ غَانٍ فَاتِحُ  
وَالْقَاتِلُ الْجَانِي أَثِيمٌ جَانِ  
لَا حَقَّ إِلَّا مَا تَوَيَّدَهُ الظُّلُمَا  
مَا دَامَ حُبُّ الظُّلَمِ فِي الْإِنْسَانِ

(١) (الخورنق والسدير) قصر المنذر في الحيرة، و(الحمراء) في غرناطة والإيوان (إيوان كسرى) في العراق

لو خَيْرَ الضعفاءُ لاختاروا الرُدَى  
لكن عيش الأَكْثَرين أمانى



ما بال قومي نائمين عن العُلا  
ولقد تنبّه للعُلا التُّقْلاَن  
تُبَاعُ أحمدُ والمسيح، هوادة  
ما العهدُ أن يتنكّر الأخوان  
اللهُ ربُّ الشُّرْعَتين وربُّكُمْ  
فإلى متى في الدِّين تختصِمان؟  
مهما يكن من فارق، فكلاكما  
يُنَمَى إلى قحطان أو غسان<sup>(١)</sup>  
فخذوا بأسباب الوفاق وطهّروا  
أكبادكم من لُوثَةِ الأَضْغان  
في ما يحيقُ بأرضكم ونفوسكم  
شُغْلُ الشُّغْلِ عن الأديان  
نِمْتُمْ وقد سهر الأعداء حولكم  
وسكنتم والأرضُ في جيشان  
لا رأي يجمعكم إذا اختلف القنا  
وتلاقت الفرسان بالفرسان  
لا رأيهُ لكم يدافع بونها  
مُردُّ العوارض، والحُتُوفُ دواني<sup>٢</sup>  
لا ذنبٌ للأقدار في إزالكم  
هذا جزاءُ الغافلِ المُتواني

---

(١) نماه وأنماه نسبه

لو لم يَعِزَّ الجَهْلُ بَيْنَ رِيوعِكُمْ  
 ما هانَ جَمْعُكُمْ على الحِذْثانِ  
 المرءُ، قِيَمَتُهُ المَعَارِفُ والنُّهْيُ  
 ما نَفَعُ باصْرةَ بلا إنسانِ  
 ما بِالْأُكْمِ لا تَغْضَبُونَ لِمَ جَدَّكُمْ  
 غَضَبَاتٍ مَلْطُومِ الجَبِينِ مُهَانَ  
 أو لَسْتُمْ كَالنَّاسِ أَهْلُ حَفَافِظٍ  
 أم أنْتُمْ لَسْتُمْ مِنَ الحَيَّوانِ؟  
 أبْنَاؤُكُمْ، لَهْفِي على أَبْنَانِكُمْ  
 يَلْهُو بِهِمْ أَبْنَاءُ جَنْكِيَزِ خانِ  
 النَّازِعُونَ المُلْكَ مِنْ أَيْدِيكُمْ  
 العَابِثُونَ بِكُمْ وبِالْقِرانِ  
 أو كَأَما طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ أَرْمَةٌ  
 هاجوا ضِغَانَكُمْ على الصُّلَّابِ  
 لا تَخْذَعْنَكُمْ السِّيَاسَةُ إِنَّهَا  
 شَتَّى الوجوهَ كَثِيرَةً الأَلْوَانِ  
 لو تَعَقَّلُونَ عَمِلْتُمْ لَخَلاصِكُمْ  
 مِنْ دَوْلَةِ القَيْنَاتِ والخِصَّيانِ  
 عارٌ على نَسْلِ المُلُوكِ بَنِي العُلا  
 أن يَسْتَذِلَّهُمْ بَنُو الرُّعَيانِ  
 ثوروا عَلَيْهِمُ واطلبوا اسْتِقالَكُم  
 وتشبَّهوا بِالصَّرْبِ واليُونانِ  
 ماذا يَرُوعُ نَفُوسَكُمْ، ما فَيْكُمْ

وَكُلُّ وَلَا فِي التُّرْكِ غَيْرُ جَبَانٍ<sup>١</sup>  
وَهَبُوهُمْ الرُّومَانَ فِي غُلَّوَانِهِمْ  
أَفَمَا غَلَبَتْكُمْ أُمَّةُ الرُّومَانِ<sup>٢</sup>  
مَا الْمَوْتُ مَا أَعْيَا النُّطَاسِي رَدَّهُ  
مَوْتُ الذَّلِيلِ وَعَيْشُهُ سَيِّئَانِ<sup>٣</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الغُلَّوَاءُ، الغُلَّوْ، وحدة الشباب  
(٢) النُّطَاسِيَّ، العالم الماهر، والطبيب الحاذق



## ٤٣ - دموع وتنهدات

[الطويل]

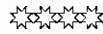
ألا ليت قلباً بين جنبي دامياً  
أصاب سُلُوءاً أو أصاب الأمانيا  
أجنُّ الأسى حتى إذا ضاق بالأسى  
تدفَّق من عيني أحمر قانيا<sup>١</sup>  
تهيجُ بي الذكرى البروق ضواكاً  
وتُغري بي الوجد الطيور شوايا  
فأبكي لما بي من جوى وصباية  
وأبكي إذا أبصرتُ في الأرض باكيا<sup>٢</sup>  
فلا تحسباني أذرفُ الدمع عادةً  
ولا تحسباني أنشدُ الشعر لاهيا  
ولكنها نفسي إذا جاش جاشها  
وفاض عليها الهمُّ فاضتْ قوافيا  
يشقُّ على الإنسان خدعُ فؤاده  
وان خادع الدنيا وداجي المُداجيا<sup>٣</sup>  
طلبتُ على البلوى مُعيناً ففاتني  
يؤاسيك من يحتاج فيك مؤاسيا  
ومن لم تُضرَّسه الخطوبُ بنابها  
يظنُّ شكَاياتِ النفوسِ تشاكيا

---

(١) أجنُّ ستر وأخفى

(٢) الجوى الحرقه وشدة الوجد من الهوى أو الحزن

رُمِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَوْ قَلِيلُهُ  
رُمِيتُ بِهِ الْأَيَّامُ صَارَتْ لِيَالِيَا  
فَلَا يَشْتَكِ غَيْرِي الْبُؤْسُ فَإِنِّي  
ضَمَنْتُ الرِّزَايَا، وَاحْتَكِرْتُ الْعَوَادِيَا<sup>١</sup>  
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً أُتْرُ لَيْلَةً  
وَأَحْزَانُ قَلْبِي بِأَقْيَاتُ كَمَا هِيَ  
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي الْخَمْرُ أَوْ بَارِدُ اللَّمَى  
سَلَوْتُ، وَلَكِنْ أُمْتُي وَبِلَادِيَا<sup>٢</sup>  
إِذَا خَطَرْتُ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ نَفَحُهُ  
طَرِبْتُ فَالْقَى مَنْ كَبَايَ رِدَانِيَا  
أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْمَغَانِي وَأَهْلِهَا  
وَأَشْتَاقُ مِنْ يَشْتَاقُ تِلْكَ الْمَغَانِيَا  
وَمَا سَرَّنِي أَنْ الْمَلَاهِي كَثِيرَةٌ  
وَفِي الشَّرْقِ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ الْمَلَاهِيَا  
إِذَا مَثَّلُوا وَالنَّوْمُ يَأْخُذُ مَقْلَتِي  
بِأَهْدَابِهَا، أَمْسَيْتُ وَسَنَانُ صَاحِيَا  
وَكَيْفَ اغْتِبَاطُ الْمَرْءِ لَا أَهْلَ حَوْلَهُ  
وَلَا هُوَ مَنْ يَسْتَعِذُّ الصَّفْوَانِيَا



تَبَدَّلَتِ الدُّنْيَا مِنَ السَّلَامِ بِالْوَغَى  
وَصَارَ بَنُوهَا الْعَاقِلُونَ ضَوَارِيَا  
فَمَا تُنَبِّتُ الْغُبْرَاءُ غَيْرَ مَصَانِبِ  
وَمَا تُمَطِّرُ الْأَفْلَاكُ إِلَّا نَوَامِيَا

---

(١) العوادي ما يشعل الإنسان عن أموره (المفرد عادية)

(٢) اللَّمَى سواد مرغوب في الشفة، لامتلائها بالدم

وناكر حتى الليل زهر نجومه  
 وماء الخضم المنشآت الجواريا  
 ويات سبيل كان يسري به الفتى  
 بلا حارس، يمشي به الجيش خاشيا  
 تقطعت الأسباب بيني وبينهم  
 فليس لهم نحوي وصول ولا ليا  
 وكان لنا في الكتب عون على الأسى  
 وفي (البرق) ما يدني المدى المتراويا  
 فلم تأمن الأسرار في (السك) سارقاً  
 ولم تأمن الأخبار في الطرس ماحياً<sup>(١)</sup>  
 إذا قيل هذا مخبر ملئت نحوه  
 بسمعي ولو كان المحدث وأشيا  
 وتعلم نفسي أنه غير عالم  
 ولكنني أستدفع اليأس راجياً  
 سري الشك حتى ما نصدق راوياً  
 وطال فبتنا ما نكذب راوياً  
 أقضي نهاري طائر النفس حائراً  
 وأقطع ليلى كاسف البال ساهياً  
 فما هم بأموات فنبيكي عليهم  
 ولا هم بأحياء فنرجو التلاقيا

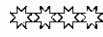


كاني بهم قد أخرجوا من بيوتهم  
 حفاة عراة جانعين صواديا<sup>(٢)</sup>  
 كاني بالغوغاء ثارت عليهم  
 وبالجند تعطي الثائرين المواضيا

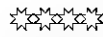
(١) يعني أسلاك البرق  
 (٢) الصوادي العطاش (صدي يصدى)



فيا أمةً قد طال عهدُ سُبّاتها  
 متى يكشفُ الإصباحُ عنكِ الدِّياجيا  
 إلى كم تودّين البقاءَ لمعشرِ  
 بقاؤهم يُدني إليكِ التَّلَاشيا  
 ثلاثةٌ أجيالٌ تقضتْ وأنتمُ  
 تُسامون منهم ما تُسامُ المواشيا  
 أما إن أن يسترجع التَّاجُ أهلهُ  
 ويسترجع التَّاجُ المهابةَ ثانيا  
 متى كان (جنكيزُ) لقطحان سيِّداً  
 فيُمسي بنو هذا لِذاك مواليا؟



ويا عقلاء العُربِ هذا زمانُكمُ  
 فكونوا لمن ضلَّ المحجَّةُ، هاديا<sup>١</sup>  
 إذا عذر الأعمى الورى في ضلاله  
 فلا يعذرون الناظر المُتعاميا  
 أرى ظُلُماتٍ مُطَبِّقاتٍ حوالِكَا  
 فإن تطلَّعوا فيها رأيتُ الدُّرَايا<sup>٢</sup>  
 غداً ينشرُ التاريخُ عنكمُ حديثه  
 ويتلو الذي يتلوه ما كان خافيا  
 فإن شئتُم أمسى عليكمُ محامداً  
 وإن شئتُم أمسى عليكمُ مساويا



ويا أيُّها الجالون إن بلادكمُ  
 تُناديكمُ لو تسمعون مُناديا

---

(١) المحجة الطريق المقصودة

لقد عَقَدَتْ فِيهَا الْخُطُوبُ عَجَاجَةً  
 وَسَاقَ عَلَيْهَا جَيْشُهُ الْجُوعُ غَازِيَا<sup>(١)</sup>  
 وَبَاتَ نَوُوكُمْ يَجْهَلُونَ مَصِيرَهُمْ  
 كَأَنَّهُمْ مَاءٌ أَضَاعَ الْمَجَارِيَا  
 مِنَ الْعَارِ أَنْ يَغْشَى الرُّقَادُ جُفُونَكُمْ  
 عَلَى حِينٍ يَغْشَى الدَّمْعُ تِلْكَ الْمَقِيَا  
 مِنَ الْعَارِ أَنْ يَكْسُو الْحَرِيرُ جَسُومَكُمْ  
 وَلَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ شِدَّةُ الضَّنكِ كَاسِيَا  
 مِنَ الْعَارِ أَنْ يَبْقَى عَلَيْكُمْ جُمُودُكُمْ  
 وَقَدْ بَلَغَتْ تِلْكَ النَفُوسُ التَّرَاقِيَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا الْمَالُ لَمْ يُنْفَقْهُ فِي الْخَيْرِ رَبُّهُ  
 رَاهُ عَلَيْهِ الْعَالَمُونَ مَخَازِيَا  
 إِنْ الْمَرْءُ لَمْ يَسْعَ لْخَيْرِ بِلَادِهِ  
 يَكُنْ كَالَّذِي فِي ضَرْهَا بَاتَ سَاعِيَا

\*\*\*\*\*

---

(١) العجاجة العبار والدخان

(٢) التراقي جمع (الترقوة) العظم الواصل بين ثغرة النحر والكتف

## ٤٤ - أخت البلجيك

[الكامل]

يا لوعة حار النطاسي فيك  
كم يشتكى غيري وكم أخفيك  
إن بُحْتُ بالشكوى فغايه مُجهد  
لم تُبق لي كبداً فاستبقين  
أجناية الطُرف الكحيل على الحشا  
الله حسبي في الدّم المسفون  
ما في الشرائع لا ولا في أهلها  
من يستحل الأخذ من جانبيك  
يا هذه كم تشحذين غراره  
أو ما خشيت حده يؤذيك<sup>١</sup>  
يا أخت ظبي القاع لو أعطيت  
لحظيك صاد الصائديه أخوك  
روحي فدى عينيك مهما جارتا  
في مهجتي وأبي فداء أبيك  
رمتا فكل مصمم ومقوم  
ناب، وكل مسرد وخبيك<sup>٢</sup>  
الله في قتلى جفونك إنهم  
ظلموا نفوسهم وما ظالمون

---

(١) العرار حدّ الرمح

(٢) مسرد مثل تسريد الدرع (تداخل الحلق بعضها في بعض)

ان تُبَصِّرِنِي أَتَّقِي فِتْكَاتِهَا  
 فَلَقَدْ أَصُولُ عَلَى الْقَنَا الْمَشْبُوكِ<sup>١</sup>  
 كَمْ تَجَحِّدِينَ دَمِي وَقَدْ أَبْصَرْتَهُ  
 وَرَدًّا عَلَى خَدِّكَ غَيْرَ مَشُوكِ<sup>٢</sup>  
 رَدِّي حَيَاتِي أَنْهَا فِي نَظَرَةٍ  
 أَوْ زُورَةٍ أَوْ رَشْفَةٍ مِنْ فَيْكِ  
 لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَى قَتِيلِكَ فِي الدُّجَى  
 يَرَعَى كَوَاكِبُهُ وَيَسْتَرْعِيكَ  
 وَاللَّيْلُ مِنْ هَمِّ الصَّبَاحِ وَضُوئِهِ  
 حَيْرَانُ حَيِّرةً عَاشِقٍ مَهْتُوكِ  
 لَعَجِبْتَ مِنْ زُورِ الْوَشَاةِ وَافِكِهِمْ  
 وَمَنْ الَّذِي قَاسَيْتَ فِي حَبِّكَ  
 حَوْلِي إِذَا أَرَحَى الظَّلَامُ سَجُوفَهُ  
 لَيْلَانُ: لَيْلُ دُجَى وَلَيْلُ شُكُوكِ  
 تَمْتَدُّ فِيهِ بِي الْكِبَى وَالْأَسَى  
 مِثْلُ امْتِدَادِ الْحَرْفِ بِالتَّحْرِيكِ  
 مَا لِي إِذَا شِئْتُ السَّلَوُ عَنْ الْهُوَى  
 وَقَدِرْتُ أَنْ أَسْأُوكَ لَا أَسْأُوكِ  
 فُكِّي إِسَارِي أَنْ خَلْفِي أَمَّةٌ  
 مَضْنُوكَةٌ فِي عَالَمِ مَضْنُوكِ  
 وَأَحْبَبْتُ سِدَّ الْقُنُوطِ عَلَيْهِمْ  
 وَالْخَوْفُ كُلُّ مَعْبُدٍ مَسْأُوكِ  
 لَا تَسْأَلْنِي كَيْفَ أَصْبَحَ حَالُهُمْ  
 إِنِّي أَخَافُ حَدِيثَهُمْ يَشْجِيكَ

(١) أراد (التجسير) بمعنى التعريف والإيضاح



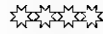
باتوا برغمهم كما شاء العدا  
 لا حزنُهم واهٍ ولا بركُك  
 لا يملكون سوى التحسُّر، إنه  
 جهدُ الضَّعيفِ الواجدِ المفلوك<sup>(١)</sup>  
 تترقرقُ العُبراتُ فوق خدودهم  
 يا من رأى دُرراً بغيرِ سُلوك<sup>(٢)</sup>  
 أخذ العزیز الدَّلَّ من أطواقه  
 والجوعُ يأخذُ مُهجة الصُّعلوك  
 قل للمبذر في الملاهي ماله  
 ماذا تركت لذي الأسى المتَّروك  
 أيبيتُ يشربُ من معين دُموعه  
 وتبيتُ تحسوها كعين الديك؟<sup>(٣)</sup>  
 ويروحُ في أطماره، وتميسُ في  
 ثوبِ لآيام الهناء محوك  
 إن كنت تأبى أن تشاركه سوى  
 نُعمى الحياة فانت غيرُ شريك  
 يا ضرة البلجيك في أحزانها  
 تبكيك حتى أمَّة البلجيك  
 حمَّلت ما يُعيي الشواهِق حمْلُه  
 يا ليت ما حمَّلت في شأنك  
 سلَّ البَغاة عليك حُمُر سَيوفهم  
 لا أنتِ جانبيَّة ولا أهـالوك

(١) المفلوك الفقير، وجمعه مفلوك

(٢) يريد دُرراً لا يتظمها السلك

(٣) شراب صافٍ كعين الديك صافٍ شديد الصفاء

جَنَّ الْقَضَاءُ فَعَالَ حَسَنَكَ قُبْحُهُ  
 وَأَذَلَّ أَبْنَاءَ الطَّعَامِ بَنِيكَ<sup>١</sup>  
 لَا أَشْتَكِي الدُّنْيَا وَلَا أَحْدَاثَهَا  
 هَذِي مَشِيئَةٌ ذِي الْمَشِيئَةِ فَيْكَ  
 لَوْ أَمَلَكَ الْأَقْدَارُ أَوْ تَصَرَّفَهَا  
 لِأَمَرْتُهَا فَجُرْتُ بِمَا يُرْضِيكَ  
 وَلَوْ أَنَّهَا تَدْرِي وَتَعْقِلُ لَانْتَهَتْ  
 تَرْمِي بِأَسْهُمِهَا الَّذِي يَرْمِيكَ  
 إِنْ يَفْتَدِيكَ أَخُو الْغِنَى بِنُضَارِهِ  
 فَبِدْرِهِمِي وَبِمُهْجَتِي أَفْدِيكَ<sup>٢</sup>  
 وَمَنَازِلُ الْبُؤْسَاءِ أَوْلَى بِالنُّدَى  
 وَلَأَنْتِ أَوْلَاهُهَا بِمَالِ نَوِيكَ



يَا أُمَّةً فِي الْغَرْبِ يَنْعَمُ شَطْرُهَا  
 رَفِيقًا بِشَطْرِ بَائِسٍ مِّنْهُوَكَ  
 جَادَتْ عَلَيْكُمْ، قَبْلَ مَا كُنْتُمْ، بِكُمْ  
 جُودُوا بِبَعْضِ الْعَسْجَدِ الْمَسْبُوكِ!!<sup>٣</sup>




---

(١) الطَّعَامِ الْأَوْغَادِ

(٢) النُّضَارِ الذَّهَبِ

## ٤٥ - بين الضحك واللعب

[السريع]

أعطيتُ من أعشَقُّها وردةً  
من بعد أن أودعْتُها قلبي  
فجعلتُ تنثر أوراقها  
بأنملٍ كالغنم الرطْبِ  
لا تسألوا العاشق عن قلبه  
قد ضاع بين الضحك واللعب  
\*\*\*\*\*

لم أقطِفِ الوردَ من عُصنها  
لو لم تكن كالخد في الإتقاد  
ولم تُمزقْ هندُ أوراقها  
لولا اشتباهُ بينها والفؤاد!..

\*\*\*\*

---

(١) الغنم شجر أغصانه لينة، يُشبه به بنان المرأة

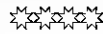
## ٤٦ - أمة تفتنى وأنتم تلعبون

[الرمل]

أُعلى عيني من الدمع غِشاءً  
أم على الشمس حجابٌ من غمام؟  
غاض نور الطُرف أم غارت ذُكاء  
لست أدري غير أني في ظلام



ما لنفسي لا تُبالي الطُربا  
أين ذاك الزهُو، أين الكلف؟  
عجبا ماذا دهاها عجبا  
فهي لا تشكو ولا تستعطف  
ليتها ما عرفت ذاك النُّبا  
فالسعيد العيش من لا يعرف  
لا ابتسام الغيد، لا رقصُ الطلاب<sup>(١)</sup>  
يتصبَّها ولا شدو الحمام  
بالكرى عني وبني عنه جفاء  
أنا وحدي... أم كذا كلُّ الأنام؟



لا أرى لي من همومي مهربا  
فهي في هذا وذِيَاك الطريق  
في الرُّبَا فوق الرُّبَا تحت الرُّبَا  
في الفضاء الرَّحْب، في الروض الأنيق

---

(١) يريد الطلاب الحمراء

في اهتزاز العُصْنِ في نَفْحِ الصَّبَا  
في انسجام الغيثِ في لمح البروق<sup>(١)</sup>  
كلما أومض برقٌ أو أضاء  
بتُّ أشكو في الدجى وقع السَّهَامِ  
في ابتسام الفجر للمرضى شفاءً  
وابتسام الفجر فيه لي سقامٌ  
❖❖❖❖❖

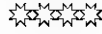
تعتريني هِزَّةٌ كالكَهْرِبَا  
كلما حنَّ مشوقٌ لِمَشْوِقٍ  
علَّمتْ عيني السُّهاد الكوكبا  
وفؤادي علَّم البرق الخُفُوق  
ما دعوتُ الدَّمْعَ إلا انسكبا  
يا دُموعي أنت لي أوفى صديق  
لم أر كالْيأس يغري بالبكاء  
لا ولا كالدمع يشفي المستهام  
فاستعينوا بالبكا يا تُعَسَاءُ  
كلما اشتدَّت بكم نارُ الهَيَام  
❖❖❖❖❖

خِلْتُ قلبي بالأسى منفردا  
وأنا وحدي صريعُ الحنِّ  
وتوهمتُ الأسى لن يجد  
سكناً في غير قلبي المُنْخَن  
وظننتُ الدهرَ مهما حَقدا  
سوف لا يفجعُني في وطني

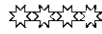
---

(١) الصَّبَا الريح الندية (القادمة من نجد، في الأصل)

فإذا تلك المغاني في شقاء  
وإذا كلُّ فـواـدٍ في ضـيـرام  
ذهبت كلُّ ظنوني في الهواء  
وتولت مثل أضغاث المنام



لا تلمني إن أنا لمت القضا  
ولم الدهر الذي أخنى علي  
لم تدع في الليالي غرضاً  
والضنى لم يُبق مني غير في  
لا تسألني: أي خطب عرضاً  
في الحشا وجد وفي المقول<sup>١</sup> عي  
فل غربي سالب السيف المضأ<sup>٢</sup>  
والشذا الزهرة والعقد النظام  
وإذا ما غلب اليأس الرجاء  
هانت الشكوى ولم يجد الكلام

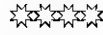


صرت لكن مثلاً لما شاء الكمد  
شاعراً من مقلتي أرتجل  
صد ما كان بنفسه عنه صد  
وتجافاني الكلام المرسل  
عقد الحزن لساني فانعقد  
أي سيف ما اعتراه الفل؟

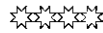
---

(١) المقول اللسان والعَي انحباس الكلام

بي هموم كُأما لاح الضياءُ  
ضربت فوق عيوني بإثام  
وشجون كُأما جن المساء  
قطعت بين جُفوني والنام



لا أرى غير خيالاتٍ تسيّرُ  
مُهطعاتٍ<sup>١</sup> عن يساري واليمين  
فوق أرضٍ من دماءٍ وسعيرُ  
في فضاءٍ من هموم وشجون  
عجباً.. أين ابتساماتُ الثغورِ  
ما لقومي كُأهم باكٍ حزين  
كلُّ ما أسمع نوحٌ وبكاءُ  
كلُّ ما أبصرُ صرعى ورمام  
زلزلت زلزالها هذي السماءُ  
أم ترى فضت عن الموتى الرجاءُ<sup>٢</sup>



وقع الأمر الذي لا يُدفعُ  
وجنى الجاني على تلك الربوع  
واحتواها نهمٌ لا يشبعُ  
فاحتوى سكانها خوفٌ وجوع  
فهي إما بمنه أو بالقعُ  
وهمٌ إما قتيلٌ أو صريع

---

(١) أهطع في السير أسرع

ان شكتْ قالت على الدُّنيا العَفَاءُ  
أو شكوا قالوا على الناس السَّلامُ  
عبث الإنسان فيها والقضاءُ  
أه من جور الليالي والطُّغَامُ<sup>١</sup>  
❦❦❦❦❦❦

رُبَّ طفلٍ طاهرٍ ما أثمًا  
مات موت الأثم المُجْتَرِمِ<sup>٢</sup>  
كان ممن يُرتجى لو سلما  
لأعلا لكانه لم يسلم  
كوكبٌ ما كاد يبلو في السَّما  
طالعاً حتى اختفى كالحلم  
غاض مثل الماء في الأرض الغراء  
ما عهدتُ البدر مثواه الرُّغَامُ<sup>٣</sup>  
هكذا أودت به ريحُ الشَّتَاءِ  
زهرةٌ لم تنفتح عنها الكِمامُ<sup>٤</sup>  
❦❦❦❦❦❦

رُبَّ شيخٍ أقعدته الحادِثاتُ  
ومشى الأبيضُ في لِمَّتِه  
وثناه الضَّعْفُ عن حملِ القنَاةِ  
وعن السَّابِقِ في حَأْبَتِه<sup>٥</sup>  
كان من قبلِ حُلُولِ الكارِثاتِ  
امناً كالنُّسْرِ في وُكْنَتِه<sup>٦</sup>

---

(١) الطُّغَامُ الأوغاد والأوباش

(٢) المجترِمُ المرتكب الجرم

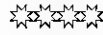
(٣) الرُّغَامُ التراب

(٤) الكِمام غطاء نور الزهرة

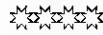
(٥) القنَاة الرمح (والجمع القنا) ويقصد بالسابق الحصان



لاهيأ يذكُر أيام الصِّبَاءِ  
ولياليه وفي الثُّغَرِ ابْتِسَامُ  
حكم العاتي عليه بالفناء  
وأبى المقدور إلا أن يُضَامَ



وفتى كالغصن ريانٌ نضيرٌ  
تحلُمُ الخُودُ به إذ تحلُمُ<sup>(١)</sup>  
وتراه لالهوى بين البُودِ  
فتراه فوقهنَّ الأنجمُ  
ألمعيَّ الذَّهْنِ والقلبِ الكبيرُ  
ملكٌ في بُردتيه ضيِّعُ<sup>(٢)</sup>  
بات لا يقوى على حملِ الرِّداءِ  
منكباه وهو في العشرين عامُ  
مابه عجزٌ ولاداء عياءُ<sup>(٣)</sup>  
غير أن الجوع قد هدد العظامُ



وصغارٍ مثل أفرأخ القطا  
يتضاغون من الجوع الشديدُ<sup>(٤)</sup>  
وهنت أعصابُهُم لما سطا  
والطُّوى يوهن عِزَمَاتِ الأسودِ  
أرأيت العِقدَ إمّا انفِطِطا  
هكذا دمعُهُم فوق الخُودِ

---

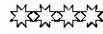
(١) الحُودُ الفتاة البكر

(٢) الضيعم الأسد

(٣) الذاء العياء الصعب الذي يعيي الطبيب

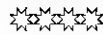
(٤) القطا (ومفرده قطاة) الطائر وضعاً صاح من الألم

زَهَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي شَكْلِ مَاءٍ  
لِلأَسَى، لَهُ مَا أَقْسَى الْحِمَامِ  
يَا رَعَى اللَّهُ نَفُوسَ الشَّهَدَاءِ  
وَسَقَى أَجْدَانَهُمْ صَوْبَ الْعِمَامِ<sup>(١)</sup>



أَيُّهَا الْجَائُونَ عَنْ ذَاكَ الْحِمَى  
إِنْ فِي ذَاكَ الْحِمَى مَا تَعْلَمُونَ  
ضَيْمٌ فِي أَحْرَارِهِ وَاهْتُضِمَا  
وَوَقَفْتُمْ مِنْ بَعِيدٍ تَنْظُرُونَ  
لَا، وَمِنْ شَاءِ لَنَا أَنْ نَنْعَمَا

مَا كَذَا يَجْزِي الْأَبَّ الْبِرَّ الْبَنُونَ  
كُلُّكُمْ يَا قَوْمُ فِي الْبِلَوى سَوَاءٌ  
لَا أَرَى فِي الرُّزْءِ لُبْنَانًا وَشَامَ  
فِي رَبِّا لِبْنَانَ قَوْمِي الْأَصْفِيَاءِ  
وَبَارِضَ الشَّامِ أَحْبَابِي الْكِرَامِ



الْإِيَالِي غَايِيَاتُ رَانِحَةٍ  
بِالدَّوَاهِي وَأَرَاكُمُ تَضْحَكُونَ  
مَا اتَّعَظْتُمْ بِالسَّنِينِ الْبَارِحَةِ  
لَا وَلَا أَنْتُمْ غَدًا مُتَّعِظُونَ  
يَا لَهَوْلِ الْخُطْبِ!... يَا لِفَاحَةِ  
أُمَّةٍ تَفَنَّى وَأَنْتُمْ تَلْعَبُونَ

---

(١) صوب العمام مطرته الناازل

فَادْفِنُوا أَصْغَانَكُمْ يَا زُعَمَاءَ  
يَبْعَثُ اللَّهُ مِنَ الْقَبْرِ الْوَنَامَ  
وَابْسُطُوا أَيْدِيَكُمْ يَا أَغْنِيَاءَ  
أَبْغِضُ السُّحْبَ إِلَى الصَّادِي الْجَهَامِ! ١

\*\*\*\*

---

(١) الجَهَام السحاب الذي لا ماء فيه

## ٤٧ - (في الليل)

### متى يذكر الوطن النوم

[المتقارب]

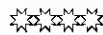
جاست وقد هجع الغافلون  
أفكر في أمسينا والقَد  
وكيف استبد بنا الظالمون  
وجاروا على الشيخ والأمرد  
فخلت اللواعج بين الجفون  
وأن جهنم في مرقدي  
وضاق الفؤاد بما يكتُم

فأرسلت العين مدارها

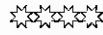


ذكرت الحروب وويلاتها  
وما صنع السيف والمدفع  
وكيف تجور على ذاتها  
شعوب لها الرتبة الأرفع  
وتخضب بالدم راياتها  
وكانت تذم الذي تصنع  
فباتت بما شئدت تهدم

صروح العالم وأسرارها



نَسَاءٌ تَجُودُ بِأَوْلَادِهَا  
عَلَى الْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ لَا يَرْحَمُ  
وَجُنْدٌ تَجُودُ بِأَكْبَادِهَا  
عَلَى الْأَرْضِ، وَالْأَرْضُ لَا تَعْلَمُ  
وَتَغْدُو الطَّيُورُ بِأَجْسَادِهَا  
فَإِنْ عَطِشْتَ فَالْشَّرَابُ الدَّمُ  
وَفِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ مَائَتٌ  
تَشْقُوقُ بِهَا الْغَيْدُ أَزْرَارَهَا



لَقَدْ شَبِعَ الذَّنْبُ وَالْأَجْدَلُ  
وَأَقْفَرَتِ السُّورُ وَالْأَرْبَعُ  
فَكَمْ يَقْتُلُ الْجَحْفَلُ الْجَفْلُ  
وَيَفْفِكُ بِالْأَرْوَعِ الْأَرْوَعُ  
وَلَنْ يُرْجِعَ الْقَتْلُ مَنْ قُتِلُوا  
وَلَنْ يَسْتَعِيدَ الَّذِي ضَاعُوا  
فَبَيْسَ الْأَلَى بِالْوَعَى عَالَمُوا  
وَبَيْسَ الْأَلَى أَجْجُوا نَارَهَا



أَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْلَمَ الْوَاحِدُ  
تُطْلُ الدِّمَاءُ وَتَفْنَى الْأَلُوفُ؟  
وَيُزْرَعُ أَوْلَادُهُ الْوَالِدُ  
لِتَحْصِدَهُمْ شَفَرَاتُ السَّيُوفِ؟  
أَمْوَرٌ يَحَارِبُهَا النَّاقِدُ  
وَتُدْمِي فُؤَادَ الْبَابِيَةِ الْحَصِيفُ  
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَفْهَمُ  
مَعَانِي الْحَيَاةِ وَأَسْرَارَهَا



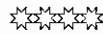
وحولتُ طرفي إلى المشرقِ  
فلم أرَ غيرَ جبالِ الغيومِ  
تحومُ على بدره المشرقِ  
كما اجتمعتُ حولِ نفسي الغُمومِ  
فأسندتُ رأسي إلى مِرْفَقي  
وقلتُ، وقد غلبتني الهُمومِ  
بربك، أيتها الأنجمُ

متى تضعُ الحربُ أوزارها؟



كما يُقتلُ الطيرُ في الجنةِ  
ويُقتنصُ الظبيُّ في السَّبَبِ<sup>(١)</sup>  
كذلك يُجنى على أمتي  
بلا سببٍ وبلا مُوجبٍ  
فحتّامٌ تُؤخذُ بالقوةِ  
ويُقتصُّ منها، ولم تُذنب؟  
وكم تستكينُ وتستسلمُ

وقد بلغ السَّيلُ زَنارها



وسيّقتُ إلى النُّطعِ سَووقَ الغنمِ  
مغاويرُها ورجالُ الأدبِ<sup>(٢)</sup>  
وكلُّ امرئٍ لم يمتِ بالخَنَمِ  
فقد قتلوه بسيفِ السُّغبِ<sup>(٣)</sup>

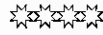
---

(١) السبب: المفازة الواسعة الحالية

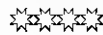
(٢) النطع: بساط من جلد، تقطع فوقه الرؤوس

(٣) الحزم: سرعة القطع، والمخزم: السيف القاطع السعب الجوع

فَمَا حَرَّكَ الضِّمِّ فِيهَا الشَّمَمَ  
وَلَا رَوَّيَةُ الدَّمِّ فِيهَا الغَضَبَ  
تَبَدَّلَتِ النَّاسُ وَالْأَنْجَمُ  
وَلَمَّا تَبَدَّلَ أَطْوَارُهَا



أَرَى اللَّيْثَ يَدْفَعُ عَنْ غِيَّضَتِهِ  
بِأَنْيَابِهِ وَيَأْظِفُ أَفْأَرِهِ  
وَيَجْتَمِعُ النَّمْلُ فِي قَرِيَّتِهِ  
إِذَا خَشِيَ الْغَدْرَ مِنْ جَارِهِ  
وَيَخْشَى الْهَزَارَ عَلَى وَكُنْتِهِ  
فَيَدْفَعُ عَنْهَا بِمَنْقَارِهِ  
فَلَا الْكَاسِرَاتُ وَلَا الضَّيِّغُ  
وَلَا الشَّاةُ تَمْدَحُ جَزَارَهَا



عَجِبْتُ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ  
وَأَهْلُوهَ بَيْنَ الْقَنَا وَالسُّيُوفِ  
يَبْيُتُونَ فِي وَجَلٍ نَاصِبٍ  
فَإِنْ نَصَبُوا أُلْجِئُوا لِكُهُوفِ  
وَمِمَّنْ يُصَفِّقُ لِلضَّارِبِ  
وَأَحْبَابُهُ يَجْرِعُونَ الْحُتُوفَ  
مَتَى يَذْكُرُ الْوَطْنَ النَّوْمُ  
كَمَا تَذْكُرُ الطَّيْرُ أَوْكَارَهَا؟



---

(١) الْوَكْنُ عَشَّ الطَّائِرِ أَوْ مَلُؤَاهُ فِي جَبَلٍ أَوْ جِدَارٍ

## ٤٨ - سقوط أرضروم<sup>١</sup>

[البسيط]

أَعِدْ حَدِيثَكَ عِنْدِي أَيُّهَا الرَّجُلُ  
وَقُلْ كَمَا قَالَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ  
قَدْ هَاجَ مَا نَقَلَ الرَّاوُونُ بِي طَرْبًا  
مَا أَجْمَلَ الرُّسُلُ فِي عَيْنِي وَمَا نَقَلُوا  
فَاجْمَعْ رَوَايَاتِهِمْ وَأَمْلَأْ بِهَا أُذُنِي  
حَتَّى تَرَانِي كَأَنِّي شَارِبٌ ثَمَلٍ  
دَعْ زُخْرُفَ الْقَوْلِ فِيمَا أَنْتَ نَاقِلُهُ  
إِنَّ الْمَلِيحَةَ لَا يُزْرِي بِهَا الْعَطْلُ<sup>٢</sup>  
فَكُلُّ سَمْعٍ إِذَا قَلَّتِ السُّلُوفُ فَمٌ  
وَكُلُّ قَوْلٍ، إِلَيْهِمْ يَنْتَهِي، عَسَلُ  
لَا تَسْقِنِي الرَّاحَ إِلَّا عِنْدَ ذِكْرِهِمْ  
أَوْ ذَكَرِ قَائِدِهِمْ أَوْ ذَكَرِ مَا فَعَلُوا  
هُمْ الْمَسَامِيحُ يُحْيِي الْأَرْضَ جُودَهُمْ  
إِذَا تَنَكَّبَ عَنْهَا الْعَارِضُ الْهَظْلُ<sup>٣</sup>  
هُمْ الْمَصَابِيحُ تَسْتَهْدِي الْعَيُونَ بِهَا  
إِذَا اكْفَهَرَ الدُّجَى وَاحْتَارَتِ الْمُقْلُ

(١) : إيالة شرقي تركية، احتلها الروس لثالث مرة سنة ١٩١٦ خلال الحرب العالمية الأولى، وعنها كتب أبو ماضي

نصه الشعري

(٢) العطل المرأة الحالية من الحلي

(٣) العارض السحاب يعترض في الأفق



هُمُ الْغَزَاةُ بَنُو الصَّيْدِ الْغَزَاةِ بِهِمْ  
 وَبَطَّشَهُمْ بِالْأَعَادِي، يُضْرَبُ الْمَثَلُ  
 قَوْمٌ يَبِيْتُ الضَّعِيفُ الْمُسْتَجِيرُ بِهِمْ  
 مِنْ حَوْلِهِ الْجَنْدُ وَالْعَسَالَةُ الذُّبُلُ<sup>١</sup>  
 فَمَا يُلَمُّ بِمَنْ صَافَاهُمْ أَلَمْ  
 وَلَا يَسُدُّ لِمَنْ عَادَاهُمْ أَمَلُ  
 ❖❖❖❖❖  
 أَيَطْلُبُ التُّرْكُ أَنْ تَعْلُوا أَهْلَتُهُمْ

٢

وَلَا غَرْنَدُقٌ رَأَى مِثْلُ صَارِمِهِ  
 يَزِلُّ عَنْ صَفْحَتَيْهِ الْحَادِثُ الْجَلَلُ<sup>٢</sup>  
 الْمُقْبِلُ الصُّدْرُ، وَالْأَبْطَالُ نَاكِصَةٌ  
 تَحْتَ الْعِجَاجَةِ لَا يَبْدُو لَهَا قُبْلُ<sup>٣</sup>  
 وَالْبَاسِمُ الثُّغْرُ، وَالْأَشْلَاءُ طَانِرَةٌ  
 عَنْ جَانِبَيْهِ، وَحَرُّ الطَّعْنِ مُتَّصِلُ  
 سَعْدُ السُّعُودِ عَلَى السُّؤَالِ طَالِعُهُ  
 لَكِنَّهُ فِي مِيَادِينِ الْوَغَى زُحْلُ<sup>٤</sup>  
 فِي كُلِّ سَيْفٍ سِوَى بَتَّارِهِ فَلَلُ  
 وَكُلُّ رَأْيٍ سِوَى ارَائِهِ زَلْلُ<sup>٥</sup>  
 ❖❖❖❖❖

(١) غسل الرمحُ اهتزَّ والرمح الذابل الدقيق

(٢) عَجَزُ الْبَيْتِ مُحَنُوفٌ فِي سَائِرِ الْمَصَادِرِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَيَبْدُو أَنَّ فِيهِ مُوَاجَهَةً بَيْنَ الْهَلَالِ وَالصُّلَيْبِ وَهِيَ مُوَاجَهَةٌ كَانَتْ عَرَضَ لَهَا أَبُو مَاضِي فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى

(٣) Qrand-DUC، أَمِيرُ الْأَسْرَةِ الْحَاكِمَةُ فِي رُوسِيَّةِ

(٤) الْعِجَاجُ وَالْعِجَاجَةُ الْعِيَارُ وَالْذَّخَانُ أَيْضاً وَالْقَبْلُ عَكْسُ الدُّبُرِ

(٥) زُحْلُ الْكَوْكَبِ الْمَعْرُوفِ، وَيُقَدَّرُ اسْمُهُ الزُّلُّلُ وَالتَّنْحِي، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى يُقَدَّرُ أَبُو مَاضِي

يا ابن الملوك الألى قد شاد واحدهم  
ما لم تُشَيِّدْهُ أَمْلَاكُ وَلَا نُولُ  
وقائد الجيش ما للريح مُنْفَرَجُ  
فيه، ولكن لها من حولها زجل<sup>(١)</sup>  
توهم التُّركُ لِمَا حان حَيُّهُمْ  
أن الألى وتروا إباءهم غفلوا  
حتى طلعت من القوقاس في لجب  
تضيق عنه فِجَاجُ الأرض والسُّبُل  
فأدركوا أنهم ناموا على غرر  
وأنك البدرُ في الأفلاك تَنْتَقِلُ<sup>(٢)</sup>  
يا يوم صَبَّحَتْهُمْ والنَّقْعُ مَعْتَكِرُ  
كأنه الليلُ فوق الأرض مُنْسَدِلُ  
ليلٌ يسير على ضوء السيوف به  
ويهتدي بالصليل الفارسُ البطل  
بكل أروع ما في قلبه خور  
عند الصِّدام، ولا في زنده شلل  
وكلٌ من جردٍ في سَرْجِه أسدُ  
في كَفِّه خِذَم، في حده الأجل<sup>(٣)</sup>  
وكلٌ راعفةٌ بالموتِ هادرة  
كأنها الشاعرُ المطبوعُ يرتجل  
سوداءُ تقذف من فوهاتِها حمماً  
هي الصواعقُ إلا أنها شغل

(١) الزَّجَلُ الصوت

(٢) العرر الحطر

(٣) الحِذَمُ السيف الحاد (الحِذَمُ الحدة)

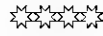
لا تحفظ الدرع منها جسم لابسها  
 ولا ينجي الحصون الصخر والرمل  
 فالبيض تأخذ منهم كيفما انفتلت  
 والدعريم عن فيهم كيفما انفتلوا  
 وكلما وصلوا ما انبت باغتتهم  
 ليث يقطع بالفصال ما وصلوا  
 فأسلموا أرضروما لا طواعية  
 لو كان في وسعهم إمساكها بخلوا  
 كم حوطوها وكم شادوا الحصون بها  
 حتى طلعت فلا حصن ولا رجل  
 وفرقانداهم لما عرضت له  
 كما يفر أمام القشعم الحجل<sup>(١)</sup>  
 ومن يشك بأن الوعل منهزم  
 اذا التقى الأسد الضرعغام والوعل؟  
 لم يقصر الرمح عن إدراك مهجته  
 لكن حمى صدره وقع الظباء، الكفل<sup>٢</sup>  
 تعلم الركض حتى ليس تلاحقه  
 هوج الرياح ولا خيل ولا إبل  
 يخال من رعبه الأطواد راكضة  
 معه وما ركضت قدأمة القل  
 ويحسب الأرض قد مادت مناكبها  
 كذاك يمسح عين الخائف الوجل

---

(١) القشع من النور المسن



لو كان ينشر ميثاً غير بارئه  
نشرت، بعد الردى، أرواح من قُتلوا  
بغى عليهم علوج التُّرك بغيهم  
لم يشحذوا للوغى سيفاً ولا صقلوا  
خانوهم وأذاعوا أنهم نقر  
خانوا البلاد بما قالوا وما عملوا  
يا الطغام! ويا بهتان ما زعموا  
متى أساء الى ذي المِخْلَبِ الحمل؟  
هَبُوا الرجال لأمر أحدثوا حدثاً  
فما الذي جنت العذراء والطِفْل؟  
أجدكم، كلُّما جَوْ خلا، أسد  
وجدكم، كلُّما شَبَّتْ وغى، تُعل؟<sup>١</sup>  
قد جاء من يمنع الضعفى ويرغمكم  
أن تحملوا عنهم النير الذي حملوا  
أمنت أرمينيا مما تُحاذره  
فلن تعيث بها الأوغاد والسُّفل



ظنوك في شغل حتى دهمتهم  
فأصبحوا ولهم عن ظنهم شغل  
مرقت جمعهم تمزيق مقتدر  
على المهتد، بعد الله، يتكل  
فهم شرانم خيرى لا نظام لها  
كانهم نور الأفاق أو همل<sup>٢</sup>

(١) فعالة وتُعل أنثى الثعالب

(٢) النور الأوباش والهمج والهمل المتروكون سدى

أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ عَارٍ لَا تُطَهَّرُهُ  
 نَارُ الْجَحِيمِ وَلَوْ فِي حَرِّهَا اغْتَسَلُوا  
 جَاوَيْدُ فَوْقَ فَرَاشِ الذَّلِّ مَضْطَجِعُ  
 وَ طَلَعَتْ بَرْدَاءُ الْخَوْفِ مُشْتَمِلٌ<sup>١</sup>  
 أَتَسْتَقِرُّ جَنُوبُ فِي مَضَاجِعِهَا  
 وَفِي مَضَاجِعِهَا الْأَرْزَاءُ وَالْغِيلُ؟  
 وَتَعْرِفُ الْأَمْنَ أَرْوَاحُ تَرْوَعُهَا  
 ثَلَاثَةٌ: أَنْتِ وَالنَّيِّرَانُ وَالْأَسْلُ؟  
 لَوْلَمْ تَقَاتِلْهُمْ بِالْجَيْشِ قَاتِلَهُمْ  
 جَيْشُ بَغِيرِ سِلَاحٍ اسْمُهُ الْوَهْلُ<sup>٢</sup>  
 أَجْرِيَتْ خَوْفِ الْمَنَايَا فِي عُرُوقِهِمْ  
 فَلَنْ يَعِيشَ لَهُمْ نَسْلٌ إِذَا نَسَلُوا  
 قَدْ مَاتَ كَهْلُهُمْ مِنْ قَبْلِ مَيَّتَتِهِ  
 وَشَاخَ نَاشِئُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَكْتَهَلِ  
 وَقَدْ ظَفَرَتْ بِهِمُ وَالرَّأْسُ مُشْتَعَلُ  
 كَمَا ظَفَرَتْ بِهِمُ وَالْعَمْرُ مُقْتَبِلُ  
 فَتَحَّ تَهَلَّلَتِ الدُّنْيَا بِهِ فَرْحًا  
 فَكُلْ رُبْعٌ، خَلَا أَسْتَانَةُ جَذَلِ<sup>٣</sup>  
 الشَّعْبُ مَبْتَهَجٌ، وَالْعَرْشُ مَغْتَبِطُ  
 وَرُوحُ جَدِّكَ فِي الْفَرْدُوسِ تَحْتَفِلُ!..

\*\*\*\*\*

(١) (جاويد) و (طلعت) من رجال الترك، ومن رجال حزب تركية الفتاة رأس الثاني الوزارة التركية ١٩١١ ١٩١٨

(٢) الوهل الحوف والفزع

(٣) الأستانة دار الخلافة (استانبول)

## ٤٩ - سبيل التوحيد

[البسيط]

ما كان أحوج سورياً إلى بطلٍ  
يردُّ بالسيف عنها كلَّ مُقتَرِسٍ  
ولا يزال بها والسيفُ في يده  
حتى يطهرها من كلِّ ذي دنسٍ  
ويجعل الحبَّ بين القاطنين بها  
دينٌ يقرب بين البيتش والقدس  
حتى أرى ضارب الناقوس يطربهُ  
صوت الأذنين<sup>١</sup>، وهذا رنة الجرس

\*\*\*\*

---

(١) الأذنين والأذان واحد

١٩١٦-٥٠

[الكامل]

كم، قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ، وَلَّى جِيلٌ  
هِيَهَاتَ، لَيْسَ إِلَى الْبَقَاءِ سَبِيلٌ  
ضَحَكَ الشَّبَابُ مِنَ الْكُھُولِ فَأَغْرَقُوا  
وَاسْتَيْقَظُوا، فَإِذَا الشَّبَابُ كُھُولٌ  
نَأْتِي وَنَمْضِي وَالزَّمَانُ مَخْلُودٌ  
الصَّبِيحُ صَبَحٌ وَالْأَصِيلُ أَصِيلٌ  
حَرٌّ وَقُرَيْبُ الْيَاسَنِ جُسُومُنَا  
لَيْتَ الزَّمَانُ، كَمَا نَحُولُ، يَحُولُ<sup>١</sup>  
إِنَّ التَّحَوُّلَ فِي الْجَمَادِ تَقَلَّصُ  
فِي الْحَيِّ مَوْتُ؛ فِي النَّبَاتِ ذُبُولٌ  
قَفَّ بِالْمَقَابِرِ صَامِتًا مُتَأَمِّلًا  
كَمْ غَابَ فِيهَا صَامِتٌ وَسَوُولٌ  
وَسَلَّ الْكَوَاكِبُ كَمْ رَأَتْ مِنْ قَبْلِنَا  
أُمَمًا، وَكَمْ شَهِدَ النُّجُومُ قَبِيلٌ<sup>٢</sup>  
تَتَبَدَّلُ الدُّنْيَا تَبَدُّلَ أَهْلِهَا  
وَاللَّهُ لَيْسَ لِأَمْرِهِ تَبْدِيلٌ  
❖❖❖❖❖  
يَا طَالِعَا لَفْتَ الْعَيُونَ طُلُوعَهُ  
بَعْدَ الطُّلُوعِ، وَإِنْ جَهِلْتُ، أَقُولُ

---

(١) حال يحول انقلب عن حاله الأولى



عطفاً ورفقاً بالقلوب، فإنما  
 حَقُّدُ القلوبِ على أخيك طويل  
 أنظر! فوجه الأرض أغبرُ شاحبٌ  
 واسمع! فأصواتُ الرياح عويل  
 ومن الحديد صواعقٌ، ومن العجا  
 جِ غمانٍ، ومن الدماء سَيول  
 ما كنتُ أعلمُ قبلما حمسَ الوغى  
 أن الضواري والأنام سُكول<sup>١</sup>  
 يا أرض أوربأ ويا أبناءها  
 في عُنُقٍ من هذا الدَّمِ المَطْلُولِ؟  
 في كل يومٍ منكم أو عنكم  
 نبياً تجيء به الرواة مهول  
 مزقتم أقسامكم ومهودكم  
 ولقد تكون كأنها التنزيل  
 وبعثتم الأطماع فهي جحافلُ  
 من خلفهن جحافلٌ وخيول  
 ونشرتُم الأحقاد فهي مدافعُ  
 وقذائفُ وأسِنَّةٌ ونُصول  
 لو لم تكن أضغانكم أسيافكم  
 أمسى بها، مما تُسام، فلول  
 علمتم عِزَّيِل في هذي الوغى  
 ما كان يجهل علمه عِزَّيِل  
 إن كان هذا ما يُسمى عندكم  
 علماً، فأين الجهلُ والتَّخْلِيل

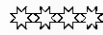
(١) حمس الوغى اشتد القتال

ان كان هذا ما يسمى عندكم  
 ديننا فآين الكُفْرُ والتَّعْطِيلُ  
 عوداً الى عصرِ البِدَاوَةِ، إنه  
 عصرٌ، جميلٌ أن يُقالَ جميل  
 قابيلُ، يا جدَّ الوري، نم هانئاً  
 كلَّ امرئٍ في ثوبه قابيل  
 لا تفخروا بعقولكم وبتأجها  
 كانت لكم، قبل القتال، عُقول  
 لا أنتم أنتم ولا أرباضكم  
 تلك التي فيها الهناء يقيل<sup>١</sup>  
 لا تطالبوا بالمرهفات دُحولكم  
 في نيلها بالمرهفات دُحول<sup>٢</sup>  
 ان الأنام على اختلاف لغاتهم  
 وصفاتهم، لو تذكرون، قبيل  
 يا عالمنا! هل فيك ثَمَّةٌ مَطْمَعُ  
 بالسُّلْم أم هذا الشُّقَاء يطول  
 مرّت عليها حِجَّتَانِ ولم تزلْ  
 تتلو الفصولَ مشاهدٌ وفُصول  
 لم يعشقِ الناسُ الفناء وانما  
 فوق البصائر والعُقول سُدُول  
 أنا ان بسمتُ، وقد رأيتك مقبلاً  
 فكما يهش لعانديه عليل  
 واذا سكنتُ الى الهموم فمثلاً  
 رضي القيود الموثقُ المكبُول

(١) الرِّبْض ما يكون من حول المدن وقال يقيل من القيلولة

(٢) الدُّحُل الحقد والعداوة

لا يستوي الرجلان، هذا قلبه  
 خال، وهذا قلبه (مجبول)<sup>١</sup>  
 لا يخدعن العارفون نفوسهم  
 ان المخادع نفسه لجهول  
 في الشرق قوم لم يسألوا صارماً  
 والسيف فوق رؤوسهم مسلول  
 جهلوا ولم تجهل نفوسهم الأسى  
 أشقى الأنام العارف المجبول<sup>٢</sup>  
 أكبادهم مقروحة كجفونهم  
 وزفيرهم بأنينهم موصول  
 أما الرجاء، وطالما عاشوا به  
 فالدمع يشهد أنه مقتول  
 واليأس موت غير أن صريعه  
 يبقى، وأما نفسه فتزول  
 رياه، قد بلغ الشقاء أشده  
 رَحْمَاكَ ان الراحمين قليل



في الله والوطن العزيز عصابة  
 نُكَبُوا، فذا عانِ وذاك قتيل  
 لو لم يمت شَمُّ النفوس بموتهم  
 ثار الشَّمُّ، لموتهم، والنيل  
 يا نازحين عن الشَّمِّ تذكروا  
 من في الشَّمِّ وما يليه نزول

(١) اضطراب في الأصل، وأقرب الكلمات إلى المعنى الذي يريده الشاعر كلمة (مجبول) بالهموم

هَمُّ الْمَالِكِ فِي الْجِهَادِ، وَهَمُّكُمْ  
قَالَ تَسِيرُ بِهِ الطُّرُوسُ وَقِيلَ  
هَبُّوا : اَعْمَلُوا لِبِلَادِكُمْ وَلِنَسْلِكُمْ  
بِئْسَ الْحَيَاةُ سَكِينَةً وَخُمُولُ  
لَا تَقْبِضُوا الْأَيْدِيَ فَهَذَا يَوْمُكُمْ  
شَرُّ الْوَرَى جَعَدُ الْبَنَانِ بِخَيْلٍ<sup>(١)</sup>  
وَعَدُ الْأَكَلَةِ الْحَسَنِينَ بِبِرِّهِ  
وَكَمَا عَلِمْتُمْ، وَعَدُهُ تَنْوِيلُ

\*\*\*\*\*

---

(١) الْبَنَانُ الْجَعْدُ كَنَاءَةٌ عَنِ الْبُخْلِ

## ٥١ - ما للكواكب

[الكامل]

شوقُ يروحُ مع الزمانِ ويغتدي  
والشُّوقُ، إنَّ جدَّتَهُ يتجددُ  
دعْ عنكَ نُصحي بالتبَلُّدِ ساعةً  
يا صاح، قد ذهب الأسي بتبَلُّدي  
ما زاد في أسفِ الحزينِ وشجَّوه  
شيءٌ كقولك للحزين: تجلِّدُ!  
ما زلتُ أعصيه إلى أن هاجني  
ذُكْرُ الحمى فعصيتُ كلَّ مُفَنِّدٍ<sup>١</sup>  
وأطار عن جفني الكرى وأطارني  
عن مرَّقدي مشيُّ الهمومِ بمرَّقدي  
في جناحٍ ليلٍ مثل حظِّي حالكِ  
كالبحرِ ساجٍ... مقفرٍ كالغدْفِ<sup>٢</sup>  
أقبلتُ أنظرُ في النُّجومِ مصعداً  
عينيَّ بين مصوَّبٍ ومُصعدٍ  
أو واجفٍ أو راجفٍ مترجرجٍ  
أو نافِرٍ أو حائرٍ متردِّدٍ  
يمشين في هذا الفضاءِ وفوقه  
وكانما يمشين فوق الأكْبِدِ

(١) التفتيد اللوم وتضعيف الرأي

(٢) سجا امتدَّ وسكن والغدْفُ المفارقة الواسعة الحالية

والبدر منبعت الشعاع لطيفه  
 صاف كذهن الشاعر المتوقد  
 ما زال ينقذ في الدجى حتى استوى  
 فيه، فيا لك أبيضاً في أسود  
 والشهب تلمع في الرقيع كأنها  
 أحلام أرواح الصغار الهجد  
 ينظرون عن كثب إليه خلسة  
 نظر الملاح إلى الغرير الأمرد<sup>١</sup>  
 فعجبت ممن نام ملء جفونه  
 والكون يشهد مثل هذا المشهد  
 ورأيتني فوق الغمام محاقاً  
 في الأفق ما بين السها والفرقد  
 فسمعت صوتاً من بعيد قانلاً  
 يا أيها الساري مكانك تحمد  
 ما دمت في الدنيا فلا تزهد بها  
 فأخو الزهادة ميت لم يأخذ  
 لا تقنطن من النجاح لعثرة  
 ما لا ينال اليوم يدرك في غد  
 كم اكل ثمراً سقاه غيره  
 دمه، وكم من زارع لم يحصد  
 لو كان يحصد زرعه كل امرئ  
 لم تخلق الدنيا ولم تتجدد  
 بالذكر يحيا المرء بعد مماته  
 فانهض إلى الذكر الجميل وخلد

(١) العزيز والعز الشاب الذي لا تجربة له

فلئن ولدت ومُتَّ غير مخلَّد  
 أثراً فأنْتَ كأنما لم تولد  
 حتّام في لا شيء يقتتل الورى  
 ان الحمام على الجميع بمرصد  
 طاشت حُلوم المالكين، فذاهلُ  
 لا يستفيقُ، وحائرُ لا يهتدي  
 وأفقتُ، إذ قطع الكلام مكّامي  
 فنظرتُني فإذا أنا لم أصعد  
 ❖❖❖❖❖

ما لكواكب لا تنام ولا تني  
 قد طال سُهدك يا كواكبُ فارقُدي  
 كم تنظرين الى الثرى من حالقٍ  
 ما في الثرى لأخي الأسى من مُسعدٍ  
 أو ما ترينني عندما اشتدَّ الدجى  
 واشتدَّ دائي نام عني عُودي  
 حتى لقد كاد القريضُ يعُوقني  
 ويصونُ عني ماءه وأنا الصّدي  
 أمسى أهُمُّ به ويظلعُ خاطري  
 فكأنما أنا ماتح من جأمد<sup>(١)</sup>  
 لا تسأليني لمّ شهدتُ فإنني  
 لو كان في وسعي الكرى لمّ أسهد  
 صرفتُ يدُ البلوى يدي عن أمرها  
 ما خلتُ أمري قطُّ يخرجُ من يدي  
 في أضلعي نارُ أذابت أضلعي  
 ومشيتُ الى كيدي ولمّا تخمد

(١) ظلع عرج وغمز في مشيته ومتح الدلو جذبه إليه ليستقي منه

أخشى على الأحشاء من كتمانها  
وأخاف أن أشكو في شمت حسدي  
~~~~~  
ومليحة لاهند من أسمانها  
كلا، وليست كالحسن الخرد  
نشز الجواري، والإماء تمررت  
وونت فلم تنشز ولم تتمرد  
في النفس منها ما بها من دهرها  
أزكى السلام عليك أرض الموعد  
يا ليت شعري كم أقول لها: انهضي  
وتقول أحداث الزمان لها: اقعدي  
ليس الذي لاقته هيئنا إنما  
حمل الأذى هيئ على المتعود!

\*\*\*\*



## ٥٢ - الحاجة إلى الخرس

[البسيط]

ما كان أَحْوجَني يوماً إلى أُنْزِ  
صَمَاءٍ إلا عن المَحْبُوبِ ذي الأُنْسِ  
كي لا يُصْدَغَ رأسي صوتُ نائحةٍ  
ولا تُقَطَّعَ قلبي أنَّهُ التُّعْسُ  
ولا يمررَ نفسي الأدعياءَ ولا  
ذمَّ الأفاضلِ من ذي خِسَّةٍ شرسِ  
أقولُ هذا عسى حُرٍ يقولُ معي:  
ما كان أَحْوجَ بعضِ الناسِ للخرسِ!

\*\*\*\*

## ٥٣ - البغضاء<sup>١</sup>

(معربة)

[السيط]

لأنَّ بَغْضُ الرُّوسِ لَكُنْ لَا نُحِبُّهُمْ  
فَحَرَبْنَا حَرْبَ أَقْرَانٍ لِأَقْرَانٍ  
وَلَا الْفَرَنْسِيِّسَ مَا هُمْ بِالْعُدَاةِ لَنَا  
لَكِنَّهُمْ غَيْرُ أَصْحَابٍ وَاخْوَانٍ  
إِنَّا نَبَادِلُهُمْ وَالنَّقْعُ مِّنْ سِدْلِ<sup>٢</sup>  
طَعْنَا بِطَعْنٍ وَنِيرَانًا بِنِيرَانٍ<sup>٣</sup>  
وَذِي بِيَارِقُنَا فِي الْفُوجِ خَافِقَةٌ<sup>٤</sup>  
وَجَيْشُنَا ظَافِرٌ فِي كُلِّ مِيدَانٍ<sup>٥</sup>  
قُلُوبُنَا لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ مُوجِدَةٍ  
نُو الشَّيْبِ فِيهَا وَفَحْمُ الشَّعْرِ سَيَّانٍ  
نَهْوَى وَنَحْنُ جَمُوعٌ لَا عِدَادَ لَهَا  
كَوَاحِدٍ وَكَذَا نَقْلِي<sup>٦</sup> كِإِنْسَانٍ  
عِدُونَنَا وَاحِدٌ، الْكُلُّ يَعْرِفُهُ  
ذَاكَ الْحَسُودُ الْخَبِيثُ الْمَاكِرُ الشَّانِي

(١) وردت الملاحظة التالية في الديوان الأصل : هي القصيدة المشهورة التي نظمها الشاعر الألماني : ارنست ليسوار : في غضون الحرب، فكان لها في ألمانيا نوي ورنين وقد نال ناظمها من إمبراطوره وساماً عالمياً من نوع الصليب الحديدي : دلالة على الاستحسان والرضا ولما كانت هذه القصيدة قد نقلت إلى أكثر اللغات فقد اقترحت جريدة : مرآة العرب : اليومية على صاحب الديوان أن ينقلها إلى عالم الشعر العربي ففعل : أحسبه يسقطها على ( الأتراك العثمانيين )

(٢) النقع غبار المعارك

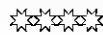
(٣) الفُوج Vosges جبال في شرقي فرنسا، تمتد إلى ١٢٠ كم، كانت ساحة لمعارك كبيرة في الحرب العالمية الأولى

(٤) قلاه يقلبه أبعضه (والاسم القلي)

تَرَبُّنَا عَنْهُ أَمْوَاجٌ يَلُودُ بِهَا  
 سَمِيكَةٌ كَالنَّجِيعِ<sup>(١)</sup> الْيَاسِرِ الْقَانِي  
 أَرَى بِهِ، وَهُوَ فِي الطُّوفَانِ مَخْتَبِيٌّ،  
 طُوفَانٌ غَيْظٌ تَوَارَى خَلْفَ طُوفَانٍ  
 قَدْ أَصْبَحَ الْمَاءُ يَحْمِيهِ وَيَمْنَعُهُ  
 الْوَيْلُ لِلْمَاءِ مَنَّا، إِنَّهُ جَانٍ  
 قِفُوا أَمَامَ الْقَضَاءِ الْعَدْلِ كَأَنَّكُمْ  
 وَلِيَحْلِفَنَّ يَمِينُنَا كُلُّ الْمَانِي  
 غَلِيظَةٌ كَالْحَدِيدِ الصُّلْبِ، صَارِمَةٌ  
 كَالْمَوْتِ، تَبْقَى لِأَدَهَارٍ وَأَزْمَانٍ  
 أَنْ تُبْغِضَ الْبُغْضُ لَا تَبْلَى مِرَائِرُهُ  
 وَلَا يُقَاسُ وَلَا يُحْصَى بِمِيزَانٍ  
 وَأَنْ نَرُدَّهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ  
 وَأَنْ نَكْرِرَهُ تَكْرِيرَ الْحَانِ  
 وَأَنْ نُعَلِّمَ مَنَّا كُلَّ ذِي كَبَدٍ  
 أَنْ يُبْغِضَ الْقَوْمَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ  
 بَغْضًا إِلَى نَسْلِنَا بِالْإِرْثِ مَنْتَقِلًا  
 إِلَى بَنِيهِمْ وَمِنْ جِيلٍ إِلَى ثَانٍ  
 عِدُونًا وَاحِدٌ، الْكُلُّ يَعْرِفُهُ  
 ذَاكَ الْحَسُودُ الْخَبِيثُ الْمَاكِرُ الشَّانِي<sup>(٢)</sup>  
 انْكَلْتَرَا  
 أَلَا اسْمَعُوا أَيُّهَا الْأَلْمَانُ وَاعْتَبَرُوا  
 فَاتَّخَذْتُمْ أَهْلَ الْبَابِ وَأَذْهَانَ  
 فِي مَحْفَلٍ جَلَسَ الْقَوَادُ كَأَنَّهُمْ  
 كَمَحْكَمِ الْعِقْدِ أَوْ مَرْصُوعِ بُنْيَانٍ

(١) النجيع دم الجوف

وقام واحدهم والكأس في يده  
 كأنها قيس أو عين غضبان  
 فقال: يا قوم هذا سر يومكم  
 ألا اشربوا : ان سر اليوم سران  
 مقاله فعلت في الجمع فعلتها  
 فأصبحوا وكان الواحد اثنان  
 ما ضربت السيف من ذي مرة بطل  
 ومستطير اللظى من قلب صوان<sup>١</sup>  
 ولا السفينة في التيار جارية  
 ولا الشهاب هوى في إثر شيطان  
 أمضي وأنفذ منها وهي خارجه  
 من فيه كالسهم من أحشاء مرنان<sup>٢</sup>  
 فضاء من كان، في الكأس التي ارتفعت  
 ومن يريد ويعني القائل العاني؟<sup>٣</sup>  
 انكلترا  
 بني بريطانيا نالوا جموعكم  
 واستصرخوا الخلق من انس ومن جان  
 وابنوا المعاقل والأسوار من ذهب  
 واستأجروا الجند من بيض وعبدان  
 مروا أساطيلكم في البحر ترصدنا  
 وترصد البحر من موج وحيتان  
 تالله لا ذي ولا هذي ترديدا  
 اذا رمت دكت البنيان والباني



(١) المرة القوة وشدة العقل

(٢) المرنان القوس الذي يطلق منه السهم

(٣) ضاء الشيء، أثار وأشرف

لَا نُبْغِضُ الرُّوسَ لَكِنْ لَا نُحِبُّهُمْ  
 فَحَرِّبْنَا حَرْبُ أَقْرَانٍ لِأَقْرَانٍ  
 وَلَا الْفِرَنْسِيِّسَ، مَا هُمْ بِالْعُدَاةِ لَنَا  
 لَكِنْهُمْ غَيْرُ أَصْحَابِ وَإِخْوَانٍ  
 إِنَّا نَبَادِلُهُمْ وَالنَّقْعُ مَنَسْدُلُ  
 طَعْنًا بِطَعْنٍ وَنِيرَانًا بِنِيرَانٍ  
 نَأْتِي وَيَأْتُونَ وَالْهَيْجَاءُ قَانِمَةٌ  
 بِكُلِّ مَاضٍ وَفَتْكَاءٍ وَطَعْنٍ  
 لَكِنَّمَا فِي غَدٍ يُرْخِي السَّلَامُ عَلَى  
 هَذِي الْوَفَى وَعَالِيَهُمْ سِتْرٌ نِسْيَانٍ  
 وَيَمْحِي كُلَّ بَغْضٍ غَيْرَ بَغْضِكُمْ  
 فَإِنَّهُ أَمِنْ مَنْ كُلُّ نَقْصَانٍ  
 حَقْدُ الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَا يَزُولُ وَإِنْ  
 زُلْتُمْ وَزُلْنَا وَزَالَ الْعَالَمُ الْفَنَانِي  
 فِي الْأَرْضِ بَغْضُكُمْ وَالْمَاءُ مِثْلُهَا  
 وَالْبَغْضُ فِي الْحَرِّ مِثْلُ الْبَغْضِ فِي الْعَانِي<sup>١</sup>  
 الْكُوْخُ يُبْغِضُكُمْ وَالْقَصْرُ يُبْغِضُكُمْ  
 وَكُلُّ ذِي مُهْجَةٍ مَنَّا وَوَجْدَانٍ  
 نَهْوَى وَنَحْنُ جَمُوعٌ لَا عِدَادَ لَهَا  
 كَوَاحِدٍ، وَكَذَا نَقْلَى كَأَنْسَانٍ  
 عِدُونًا وَاحِدٌ، الْكُلُّ يَعْرِفُهُ  
 ذَاكَ الْحَسُودُ الْخَبِيثُ الْمَاكِرُ الشَّانِي  
 أَنْكَارًا

\*\*\*\*

---

(١) العاني الذليل والأسير

## ٥٤ - حكاية قديمة

[الطويل]

وريت أمريكية خلت ودها  
يدوم، ولكن ما لغانية ود  
صبوت الى هند فلما رأيتها  
سلوت بها هنداً وما صنعت هند  
وأوحت لها عيناي أن صباية  
تلجج في صدري وأحذر أن تبو  
فألقت الى أترابها وتبسّمت:  
أعي سكوت الصب أم صمته عمّد؟  
فقلت: سلام الله، قالت: وبره،  
فقلت: أهزل ذلك القول أم جد؟  
وأمسكت أنفاسي وأرهفت مسمعي  
ففي نفسي جزر وفي مسمعي مدّ  
فقالت: وددنا لو عرفنا من الفتى  
وما يبتغيه؟ قلت: ما يبتغي العبد؟  
له كبد حرّ، وقلب مكلّم  
غلطت، فما للصب قلب ولا كبد  
قتيل ولكن ثوبه كفّن له  
وكل مكان يستريح به لحد  
فإن لم يكن من نظرة تراب الحشا  
فردي عليه قلبه وبه زهد

فَضْرَجَ خَدَّيْهَا احْمَرَارُ كَأَنَّمَا  
تَصَاعَدُ مِنْ قَلْبِي إِلَى خَدَّهَا الْوَجْدُ  
وَقَرَّبَهَا مِنِّي وَقَرَّبَنِي الْهَوَى  
إِلَى أَنْ ظَنَنْنَا أَنَّنَا وَاحِدٌ فَرَدٌ  
وَكَهَرَبٌ رَوْحِينَا فَلَمَّا تَنَهَّدْتُ  
تَنَهَّدْتُ حَتَّى كَادَ صَدْرِي يَنْهَدُ  
وَكَانَ حَدِيثُ خِلَّتْ أَنِّي حَفِظْتُهُ  
فَأَذْهَلَنِي عَنْهُ الَّذِي كَانَ مِنْ بَعْدُ  
❖❖❖❖❖❖❖

أَمَرْتُ فَوَادِي أَنْ يُطِيعَ فَوَادَهَا  
فِيَبْكِي كَمَا تَبْكِي وَيَشْدُو كَمَا تَشْدُو  
وَقُلْتُ لِنَفْسِي: هَذِهِ مَنْتَهَى الْمُنَى  
وَهَذَا مَجَالُ الشُّكْرِ إِنْ فَاتَكَ الْحَمْدُ  
فَإِنْ تَرَعْبِي عَنْهَا، وَفِيكَ بَقِيَّةٌ،  
فَمَا أَنْتَ نَفْسِي إِنَّمَا أَنْتَ لِي ضِدٌّ  
وَمَرَّتْ لَيَالٍ وَالْمُنَى تَجْذِبُ الْمُنَى  
وَقَلْبِي، كَمَا شَاءَتْ، يَلِينُ وَيَشْتَدُّ  
نَرُوحٌ وَنَغْدُو وَاللَّيَالِي كَأَنَّمَا  
وَقُوفٌ لِأَمْرٍ لَا تَرُوحُ وَلَا تَغْدُو  
وَمَا زِلْتُ تَسْتَخْفِي عَلَيَّ عُيُوبُهَا  
إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْغَيُّ وَاتَّضَحَ الرَّشْدُ  
رَأَى الدَّهْرُ سَدًّا حَوْلَ قَلْبِي وَقَلْبِهَا  
فَمَا زَالَ حَتَّى صَارَ بَيْنَهُمَا السَّدُّ  
خُدِعَتْ بِهَا وَالْحُرُّ سَهْلٌ خَدَاعُهُ  
فَلَا طَالَعِي يُمَنِّ وَلَا كَوَكْبِي سَعْدُ

وكنّا تعاهدنا على الموت في الهوى  
فما لبثت إلا كما يلبث الورد  
كأنّي ما الصقتُ ثغري بثغرها  
ولا بات زندي وهو في جيدها عقد  
ولم نشتمل بالليل والحي نائم  
ولم نستتر بالروض والليل مُمتد  
ولا هزنا شدو الحمانم في الضحى  
ولا ضمنا بيت ولم يحونا برد  
❦❦❦❦❦❦

إنّ لاح في فؤدي القتيرُ نكرتني  
أيزهد في الصمصام إن أخلق الغمد<sup>(١)</sup>  
لئن كان لون الشعر ما تعشيقه  
فدم أبيضاً ما دمت يا شعري الجعد  
فلا تشمتني مني فليست بمأمن  
ولا تزهدي فيه، فليس به زهد  
هو الفاتح الغازي الذي لا ترده  
عن الفاتح الغازي قلاع ولا جند  
فلو كان غير الشيب عني صرفته  
ولكن حكم الله ليس له رد  
وان تعرضي عن مفرقي وهو أبيض  
فيا طالما قبلته وهو مُسود  
شفى الله نفسي لا شفى الله نفسها  
ولا غاب عن أجفانها الدمع والسهد

---

(١) القتير الشيب أو أوائله وخلق يخلق بلي (وأخلق أيضاً)



فلا ثغرُها دُرٌّ ولا أُقْحوانَةٌ  
 ولا دمعُها طلٌّ ولا ريقُها شهد  
 ولا قدُّها غصنٌ ولا خيزرانَةٌ  
 ولا خصرُها غورٌ ولا ردفُها نجد  
 ولا وجهُها شمسٌ ولا شعرُها نجى  
 ولا صدُّها حرٌّ ولا وصلُها برد  
 أحبُّ إلى نفسي الردى من لقانها  
 وأجمل في عيني من وجهها القرد؛  
 فإن تلمس الثوب الذي أنا لابسٌ  
 قددتُ بكفي الثوب من قبل ينقد<sup>(١)</sup>  
 وإن تقرب الدار التي أنا ساكنٌ  
 هجرتُ مغانيها ولو أنها الخلد  
 فإن كان غيري لم يزل دينه الهوى  
 فإنني، ولا أخشى الملامه، مرتدٌّ!!

\*\*\*\*\*

---

(١) التقدير من قبل أن ينقد (قدّه شقّه بالطول)

## ٥٥ - لمن الديار

[الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ تَنوحُ فيها الشُّمَّالُ  
ما مات أهْلُها ولم يترحَّلوا  
ماذا عراها، ما دها سَكَّانها  
يا ليت شعري كَبَلوا أم قُتِلوا؟  
مَنَّاها فتمنَّأت في خاطري  
بِمَنَّا لغير الفكرِ لا تتمنَّئ  
تمشي الصُّبا منها برسمِ دارسٍ  
لا رِكْز فيه كانما هي هَوَجْلٌ<sup>(١)</sup>  
وإذا تاملَ زانِرُ آثارها  
شخصتْ إليه كأنها تتأملُ  
أصبحتْ أُنْدَبُ أسدِها وظبَّاءها  
ولطالما أبصرتُني أتغزلُ  
أيامَ أنظرُ في الحمى مُتهلِّلاً  
وأرى الديارَ كأنها تتهلَّلُ  
وأروحُ في ظلِّ الشَّبابِ وأغتدي  
جذلان لا أشكو ولا أتعلَّلُ  
إذ كلُّ طيرٍ صادحٍ مُترنِّمٌ  
إذ كلُّ غصنٍ يانعٍ مُتهدِّلُ  
والأرضُ كاسيةٌ رداءً أخضرًا  
فكأنها ديباجةٌ أو مُخَمَّلُ

---

(١) الرِّكْز الصوت والهَجْل والهَجْلُ المخافة الواسعة

يجري بها، فوق الجُمان من الحصن  
 بين الزبرجد<sup>(١)</sup> والعقيق، الجدول  
 والزهر في الجنات فيأح الشذا  
 يندى الصُّباح متوج ومكَّل  
 والشمس مشرقه يلوح شعاعها  
 خلل الغصون، كما تلوح الأنصل  
 والظل ممدود على جنباتها  
 والماء مغمور به المَخَضوضيل  
 لله كيف تبدلت آياتها  
 من كان يحسب أنها تتبدل؟

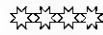


زحف الجراد بقضه وقضيضه  
 سير الغمام إذا زفته الشمال<sup>(٢)</sup>  
 حجب السماء عن النواظر والتري  
 فكانه الليل البهيم الأليل<sup>(٣)</sup>  
 من كل طيار أرق جناحه  
 لفح الحرور وطول ما يتنقل  
 عجل إلى غاياته مستوفز  
 أبدا يشد العجز منه الكلل<sup>(٤)</sup>  
 خشن الإهاب كأنه في جوشن  
 وكانما في كل عضو منجل<sup>(٥)</sup>

(١) الزبرجد الزمرد  
 (٢) زفته دفعته ربح الشمال  
 (٣) الأليل الممتد الطويل  
 (٤) الكلل الصدر  
 (٥) الجوشن الدرع



أَمَسْتُ سَمَآؤَهُمْ بِغَيْرِ كَوَاكِبٍ  
 وَلَقَدْ تَكُونُ كَأَنَّهَا لَا تَأْفُلُ  
 يَمْشُونَ فِي نَوْرِ الضُّحَى وَكَأَنَّهُمْ  
 فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَالِكٍ لَا يَنْصُلُ<sup>١</sup>  
 فَإِذَا اضْمَحَلَّ النُّورُ وَاعْتَكَرَ الدُّجَى  
 فَالْخَوْفُ يَعْلُو بِالصُّدُورِ وَيَسْفُلُ  
 يَتَوَسَّلُونَ إِلَى الظُّلُومِ وَطَالَمَا  
 كَانَ الظُّلُومُ إِلَيْهِمْ يَتَوَسَّلُ  
 أَمَسَى الدَّخِيلُ كَأَنَّهُ رَبُّ الْحَمَى  
 وَابْنُ الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مُتَطَفِّلُ  
 يَقْضِي، فَهَذَا فِي السَّجُونِ مُغَيَّبُ  
 رَهْنٌ، وَهَذَا بِالْحَدِيدِ مُكْبَلُ  
 وَيَرَى الْجَمَالَ كَأَنَّمَا هُوَ لَا يُرَى  
 وَيَرَى الْعَيُوبَ كَأَنَّمَا هُوَ أَحْوَلُ  
 حَالٌ أَشَدُّ عَلَى النُّفُوسِ مِنَ الرَّدَى  
 الصَّابُ شَهِدٌ عِنْدَهَا وَالْحَنْظَلُ<sup>٢</sup>



مَا لِي أَنْوَحُ عَلَى الْبِلَادِ كَأَنَّمَا  
 فِي كُلِّ أَرْضٍ لِي أَخٌ أَوْ مَنَزَلُ  
 يَا لَيْتَ كَفًّا أَضْرَمْتُ هَذِي الْوَغَى  
 يَبْسُتُ أَنْامُلُهَا وَشَلُّ الْمِفْصَلِ  
 تَتَحَوَّلُ الْأَفْلاكُ عَنْ نُورَانِهَا  
 وَالشَّرُّ فِي الْإِنْسَانِ لَا يَتَحَوَّلُ

(١) نَصَلُ ظَهْرُ وَخَرَجَ

(٢) الصَّابُ عَصَاةُ شَجَرٍ مَرٍّ (الْمُفْرَدُ صَابَةٌ)

ما زال حتى هاجها من هاجها  
 حرباً يشيب لها الرضيع المَحُول<sup>(١)</sup>  
 فالشُّرْقُ مُرتَعِدُ الفرائصِ جازعُ  
 والغربُ من وقعَاتِها مُتزلزل<sup>(٢)</sup>  
 والأرضُ بالجُرْدِ الصُّوَاهِلِ والقنا  
 ملأى تجيش كما تجيش المِرْجَلِ  
 والطُّودُ افاتُ تلوح وتختفي  
 والسَّهْلُ أرصادُ تجيء وتَقْفُلُ  
 والجوُّ بالنُّقْعِ المُنْثَارِ ملثمٌ  
 والبحرُ بالسُّفُنِ الدُّوَارِعِ مُثْقَل<sup>(٣)</sup>  
 في كلِّ منفرجِ الجوانبِ جَحْفَلُ  
 لَجِبٌ يُنَازِعُهُ عليه جَحْفَلُ  
 مات الحنانُ فكل شيءٍ قاتلُ  
 وقسا القضاءُ فكلُّ عضوٍ مَقْتَلُ  
 فمُعْقَرٌ بِثِيَابِهِ متكفَّنُ  
 ومُجْرَحٌ بِدَمَانِهِ مُتَسَرِّبِلُ  
 كم ناكصٍ عن مَازِقِ خَوْفِ الرَّدَى  
 طلع الردى من خلفه يتصاَصِلُ<sup>(٤)</sup>  
 شَقِيَّ الجميعِ بها وعزَّ ثلاثةُ  
 ذنُبُ الفلاةِ ونسَرُها والأَجْدَلُ<sup>(٥)</sup>

(١) مضى عامه الأول

(٢) الفريضة لحمة في وسط الجنب (الجمع فرائص)

(٣) النقع غيار المعارك

(٤) الصلصلة في الأصل صفاء صوت الرعد، أو صوت الحديد إذا حرك

(٥) الأجدل الصقر



A decorative horizontal row of five stylized, interconnected star-like shapes.

(٤) المُرْمَل من نفد زاده



يا مَنْ نريدُ صلاحَهُ وصلاحنا  
 انَّ العُدولَ عن الهوى بك أجمل  
 أيّبيتُ قومك فوق أشواك الغضا  
 وتبيتُ تخطرُ بالحرير وترقُ؟  
 أين الهدى، يا مَنْ يبشّرُ بالهدى  
 أين التُّقى، يا أيها المزمّل<sup>١</sup>  
 ظننتُ بك الناسُ الظنّونَ وانني  
 لأخافُ بعد الظنّ أن يتقولوا  
 لك مَقالةً فانظرُ بها متأملاً  
 قد يستفيدُ الناظرُ المتأمل  
 لا قدرُ للجُهلاءِ حتى يعملوا  
 لا فضلُ للعلماءِ حتى يعملوا  
 سَكَنَ لبنانَ العزيزَ وجَلَّقَ  
 حياكمُ عنّا النسيمُ المرسل  
 لا نابَ غيرِ عدوكمُ ما نابكمُ  
 وبلغتمُ ما تأملُون وتأمل  
 كم تتّقون الطارناتِ وتتّقي  
 كم تحمِلون الكارثاتِ ونَحْمِلُ  
 لو يعقلُ القدرُ الخؤونُ عدلتهُ  
 وعدلتهُ، لكنه لا يعقل  
 أبكي وأستبكي العيونُ عليكمُ  
 أيُّ الدموعِ عليكمُ لا تهطلُ  
 إن تغفلِ الدنيا ويغفلُ أهلُها  
 عنكمُ، فخالقُ أهلِها لا يغفلُ

\*\*\*\*

---

(١) المزمّل المتلفف بالثوب

## ٥٦ - يا بلادي

[الخفيف]

مثلما يكمنُ اللُّطى في الرُّمادِ  
هكذا الحبُّ كامنٌ في فؤادي  
لستُ مغرَى بِشادنٍ أو شادِ  
أنا صبٌّ متيمٌ ببلادي  
يا بلادي عليك ألفُ تحيةٍ  
~~~~~

هو حبٌّ لا ينتهي والمنيةُ  
لا ولا يضمحلُّ والأمنيةُ  
كان قبلي وقبل نفسي الشجيةُ  
كان من قبلُ في حشا الأزليةُ  
وسيبقى ما دامت الأبديةُ!  
~~~~~

خأني من ذكر ليلى وهندِ  
واصرفاني عن كلِّ قدٍّ وخدِّ  
كلُّ حسناءٍ غيرُ حسناءٍ عندي  
أو أرى وجدها بقومي كوجدي  
لا حياءُ في الحبِّ والوطنيةُ  
~~~~~

كل شيءٍ في هذه الكائناتِ  
من جمادٍ وعالمٍ ونباتِ

وقديم وحاضر أو ات  
صائر الزوال أو للممات  
غير شوقي اليك يا سورية  
\*\*\*

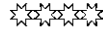
أنت ما دمت في الحياة حياتي  
فإذا ما رجعت للظلمات  
واستحالت جوارحي ذرات  
فلتقل كل ذرة من رفاتي  
عاش لبنان، ولتعش سورية  
\*\*\*

ولتقل كل نفحة من ندى  
ولتقل كل دمع في خد  
ولتقل كل غرسة فوق لحدي  
وليقل كل شاعر من بعدي  
عاش لبنان، ولتعش سورية  
\*\*\*

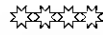
رب ليل سهرته الصباح  
حائراً بين غسكر الأشباح  
ليس لي مؤنس سوى مصباحي  
ونداء الملاح للملاح  
وصراخ الزوارق اليلية  
\*\*\*

تتهادى في السير كالملاكات  
أو كسرب النعام في الفلوات

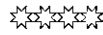
مُقبَلاتٍ في النهر أو رائحاتٍ  
تحت ضوءِ الكواكب الزاهراتِ  
فوق ماءٍ كالبردة اليمنيّة



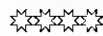
تتمشّى في صفحتيّهِ النسانمُ  
فترى المَوج فيه مثل الأرافمِ  
يتلوّى، وتارةً كالمعاصمِ  
كلف الماء بالنسيم الهانمِ  
ليتنى كنتُ نسمةً شرقيّة



هجع الناس كُهمّ في المدينة  
وتولّت على نيويورك السُكينة  
وجُفوني، بغمضها، مستهينة  
لا ترى غير طيف تلك الحزينة  
لستُ أعني بها سوى سوريّة



ذاك ليلٌ قطَعتهُ أتأملُ  
رسمها الصامت الذي ليس يعقلُ  
وبناني مع خاطري تتنقلُ  
بين هذا الحمى وذاك المنزلِ  
والربّ والخمائل السُنديّة



ههنا رسمٌ منزلٍ أشتهيه  
ههنا مَرَبَعٌ أحبُّ نويه

ههنا رسمٌ معهدٍ كنتُ فيه  
معَ رفاقي أجرٌ ذيلُ النَّيِّه  
في الضُّحَى، في الأصيل، بعد العشيَّة  
❖❖❖❖❖❖

كم تطلَّعتُ في الخطوط الدقيقه  
ولثمتُ الطرائق المنسُوفه  
قنعتُ بالخيال نفسي المشوقه  
ليت هذا الخيال كان حقيقه  
فعذابي في لذتي الوهميه  
❖❖❖❖❖❖

يا رُسُومًا قد هيَّجتُ أشواقي  
طال، لو تعلمين، عهدُ الفراقِ  
أين تلك الكؤوسُ، أين السَّاقِي؟  
أين تلك الأيامُ، أين رفاقي؟  
أين أحلامي الحسانُ البهيَّة؟  
❖❖❖❖❖❖

يا رسومَ الرُّبُوعِ والأصحابِ  
بحياتي عليكِ بالأحبابِ  
أخبريني فقد عرفتُ مصابي  
أترى عائدُ زمانُ التَّصابي  
أم طوتهُ عنَّا يدُ الأبدية؟  
❖❖❖❖❖❖

سبقتني دنيا أرادتُ لحاقي  
فأنا الآن أخِرُ في السَّباقِ

نصفٌ عمري يرثيه نصفِي الباقي  
كـرثاء الأوراق للأوراق  
يبس الأصل والفروع نديه  
\*\*\*

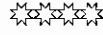
ما تُراني إذا تغنى الشادي  
ومضى في الغناء والإنشاد  
فأطار الأسي عن الأكباد  
أحسبُ العود في يديه يُنادي  
أيها القوم أنقذوا سوريّة!  
\*\*\*

وإذا ما جالستُ تحت الظلام  
أرقبُ البدر من وراء الغمام  
رنّ في مسمعي فهزّ عظامي  
شبهه صوت يقول للنّوام  
أيها القوم أنقذوا سوريّة!  
\*\*\*

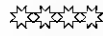
وإذا ما ذهبَت في البستان  
بين زهر الخزام والأقحوان  
أسمعُ الهاتفات في الأفنان  
قائلاتٍ ولا كلام معانٍ  
أيها القوم أنقذوا سوريّة!  
\*\*\*

وإذا ما وقفتُ عند الغدير  
حيث تمشي الطيور خلف الطيور

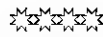
خِلْتُ أَنْ الْأَمْوَاهُ ذَاتُ الْخَرِيرِ  
قَانَلَاتٌ مَعِيَ لِأَهْلِ الشُّعُورِ  
أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْقِذُوا سُورِيَّةَ!



مَا لِقَوْمِي وَقَدْ دَهَنَتْهَا الدَّوَاهِي  
بِالَّذِي يُطْفِئُ النُّجُومَ الزَّوَاهِي  
وَيُثِيرُ (الْحِمَاسَ) فِي الْأَمْوَاهِ  
فَعَبَدُوا بَيْنَ ذَاهِلٍ أَوْ لَاهٍ  
أَيْنَ أَيْنَ الْحَفِيزَةُ الْعَرَبِيَّةُ؟



هِيَ أُمُّ لَكُمْ وَأَنْتُمْ بَنُوهَا  
حَفِظْتَ عَهْدَكُمْ فَلَا تُنْكِرُوهَا  
أَنْتُمْ أَهْلُهَا وَأَنْتُمْ ذُرِّيَّتُهَا  
لَا تُعِينُوا بِالصَّمْتِ مَنْ ظَلَمُوهَا  
ذَاكَ عَارٌ عَلَى النُّفُوسِ الْأَبِيَّةِ



كُنْ نَبِيًّا يَسْتَنْزِلُ الْإِلَهَامَا  
كُنْ مَلِكًا يُصَدِّرُ الْأَحْكَامَا  
كُنْ غَنِيًّا، كُنْ قَانِدًا، كُنْ إِمَامَا  
كُنْ حَيَاةً، كُنْ غَبِطَةً، كُنْ سَلَامَا  
لَسْتُ مَنِي أَوْ تَعَشِقُ الْحُرِّيَّةَ!



## ٥٧ - الفردوس الضائع<sup>١</sup>

[الكامل]

ما زال يمشي في الأمور بفكره  
حتى تمشى النوم في الأجفان  
وكما يرى الوسنان راء كأنه  
في النعش ميت هامد الجثمان  
وعلى جوانب نعشه صقان  
من جند البرت الرفيع الشأن  
يبدو أنه لا شامتين بموته  
ليس السماتة عادة الشجعان  
ورأى حوالبه جماهير الورى  
تستعرض المألود في الأكفان  
وكانما كره اختلاط رفاته  
في الأرض، بالضعفاء والعبدان  
أو أن مرأى الحشد أقلق روحه  
في جسمه فهفا إلى الطيران  
ومن العجائب في الكرى أن الفتى  
يغدو به وكأنه شخص صان  
~~~~~  
أم السماء وقد توهم أنه  
لا شك والجها بلا استئذان

---

(١) أو رؤيا القيصر الألماني



ما زال يرقى صاعداً حتى انتهى  
 حيث الغناء مثالث ومثاني  
 فرمى بناظره فأبصر بابها  
 فمشى إليه مشية العجلان  
 وأقام يقرعه فأقبل بطرس  
 ذو الأمر في الفردوس والسلطان  
 وأدار فيه لحظة فإذا به  
 ضيف، ولكن ليس كالضيفان  
 ما جاعنا بك؟ صاح بطرس غاضباً  
 يا شر إنسان على الإنسان  
 اذهب فما لك في السما من موضع  
 يا أيها الرجل الأثيم الجاني  
 ثم انتنى للباب يحكم سده  
 والضيف لم ينبس ببنت لسان  
 ما ذي الفظاظه؟ قال: ولیم، وانتنى  
 لليأس كالمصفود في الأقران<sup>(١)</sup>  
 وبمثل لمح الطرف أسرع هابطاً  
 نحو الجحيم يقول: ذاك مكاني  
 هيهات يحرم من جهنم عائد  
 من جانب الفردوس بالحرممان  
 حتى إذا صار دون رتاجها  
 سمع الزعيم يصيح بالأعوان  
 أ بني جهنم أوصدوا أبوابكم  
 واستعصموا كالطير بالأوكان<sup>(٢)</sup>

(١) جمع القرن الذي هو الجبل، قرون

(٢) الوكن عش الطائر في الجبل أو في الجدار

كونوا على حذرٍ ففي هذا الضُّحى  
 يأتى إلينا قيصراً الألمان  
 إن كنتم لم تعرفوه فإنه  
 رجلٌ بلا قلبٍ ولا وِجْدان  
 أخشى على أخلاقكم أن زاركم  
 وهي الحِسانُ تصيرُ غيرَ حِسان  
 إياكم أن تسمَحوا بدخوله  
 فدخولُه خطرٌ على السُّكان  
 أمري لكم أصدرته، فخذوا به  
 وحذارِ ثم حذارٍ من عصياني  
 ماذا تراني؟ صاح ولَّيمُ باكيًا  
 حتى الأبالسُ لا تُحبُّ تراني  
 إبليسُ، يا شيخَ الرُّبانيَّةِ الألى  
 كانوا لأخذاني من الأخدان  
 رُحماك بي، فالليلُ قاسٍ برده  
 والهولُ يملأُ ناظري وجناني  
 بجهنمٍ، بالسَّاكِنِ حُجراتها  
 بمواقِدِ النَّيرانِ، بالنَّيرانِ  
 وبكلِّ شيطانٍ مريدٍ ماكرٍ  
 وبكلِّ تابعٍ ماردٍ شيطانٍ<sup>١</sup>  
 مُرَّ ينفِثُ بابُ الجحيمِ فإنني  
 قد كادَ يجمدُ اللصقيعُ لساني

(١) التابع في التراث من الجن الذي يتبع الشعراء، ويوحى إليهم

يا ليت شعري أين أذهب بعدما  
سُدَّ السبيلُ وأُوصِدَ البابان  
مُرَّ لي بزاويةٍ أزعجُ بمهجتي  
فيها، وإن تكُ من حميمٍ إن  
هلاً قبلت تضرُّعي؟ فأجابه  
إبليسُ، وهو يروغُ كالسرحان: <sup>١</sup>  
لو كنتُ أعلمُ ما سكتُ فلا تزد  
لا رأيٍ للحيَّرانِ في الحيَّران  
عبثاً تُحاولُ أن تُصادفَ عندنا  
نُزْلاً، فهذا ليس بالإمكان  
لا تذكُرُنَّ لي الحنانَ وما جرى  
مجرأه، اني قد قتلتُ حناني  
لا يدخلُنَّ جهنماً نو مطمع  
بالمجدِ أو بالأصفرِ الرُّنَّان  
إن كنتَ تشْتَاقُ الإقامةَ في الأُطى  
فالنارُ والكِبْرِيتُ كلُّ مكان  
فاجمعهُما واصنعْ لنفسك منهما  
ولن تحبُّهُنَّ جحيماً ثان  
وهنا تفهقه هراً ولیمُ ثم اختفى  
ما بين ليلٍ حالكٍ ودُخان  
فأفاق مذعوراً يقلِّبُ طرفه  
للرعبِ في الأبوابِ والحيطان

---

(١) السرحان الذئب

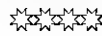
ويقول: لا أنساك يا حلمي ولو  
نسجت عليّ عناكبُ النسيان  
ما راعني أني طردتُ من السَّما  
أنا قانطُ من رحمة الشيطان  
لكن طردني من جهنم، إنه  
ما دار في خلدي ولا حسباني

\*\*\*\*

## ٥٨ - مسرح العشاق

[مجزوء الكامل]

مِنْ سِحْرِ طَرْفِكَ مِنْ مُجِيرِي  
يَا ضُرَّةَ الرُّشَاءِ الْفَرِيرِ  
جِسْمٌ كَخَصْرِكَ فِي النَّحْوِ  
لِ، وَمِثْلُ جَفْنِكَ فِي الْفُتُورِ  
أَصْبَحْتُ أَضَالُ مِنْ هَلَا  
لِ الشُّكِّ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ  
مَحَقُّ الضُّنَى جِسْدِي فَبِتُّ  
تُ مِنْ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرِ  
وَمَشَى الرَّدَى فِي مُهْجَتِي  
اللَّهُ، فِي النَّفْسِ الْأَخِيرِ  
جَهْلُ النَّطَاسِيِّ عُلَّتِي  
لِلَّهِ مِنْ جَهْلِ الْخَبِيرِ<sup>١</sup>  
كَمْ سَأَمْنِي جَرَعُ الدَّوَا  
ءِ، وَكَمْ جَرَعْتُ مِنَ الْمَرِيرِ<sup>٢</sup>  
دَعْ، أَيُّهَا الْأَسِي، يَدِي  
الْحَبُّ يُدْرِكُ بِالشُّعُورِ<sup>٣</sup>  
يَدْرِي الصُّبَابَةُ وَالْهُوَى  
مَنْ كَانَ فِي الْبَلَاوَى نَظِيرِي!



(١) النُّطَاسِي الْعَالَمُ الْحَبِيرُ وَالطَّيِّبُ الْحَافِظُ

(٢) يَرِيدُ الْمَرْءَ، وَالْمَرِيرُ هُوَ الْحَبْلُ الْمَقْتُولُ

(٣) الْأَسِي مِنْ يِعَالِجِ الْجَرَاحَاتِ (وَالْجَمْعُ أَسَاةٌ)

لو تَنظَرِينَ إِلَيَّ كَأَنَّ  
 مَيِّتَ الْمُسْجَى فِي سَرِيرِي  
 يَتَهَامَسُ الْعَوَادُ حَوَ  
 لِي كَأَنَّمَا سَمِعُوا زَفِيرِي  
 وَأَظُنُّهُمْ قَدْ أَدْرَكُوا  
 لَا أَدْرِكُوا، مَا فِي ضَمِيرِي  
 فَأَبَيْتُ مِنْ قَلْبِي عَائِدَ  
 لَكَ كَأَنَّنِي فَوْقَ السَّعِيرِ  
 وَأَدْرْتُ طَرْفِي فِي الْحُضُورِ  
 رَلْعَلْ شَخْصِكَ فِي الْحُضُورِ  
 فَارْتَدَّيْعُورٌ بِالدِّمُورِ  
 عِ تَعَثَّرَ الشَّيْخُ الضَّرِيرِ  
 قَدْ زَارَنِي مَنْ لَا أَحَدَ  
 بَ وَأَنْتِ أَوْلَى أَنْ تَزُورِي  
 صَدَقْتَ مَا قَالِ الْحَوَا  
 سِيدُفِيٍّ مِنْ هَجَرٍ وَزُورِ  
 وَأَطَعْتَ بِي حَتَّى الْعَوْدَا  
 وَضَنْتِ حَتَّى بِالْيَسِيرِ  
 أَمَّا خِيَالُكَ، يَا بَخِيَّ  
 لَهْ، فَهُوَ مِثْلُكَ فِي النَّفُورِ  
 رُوحِي فِدَاؤُكَ، وَهِيَ لَوْ  
 تَدْرِينَ تُفْدِي بِالْكَثِيرِ  
 تِيهِي عَلَى الْعَانِي كَمَا  
 تَاهَ الْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ

أنا لا أبالي بالمصير  
وأنت أدري بالمصير  
أهـواك رغم مـعنـي في  
ويـلـد نفسـي أن تجـوري  
ليس المحب صادق  
حتى يكون بلا عذير  
~~~~~

كم ليلة ساهرت في  
هـا النـجـم أحسبه سـمـيري  
والشـهـب أقـعـدهـا الـونـى  
واللـيل يـمـشـي كالأسـير  
أرعى البـدور وليس لي  
من حاجة عند البـدور  
مـتـذكـراً زمن الصـبـا  
زمن الغـوايـة والغـرور  
أيام أخطـر في المـجـا  
مع والمعاهد كالأمير  
أيام أمـري في يـدي  
أيام نـجـمـي في ظـهور  
لمع القـتـير بـالمـتي  
ويل الشـباب من القـتـير<sup>١</sup>  
~~~~~

لا بالغـوـير ولا النـقا  
كالـفي ولا أهـل الغـوـير<sup>٢</sup>

---

(١) القتر، والقتر العبار، يزيد الشيب

(٢) الغوير والنقا مواضع بعينها والنقا من كتاب الرمل

أَرْضِ (الْجَزِيرَةِ) كَيْفَ حَا  
لُكَ بَعْدَ وَقْعِ الزَّمْهَرِيرِ  
نَزَلَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ مَا  
سَعَبُ كُلِّ سَافِيَةٍ دُبُورِ<sup>١</sup>  
وَتَبَدَّلْتَ تِلْكَ الْعُورَا  
صُرُّ مِنَ النَّضَارَةِ بِالدُّثُورِ  
أَمْسَيْتِ كَالطَّلِّ الْمُحْيِ  
لِوَكُنْتَ كَالرُّوضِ النَّضِيرِ  
أَهْلًا عَالِيكَ وَاهٍ كَيْ  
فَ نَأْتُكَ رَبِّاتُ الْخُـدُورِ  
الْمَائِسَاتُ عَنِ الْغُصُورِ  
نِ، السَّافِرَاتُ عَنِ الْبُـدُورِ  
الذَّاهِبَاتُ مَعَ النَّهْودِ،  
الذَّاهِبَاتُ مَعَ الصُّدُورِ  
الْحَاسِرَاتُ عَنِ السُّوَا  
عِدِ وَالتَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ<sup>٢</sup>  
الْقَاسِيَاتُ عَلَى الْقَلَوِ  
بِ، الْجَانِيَاتُ عَلَى الْخُصُورِ  
الْمَالِكَاتُ عَلَى الْإِلَا  
لِي فِي الْقَلَانِدِ وَالنُّغُورِ  
الضُّاحِكَاتُ مِنَ الدُّلَا  
لِ اللَّاعِبَاتُ مِنَ الْحُبُورِ  
الْأَخِذَاتُ قَلَوَيْنَا  
فِي زِيِّ طَاقَاتِ الزَّمُورِ

(١) الدُّبُورُ تَقَابِلُ الْقَبُولِ مِنَ الرِّيحِ وَجَعَلَهَا لِلْسَّوَافِي  
(٢) التَّرَائِبُ مَوْضِعُ الْفَلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ (مَفْرَدُهَا تَرِيَّةٌ)



بَيْضُ نَوَاعِمٍ كَالدُّمَى  
يَرْفُقُنَ فِي حُلِّ الْحَرِيرِ  
مِثْلُ الْحَمَانِمِ فِي الْوَدَا  
عَةِ، وَالْكَوَاعِبِ فِي السُّفُورِ  
مِنْ كُلِّ ضَااحِكَةٍ كَانَتْ  
بِوَجْهِهَا وَجْهَ الْبَشِيرِ  
أَنَّى أَدْرَتِ الْطُّرْفُ فَي  
هَذَا جَالٍ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ



يَا مَسْرُوحَ الْعُشَّاقِ، كَمْ  
لِي فَيْكِ مِنْ يَوْمٍ مَطِيرِ  
تَنْسَى الْبَرِيَّةُ عِنْدَهُ  
يَوْمَ الْخَوَرْنَقِ وَالسُّدَيْرِ  
وَلَكُمْ هَبْطُكَ وَالْحَبِيرِ  
بَةِ فَازَعَيْنِ مِنَ الْهَجِيرِ  
فِي زَوْقِ بَيْنِ الْوَرَا  
رِقِ كَالْحَمَامَةِ فِي الطُّيُورِ  
مَتَمَّهَلٍ فِي سَيِّرِهِ  
وَالْمَاءُ يُسْرِعُ فِي الْمَسِيرِ  
وَالشَّمْسُ أَبَانَ الضُّحَى  
وَالْجَوُّ صَافٍ كَالْغَدِيرِ  
وَلَكُمْ وَثْبِنَا فِي التَّلَا  
لِ وَكَمْ رَكْضُنَا فِي الْوُعُورِ  
وَلَكُمْ أَصْحَنَا لِحْفِي

---

(١) قصراً الحيرة في العراق، أيام المناصرة

فَوَكَّمْ شَجِينَا بِالْخَرِيرِ  
 وَلَكُمْ جَلَسْنَا فِي الرِّيَا  
 ض، وَكَمْ نَشَقْنَا مِنْ عُبَيْرِ  
 وَلَكُمْ تَبَرَّدْنَا بِمَاءِ نَّهْيٍ  
 بَرَكِ الصَّافِي النُّمَيْرِ  
 طَوْرًا نَنَامُ عَلَى النَّبَا  
 تَوْتَارَةً فَوْقَ الْخَصِيرِ  
 لَا نَتَّقِي عَيْنَ الرَّقْدِ  
 بِوَلَا نُبَالِي بِالْغَيُورِ  
 فَكَأَنَّهَُا وَكَأَنَّنِي الْ  
 أَبْوَانِ فِي مَاضِي الْعَصُورِ  
 حُسَيْدَتٌ عَلَيَّ مِنَ الْإِنَا  
 ثِ كَمَا حُسَيْدَتٌ مِنَ الذِّكُورِ  
 ظَنَّ الْأَنَامُ بِنَا الظَّنُو  
 نَ وَمَا اجْتَرَحْنَا مِنْ نَكِيرِ  
 قَدْ صَانَ بِرُدَّتْهَا الْحَيَا  
 ءٌ، وَصَانَنِي شَرْفِي وَخَيْرِي<sup>١</sup>  
 ✽✽✽✽✽✽  
 وَمَطِيَّةٌ رَجْرَاجَةٌ  
 لَا كَالْمَطِيَّةِ وَالْبُعَيْرِ  
 مَا تَأْتَلِي فِي سَيْرِهَا  
 صَحَابَةٌ لَا مِنْ ثُبُورِ<sup>٢</sup>  
 تَجْرِي عَلَى أَسْلَاقِهَا

(١) الحيرة النخير

(٢) الألو التقصير

جـري الأرقام<sup>٣</sup> في الحـدود  
 طوراً تُرى فوق الجـسور  
 وتارة تحت الجـسور  
 أنا على قممها  
 أنا في كهوف كالقبور  
 ترقى كما ترقى (المصا  
 عد) ثم تهبط كالصخور  
 فإذا علت حـسب الـورى  
 أنا نصعد في الأثير  
 وإذا هوت من حـالق  
 هوت القلوب من الصـور  
 والركب بين مصفـق  
 ومهلـل جـذـل قـريـر  
 أو خائف متطـيـر  
 أو صارخ أو مستـجـير  
 هي في التقلب كالزما  
 ن وإنما هي الـسرور  
 ✽✽✽✽✽  
 ومـدارة في الجـو يـحـ  
 سبها الجهول بلا مـدير  
 لو شئت نيل النجم مـنـ  
 ها ما صبوت إلى عـسـير  
 مشـدودة لـكنها

أَجْرَى مِنَ الْفَرَسِ الْمُغِيرِ  
زَفَافَةً زَفَّ الرَّئِثَا  
لِتُسِفَ اسْفَافُ النَّسُورِ<sup>(١)</sup>  
وَلَهَا حَفِيفٌ كَالرِّيَا  
حَوْهْدَةٌ لَا كَالْهَدِيرِ  
كَالْأَرْضِ فِي نَوْرَانِهَا  
وَلَكَا مِظَالَّةٌ فِي النَّشُورِ  
الْقَوْمُ فِيهَا جَالِسُو  
نَ عَلَى مَقَاعِدٍ مِنْ وَثِيرِ  
وَالرَّيْحُ تَخْفُقُ حَوْلَهُمْ  
وَكَا نَمَاهُمْ فِي قِصُورِ  
وَالْجَمْعُ يَهْتَفُ كَأَمَّا  
مَرَّتْ عَلَى الْحَشْدِ الْغَفِيرِ  
❖❖❖❖❖

وَلَكُمْ تَأَمَّنَا الْجُمُوعُ  
عَ تَمُوجُ كَالْبَحْرِ الرُّخُورِ  
يَمْشِي الْخَطِيرُ مَعَ الْحَقِيدِ  
رَ كَانَمَا هُوَ مَعَ خَطِيرِ  
وَتَرَى الْمَهَاةَ كَانَهَا  
لَيْثٌ مَعَ الْإِيثِ الْهَضُورِ  
مُتَوَافِقُونَ عَلَى التُّبَا  
يُنْ كَالْقَبِيلِ أَوْ الْعَشِيرِ<sup>(٢)</sup>  
لَا يَرْهَبُونَ يَدَ الْخُطُو

(١) الرأل ولد النعام والزف سرعة المشي

(٢) القبيل الجماعة من أمم شتى

بِ كَانَمَا هُمْ خَافُ سُرُورِ  
 يَمْضِي النَّهَارُ وَنَحْنُ نَحْدُ  
 سَبَّ مَا بَرَحْنَا فِي الْبُكُورِ  
 أَبْقَيْتِ يَا زَمَنَ الْحُرُورِ  
 رِ بِمَهْجَتِي مِثْلَ الْحُرُورِ  
 وَلَيْتَ شَهْرُورُ كُنْتُ أُرِ  
 جَوَّ أَنْ تُخَالِدَ كَالْدَهْورِ  
 وَأَتَتْ شَهْرُورُ بَعْدَهَا  
 سَاعَاتُهَا مِثْلُ الشَّهْرِورِ  
 لَيْسَتْ حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي الدُّ  
 نْيَا سِوَى حُلُمٍ قَصِيرِ  
 وَأَرَى الشُّبَابَ مِنَ الْحَيَا  
 ةِ لَكَ الْأَبَابِ مِنَ الْقُشُورِ  
 ذَهَبَ الْوَرَبِيعُ ذَهَابَهُ  
 وَأَتَى الشِّتَاءُ بِلَا نَذِيرِ  
 وَتَبَدَّدَ الْعُشَّاقُ مِثْلَ  
 لِ تَبَدَّدِ الْوَرَقِ النَّثِيرِ  
 رَضِيَ الْمُتَهَيِّمُ مِنْ عَنْهُمْ  
 وَاللَّهُ يَعْفُو عَنْ كَثِيرِ

\*\*\*\*\*

## ٥٩ - حكاية حال

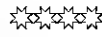
[الطويل]

هَجَرْتُ الْقَوَافِي مَا بِنَفْسِي مَلَالُهُ  
سِوَايَ، إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ، مَلُولُ  
وَلَكِنْ عَدَّتْنِي أَنْ أَقُولَ حَوَادِثُ  
إِذَا نَزَلْتُ بِالطُّوْدِ كَادٍ يَزُولُ  
وَبَغَضَنِي الْأَشْعَارُ أَنْ دَعَاثَهَا  
كَثِيرٌ، وَأَنْ الصَّادِقِينَ قَلِيلُ  
وَأَنْ الْفَتَى فِي ذِي الرِّبُوعِ عَقَارُهُ  
وَأَمْوَالُهُ، وَالْبَاقِيَاتُ فُضُولُ  
سَكَتٌ سَكُوتِ الطَّيْرِ فِي الرُّوضِ بَعْدَمَا  
تَوَى الرُّوضُ وَاجْتَاكَ النَّبَاتُ ذَبُولُ  
فَمَا هَزَّنِي إِلَّا حَدِيثُ سَمْعَتِهِ  
عَنِ الْغَيْدِ كَالْغَيْدِ الْحَسَنِ جَمِيلُ  
فَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ شَاعِرُ  
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الرَّوَاةُ أَقُولُ

~~~~~

فَتَى مِنْ سَرَاةِ النَّاسِ، كُلُّ جُدُودِهِ  
سَرِيٌّ، كَرِيمُ النَّبِغَتَيْنِ، نَبِيلُ  
قَضَى فِي ابْتِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ زَمَانَهُ  
يُنَالُ وَيَرْجُوهُ السَّوَى فَيُنِيلُ  
فَدَكُّ مَبَانِي عِزِّهِ الدَّهْرُ بَغْتَةً  
وَقَلَّمَ مِنْهُ الظُّفْرُ فَهُوَ كَالِئِيلُ

هوى مثلما يهوي إلى الأرض كوكبٌ  
كذاك الليالي بالأنام تدول  
وكان له في الدهر بطشٌ وصولٌ  
فأُمسّت عليه الحادثاتُ تصول  
وكان له ألفا خليلٍ وصاحبٍ  
فأَعْوَزَه، عند البلاء، خليل  
تفرّق عنه صحبُهُ فكأنما  
به مرضٌ، أعيا الأساة، وبيل  
وأنكره من كان يحلفُ باسمه  
كما يُنكر الدين القديم عميل  
فأصبح مثلُ الفُلكِ في البحر ضائعاً  
يميل مع الأمواج حيثُ تميل  
يكاد يمدُّ الكفَّ لولا بقيّةُ  
من الصبر في ذاك الرداءِ تجول



زوى نفسه كي لا يرى الناسُ ضرّه  
فيشمت قال<sup>(١)</sup> أو يُسرَّ عنول  
بدار.. أناخ البؤسُ فيها ركبّه  
وجرّت عليها للخراب دُيول  
مُهَدِّمَة الجدران مثل ضلوعه  
بها اليأسُ صمتٌ والسَّقامُ مجول  
تمرّ عليها الريحُ ولهى حزينّة  
ويرنو إليها النجمُ وهو ضئيل  
إذا ما تجلّى البدرُ في الأفق طالعاً  
رعاه، إلى أن يعتريه أقول

---

(١) الفألي المبعض (قلّي بقلّي)

حِبال الأمانِ عند قومٍ شعاعه  
ولكنه في مُقَاتِيهِ نُصول  
فيا عَجَبًا حَتَّى النُّجُومُ تُضَالُهُ  
وفي نورها المُدَلِّجِينَ دَلِيل  
وهل تهتدي بالبدر عينٌ قريحة  
عليها من الدمع السُّخِينِ سُدُول؟

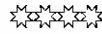


غفا الناس، واستولت عليهم سكينه  
فما بآله استولى عليه دُهول؟  
تأمل في أحزانه وشقائه  
فهان عليه العيشُ وهو جميل  
فمدَّ إلى السَّكِينِ كَفًّا نَقِيَّةً  
أبتَ أن يراها تستغيثُ بخيل  
وقربها من صدره ثم هزَّها  
وكاد بها نحو الفؤاد يميل  
وإذ شبحٌ يستعجلُ الخطو نحوه  
وصوتٌ لطيفٌ في الظلام يقول:  
رويدك، فالضُّنَّكَ الذي أنت حاملٌ

متى زال هذا الأيل سوف يزول  
نعم: هي إحدى مُحسناتِ نساءنا  
ألا إن أجر المحسناتِ جزيل  
أبتَ نفسها أن يكحل النومُ جفنها  
وجفنُ المعنَى بالسُّهَادِ كحيل  
وأن تتولَّى الابتساماتُ ثغرها  
وفي الحي مكلومُ الفؤادِ عليل



فَأَلَقْتُ إِلَيْهِ صُرَّةً وَتَرَا جَعْتُ  
وَفِي وَجْهَهَا نَوْرُ السُّرُورِ يَجُولُ  
فَلَمْ تَتَنَاقَلَ صُنْعُهَا أَلْسُنُ الْوَرَى  
وَلَا قُرِعَتْ فِي الْخَافَقَيْنِ طُيُولُ  
وَلَا أَحْسَنْتُ كَيْ تُعْلَنَ الصُّحُفُ اسْمُهَا  
فَتَعْلَمَ جَارَاتُ لَهَا وَقَبِيلُ  
كَذَا فَلْيُؤَا سِرِّ الْبَانَسِينَ نَوْرُ الْغِنَى  
وَإِنِّي لَهُمْ بِالصَّالِحَاتِ كَفِيلُ  
فَإِنَّ الْقُصُورَ الشَّاهِقَاتِ إِذَا خَلَّتْ  
مَنْ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فَهِيَ طُلُولُ  
وَأَخِيرُ دُمُوعِ الْبَاكِيَاتِ هِيَ الَّتِي  
مَتَى سَأَلَ دَمْعُ الْبَانَسِينَ تَسِيلُ!



أَلَا إِنَّ شُعْبًا لَا تَعِزُّ نَسَاؤُهُ  
وَإِنْ طَارَ فَوْقَ الْفَرَقْدَيْنِ، ذَلِيلُ  
وَكُلُّ نَهَارٍ لَا يَكُنُّ شُمُوسُهُ  
فَذَلِكَ لَيْلِ حَالِكٍ وَطَوِيلُ  
وَكُلُّ سُرُورٍ غَيْرُهُنَّ كَبِيرُهُ  
وَكُلُّ نَشَاطٍ غَيْرُهُنَّ خُمُولُ



## ٦٠ - يا جارتِي

[البسيط]

قالت لجارتها يوماً تُسألُها  
عني، وفي طَرْفها الوسنانِ أشجانُ:  
ما بالُ هذا الفتى في الدار معتزلاً  
كما توحدُ نُسّاكُ ورهبانُ  
يأتي المساءُ عليه وهو مكتئبٌ  
ويرجع الليلُ عنه وهو حيرانُ  
يُمِرُّ بالقُربِ مِنّا لا يكلمُنّا  
وللحديثِ مجالٌ وهو مُلسانُ<sup>١</sup>  
وإنْ نكلَمُه لا يفقهَ مقالَتنا  
إلا كما يفقهُ التسبيحُ سكرانُ  
إذا تبسّم، لا تبسو نواجذُه  
وإن بكى، فله نزعُ وارنان<sup>٢</sup>  
كأنما نيطت الدنيا بعاتيقه  
كأنما كلُّ عضو فيه بُركانُ  
فلا ابتسامُ نواتِ الغُنْجِ يُطربه  
ولا ابنَةُ الحانِ تُصنِّيه ولا الحانُ  
أماله أملٌ حالٌ أو يلدّبه  
كما تلدُّ بمرأى النُّورِ أجفانُ

---

(١) ملسان صاحب لسانِ دُرب

(٢) النزع المجازية والحزن والمعالجة والإرنان تصعيد الرنة، والتصويت

أماله جيرة في الأرض يالفهم؟  
 يا جارتني! كان لي أهلٌ وجيران  
 فبثت الحرب ما بيني وبينهم  
 كما تُقَطِّعُ أمَراسُ وخِيطان  
 فالיום كلُّ الذي في مُهْجتي أَلَمٌ  
 وكلُّ ما حولهم بؤسٌ وأحزان  
 وكان لي أملٌ إذا كان لي وطنٌ  
 فيه لنفسي لباناتٌ وخِلاَن  
 فجرَّتْهُ اللَّيالي من مُحاسِنه  
 كما يُعرى من الأشجار بُستان  
 فلا المغاني التي اشتاق رؤيتها  
 تلك المغاني، ولا السُّكَّانُ سُكَّان  
 لو المروءةُ تدري أيَّ فاجعةٍ  
 بالشام، ناح عليها الإنسُ والجأن  
 ولو يبتُّ بنو لبنان لوعتهم  
 لاهتزَّت الأرضُ لما اهتزَّ لبنان  
 قالت: شكوت الذي بالخلق كلُّهم  
 وما كذبتُك أن الحرب طوفان  
 تساوتِ الناسُ في البلوى، فقلتُ لها  
 هيهات، ما هان قومٌ مثلما هانوا  
 آمنٌ يموتُ ولا سيترُ يظأله  
 كمن عليه أكاليلٌ وتيجان؟  
 قالت: ويا ويح نفسي من مقالتها  
 كفِّكف دموعك، بعضُ الحزن أهوان<sup>١</sup>

---

(١) الهُون الشدة والمضرة

لو كان قومك أهلاً للحياة لما  
 ماتوا وفي أرضهم تُركُ وألمان  
 وكلُّ من لا يرى في الذلَّ مُنْقِصَةً  
 لا يستحقُّ بأن يبكيه إنسان  
 كُفِّي ملامك يا حسناءً وأتُدي  
 فإن مدح نوي العُدوان عُدوان  
 وأنت من أمةٍ تأتي خلائقها  
 أن يقتل الطير في الأقفاصِ سجان  
 وإن قومي طيورٌ غيرُ كاسرةٍ  
 سَطَّتْ عليها شواهينٌ وعقبان<sup>(١)</sup>  
 لا تحسبي أنني أبكي لصرعهم  
 فكلُّنا للرديِّ شيبٌ وشَبَّان  
 لكن بكيتُ من الباعِي يَعدِّبهم  
 وهم شيوخٌ وأطفالٌ ونِسوان  
 ورحتُ أشكو إليها وهي ساهيةٌ  
 لكنما قابها الخفاقُ يقظان  
 حتى انتهيت فصاحتُ وهي مُجهَّشةٌ:  
 يا ليت ما قلته زورٌ ويَهْتان  
 بل ليتني لم أسألك جارتنا  
 بل ليت قلبي إذ سألتُ صُؤان  
 يا ليت شعري وهذي الحربُ قائمةٌ  
 هل تنجلي ولنا في الشَّامِ إخوان؟  
 وهل تعودُ إلى لبنان بهجتهُ  
 وهل أعود وفي لبنان نيسان؟

(١) الشاهين والعقاب من سباع الطير

فَأَسْمَعْ الطَّيْرَ تَشْدُو فِي خِمَانِهِ  
وَأُبْصِرُ الْحَقْلَ فِيهِ الشَّيْخُ وَالْبَانُ؟  
بَنِي بِلَادِي! وَلَا أَدْعُو بِخَيْلِكُمْ  
غَيْرُ الْبَخِيلِ لَهُ قَلْبٌ وَوَجْدَانُ  
بَنِي بِلَادِي! وَلَا أَدْعُو جِبَانَكُمْ  
مَا لِلْجِبَانِ وَلَا لِي فِيهِ إِيْمَانُ  
بَنِي بِلَادِي! وَكَمْ أَدْعُو.. أَلَيْسَ لَكُمْ  
كَسَائِرُ الْخَلْقِ أَكْبَادُ وَأَذَانُ؟  
لَا تَضْحَكُوا وَبِأَرْضِ الشَّامِ نَائِحَةٌ  
وَلَا تَنَامُوا وَفِي لَبْنَانٍ سَهْرَانُ!

\*\*\*\*

## ٦١ - هملت

[السريع]

يا نبأ سُرْبِهِ مَسْمُوعِي  
حتى تمنى أنه الناقلُ  
أنعش في نفسي المُنَى مثلاً  
يُحيي الجديب الواكفُ الهاملُ  
عرفتُ منه أن ذاك الحمى  
بالصَّيد من فتیاننا أهل  
عصابة كالعقد في أكرن  
يعتز فيهما الفضلُ والفاضلُ  
من كل مقدم رجيح النُّهى  
كالسيف إذ يصفقه الصَّاقلُ  
البدْرُ من أزراره طالعُ  
والغيثُ من راحته هاملُ  
وكلُّ طلق الوجه موفوره  
في بردتيه سيّد مائلُ



شبيهة الشرق، انعمي واسلمي  
كي تسلم الأمل والأمل  
بكم وبالراقين أمثالكم  
يفتخر العالم والعامل  
بعثتم هملت من رُمسه  
فهملت بينكم مائل

يمشي ويمشي الحطيفُ في إثره  
 كلاهما ممّا مّا به ذاهل  
 لا يضحك السّامعُ من هزله  
 كم عِظّةٍ جاء بها الهازل  
 روايتهُ يظهر فيها لكم  
 كيف يُداجي الصّادقُ الخاتل<sup>١</sup>  
 وتنكّثُ المرأةُ ميثاقها  
 وكيف يُجزى المجرمُ القاتل  
 وانما الإنسانُ أخلاقه  
 لا يستوي الناقصُ والكامل  
 والنفسُ كالمرأةِ إن أُهملتْ  
 يعلو عليها الصّدأُ الأكل  
 والناسُ أنوارٌ، فإذا صامدُ  
 يراودُ الشُّبُهَـبُ وذا نازل  
 والدهرُ حالاتٌ، فيومٌ به  
 نحسُّ، ويومٌ سعدُه كامل  
 فمَنّاوا الجهلَ وأضراره  
 حتّى يُعادي جهله الجاهل  
 ومَنّاوا الفضلَ وإياته  
 كي يستزيدَ الرجلُ الفاضل  
 وصـوـروا المجدَ بلالانه  
 عسى يُفريقُ الهاجعُ الغافل  
 ويرجعُ الشُّرْقُ إلى أوجه

---

(١) المداجاة المدارة والمخاتلة

كما يعود القمر الأفل  
وابنوا إلى الآتين من بعدكم  
يبن لمن يخلّفه القابل  
ما دمتم للحق أنصاره  
هيهات أن ينتصر الباطل

\*\*\*\*



## ٦٢ - العيون السود

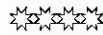
[الكامل]

ليت الذي خلق العيون السودا  
خلق القلوب الخافقات حديدا  
لولا نواعسها ولولا سحرها  
ما ود مالك قلبه لو صيدا  
عوذ فؤادك من نبال لحاظها  
أو مت كما شاء الغرام شهيدا  
إن أنت أبصرت الجمال ولم تهمل  
كنت امرأة خشن الطباع، بليدا  
وإذا طلبت مع الصبابة لذة  
فلقد طلبت الضائع الموجودا  
يا ويح قلبي إنه في جانبي  
وأظنه نائي المزار بعيدا  
مستوفز شوقا إلى أحبابه  
المرء يكره أن يعيش وحيدا  
برا الإله الضالوع وقاية  
وأرته شفقوته الضلوع قيودا  
فإذا هفا برق المنى وهفاله  
هاجت دفائنه عليه رعودا  
جشمته صبرا فلما لم يُطق

---

(١) التصويب انخفاض التنفس والتصعيد تنفس الصعداء، وهو تنفس يمتد

جَشْمَتُهُ التُّصُوبِ والتَّصْعِيدَا<sup>١</sup>  
 لو أَسْتَطِيعُ وَقِيَّتَهُ بِطُشِّ الهَوَى  
 ولو اسْتَطَاعَ سِلَا الهَوَى مُحَمُودَا  
 هي نَظْرَةٌ عَرَضَتْ فَصَارَتْ فِي الحَشَا  
 نَارًا، وَصَارَ لَهَا الفُؤَادُ وَقُودَا  
 والحبُّ صَوْتُ، فَهُوَ أَنَّهُ نَانِحٍ  
 طُورًا وَأَوْنَةً يَكُونُ نَشِيدَا  
 يَهْبُ البَوَاغِمِ أَلْسُنًا صَدَاحَةً  
 فَإِذَا تَجَنَّى أَسَكْتَ الغَرِيدَا<sup>(١)</sup>  
 مَا لِي أَكَلَفُ مُهْجَتِي كَتَمِ الأَسَى  
 إِنْ طَالَ عَهْدُ الجَرَحِ صَارَ صَدِيدَا  
 وَيَلْذَنْ نَفْسِي أَنْ تَكُونَ شَقِيَّةً  
 وَيَلْذَنْ قَلْبِي أَنْ يَكُونَ عَمِيدَا<sup>٢</sup>  
 إِنْ كُنْتُ تَدْرِي مَا الغَرَامُ فَدَاوِنِي  
 أَوْ لَا، فَخُلِّ العَذْلُ والتَّفْنِيدَا



يَا هِنْدُ قَدْ أَفْنَى المَطَالُ تَصْبُرِي  
 وَفَنَيْتُ حَتَّى مَا أَخَافُ مُزِيدَا  
 مَا هَذِهِ البَيْضُ الَّتِي أَبْصَرْتَهَا  
 فِي لِمَّتِي إِلَّا اللَّيَالِي السُّودَا  
 مَا شَبِبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ الَّذِي  
 حَمَّأْتُ نَفْسِي حَمَّائَةً الفُؤَادَا<sup>٣</sup>  
 هَذَا الَّذِي أَبْلَى الشُّبَابَ وَرَدَهُ

(١) البُعَامُ عَدَمُ الإِفْصَاحِ فِي الْحَدِيثِ، وَبُعَامُ الظُّلْمَةِ صَوْتُهَا (بَعَمْتُ تَبْعُمُ)

(٢) العَمِيدُ الشَّدِيدُ الْحَزَنُ (مِثْلُ المَعْمُودِ)

خَلَقْنَا وَجَعَدَ جِبْهَتِي تَجْعِيدَا  
 عَلَّمْتُ عَيْنِي أَنْ تَسْحَ دُمُوعُهَا  
 بِالْبَخْلِ عَلَّمْتُ الْبَخِيلَ الْجُودَا  
 وَمَنْعْتُ قَلْبِي أَنْ يَقْرُرَ قَرَارُهُ  
 وَلَقَدْ يَكُونُ عَلَى الْخُطُوبِ جَلِيدَا  
 دَلَّهْتُ نَبِيَّ وَحَمَيْتُ جَفْنِي غُمُضُهُ  
 لَا يَسْتَطِيعُ مَعَ الْهَمُومِ هُجُودَا  
 لَا تَعْجِبْنِي أَنَّ الْكُوكَبِ سَهْدُ  
 فَأَنَا الَّذِي عَلَّمْتُهَا التَّسْهِيدَا  
 أَسْمَعْتُهَا وَصَفَ الصَّبَابَةِ فَاثْنَتُ  
 وَكَأَنَّمَا وَطِئَ الْحَفَاةُ صُرُودَا<sup>١</sup>  
 مَتَعَثَّرَاتٍ بِالظَّلَامِ كَأَنَّمَا  
 حَالُ الظَّلَامِ أَسَاوِدَا وَأُسُودَا<sup>٢</sup>  
 وَلَوْ أَنَّهَا عَرَفَتْ مَكَانَكَ فِي الثَّرَى  
 صَارَتْ زَوَاهِرُهَا عَلَيْكَ عُقُودَا  
 أَنْتِ الَّتِي تُنْسِي الْحَوَائِجَ أَهْلَهَا  
 وَأَخَا الْبَيَانَ بَيَانَهُ الْمَعْهُودَا  
 مَا شِئِمْتُ حُسْنِكَ قَطُّ إِلَّا رَاعَنِي  
 فَوَدِدْتُ لَوْ رَزَقَ الْجَمَالَ خُلُودَا  
 وَإِذَا ذَكَرْتُكَ هَزَّ ذِكْرُكَ أَضْلَعِي  
 شَوْقًا كَمَا هَزَّ النَّسِيمُ بَنُودَا  
 فَحَسِبْتُ سِقْطَ الطَّلِّ نَوْبَ مُحَاجِرِي  
 لَوْ كَانَ دَمْعُ الْعَاشِقِينَ نَضِيدَا  
 وَظَنَنْتُ خَافِقَةَ الْغُصُونِ أَضَالِعَا

(١) الصرود مسمار في سنان الرمح، وجمعه صُرُود

(٢) الأساود (جمع الأسد جمع الجمع)

وَمِمَّا رَهْنُ الْفَانِيَّاتِ كُبُودَا  
وَأَرَى خِيَالَكَ كُلَّ طَرْفَةٍ نَاطِرٍ  
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَرَاهُ جَدِيدَا  
وَإِذَا سَمِعْتُ حِكَايَةَ عَنْ عَاشِقٍ  
عَرَضًا حَسِبْتُ أَنَّي الْفَتَى الْمَقْصُودَا  
مَسْتَيْقِظٌ وَيُظَنُّ أَنِّي نَائِمٌ  
يَا هِنْدُ، قَدْ صَارَ الذَّهُولُ جَمُودَا  
وَلَقَدْ يَكُونُ لِي السُّلُوكُ عَنْ الْهَوَى  
لَكِنَّمَا خُلِقَ الْمُحِبُّ وَدُودَا

\*\*\*\*

## ٦٣ - هاتها

[مجزوء المديد]

هَاتِهَا فِي الْقَدَحِ	نَسْمَةٌ فِي شَبِيعِ
هَاتِهَا فَالْنَفْسُ فِي	حَاجَةٍ لِلْفَرَحِ
وَاسْقِنِيهَا كَوْثَرًا	وَعَالِيًا اقْتَرَحِ
إِنْ تَكُنْ قَدْ حَرَمْتَ	فَعَلَى الْمُسْتَقْبَحِ
هِيَ فِي صُفْرَتِهَا	طَالِعَةُ الْمُفْتَخِ <sup>١</sup>
وَهِيَ فِي حَمْرَتِهَا	كَخُذِيدِ <sup>٢</sup> الْمُسْتَحِ
وَهِيَ فِي شِدَّتِهَا	ثَوْرَةَ الْمُجْتَرِحِ <sup>٣</sup>
وَهِيَ فِي رِقَّتِهَا	خَاطِرُ لَمْ يَلُحِ
أَتْرَاهَا شَفَقًا	كُلَّلتَ بِالصُّبْحِ
أَمْ هِيَ الْوَجَنَاتُ قَدْ	نُوبِتْ فِي قَدَحِ؟

\*\*\*\*\*

---

(١) تغير اللون عند الافتضاح

(٢) تصغير الحد

(٣) المرتكب أو المكتسب

## ٦٤ - إلى صديق

[الكامل]

ما عَزَّ مَنْ لَمْ يَصْحَبِ الْخَدِمَا  
فَاخْطَمَ دَوَاتَكَ؛ وَاكْسَرَ الْقَلَمَا<sup>١</sup>  
وَارْحَمَ صِيبَكَ الْغَضَّ، إِنَّهُمْ  
لَا يَحْمِلُونَ، وَتَحْمِلُ الْأَلَا  
كَمْ ذَا تُنَادِيهِمْ وَقَدْ هَجَعُوا  
أَحْسَبْتَ أَنَّكَ تُسْمِعُ الرُّمَمَا  
مَا قَامَ فِي أَذَانِهِمْ صَمَمٌ  
وَكَأَنَّ فِي أَذَانِهِمْ صَمَمَا  
الْقَوْمُ حَاجَتُهُمْ إِلَى هِمَمٍ  
أَوْ أَنْتَ مِمَّنْ يَخْلُقُ الْهِمَمَا؟  
تَالِلهِ لَوْ كُنْتَ ابْنَ سَاعِدَةٍ  
أَدْبَا وَحَاتِمِ طَيِّئٍ كَرَمَا<sup>٢</sup>  
وَبَذَذْتَ جَالِينُوسَ حَكَمَتَهُ  
وَالْعَلَمَ رَسْطَالِيْسَ وَالشُّمَمَا<sup>٣</sup>  
وَسَبَقْتَ كَوَلْبُوسَ مَكْتَشَفَا  
وَشَأَوْتَ أَدِيْسُونِ مُعْتَزِمَا  
فَسَلَبْتَ هَذَا الْبَحْرَ لَوْلُوهُ  
وَحَبَوْتَهُمْ إِيَّاهُ مُنْتَظِمَا

(١) الحذم سرعة القطع يريد السيف

(٢) قسّر بن ساعدة الإيادي من حكماء العرب، وحاتم من كرمائهم

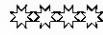
(٣) جالينوس Galènes الطبيب اليوناني الذي اعتمده أطباء العرب

وكشفت أسرار الوجود لهم  
وجعلت كل مبعّد أمما<sup>١</sup>  
ما كنت فيهم غير متهم  
اني وجدت الحرمتهم  
هانوا على الدنيا فلا نعمة  
عرفتهم الدنيا ولا نعمة  
فكانما في غيرها خلقوا  
وكانما قد اثروا العدم  
أو ما تراههم، كما انتسبوا  
نصّلوا<sup>٢</sup> فلا عرباً ولا عجم  
ليسوا ذوي خطر وقد زعموا  
والغرب ذو خطر وما زعموا  
متخاذلين على جهالتهم  
إن القوي يهون منقسماً  
فالبحر يعظم وهو مجتمع  
وتراه أهون ما يرى ديم  
والسور ما ينفك ممتنعاً  
فإذا يناكر بعضه أنه دما  
والشعب ليس بناهض أبداً  
ما دام فيه الخلف محتكما  
يا للأديب وما يكابده  
في أمة لا تشبه الأمم  
إن باح لم تسلم كرامته

(١) أمامهم، في أنظارهم

(٢) فصل ونزع

والإثمُ كلُّ الإثمِ إن كنتَ ما  
يَبْكِي فتَضَحَّكُ مِنْهُ لَاهِيَةً  
والجَهْلُ إن يَبْكُ الحِجَا ابْتَسَمَا  
جاءت وما شَعَرَ الوجودُ بِهَا  
ولسوفَ تَمْضِي وهو ما عَلِمَا  
سارَ الشُّعُوبُ إِلَى العُلَا عَنَقًا  
وَوْنَتْ فَلَمْ تَنْقُلْ لَهَا قَدَمَا<sup>١</sup>  
ما أَحْدَثَتْ فِي الدَّهْرِ طَارِفَةً  
تَبْقَى، وَلَيْسَ تَلِيْدُهَا عَلَمَا  
ضَعُفَتْ فَلَا عَجَبٌ إِذَا اهْتَضِمَتْ  
الْأَيْثُ، لَوْلَا بِأَسُهُ، اهْتَضِمَا  
فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْكَوْنَ، سُنَّتَهُ  
كَالْبَحْرِ يَأْكُلُ حَوْتَهُ الْبِلَمَا<sup>٢</sup>  
لَا يَرْحَمُ الْمَقْدَامُ ذَا خَوْرٍ  
أَوْ يَرْحَمُ الضَّرْغَامَةُ الْغَنَمَا؟



يَا صَاحِبِي، وَهَوَاكَ يَجْذِبُنِي  
حَتَّى لِأَحْسَبُ بَيْنَنَا رَحِمَا  
مَا ضَرَرْنَا، وَالْوَدُّ مَلَّتْ بَيْنُنَا  
أَلَا يَكُونُ الشُّمْلُ مَلَّتْ بَيْنَنَا  
النَّاسُ تَقْرَأُ مَا تُسْطَرُّهُ  
حَبْرًا، وَيَقْرُؤُهُ أَخْوَاكَ دَمَا  
فَاسْتَبَقِ نَفْسًا، غَيْرَ مُرْجِعِهَا

(١) العنق السير الفسيح السريع والونى البطء والتراخي

(٢) البلم السمك الصغير



عَضُّ الْأَنَامِلِ بَعْدَهَا نَدَمًا  
 مَا أَنْتَ مُبَدِّلُهُمْ خِلَانَقَهُمْ  
 حَتَّى تَكُونَ الْأَرْضُ وَهِيَ سَمًا  
 زَارَتْكَ لَمْ تَهْتِكْ مَعَانِيَهَا  
 غَرَاءُ يَهْتِكُ نُورَهَا الظُّلُمَا  
 سَبَقَتْ يَدِي فِيهَا هَوَاجِسَهُمْ  
 وَنَطَقْتُ لَمَّا اسْتَصْحَبُوا الْبُكْمَا  
 فَإِذَا تُقَاسُّ إِلَى رَوَائِعِهِمْ  
 كَانَتْ رَوَائِعُهُمْ لَهَا خَدَمًا  
 كَالرَّاحِ لَمْ أَرْقُبْ سَامِعَهَا  
 سَكْرَانٌ، جِدُّ السُّكْرِ، مُحْتَشِمًا<sup>(١)</sup>  
 يَخْدُ الْقِفَارَ بِهَا أَخْوَلَجِبِ  
 يُنْسِي الْقِفَارَ الْأَيْتُوقَ الرَّسْمَا<sup>(٢)</sup>  
 أَقْبَسَتْهُ شَوْقِي فَأَضْلَعُهُ  
 كَأَضَالَعِي مَمْلُوءَةٌ ضَرْمًا  
 إِنْ الْكَوَاكِبُ فِي مَنَازِلِهَا  
 لَوْ شِئْتُ لَأَسْتَنْزَلْتُهَا كَلِمَا

\*\*\*\*\*

(١) جِدُّ السُّكْرِ غَايَتُهُ وَقُوَّتُهُ

(٢) الْوَحْدُ الْإِسْرَاعُ وَتَوْسِيعُ الْحَطَرِ وَالْأَيْتُوقُ الرَّسْمُ صِفَةُ لِلنُّوقِ

## ٦٥ - باخرة الإغاثة

[الكامل]

سيرى تُراعيكِ النجومُ السَّاهِرةُ  
ليلاً، وعينُ الشمسِ عندَ الهاجِرةِ  
فلأنتِ عندَ الشُّرُقِ أجملُ باخره  
تجري إليه بها المياهُ الزَّاخره

يا ليت أني فيكِ أو إياكِ  
سيرى تداعبُ فوقكِ الريحُ العَلَمُ  
وتُلاطفُ البحرَ الخِضَمُ إذا احتدمُ  
بُوركتِ باخره وبوركِ من عِلْمُ  
فيكِ الخلاصُ لساكِني تلكَ الأكَمُ

يا ليت أني فيكِ أو إياكِ  
في الشُّرُقِ أحبابُ على جمرِ الغُضا<sup>١</sup>  
نقمُ الزمانُ عليهمُ بعدَ الرضا  
هَجَرُوا الكرى وتطلَّعُوا نحوَ الفضا  
يتوقَّعونكِ كلما برَّقَ أضْنا

سيرى فإنَّ الحربَ<sup>٢</sup> في مسراكِ  
بيروت... يا بنتَ البُخارِ الجاريةِ

---

(١) شجر خشبه صلب، تحرق غصونه، وفحمه صلب يكثر في نجد

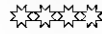
فإذا سئلت من البقايا الباقية  
قولي لهم: إن الحياة الهانية  
لم تُنسِنَا سَكَّانَ تلك الناحية  
أما الدليل، فحسبنا إياك!

\*\*\*\*

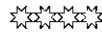
## ٦٦ - مصرع القمر

[مختلط]

لوعةٌ في الضَّلوعِ مِثْلُ جَهَنَّمَ  
تركتُ هذه الضَّلوعَ رمادا  
بِتُّ مرمى الدهرِ بي يتعلَّمُ  
كيف يُصمِّي القلوبَ والأكبادا  
كيف ينجو فؤاده أو يسلمُ  
من تمادى به الأسى فتُمادى  
أنا لولا الشُّعورُ لم أتألَّمُ  
ليت هذا الفؤاد كان جمادا

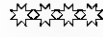


كيف لا أبكي وفي العين دموعُ  
كيف لا أشكو وفي القلب صُروعُ  
قلُّ في الناس من صَبِرَ  
مختارا

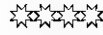


لحظةً، ثم صار ضِحْكِي وجِيبا  
ونشيجا، والنومُ صار سُهادا  
رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَ هَذا الخُطوبا  
لِمَ لَمْ تَخْلُقِ الحِشاشَ فُولادا  
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ وَجَدْتُ حَبِيبا  
طلع الموتُ بيننا يتهدى

صِرتُ في هذه الحياة غريباً  
ليت سُهدي الطويل كان رُقّاداً



فتجلّد أيها القلبُ الجزوعُ  
أو تدفّق كما شاء الولوعُ  
عَنَدَمًا أو دَمًا هُدِرَ  
أو ناراً<sup>١</sup>



كان بين الكرى وبينني صلحُ  
فأراد القضاء أن نتعاضد  
لم أكد أخلع السّواد وأصحو  
من ذُهولي، حتى لبست السّوادا  
في فؤادي، لو يعلم الناسُ، جُرحُ  
لا يُلأشى حتى يُلأشى الفؤادُ  
يا خليلي! هيهات ينفع نُصحُ  
بعدهما ضيّع الحزينُ الرُّشاد



أنت لا تستطيعُ إحياء الصّريعِ  
وأنا، حملُ الأسي لا أستطيعُ  
ذا الذي صيّر الكدرَ

أكداراً<sup>٢</sup>



---

(١) العُندم نبت يستخرج منه صباغ أحمر

(٢) الإكدار جمع الكدر

يا ضريحاً على ضفاف الوادي  
جاد من أجلك الغمامُ البلادا  
فيك أودعتُ، منذُ ستٍّ، فؤادي  
وبرغمي أطلتُ عنك البُعادا  
غير أني، وإن عدتني العوادي  
ما عدتني بالروح أن أرتادا  
أنبتتُ حولك الزهور الغوادي  
والليالي أنبتتُ حولي القنادا  
~~~~~

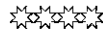
ونبولُ الغصنِ في فصلِ الربيعِ  
لوراه شجرُ الروضِ المريعِ  
جمد الماءُ في الشجرِ  
مُحتاراً  
~~~~~

كيف لا يتَّقِي الكرى أجفاني  
وجُفوني قد استحلن صغادا  
ودموعي بلونها الأرجواني  
منهلٌ ليس يُعجب الورادا  
والذي في الضلوع من نيرانِ  
صار ثوباً ومَقْعداً ووسادا  
كيف يقوى على الشَّدائد عانِ  
أكل السُّقْمُ جسمه أو كادا  
~~~~~

فإذا ما غشي الطرف النجيعُ  
فتذكّر أنه القلبُ الصّديعُ

كَظَلُّهُ الْحُزْنُ فَأَنْفَجِرُ

انفجارا



طَائِرُكَانِ فِي الرَّبِّا يَتَغَنَّى

أَصْبَحَ الْيَوْمَ يَحْمِلُ الْأَصْفَادَا

غَصْنُكَانِ وَالصَّبَا يَتَتَنَّى

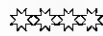
هَضْرَتُهُ يَدُ الرَّدَى فَأَنْدَا

نَالِ مَنِي الزَّمَانُ مَا يَتَمَنَّى

وَأَبَى أَنْ أَنْالَ مِنْهُ مُرَادَا

وَتَجَنَّى مَا شَاءَ أَنْ يَتَجَنَّى

وَاسْتَبَدَّتْ صُرُوفُهُ اسْتَبَدَادَا

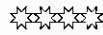


حَطَمَ السَّيْفُ وَمَا أَبْقَى الدَّرُوعَ

وَتَدَاعَى بُونُهُ السُّورُ الْمَنِيْعَ

وَأَرَانِي مِنَ الْعَبْرِ

أَطوارا



مَا لَهْذِي النُّجُومُ تَأْبَى الشُّرُوقَا

أَتَخَافُ الْكَوَاكِبُ الْأَرْضَادَا

فَرَطَ الْبَيْنُ عِقْدَهَا الْمُنْسُوقَا

أَمْ لِمَا بِي أَرَى الْبَيَاضَ سَوَادَا

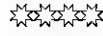
أَمْ فَقِدْتُ كَمَا فَقَدْتُ شَقِيْقَا

فَلَيْسَنَ الدُّجَى عَلَيْهِ حِدَادَا<sup>١</sup>

---

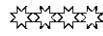
(١) فقد أبو ماضي ثلاثة من إخوته، والأول أصغر منه، ولعله هو الذي يذكره هنا وكان رثاه في قصيدته (البر

ما لعيني لا تبصرُ العيوقا  
ولقد كان ساطعاً وقاداً<sup>١</sup>

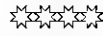


سافراً يختالُ في هذا الرقيعِ  
هل أتاهُ نبأُ الخطبِ الفظيعِ<sup>٢</sup>  
أم رأى مَصْرَعُ القمَرِ

فتواری



سدّد الدهرُ قوسه ورماني  
لم تحدّ مهجتي ولا السهمُ حادا  
هكذا أسكتتْ صُروفُ الزمانِ  
بُلبلاً كان نوحه إنشادا  
فهو اليوم في يدِ السُجّانِ  
يشتهي كل ساعة أن يصّادا  
فاحسبوني أدرجت في الأكفان  
إن أنفتم أن تحسبوا القول بادا



ليس في هذي ولا تلك الربوعِ  
ما يسلي النفسَ عن ذاك الضجيجِ  
قبره، جادك المطرُ  
مِدرارا



---

(١) العيوقى نجم أحمر مضيء، في طرف المجرة الأيمن

(٢) الرقيع الرقعة، ويقصد رقعة السماء



## ٦٧ - في فراش المرض

[الطويل]

مرضتُ فأرواحُ الصَّحَابِ كئيبَةٌ  
بها ما بنفسي، ليت نفسي لها فدا  
ترفَّ حيالي كلما أغمض الكرى  
جفوني جماعاتٍ ومُنَى ومَوْحدا  
تراءى فنأ كالبدور سوافراً  
واونهُ مثلُ الجُمان مُنضداً  
وطوراً أراها حائراتٍ كأنها  
فراقدُ قد ضيَّعن في الأرض فرقدا  
وطوراً أراها جازعاتٍ كأنما  
تخاف مع الظُّلماء أن تتبددا  
أحنَّ إليها رائحاتٍ وعوداً  
سلامٌ عليها رائحاتٍ وعوداً  
تهشُّ إليها مقبلاتٍ جوارحي  
كما طرب السَّاري رأى النور فاهتدى  
وألقى إليها السَّمْع ما طال همسُها  
كذلك يسترعي الأذانُ المَوْحدا  
ويغلبُ نفسي الحزنُ عند رحيلها  
كما تحزنُ الأزهارُ زایلها الندى  
كرهتُ زوال الليل خوف زوالها  
وعودتُ طرفي النوم حتى تعوداً

ولو أنها في الصحو تطرُق مضجعي  
 حميت الكرى جفني وعشتُ مُسهّدا  
 ولو لم تكن تعتاد مني مثلاًها  
 خيالاًتها همتَ بأن تتقيّدا  
 فيا ليتني طيفُ أروح وأعتدي  
 ويا ليتها تسطيعُ أن تتقيّدا  
 نحلتُ إلى أن كدتُ أنكرُ صورتي  
 وأخشى لفرطِ السُّقم أن أتهددا  
 مبيتني على مثلِ الوثيرِ ليانة  
 وأحسبني فوق الأسنة والمُدى  
 كأن خيوط المهد صارت عقارباً  
 كأن وسادي قد تحولَ جُلماًدا  
 لقد توشك الحمى، إذ جدّ جدّها  
 تُقوّم من أضلاعي المتأودا<sup>١</sup>  
 تُصوّرُ لي طيف الخيال حقيقة  
 وأحسب شخصاً واحداً متعدداً  
 لقد ضعفتني، وهي سرٌّ، ولم يكن  
 يُضعفني صرْفُ الزمان إذا عدا  
 إذا ما أنا أسندتُ رأسي إلى يدي  
 رمّتني منها بالذي يوهنُ اليدا  
 تغلغل في جسمي النحيل أوارها  
 فلو لم أقدُ<sup>٢</sup> الثوب عنه توقّدا  
 رأيتُ الذي لم يبصرِ الناسُ نانماً  
 وطُفتُ الدُنا شرقاً وغرباً مُوسدا

(١) المتأود المتمايل

يقول النطاسي لو تَبَلَّدَتْ سَاعَةٌ  
 تَبَلَّدْتُ لو أَنِي أَطِيقُ التَّبَلُّدًا<sup>١</sup>  
 تهامس حولي العائدون ورجِّموا  
 وعَنَّفْ بعضُ الجاهلِينَ وفَنِّدَا  
 فما ساءَني إلا شِمَاتُهُ معَشِرِ  
 رجوتُ بهم عند الشَّدائدِ مُسْعِدَا<sup>٢</sup>  
 أسأتُ إليهم، بل أساوُوا فإنني  
 ظننتهم شُرَواي خُلُقًا ومَحْتِدَا  
 أحبُّ الضَّئِنِي قَوْمٌ لَأَنِي ذُقْتُه  
 وأحببته، كيما يُحِبُّ وَيُحْسِدَا  
 وودَّ أناسٌ لو يعاجِلُنِي الرَّدَى  
 كَأَنِّي أَرْجُو فِيهِمْ أَنْ أُخْلُدَا  
 وما ضَمِنُوا ألا يموتُوا، وإنما  
 يودُّ زوالَ الشمسِ مَنْ كانَ أَرْمَدَا<sup>٣</sup>  
 إذا الليلُ أَعْيَاهُ مَسَاجِلَةُ الضُّحَى  
 تَمَنَّى لو أَنَّ الصُّبْحَ أَصْبَحَ أَسودَا  
 على أَنِّي والداءِ يَأْكُلُ مُهْجَتِي  
 أرى العارَ، كُلَّ العارِ، أَنْ أَحْسُدَ العِدَا  
 فإنَّ الذي بِالجِسمِ لَا يَدَّ زَانِلُ  
 ولكنَّ ما بِالطَّبِيعِ يَنْفَكُ سَرْمَدَا  
 لئن أَجْلَبَ الغَوغَاءُ حَوْلِي وَأَفْحَشُوا

(١) النطاسي العالم الحبير والطبيب الحاذق

(٢) الإسعاد البكاء مع الآخر في مصيبتة

(٣) الرمد ما يصيب العين (أرمد - رمداء)

(٤) أجلبوا تجمعوا

فكم شتموا موسى وعيسى وأحمدا<sup>٤</sup>  
 ولا عجب أن يُبغض الحُرُّ جاهلٌ  
 متى عشقَ اليومُ الهزار المغرِّدا<sup>١</sup>  
 واني في كبتِ العُدَّةِ وكيدهم  
 كمن يسلك الدربَ القصيرَ المعبدا  
 ولكنني أعفو وللغيظِ سورة  
 أعلمُ أعدائي المروءة والنُّدى  
 ألا ربَّ غرٍّ خامرَ الشكُّ نفسه  
 فلما راني أبصرَ البحرَ مُزبدا  
 فأصبحَ يخشاني وقد بت ساكتا  
 كما كان يخشاني وقد كنتُ مُنشدا  
 ويرهبُ اسمي أن يُطيفَ بسمعه  
 كما تتَّقِي الدِّراءَ حرفًا مشددا<sup>٢</sup>  
 ومن نال منه السَّيفُ وهو مُجرِّدٌ  
 تهيبُ أن يرنو إلى السَّيفِ مُعمدا  
 أُحبُّ الأبِّي الحُرَّ لا ودَّ عنده  
 وأقلى الذليلَ النفسَ مهما توددا  
 وبين ضُلوعي قُلُبٌ ما تمرَّتْ  
 عليه بناتُ الدهرِ إلا تمرِّدا  
 ولو أن من أهوى أطال دلاله  
 منعتُ هواه أن يجوزَ بي المدى  
 لترمَّ الغواذي بي الغواذي، فإنني  
 تركتُ لمن يهواهما اللُّهو والدُّدا<sup>٣</sup>

(١) الهزار هو العنقليب

(٢) الدرد خلَّو الفم من الأسنان (أرد - درء)

(٣) الدد اللُّهو واللعب

## ٦٨ - رثاء

### المثلث الرحمة المطران رفائيل هواويني

[الكامل]

أودى فنور الفرقدين ضئيل  
وعلى المنازل رهبةً وذهول  
خلق الأسى في قلب من جهل الأسى  
قول المخبّر: مات رفائيل  
فمن الجوى بين الضلوع صواعق  
وعلى الخدود من الدموع سيول  
قال الذي وجد الأسى فوق البكا  
وبكى الذي لا يستطيع يقول  
يا مؤنس الأموات في أرماسها  
في الأرض بعدك وحشة وخمول  
لا الشمس سافرة ولا وجه النّرى  
حال، ولا ظل الحياة ظليل  
ما زال هذا الكون بعدك مثله  
لكن نور الباصرات قليل  
نبراسنا في ليل كل ملامة  
الليل بعدك حالك وطويل  
هبنني بيانك، إن عقلي ذاهل

ساءَ وغرَّبَ يراعَتِي مَقْلُول  
 قد فتَّ في عَضُدِ القَرِيضِ وَهْدَه  
 هولُ المَصَابِ، فعِقْدُهُ مَحْلُول  
 ما لي أرى الدُنْيَا كَأَنِّي لَا أَرَى  
 أحَدًا، كَأَنِّ العَالَمِينَ قُضُول  
 أبْكِ إذا مرَّ الغِنَاءُ بِمَسْمَعِي  
 فَكَأَنِّ شَتَّى الشَّادِيَاتِ عَوِيلُ  
 نَفْسِي الَّتِي عَلَّاتَنِي بِلِقَائِهِ  
 اليَوْمَ لَا أَمَلُ وَلَا تَعْلِيلُ  
 نَوْبِي فَإِنَّ العِلْمَ مَا دَعَمَادُهُ  
 والِدَيْنِ أَعْمَدُ سَيْفُهُ المَسْلُولُ  
 هَذَا مَقَامٌ لَا التَّفَجُّعُ سَبَبُهُ  
 فِيهِ، وَلَا الصَّبْرُ الجَمِيلُ جَمِيلُ  
 مَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ طَارِ نَعْيِهِ  
 أَنَّ النَفُوسَ مِنَ العَيُونِ تَسِيلُ  
 مَا أَحْمَقُ الْإِنْسَانُ يَسْكُنُ لِلمُنَى  
 والمَوْتُ يَخْطُرُ حَوْلَهُ وَيَجُولُ  
 يَهْوَى الحَيَاةَ كَأَنَّمَا هُوَ خَالِدُ  
 أَبَدًا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَزُولُ  
 وَمِنْ العَجَائِبِ أَنْ يَحِنَّ إِلَى غَدٍ  
 وَغَدٌ، وَمَا يَأْتِي بِهِ، مَجْهُولُ  
 لَا تَرْكُزْ إِلَى الحَيَاةِ فَإِنَّهَا  
 دُنْيَا هَلُوكُ لِلرِّجَالِ قَتُولُ  
 سَكَتَ الَّذِي رَاضٍ الكَلَامَ وَقَادَهُ  
 حَتَّى كَأَنِّ لِسَانَهُ مَكْبُولُ  
 يَا قَاتِلَ الخُطْبِ الحَسَنِ كَأَنَّمَا

لجمالها، الإلهامُ والتنزيل  
إن كان ذاك الوجهُ حجبهُ الثُّرى  
للنجم في كبد السماء أقول  
ليس الحمامُ يناقِدُ لكنما  
قدَّرَ العظيم على العظيم دليل<sup>١</sup>  
نمَّ تحرَّسُ الأملاكُ قبرك، إنه  
فيه الوقارُ وحوله التبجيل  
فلكم قطعت الليل خافِ نجمه  
متهجِّداً، والساهارون قليل  
مُسْتَنْزلاً عَفُو الإله عن الورى  
حتى كأنك وحدك المَسْنُولُ  
تبغي اللذاتِ النفوسُ وتشتهي  
والله ما تبغيه والإنجيل  
لولا مدارس شدَّتْها وكنائسُ  
ما كان إلا الجهلُ والتَّعْطِيلُ  
أنفقت عمرك في الإله مُجاهداً  
أجرُ المجاهد في الإله جزيل

\*\*\*\*

---

(١) إشارة إلى قول الشاعر الأيوبي (كمال الدين ابن النبيه ت ٦١٩ هـ)  
والموت نقاد على كفه      جواهرٌ يختار منها الجيادُ

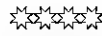
- 
- (١) يريد بالهلال الأتراك، لأنه مرسوم على علمهم، ويرمز إليهم ولكن هل يمكن فصله عن التراث الإسلامي؟ ودال  
عُلب ودارت الدائرة عليه، والإدالة النكبة
- (٢) الفَرَمُ السيد والأصيد من الصيد، وهو رفعُ الرأس رفعة وكبراً
- (٣) يريد الجزيرة العربية



## ٦٩ - فتح أورشليم

[الكامل]

لله ما أحلى البشير وقوله:  
سقط الهلالُ إلى الحُضِيضِ ودالا<sup>(١)</sup>  
بُشرى نسينا كلَّ شيءٍ قبلها  
الناسُ والدُّولاتُ والأجيالا  
رَدَّتْ على الشيخ المسنَّ شبابه  
وعلى الحزين اليانسِ الأمالا  
وعلى الصديق صديقه، وعليهما  
أبويُّهما : وعلى الأب الأطفالا  
لوساوم الخلق الذي وافى بها  
بذلوا له الأرواح والأموالا



من مُبْلَغِ الأبطالِ عني أنني  
أهوى القُرومِ الصَّيِّدِ والأبطالالا<sup>(٢)</sup>  
بالأمسِ قَطَعْتَ الجزيرةَ قيدها  
ورمتَ بوجه الغاشمِ الأغلالالا<sup>(٣)</sup>  
واليوم ودَّعتِ المظالمِ أختها

---

(١) ازاحوا طربوا

(٢) السَّمِذَعُ السيد الكريم السخي والعجاج العيار (ومفرده عجاجة)

(٣) العطريف السيد السخي الكثير الحير

(٤) يصل الأتراك بالمعول لقرب الموطن

(٥) الباشق من الطيور الحادة الرئبال الأسد أو الذئب

ومشتتٌ تجرُّ ذيلها إدلالاً  
 أبناتٍ أورشليمَ ضمَّخُنَّ التُّرى  
 بالطَّيِّبِ واملأْنَ الدُّرُوبَ جمالاً  
 حتى يُمِرَّ الفاتحونَ، فإنهم  
 كَشُّوا<sup>١</sup> الأذى عنكنَّ والإذلالاً  
 فاخلعْنَ أثوابَ الكِبَى والأسَى  
 والبسْنَ من نُورِ الضحَى سُرْبِالاً  
 وانفخنَ بالبسماتِ كلَّ سُمَيْذَعٍ  
 خاضَ العجاجُ ووجهه يتلألا<sup>٢</sup>  
 هذا مجالٌ للفتى أن يزدهي  
 فيه، ولحسناءٍ أن تختالا  
 يا قائدَ الصَّيدِ الغطارفةِ الألى  
 تَحْنِ الرُّؤُوسُ، لذكرهم، إجلالاً<sup>٣</sup>  
 ظنَّ المفعولُ جنودهمَ تحميهمُ  
 والقرْدُ يحسبُه أبوه غزالاً<sup>٤</sup>  
 فتألبوا وتهدَّوا وتوعَّوا  
 حتى طلعت فأجفلوا أجفالا  
 دُعِرَ الطُّيُورُ سَطَا عليهمَ باشقُ  
 وبناتُ أوى أبصرت رنبالاً<sup>٥</sup>  
 كم جحفل بعثوا اليك مع الدُّجَى  
 لاقاه جيشُك، والصبحُ، فزالا  
 طارَدَتْهم فوق الجبال وتحتها  
 كالليث يطردُ دونه الأوعالا  
 فملأت هاتيك الأباطح والرُّبا

(١) الوجى الحفا وشدته (أن يحفى الحافر من كثرة المشي)

(٢) الكفل العجز

بجسومهم، وملأتهم أهوالا  
وحميت إلا السُّهد عن أجفانهم  
ومنعت إلا عنهم الأوجالا  
ساقوا اليك مئينهم والوفهم  
فرقنا وسقت اليهم الأجالا  
وصنعت من أسياقهم ودروعهم  
لرقابهم وزنودهم أغلالا  
لولم تساقطهم اليك جبألهم  
عند الضحى زلزلتها زلزالا  
إن يامنوا وجدوا المنايا يمنة  
أو ياسروا وجلوا الجيوش شimalا  
وشكت خيولك في الميادين الوجى  
فجعلت رؤسهم لهن نعالا<sup>١</sup>  
ورأوك قد عرضت صدرك للظبا  
عند الحصون فعرضوا الأكفالا<sup>٢</sup>  
هنتت بالنصر المبين، فإنه  
نصر يعز على سواك منالا  
هذي القلوب نسجت لها لك أحرفا  
لو أستطيع صنعتها تمثالا  
أرضيت موسى والمسيح وأحمدا  
والناس أجمع والإله تعالى

\*\*\*\*

---

(١) (النبى) القائد الإنجليزي الذي دخل القدس في الحرب العالمية الأولى بعد هزيمة الجيش العثماني

## ٧٠ - إلى الفاتح<sup>١</sup>

الأنبي ، لو طبعنا الشمس يوماً  
وقلّدناها سيفاً صفيحاً  
ورصّعناه بالشُّهب الدُّراري  
لما زدناك فخراً أو مديحاً  
لأنك أشجع الأبطال طُراً  
وأعظم قادة الدنيا فتوحاً  
إذا ما مرّ ذكرُك بين قومٍ  
رأيت أشدهم عيًّا فصيحاً  
فكم داويت سورياً مريضاً  
وكم أسقمت تركياً صحيحاً  
وكم قد صُنّت في بيروت عِرضاً  
وكم أمّنت في الشهباء روحاً  
غضبت على الهلال فخرّ زعراً  
ولّحت له فحاذر أن يلوحاً  
عصفت بهم فأمسى كلُّ حصنٍ  
لخيل النُصر ميداناً فسيحاً  
مشت بك همّة فوق الثُّريا

---

(١) أحسبه يشير إلى ضريح السيد المسيح الذي نهض منه، في العقيدة المسيحية  
(٢) المدينة المعروفة في فلسطين دخلها يسوع بن نون فاتحاً، بعد الخروج من مصر، وجرت فيها مقتلة عظيمة من  
سكانها الكنعانيين

فزَلزَلتِ المعاقِلُ والصُّرُوحا  
من الوادي إلى صحراء سيناء  
إلى أن زُرْتُ ذِيَّكَ الضُّرِيحا<sup>١</sup>  
إلى بحر الجليل إلى دمشق  
تُطارِدُ دونك التركي القبيحا  
فكان الجندُ كُلُّهم يَشُوعًا  
وكانت كلُّ سوريّا أريحا<sup>٢</sup>  
فإنَّ يَكُنِ المسيحُ فدى البرايا  
فإنَّكَ أنت أنقذت المسيحا!

\*\*\*\*

---

(١) ألقاهما في الحفلة الشائقة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية في مونتريال كندا لسيادة الأرشمندريت أفثيموس عفيش، عندما انتخب لأسقفية بروكلن، وكان مع الوفد النيويوركي

## ٧١ - في القطار<sup>(١)</sup>

[الوافر]

سرى يطوي بنا الأميال طياً  
كما تطوي السَّجْلُ أو الإزارا  
فلم ندر وجنح الليل داج  
أبرقاً ما ركبنا أم قطارا  
بنا وبه حنين واشتياق  
ولولا ذان ما سيرنا وسارا  
ولكننا وسعنا الشوق ذرعاً  
وضاق به فصعده بخارا  
وسمينا الذي يخفيه وجداً  
وسمينا الذي يخفيه ناراً  
غفا صحتي وبعضهم تغافى  
ولم أذق الكرى إلا غرارا  
جاست أراقب الجوزاء وحدي  
كما قد يرقب السَّاري المنارا  
يسير بنا القطار ونحن نرجو  
لو اختصر الطريق بنا اختصارا  
وأقسم لو أحدثه بما بي  
لحلق في الفضاء بنا وطارا  
إلى البلد الأمين، إلى كرام

(١) السبب الأرض القفر البعيدة والوحد سعة الحطوف في المشي، والإسراع فيه

(٢) العُقار الحمرة

يُراعون المودة والجوارا  
إلى الممّزداً ودُّهم لديننا  
إذا زدنا صفاتهم اختبارا  
إذا سترت محبتهم قلوباً  
فحبّي لا أطيعُ له استتاراً  
فيا إخواننا في كل أمر  
أصيخوا كي أخاطبكم جهاراً  
طويناها سباسب شاسعات  
تسير الواخداً بها حيارى<sup>١</sup>  
ولولا أن تسير بنا إليكم  
ركائبنا مشينها اختياراً  
لننقل من نيورك لكم تحايا  
تحاكي في لطافتها العقاراً<sup>٢</sup>  
وننقل عنكم أخبار صدق  
تحاكي الندف في الروض انتشاراً  
سمعنا بالهزار ونحن قوم  
كما نهوى الغنا نهوى الهزاراً  
لديكم كوكبٌ وبنّا ظلاماً  
وأنتم تكرهون لنا العثاراً  
جعلنا رسمه في كل نادر  
وصيّرنا القلوب له إطاراً  
أجل، هذا الذي نبغيه منكم  
ونرجو لا الأجل ولا النصاراً

---

(١) النجر والنجار الأصل والحسب

أَتَيْنَاكُمْ عَلَى ظَمَأٍ لَنَا  
عَرَفْنَا فِيكُمْ السُّحْبَ الْغِزَارَا  
وَأَنْتُمْ مَعِشْرُ طَابُوا نَفُوسًا  
وَأَخْلَقْنَا كَمَا كَرُمُوا نِجَارَا<sup>١</sup>  
بَقِيْتُمْ فِي سَلَامٍ وَاغْتَبِطَ  
تَضِيءُ وَجُوهُكُمْ هَذِي الدِّيَارَا

\*\*\*\*

---

(١) الفأها في حفلة أقيمت لتكريمه، بعد سيامته، في نزل سان جورج في بروكلن (نيويورك)

(٢) الكباء عود البخور، أو ضرب من البخور (الجمع كُبأ)

(٣) الأرج توهج ريح الطيب (أرج يارج)



## ٧٢ - السيد المجتبي<sup>١</sup>

[المقارب]

سلامٌ على السيّد المُجْتَبَى  
كقَطَرِ الغمام ونَشْرِ الكِبا<sup>٢</sup>  
ويا مَرَحِبًا بِأَمِيرِ السَّلامِ  
وقلّ له قولُنا: مَرَحِبًا  
قُدُومُكَ بِدَدِّ عَنَّا الأَسَى  
كما يَكشِفُ القَمَرُ الغِيْهَبَا  
وأحيا المُنَى في فؤادِ الفتى  
وردّ إلى الشَّيْخِ عهدَ الصِّبَا  
كأنِّي بِأَيَّارِ خَيْرِ الشُّهُورِ  
أتأهّ البَشِيرُ بِذاك النُّبَا  
فوشى الرِّياضَ، وحلّى الحُقُولَ،  
وزان الوَهْدَ، وزان الرِّبَا  
وقال لأَعْصانِه: صَفَّقِي  
وللطيرِ في الأرضِ أن تخطُّبا  
وللنَّسَماتِ تَجُوبُ البلادَ  
وتملؤها أرجًا طيِّبًا<sup>٣</sup>  
ورنّتَ بِأَنّني أغارِيدها  
فقلتُ لكفّي: أن تكتُبا  
فهذا القَرِيضُ حَفيفُ الغُصُونِ

(١) حيا واجتبي جلس على البيتِ وضمَّ فخذه وساقه إلى بطنه، بذراعيه، ليستند الاسم الحبة، والجمع حبي

(٢) الصَّيْبُ السحابُ نو المطر

(٣) السَّيْبُ المفازة الواسعة لا شيء فيها

وشدُّوا الطيور، ونفحُ الصُّبَا  
 طاعتُ فطال خُفوقِ الفؤادِ  
 كأنَّ به هِرَّةَ الكَهْرِبَا  
 وليس به هِرَّةَ الكَهْرِبَا  
 ولكن رأى التَّائِهَ الكَوْكِبَا  
 وألقت إليك مقاليدَها  
 نفوسٌ تَخَيَّرتِ الأنسِيبَا  
 فيا صاحبَ الشَّيْمِ البَاهِرَاتِ  
 ويا من تُحِلُّ لَدَيْهِ الحُبَا<sup>١</sup>  
 تقولُ عنك صغارُ النفوسِ  
 لأمرٍ فما أدركوا مأربَا  
 ومن يسلبُ الشمسُ أنوارها  
 ومن ذا الذي يُمسِكُ الصَّيِّبَا؟<sup>٢</sup>  
 فأحسِّنْ إليهم وإن أخطؤوا  
 وكنْ كالْحَيَا يُمْطِرُ السَّبْسَبَا<sup>٣</sup>  
 إذا لم تُسَامَحْ وأنتَ الكَرِيمُ  
 فمن ذا الذي يرحمُ المَذْنِبَا؟  
 ❖❖❖❖❖  
 لقد طربَ التَّاجُ والصُّولجانُ  
 وحقُّ لَهْذَيْنِ أنْ يَطْرِبَا  
 فإنْ هَنُؤُوكَ بما نَأْتِه  
 فإنِّي أهْنِي بك المَنْصَرِبَا  
 \*\*\*\*

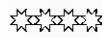
(١) الفتاة إذا لعبت ثديها

(٢) حمس الوغي اشتد القتال

## ٧٣ - مرآة الغرب في سنتها التاسعة عشرة

[الطويل]

سلامٌ عليها طفلةٌ وفتيةٌ  
كزهر الربا البسامِ باكره القطرُ  
كعابٍ تلاقى الحسنُ والفضلُ عندها  
كما يلتقي في الصفحة السطرُ والسطرُ<sup>١</sup>  
لها صولةُ الأبطال إن حمس الوغى  
وفيهما حياةُ البكرِ عمّا به وزر<sup>٢</sup>  
وفيهما من الشيخ الحكيم وقاره  
وفيهما من الخود الملاحه والطهر  
ألا إن حسناً لا يرافقه النُّهى  
وان دام يوماً، لا يدوم له قدر



هي الروض فيه النبتُ والندى والندى  
وفيه الشوادي المطرباتك والزهر  
هي الشمسُ تبو كل يومٍ جديدةً  
يروح بها ليلٌ ويأتي بها فجرٌ  
لكل فتاةٍ خدرها وسوارها  
ولكن هذي كلُّ قلبٍ لها خدر

---

(١) خلق الثوب يخلق بلي وأخلفه أبلاه

يزيد سناها الطي والنشر رونقا  
 ويخلق، حتى المصحف، الطي والنشر<sup>(١)</sup>  
 أنيس الفتى إن غاب عنه أنيسه  
 وأنجمه إن غابت الأنجم الزهر  
 وسيفر تلذ المرء محتوياته  
 إذا لم يكن في البيت ناس ولا سقر  
 إذا رضيت فالنور في كلماتها  
 وإن غضبت فهي الأسنة والجمر  
 وفي كل حرب يعقد الحق فوقها  
 أكاليل نصر يشتهي مثلها البدر  
 ولا غرو إن عزت وهان خصومها  
 فللحق، مهما جعجع الباطل، النصر  
 فكم مرجف أغراه فيها سكونها  
 فلما أهابت كاد يقتله الذعر  
 وكم كاشح غاو أراد بها الأذى  
 ثنى طرفه عنها وفي نفسه الضر  
 لها في ربوع الشرق جيش عرمرم  
 وأعوانها في الغرب ليس لهم حصر  
 ولو كان في المريخ أرض وأمة  
 لكان لها في أرضه عسكر مجر<sup>٢</sup>  
 لتسحب نيول الفخر تيهًا فوحدها  
 يحق لها من بين أترابها الفخر

(١) الفيشر الفخر (فاش فيشاً) والهجر الهذيان، والقول السيئ

ولا غرو إن أهدى لها الشعر وحيه  
 فيا طالما سارت وسار بها الشعر  
 ولا غرو إن صُغنا لها النثر حلية  
 ففي عُنُقِ الحسنة يستحسن الدر  
 وإن يكن الأحرار من نُصرانها  
 فكم نصر الأحرار صاحبها الحر  
 أديبٌ عفيف قلبه ويراعه  
 بغيضُ إليه الطيشُ والفَيْشُ والهَجَرُ  
 ثمان وعشر وهو يخدم قومه  
 ألا حبذا تلك الثمان والعشر  
 ففي العسر لم يجهر بشكوى لسانه  
 وفي اليسر لم يلعب بأعطافه الكبر  
 وشرُّ المزايا أن يصيبك حادثٌ  
 وتجهز بالشكوى وفي وسعك الصبر  
 أهذا كمن يُمسي ويُضحى معربداً  
 وقدامه طبلٌ ومن خلفه زمر؟  
 أهذا كمغتَابِ يروح ويفتدي  
 وفي نُطقه شرٌّ وفي صمته شرٌّ؟  
 أهذا كمفطورٍ على الشرِّ والأذى  
 أحاديثه نُكرٌ وأعماله سَكْرٌ  
 أهذا كافعٌ همها نَفَثَ سمها  
 ونهشُ الذي تلقى ولو أنه صخر  
 أهذا كمن يمشي إلى الوزر عامداً

ويضحكُ مختالاً إذا مسَّه الوزر؟  
أهذا الذي قد حازر المكرَّ جَهْدَهُ  
كمن شابَّ فُوداهُ ودينُهُ المَكْرَ؟  
إذا الدَّهْرُ لم يعرفَ لكلِّ مكانه  
إنَّ قُلَّ لأهلِ الدَّهْرِ قد فسَدَ الدَّهْرُ

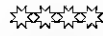
\*\*\*\*

## ٧٤ - مزح في جد

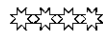
(معربة)

[المتقارب]

رأيتُ غلاماً مـلـيـح الرواءِ  
تـلـوـح النـبـاهة في مـقـالـته  
فـقـلت: تجنّـي علينا الشـتاءِ  
وقـد نفـد الفـحـم مع كـثـرتـه  
فـهل من نـواءٍ لـهـذا البـلاءِ  
لـديـك؟ أجـاب: اقـفـلوا المـدرسة!  
فـقـلت: صـغـيرٌ يـحبُّ الفـضـاءِ  
ويـكره ما لـيس من فـطـرتـه!



وأبـصـرتُ لـصّاً علـى الزاويـة  
كـثـير التـأفـتِ نحو القـصـورِ  
فـقـلت: مـنـازلنا خـالـيـه  
من الفـحـم، والفـحـم نـارٌ ونـورٌ  
فـقـال: لـيـالـيـكم الدّاجـيـه  
تـزول، ولـكن بـهـدم السُّجـونِ!  
فـقـلت: شـقـيٌّ من الأشـقيـاءِ  
يـجـاهد من أجـل حـريـتـه!



وعُـدّتُ إلـى رـجـلٍ مـوسـرٍ  
لـه شـهـرةٌ ولـه مـنـزلةٌ

فقلت: سريُّ كلامُ السُّريِّ  
إذا وقع الناس في مشكله  
فما هو رأيك؟ قال: اقصِرِ  
مع البرد لا تنفع الولوله!  
فأدركت أن فتى الأغنياء  
ضنينٌ يخاف على ثروته!  
\*\*\*\*\*

وأبصرتُ شخصاً كثير الحذر  
فرحتُ أبثَّ له لومتي  
فحملق حتى رأيتُ الشرَّ  
يطير سراعاً إلى مُهجتي  
وصاح: هي الحرب أصلُ الخطر  
فرنُّوا الحسام إلى غمده!  
فقلت: عدوُّ قليل الحياءِ  
يحاذرُ شرّاً على بولته!  
\*\*\*\*\*

(هيوز) وقد كان قبلاً مرشح  
شكوتُ إليه انقلاب الأمور  
ولما طلبتُ الجواب تنحنَّ  
وقال: الحلافةُ أصلُ الشرور!  
فقلت: المرشح لا شك يمزح  
وما زلتُ في حيرة واضطراب  
كطيّارة في مهبِّ الهواء  
إلى أن نظرتُ إلى لحيتَه!

---

(\*) لم نعثر على هذا النشيد



\*\*\*\*

## ٧٥ - نشيد التباراري\*

(معربة) (٢١ بيتاً)

\*\*\*\*

## ٧٦ - ذكرى

[الكامل]

ولقد ذكرتك بعد ياسٍ قاتلٍ  
في ضحوةٍ كثرت بها الأنواءُ  
فوددت أني غرسه أو زهرةً  
ووددت أنك عاصفٌ أو ماءٌ

\*\*\*\*

---

(١) إرناز الصياح والتصويت (أرنت القوس صوتت)

## ٧٧ - جرجي زيدان

[مختلط]

ثَكِلَ الشُّرْقُ فَتَاهُ  
لِيَتَنِي كُنْتُ فِدَاهُ  
لِيَتَنِي كُنْتُ أَصَمًّا  
عندما النَّاعِي نَعَاهُ  
قد نعى النَّاعُونَ زَيْدَا  
نَا إِلَى الْبَدْرِ سَنَاهُ  
وَالِى التَّارِيخِ وَالْعَدَا  
م أَبَاهُ وَأَخَاهُ!



سَرَى نَعْيُهُ فَالِدُمْعُ فِي كُلِّ مَحْجَرٍ  
كَأَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ خَلْفَ الْمَحَاجِرِ  
وَلِلطَّيْرِ فِي الْجَنَّاتِ إِرْنَانٌ تَاكُلِ  
وَلِلْمَاءِ أَنْثَاءُ الْغَرِيبِ الْمَسَافِرِ  
وَلِلنَّجْمِ، وَهُوَ النَّجْمُ، مِشْيَةٌ ظَالِعِ  
وَلِلْأَرْضِ، وَهِيَ الْأَرْضُ، وَقِفَةٌ حَانِرِ  
وَمَا كَامِنٌ فِيهِ الْأَسَى غَيْرُ كَامِنِ  
وَلَا ظَاهِرٌ فِيهِ الْأَسَى غَيْرُ ظَاهِرِ  
فَمَنْ لَمْ يَرِ الْبَاكِينَ فِي كُلِّ مَنْزِلِ  
فَمَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ شَوْقَ الْمَرَانِرِ  
وَهِيَ الْبَرْقُ مِمَّا حَمَلُوهُ فَلَمْ يُطِقْ

يحدِّثنا عنه بغير الأثائر  
فيا خبراً ألقى الفجیعة بیننا  
لأنت علينا اليوم أشأم طائر  
ويا ناقل الأنباءِ جهلٌ كُنْهَا  
كرهناك حتى قادمًا بالبشائر  
أقام الأسى بين العزاء ومُهْجتي  
وباعد ما بين القريض وخاطري  
فأمسيتُ لا أدري أسْتَرُّ من الدجى  
على الشمس أم ضيَّعتُ أسود ناظري؟  
وبات فوادي يتَّقِي نِزواته  
كما يتَّقِي العصفورُ بأس الكواسر  
كَأَنَّ بقلبي شاعراً ينظمُ الأسى  
كَأَنِّي تولى مدمعي كلُّ ناثر  
ألا ليت شعري بعد ما طار نعيه  
أفي أرض مصرٍ نائمٌ غيرُ ساهر  
وهل في سماء النيلِ غيرُ دياجرٍ  
وهل في مياه النيلِ غيرُ مجامرٍ  
وهل في ضفاف النيلِ بين نخيله  
مغرَّدة أو انسٌ غيرُ نافرٍ  
بم سمير الإخوان في كلِّ ليلةٍ  
وصاحبهم في اللحدِ غيرُ مُسامرٍ؟  
ليبك عليه المسلمون فإنَّهم  
أضاعوا به مُحيي العصورِ النواثر  
وتبكِ النَّصارى فخرها وعميدها

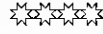
---

(١) المعثر موضع الزلَّة والعثرة

فما بعده من حجة لمفاخر  
 فما جادت الدنيا عليهم بمثله  
 وغير يسير أن تجود بأخر  
 أيا جبل العلم الذي ماد هاوياً  
 عزيز علينا أن تُرى في الحفائر  
 عليك يود الغرب لو كان مشرقاً  
 وفيك يحب الحي أهل المقابر  
 ويغبط تبر الأرض فيك ترابها  
 ويحسد ماء الجفن ماء المحابر  
 وما عادة خفض الرجال رؤوسها  
 ولكنما في الأرض كنز الجواهر  
 لتفخر على الشهب الجنادل والحصى  
 ففيها هلال العلم شمس المحاضر  
 شأوت الأوالي جامعاً ومؤلفاً  
 وزدت بأن أحرزت فضل الأواخر  
 تخير أحداث الليالي كبارنا  
 كأن المنايا صبب بالأكابر  
 ونضحك للآمال ضحكة وامق  
 فيضحك منا الدهر ضحكة ساخر  
 رضيينا بأن تغشى الغزاة بلادنا  
 ونمنا وما نامت عيون المعاصر  
 لها كل يوم بيننا حكم جانر  
 وأقدام موتور وفتكة ثائر  
 على أنها تقتصر من غير مذنب

(١) السيوف وأمضاها أشدها وأحسنها مضاً

وتأخذُ بالأوتار من غيرِ وِتر  
فيا ويح هذا الشُّرق كيف اغتباطه  
وأمضى مواضيه<sup>(١)</sup> كليل الأظافر؟



جلُّ في مصر لكن  
في العراقين صداه  
ماد لبنان وماد  
الشام لما سمعاه  
كاد أن يخذل فيه  
كلُّ طود منكباه  
أيها الراحل عنا  
بلغ الحزن مداه  
قد بكاك الأفق حتّى  
فرقدها وسهاه  
يا خليلي أعينا  
من عصاه مسعدها  
خانت النفس قواها  
خانت البين قواه  
قد مضى من تتمني  
كلُّ عين أن تراه  
فتمني كلُّ قبر  
حين أودى لحواه  
مات زيدان أبو التّأ  
ريخ فليحي فتاه!

---

(١) يبدو أنه يخاطب راعي الكنيسة

(٢) النقد صغار العنم، الواحدة نقدة، والجمع نقاد ونفاذة

\*\*\*\*

## ٧٨ - أيها الراعي<sup>١</sup>

[الوافر]

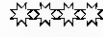
شهورُ العامِ أجملُها ربيعٌ  
وأبغضُها إلى الدنيا جُمادى  
وخيرُ المالِ ما أمسى زكاةً  
وخيرُ الناسِ من نفعِ العبادِ  
بِرَبِّكَ قُلْ لَنَا وَخَلَاكَ ذمُّ  
أعيسى كان يدخِرُ العتادا؟  
تنبيهٌ أيها الراعي تنبيهٌ  
فَمَنْ حَفِظَ الْوَرَى حَفِظَ الْعِبَادِ  
خِرَافُكَ بَيْنَ أَشْدَاقِ الضُّواري  
وَمِثْلُكَ مِنْ حَمَى وَوَقَى النِّقَادِ<sup>٢</sup>  
تَبَدَّلَ أَمْنُهُمْ رَعِيًّا وَخَوْفًا  
وَصَارَتْ نَارٌ أَكْثَرُهُمْ رَمَادًا  
لَقَدْ أَكَلَ الْجَرَادُ الْأَرْضَ حَتَّى  
تَمَنُّوا أَنَّهُمْ صَارُوا جَرَادًا

---

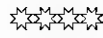
(١) الزعفران

(٢) القناد الشوك، وشجر له شوك

فَمَا لَكَ لَا تَجُودُ لَهُمْ بِشَيْءٍ  
وَقَدْ رَقَّ الْعَدُوُّ لَهُمْ وَجَادَا؟  
وَمَا لَكَ لَا تُجِيبُ لَهُمْ نِدَاءً  
كَأَنَّ سِوَاكَ، لَا أَنْتَ، الْمُنَادِي؟

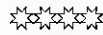


وَرَبَّةٌ سَاهِرٌ فِي بَعْلِكَ  
يَشَاطَرُ جَفْنَهُ النَّجْمُ السُّهَادَا  
يَزِيدُ اللَّيْلُ كُرْبَتَهُ أَشْتَدَّادَا  
وَفَرَطُ الْهَمِّ لَيْلَتُهُ سَوَادَا  
إِذَا مَالَ النَّعَاسُ بِأَخْذَعِيهِ  
ثَنَى الدَّعْرُ الْكَرَى عَنْهُ وَذَاذَا  
بِهِ الدَّاءُ أَنْ مَنْ سَغَبَ وَخُوفٍ  
فَمَا ذَاقَ الطَّعَامَ وَلَا الرُّقَادَا  
تَطُوفُ بِهِ أَصْيَابِيَّةٌ صَغَارُ  
كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ طُلَيْتَ جِسَادَا  
جِيَاعٌ كُلَّمَا صَاحُوا وَنَاحُوا  
تَوَهُّمُ أَنْ بَعْضَ الْأَرْضِ مَادَا  
إِذَا مَا اسْتَصْرَخُوهُ وَضَاقَ ذَرْعَا  
نَبَا عَنْهُمْ وَمَا جَهْلُ الْمُرَادَا  
وَلَكِنْ لَمْ يَدْعُ بَوْسُ اللَّيَالِي  
طَرِيفًا فِي يَدَيْهِ وَلَا تِلَادَا  
وَلَوْ تَرَكَ الزَّمَانُ لَهُ فُؤَادَا  
لَمَا تَرَكَتْ لَهُ الْبِلَوى فُؤَادَا



أَتَفْتَرِشُ الْحَرِيرَ وَتَرْتَدِيهِ

ويفتريش الجنادل والقنادا<sup>٢</sup>  
 ويطلب من نبات الأرض قوتنا  
 وتلبي غير لحم الطير زادا  
 وتهجع هانئاً جذلاً قريراً  
 وقد هجر الكرى وجفا الوسادا  
 عجيب أن تكون كذا ضنيناً  
 ولم تبصر بنا إلا جوادا  
 أما تخشى مقالة ذي لسان:  
 أمات الناس كي يحيي الجمادا؟



لبدئك همهم نفع البرايا  
 وهمك أن تكيد وأن تكادا  
 نزلت بنا فأنزلناك سهلاً  
 وزدناك النضر المستفادا  
 فكان جزاؤنا أن قُمت فينا  
 نُعلمنا القطيعة والبُعادا  
 فلمّا ثار ثائر كل حرّ  
 رجعت اليوم تمتدح الحيادا  
 أتدفع بالغوي إلى التّماذي  
 وتعجب بعد ذلك إن تماذي؟  
 سكت فقام في الأذهان شك  
 وقلت فأصبح الشك اعتقادا  
 تجهمت القريض ففاض عتبا  
 وإن أخرجته فاض انتقادا  
 ولولا أن أثرت الخُاف فينا



وَرَدَّنَا لَوْ مُحَضَّنَاكَ الْوَدَادَا

\*\*\*\*

## ٧٩ - ابنة الفجر

[الخفيف]

أَنَا إِنْ أَعْمَضَ الْحِمَامُ جَفَوْنِي  
وَلَوْ صَوْتُ مُصْرَعِي فِي الْمَدِينَةِ  
وَتَمَشَّى فِي الْأَرْضِ دَارًا فَدَارًا  
فَسَمِعْتَ بَوِيَّةً وَرَنِيَّةً  
لَا تَصِيحِي وَأَحْسَرْتَاهُ لئَلَّا  
يَدْرَكَ السَّامِعُونَ مَا تُضْمِرِينَ  
وَإِذَا زَرْتَنِي وَأَبْصُرْتَ وَجْهِي  
قَدْ مَحَا الْمَوْتُ شَكَّهُ وَيَقِينَهُ  
وَرَأَيْتِ الصِّحَابَ جَائِثِينَ حَوْلِي  
يَنْدَبُونَ الْفَتَى الَّذِي تَعْرِفِينَهُ  
يَتَعَالَى الْعَوِيلُ حَوْلَكَ مَمَّنْ  
مَارَسُوهُ وَأَصْبَحُوا يُحْسِنُونَهُ  
لَا تَشْقِي عَلَيَّ ثَوْبَكَ حُزْنًا  
لَا وَلَا تَذْرِفِي الدَّمْعَ السُّخَيْنَةَ

---

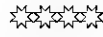
(١) الحمأ والحمأة الطين الأسود والمسنون المتغير المُنْتَن

غالبى اليأس واجلسى عند نعشى  
بسكون، إني أحب السكينة  
إن لصمت في الماتم معنى  
تتعزى به النفوس الحزينة  
ولقول العذال عنك: بخيل  
هو خير من قولهم: مسكينة  
وإذا خفت أن يثور بك الوج  
د فتبدو أسرارنا المكنونه  
فارجعي واسكبي دموعك سرّاً  
وامسحي باليلين ما تسكبينه



يا ابنة الفجر! من أحبك ميت  
ولأنت بمثل هذا رهينة  
زایل النور مقلتيه وغابت  
تحت أجفانه المعاني المبينه  
فأصيخي! هل تسمعين خفوقاً  
كنت قبلاً في صدره تسمعيه؟  
وانظري ثم فكّري كيف أمسى  
ليس يدري عدوه وخدينه!  
ساكتاً لا يقول شيئاً ولا يس  
مع شيئاً وليس يبصر بونه  
لا يبالي أودعوه الثريا  
أم رموه في حمأة مسنونه<sup>١</sup>  
وإذا الحارسان ناما عياء

ورأيت أصحابه يتركُّونه  
فتعالى وقبَّلي شفَّتيه  
ويديه وشعره وجبَّينه  
قبل أن يسدل الحجاب عليه  
ويُوارى عنك فلا تُبصِّرينه  
واحذري أن تراك عين رقيب  
ولئن كان جلُّ ما تحذرينه  
فإذا ما أمنت لا تتركه  
قبَّلي ما يفتح الصَّباح جفونه



وإذا السَّاعةُ الرهيبةُ حانتُ  
ورأيت حُرَّاسه يحملونه  
وسمعت الناقوس يقرع حزنًا  
فيردُّ الوادي عليه أنينه  
زودِّي الراحل الذي مات وجداً  
بالذي زودَّ الغريق السَّفينه  
نظرةً تعلمُ السماواتُ منها  
أنه مات عن فتاةٍ أمينه



طوت الأرض من طوى الأرض حياءُ  
وعلاه من كان بالأمس دونه  
واختفى في التراب وجهه صبيحُ  
وفؤاد حُرٍّ ونفس مصُّونه

---

(١) الحزنُ ما غلظ من الأرض (في الأرض حُزونة)

(٢) النفار النفور

وإذا ما وقفت عند السُّواقِي  
 وذكرت وقوفهُ وسكونه  
 حيث أقسمت أن تدومي على الغهُ  
 — والى بآنهُ لن يخونه  
 حيث علّمته القريض فأمسى  
 يتغنّى كي تسمعي تاحينه  
 فاذكره مع البروق السُّواري  
 وانديه مع الغُيُوث الهُتونه  
 وإذا ما مشيت في الروض يوماً  
 ووطئت سهوله وحُزونه (١)  
 وذكرت مواقف الوجد فيه  
 عندما كنت بالهوى تُغرينه  
 حيث علّمته الفُتون فأضحى  
 يحسب الأرض كأنها مفتونه  
 حيث وسّدتّه يمينك حتى  
 كاد ينسى شماله ويمينه  
 حيث كنت وكان يسقيك طُوراً  
 من هواه، وتارة تسقينه  
 حتى حاك الربيع للروض ثوباً  
 كان أحلى لديه لو تردينه  
 فالثّمي كل زهرة فيه اني  
 كنت أهوى زهوره وغُصونه  
 ثم قل لي للطير: مات حبيبي!  
 فلماذا يا طير لا تبكينه؟

---

(١) القطير الساكن والفعل (قطن)

## المحتوى

### ديوان إيليا أبي ماضي (الجزء الثاني)

|     |                             |
|-----|-----------------------------|
| ٢٤٧ | ■ مقدمة: (جبران خليل جبران) |
| ٢٤٩ | ١ - إهداء الديوان           |
| ٢٥٠ | ٢ - الشاعر                  |
| ٢٥٥ | ٣ - فلسفة الحياة            |
| ٢٥٩ | ٤ - أم القرى                |
| ٢٦٥ | ٥ - أنا وأخت المهابة والقمر |
| ٢٧٠ | ٦ - الشاعر والأمة           |
| ٢٧٦ | ٧ - وإنني                   |
| ٢٧٧ | ٨ - أمّا أنا                |
| ٢٧٩ | ٩ - وداع وشكوى              |
| ٢٨٤ | ١٠ - عصر الرشيد             |
| ٢٩١ | ١١ - لم أجد أحدا            |
| ٢٩٦ | ١٢ - السرّ في الأرواح       |
| ٢٩٧ | ١٣ - بنت سوريا              |
| ٣٠٢ | ١٤ - الفقير                 |
| ٣٠٧ | ١٥ - بين الكاس والطاس       |

|     |                     |
|-----|---------------------|
| ٢٠٩ | ١٦ - في السفينة     |
| ٢١١ | ١٧ - يا صاح         |
| ٢١٤ | ١٨ - بلاء أم نعمة   |
| ٢١٦ | ١٩ - الخلود         |
| ٢١٩ | ٢٠ - عيناك          |
| ٢٢١ | ٢١ - ١٩٣١           |
| ٢٢٧ | ٢٢ - بلادي          |
| ٢٢٢ | ٢٣ - البلبل السجين  |
| ٢٢٨ | ٢٤ - أنت            |
| ٢٤٣ | ٢٥ - معركة بورغاس   |
| ٢٥٠ | ٢٦ - خير شيء        |
| ٢٥١ | ٢٧ - حكاية حال      |
| ٢٥٢ | ٢٨ - شكوى           |
| ٢٥٥ | ٢٩ - بائعة الورود   |
| ٢٦٣ | ٣٠ - ١٩١٤           |
| ٢٦٧ | ٣١ - بنت الدوالي    |
| ٢٦٩ | ٣٢ - الطيران        |
| ٢٧٢ | ٣٣ - العاشق المخدوع |
| ٢٨٠ | ٣٤ - أهلها عرب      |

|     |                                      |
|-----|--------------------------------------|
| ٢٨٢ | ٣٥ - صاحب القلم                      |
| ٢٨٦ | ٣٦ - إلى الله راجعون                 |
| ٢٨٧ | ٣٧ - نزوة ألم                        |
| ٢٩١ | ٣٨ - الكأسان                         |
| ٢٩٤ | ٣٩ - أقوى من الشيب والهرم            |
| ٢٩٥ | ٤٠ - لأرفعنّ للسما احتجاجي           |
| ٢٩٨ | ٤١ - أنتم معي                        |
| ٢٩٩ | ٤٢ - الحرب العظمى                    |
| ٤٠٦ | ٤٣ - دموع وتهيدات                    |
| ٤١٢ | ٤٤ - أخت البلجيكي                    |
| ٤١٦ | ٤٥ - بين الضحك والجد                 |
| ٤١٧ | ٤٦ - أمة تفنى وأنتم تلعبون           |
| ٤٢٥ | ٤٧ - في الليل (متى يذكر الوطن النوم) |
| ٤٢٩ | ٤٨ - سقوط أرضروم                     |
| ٤٣٦ | ٤٩ - سبيل التوحيد                    |
| ٤٣٧ | ٥٠ - ١٩١٦                            |
| ٤٤٢ | ٥١ - ما للكواكب                      |
| ٤٤٦ | ٥٢ - الحاجة إلى الخرس                |
| ٤٤٧ | ٥٣ - البغضاء                         |

|     |                                    |
|-----|------------------------------------|
| ٤٥١ | ٥٤ - حكاية قديمة                   |
| ٤٥٥ | ٥٥ - لمن الديار؟                   |
| ٤٦٣ | ٥٦ - يا بلادي                      |
| ٤٦٩ | ٥٧ - الفردوس الضائع                |
| ٤٧٤ | ٥٨ - مسرح العشاق                   |
| ٤٨٣ | ٥٩ - حكاية حال                     |
| ٤٨٧ | ٦٠ - يا جارتني                     |
| ٤٩١ | ٦١ - همليت                         |
| ٤٩٤ | ٦٢ - العيون السود                  |
| ٤٩٨ | ٦٣ - هاتها                         |
| ٤٩٩ | ٦٤ - إلى صديق                      |
| ٥٠٣ | ٦٥ - باخرة الإغاثة                 |
| ٥٠٥ | ٦٦ - مصرع القمر                    |
| ٥١٠ | ٦٧ - في فراش المرض                 |
| ٥١٤ | ٦٨ - رثاء (المطران رفائيل هواويني) |
| ٥١٧ | ٦٩ - فتح أورشليم                   |
| ٥٢٠ | ٧٠ - إلى الفاتح                    |
| ٥٢٢ | ٧١ - في القطار                     |
| ٥٢٥ | ٧٢ - السيد المجتبي                 |



|     |                                         |
|-----|-----------------------------------------|
| ٥٢٧ | ٧٣ - مراة الغرب (في سنتها التاسعة عشرة) |
| ٥٣١ | ٧٤ - مزح في جد (معربة)                  |
| ٥٣٣ | ٧٥ - نشيد التباراري                     |
| ٥٣٣ | ٧٦ - ذكرى                               |
| ٥٣٤ | ٧٧ - جرجي زيدان                         |
| ٥٣٨ | ٧٨ - أيها الراعي                        |
| ٥٤١ | ٧٩ - ابنة الفجر                         |
| ٥٤٦ | ■ المحتوى                               |

\*\*\*\*

# الديوان الثالث

## (الجداول)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية» - نيويورك ١٩٢٧)

يضم، في هذه الطبعة التي أصدرها الشاعر نفسه، ستة وثلاثين نصاً شعرياً، وقع، في آخرها، نصّه الطويل المعروف الطلاسم . وتولى التقديم للديوان: ميخائيل نعيمة، أمين سرّ الرابطة القلمية .

وما زيد على الجداول ، في الطبعات التي ظهرت من بعد، في الشرق، جمعناه كلّهُ في شعره الذي لم تجمعه دواوينه الخمسة، في طبعاتها الأولى .

\*\*\*\*



## المقدمة

بقلم ميخائيل نعيمة

خلتُ أني في القفر أصبحت وحدي  
فإذا الناس كلهم في ثيابي

لقد قرأت لأبي ماضي كثيراً من طيب الشعر وجميله، غير أني لست أذكر أني قرأت له أصدق من هذا البيت، وأدلّ منه على بعد غور شاعريته، ومدى خياله ورحابة افاق فكره . أو لست تسمع، عند قراءته، قلوب الإنسانية بأسرها نابضة في قلبك، وتشهد أمواج أفكارها متلاطمة في بحر فكرك ؟

ألست تحس أنك وكل الذين ولدوا وماتوا، والذين سيولدون ويموتون، واحد؟

ألست تحس كُن مواكب الأجيال كلها تزدهم وتتألب في كيانك ؟

ألست ترى ضعف الضعيف في قوتك، وضعة الوضع في رفعتك، وحماسة الأحمق في حكمتك، وقبح القبيح في جمالك، وفقر الفقير في مالك؟

أو لست تراك رفيقاً لكل وحيد في وحدته، ولكل غريب في غربته، وشريكاً لكل اثم في إثمه، ولكل عالم في علمه ؟

وأخيراً ألست تدرك أن لا مهرب لك من الناس؟ لعمرى ليس يدرك مثل هذه الحقيقة فيقبض عليها ويبرزها إليك في حلة هي غاية في الجمال: لأنها غاية في البساطة، غير شاعر ملهم أو نبي مرسل.

إن في هذا البيت وحده مثلاً جلياً للحقائق التي يدركها الخيال بوثة واحدة. ولا يدركها العلم بأجيال طويلة، فمن ذا يلوم الشرق إن استسلم لوحى أنبيائه، وتعلق بوحي شعرائه، أو أعرض عن منقب آثاره وعلمائه؟

ألا أعطني الشعر ووجدانه، وخذ العلم وبرهانه.

وقد كان يجمل بي وأنا أقدم إليك كتاباً من الشعر: أن أتجلبب بجلبات المعرفة البحاثة، فأحدثك عن الشعر وتاريخه وأصنافه وأهديك إلى مصادره ومسالكه: وأحلل لك معانيه ومرامي: وأفسر لك أسرار، وأنثر عليك جواهره، وأريك نفعه من ضرره.

نعم! لقد كان يجمل بي كل ذلك لو أنني وجدت إليه سبيلاً . غير أنني أعترف اليوم بما لم أعترف به من قبل. وهو أنني لا أعرف عن الشعر ومصدره وكنهه أكثر مما أعرف عن حياتي ومصدرها وكنهها وقد كنت أحسبني أعرف الكثير، فإذا بما أعرفه وأنوء به نقيض المعرفة. وإذا بالذي أعرفه اليوم لا يذعن للساني فننطق به، ولا ينقاد لقلمي فئسطره. والذي أحاوله الآن هو القول : إنني انس اليوم قرابة روحه بيني وبين صاحب الجداول. ما كنت أشعر بمثلها بيني وبين ناظم الجزء الأول والثاني من ديوان إيليا أبي ماضي. ترى أتغير أبو ماضي إلى هذا الحد، في السنوات الثماني الأخيرة، أم تراني تغيرت ؟

فبين هذه الجداول ما تناسب معه روعي مترققة، مترنمة، مطمئنة جذلة بنور عينها، وجمال عن جانبيها، مرحة بحرية لا أرصاد ولا قيود، ومدى لا أفاق له ولا حدود.

هكذا أقرأ قصيدة الطين فأسمع لها أصداء كثيرة في نفسي: ومثال تعالى وريح الشمال و في القفر و المساء و العميان و الزمان. وسواها. أقرؤها غير ناظر إلى قافية مقلقة أو كلمة شاردة، بل إلى جملة ما يتجلى لي فيها من الرسوم، وما تحدثه في نفسي من الرعدة، وتنبيه في وجداني من الشعور والخيالات، وقد أكتفي من القصيدة كلها ببيت واحد، إذا كان لذاك البيت وقع في روعي ولا يندر أن أجد لذة حتى في قصيدة لا تتلف مع أهوائي ومنازعي كقصيدة برّدي يا سحب. لأنني وإن كنت أنكر على نفسي أن تقول:

«كل نجم لا اهتداء به لا أبالي لاح أو غريباً»

لا أنكره على أبي ماضي. بل أعجب لقوة بيانه لمعتقده ، إذا كان ذلك ما يعتقد.

لاشك عندي قط، في أن فريقاً من الذين ( نذروا حياتهم للذب عن حياض اللغة العربية ) - يصمون اذانهم عن خير هذه الجداول الشجي ويفتحون أبصارهم عليهم يجدون في حصائها ما ينطبق على مقاييسهم، ويوزن بموازينهم، ولعلمهم يظفرون ولو ببعض ما يطلبون . أما أنا فبارك هذه الجداول المناسبة إلى بحر شعرنا الواسع. لأنها ستزيده اتساعاً، وهيبة، وصفاء.

## ١. الفاتحة

[مجزوء الرمل]

يا رفيقي.. أنا لولا أنت ما وقَّعتُ لحنا  
كنت في سرِّي لما كنتُ وحدي أتغنّي  
ألبسُ الروض حُلَّاهُ، إنه يوماً سيُجَنّي  
هذه أصداءُ رُوحِي فالتكُنْ رُوحَكَ أَذْنا  
إن تجدَ حُسْناً فخذْهُ، واطْرَحْ ما ليس حُسْناً  
إن بعضَ القولِ فنٌّ، فاجعلِ الإصغاءَ فنا  
تلك كالحقْلِ يردُّ الكيلُ للزراعِ طُنْنا  
رُبَّ غيمٍ صارَ لما لمسَتْهُ الريحُ مُزْنا  
ربما كنتُ غنياً غيرَ أني بك أغنى  
ما لصوتِ أغلقتُ من يونه الأسماعُ معني  
كلُّ نورٍ غيرِ نورٍ مرَّ بالأعين وسُني  
وإذا رحت بكَرْمِي زدتَه خِصْباً وأمنا  
قد سكبتُ الخمرَ كي تشرب، فاشربْ مطمئنا  
واسقِ من شئتُ كريماً، لا تخفْ أن تتجنَّى  
كلما أفرغتُ كأسِي زدتُ في كأسِي دُنا  
فهي بالإنفاقِ تبقى، وهي بالإمساكِ تفنى



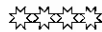
لست مني أن حسبت الشعر ألفاظاً ووزناً  
خالفتُ دربك دربي، وانقضى ما كان منّا  
فانطلق عني لئلا تفتني همّاً وحزناً  
واتخذ غيري رفيقاً وسوى دنيائي مغنى

\*\*\*\*

## ٢. العنقاء

[الكامل]

أنا لستُ بالحسناء أولُّ مَوْلَعٍ  
هي مطمعُ الدنيا كما هي مطمعي  
فاقصُصْ عليّ إذا عرفت حديثها  
واسكنْ إذا حدثت عنها واخشع  
الحُثَّها في صورة؟ أشهدتها  
في حالة؟ رأيتهَا في موضع؟  
إني لذو نفسٍ تهيمُ، وإنها  
لجميلةٌ فوقَ الجمالِ الأبدع  
ويزيدُ في شوقي إليها أنها  
كالصُّوتِ لم يسفِرْ ولم يتقنَّع  
فتُشَّتْ جيبُ الفجرِ عنها والدجى  
ومددتْ حتى للكواكبِ اصْبِغِي  
فإذا هما مُتَحِيرَانِ كَلاهما  
في عاشقٍ مُتَحِيرٍ مُتَضَعِّعٍ  
وإذا النجومُ لعِلْمِها أو جهلها  
مُترجراتُ في الفضاءِ الأوسع  
رقصتْ أشعتها على سطحِ الدجى  
وعلى رجاءٍ في غير مُشعشعٍ





والبحرُ كم ساءلته فتضاكت  
 أمواجه من صوتي المُنْقَطِع  
 فرجعت مُرتعش الخواطرِ والمُنَى  
 كحمامةٍ محمولةٍ في زِعْزَع<sup>(١)</sup>  
 وكان أشباح الدهور تَأَلَّبَتْ  
 في الشطِّ تضحكُ كُلُّها من مرجعي  
 ولكم دخلتُ إلى القُصور مفتشاً  
 عنها، وعجّت بدارسات الأربع  
 إن لآح طيفُ قلتُ يا عينُ انظري!  
 أو رنْ صوتُ قلتُ: يا أذنُ اسمعي!  
 فإذا الذي في القصرِ مثلي حائرُ  
 وإذا الذي في القُفْرِ مثلي لا يعي



قالوا: تورّع! إنها محجوبة  
 إلا عن المُنْتزهِدِ المُنْتورِع  
 فوادت أفراحي وطأقتُ المُنَى  
 ونسختُ آيات الهوى من أضلعي  
 وحطمتُ أقداحي ولمّا أرتوي  
 وعَفَفْتُ عن زادي ولمّا أشبع  
 وحسبتُني أدنو إليها مسرعاً  
 فوجدتُ أني قد دنوتُ لمصرعي  
 ما كان أجهلُ نُصْحِي<sup>(٢)</sup> وأضلُّني  
 لمّا أطعْتُهم، ولم أتمنَّع

(١) ريح زعزع تحرك الأشياء  
 (٢) جمع لـ (ناصر) مثل عاجز وعجز

اني صرّفتُ عن الطُّماعةِ والهوى  
 قلبي، ولا ظفرُ لمن لم يطّمع  
 فكأنّي البستانُ جردُ نفسه  
 من زهره المتنوعِ المتضوّع  
 ليحسَّ نورُ الشمسِ في ذرّاته  
 ويُقابل النُسماتِ غير مُقنّع  
 فمشى عليه من الخريفِ سُرّادقُ  
 كالليل خيم في المكان البلقع  
 وكأنني العصفورُ عرّى جسمه  
 من ريشه المتناسقِ المتلمّع  
 ليخفَّ محمّله : فخرٌ إلى الثُّرى  
 وسطاً عليه النملُ غيرُ مُروّع  
 وهجعتُ أحسبُ أنها بنتُ الرُّوى  
 فصحوتُ أسخر بالنيّام الهجّع  
 ليستَ حُبوراً كلّها دنيا الكرى  
 كم مؤلمٍ فيها بجانبٍ مُفرّع  
 تُخفي أمانيّ الفتى كهمومه  
 عنه، وتحجبُ ذاته في برقع  
 ولربّما التّيسُ حوادثُ يومه  
 بالغابر الماضي وبالمُتوقّع  
 يا حَبّذا شططُ الخيالِ وانما  
 تُمحي مشاهدَه كأنّ لم تُطبع  
 لما حلّمتُ بها حلّمتُ بزهره  
 لا تُجتني، وينجمةٍ لم تطلع  
 ثم انتبهتُ فلم أجد في مخدعي  
 الا ضلالي والفراش ومخدعي

من كان يشربُ من جداولِ وهمه  
قطع الحياة بغلةٍ لم تُنقَع  
ذهب الربيعُ فلم تكنْ في الجدولِ الشَّ  
شادي، ولا الرُّوضِ الأغنِ المُمَرِّع  
وأتى الشتاءُ فلم تكنْ في غيمه الـ  
بأكي، ولا في رعدِه المُتفجِّع  
ولحتْ وامضة البروقِ فخلَّتْها  
فيها، فلم تكنْ في البروقِ اللُّمَع  
صَفِرَتْ<sup>١</sup> يدي منها وبِي طيشُ الفتى  
وأضلُّني عنها ذكاءُ الألمي  
حتى إذا نشر القنوطُ ضبابه  
فوقي فغَيَّبني وغَيَّب موضعي  
وتقطَّعتْ أُمُراسُ أمالي بها  
وهي التي من قبل لم تتقطَّع  
عصر الأسي رُوحِي فسالتْ أدمعاً  
فلمحتُها ولستُها في أدمعي  
وعلمتُ حين العلم لا يجدي الفتى  
أنَّ التي ضيَّعتُها كانت معي!

\*\*\*\*

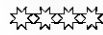
---

(١) خلت خلواً كاملاً

### ٣. السجينة

[الطويل]

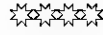
لَعَمْرُكَ مَا حُزَّنِي لِمَالٍ فَقَدْتُهُ  
وَلَا خَانَ عَهْدِي فِي الْحَيَاةِ حَبِيبُ  
وَلَكِنِّي أَبْكِي وَأَنْدَبُ زَهْرَةً  
جَنَاهَا وَلُوعٌ بِالزَّهْوَرِ لَعُوبُ  
رَاهَا يَحُلُّ الْفَجْرُ عَقْدَ جُفُونِهَا  
وَيُلْقِي عَلَيْهَا تَبْرَةً فَيَذُوبُ  
وَيَنْفَضُّ عَنْ أُعْطَافِهَا النُّورَ لَوْلَا  
مِنْ الظِّلِّ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُ  
فَعَالَجَهَا حَتَّى اسْتَوَتْ فِي يَمِينِهِ  
وَعَادَ إِلَى مَغْنَاهُ وَهُوَ طُرُوبُ  
وَشَاءَ فَأَمَسَتْ فِي الْإِنَاءِ سَجِينَةٌ  
لِتَشْبَعَ مِنْهَا أَعْيُنُ وَقُلُوبُ  
ثَوَتْ بَيْنَ جِدْرَانِ كَقَلْبِ مُضَيِّمِهَا  
تَلَمَّسُ فِيهَا مَنْفَذًا فَتَخِيبُ  
فَلَيْسَتْ تَحْيِي الشَّمْسَ عِنْدَ شُرُوقِهَا  
وَلَيْسَتْ تَحْيِي الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ  
وَمَنْ عَصَبَتْ عَيْنَاهُ فَالْوَقْتُ كُلُّهُ  
لَدَيْهِ - وَإِنْ لَاحَ الصَّبَّاحُ - غُرُوبُ



لَهَا الْحَجَرَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْقَصْرِ إِنَّمَا  
أَحَبُّ إِلَيْهَا رَوْضَةٌ وَكَثِيبُ

وأَجْمَلُ من نورِ المصابيحِ عندها  
حَبَّابٌ تَمْضِي فِي الدَّجَى وتَوُوبُ  
ومن فتياتِ القصرِ يرقصن حولها  
على نغماتِ كلهنَّ عَجِيبُ  
تراقصُ أغصانَ الحديقةِ بكرةً  
وللريحِ فيها جِيْنُهُ وذُهوْبُ  
وأَجْمَلُ منهنَّ الفراشاتُ في الضحَى  
لها كالأمانِي سَكْنُهُ ووُتُوْبُ  
وأبهى من الديباجِ والخزِّ عندها  
فُراشٌ من العشبِ الخَضِيلِ رَطِيبُ  
وأحلى من السَّقْفِ المزخرفِ بالدُّمَى  
فضاءٌ تشعُّ الشُّهُبُ فيه رَحِيبُ  
تَحْنُ إلى مَرَأَى الغديرِ وصوتهِ  
وتُحَرِّمُ منه، والغديرُ قَرِيبُ  
وليس لها لبؤسٌ في نَسَمِ الرُّبَا  
نَصِيبُ، ولم يسكنْ لهنَّ هَبُوبُ  
إذا سُقِّيتْ زادتْ ذُبُولاً كأنما  
يرشُّ عليها في المِياهِ لَهِيْبُ  
وكانت قليلُ الطَّلِّ ينعشُ روحها  
وكانت بميسورِ الشُّعاعِ طَيبُ  
بها من أنوفِ الناشقينِ تَوْعُكُ  
ومن نظراتِ الفاسقينِ ندوبُ  
تمشِي الضُّنَى فيها وأيارُ في الحمَى  
وجفَّتْ وسريالُ الربيعِ قَشِيبُ

ففيها كمقطوع الوريدين صُفْرَةٌ  
وفيها كمصباح البخيل شُحُوبٌ



أيا زهرة الوادي الكئيبة انني  
حزين لما صرت إليه كئيب  
وأكثرُ خوفي أن تظني بني الوري  
سواءً، وهم مثلُ النَّباتِ ضُروب  
وأعظمُ حزني أن خطبك بعده  
مصائبُ شتّى لم تقع وخطوب  
سيطرحك الإنسانُ خارج داره  
إذا لم يكن فيك العشيّة طيب  
فتمسين للأقدار فيك ملاعبُ  
وفي صفحتيك للنَّعالِ ضُروب  
إسارك يا أخت الرياحين مُفجّعُ  
وموتك يا بنت الربيع رهيب  
ولكنها الدنيا: ولكنه القضا  
وهذا العمري مثلُ تلك غريب  
فكم شقيت في ذي الحياة فضائلُ  
وكم نعمت في ذي الحياة عيوب  
وكم شيم حسناء عاشت كأنها  
مساوى يُخشى شرُّها وذنوب



## ٤ - الضفادع والنجوم

[الرمل]

صاحتِ الضَّفَدَةُ لَمَّا شَاهَدَتْ  
حَوْلَهَا فِي الْمَاءِ أَظْلَالَ النُّجُومِ:  
يَا رِفَاقِي يَا جُنُودِي احْتَشِدُوا  
عَبْرَ الْأَعْدَاءِ فِي اللَّيْلِ التَّخُومِ  
فَاطْرِبُوهُمْ وَاطْرِبُوا اللَّيْلَ مَعاً  
إِنَّهُ مَثَلُهُمْ بِأَغْثِ أَيْمِ  
زَعَقَةٍ سَارَ صِدَاها فِي الدَّجَى  
فَإِذَا الشَّطُّ شَخُوصٌ وَجَسُومٌ  
فِي أَدِيمِ الْمَاءِ مِنْ أَصْوَاتِهَا  
رَعْدَةُ الْحِمَى فِي اللَّيْلِ وَجُومِ  
مَزْقُ الْفَجْرِ جَلَابِيبِ الدَّجَى  
وَمَحَا مِنْ صَفْحَةِ الْأَرْضِ الرُّسُومِ  
فَمَشَتْ فِي سِرْبِهَا مَخْتَالَةً  
كَمَلَيْكَ ظَافِرٍ بَيْنَ قُرُومِ<sup>١</sup>  
ثُمَّ قَالَتْ: لَكُمْ الْبِشْرَى وَلِيَّ  
قَدْ نَجَوْنَا الْآنَ مِنْ كَيْدِ عَظِيمِ  
نَحْنُ لَوْلَمْ نَقْهَرِ الشُّهْبَ الَّتِي  
هَاجَمَتْنَا لِأَذَاتِنَا الْحُتُومِ

---

(١) جمع (قُرْم) وهو السيد

وأقامتْ بعدنا من أرضنا  
في نعيمٍ لم تجده في الغيوم  
أيها التاريخُ سجِّلْ أننا  
أمّةٌ قد غلبتْ حتى النجوم

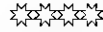
\*\*\*\*



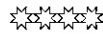
## ٥ . السماء

[الخفيف]

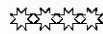
لا تسألني عن السَّماءِ فما عندُ  
يدي إلا النِّعوتُ والأَسْماءُ  
هي شيءٌ، وبعضُ شيءٍ، وحيناً  
كلُّ شيءٍ، وعند قومٍ هَباءُ



فسماءُ الراعي كما يتمنَّا  
ها مروجٌ فسيحةٌ خضراءُ  
تلبسُ التَّبرَ منزراً ووشاحاً  
كلَّما أشرقتْ وغابتْ ذُكاءُ  
أبدأ في نضارةٍ، لا يجفُّ الـ  
عشبُ فيها، ولا يغيضُ الماءُ



وهي عند الأمِّ التي اخترمَ المو  
تُ بنيتها، وضلَّ عنها العزاءُ  
موضعٌ لا ينالُهم فيه ضيِّمٌ  
لا ولا يُدركُ الشُّبابُ الفناءُ  
وكذا يُولدُ الرجاءُ من اليأسِ  
سِ إذا مات في القلوبِ الرجاءُ



وهي عند الفقيرِ أرضٌ وراءَ الـ  
أفقٍ: فيها ما يشتهي الفقراءُ

لا يخافُ المُنْثَرِي، ولا كلبُهُ الضُّا  
ري: ولا لامرئٍ به اسْتِهْزَاءُ  
وهي عند المظلومِ أرضُ كهْذَى الـ  
أرضُ لَكِنْ قد شاعَ فيها الإخاءُ  
يجمعُ العدلُ أهلها في نظامٍ  
مثالما يجمعُ الخيوطُ الرءاءُ  
لا ضعيفُ مستعبدٌ، لا قويُّ  
مُسْتَبَدٌ، بل كلُّهمُ أكفَاءُ  
كلُّ شيءٍ لِكُلِّ مُلْكٍ حلالُ  
كلُّ شيءٍ فيها كما الكلُّ شأؤوا  
❖❖❖❖❖❖

وهي عند الخليعِ أرضُ تميسُ الـ  
حورٌ فيها، وتدفقُ الصُّهْبَاءُ  
كلُّ ما النفسُ تشتهيهِ مُباحُ  
لا صدودٌ، لا جفوةٌ، لا إباءُ  
أكبرُ الإثمِ قولهُ المرءِ هذا الـ  
أمرُ إثمٌ، وهذه فحشاءُ  
ليس بين الصِّلاحِ والشرِّ حدُّ  
كالذي شاءَ وضَعَهُ الأنبياءُ  
وإذا لم يكنْ عفافٌ وفِسْقُ  
لم تكنْ حِشْمَةٌ ولا اسْتِحْيَاءُ  
❖❖❖❖❖❖

كلُّ قلبٍ له السَّماءُ الذي يَهْ  
سوى، وإن شئتُ كلُّ قلبٍ سماءُ  
صُورُ في نفوسِنَا كائناتُ  
ترتديها الأفعالُ والأشياءُ

رَبُّ شَيْءٍ كَالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ فَذُ  
عَدَدَتُهُ الْأَعْرَاضُ وَالْأَهْوَاءُ  
كُلُّ مَا تَقْصُرُ الْمَدَارِكُ عَنْهُ  
كَأَنَّ مِثْلَ مَا الظَّنُّونُ تَشَاءُ

\*\*\*\*

## ٦. بردّي يا سحب ١

[المديد]

رضيت نفسي بقسمتها  
فليرادّ غيري الشُّهُبا  
كلُّ نجمٍ لا اهتداء به  
لا أبالي : لاح أو غرّبا  
كلُّ نهرٍ لا ارتواء به  
لا أبالي : سال أو نضببا  
ما غدّ - يا من يُصوره  
لي شيئاً رائعاً عجبا  
ماله عينٌ ولا أثرٌ  
هو كالأمس الذي ذهببا  
اسقني الصُّهبا إن حضرت  
ثمّ صِفْ لي الكأس والحبيببا  
ليس يرويني مقالِك لي:  
أنها العقيان<sup>١</sup> منسكببا  
إن صدقنا لا أحسُّ به  
هو شيءٌ يشبه الكذببا  
لا يُنجي الشُّاة من سغب:  
أن في أرض السُّها<sup>٢</sup> عشببا

(١) الذهب الحالص

(٢) كوكب خفي، يريد السماء بنجومها

ما على من لا يطيق يرى  
نور الوادي أو اكتأبها  
ما يفيد الطير في قفص  
ضاق هذا الجو أو رحبها  
\*\*\*\*\*

بردي يا سحب من ظمئي  
واهطلي من بعد ذا ذهبها  
أو فكوني غير راحمة  
حماً حمراء لا سحبا  
ولا كن وحدي لها هدفاً  
ولتكن نفسي لها حطبا  
أنا من قوم إذا حزنوا  
وجدوا في حزنهم طربا  
وإذا ما غايه صعبت  
هونوا بالتترك ما صعبا

\*\*\*\*

## ٧. العير المتنكر

[الكامل]

زعم المؤدّب أن عييراً<sup>(١)</sup> ساءه  
الأيسار به إلى الميدان  
فمضى فقصرت القواطع ذيله  
وسطت مواضيها على الأذان  
حتى إذا جاء المروض واعتلى  
متنّيه راب الفارس الكشّحان<sup>(٢)</sup>  
لكنه ما زال غير مُصدّق  
حتى علا صوت كصوت الجان  
فاستل صارمه فطاح برأسه  
ورمى بجثته إلى الغريان  
مادام يصحب كل حيّ صوته  
هيهات يخفي العير جلد حسان

\*\*\*\*

---

(١) الحمار الوحشي والأهلي  
(٢) الكشّح ما بين الحاصرة إلى الضلع الحلفي

## ٨. تعالي

[الهمز]

تعالِيْ نَتَعَاظَاهَا كُلُوْنَ التَّيْبِرِ أَوْ اسْتَطِعْ  
وَنَسْقِي النَّرْجِسَ الْوَاشِي بَقَايَا الرَّاحِ فِي الْكَاسِ  
فَلَا يَعْرِفُ مَنْ نَحْنُ وَلَا يُبْصِرُ\* مَا نَصْنَعُ  
وَلَا يَنْقُلُ عِنْدَ الصُّبْحِ نَجْوَانَا إِلَى النَّاسِ  
~~~~~

تعالِيْ نَسْرِقُ اللَّذَاتِ مَا سَاعَفْنَا الدَّهْرُ  
وَمَا دَمْنَا وَمَا دَامَتْ لَنَا فِي الْعَيْشِ أَمَالُ  
فَإِنْ مَرَبْنَا الْفَجْرُ وَمَا أَوْقَظْنَا الْفَجْرُ  
فَمَا يَوْقَظُنَا عِلْمٌ وَلَا يَوْقَظُنَا مَالُ  
~~~~~

تعالِيْ نَطْلُقُ الرُّوحَيْنِ مِنْ سَجَنِ التَّقَالِيدِ  
فَهَذِي زَهْرَةُ الْوَادِي تَذِيْعُ الْعَطْرِ فِي الْوَادِي  
وهذا الطَّيْرُ تَيَّاهُ فُخُورٌ بِالْأَغَارِيدِ  
فَمَنْ ذَا عَنَفُ الزَّهْرَةِ أَوْ مَنْ وَبَّخَ الشَّادِي؟  
~~~~~

أَرَادَ اللَّهُ أَنْ نَعِشُقَ لِمَا أَوْجَدَ الْحُسْنَ  
وَالْقَى الْحُبَّ فِي قَلْبِكَ إِذَا الْقَاهُ فِي قَلْبِي  
مَشِيئَتُهُ.. وَمَا كَانَتْ مَشِيئَتُهُ بِلَا مَعْنَى  
فَإِنْ أَحْبَبْتَ مَا ذَنْبُكَ أَوْ أَحْبَبْتَ مَا ذَنْبِي؟  
~~~~~

---

(\*) في النسخة التي أرسلها د عبد الكريم الأشتر، وردت [ولا يبصر] وشرحها في الهامش بقوله بص، لعل، حملها هنا معنى رأى أو كشف (كما هي في دارجة مصر) ولكن بهذه الكلمة ينكسر الوزن ولعل الصواب ما أثبتناه

دعي اللاحي وما صنَّفَ والقالي<sup>١</sup> وبهتانه  
ولالجدول أن يجري، وللزهرة أن تعبق،  
وللأطياف أن تشتاق أياراً وألوانه،  
وما للقلب، وهو القلب، أن يهوى وأن يعشق؟



تعالني إن ربَّ الحبِّ يدعوننا إلى الغاب  
لكي يمزجنا كالماء والخمرة في كأس  
ويغدو النورُ جلابك في الغاب وجلابي  
فكم نصغي إلى الناس ونعصي خالق الناس!



يريد الحبُّ أن نضحك، فلنضحك مع الفجر  
وأن نركض، فلنركض مع الجدول والنَّهر  
وأن نهتف، فلننهتف مع البابل والقُمري<sup>٢</sup>  
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجري؟



تعالني قبلما تسكت في الروض الشَّحاريرُ  
ويذوي الحورُ والصفصافُ والنَّرجسُ والأسُ  
تعالني قبلما تطمُرْ أحلامي الأعاصيرُ  
فنستيقظُ لا فجرُ، ولا خمرُ، ولا كأسُ



---

(١) قلاه أبعضه

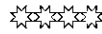
(٢) طير أبيض (أقمر قمر قمر)



## ٩ - ربح الشمال

[المتقارب]

سألتُ وقد مرّت الشُّمَالُ  
تَنُوحُ وَاوْنُهُ تُعُولُ  
إلى أيُّما غايَةٍ تركضين  
ألا مستقرُّ؟ ألا مَونلُ؟  
وكم تُعُولين وكم تصرخين  
كعصفورة راعها الأجدل؟<sup>(١)</sup>  
لقد طرح الغصنُ أوراقهُ  
من الدُّعُرِ واضطرب الجدول  
وضلَّ الطريقُ إلى عِشهِ  
فهام على وجهه البلبل  
وغطى السُّهى وجههُ بالغمام  
كما ينزوي الخائفُ الأعزل  
وكادت تخرُّ ليدك الهضابُ  
وتركضُ قدامك الأجبُل

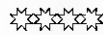


أبنتَ الفضاءِ أضاقَ الفضاءُ  
فأنتِ إلى غيرهِ أمَّيلُ؟  
أغاظكِ أن الدُّجى لا يزولُ  
وأن الكواكبَ لا تَقلُّ

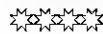
---

(١) الصقر

أَتَبْكِينَ أَمَّا لَكَ الضَّائِعَاتُ  
 هَلِ الرِّيحُ مِثْلُ الْوَرَى تَأْمَلُ  
 أَيْعَدُو وَرَاءَكَ جَيْشٌ كَثِيفٌ  
 أَمْثَلُكَ يَرْهَبُهُ الْجَحْفَلُ  
 وَمَا فَيْكَ عِضْوٌ وَلَا مَفْصَلُ  
 فَتَقْطَعُ أَوْصَالَكَ الْأَنْصَلُ  
 فَجَاوِبْنِي هَاتِفٌ فِي الظَّلَامِ :  
 غَلَطْتَ فَمَا هَذِهِ الشُّمَالُ  
 وَلَكِنَّهَا أَنْفُسُ الْغَابِرِينَ  
 تَجُوسُ الدِّيَارَ وَلَا تَنْزِلُ  
 فَقُلْتُ: أَيْنَ هُزْءُ مَنْ فِي الْقُبُورِ  
 وَفَوْقَهُمُ التُّرْبُ وَالْجَنْدَلُ؟  
 أَجَابَ الصَّدَى ضَاخِكًا سَاخِرًا:  
 إِلَى كَمْ تَحَارُوكُمْ تَسْأَلُ؟  
 وَتَرْفَعُ عَيْنَيْكَ نَحْوَ السَّمَاءِ  
 وَلَيْسَتْ تُبَالِي وَلَا تَحْفَلُ  
 مِنَ الْبَحْرِ تَصْعَدُ هَذِي الْغَيُوثُ  
 وَتَهْطَلُ فِي الْبَحْرِ إِذَا تَهْطَلُ  
 وَفِي الْجَوِّ إِنْ خَفَيْتَ نَسْمَةً  
 وَفِي الْأَرْضِ إِنْ نَضَبَ الْمَنْهَلُ



لَقَدْ كَانَ فِي أَمْسٍ مَا قَبْلَهُ  
 وَفِي غَدِهِ يَوْمُكَ الْمُنْقَبِلُ  
 عَجِبْتُ لِبَبَاكَ عَلَى أَوَّلِ  
 وَفِي الْآخِرِ النِّنَانُجُ الْأَوَّلُ



هَمْ فِي الشُّرَابِ الَّذِي نَحْتَسِي  
وَهَمْ فِي الطَّعَامِ الَّذِي نَأْكُلُ  
وَهَمْ فِي الْهَوَاءِ الَّذِي حَوْلَنَا  
وَفِي مَا نَقُولُ وَمَا نَفْعَلُ  
فَمَنْ حَسِبَ الْعَيْشَ دُنْيَا وَآخِرَى  
فَإِذَا رَجُلٌ عَقَلَهُ أَحْوَلُ

\*\*\*\*

## ١٠ - الحجر الصغير

[الخفيف]

سَمِعَ اللَّيْلُ نُو النُّجُومِ أَنْيْنًا  
وَهُوَ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ  
فَانْحَنَى فَوْقَهَا كَمُسْتَرْقٍ الْهَمَّ  
سِرِّيطِلُ السَّكُوتِ وَالْإِصْفَاءِ  
فَرَأَى أَهْلَهَا نِيَامًا كَأَهْلَ الْـ  
كَهْفِ لَا جَائِبَةَ وَلَا ضَوْضَاءَ  
وَرَأَى السَّدَّ خَلْفَهَا مُحْكَمَ الْبِنِّ  
يَبَانُ وَالْمَاءُ يُشَبِّهُ الصَّحْرَاءَ  
كَانَ ذَاكَ الْأَنْيْنُ مِنْ حَجَرٍ فِي السَّدِّ  
سَدِّ يُشْكُو الْمَقَادِرَ الْعَمِيَاءَ  
أَيُّ شَأْنٍ يَقُولُ فِي الْكَوْنِ شَأْنِي  
لَسْتُ شَيْئًا فِيهِ وَلَسْتُ هَبَاءَ  
لَا رَخَامٌ أَنَا فَنَحْتٌ تَمَثَّلَا  
لَا وَلَا صَخْرَةٌ تَكُونُ بِنَاءَ  
لَسْتُ أَرْضًا فَارْشَفُ الْمَاءُ أَوْ مَا  
فَارْوِي الْحَدَانِقَ الْغَنَاءَ  
لَسْتُ دُرًّا تُنَافِسُ الْغَادَةَ الْحَسَّ  
نَاءٌ فِيهِ الْمَلِيحَةُ الْحَسَنَاءُ  
لَا أَنَا دَمْعَةٌ وَلَا أَنَا عَيْنُ  
لَسْتُ خَالًا أَوْ وَجَنَةً حَمْرَاءَ

حَجَرٌ أَغْيِرُ أَنَا وَحَقِيرُ  
لَا جَمَالَ لَا حِكْمَةَ لَا مَضَاءَ  
فَلَأَغَادِرُ هَذَا الْوُجُودَ وَأَمْضِي  
بِسَلَامٍ، إِنِّي كَرِهْتُ الْبَقَاءَ  
وَهَوَى مِنْ مَكَانِهِ: وَهُوَ يَشْكُو الْ  
أَرْضَ وَالشَّهْبَ وَالْدَجَى وَالسَّمَاءَ  
فَتَحِ الْفَجْرُ جَفْنَهُ... فَإِذَا الطُّو  
فَإِنْ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ

\*\*\*\*\*

## ١١ - الطين

[الخفيف]

نسي الطين - ساعة - أنه طيد  
من حقيِرُ فصال تيهَا وعربد  
وكسا الخزُ جسمهُ فتباهى  
وحوى المال كيسهُ فتمرد  
يا أخي. لا تملُ بوجهك عني،  
ما أنا فحمة ولا أنت فرقد  
أنت لم تصنع الحرير الذي تُل  
بسُ واللؤلؤ الذي تنقلد  
أنت لا تأكل النُّخار إذا جُع  
ت ولا تشرب الجمان المُنضد  
أنت في البردة الموشاة مثلي  
في كِساني الرديم تشقى وتسعد  
لك في عالم النهار أمان،  
ورؤى، والظلام فوقك ممتد  
ولقلبي كما لقلبك أحلا  
مُ حسان، فإنه غير جلمد



أأمانني كَأَها من تراب  
وأمانيك كَأَها من عسجد؟  
وأمانني كَأَها لا تلاشي  
وأمانيك لا خلود المؤكد؟

لا. فهذي وتلك تأتي وتمضي  
 كذويها. وأي شيء سرمد ؟  
 أيها المزدهي.. إذا مسك السُّقُ  
 م ألا تشتهي ؟ ألا تنهد ؟  
 وإذا راعك الحبيب بهجر  
 ودعتك الذكرى ألا تتوجد ؟<sup>١</sup>  
 أنت مثلي يبش وجهك للنَّعْ  
 مى وفي حالة المصيبة يكمد  
 أدموعي خلّ ودمعك شهيد ؟  
 وبكائي ذلّ ونوحك سُودد ؟  
 وابتسامي السراب لا ري فيه ؟  
 وابتساماتك اللائى خرد ؟<sup>٢</sup>  
 فلك واحد يظل كائنا  
 حار طرفي به وطرفك أرمد<sup>٣</sup>  
 قمر واحد يطل علينا  
 وعلى الكوخ والبناء الموطد  
 إن يكن مشرقاً لعينيك اني  
 لا أراه من كوة الكوخ أسود  
 النجوم التي تراها أراها  
 حين تحفى، وعندما تتوقد  
 لست أدنى على غناك إليها  
 وأنا مع خصاصتي<sup>٤</sup> لست أبعد  
 ❖❖❖❖❖

(١) من الوجد

(٢) اللؤلؤ قبل أن يثقب (الحريدة)

(٣) من الرمد أرمد ورمداء

(٤) الفقر

أنت مثلي من الثرى وإليه  
فلماذا يا صاحبي التيه والصّد  
كنت طفلاً إذ كنت طفلاً، وتغدو  
حين أغدو شيخاً كبيراً أدرد<sup>١</sup>  
لست أدري من أين جئت ولا ما  
كنت، أو ما أكون يا صاح في غد  
أفتدري؟ إن فخبّر، والا  
فلماذا تظن أنك أوحّد؟



ألك القصر بونه الحرس الشّا  
كي ومن حوله الجدار المشيّد  
فامنع الليل أن يمدّ رواقاً  
فوقه؛ والضباب أن يتلبّد  
وانظر النور كيف يدخل لا يط  
لبّ أذنأ، فما له ليس يطرد؟  
مرقد واحد نصيبك منه  
أفتدري كم فيك للذرّ مرقد؟  
ذدّني عنه، والعواصف تعدو  
في طلابي والجو أقتم أريد<sup>٢</sup>  
بينما الكلب واجد فيه مأوى  
وطعاماً، والهر كالكلب يرفد  
فسمعت الحياة تضحك مني  
أترجى، ومنك تأبى وتجدد؟




---

(١) من ليس في فمه سنّ (والأنثى برداء)





أنت في شرعها دخیلٌ على الحقِّ  
 لم ولصٍّ جنی علیها فأفسد  
 لو ملكت الحقول في الأرض طُراً  
 لم تكن من فراشةِ الحقْلِ أسعد  
 أجمیل؟ ما أنت أبهى من الور  
 دة ذات الشُّذا، ولا أنت أجود  
 أم عزیز؟ والبعوضة من خد  
 نیک قُوتٌ وفي یدیک المٌهند  
 أم غنی؟ هیئات تختال لولا  
 دودة القز بالقباء المٌجد  
 أم قوی؟ إنَّ مَرَّ النومِ إذ یغ  
 شاك واللیل عن جفونك یرتد  
 وامنع الشَّیب أن یلمَّ بفودی  
 ك ومُرَّ تلَبَّثِ النضارة في الخد  
 أعلیم؟ فما خیالُ الذی یط  
 رُقُ لیلاً؟ فی أيِّ دنیا یولّد؟  
 ما الحیاة التي تبین وتخفی؟  
 ما الزمانُ الذی یُذمُّ ویُحمد؟  
 أيها الطینُ لست أنقى وأسمى  
 من ترابٍ تدوسُ أو تتوسد  
 سُدَّتْ أو لم تسدَّ فما أنت إلا  
 حیوانٌ مُسیّرٌ مُستعبد!!  
 إنَّ قصراً سمكته سوف یندك  
 ك وثوباً حبكته سوف ینقدك<sup>١</sup>

(١) قدّه قطعه

لا يَكُنْ لِلْخِصَامِ قَلْبُكَ مَأْوَى  
إِنْ قَلْبِي لِلْحَبِّ أَصْبَحَ مَعْبِدُ  
أَنَا أَوْلَى بِالْحَبِّ مِنْكَ وَأَحْرَى  
مِنْ كِسَاءٍ يَبْلَى وَمَالٍ يَنْفَدُ!

\*\*\*\*

## ١٢ - التينة الحمقاء

[البسيط]

وتينة غضة الأفنانِ بأسقة  
قالت لا ترابها، والصيفُ يحتضرُ:  
بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني  
عندي الجمالُ وغيري عنده النظر  
لأحبسَنُ على نفسي عوارفها  
فلا يبين لها في غيرها أثر  
كم ذا أكلَفَ نفسي فوق طاقتها  
وليس لي بلٌ لغيري الفئ والتمر  
لذي الجناح وذي الأظفار بي وطرُ  
وليس في العيش لي فيما أرى وطرُ  
إني مُفصلَةٌ ظلي على جسدي  
فلا يكونُ به طولٌ ولا قصر  
ولستُ مثمرة إلا على ثقة  
أن ليس يطرُقني طيرٌ ولا بشر



عاد الربيعُ الى الدنيا بموكبه  
فازينتُ واكتستُ بالسندسِ الشجرُ

وظلَّتِ التَّيْنَةُ الحَمَقَاءُ عَارِيَةً  
كَأَنَّهَا وَتِدٌ فِي الْأَرْضِ أَوْ حَجَرٍ  
وَلَمْ يُطِقْ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ رُؤْيَهَا  
فَاجْتَنَّتْهَا فَهَوَتْ فِي النَّارِ تَسْتَعِيرُ  
مَنْ لَيْسَ يَسْخُو بِمَا تَسْخُو الْحَيَاءُ بِهِ  
فَإِنَّهُ أَحْمَقُ بِالْحَرِّ مِنْ أَنْ يَنْتَحِرَ

\*\*\*\*

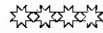
### ١٣. في القصر

[الخفيف]

سئمت نفسي الحياة مع النّاس  
س، وملّت حتى من الأحباب  
وتمشّت فيها الملالة حتى  
ضجرت من طعامهم والشّراب  
ومن الكذب لا بساً برّدة الصّد  
ق وهذا مُسربلاً بالكذاب  
ومن القُبْح في نقاب جميل  
ومن الحُسن تحت ألفِ نقاب  
ومن العابدِين كلّ إله  
ومن الكافرين بالأرباب  
ومن الواقفين كالأنصاب  
ومن السّاجدين للأنصاب  
ومن الراكبين خيل المعالي  
ومن الراكبين خيل التّصابي  
والألى يصمّتون صمّت الأفاعي  
والألى يهزّجون هزّج الذّباب  
صغرت حكمة الشيوخ لديها  
واستخفت بكل ما للشباب  
قالت: أخرج من المدينة لقف  
ر ففيه النجاة من أوصابي



ولك الليلُ راهبي، وشموعي الشُّ  
شَهَبُ: والأرضُ كُلُّها مِحْرَابِي  
وكتابي الفضاءُ اقْرَأْ فيه  
سُوراً ما قرأتُها في كتاب  
وصلاتي الذي تقول السُّواقي  
وغنائي صوتُ الصُّبَا في الغاب  
وكؤوسي الأوراقُ أَلَقْتُ عليها الشُّ  
شَمْسُ نَوْبِ النُّضَارِ عندَ الغِيَابِ  
ورحيتي ما سال من مُقْلَةٍ الفَجْ  
رِ على العُشْبِ كالأُجِينِ المُذَابِ  
وَلَتُكْحَلْ يَدُ المَسَاءِ جَفُونِي  
وَلَتُعَانِقَ أَحلامُهُ أَهدَابِي  
وَلَيُقَبِّلَ فَمَ الصُّبَّاحِ جَبِينِي  
وَلَيُعْطِرَ أَرِيحَهُ جِلْبَابِي  
وَلَاكُنْ كَالْغُرَابِ: رزقي في الحَقْ  
لِ وفي السُّفْحِ مَجْتَمِي واضطرابي  
ساعةً في الخلاءِ خَيْرُ من الأَعْدِ  
عوامٍ تُقْضَى في القُصْرِ، والأَحْقَابِ

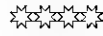


يا لِنَفْسِي فَإِنَّهَا فَتَنَتْنِي  
بِالحديثِ المَنَمَقِ الخَلَابِ  
فإِذَا بِي أَقْلِي<sup>١</sup> القُصُورِ وَسُكُنَا  
ها وأهلُ القُصُورِ ذَاتِ القِيَابِ  
فَهَجَرْتُ العِمْرانَ تَنفُضُ كَفِي  
عن رَدائي غِبَارَهُ واهَابِي

---

(١) قلاه يَقلِبُه قَلِيٌّ أبعضه

وتركتُ الحمى وسِرتُ وَايَا  
ها وقد ذهبَ الأصيلُ الرُّوابي  
نهتدي بالضحي فإن عَسَسَ اللي  
لُ جعلنا الدليل ضوءَ الشَّهاب  
وقضينا في الغاب وقتاً جميلاً  
في جوارِ الغُدرانِ والأعشاب  
تارةً في ملاءٍ من شُعاع  
تارةً في ملاءٍ من ضباب  
تارةً كالنسيم نمرحُ في الوا  
دي، وطوراً كالجدولِ المنسابِ  
في سفوحِ الهضابِ والظلِّ فيها  
ومع النُّورِ وهو فوقِ الهضابِ  
إنما نفسي التي ملئتَ العمم  
رآن ملئتَ في الغاب صمّت الغاب  
فأتنا فيه مستقلُّ طليق  
وكلّني أدبٌ في سِرِّرداب



علّمتني الحياةُ في القفرِ أني  
أينما كنتُ - ساكنٌ في التُّرابِ  
وسأبقى ما دمتُ في قفصِ الصَّ  
صالِ عبدُ المني أسير الرِّغابِ  
خلتُ أني في القفرِ أصبحتُ وحدي  
فإذا الناسُ كلُّهم في ثيابي





## ١٤ - التمثال

[الطويل]

من المرمز المسنون صاغوا مثاله  
وطافوا به من كل ناحية زمر  
وقالوا: صنعناه لتخليد رسمه  
فقلت: ألا يفنى كما فني الأثر؟  
وقالوا: نصبناه اعترافاً بفضله  
فقلت: إذن من يعرف الفضل للحجر؟  
وقالوا: غني كان يسخو بماله  
فقلت لهم: هل كان أسخى من المطر؟  
وقالوا: قوي عاش يحمي ذمارنا  
فقلت لهم: هل كان أقوى من القدر؟  
أكان غنياً أم قوياً فإنه  
بمالكم استغنى وقوتكم ظفر  
فلم يتعشقكم ولا همتم به  
كما خلتكم، لكنه النفع والضّرر  
ولم ترفعوا التمثال للبأس والندى  
ولكن لضعف في نفوسكم استتر  
فليستم تحبون الغني إذا افتقر  
وليستم تحبون القوي إذا اندحر  
رأيكم لا تعرجون بروضة  
إذا لم يكن في الروض في ولا ثمر

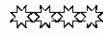
ولا تَعْلِفُونَ الشَّاةَ إِلَّا لِتَسْمَنُوا  
ولا تَقْتَنُونَ الْخَيْلَ إِلَّا عَلَى سَفَرٍ  
إذا كانَ حَبُّ الْفَضْلِ لِلْفَضْلِ شَأْنَكُمْ  
ولم تُخْطِئُوا فِي الْحِسِّ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ  
فما بِالْكُمِّ لَمْ تُكْرَمُوا اللَّيْلَ وَالضُّحَى؟  
ولم تَنْصَبُوا التَّمْثَالَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؟

\*\*\*\*

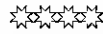
## ١٥ - المساء

[مجزوء الكامل]

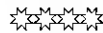
السُّحْبُ تَرْكُضُ فِي الْفَضَاءِ الرَّحْبِ رَكُضَ الْخَائِفِينَ  
وَالشَّمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفْرَاءَ عَاصِبَةِ الْجَبِينِ  
وَالْبَحْرُ سَاجٍ صَامِتٌ فِيهِ خَشْوَةُ الزَاهِدِينَ  
لَكُنَّمَا عَيْنَاكَ بَاهِتَتَانِ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ  
سَلَمِي!... بِمَاذَا تُفَكِّرِينَ؟  
سَلَمِي!... بِمَاذَا تَحْلُمِينَ؟



أَرَأَيْتِ أَحْلَامَ الْطِفْوَلةِ تَخْتَفِي خَلْفَ التُّخُومِ؟  
أَمْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَشْبَاحَ الْكُهُولَةِ فِي الْغَيُومِ؟  
أَمْ خَفَّتِ أَنْ يَأْتِيَ الدَّجَى الْجَانِي وَلَا تَأْتِيَ النُّجُومُ؟  
أَنَا لَا أَرَى مَا تَأْلُمُحِينَ مِنَ الْمَشَاهِدِ أُنْمَا  
أَظْلَالُهَا فِي نَاطُورِيكَ  
تَنْمُ يَا سَلَمِي عَلَيْكَ



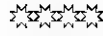
إِنِّي أَرَاكَ كَسَانِحٍ فِي الْقَفْرِ ضَلُّهُ عَنِ الطَّرِيقِ  
يَرْجُو صَدِيقًا فِي الْفَلَاةِ، وَأَيْنَ فِي الْقَفْرِ الصَّدِيقُ  
يَهْوَى الْبُرُوقَ وَضُوءَهَا وَيَخَافُ تَخْدَعُهُ الْبُرُوقُ  
بَلْ أَنْتِ أَعْظَمُ حَيْرَةٍ مِنْ فَارِسٍ تَحْتَ الْقَتَامِ<sup>١</sup>  
لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْتِصَارُ  
وَلَا يَطِيقُ الْإِنْكَسَارُ



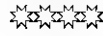
---

(١) العيار

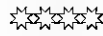
هذى الهواجسُ لم تكن مرسومةً في مقالتيكِ  
فلا قد رأيتك في الضحى ورأيتك في وجنتيكِ  
لكن وجدتك في المساء وضعت رأسك في يديك  
وجلست في عينيك الغار وفي النفس اكتئاب  
مثل اكتئاب العشاقين  
سلمى... بماذا تفكرين؟



بالأرض كيف هوت عروشُ النور عن هضباتها؟  
أم بالمروج الخضر ساد الصمت في جنباتها؟  
أم بالعصافير التي تعدو إلى وكناتها؟  
أم بالمساء؟ إن المساء يخفي المدان كالقري  
والكوخ كالقصر المكين  
والشوك مثل الياسمين

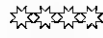


لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقع  
يخفي ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع  
إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع  
لكن لماذا تجزعين على النهار وللدجى  
أحلامه ورغائبه  
وسمائه وكواكبه

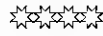


إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها  
لم يسلب الزهر الأريج ولا المياه خريرها  
كلا. ولا منع النسانم في الفضاء مسيرها  
ما زال في الورق الحفيف وفي الصبا أنفاسها

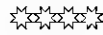
والعندليب صداحه  
لا ظفره وجناحه



فاصغى الى صوت الجدول جاريات في السفوح  
واستنشقي الأزهار في الجنات ما دامت تفوح  
وتمتعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلوح  
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان  
لا تبصرين به الغدير  
ولا يال ذلك الخير



لتكن حياتك كلها أملاً جميلاً طيباً  
ولتملأ الأحلام نفسك في الكهولة والصبا  
مثل الكواكب في السماء وكالأزهار في الربا  
ليكن بأمر الحب قلبك عالماً في ذاته  
أزهاره لا تذبل  
ونجومه لا تفل



مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات  
إن التأمل في الحياة يزيد أوجاع الحياة  
فدعي الكبة والأسى واسترجعي مرح الفتاة  
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللاً  
فيه البشاشة والبهاء  
ليكن كذلك في المساء



## ١٦ - الكمنجة المحطمة

[الكامل]

شاهدتها كالميت في أكفانه  
فوجمت إلا عبرة أذريها  
مهجورة كسفينة منبوذة  
في الشط غاب وراء ماضيها  
نسجت عليها العنكبوت خيوطها  
وكسا الغبار غلالة تكسوها  
أقوت وبانت كالمسامع بعدها  
لا شيء يطرّبها ولا يشجّجها  
وكانها في صمتها مشبوهة  
ألا ترى بهتافها مشدوها  
لا حس في أوتارها، لا شوق في  
أضلاعها، لا حسن في باقيها  
فارزح بحزنك يا حزين فإنها  
لا تنشر الشكوى ولا تطويها  
وإذا انقضى عهد التعلل بالمني  
فالنفس يشفيها الذي يريها  
~~~~~  
لله عهد مرلي في ظلّها  
أبكي عليه وتارة أبكيها

كانتْ كَانَ ضَلُوعُهَا مَوْصُولُهُ  
 بِأَضَالِعي، وَسِرَانِري فِي فِيهَا  
 كَمَ مَرَّةً حَامَتْ غَرَابِيبُ<sup>(١)</sup> الْأَسَى  
 لَتُقْقِيتْ مِنْ قَلْبِي الْجَرِيحِ بَنِيهَا  
 فَإِذَا الْأَغَارِيدُ اللَّطِيفَةُ بُونَهَا  
 سَوْرُ يَصُونُ حَشَاشَتِي وَيَقِيهَا  
 كَمَ هَزْنِي الشَّدُو الرَّخِيمُ فَسَاقَطَتْ  
 نَفْسِي هُمُومًا أَوْشَكَتْ تُبَالِيهَا  
 فَإِذَا أَنَا مِثْلُ الْبِنْفَسِجَةِ الَّتِي  
 ذَبُلَتْ فَبَاكِرَهَا الْبِنْدَى يُحْيِيهَا  
 وَلَكَمْ سَمِعْتُ خَفُوقَ أَجْنَحَةِ الْمَنَى  
 وَحَفِيفُهَا فِي نَغْمَةٍ تَوْحِيهَا  
 فَسَكْرَتْ حَتَّى مَا أَمِي، سَكَّرَ أَمْرِي  
 بِالْخَمْرِ أَتَرَعُ كَأْسُهُ سَاقِيهَا  
 وَرَأَيْتُنِي فِي جَنَّةٍ سَحْرِيَّةٍ  
 لَا يَرْتَوِي مِنْ حُسْنِهَا رَانِيهَا  
 وَلَحَتْ أَحْلَامُ الشَّبَابِ مَوَاكِبًا  
 تَتَرَى أَمَامِي، وَالْهَوَى حَادِيهَا  
 سِرُّ السَّعَادَةِ فِي الرَّؤَى إِنْ الرَّؤَى  
 لَا كَفُّ تُثَبِّتُهَا وَلَا تَمْحُوهَا

---

(١) شديدة السواد

ولكم سمعتُ دبيبَ أشباحِ الأسى  
عند المسافرِ أَنَّهُ تُزجِيها  
فذكرتُ ثمَّ محاسناً تحتِ الثرى  
غابتُ وشوَّهها البلى تشويها  
فإذا أنا كالسَّنديانةٍ شوَّشتُ  
أغصانها الرِّيحُ التي تلوِيها  
أو كالسفينةٍ في الضُّبابِ طريقها  
ضلَّتْ، وغابتُ أنجمُ تهديها  
شهدِ الدُّجى والفجرُ أَني جازعُ  
لسكوتها جزعِ الغديرِ أخيها  
ما إن سمعتُ أنينه ونشيجهُ  
إلا ويعرو النفس ما يعروها  
روى الثرى يا ليت رُوحِي في الثرى  
أو في النباتِ لعلَّه يُروِيها  
يا صاحبي وفي حنايا أضلعي  
همُّ يَكْظُّ الروحَ بل يُدمِيها  
إن التي نقلتُ حكاياتِ الهوى  
لم يبقَ غيرُ حكايةٍ تُروِيها  
كمدينةٍ ذكَّ القضاءُ صروحها  
دكَّاءً، وكفنٌ بالسكوتِ نويها  
نُعيتُ فربَّعِ الفجرُ وارتعش الدُّجى،  
ما كان أهونها على ناعِيها



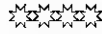
لا تعجبا في الغاب من نوح الصبا  
وعويلها إن الصبا ترثيها  
لو تسمعان نجيها متمشياً  
كالسحر في الأرواح يستهويها  
لعلمتما أن القضاء اغتالها  
كيلا تبوح بكل سر فيها

\*\*\*\*

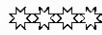
## ١٧ - زهرة أقحوان

[مجزوء الرمل]

كان في صدري سرُّ كامنٌ كالأفعوان  
أتوقَّاهُ وأخشى أن يراه من يراني  
وإذا لاح أمامي عقل الذُّعرُ لساني  
فكأنني عند بحر هائج أو بُركان<sup>١</sup>  
لم أخفُّه غير أني خفتُ أبناء الزمان  
ولكم فإن نظيري خاف قبلي بطش فإن



لم يسعَّ سرِّي فؤادي، لم تسعَّ نفسي المعاني  
فقصدتُ الغاب وحدي والدجى مُلقى الجران<sup>٢</sup>  
ودفنتُ السرَّ فيه مثلاً ما يدفنُ جان  
ورأى الليلُ قتيالي فبكاه وبكاني  
إن ليل دموعاً لا تراها مُقلتان



كنتُ حتَّى مع ضميري أمس في حربٍ عوان  
فانقضى عهدُ التَّجافي وأتى عهدُ التَّداني  
خُدرتُ روعي فأمسى شأنُ جلِّ الخلق شاني  
لا أرى في الخمر معنًى، ولكم فيها معان!  
فكأنني الة العاصر أو إحدى الأواني  
لم يعد قلبِي كالبرق شديد الخفقان

(١) التشديد لضبط الوزن

(٢) مقدم عنق البعير، يمهده على الأرض فيقال: ألقى جرانه بالأرض

لم تُعَدِّ نفسي كالنجمَةِ ذاتِ اللمعانِ  
بتُّ لا أبكي لمظالمٍ ولا حُرْمٍ مُهانِ  
لا ولا أحفلُ بالباكي ولو نوَّسولجانِ  
صِرْتُ كالصُّخْرِ، سواءُ هادمٌ عندي وبيانِ!



يا الأمانِي الغوالي! يا لأحلامي الحِسانِ!  
طَوَتْ الغابَةُ سِرِّي فانطَوَتْ مَعَهُ الأمانِي  
ضاعَ لِمَا ضاعَ شيءٌ من كِياني، بل كِياني  
في صَباحٍ مُستطيرٍ كصَباحِ المِهْرَجانِ  
لَبِستُ فيه الروابي حُلَّةً من أرجوانِ  
وتبدَّي الغابُ من أوراقه في طيلسانِ  
ساقني رُوحٌ خَفِيَ نَحْوُ ذِيكَ المِكانِ  
فإذا بالسَّـرِّ أضْحَى زهرةٌ من أَقْحوانِ!



## ١٨ - الأسرار

[الكامل]

يا ليتني لصرُّ لأسرُق في الضُّحى  
سرُّ اللُّطافة في التَّسليم السَّاري  
وأجسُّ مؤتلقِ الجمالِ بإصبعي  
في زرقاة الأفق الجميلِ العاري  
ويبين لي كُنْهَ المهابة في الرُّبا  
والسَّرفِ في جذلِ الغديرِ الجاري  
والسَّحرُ في الألوانِ والأنغامِ والألْ  
أنْداءِ والأشْذاءِ والأزْهارِ  
وبشاشةِ المرجِ الخصيبِ ووحشةِ  
وادي الكئيبِ وصوله التُّيارِ  
وإذا الدُّجى أرخى عليَّ سُدولهُ  
أدركتُ ما في الليلِ من أسرارِ  
فلكم نظرتُ إلى الجمالِ فخلتُهُ  
أدنى إلى بصري من الأشْفارِ  
فطأبته فإنَّ المغالِقَ دونه  
وإذا هنالك ألف ألف سِتارِ  
بادٍ ويعجزُ خاطري إدراكهُ  
وافتننتي بالظاهرِ المتواري!

\*\*\*\*

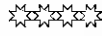
---

(١) شُغِرَ العِبرُ حرفُ الجفنِ الذي بنيت عليه الهدبُ

## ١٩. العميان

[الخفيف]

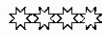
كَمْ خَفَضْنَا الْجَنَاحَ لِلْجَاهِلِينَ  
وَعَذَرْنَا هُمْ فَمَا عَذَرْنَا  
خَبَرُوهُمْ يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُونَ  
إِنَّمَا نَحْنُ مَعْشَرُ الشُّعْرَاءِ  
يَتَجَلَّى سِرُّ النُّبُوَّةِ فِينَا



ذَكَّرُوهُمْ قُرْبَ خَيْرٍ كَبِيرٍ  
فَعَلَّتْهُ الْهُدَاةُ بِالتَّذْكِيرِ  
إِنَّمَا النَّاسُ مِنْ تَرَابٍ وَنُورٍ  
فَبَنُوا النُّورَ يَعْبُدُونَ النُّورَا  
وَبَنُوا الطِّينَ يَعْبُدُونَ الطِّينَا

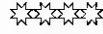


قِيلَ عَنَّا قُصُورُنَا مِنْ هَبَاءٍ  
تَتَلَاشَى فِي ضُلُوحَةٍ وَمَسَاءٍ  
أَوْ سَطُورٍ بِالمَاءِ فَوْقَ المَاءِ  
لَوْ سَكَنْتُمْ قُصُورَنَا بَعْضُ سَاعَةٍ  
لَنَسِيتُمْ شُهُورَكُمْ وَالسَّنِينَ

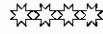


لَوْ دَخَلْتُمْ هِيَاطَ الإِلَهَامِ  
وَسَرَّحْتُمْ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ  
وَاجْتَلَيْتُمْ سِرَّ الْخِيَالِ السَّامِي

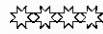
وعرفتُم كما عرفنا الله  
لخررتُم أمامنا ساجدينَا



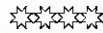
قد سَقَتْنَا الحَيَاةُ كَأْساً دِهَاقَا  
حَسُنْتَ نَكْهَةً، وَطَابَتْ مَذَاقَا  
وَسَقَيْنَا مِمَّا شَرَبْنَا الرِّفَاقَا  
فَتَرَكْنَاهُمْ حَيَارَى سُّكَارَى  
يَتَمَنُّونَ أَنَّهُمْ لَا يَعُونَا



هَمُّكُمْ فِي الْكَوْؤُسِ وَالْأَكْوَابِ  
أَهْلُ لَوْ كَانَ هَمُّكُمْ فِي الشُّرَابِ  
لَطَرَحْتُمْ عَنْكُمْ قِيُودَ التُّرَابِ  
وَشَعَرْتُمْ بِلَذَّةٍ أَوْ عَذَابِ  
هَذِهِ الْخَمْرُ لِيَتَكُم تَشْرَبُونَا!



أَتَقُولُونَ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ!  
أَتَقُولُونَ: إِنَّهُ مَفْتُونٌ!  
أَتَقُولُونَ: شَاعِرٌ مُسَكِّنٌ!  
كَمْ مَا لِيكَ، كَمْ قَانِدٍ، كَمْ وَزِيرٍ  
وَدُّ لَوْ كَانَ شَاعِراً مُسْكِينَا



عَاشِ مِلَّتِنِ فَلَمْ يَكُنْ مَذْكُورَا  
وَهُومِيروسُ كَالشَّيْخِ كَانَ ضَرِيرَا  
وَلِقَدَمَاتِ ابْنِ بُرْدٍ فَقِيرَا  
أَرَأَيْتُمْ كَمَا رَأَى الْعَمِيَانُ؟  
أَفَلَسْتُمْ بِنُورِهِمْ تَهْتَبُونَا؟



## ٢٠ - الزمان

[الكامل]

يمشي الزمان بمن ترقب حاجته  
مُتثاقلاً كالخائف المتردد  
حتى ليحسبه أسيراً موثقاً  
ويراه أبطأ من كسيح مقعد  
ويخال حاجته التي يصبولها  
في دارة الجوزاء أو في الفرقد  
ويكون ما يرجوه زورة صاحب  
ويكون أبعد ما يرجي في غد  
~~~~~

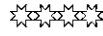
فإذا تولّى النفس خوف في الضحى  
من واقب<sup>١</sup> تحت الدجى أو معتد  
طارَتْ بها خيل الزمان ونوْقَه  
نحو الزمان المدلهم الأسود  
فكانها محمولة في بارق  
أو عارض<sup>٢</sup> أو عاصف في فدْفد  
~~~~~  
ويكون أقصر ما يكون، إذا الفتى

---

(١) داخل (وقب دخل)

(٢) الأرض الواسعة المستوية

مَدَّتْ لَهُ الدُّنْيَا يَدَ الْمُتَوَدِّدِ  
فَتَوَسَّطَ الْأَذَاتِ غَيْرَ مُنْقَرٍ  
وَتَوَسَّدَ الْأَحْلَامَ غَيْرَ مَنْكُدِ  
فَإِذَا لَذِيذُ الْعَيْشِ نَغْبَةً طَائِرٍ  
وَإِذَا طَوِيلُ الدَّهْرِ خَطَرَةٌ مِرْوَدِ



وَإِذَا الْفَتَى لَبِسَ الْأَسَى وَمَشَى بِهِ  
فَكَأَنَّمَا قَدْ قَالَ لِلزَّمَنِ اقْعُدِ  
فَإِذَا الثَّوَانِي أَشْهَرُ، وَإِذَا الدُّقَا  
نَقُ أَعْصُرُ، وَالْحَزَنُ شَيْءٌ سَرْمَدِي  
وَإِذَا صَبَّاحُ أَخِي الْأَسَى أَوْ لَيْلُهُ  
مُتَجَدِّدٌ مَعَ هَمِّهِ الْمُتَجَدِّدِ  
قَهَرَ الْوَرَى وَأَذَلَّهُمْ أَنَّ الْوَرَى  
مُتَعَلِّلٌ أَوْ طَامِعٌ أَوْ مَجْتَدِ  
جَعَلُوا رَغَائِبَهُمْ قِيَاسَ زَمَانِهِمْ  
وَالدَّهْرُ أَكْبَرُ أَنْ يُقَاسَ بِمُقَصِّدِ  
وَقَتَلْتُ فِي نَفْسِي الرِّغَائِبَ وَالْمَنَى  
فَقَهَرْتُهُ بِتَجَرُّدِي وَتَزَهُدِي  
يَشْكُو الَّذِي تَشْكُو السَّهَادُ جَفَوْنَهُ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ ذَا نَاضِرٍ لَمْ يَسْهَدْ  
إِنْ كَانَ شَيْءٌ لِلنَّفْسِ أَعْدَهُ  
فِي مَا انْقَضَى وَمَضَى، وَإِنْ لَمْ يَنْفَدِ  
مَا إِنْ رَأَيْتُ الْكُحْلَ فِي حَذَقِ الْمَهَا  
إِلَّا لَمَحْتُ الدُّودَ خِلَافَ الْإِثْمِ  
مَنْ لَيْسَ يَضْحَكُ وَالصَّبَاحُ مُورِدُ



لم يكتئبَ والصبحُ غيرُ مُورِدٍ  
سَيَّانٍ أحلامُ أراها في الكرى  
عندي، وأشياءُ بها اشتملتُ يدي  
أنا في الزمانِ كموجةٍ في زاخرٍ  
أنا فيه إن يُزِيدَ وإن لم يُزِيدَ  
مهما تلاطمَ فهو ليس بمُغرقي  
أو مُخرِجي منه ولا بمُبددي  
هيهات ما أرجو ولا أخشى غداً  
هل ارتجي وأخافُ ما لم يوجد  
والأمسُ في فكيف أحسبه انتهى  
أفما رأيتُ الأصل في الفرع الندي؟  
قبلُ كبعْدِ حاله وهميه  
أمسي أنا، يومي أنا، وأنا غدي

\*\*\*\*

## ٢١ - اليتيم

[الخفيف]

خبروني ماذا رأيتم ؟ أطفأ  
لأيتامى أم موكبا علويًا  
كزهور الربيع عرفاً زكيًا  
ونجوم الربيع نوراً سنيًا  
والفراشات وثبةً وسكوناً  
والعصافير بل الذُّنُجِيَّا  
إنني كلما تأملتُ طفلاً  
خلتُ أني أرى ملاكاً سويًا  
قل لمن يبصر الضُّباب كثيفاً  
إن تحت الضُّباب فجرًا نقيًا  
اليتيم الذي يلوح زريًا  
ليس شيئاً، لو تعلمون، زريًا  
إنه غرسه سنُّ طلع يوماً  
ثمرًا طيباً وزهراً جنيًا  
ربما كان أودع الله فيه  
فياسوفاً، أو شاعراً، أو نبياً  
لم يكن كلُّ عبقرٍ يتيماً  
إنما كان كاليتيم صبيًا  
ليس يدري لكنه سوف يدري  
أن ربَّ الأيتام ما زال حيًا

عندما يصبحُ الصغيرُ فتياً  
 عندما يلبسُ الشَّبابُ حُلِيّاً  
 كلُّ نجمٍ يكونُ، من قبل أن يَبْدُ  
 ذو سديماً، عن العيون خفياً  
 إنَّ يَكُ الموتُ قد مضى بأبيه  
 ما مضى بالشعور فيك وفيّا  
 وشقاءٌ يُولدُ الرفقَ فينا  
 لهُوَ الخَيْرُ بالشقاءِ تزيّاً  
 لا تقولوا من أمّه؟ من أبوه؟  
 فأبوه وأمّه سوريّا  
 فأعينوه كي يعيش وينمو  
 ناعم البال في الحياة رضيّاً  
 ربُّ ذهنٍ مثل النهار مُنيرٍ  
 صار بالبؤس كالظلام نجياً  
 كم أثيم في السجن لو أدركته  
 رحمةُ الله كان حُرّاً سريّاً  
 حاربوا البؤس في الصَّغار صغاراً  
 قبل أن يستبد فيهم قوياً  
 كأُهمَّ ذلك الجريحُ الملقى  
 فلنكنْ كلنا الفتى السَّامِريّاً<sup>١</sup>

\*\*\*\*

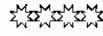
---

(١) قصته في القرآن الكريم (سورة طه، الآيات ٨٥ وما بعدها) وهو الذي أخرج لقرن موسى العجل الذهبي بعد خروجهم من مصر

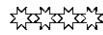
## ٢٢ - المجنون

[مختلط]

أطار عني النوم صوتُ الدجى  
كأنه دمدمه الشلال  
يصرخُ والريحُ ترددُ الصدى  
في أذنِ الفخياء والتلال  
يا ليلُ قفْ هنيهةً قبالي  
تري البرايا وأرى الليالي  
أنا الشَّادي، أنا الباكي،  
أنا العاري، أنا الكاسي  
أنا الخمرة والذنُّ  
أنا السَّاقِي، أنا الحاسي



خلعتُ ثوباً لم تفصله يدي  
وهمتُ في الوادي بلا سربال  
وخلأتُني انطلقتُ من سلاسلِي  
وخلُصتُ ذاتي من الأوحال  
فلم أزلْ أرسفُ في أغلالي  
ولم أزلْ في حنْدَسِ المَحالِ  
فما أبكي من الغُرْبِ  
—ة عن جارٍ وعن خُدنِ  
فقد يرجعُ جيرانِي  
وتُنْفَى غُرْبَتِي عَنِّي



عرفتُ في النهارِ كلُّ مُقبلٍ  
ومُدبرٍ، وما عرفتُ حالي  
واسْتَثَرْتُ عني السَّهولُ والرُّبَا  
تحت الدُّجَى، والبحرُ ذو الأهوالِ  
لكنَّ مالَـم تستترُّ أمالي  
عني ولا نقصي ولا كمالي  
ولا ضـعـفـي ولا عزـمـي  
ولا قُبـحـي ولا حـسـنـي  
فكم أهربُ من نفسي  
ومالي مهـربُ مني



فقلتُ: من هذا؟ فقال صـحـبـي:  
مُوسَى يهـدـي من الخيالِ  
يأوي إلى الأدغال في نهـاره  
كأنه جزءٌ من الأدغالِ  
وفي الدُّجَى له صـراخٌ عالٍ  
كأنه الليل في نضالِ  
كأنَّ الليل يوثقُه  
بـأغـلالٍ وأمـراسٍ  
ويضربُ جسمه العاري  
بـسـوطِ الظالم القاسي



مما إنَّ راه أحـدُ الأرا  
ه شاخص الطُّرفِ إلى الأعالي

كأنما يرقبُ ركباً صاعداً  
 أو هابطاً وليس غير الال<sup>١</sup>  
 كأنما يخشى على الهلال  
 وسائر الشُّهبِ من الزوال  
 فصاح الصوتُ: ما أرجوه  
 في نفسي وما أحذرُ  
 فمهما رحبَ الأفقُ  
 فنفسِي الأفقُ الأكبرُ

❦❦❦❦❦❦❦

ليس جلالُ الليلِ ما أدهشني  
 وأنما أدهشني جلالِي  
 ولا جمالُ الشُّهبِ ما حيرني  
 وأنما حيرني جمالي  
 إن كان بي شوقٌ إلى وصالِ  
 فإنما شوقي إلى خيالي  
 توشَّحتُ الضُّحَى والليـلِ  
 لـ في أنفسي وفي حزني  
 فمما زاد الدجى خوفاً  
 ولا زاد الضُّحَى أمانِي

❦❦❦❦❦❦❦

لم أهرِجِ الناسَ فأصنافُ الوري  
 من السُّلاطينِ إلى الموالِي  
 إلى نوي العلمِ إلى أهلِ الغنى  
 من واصلٍ وهاجرٍ وسالِ

---

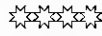
(١) السراب



## ٢٣ - قطرة الطلّ

[مجزوء الرمل]

إنّ تر زهرة وردٍ فوقها لطلّ قطرة  
فتأمّلها كالغزٍ غامضٍ تجهل سرّه  
ولتكنّ عينك كقفاً، وليكنّ لمسك نظرة  
ليست الحمراء جمره: لا ولا البيضاء دُرّه



ربُّ روحٍ مثلِ رُوحِي عافت الدنيا المُضِرّه  
فارتقت في الجوّ تبغي منزلاً فوق المجرّه  
علّها تحيا قليلاً في الفضاء الحر حرّه  
ذرفتْها مقلّة الظلماء عند الفجر قطره

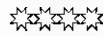




## ٢٤ - نار القرى<sup>١</sup>

[الكامل]

رُوحِي الَّتِي بِالْأَمْسِ كَانَتْ تَرْتَعُ  
فِي الْغَابِ مِثْلَ الظَّبْيَةِ الْقَمَرَاءِ  
تَقْتَاتُ بِالثَّمَرِ الْجَنِيِّ فَتَشْبَعُ  
وَيُبَلِّغُهَا رَشَاشُ الْمَاءِ  
نَظَرْتُ إِلَيْكَ فَأَصْبَحْتُ لَا تَقْنَعُ  
بِالْمَاءِ وَالْأَفْيَاءِ فِي الْغَبَرَاءِ  
تُصْغِي وَتُنْصِتُ، وَالْحَمَامَةُ تَسْجَعُ  
أَصْغَاؤُهَا لَكَ لَيْسَ لِلْوَرَقَاءِ  
نَادِيَتُهَا فَلَهَا إِلَيْكَ تَطْلُعُ  
هَذَا التُّطْلُعُ كَانَ أَصْلَ شِقَايَ  
جَنَحْتَنِي كَيْمَا أَطِيرَ فَلَمْ أَطِرْ  
هِيَ هَاتِ أَنْكَ قَدْ طَوَيْتَ سَمَائِي



قَدْ كَانَ يَسْتَبِينِي الْجَمَالُ الرَّائِعُ  
حَتَّى لَمَحْتُكَ فَهُوَ لَا يَسْتَبِينِي  
عَصَفْتُ بِصَدْرِي لِلْيَقِينِ زَوَائِعُ  
ثَلَّتْ عُرُوشُ تَوْهَمِي وَظَنُونِي  
فَأَنَا عَلَى مَا ضَاعَ مِنِّي جَانِعُ  
إِنَّ الَّذِي قَدْ ضَاعَ جِدُّ ثَمِينِ

---

(١) رمز، في الشعر القديم، لمواطن الوحي وضوئه، تعشو إليه الأنظار

لولاك ما مات الخيالُ اليافعُ  
أفتَعْجَبِينَ إذا كرهتُ يَقيَنِي  
هذا صَنيعُكَ بي، فما أنا صانعُ  
قد شاءَ بِحَرِّكَ أن تَضِلَّ سَفِينِي  
جَرَدْتَ هذا الطينَ من أوْهامِهِ  
وكَبَرْتَ عن قارورةٍ من طينِ  
~~~~~

كيف الوصولُ إِلَيْكَ يا نارَ القَرَى  
أنا في الحَضِيضِ وَأَنْتِ في الجِوَاءِ  
لي ألفُ بِاصْرةٍ تَحَنُّ كما تَرَى  
لكنَّ بونكَ أَلْفُ أَلْفِ غِطَاءِ  
لومِن ثَرَى، مَزَقَتْهَا بِيَدِ الثَّرَى  
لكنها سَجَفُ مِنَ الْأَضْوَاءِ  
سألتُ قَلْبِي إذ رَأَى فَتَحِيْرًا  
ماذا شَرِبْتَ فَمِدَّتْ؟ قالَ : دِمَائِي  
يا لَيْتَهُ قَدْ ظَلَّ أَعْمَى كالوَرَى  
فلَقَدْ نَعِمْتُ، وكانَ في ظُلُماءِ  
قد شَوَّشَتْ كَفَّ النَّهَارِ سَكِينَتِي  
يا هَذِهِ رَدِّي إِلَيَّ مَسْأَلَتِي  
~~~~~

أَمْسَيْتُ حِينَ لَمْ يَسْتَنْبِ بِيَدِكَ  
لي أَلْفُ بِاصْرةٍ وَأَلْفُ جَنَاحِ  
ولمَحْتُ نارَ الوَحْيِ في عَيْنَيْكَ  
والوَحْيُ كانَ سُلَافَةَ الْأَرْواحِ  
فَنَشَرْتُ أَجْنَحَتِي وَخَمْتُ عَلَيْكَ  
مَتَوْهُمَا أَنِي وَجَدْتُ صَبَاحِي

قد كان حَتَفِي في الدُّنُو اليكِ  
حَتَّفَ الفراشة في فم المصباح  
فسقطتُ مرتعشاً على قدميكِ  
النَّارُ مهدي والدخانُ وشاحي  
يا ليت نوركِ حين أحرقني انطوى  
فعلى ضيائك قد لستُ جراحِي

\*\*\*\*

## ٢٥ - ابن الليل

[مجزوء الرمل]

أشرف البدر على الغابة في إحدى الليالي  
فرأى الثعلب يمشي خائساً بين الدوالي  
كلما لاح خيال خاف من ذاك الخيال  
واقشعراً

ورأى ليثاً هضوراً واقفاً عند الغدير  
كلما استشعر حساً ملأ الوادي زفير  
فإذا بالماء يجري خائفاً عند الصخور  
مكفهاً

ورأى البدر ابن أوى يتهادى في الفضاء  
كمالك حوله الشهب جنود وإماء  
قال: لو كنت رفيق البدر، أو بدر السماء  
أو خياله

عشت حراً جيرتي الشهب، ولي الظلماء مركب  
أمناء، أعب بالبرق وطوراً بي يالعب  
لا أبالي سطوة الراعي ولا الكلب المجرب  
وصياله

غير أن الليث لما أبصر البدر الضحوكا  
قال: يا ابن الليل مهما أشتهي لا أشتهيكا  
أنت وضاح ولكن قاحل لا صيد فيك  
أو حيالك

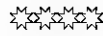
لَكَ هَذَا، الْأُفُقُ لَكَ هُوَ أَيْضاً لِلْكَوَاكِبِ  
إِنَّمَا لَوْ كُنْتَ لَيْثاً ذَا نِيَابٍ وَمِخَالِبٍ  
لَمْ تَعِدْ فِي وَجْهِكَ الْوَضَّاحِ الْحَاظُ الثَّعَالِبِ  
صُنْ جَمَالَكَ

\*\*\*\*\*

## ٢٦ - أنا

[الكامل]

حُرٌّ وَمَذْهَبٌ كُلُّ حُرٍّ مَذْهَبِي  
مَا كُنْتُ بِالْغَاوِي وَلَا الْمَتْعَصِبِ  
إِنِّي لِأَغْضِبُ الْكَرِيمَ يَنْوِشُهُ  
مَنْ بُونُهُ وَالْيَوْمُ مَنْ لَمْ يَغْضَبْ  
وَأُحِبُّ كُلَّ مَهْذَبٍ وَلَوْ أَنَّهُ  
خَصَمِي، وَأَرْحَمُ كُلِّ غَيْرِ مَهْذَبٍ  
يَأْتِي فَوَادِي أَنْ يَمِيلَ إِلَى الْأَذَى  
حُبُّ الْأَذِيَّةِ مِنْ طِبَاعِ الْعَقْرِبِ  
لِي أَنْ أَرُدَّ مَسَاءً بِمَسَاءٍ  
لَوْ أَنَّنِي أَرْضَى بِبَرْقِ خُلْبٍ  
حَسَبُ الْمَسِيئِ شَعُورُهُ، وَمَقَالُهُ  
فِي سِرِّهِ: يَا لِي تَنِي لَمْ أَذْنَبْ



أَنَا لَا تَغْشُنِي الطُّيَالِسُ وَالْحُلَى  
كَمْ فِي الطُّيَالِيسِ مِنْ سَقِيمٍ أَجْرِبِ  
عَيْنَاكَ مِنْ أَثْوَابِهِ فِي جَنَّةٍ  
وَيَدَاكَ مِنْ أَخْلَاقِهِ فِي سَبَبٍ  
وَإِذَا بَصُرْتَ بِهِ بَصُرْتَ بِأَشْمَطِ  
وَإِذَا تُحَدِّثُهُ تَكْشِفُ عَنْ صَبِي

اني اذا نزل البلاءُ بصاحبي  
 دافعتُ عنه بناجِذي<sup>١</sup> وبمخاليبي  
 وشدتُ ساعدهُ الضعيفِ بساعدي  
 وسترتُ منكبهُ العُريِّ بمنكبي  
 وأرى مساوئهُ كأنني لا أرى  
 وأرى محاسنهُ وإن لم تُكتب  
 وألوم نفسي قبله إن أخطأتُ  
 وإذا أساء إلي لم أتعتب  
 مُتقربٌ من صاحبي، فإذا مشتُ  
 في عطفه الغُلواءُ<sup>٢</sup> لم أتقرب  
 أنا من ضميري ساكنٌ في معقل  
 أنا من خاللي<sup>٣</sup> سائرٌ في موكب  
 فإذا راني نو الغبَاوةِ بونهُ  
 فكما يرى في الماء ظلُّ الكوكب

\*\*\*\*\*

(١) السنَّ بين الناب والأضراس (الجمع نواجذ)

(٢) الغُلواءُ العلوُّ والشطط

(٣) الحَلَّةُ الحصلة، من صفات الناس

## ٢٧ - الإله الثرثار

[الخفيف]

زعم المرء أنما هو رب  
كم يلك الكلام هذا الإله!  
يلفظ البحر، وهو ملح أجاج  
لؤلؤا يبهر العيون سناه  
ما ادعى الدر أنه صورة البدر  
بر ولا قال: انني إياه  
لا ولا قال كل شيء إلى الحد  
ووما خص بالخلود سواه  
إن تكن للخلود ذاتك في الدن  
يأ، فماذا الأمر الذي تهواه؟  
وإذا صرت غير شخصك في الأخد  
رى، فهذا الفنا الذي تخشاه  
في التراب الذي تدوس عليه  
ألف دنيا وعالم لا تراه  
أنت جزء من الكيان، وفيه  
كثراه كنيتيه كخصاه  
كالورود التي تحب شذاهها  
والبعوض الذي تخاف أذاه  
ما لحي بالموت عنه انفصال  
إن دنياه هذه أخراه

\*\*\*\*



## ٢٨ - الأشباح الثلاثة

[المتدارك]

رَأَوْنِي النَّوْمُ وَمَا بَرِحَا  
حَتَّى طَاطَأْتُ لَهُ رَاسِي  
أَطَبَقْتُ جَفُونِي فَأَنْفَقْتُهَا  
بَابَ الرُّؤْيَا وَالْوَسْوَاسِ

أَبْصَرْتُ كَأَنِّي فِي مَوْضِعٍ  
مَا فِيهِ غَيْرُ الْأَرْوَاحِ  
فَوَقَفْتُ بَعِيداً أَتَطَلَّعُ  
فَلَمْ حَتِّ ثَلَاثَةَ أَشْبَاحِ

وَلَدَيْتُهُادَى فِي الْعَشْرِ  
وَفَتَى فِي بَرْدِ الْعِشْرِينَ  
وَالثَّلَاثُ شَيْخٌ فِي طِمْرٍ<sup>١</sup>  
نَوْ جَسْمٍ يَحْكِي الْعُرْجُونَ<sup>٢</sup>

وَإِذَا بِالْأَوَّلِ يَقْتَرِبُ  
مَنِي كَالطَّائِرِ فِي الْوُتْبِ  
فَشَعَرْتُ كَأَنِّي أَضْطَرُّ<sup>٣</sup>  
وَكَأَنُّ خَطَاةٌ عَلَى قَلْبِي

---

(١) الطَّمْر الثوب الحلق البالي (وجمعه أطمار)

يا نفسي ما هذا الفرقُ؟  
لا رمحٌ مـمـعه ولا نـبـلٌ  
ولماذا الخشـيـة والقلـقُ  
والخلـقُ أحـبـهمُ الطـفـلُ

وإذا بالطـفـلِ يخاطـبـني  
بكلامٍ لا يتـكـأفـه  
ويـمـازحـني ويـداعـبـني  
فكأنـي شـخـصٌ يـعـرفـه:

ما بالك منكم شاكـمـدا؟  
قم نلعب في فيء الشـجـرِ  
ونـهـز الأغصـن والعـمـدا  
ونـزود الطـيـر عن الثـمـر

أو نصنع خيـالاً من قـصـبٍ  
أو طـيـاً سـاراتٍ من ورقٍ  
ومـدـى وسـيـوفاً من خشبٍ  
ونـجـول ونركض في الطـرـق

أو نأتي بالفحم القـاتـمَ  
ونصـور فوق الأبـوابِ  
تنـيـناً في بحر عانـمَ  
أو لـيـثاً يـخـطـر في غابِ

أو كليباً يعدو، أو حملاً  
يرعى، أو نهراً، أو هضبة  
أو ديكاً ينقذ<sup>١</sup> أو رجلاً  
يمشي، أو مَهْرًا، أو عربة

أو نجبل ماءً وتراباً  
ونشيد بيوتاً وقباباً  
أو نجعلُ منه أنصاباً  
أو نصنعُ حلوى وكباباً

مَنُلتُ الطفلَ ودنياه  
فأُحِبُّتُ نفسي دنياه  
ووددتُ لـو أني إِيَّاهُ  
بَلْ خِلْتُ كَأَنِّي إِيَّاهُ

فَضَحَكَ وَلَجَّ بِي الضَّحْكُ  
حَتَّى اسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي  
فَاسْتَيْقَظَ فِي الْوَلَدِ الشُّكُّ  
فَتَوَقَّفَ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي

ويقول: أيا هذا قدك<sup>٢</sup>  
فَوَحَّقْ ذَا الطَّيْشِ الْأَكْبَرِ  
مَا تَضَحَكَ مِنِّي بَلْ مِنْكَ  
إِيَّاكَ أَنَا لَو تَتَذَكَّرُ!

---

(١) نقد الطائر الحب لقطه واحدة واحدة

وتواري عني واحتجبا  
كالوجة في عرض النهر  
فتضايق قلبي واضطربا  
وارتجت روعي في صــــدري

وإذا الشبح الثاني أقبل  
يترنح مثل الخمرور  
الليل على الدنيا مسدل  
وعليه وشاح من نور

معصوب المقلّة، والدرب  
وعر وكثير الأفات  
كسفين ليس لهارب  
تجري في بحر الخطأ مات

ماذا في الأفق؟ فقد وقفا  
يتأمل فيه ويبتسم  
هل لاح له وجه عرّفا  
أم هزر جوارحه نغم؟

أم أبصر الهة الحب  
تدعوه إليها إيماء  
لا شيء في الأفق رحب  
وكان هنالك أشياء

الطَّيْرُ تُغْنِي الزَّهْرُ  
ويظنُّ الطَّيْرُ تُسَاجِلُهُ  
والزَّهْرُ تَرْحِبُ بِالْفَجْرِ  
ويظنُّ الزَّهْرُ تُغَازِلُهُ

ونظرتُ إليه في البِرِّ  
يتمنَّى لو خاض البحرُ  
ونظرتُ إليه في البحرِ  
يتمنَّى لو بلغ البِرُّ

يَتَأَفَّفُ مَنْ بَطَّ الدَّهْرُ  
والدهرُ يسيرُ به وتبنا  
وينامُ ليحلمَ بالفجرِ  
والفجرُ يضيءُ له الدربُ

ويَسْأَلُ عن كأسِ الخمرِ  
ويَسْأَلُهُ عنها الناسُ  
في الليل وفي وضح الفجرِ  
والخمرةُ فيه والكأسُ

فصبرتُ ولازمتُ الصُّمَّةَ  
حتى داني الظلُّ الظلُّ  
فأشرتُ إليه : من أنتَا ؟  
فأجاب: أنا ذاك الطفلُ

ومضى كالظلّ إذا انتقلا  
وأنا أرجو لو لم يمضِ  
فأعدتُ لنفسي ما ارتجلا  
فتعجبُ بعضي من بعضي

الشمسُ تزلُّ عن الأفقِ  
كالروح المُحتضر السَّاجي  
غمرتُها أمواجُ الغسقِ  
فتوارتْ خلف الأمواجِ

والغيمُ الأسودُ يحتشدُ  
طبقةً في الجوِّ على طبقِ  
والليلُ يطولُ ويَطُردُ  
والأرضُ كسارٍ في نفقِ

وإذا شِخُ في صحراءِ  
كالزورقِ في عرُضِ البحرِ  
أعياءُ الصلحِ مع الماءِ  
وأضاعُ الدربِ إلى البرِ

يمشي في الأرض على مهلِ  
وعلى حذرٍ، لكنْ يمشي  
كالشاةٍ تُساقُ إلى القتلِ  
بعضاً جبارٍ ذي بطشِ

يا شيخ.. لماذا لا تَقِفُ  
دُمَيْتَ رَجُلًاكَ مِنَ الْوَرَكُضِ  
فَأَجَابَ بِصَوْتٍ يَرْتَجِفُ:  
الْأَرْضُ تَسِيرُ عَلَى الْأَرْضِ!

يا شيخ.. رويداً فالْبَدْرُ  
سَيُضِيءُ الدَّرَبَ فَتَسْتَهْدِي  
فَأَجَابَ: وَيَتْلُوهُ الْفَجْرُ  
لَكِنْ سَيُضِيءُ لِمَنْ بَعْدِي

أَيُّ لُغْصَنِ مَنَكِ سِرِّ  
عَرَّتَهُ الْوَرِيحُ مِنَ الْوَرَقِ  
أَنْ يَبْصُرَ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ  
مَا كَانَ عَلَيْهِ عَلَى الطَّرْقِ

مَا لَذَّةٌ مَيِّتٍ فِي الرُّمَسِ  
بِالزَّهْرِ الْفَوَاحِ الْعَطِرِ  
نُورٌ لَا يَشْرِقُ فِي النَفْسِ  
كَغَنَاءٍ فِي أُنْزِلِ الْحَجَرِ

مَا اسْتَخَفَّتْ عَنِّي الْأَفْلَاكُ  
وَالشُّهُبُ بَلْ اسْتَخَفَّيَ حَبِّي  
لَمْ تَمْلَأْ دَرْبِي الْأَشْوَكَ  
إِنَّ الْأَشْوَكَ لَفِي قَلْبِي!

يا شيخ.. شجاني ما قُلْتَا  
وزرعتَ بِنَفْسِي الْاَمَكُ  
من أنت ؟ أجاب: أنا أنْتَا  
أنا ذاكُ تَمْشِي قَدَامَكَ

كم أَبَحْتُ بَيْنَ الْأَجْرَامِ  
عَمَنِي، وَأَنْقَبُ فِي الْأَرْضِ  
أَحْلَامِي تَطْمُرُ أَحْلَامِي  
بِعُضِي مَدْفُونٌ فِي بَعْضِي

لم أَبْصِرْ ذَاتِي بِالْأَمْسِ  
فِي لَوْحِ زَجَاجٍ أَوْ مَاءٍ  
بَلْ لَاحَتْ نَفْسِي فِي نَفْسِي  
فَهِيَ الْمَرْنِيَّةُ وَالرَّائِي

\*\*\*\*

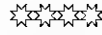


## ٢٩ - العليقة

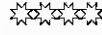
[مجزوء الرمل]

ذاتُ شوكٍ كالحرابِ، أو كأظفار العقابِ  
ربضتُ في الغابِ كاللصِّ، لِفَتَّكَ واستلابِ  
تَقَطَّعَ الدُّرْبَ على الفلاح والمولى المُهَّابِ  
صُنِّتْ عنها حُرُوجُ هي، فتَصَدَّتْ لثيابي  
كأما أفلتُ من نابٍ تالِقُ تُنْني بنابِ  
فلها نهشُ الأفاعي، ولها لسعُ الذبابِ  
وأذاها في سكوني، كأذاها في اضطرابي  
وهي كالقيِّدِ لساقِي، ولجِيدي كالسُّخابِ  
فكأنَّنا في عِناقٍ، لا نضالٍ ووِثابِ  
قلتُ يا ساكنةَ الغابِ ويا بنتَ التُّرابِ  
لا تُلْجِي في اجتِذابي، أو فُلْجِي في اجتِذابي  
إنَّ عُوْدًا فيه ماءٌ ليس عُوْدًا لاحتِطابِ  
أنا في فجرِ حياتي، أنا في شرخِ شبَّابي  
الهُوى ملءُ فُوادي: والصَّبَّاءُ ملءُ إهابي  
والمنى تَنبِتُ في دربي، وتمشي في رِكابِي  
أنا لم أضجِرْ مِنَ العيشِ ولم أملُلْ صِحابِي  
لم أزلْ أَلحُ طيفَ المجدِ حتَّى في السُّرابِ  
لم أزلْ أَسْتَشْعِرُ الأذَّةَ حتَّى في العذابِ  
لم أزلْ أَسْتَشْرِفُ الحُسْنَ ولو تحتِ نِقابِ

ما بنفسي خشية الموت ولا منه ارتهابي  
 أنا للأرض، وإن طال عن الأرض اغترابي  
 غير أني لم يزل ضرعي لري<sup>١</sup> واحتلاب  
 لم أهب كل الذي عندي، ولم يفرغ وطابي<sup>٢</sup>  
 أنا نهر لم أتمم بعد في الأرض انسيابي  
 أنا روض لم أذع كل عبييري وملابي<sup>٣</sup>  
 أنا نجم لم يمزق بعد جباب الضباب



أنا فجر لم تتوَج فضتي كل الروابي  
 لي رغب لم تلد بعد فتبلى بالتباب<sup>٤</sup>  
 وب نفسي ألف معنى لم يضمَّن في كتاب



فإذا استنفدت ما في دن نفسي من شراب  
 وإذا أنجم أمالي توارت في الحجاب  
 وإذا لم يبق في غيمي ماء لأنسكاب  
 وإذا ما صرت كالعاليق<sup>٥</sup> تمثال اكتئاب  
 لا يرجيني محتاج، ولا يطمع ساب<sup>٦</sup>  
 فاجذبيني.. إن يكن مني نفع للتراب



(١) مري الضرع مسح لير

(٢) الوطب والوطاب إناء للين من الجلد

(٣) الملا ب ضرب من الطيب

(٤) الهلاك وضعف الشيخوخة

(٥) نبت يتعلق بالشجر

### ٣٠- هي<sup>١</sup>

[السريع]

أروي لكم عن شاعرٍ ساحرٍ  
حكايةَ يَحْمَدُ راويها  
قال: دعا أصحابه سيِّدُ  
في ليلةٍ رَقَّتْ حواشيها  
فانتظمت في قصره عُصْبَةٌ  
كريمةٌ لا واغلُ فيها  
من نُبلاءِ الشعبِ، ساداتها  
وخيرة الغيدِ غوانيها  
حتى إذا جالسوا كُأُهمْ  
وطاف بالأكوابِ ساقِيها  
قام أميرُ القصرِ في كفِّه  
كأسُ أعارتهُ معانيها  
وقال: يا صاحبَ ذِكْرِكُمْ  
املأوها حُبًّا وأحْسُوها  
وذِكْرُ مَنْ قَلْبِي عَبْدُ لها  
ومُهْجَتِي إحدى جوارِيها  
حبيبتِي لِياءَ، سميَّتْها  
ولم أكن قبلاً أُسمِّيها

(١) اتهمه أحمد زكي أبو شادي بنقلها إلى العربية، عن أحد شعراء الإنجليز، ولم ينكر أبو ماضي التهمة



وأنت؟ قال الصَّحْبُ، واستَضَحُوا:  
 هل لك حسناء تُحْيِيها؟  
 قال: أجل! أشربُ سُرُّ الَّتِي  
 الروحُ تفديني وأقديها  
 صُورَتُها في القلبِ مطبوعةً  
 لا شيءَ حتى الموتِ يمحوها  
 لا تترضاني رياءً ولا  
 تلتئمني كذباً وتمويها  
 يضيعُ مالي ويزولُ الصِّبَا  
 وحبُّها باقٍ وحبِّيها  
 قد وهبتني روحها كأُها  
 ولم تخفِ أني أضحيها  
 سرُّ الَّتِي لا عادةً بينكم  
 مهما سَمِتَ في الحبِّ تحكيها  
 فأجفأوا منه كمن حيةً  
 نهَّاشةً قد عزَّ راقِيها  
 وقالت الغفادات: أفلله  
 قد شوَّهَ المجلسُ تشويها  
 لو ظلَّ في ما بيننا صامتاً  
 لم تسمعِ الأذانُ مكروها  
 وقلقلِ الفتيانُ أسيافهم  
 فأوشكتُ تبدو خواشيها  
 وتعتنق الشَّادي بألحانه  
 وماجتِ الدارُ بمن فيها

وقال قوم: خائبتَهُ الطَّلَا  
وقال قوم: صارَ مَعْتُوهَا  
فصاح ربُّ الدار: يا سيِّدي  
وصفَّتها لِمَ لا تُسمِّيها  
أتَخلُجُ بِاسمٍ من تهوى؟  
أحسِناءٌ بِغيرِ اسمٍ؟  
فأطرقَ غيرَ مكترثٍ  
وتمتمَ خاشعاً... أُمِّي!

\*\*\*\*

### ٣١ - لا أنت ولا أنا

[الكامل]

قلتُ: السعادةُ في المُنَى، فرددتني  
وزعمت أن المرءَ افْتَنَّهُ المُنَى  
ورأيت في ظلِّ الغِنَى تمثالها  
ورأيت أنتَ البؤسَ، في ظلِّ الغِنَى  
ما لي أقولُ بأنها قد تُقَتِّنِي  
فتقول أنتَ بأنها لا تُقَتِّنِي!  
وأقولُ: إنْ خُلِقْتُ فقد خُلِقْتُ لَنَا  
فتقولُ: إنْ خُلِقْتُ فلم تُخَلَقْ لَنَا  
وأقولُ: إني مؤمِنٌ بوجودِها  
فتقولُ ما أحراك ألا تُؤمِنَا  
وأقولُ: سرٌّ سوف يُعلنُ في غدٍ  
فتقولُ: لا سرٌّ هناك ولا هنا  
يا صاحبي! هذا حوارٌ باطلٌ  
لا أنت أدركت الصواب ولا أنا

\*\*\*\*\*

## ٣٢ - الناسكة

[السريع]

أبصرتُ في الحقلِ قُبَيْلَ المَغِيبِ  
سَنِبَالَهُ فِي سَفْحِ ذَاكَ الكَثِيبِ  
حَانِيَةً مُطْرِقَةَ الرَّأْسِ

كَأَنَّمَا تَسْجُدُ لَلسَّمْسِ  
أَوْ أَنهَاتِلُو صَلاةَ المَسَاءِ  
❖❖❖❖❖

فَمَلَّتْ عَن رَاهِبَةِ الحَقْلِ  
وَسَرَتْ لَا أَلْهَوِي عَلَى ظِلِّي  
أَلَسْتُ قَطَّ الحُبِّ وَأَذْرِيهِ

وَتَارَةً فِي النِّارِ أُلْقِيهِ  
مُسْتَخْرِجاً مِنْهُ لِحْصَمِي غِذَاءً  
❖❖❖❖❖

قَدْ غَابَتْ الشَّمْسُ وَرَاءَ القِمَمِ  
وَسَكَتِ الطَّيْرُ الَّذِي لَمْ يَنْمَ  
لَكِنْ نَارِي لَمْ تَزَلْ تَرَعُجُ<sup>١</sup>  
وَلَمْ أَزَلْ أَكُلُ مَا تُنْضِجُ  
يَا حَبِذَا النِّارُ وَنَعَمِ الشَّوَاءُ  
❖❖❖❖❖

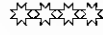
وَإِنِّي فِي مَرَحِي وَالدَّدِ  
إِذَا صَاحَ بِي صَوْتُ بَلَا مُوْعِدِ

---

(١) رجع البرق اضطرب وتتابع



ما الحُبُّ يا هذا ولا السُّنْبِلُ  
ما تَأْكُلُ النارُ وما تَأْكُلُ  
وانما أسلافُك الأصْفِياءُ



لا بِشَرٍّ لا طائرٌ ماثِلُ  
يا عَجَباً ! نَطَقُوا ولا قائلُ  
من أين جاء الصوتُ ؟ لا أدري  
لكنَّما ناسكُ البُرِّ<sup>١</sup>  
قد رفعتْ هامتها للعلاء



---

(١) يريد طاحونة القمح (النسيكة الذبيحة)

### ٣٣. عيد النُّهى<sup>١</sup>

في اليوبيل الذهبي لجلة المقتطف.

[الكامل]

قلِّ للحمائم في ضفاف الوادي:  
يا ليتكنَّ على شِغَافِ فَوَّادي  
لِتَرَيْنَ كيف تبِعِثَرَتْ أَحلامُهُ  
وجِرتْ به الألامُ خَيْلَ طِرَاد  
كانت تشيعُ على جوانبه المنى  
فخَبَّتْ وبُدِّلَ جَمَرُها بِرَمَاد  
أَسْعَدَتْهُ فَعَسَى يَخْفُ ولَوَعُهُ  
إن الشُّجَى أَحَقُّ بِالْإِسْعَادِ<sup>٢</sup>  
ذهب الصَّبَا وبقيتْ في حِسرَاتِهِ  
ليت الأَسَى مِثْلَ الصَّبَا لِنَفَادِ  
إن الشَّبَابَ هو الغِنَى فإذا مضى  
وأقمت لا يَنفَكُ فَقْرُكَ بِأَدِي  
أَمْسَيْتُ أَنْظِرْ في الحَيَاةِ فلا أرى  
الاسْـوَادُ أَخْذاً بِسِـوَادِ  
ألقي الصَّبَاحَ فلا يَطوُلُ تَأْمُّلي  
حتى يَحُولَ شِـعَاعُهُ لَصَّاعِدِ<sup>٣</sup>  
وإذا تَقَابَلُنِي النُّجُومُ تَخَاوَصْتُ<sup>٤</sup>  
فكَأَنَّمَا هِيَ أَعْيُنُ الحُسَّادِ

(١) جمع نُهىة، وهي العقل

(٢) شارك ووقف إلى جانبه

(٣) أصعدت السفينة إصعاداً مدت شراعها فذهبت بها الريح صعداً

(٤) ضيق عينه في النظر، ومثله تخاوص

ما ثم من ذكرى إذا خطرت على  
 قلبي استراح، سوى خيال الوادي  
 أفلا تزال الشمس تصبغ وجهه  
 بالورس اونه وبالفرصاد  
 أفلا يزال يذوب في أمواجه  
 ذهب الأصيل وفضة الأراد  
 لهفي إذا ورد الرفاق عشية  
 وذكرت أني لست في الورد  
 وإذا الحمام شدا وصفق موجه  
 ألا أصفق للحمام الشادي  
 وإذا النخيل تطاولت أظلاله  
 ألا يكون مظلتني ووسادي  
 وإذا الكواكب رصعت أفاقه  
 ألا يكون لرعيهن سهادي  
 نقت الهوى وعرفتته في شطه  
 إن الهوى للمرء كالميلاد  
 لا تدرك الأكباد سر وجودها  
 حتى يجول الحب في الأكباد  
 ما عشت لم يمسر جوانحك الهوى  
 لم تدرك ما في العيش من أمجاد  
 لا تبصر العين الرياض وحليها  
 إلا على ضوء الصباح الهادي  
 ❀❀❀❀❀



أسنى الكواكب في سماء الضاد  
 خلع الشباب على الكنانة مطرفاً  
 هو كالربيع على ربأ ووهاد  
 ما زال يقحم في الجهالة نوره  
 حتى تقاصر ليألها المتماذي  
 بصحيفة نور العيون سوادها  
 وبياضها من ناصع الأجياد  
 ينبوع معرفة وهيكل حكمة  
 ووعاء آداب وكنز رشاد  
 أغلى المواهب والعقول رأيتها  
 سكنت قصور مَهَارِق<sup>١</sup> ومِداد  
 ذكر المجاهد في الحقيقة خالد  
 ويزول رب السيف والأجناد  
 لولا جبابرة القرائح لم يسر  
 في الأرض ذكر جبابر القواد  
 ما ذلت سبل المعالي أمه  
 إلا بقوة مصالح أو هاد



(صُرُوف)<sup>٢</sup> يسألك الأنام فقل لهم:  
 كم في حياتك ساعة استشهداد؟  
 طلع القنوط عليك من أغواره  
 فرددت طائره وجاشك هاد  
 ومضيت تستقصي الحياة وسرها

(١) المَهْرِقُ الصحيفة البيضاء، يكتب فيها (والجمع المَهَارِقُ)

(٢) يعقوب صُرُوف منشئ (المقتطف) وصاحبها

في كل عاقلة وكل جـماد  
 حتى لكـدت تُحسُّ هاجسةً المنى  
 وتبين كم في النفس من أضداد  
 أنت الذي أسـرت به عزماته  
 والدرب غامضة على الرواد  
 والليل أفات على أغوارها  
 والهول أنجاد على الأنجاد<sup>١</sup>  
 إن الحقائق أنت ناشر بندها  
 في حين كان العلم كالإلحاد  
 والعقل في الشرقي من أوهامه  
 كالنفس في الأوهاق<sup>٢</sup> والأصفاد  
 تشقى، متى تشقى، الشعوب بجهلها  
 وتعز حين تعز بالأفراد  
 الساهرين الليل مثل، نجومه  
 فكانهم للدهر بالمرصاد  
 الباذلين نفوسهم لم يسألوا  
 وعلى النفوس مدارع الفولاذ  
 خفضوا جناحهم وتحت برودهم  
 هم الملوك وصولة المراد  
 لهم الزمان قديمه وحديثه  
 ما الناس في الدنيا سوى الأحاد  
 إن الأنام على اختلاف عصورهم  
 جعلوا لأهل العلم صدر النادي  
 ما العيد للخمسين بل عيد النهى

(١) أنجد ارتفع يريد تراكم الأهوال والمصاعب في الطريق

(٢) الوفاق الحبل الذي تشد به الحيل حتى لا يتباعد

وفنونهِ والخاطرِ الوُقُود  
عيدُ الحِصافةِ والصحافةِ كُلِّها  
في مصر، في بيروت، في بغداد  
ما العيشُ بالأعوامِ كم من حِقْبَةٍ  
كالخوفي عمرِ السوادِ العادي  
العمرُ، إلا بالثر، فارغُ  
كالقفرِ طال به غناءُ الحادي  
وسوى حياةِ العبقريِّ نقيسُها  
فتُقاسُ بالأجبالِ والأمداد

\*\*\*\*

## ٣٤ - موت العبقري

في رثاء سليمان البستاني<sup>(١)</sup>

[الخفيف]

كُلُّ مَيِّتٍ مَهْمَا عَلَا فِي حَيَاتِهِ  
كُلُّ ثَاوٍ تَحْتَ الثُّرَى مِنْ لِدَاتِهِ  
لَا حُدُودٌ وَلَا مَقَايِيسٌ فِي الْمَوْتِ  
تَسَاوَى الْجَمِيعُ فِي سَاحَاتِهِ  
حَاصِدٌ حَقْلُهُ الْوُجُودُ، وَمَا الْأَحَدُ  
يَبْأُ إِلَّا كَشَوْكَةٍ وَنَبَاتَةٍ  
مَنْ نَجَا مِنْهُ وَهَوَّ فِي رُوحَاتِهِ  
إِنَّمَا قَدْ نَجَا إِلَى غُدُوَاتِهِ  
لَيْسَ زَرْعُ الْغُصَّاتِ مِنْهُ لَثَارٌ  
لَيْسَ حَصْدُ اللَّذَاتِ مِنْ لَذَاتِهِ  
إِنَّهُ يَسْلُبُ الْغَوَايَةَ كَالرَّشْدِ  
بَدٌّ، فَلَيْسَ التَّمْيِيزُ مِنْ عَادَاتِهِ  
لَا تَقْلُ: مَا وَرَاءَهُ؟ ذَاكَ سِرٌّ  
خَبَائِثُ الْحَيَاةِ فِي ظُلُمَاتِهِ  
رُبَّ قَبْرِ نَمَشِي عَلَيْهِ وَفِيهِ  
شَهَوَاتٌ تُرَبِّي عَلَى ذُرَاتِهِ  
كُلُّ ذِي رَغْبَةٍ دَنَتْ أَوْ تَسَامَتْ  
سَوْفَ يَمْضِي يَوْمًا بِلَا رَغْبَاتِهِ

(١) مترجم الإلياذة إلى العربية شعراً



ليس عمرُ الفتى وإن طال إلا  
ما حوَّتْهُ الحياءُ من مَكْرُماته  
يَعْظُ النابغُ الخلائقَ حيًّا  
إنما موْتُهُ أَجْلٌ عِظَماته  
~~~~~

ظهر الموتُ للعيونِ جديداً  
أَمَسَ في بَطْشِهِ وفي فَتْكَاته  
وهو تَرَبُّ الإنسانِ منذُ استوى في الدُّ  
أَرْضَ حَيًّا مَشَى على خطواته  
ما الرَّدَى بالحديثِ في الناسِ لَكُنْ  
نَكْبَةُ العِلْمِ ضَاعَفَتْ رُوعاته  
فَقَدَّ الخَلْقُ واحداً من بنيهِ  
وأَضَاعَ القَرِيضُ خَيْرَ حُماته  
شاعراً كان يرقصُ الدهرُ أحياناً  
ويبكي حيناً على نِعماته  
ذهب السَّاحِرُونَ والسَّحَرُ باقٍ  
في عيُونِ المَها وفي كَلِماته  
مَنْشَى رُقًى لَفْظُهُ كَسَجَايا  
هُ وَرَفَّ الجِمالُ في جَنباته  
تَوَجَّ الضَّادُ بِالمِلاحَةِ حتَّى  
خَالَها القَوْمُ بَعْضُ مُخْتَرَعاته  
نَقَلَ الأَعْصَرَ الخِوَالِي إلينا  
في كِتابِ اللهِ، من مَعْجَزاته  
فَرَأَيْنَا هُومِيْرُ يَنْشُدُ فينا  
شِعْرَهُ مِثْلَ واحِدٍ من رِواثه

كان في دولة السَّيُوفِ وزيراً  
 المَعِيَّاً، ودولته في ذاته  
 ما بكينا الرُّفَاتِ لَمَّا بكينا  
 كم رفاتٍ في الأرض مثلُ رفاته؟  
 بل بكينا لأننا قد حُرْمنا  
 بالمنون المزيّد من اياته  
 راعنا أن يزول عنا، وأنّا  
 لم نُطوِّقْ أن نطيل حبلَ حياته  
 قد أردنا حمل البشائر للعد  
 م فكنا لأهله من نَعاتِه  
 إن في مصر والشام بويّاً  
 ما سمعناه قبل يوم وفاته  
 وأحسَّ العراق حين أتاه النّد  
 نَعْي طعم الردى بماء (قُراتِه)  
 و بلبنان رجفة تمشي  
 في ينبابيعه وفي نسَماته  
 فتُفَتِّح الموتُ حين أغمض عينيه،  
 عيون الورى على حسناته  
 فهو ماضٍ له جلاله ات  
 من فتوحاته ومن غزواته  
 والفتى العبقريُّ يولدُ إذ يو  
 لد في مهده، ويوم مماته

\*\*\*\*

## ٣٥ - الغدير الطموح

[مجزوء الكامل]

قال الغديرُ لنفسه:  
يا ليتني نهرٌ كبيرٌ  
مثلُ الفراتِ العذبِ أو  
كالنيلِ ذي الفيضِ الغزيرِ  
تجري السفائنُ موقرا  
تفيه بالرزقِ الوفيرِ  
هيهات يرضى بالحقيرِ  
من المني إلا الحقيرِ  
وانساب نحو النهرِ لا  
يلوي على المرج النضيرِ  
حتى إذا جاءه  
غلب الهديرُ على الخريـرِ

\*\*\*\*

## ٣٦ - الطالسم

[مجزوء الرمل]

جئتُ، لا أعلمُ من أين، ولكنني أتيتُ  
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ  
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيتُ  
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟..

لست أدري!

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود  
هل أنا حرٌّ طليق أم أسيرٌ في قيود  
هل أنا قائدٌ نفسي في حياتي أم مفقود  
أتمنئ أنني أدري ولكن.

لست أدري!

وطريقي! ما طريقي؟ أطويل أم قصيرٌ؟  
هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور  
أنا السائر في الدرب أم الدرب تسير  
أم كلانا واقف والدهر يجري؟....

لست أدري!

ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأمين  
أتراني كنت أدري أنني فيه دفين  
وبأني سوف أبدو وبأني سأكون  
أم أتراني كنت لا أدرك شيئاً

لست أدري!

أُتْرَانِي قَبْلَمَا أَصْبَحْتُ إِنْسَانًا سَوِيًّا  
كُنْتُ مَحْوًا أَوْ مَحَالًا أَمْ تُرَانِي كُنْتُ شَيْئًا  
أَلْهَذَا اللَّغْزُ حُلٌّ؟ أَمْ سَيَبْقَى أَبَدِيًّا  
لَسْتُ أَدْرِي وَلِمَازَا .. لَسْتُ أَدْرِي ؟  
لَسْتُ أَدْرِي!



## البحر

قَدْ سَأَلْتُ الْبَحْرَ يَوْمًا: هَلْ أَنَا يَا بَحْرُ مِنْكَ؟  
أَصْحِيحُ مَا رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِّي وَعَنْكَ؟  
أَمْ تُرَى مَا زَعَمُوا زُورًا وَبَهْتَانًا وَأَفْكََا؟  
ضَحَكْتَ أَمْوَاجُهُ مِنِّي وَقَالَتْ :  
لَسْتُ أَدْرِي!

أَيُّهَا الْبَحْرُ أَتَدْرِي كَمْ مَضَتْ أَلْفٌ عَلَيْكَ  
وَهَلِ الشَّاطِئُ يَدْرِي أَنَّهُ جَاءَ لِدَيْكَ  
وَهَلِ الْأَنْهَارُ تَدْرِي أَنَّهَا مِنْكَ إِلَيْكَ  
مَا الَّذِي الْأَمْوَاجُ قَالَتْ حِينَ ثَارَتْ ؟  
لَسْتُ أَدْرِي!

أَنْتِ يَا بَحْرُ أَسِيرُ أَهْ مَا أَعْظَمَ أَسْرَكَ!  
أَنْتِ مِثْلِي أَيُّهَا الْجَبَّارُ لَا تَمْلِكُ أَمْرَكَ  
أَشْبَهْتُ حَالَكُ حَالِي وَحَكِي عَذْرِي عَذْرَكَ  
فَمَتَى أَنْجُو مِنَ الْأَسْرِ وَتَنْجُو؟  
لَسْتُ أَدْرِي!

تُرْسِلُ السُّحُبُ فَتَسْقِي أَرْضَنَا وَالشَّجَرَا  
قَدْ أَكَلْنَاكَ وَقَلْنَا قَدْ أَكَلْنَا الثَّمَرَا  
وَشَرَبْنَاكَ وَقَلْنَا قَدْ شَرَبْنَا الْمَطَرَا  
أَصَوَابُ مَا زَعَمْنَا أَمْ ضَلَالُ؟  
لَسْتُ أَدْرِي!

قد سألتُ السُّحْبَ في الأفاقِ هل تذكرُ رملَكَ؟  
وسألتُ الشجرَ المُرَّوقَ هل يعرفُ فضلكَ؟  
وسألتُ الدُّرَّ في الأعناقِ : هل تذكرُ أصلَكَ؟  
وكانني خلتُها قالتُ جميعاً :

لستُ أدري!

يرقصُ الموجُ وفي قاعِكَ حربٌ لن تزولا  
تخلُقُ الأسماكَ لكن تخلقُ الحوتَ الأكولا  
قد جمعتُ الموتَ في صدركَ والعيشَ الجميلاً  
ليت شعري أنتَ مهْدُ أم ضريحُ ؟

لستُ أدري!

كم فتاةٍ مثلَ ليلى وفتى كابنِ الملوحِ!  
أنفقاً الساعاتَ في الشاطئِ تشكو وهو يشرح  
كلما حدثَ أصغتُ وإذا قالتَ ترنُّحُ  
أحفيفُ الموجِ سرُّ ضيِّعاهُ ؟

لستُ أدري!

كم ملوكٍ ضربوا حولك في الليل القبابا  
طلع الصبحُ ولكن لم يجدْ إلا ضبابا  
ألهُمَّ يا بحرُ يوماً رجعةً أم لا مباباً؟  
أهمُّ في الرَّمْلِ ؟ قال الرَّمْلُ : إني :

لستُ أدري!

فيك مثلي أيها الجبَّارُ أصدافُ ورملُ  
إنما أنتَ بلا ظلٍّ ولي في الأرضِ ظلُّ  
إنما أنتَ بلا عقلٍ ولي يا بحرُ عقلُ  
فلماذا يا تُرى أمضي وتبقى ؟

لستُ أدري!

يا كتابَ الدهرِ قل لي: ألهُ قبلُ وبعدُ؟  
أنا كالزورقِ فيه، وهو بحرٌ لا يحدُّ  
ليس لي قصدٌ: فهل للدهرِ في سيري قصدٌ؟  
حبُّذا العلمُ ولكنَّ كيف أدري؟  
لست أدري!

إنَّ في صدري يا بحرٌ لأسراراً عجائباً  
نزل السُّترُ عليها وأنا كنتُ الحجاباً  
ولذا ازدادَ بعداً كلما ازددتُ اقتراباً  
وأراني كأنَّما أوشكتُ أدري...  
لست أدري!

إنني يا بحرٌ بحرٌ شاطئاهُ شاطئاكَا  
الغدُ المجهولُ والأمسُّ اللذانِ اكتنفاكَا  
وكلانا قطرةٌ يا بحرٌ في هذا وذاكَا  
لا تسألني ما غدٌ ما أمسُّ؟ إني  
لست أدري!

#### في الدير

قيل لي في الديرِ قومٌ أدركُوا سرَّ الحياةِ  
غيرَ أني لم أجِدْ غيرَ عُقولِ اسناتٍ  
وقلوبٍ بليتٍ فيها المُنَى فهي رُفاتٌ  
ما أنا أعمى فهل غيّرني أعمى؟  
لست أدري!

قيل أدري الناسُ بالأسرار: سَكَّانُ الصُّوامعِ  
قلتُ: إن صحَّ الذي قالوا فإنَّ السرَّ شائعٌ  
عجبا كيف ترى الشمسَ عيونٌ في براقعِ

والتي لم تتبرقع لا تراها؟...

لست أدري!

إنَّ تَكُ العزلة نُسكاً وتُقَى، فالذنب رَاهِبٌ

وعرينُ الليث دِيرٌ حُبُهُ فرضٌ وواجبٌ

ليت شعري أُميت النُّسكُ أم يُحيي المواهبُ؟

كيف يمحو النُّسكُ إثمًا وهو إثمٌ؟

لست أدري!

لست أدري!

إنني أبصرتُ في الدَّيرِ وروداً في سياجٍ

قنعتُ، بعد الندى الطاهر، بالماء الأجاج<sup>(١)</sup>

حولها النورُ الذي يُحيي، وترضى بالدَّيَّاجي<sup>(٢)</sup>

أمن الحكمة قتلُ القلبِ صبراً؟...

لست أدري!

قد دخلتُ الدَّيرَ عند الفجرِ كالفجرِ الطُّروبِ

وتركتُ الدَّيرَ عند الليلِ كالليلِ الغُضوبِ

كان في نفسي كُربٌ صار في نفسي كُروبٌ

أمن الدَّيرِ أم الليلِ اكتئابِي؟...

لست أدري!

قد دخلتُ الدَّيرَ أستنطقُ فيه الناسكينا

فإذا القومُ من الحيرةِ مثلي باهتُّونا

غلب اليأسُ عليهم فهمُ مُستسلمونا

---

(١) الشدید الملوحة

(٢) الظلمات (نجية - نجى)



وإذا بالباب مكتوبٌ عليه:...

لست أدري!

عجبا للناسك القانت وهو اللوذعي<sup>١</sup>  
هجر الناس وفيهم كلُّ حسنِ المبدع  
ومضى يبحثُ عنه في المكانِ المبلقع  
أراى في القفر ماء أم سرايا؟...

لست أدري!

كم تُماري أيها الناسك في الحقِّ الصريحِ  
لو أراد الله ألا تعشق الشيء المليح  
كان إذ سواك سواك بلا قلب وروح  
فألذي تفعلُ إثم.. قال: إني ...

لست أدري!

أيها الهارب! إن العار في هذا الفرار  
لا صلاح في الذي تصنع حتى للقفار  
أنت جان، أي جان، قاتل في غير ثار؟  
أفيرضى الله عن هذا ويعفو؟...

لست أدري!

#### بين المقابر

ولقد قلتُ لنفسي وأنا بين المقابر  
هل رأيت الأمن والراحة إلا في الحفائر  
فأشارت فعدا للود عيث في المحاجر  
ثم قالت: أيها السائل إني...

لست أدري!

---

(١) لذع برأيه أسرع في الفهم كسراع النار إلى الإحراق، فهو (لوذعي)

أُنظِّرِي كيف تساوى الكلُّ في هذا المكانِ  
وتلاشَى في بقايا العبدِ ربُّ الصُّولجانِ  
والتقى العاشقُ والقالي<sup>١</sup> فما يفترقانِ  
أفبِذا مُنتهى العدلِ؟ فقالت :  
لستُ أدري!

إنَّ يكُ الموتُ قصاصاً أيُّ ننب للظَّهارةِ  
وإذا كان ثواباً، أيُّ فضل للدِّعارةِ  
وإذا كان وما فيه جزاءٌ أو خسارةِ  
فلمِ الأسماءُ : إنَّم وصلاًحُ ؟  
لستُ أدري!

أيها القبرُ تكلمْ وأخبريني يا رِمام<sup>٢</sup>  
هل طوى أحلامك الموتُ وهل مات الغرامُ ؟  
من هو المائتُ من عامٍ ومن مليونِ عام ؟  
أيصيرُ الوقتُ في الأرماسِ محواً ؟  
لستُ أدري!

إنَّ يكُ الموتُ رِقاداً بعدهُ صحوٌ طويلٌ  
فلماذا ليس يبقى صحوُّنا هذا الجميلُ ؟  
ولماذا المرءُ لا يدري متى وقتُ الرِّحيلِ ؟  
ومتى ينكشفُ السِّرُّ فيدري ؟  
لستُ أدري!

---

(١) الميعض (قلاه)

(٢) بقايا

إن يك الموت هُجُوعاً يملأ النفس سلاماً  
وانعتاقاً لا اعتقلاً وابتداءً لا ختاماً  
فلماذا أعشق النوم ولا أهوى الحمام  
ولماذا تجزع الأرواحُ منه ؟

لست أدري!

أوراء القبر بعد الموت بعث ونشور  
فحياة فخلود أم فناء فدثور  
أكلام الناس صدق أم كلام الناس زور  
أصبح أن بعض الناس يدري ؟

لست أدري!

إن أكن أبعث بعد الموت جثماناً وعقلاً  
أتري أبعث بعضاً أم تُرى أبعث كلاً  
أتري أبعث طفلاً أم تُرى أبعث كهلاً  
ثم هل أعرف بعد البعث ذاتي ؟

لست أدري!

يا صديقي لا تعالني بتمزيق الستور  
بعدها أقضي، فعقلي لا يبالي بالقشور  
إن أكن في حالة الإدراك لا أدري مصيري  
كيف أدري بعدما أفقد رُشدي ؟

لست أدري!

#### القصر والكوخ

ولقد أبصرتُ قصرًا شاهقاً عالي القباب  
قلتُ ما شاك من شاك إلا للخراب

أنت جزءٌ منه لكنْ لستَ تدري كيف غابَ

وهو لا يعلمُ ما تحوي .. أيديري؟

لستُ أدري!

يا مثلاً كان وهماً قبلما شاء البناءُ

أنت فكرٌ من دماغٍ غيَّبته الظلماتُ

أنت أمنيَّةٌ قلبٍ أكلته الحشراتُ

أنت بانيك الذي شادك.. لا . لا

لستُ أدري!

كم قصورٍ خالها الباني ستبقى وتدومُ

ثابتات كالرؤاسي، خالدات كالنجوم

سحب الدهرُ عليها ذيله فهي رسوم

مالنا نبني وما نبني لهدمٍ؟

لستُ أدري!

لم أجد في القصر شيئاً ليس في الكوخ المهين

أنا في هذا وهذا عبدٌ شكِّي وبقيني

وسجينُ الخالدين: الليل والصبح المبين

هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى؟

لستُ أدري!

ليس لي في الكوخ أو في القصر من نفسي مهربٌ

إنني أرجو وأخشى، إنني أرضى وأغضب،

كان ثوبي من حريرٍ مُذهبٍ أو كان قنَّب

فلماذا يتمنَّى الثوب عارٍ؟

لستُ أدري!

سائلِ الفجرِ أعند الفجرِ طينٌ ورخامٌ؟

واسألِ القصرَ ألا يُخفيه كالكوخ الظلامُ؟

واسأل الأنجم والرياح وسلّ صوب الغمام  
أتري الشيء كما نحن نراه ؟  
لست أدري!

#### الفكر

ربّ فكر بان في لوحة نفسي وتجلّى  
خلّته منّي ولكنّ لم يُقمّ حتى تولّى  
مثل طيف لآح في بئر قليلاً، واضمحلاً  
كيف وافى ولماذا فرّ منّي ؟  
لست أدري!

أتراه سائحاً في الأرض من نفسٍ لأخرى  
رأبه منّي أمرُ فأبى أن يستقرّاً  
أم تراه مرّ في نفسي كما أعبرُ جسراً  
هل تراه قبل نفسي غير نفسي ؟  
لست أدري!

أتراه بارقاً أومض حيناً وتواري  
أم تُراه كان مثل الطير في سجنٍ فطارا  
أم تُراه انحلّ كالوجة في نفسي وغارا  
فأنا أبحث عنه وهو فيها ؟  
لست أدري!

#### صراع وعراك

إنني أشهد في نفسي صراعاً وعراكاً  
وأرى ذاتي شيطاناً وأحياناً ملاكاً  
هل أنا شخصان يأبى ذاك مع هذا اشتراكاً  
أم تُرانني وإهما فيهما أراه ؟  
لست أدري!

بينما قلبي يحكي في الضحى احدى الخمائل  
فيه ازهار، وأطيّار تُغنّي، وجداول  
أقبل العصر فأمسى موحشاً كالقفر قاحل  
كيف صار القلب روضاً ثم قفراً ؟  
لست أدري!

أين ضحكي وبكائي وأنا طفلٌ صغيرٌ  
أين جهلي ومِراحي وأنا غصٌّ غريرٌ  
أين أحلامي وكانت كيفما سرتُ تسيرٌ  
كلّها ضاعت ولكن كيف ضاعت ؟  
لست أدري!

لي ايمانٌ، ولكن لا كإيماني ونُسْكي  
إنني أبكي، ولكن لا كما قد كنتُ أبكي  
وأنا أضحكُ أحياناً ولكن أيّ ضحكٍ!  
ليت شعري ما الذي بدلَ أمري ؟  
لست أدري!

كلُّ يومٍ لي شأنٌ، كلُّ حينٍ لي شعورٌ  
هل أنا اليوم أنا، منذُ ليالٍ وشهور  
أم أنا عند غروب الشمسِ غيري في البُكور  
كلّما سألتُ نفسي جاوبتني:  
لست أدري!

ربّ أمرٍ كنتُ، لمّا كان عندي، اتّقيهُ  
بتّ لمّا غاب عني وتوارى أشتيه  
ما الذي حبّبه عندي وما بغّضنيهِ  
أنا الشخصُ الذي أعرّض عنه ؟  
لست أدري!

رُبُّ شَخْصٍ عَشْتُ مَعَهُ زَمْنَا أَلْهُو وَأَمْرَحُ  
أَوْ مَكَانٍ مَرَّ دَهْرٌ وَهُوَ لِي مَسْتَرَى وَمَسْرَحُ  
لَا حَ لِي فِي الْبُعْدِ أَجْلَى مِنْهُ فِي الْقُرْبِ وَأَوْضَحُ  
كَيْفَ يَبْقَى رَسْمُ شَيْءٍ قَدْ تَوَارَى ؟

لَسْتُ أَدْرِي !

رُبُّ بَسْتَانٍ قَضَيْتُ الْعُمْرَ أَحْمِي شَجَرَهُ  
وَمَنْعْتُ النَّاسَ أَنْ تَقْطِفَ مِنْهُ زَهْرَهُ  
جَاءَتْ الْأَطْيَارُ فِي الْفَجْرِ فَنَاشَتْ ثَمَرَهُ  
أَلْأَطْيَارِ السَّمَاءِ الْبَسْتَانَ أَمْ لِي ؟

لَسْتُ أَدْرِي !

رُبُّ قُبْحٍ عِنْدَ زَيْدٍ هُوَ حَسَنٌ عِنْدَ بَكْرٍ  
فَهُمَا ضِدَانٌ فِيهِ، وَهُوَ وَهُمْ عِنْدَ عَمْرٍو  
فَمَنْ الصَّادِقُ فِيمَا يَدَّعِيهِ لَيْتَ شَعْرِي  
وَلِمَاذَا لَيْسَ لِلْحَسَنِ قِيَاسُ ؟

لَسْتُ أَدْرِي !

قَدْ رَأَيْتُ الْحَسَنَ يُنْسَى مِثْلَمَا تُنْسَى الْعُيُوبُ  
وَطُلُوعُ الشَّمْسِ يُرْجَى مِثْلَمَا يُرْجَى الْغُرُوبُ  
وَرَأَيْتُ الشَّرَّ مِثْلَ الْخَيْرِ يَمْضِي وَيُؤْوِبُ  
فَلِمَاذَا أَحْسَبُ الشَّرَّ دُخِيلًا ؟

لَسْتُ أَدْرِي !

إِنَّ هَذَا الْغَيْثَ يَهْمِي حِينَ يَهْمِي مُكْرَاهَا  
وَزَهْوُ الرُّوحِ تُفْشِي مُجْبِرَاتِ عِطْرَاهَا  
لَا تَطْلِقُ الْأَرْضُ تَخْفِي شَوْكَهَا أَوْ زَهْرَهَا  
لَا تَسْلُ: أَيُّهُمَا أَشْهَى وَأَبْهَى ؟

لَسْتُ أَدْرِي !

قد يصيرُ الشوكُ إكليلاً للملكِ أو نبيّاً  
ويصيرُ الوردُ في عُرْوَةٍ لصٍّ أو بغيّاً  
أيغارُ الشوكُ في الحقلِ من الزهرِ الجنيّ  
أم تُرى يحسبُه أحقرُ منه ؟

لست أدري !

قد يقيني الخطرُ الشوكُ الذي يجرحُ كفيّ  
ويكونُ السمُّ في العطرِ الذي يملأُ أنفيّ  
إنما الوردُ هو الأفضلُ في شرعيّ وعرفي  
وهو شرعٌ كلُّه ظلمٌ ولكنّ

لست أدري !

قد رأيتُ الشَّهْبَ لا تدري لماذا تُشرقُ  
ورأيتُ السُّحْبَ لا تدري لماذا تُغدقُ  
ورأيتُ الغابَ لا تدري لماذا تُورقُ  
فلماذا كلها في الجهلِ مثلي ؟

لست أدري !

كلما أيقنتُ أني قد أمطتُ السّترَ عنيّ  
وبلغتُ السرَّ سرِّي، ضحكّتْ نفسي مِنّي  
قد وجدتُ اليأسَ والحيرةَ لكن لم أجِدني  
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ ؟

لست أدري !

لذةٌ عندي أن أسمعَ تغريدَ البلابلِ  
وحفيفِ الورقِ الأخضرِ أو همسِ الجداولِ  
وأرى الأنجمَ في الظلماءِ تبدو كالمشاعلِ  
أتري منها أم اللذةُ مِنّي ؟

لست أدري !



أُتراني كنتُ يوماً نغمًا في وترٍ  
أم تُراني كنتُ قبلاً موجةً في نهرٍ  
أم تراني كنتُ في إحدى النجوم الزهرِ  
أم أريجاً أم حفيفاً أم نسيماً ؟

لست أدري !

فيّ، مثلُ البحر، أصدافُ ورمْلُ ولألٍ  
فيّ كالأرض مروجٌ وسفوحٌ وجبال  
فيّ كالجو نجومٌ.. وغيومٌ وظلال  
هل أنا أرضٌ وبحرٌ وسماءٌ ؟

لست أدري !

من شرابي الشُّهدُ والخمرُ والماءُ الزُّلالُ  
من طعامي البقلُ والأثمارُ واللحمُ الحلالُ  
كم كيانٌ قد تلاشى في كِياني واستحالُ  
كم كيانٌ فيه شيءٌ من كِياني ؟

لست أدري !

أأنا أفصحُ من عصفورةِ الوادي وأعذبُ ؟  
ومن الزهرة أشهى ؟ وشذا الزهرة أطيبُ ؟  
ومن الحية أدهى ؟ ومن النملة أغربُ ؟  
أم أنا أوضعُ من هذبي وأدنى ؟

لست أدري !

كلُّها مثلي تحيا، كلُّها مثلي تموتُ  
ولها مثلي شرابٌ، ولها مثلي قوتُ  
ورقادٌ وانتباهٌ وحديثٌ وسكوتُ  
فبما أمتانُ عنها ليت شعري ؟

لست أدري !

قد رأيتُ النمل يسعى مثلما أسعى لرزقي  
وله في العيش أوطارٌ وحقٌ مثلُ حقِّي  
قد تساوى صمتهُ في نظرِ الدهرِ ونطقي  
فكلانا صائرٌ يوماً إلى ما...

لستُ أدري!

أنا كالصُّهْبَاءِ، لكنْ أنا صُهْبَانِي وَنَيَّ  
أصلُّها خافٍ كأصلي، سَجَنُها طِينٌ وَسَجَنِي  
ويزاحُ الخُتْمُ عنها مثلما ينشَقُّ عني  
وهي لا تفقهُ معناها، واني...

لستُ أدري!

غَلَطَ القائلُ: إِنَّ الخمرَ بِنْتُ الخَابِيَةِ  
فهي قبلَ الزَّقِّ كانت في عُرُوقِ الدَّالِيَةِ  
وحواها قبلَ رَحِمِ الكَرَمِ رَحِمُ الغَايَةِ  
إنما من قبلِ هذا أين كانت؟

لستُ أدري!

هي في رأسي فِكْرٌ وهي في عيني نورٌ  
وهي في صدري أَمالٌ وفي قلبي شُعُورٌ  
هي في جسمي دَمٌ يَسْرُبُ<sup>(١)</sup> فيه ويمر  
إنما من قبلِ هذا كيف كانت؟

لستُ أدري!

أنا لا أذكرُ شيئاً من حياتي الماضية  
أنا لا أعرفُ شيئاً من حياتي الآتية

---

(١) سرب في الأرض ذهب على وجهه

لي ذاتٌ غيرُ أني لستُ أدري ما هيهِ  
فممتى تعرفُ ذاتي كُنَّه ذاتي ؟  
لستُ أدري!  
إنني جئتُ وأمضي، وأنا لا أعلمُ  
أنا لغزٌ، وذهابي كمجيئي طأسم  
والذي أوجد هذا اللُّغز لغزٌ مُبهم  
لا تُجادِلْ ذا الحِجَا من قال: إني  
لستُ أدري!

\*\*\*\*

**المحتوى**  
**الديوان الثالث**  
**(الجدول)**

|     |                            |
|-----|----------------------------|
| ٥٥٣ | ■ مقدمة بقلم ميخائيل نعيمة |
| ٥٥٥ | ١ - الفاتحة                |
| ٥٥٧ | ٢ - الغناء                 |
| ٥٦١ | ٣ - السجينة                |
| ٥٦٤ | ٤ - الضفادع والنجوم        |
| ٥٦٦ | ٥ - السماء                 |
| ٥٦٩ | ٦ - برّدي يا سَحَبْ        |
| ٥٧١ | ٧ - الغير المتكرر          |
| ٥٧٢ | ٨ - تعاليّ                 |
| ٥٧٤ | ٩ - ربح الشمال             |
| ٥٧٧ | ١٠ - الحجر الصغير          |
| ٥٧٩ | ١١ - الطين                 |
| ٥٨٥ | ١٢ - التينة الحمقاء        |
| ٥٨٧ | ١٣ - في القفر              |
| ٥٩٠ | ١٤ - التمثال               |
| ٥٩٢ | ١٥ - المساء                |
| ٥٩٥ | ١٦ - الكمنجة المحطّمة      |

|     |                      |
|-----|----------------------|
| ٥٩٩ | ١٧ - زهرة أفحوان     |
| ٦٠١ | ١٨ - الأسرار         |
| ٦٠٢ | ١٩ - العميان         |
| ٦٠٤ | ٢٠ - الزمان          |
| ٦٠٧ | ٢١ - اليتيم          |
| ٦٠٩ | ٢٢ - المجنون         |
| ٦١٣ | ٢٣ - قطرة الطلّ      |
| ٦١٤ | ٢٤ - نار القرى       |
| ٦١٧ | ٢٥ - ابن الليل       |
| ٦١٩ | ٢٦ - أنا             |
| ٦٢١ | ٢٧ - الإله الثرثار   |
| ٦٢٢ | ٢٨ - الأشباح الثلاثة |
| ٦٣٠ | ٢٩ - العليقة         |
| ٦٣٢ | ٣٠ - هي              |
| ٦٣٦ | ٣١ - لا أنت ولا أنا  |
| ٦٣٧ | ٣٢ - الناسكة         |
| ٦٣٩ | ٣٣ - عيد النُّهى     |
| ٦٤٥ | ٣٤ - موت العبقرى     |
| ٦٤٨ | ٣٥ - الغدير الطموح   |
| ٦٤٩ | ٣٦ - الطلاسّم        |
| ٦٦٥ | ■ المحتوى            |

\*\*\*\*

# الديوان الرابع

## (الخمائل)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «السمير» - نيويورك ١٩٤٠).

يضم سبعة وخمسين نصّاً شعريّاً، بين طويل ومعتدل وقصير، يقع ضمنها نصُّه الكبير المعروف الأسطورة الأزلية. وهو آخر ديوان صدر له في حياته، وتمّ طبعه في مطبعة جريدته السمير، قبل وفاته بسبعة عشر عاماً (١٩٥٧).

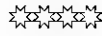
\*\*\*\*



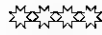
## ١ - المدخل

[الخفيف]

وقعتُ نَحْلَةً على الأَقْحَوَانِ  
فإذا في القَفِيرِ شُهُدٌ  
ومشتُ بعدها على الأغصانِ  
دودةُ فالغصونُ جُرْدٌ



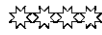
وهمى الغيثُ في الحقولِ ففيها  
شَجَرٌ وارِفٌ وزهَرٌ  
وأطاب الرِّمالُ كي يُحْيِيها  
فهُمَا مَيِّتٌ وقَبْرٌ



أنا غيْثٌ، فإنْ وجدتُك حَقْلاً  
فأنا العِشْبُ والشَجَرُ  
غيرَ أني، إذا لَقِيتُك رَمْلاً،  
لستُ شَيْئاً حتَّى المَطَرُ



وأنا الأَقْحَوَانُ سَيَّانٌ عِنْدِي  
عشتُ يوماً أو بعضَ يومٍ  
لأبالي الفناءَ إنْ كانَ مجدي  
في فنائي أو مجدٌ قومي





إِنْ تَغِبَّ فِي فِرَاشَةِ الْوَانِي  
فَأَنَا زَهْرَةٌ تُطَيِّرُ  
وَإِذَا انْحَلَّ فِي الشُّعَاعِ كِيَانِي  
فَأَنَا فِي الضُّحَى عَبِيرُ  
\*\*\*\*\*

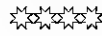
جَنَّبُونِي الْفَنَاءَ فِي الدِّيدَانِ  
إِنَّهُ الْمَصْرَعُ الْكَرِيمُ  
وَأَنْعَمْدَامُ الْأَرِيحِ وَالْأَلْوَانِ  
وَأَنْدَثَارُ لَا مَجْدَ فِيهِ  
\*\*\*\*\*

كُنْ شُعَاعًا يَبِينُ فِيهِ كِيَانِي  
لَا ظِلَامَ وَلَا رَغَامَ  
وَلَا عِشْرَ فِي الشُّعَاعِ بَضْعُ ثَوَانِ  
فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ عَامٍ  
\*\*\*\*\*

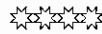
## ٢ - الشاعر والملك الجائر

[مختلط]

أمر السلطانُ بالشاعرِ يوماً فأتاهُ  
في كساءٍ حائلٍ الصَّبْغَةِ وإِهْ جانباهُ  
وحذاءٍ أوشكتُ تُفلتُ منه قدماهُ  
قال: صِفْ جاهي، ففي وصفك لي للشعرِ جاهُ  
إن لي القصرَ الذي لا تبلُغُ الطيرُ ذراهُ  
ولي الروضُ الذي يعبقُ بالمسكِ ثراهُ  
ولي الجيشُ الذي ترشحُ بالموتِ طُباهُ<sup>(١)</sup>  
ولي الغاباتُ والشَّمُ الرواسي والمياهُ  
ولي الناسُ .. وبؤسُ الناسِ مني والرفاهُ  
إن هذا الكونَ مُلكي، أنا في الكونِ الهُ!



ضحك الشاعرُ مما سمعتهُ أذناهُ  
وتمنَّى أن يُداجي<sup>(٢)</sup> فعصتهُ شفتاهُ  
قال: إني لا أرى الأمرَ كما أنت تراهُ  
إن مُلكي قد طوى ملكك عني ومحاهُ



القصرُ ينبئُ عن مهارةِ شاعرٍ  
لبقٍ، ويُخبرُ، بَعْدَهُ عَنكَ

---

(١) الظبة حد السيف

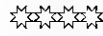
(٢) المداجاة المدارة

هو للآلى يدرون كُنَّةَ جماله  
فإذا مضوا فكأنه دُكا  
ستزول أنت ولا يزول جلاله  
كالفلك تبقى، إن خلت، فلا كما  
والروض؛ إن الروض صنعة شاعر  
سميح طروب رائق جزل  
وشى حواشيه وزين أرضه  
بروانع الألوان والظلل  
لفراشة تحيا له، ولنحلة  
تحيا به، ولشاعر مثلي!  
ولديمة تذري عليه دموعها  
كيما تقيه غوائل المحل  
ولبلبل غرد يساجل بلبلأ  
غرداً، ولانسيمات والطل  
فإذا مضى زمن الربيع أضعته  
وأقام في قلبي وفي عقلي!  
~~~~~  
والجيش معقود لواءك فوقه  
ما دمت تكسوه وتطعمه  
لخبز طاعته وحسن ولانه  
هو لاته الكبرى وبرهمة<sup>١</sup>  
فإذا يجوع بظل عرشك ليلة  
فهو الذي بيديه يحطمه  
لك منه أسيفه<sup>٢</sup> ولكن في غد  
لسواك أسيفه وأسهمه

(١) يريد اللات وبراهما الإله الذي خلق العالم واتحد به في عقائد الهنوكية، والنسبة إليه برهمي

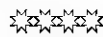
(٢) يجمع السيف، في معاجم اللغة، على أسياف وسيوف

أترأه سار إلى الوغى متهللاً  
لولا الذي الشعراء تنظمه؟  
وإذا ترنم هل بغير قصيدة  
من شاعر مثلي ترنمه؟



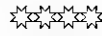
والبحر، قد ظفرت يداك بدره  
وحصاه، لكن هل ملكت هديره؟  
هو الدجى يلقي عليه خشوعه  
والصبح يسكب، وهو يضحك، نوره  
أمرجت أنت مياهه؟ أصبغت أن  
ت رماله؟ أجبلت أنت صخوره؟  
هو الريح تهزه وتثيره  
والشهب تسمع في الظلام زنيـره  
للطير هائمه به مفتونه

لا للذين يروعون طيوره  
للشاعر المفتون يخلق لاهياً  
من موجه حورا ويعشق حوره  
ولن يشاهد فيه رمز كيانه  
ولن يجيد لغيره تصويـره  
يا من يصيد الدر من أعماقه  
أخذت يداك من الجليل حقيـره  
لا تدعيه.. فليس يملك، إنه  
كالروض جهدك أن تشم عبيـره



ومررت بالجبل الأشم فما زوى  
عني محاسنه ولست أميرا

ومررت أنت فما رأيت صخوره  
ضحكت ولا رقصت لديدك حُبورا  
ولقد نقلت لنمله ما تدعي  
فتعجبت، مما حكيت، كثيرا  
قالت: صديقك ما يكون؟ أقشعما  
أم أرقما؟ أم ضيغما هيصورا؟<sup>١</sup>  
أيحوك مثل العنكبوت بيوته  
خوكا؟ ويبني كالنسور وكورا؟  
هل يملأ الأغوار تبراً كالضحى  
ويرد كالغيث الموات نضيرا؟  
أيلف كالليل الأباطح والربا  
والمنزل المعمور والمهجورا؟  
فأجبتها: كلا! فقالت: سمه  
في غير خوف، كأننا مغرورا!

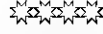


فاحتدم السلطان أي احتدام  
ولاح حب البطش في مقلتيه  
وصاح بالجلاد: هات الحسام!  
فأسرع الجلاد يسعي إليه  
فقال: دحرج رأس هذا الغلام  
فرأسه عبء على منكبيه  
قد طبع السيف لحز الرقاب  
وهذه رقبة ثرثار

---

(١) القشعم النسر الذكر العظيم والأرقم ذكر الحيات أو أخبثها والضيعم الأسد يريد بالهيصور الهصور

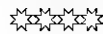
اقتلُهُ.. واطرح جسمهُ للكلابِ  
ولتذهب الروحُ إلى النارِ



سمَّعاً وطوعاً سيدي! وانتضى  
عضباً<sup>١</sup> يموجُ الموتُ في شفرتيه  
ولم يكنْ إلا كبرقِ أضواءِ  
حتى أطار الرأسَ عن منكبيه  
فسقط الشاعرُ مغروراً  
يُخدشُ الأرضَ بكلتا يديه<sup>٢</sup>  
كانما يبحثُ عن رأسه  
فاستضحك السلطانُ من سجدته  
ثم استوى يهمسُ في نفسه  
نو جنة<sup>٣</sup> أمسى بلا جنة



أجل، هكذا هلك الشاعرُ  
كما يهلكُ الأثمُ المذنبُ  
فما غصُ في روضة طائرُ  
ولم ينطفئْ في السُّمِّما كوكبُ  
ولا جزعِ الشجرُ الناضرُ  
ولا اكتأبِ الجدولُ المُطربُ  
وكُوفى عن قتله القاتلُ  
بمالٍ جزيلٍ وخدٍّ أسيلٍ  
فقال له خُلقهُ السَّافلُ،  
ألا ليت لي كلَّ يومٍ قتيل!

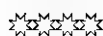


---

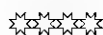
(١) السيفُ القاطعُ (عضبُ قطع)

(٢) المرميُّ بما يقتله ويرميه معترضاً بهم على الأرض (٣) السترة

في ليلة طامسة الأنجم  
تسأل الموت إلى القصر  
بين حراب الجنود والأسهم  
والأسيف الهندية الحمر  
إلى سرير الملك الأعظم  
إلى أمير البر والبحر!!  
ففارق الدنيا ولمّا تزل  
فيها خمور وأغاريد  
فلم يمدّ حزناً عليه الجبل  
ولا نوى في الروض أمأود



في حومة الموت وظلّ البلى  
قد التقى السلطان والشاعر  
هذا بلا مجّد، وهذا بلا  
ذلّ، فلا باغ ولا ثائر  
عانقت الأسمال تلك الحلى  
واصطحب المقهور والقاهر  
لا يجرع الشاعر أن يقتل  
ليس وراء القبر سيف ورمح  
ولا يبالي ذاك أن يُعذّل  
سيّان عند الميت ذمّ ومدح



وتوالى الأجيال تطرد  
جيل يغيب وآخر يفد

أَخْنَتُ عَلَى الْقَصْرِ الْمَنِيفِ فَلَا  
الْجِدْرَانُ قَائِمَةٌ وَلَا الْعُمْدُ  
وَمَشَتْ عَلَى الْجَيْشِ الْكَثِيفِ فَلَا  
خَيْلٌ مُسَوِّمَةٌ وَلَا زَرْدُ  
ذَهَبٍ بَيْنَ صُلْحًا وَمَنْ فَسَدُوا  
وَمَضَتْ بَيْنَ تَعَسُّوَا وَمَنْ سَعِدُوا  
وَبَيْنَ أَذَابِ الْحَبِّ مَهْجَتُهُ  
وَبَيْنَ تَأْكُلِ قَلْبَهُ الْحَسَدُ  
وَطَوَتْ مَلُوكًا مَا لَهُمْ عَدَدُ  
فَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا وَجَدُوا  
وَالشَّاعِرُ الْمُقْتُولُ بِأَقْيَهُ  
أَقْوَالُهُ فَكَانَ هَا الْأَبَدُ  
الْشَيْخُ يَلْمِسُ فِي جَوَانِبِهَا  
صُورَ الْهَوَى، وَالْحِكْمَةُ الْوَلَدُ

\*\*\*\*\*



### ٣ - الدمعة الخرساء

[الكامل]

سَمِعْتُ عَوِيلَ النَّائِحَاتِ عَشِيَّةً  
فِي الْحَيِّ يَبْتَغِي الْأَسَى وَيُثِيرُ  
يَبْكِينَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ صَبِيَّةً  
إِنَّ الْبُكَاءَ عَلَى الشَّبَابِ مَرِيرٌ<sup>١</sup>  
فَتَجَهَّمْتُ وَتَلَقَّيْتُ مُرْتَاعَةً  
كَالْظَلْبِيِّ أَيْقَنَ أَنَّهُ مَأْسُورٌ  
وَتَحَيَّرْتُ فِي مَقَالَتِيهَا دَمْعَةً  
خَرَسَاءٌ لَا تَهْمِي وَلَيْسَ تَغُورُ  
فَكَانَهَا بَطْلٌ تَكْنُفُهُ الْعِدَا  
بِسَيُوفِهِمْ وَحُسَامُهُ مَكْسُورُ  
وَجُمْتُ فَأَمْسَى كُلُّ شَيْءٍ وَاجِماً  
النُّورُ وَالْأُظْلَالُ وَالِدِّيَّ جُورُ  
الْكُونُ أَجْمَعُ ذَاهِلٌ لَذَهْوِهَا  
حَتَّى كَانَ الْأَرْضَ لَيْسَ تَدُورُ  
لَا شَيْءَ مِمَّا حَوْلَنَا وَأَمَامَنَا  
حَسَنٌ لَدِيهَا وَالْجَمَالُ كَثِيرُ  
سَكَتُ الْغَدِيرُ كَأَنَّمَا التَّحَفُ الثَّرَى  
وَسَهَا النَّسِيمُ كَأَنَّهُ مَذْعُورُ  
وَكَأَنَّمَا الْفَلَكَ الْمُنُورُ بِأَقْعُ

---

(١) يريد مرءى، على الشائع في الاستعمال

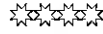
والأنجمُ الزهراءُ فيه قبور  
كانت تمارحني وتضحكُ، فانتهي  
نورُ المزاح، فضحكها تفكير  
قالت، وقد سلخ ابتسامتها الأسي،  
صدق الذي قال: الحياةُ غرور،  
أكذا نموتُ وتنقضي أحلامنا  
في لحظةٍ، والى الترابِ نصير  
وتموجُ بیدانُ الثرى في أكْبِدِ  
كانت تموجُ بها المُنَى وتمورُ  
خيرُ اذن منا الألى لم يولدوا  
ومن الأنعام جلامدٌ وصخور  
ومن العيون مكاحلٌ ومراودُ  
ومن الشفاه مساحقٌ وذُرور  
ومن القلوب الخافقاتِ صبايةُ  
قصبٌ لوقعِ الريحِ فيه صفير  
وتوقفتُ، فشعرتُ، بعد حديثها،  
أن الوجودَ مشوشٌ مبتورُ  
الصيفُ ينفثُ حره من حولنا  
وأنا أحسُّ كأنني مقرور  
صارت إلى قلبي الشكوكُ فنغصتُ  
ليلي، وليس مع الشكوكِ سرور  
وخشيتُ أن يغدو، مع الريب، الهوى  
كالرسم، لا عطرُ، وفيه زهور  
وكدمية المئثالِ حسنٌ رائعُ  
ملاً العيون وليس ثم شعور  
فأجبتُها: لتكنْ لديدانِ الثرى

أجسامُنا! إنَّ الجُسومَ قُشُورٌ  
لا تجزعي فالْموتُ ليس يَضِيرُنا  
فلنا إيابٌ بَعْدَهُ ونُشُورٌ  
إنَّا سَنَبْقَى بَعْدَ أَنْ يَمْضِيَ الْوَرَى  
وَيَزُولُ هَذَا الْعَالَمُ الْمَنْظُورُ  
فَالْحُبُّ نُورٌ خَالِدٌ مُتَجَرِّدٌ  
لا يَنْطَوِي إِلَّا لِيَسْطَعَ نُورٌ  
وَيَنْوِي الْهَوَى أَحْلَامُهُمْ وَرُؤُؤُهُمْ  
لا أَعْيُنُ وَمَرَاشِفُ وَنَحُورٌ  
فَإِذَا طَوَّتْنَا الْأَرْضَ عَنْ أَزْهَارِهَا  
وَحَلَا الدَّجَى مِنْهَا وَفِيهِ بِلُورٌ  
فَسَتَرْجَعِينَ خَمِيلَةً مَعْطَارَةً  
أَنَا فِي ذُرَاهَا بَلْبِلٌ مَسْحُورٌ  
يَشْدُو لَهَا وَيَطِيرُ فِي جَنْبَاتِهَا  
فَتَهْشُ أَدَى يَشْدُو، وَحِينَ يَطِيرُ  
أَوْ جَدُولًا مُتَرْقِرًا مَتَرْنَمًا  
أَنَا فِيهِ مَوْجٌ ضَاكٌ وَخَرِيرٌ  
أَوْ تَرْجَعِينَ فَرَاشَةً خَطَّارَةً  
أَنَا فِي جَنْاحِهَا الضُّحَى الْمَوْشُورُ<sup>١</sup>  
أَوْ نَسْمَةٌ أَنَا هَمْسُهَا وَحَفِيفُهَا  
أَبْدًا تُطَوِّفُ فِي الرُّبَا وَتَلُورٌ  
تَغْشَى الْخَمَائِلَ فِي الصَّبَاحِ بَلِيلَةً  
وَتَوَّوبٌ، حِينَ تَوَّوبٌ، وَهِيَ عَبِيرٌ  
أَوْ تَلْتَقِي عِنْدَ الْكَثِيبِ، عَلَى رِضَا

(١) الوشُرُ تحديد الأسنان وترقيتها لعله يريد شفافية النور في الضحى

وقناعةً صفاً صافيةً وغدير  
 تمتدُّ فيه وفي ثراه عروقها  
 ويسيلُ تحت فروعها ويسير  
 ويغوصُ فيه خيولها فيألفه  
 ويشفُّ فهو المنطوي المنشور  
 يتوي إذا اشتدَّ الهجيرُ اليهما  
 الناسكان: الظبي والعصفور  
 لهما سكينتُها ووارفُ ظأها،  
 والماءُ إن عطشاً لديه وفيه  
 أعجوبتان: زبرجدٌ متهدلٌّ  
 نام، تدفق تحتَه البُلُور<sup>١</sup>  
 لا الصبحُ بينهما يحولُ ولا الدجى  
 فكلاهما بكايهما مغمور  
 تتعاقبُ الأيامُ وهي نضيرةٌ  
 مخضرةُ الأوراق وهو نمير  
 فالدهرُ أجمعهُ لديها غبطةٌ  
 والدهرُ أجمعهُ لديه حُبور  
 فتبسَّمت، وبدا الرضا في وجهها،  
 إذ راقها التمثيلُ والتَّصوير  
 عالجتها بالوهم، وهي فريرةٌ،  
 ولكم أفاد المَوْجِعَ التَّخديرُ  
 ثم افترقنا ضاحكينَ إلى غدٍ  
 والشَّهْبُ تهمسُ فوقنا وتشير  
 هي كالمسافرِ أب بعد مشقَّةٍ  
 وأنا كإني قانداً منصور

(١) الزبرجد جوهري يقال إنه الزمرد



لكنني لما أُوتيت لمضجعي  
خشن الفراش علي وهو وثير  
واذا سراجي قد وهت وتلجلجت  
أنفاسه، لكأنه المصنور  
وأجلت طرفي في الكتاب فلاح لي  
كالرسم مطموساً وفيه سطور  
وشربت بنت الكرم أحسب راحتي  
فيها، فطاش الظن والتقدير  
فكأنني فلک وهت أمراسها  
والبحر يطغى حولها ويثور  
سلب القواد رؤاه والجفن الكرى  
همُّ عراً فكلاهما موتور  
حامت على روعي الشكوك كأنها  
وكانهن فريسة وصقور  
ولقد لجأت إلى الرجاء فعقني  
أما الرجاء فخائب مدحور  
يا ليل! أين النور؟ اني تائه،  
مُرّ ينبثق، أم ليس عندك نور  
أكذا نموت وتنقضي أحلامنا  
في لحظة، والى التراب نصير



## ٤ - الفيلسوف المجنح

[الكامل]

يا أيها الشادي المغرّد في الضحى  
أهواك إن تُنشدْ وإن لم تنشدِ  
الفنُّ فيك سجيّةٌ لا صنعةٌ  
والحبُّ عندك كالطبيعةِ سرمدى  
فإذا سكّتْ فأنت لحنٌ طائرُ  
وإذا نطقتْ فأنت غيرٌ مقلّد  
للهِ دركُ شاعراً لا ينتهي  
من جيّدِ إلا صلباً للأجود  
مرحُ الأزاهرِ في غنائك، والشُّذا،  
وطلاقةُ الغُدرانِ والفجرِ النُّدى  
وكان زوركُ فيه ألفُ كمنجةٍ  
وكان صدركُ فيه ألفُ مُردّد  
كم زهرةٍ في السّفحِ خادرةٍ<sup>١</sup> المُنَى  
سكنتُ على يأسِ سكونِ الجأمدِ  
غنّيتها فاستيقظتْ وترنّحتْ  
وتألّقتْ كالكوكبِ المتوقّدِ  
وجرى الهوى فيها، وشاع بشاشةُ  
من لم يُحبّ فإنه لم يولدِ  
وكانني بك، حين تهتفُ، قائلُ  
للزهر: إنَّ الحسن غيرُ مُخلّدِ

---

(١) الحابر الفاتر الكسلان

فاسْتَنْفِدي في الحبِّ أيامَ الصِّبَا  
واسْتَرْشِديه فهو أصدقُ مُرْشِدٍ  
واسْتَشْهَدي فيه، فَمِنْ سُخْرِ القضا  
أن لا تنوقيه وأن تُسْتَشْهَدي  
❖❖❖❖❖❖

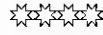
يا فيلسوفاً قد تلاقى عنده  
طربُ الخليِّ وحُرْقَةُ المتوجِّد<sup>١</sup>  
رفع الربيعُ لك الأرائك في الربا  
وكسا حواشيها بُرود زبرجد  
أنت المليكُ له الضياءُ مقاصِرُ  
وتعيشُ عيشَ الناسكِ المتزهد  
مستوفزاً فوق الثرى، متنقلاً  
في الدُّوحِ، من غصنٍ لغصنٍ أَمْلَد<sup>٢</sup>  
متزوداً من كلِّ حُسْنٍ لحنة  
شانُ الحبِّ الثائرِ المْتَمَرْدِ  
وإذا ظفِرت بنفحةٍ وبقطرةٍ  
فلقد ظفِرتْ بِرَوْضَةٍ وبموردٍ  
تشدو وتبهتُ حائراً متردداً  
حتى كأنك حين تُعْطِي تجتدي  
وتمدُّ صوتك في الفضا متلهّفاً  
في ذلّةِ المسترحمِ المستنجد  
فكأنما لك موطنٌ ضيّعتهُ  
خلف الكواكبِ في الزمان الأبعد

---

(١) من الوجد الذي هو الحزن

(٢) الأملد والأملود الناعم

وطنٌ جميلٌ كنتُ فيه سيِّداً  
 فمضى، ودام عليكُ همُّ السيِّدِ  
 طوردتُ عنه إلى الحضيضِ فلم تزلْ  
 متلفِتاً كالخائفِ المتشردِ  
 يبدو لعينك في العقيقِ خيالهُ  
 وتراه في ورقِ الغصونِ الميِّدِ  
 صورٌ معددةٌ لغيرِ حقيقةٍ  
 كالآلِ<sup>١</sup> لاح لمُعطرٍ في فدْفُدٍ<sup>٢</sup>  
 فتهمُّ أن تدنو إليه، وتنثني  
 حتى كأنك خائفٌ أن تهتدي!  
 وكأنه حلمٌ يصحُّ مع الكرى  
 فإن انتهيت مع الكرى يتبددُ  
 كم ذا تفتشُ في السفوح وفي الدُّرَا  
 عنقاءٍ<sup>٣</sup> أقربُّ منه للمتصيدِ



يا أيها الشادي المغرَّدُ في الضحى  
 أهواك إن تنشدْ وإن لم تُنشدِ  
 طويك إنك لا تفكّر في غدٍ  
 بدءَ الكربة أن تفكّر في غدٍ  
 إن كنت قد ضيّعت الفك إنني  
 أبكي على الفّي الذي لم يوجد!




---

(١) السراب  
 (٢) الفلاة التي لاشي، فيها  
 (٣) العقاب



## ٥ - ماء وطنين

[الخفيف]

سألتني وقد رجعت إليها  
وعلى مفريقي غبار السنين:  
أي شيء وجدت في الأرض بعدي؟  
قلت: إني وجدت ماءً وطنيناً  
جمع الحُسن والدمامة والإق  
دام والخوف والنهي والجنونا  
والرجاء الذي يصير به الفد  
فد<sup>١</sup> روضاً وشوكه نسرينا  
والقنوط الذي يُعري من الأو  
راق، في نشوة الربيع، الغصونا  
ووجدت الهوى كما كان قدماً  
ثقة تارة، وطوراً ظنوننا  
وشباباً سكران من خمرة الوه  
م يخال الحال أمراً يقيننا  
فإذا شاخت الروى وتلاشت  
وصحاً، بات جزمة تخميننا  
لا يزال الإيمان نوعاً من الره  
بة، والحسن للغرور خدينا  
لا يزال الغني يختال في الأر  
ض وإن كان جاهلاً مافوننا

---

(١) المغارة الواسعة الحالية

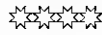
كُلُّ مَنْ قَدْ لَقِيَْتُ مِثْلَكَ يَانْفُ  
سَيِّ فِي مَا تُبْدِين أَوْ تُخْفِينَا  
فَانْظُرِي مَرَّةً إِلَيْكَ مَلِيًّا  
تُبْصِرِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

\*\*\*\*

## ٦ - الإبريق

[الطويل]

ألا أيها الإبريق ما لك والصُّلفُ  
فما أنت بَلَّورٌ ولا أنت من صَدْفٍ  
وما أنت إلا كالإبريق كَأَها  
ترابٌ مَهِينٌ قد ترقى إلى خَرْفٍ  
أرى لك أنفاً شامخاً غير أنه  
تلفُّعُ أثواب الغبار وما أنفٍ  
ومسَّتُهُ أيدي الأذنياء فما شكا  
ومصَّتُهُ أفواه الطُّغَام فما وجف  
وفيك اعتزازٌ ليس ليدك مثله  
ولست بذئ ريشٍ تضاعف كالزَّغَف<sup>١</sup>  
ولا لك صوتٌ مثله يصدعُ الدُّجى  
وتهتَفُ فيه الذكرياتُ إذا هتَفَ



وأنصتُ أستوحيه شيئاً يقوله  
كما يسكتُ الزَّوارُ في معرض التُّحَفِ  
وبعد ثوانٍ خلتُ أني سمعته  
يُثرثرُ مثل الشيخ أدركهُ الخرف  
فقال: سقيتُ الناسَ ، قلتُ له: أجلُ  
سقيتهمُ ماء السُّحابِ الذي وكف

---

(١) زغفت البئر كثر ماؤها، وزغف كلاماً كثيراً زاد فيه بالكذب

ودمع السواقي والعيون الذي جرى  
وماء الينابيع الذي قد صفا وشفّ  
فقال: لِيَذْكُرْ فضلي الماء وليُشَدَّ  
بمدحي ألم أحملُهُ؟ قلت: لك الشُّرف!  
فقال: ألم أحفظُهُ؟ قلت: ظالمته  
فلولاه لم تُنقل ولولاك ما وقفا!

\*\*\*\*

## ٧. أمنيّة إلهة

[مختلط]

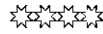
أحبُّ إله في صِيبَاهُ الإلهة  
جرى السَّحَرُ في أعطافِها والترائب<sup>١</sup>  
تمنَّت عليه آيةٌ لم يجيء بها  
إلهٌ سِوَاهُ في العصورِ الذَّوَاهِبِ  
ليُمسي على الأربابِ أجمع سيِّداً  
وتُمسي تُباهي كلَّ ذاتِ نوابٍ  
وكان الهاً جامحاً متضرِّماً  
هوى، فأتى بالمعجزاتِ الغرائب  
كسا الأرض بالزهرِ البديع لأجلها  
ورصعَ أفاق السُّمما بالكواكب  
وما زال حتى علَّم الطير ما الهوى  
فحنَّتْ وغنَّتْ في الذُّرا والمناكب<sup>٢</sup>  
وأنشأ جناتٍ وأجرى جداولاً  
ومدَّ المروجَ الخضِر في كلِّ جانبٍ  
وشاء فشاع العطرُ في الماء والضياء  
وفي كلِّ صوتٍ أو صدى مُتجاوبٍ  
~~~~~  
ومسَّ الضُّحى فإرفضُّ تبرُّاً على الرُّبا  
وسال عقيقاً في حواشي السِّباسبِ<sup>٣</sup>

(١) موضع القلادة من الصدر (مفردتها تربية)

(٢) يقصد سفوح الجبال، مانون نراها

(٣) السببب الأرض القفر البعيدة

وقال لأحلام البحار: تجسّدي  
مواكب ألوان وجيش عجائب  
فكانت لآل في الشطوط، وفي الفضاء  
غُيومٌ، وموجٌ ضاحكٌ في الغوارب<sup>(١)</sup>  
ولما رأى الأشياء أحسن ما تُرى  
وتمتّ له دنيا بغير معائب  
دعاها إليه كي تُبارك صنّعه  
ولم يدر إن الحبّ جمُّ المطالب  
فقال له أحسنت! أحسنت مُبدعاً  
فيا لك ربّاً عبقرى المواهب  
ولكنّ لي أُمْنِيَّةً ما تحقّقت  
إذا لم تُنلنيها فما أنت صاحبي!



فدنياك هذي على حُسنها  
وسحر مشاهدِها والصور  
تُشاركني سائرُ الألهات  
لذاذاتها ونساء البشر

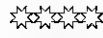


أريدُ دنيا فيها شعاعٌ  
يبقى إذا غابت النجوم  
أريدُ دنيا تُحسّ نفسي  
فيها نفوساً بلا جُوم  
أريدُ خمراً بلا كوؤس  
من غير ما تُنبت الكروم

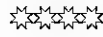
---

(١) غوارب الماء أعاليه

أريد عطرًا بلا زهور  
يسري وإن لم يَكُنْ نسيم



وزادت فقالت: أريد أنيناً  
يُشوشُ رُوحِي ولا مُحْتَضِرُ  
وماءٌ يموجُ ولا جَدولُ  
وناراً بلا حطبٍ تستعر  
فأطرق ذاك الإله الفتي  
وفي نفسه ألمٌ مُستتر  
وقال: أمهليني ثلاث ليالٍ  
أذلُّ فيها المراد العسير!



وراح يجوبُ رحابَ الفضاءِ  
يحدوه شوقٌ ويدعوه سِرٌّ  
فسال مع الشمس فوق الربا  
وغلغل في الحُندسِ المَعْتَكِرِ  
وأصغى إلى نسماتِ المروجِ  
وأصغى إلى نفحاتِ الزُهرِ  
وبعد ثلاث ليالٍ أتاهَا  
فظننته جاء لكي يعتذر  
فقال: وجدتُ الذي تطلُبين  
لدى شاعرٍ ساحرٍ مُبتكرِ  
وأخرجَ خيطاً قصيرَ المدى  
بلونِ الترابِ ولينِ الشَّعرِ

فلما رآته غراها الأسي  
وغور إيمانها واندثر  
فصاحت بغيط: أفسخر مني؟  
إذن فاحمل العار، أو فانتحر!  
أجاب: رؤيدك يا ربتي  
فما في التعجل إلا الضرر!  
وشد إلى الة خيطه  
ودغده صامتا في حذر  
ففاضت خمور وسالت دموع  
وشعت بروق ولاحت صور!  
فصاحت به وهي مدهوشة:  
ألا إن ذا عالم مختصر!  
فيا ليت شعري ماذا يسمى؟  
فقال لها: إن هذا الوتر!

\*\*\*\*



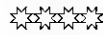
## ٨ - ليل الأشواق

[الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ نَجْوَاهُ ضاحكاتُ  
مِثْلُ أَحْلَامٍ غَادَةٍ فِي صَبَاها  
لَسْتُ إِصْبَحُ السَّكِينَةَ أَشْوَا  
فِي فَهْبَتِ مَذْعُورَةٍ مِنْ كَرَاهِها  
كَطَيُورٍ فِي الْأَسْرِ تَبْغِي انْعِتَاقاً  
قَبْلَ أَنْ يُفْسِدَ الْإِسَارُ لُغَاهَا  
أَبْقِ<sup>(١)</sup> النَّوْمُ، فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى النَّهْ  
رِ بِنَفْسٍ كَادَتْ تَسِيلُ دِمَها  
وَمَعِيَ صَاحِبُ رَقِيقِ الْحَوَاشِي  
تَجِدُ النَّفْسُ فِي رُؤَاهُ رُؤَاهَا  
إِنْ نَجَتْ لَيْلُهُ أَرَاكَ ضُحَاهَا  
أَوْ نَوْتُ زَهْرَةً أَرَاكَ شَذَاهَا



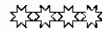
قال: ما أجمل الكواكب! ما أحـ  
لى سناها! فقلت: ما أحلاها  
قال: لا شوق، لا صباية لولا  
ها! فتمتتم قائلًا: لولاها!  
قال: هل تشتهي الوصول إليها؟  
قلت: اني لا أشتهي إلاها!



---

(١) هرب

كان طرفي يجولُ في العالم الأعد  
على وروحي تجول في مغناها  
وجاليسي يظن في الشُّهب قصدي  
وأنا أحسبُ الجاليس غناها  
قال: والنهرُ كم طوى من صبايا  
ت! فأطرقتُ استشف المياها  
فإذا النهرُ فيه روضةٌ روعي  
حين ينوي فيها صدى ذكراها  
قال: والليل.. قلتُ حسبك أعنا  
تُ لنفسي وحسب نفسي دجاها  
فانقطَعنا عن الكلام وبتنا  
كل نفس لذاتها نجواها



خِلتُ أني إذا بعُدتُ سأنسا  
ها ويطوي الزمانُ سفر هواها  
وتوهَّمتُ أنني سوف ألقى  
ألف ليلي، وألف هندی، سواها  
فإذا الحبُّ كالفضاء وقلبي  
طائر في الفضاء ضلّ وتاها  
أنا في عالم قصيٍّ سحيقٍ  
لا أراها لكنّ روحي تراها  
قد نشِقتُ<sup>١</sup> الأزهار في كل أرضٍ  
يا شذاهنّ لستِ مثل شذاها!

---

(١) نشق شمّ

كيف أنسى وأينما سِرْتُ في الدُّ  
نيا أراني أسيرُ في دنياها  
وإذا ما لَحْتُ في الأرض حُسْنًا  
فكأنني لَحْتُها إياها  
وإذا داعبَ النَّسيمُ رِدائي  
قلتُ: قد علَّمتُهُ هذا يداها!  
هي أدنى من الأمانِي إلى قلبي  
وبي، وقلبي يصيحُ: ما أقصاها!  
لستُ أشكو النوى ملالاً ولكنَّ  
طربُ الروح أن تُذيع جواها<sup>(١)</sup>  
\*\*\*

قال قومُ: إنَّ المحبَّةَ إثمٌ!  
ويحُّ بعضِ النفوسِ ما أغياها!  
إنَّ نفساً لم يُشرقِ الحبُّ فيها  
هي نفسٌ لم تدرِ ما معناها  
خوفوني جهنَّماً ولظاها  
أيُّ شيءٍ جهنَّمٌ ولظاها؟  
ليس عندَ الإلهِ نارٌ لذي حبٍّ  
ونارُ الإنسانِ لا أخشاها!  
أنا في الحبِّ قد وصلتُ إلى نفسي  
وبالحبِّ قد عرفتُ الله!

\*\*\*\*

---

(١) الجوى الحرقه وشدة الوجد

## ٩ - عَشِ لِلْجَمَالِ

[البسيط]

عَشِ لِلْجَمَالِ تَرَاهُ الْعَيْنُ مُؤْتَلِقًا  
فِي أَنْجَمِ اللَّيْلِ أَوْ زَهْرِ الْبَسَاتِينِ  
وَفِي الرُّبَا نَصَبَتْ كَفُّ الْأَصِيلِ بِهَا  
سُرَادِقًا مِنْ نُضَارِ الْإِرْيَاحِينَ  
وَفِي الْجِبَالِ إِذَا طَافَ الْمَسَاءُ بِهَا  
وَلَقُّهَا بِسُرَابِيلِ الرُّهَابِينَ<sup>(١)</sup>  
وَفِي السُّوَاقي لَهَا كَالْطِفْلِ ثَرَثَرَةٌ  
وَفِي الْبُرُوقِ لَهَا ضِحْكُ الْمَجَانِينِ  
وَفِي ابْتِسَامَاتِ آيَارِ وَرُوعَتِهَا  
فَإِنْ تَوَلَّى، فَفِي أَجْفَانِ تَشْرِينِ  
لَا حِينَ لِلْحَسَنِ لَا حَدٌّ يُقَاسُ بِهِ  
وَأَنَّمَا نَحْنُ أَهْلُ الْحَدِّ وَالْحَيْنِ  
فَكَمْ تَمَاجُجٍ فِي سِرْبَالِ غَانِيَةٍ  
وَكَمْ تَأَلَّقَ فِي أَسْمَالِ مِسْكِينِ  
وَكَمْ أَحْسَنَ بِهِ أَعْمَى فَجِّنْ لَهُ  
وَحَوْلُهُ أَلْفُ رَأٍ غَيْرِ مَفْتُونِ

---

(١) الرهبان

عِشْ الْجَمَالَ تَرَاهُ ههنا وههنا  
وعِشْ لَهُ وهو سرٌّ جِدُّ مَكْنُون  
خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِمَّنْ لَا حَنِينَ لَهُمْ  
إِلَى الْجَمَالِ، تَمَثَّلُ مِنَ الطَّيْنِ

\*\*\*\*

## ١٠- وقائلة

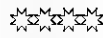
[الوافر]

وقائلة: هَجَرْتُ الشُّعْرَ حَتَّى  
تَغْنَى بِالسُّخَّافَاتِ الْمُغْنَى  
أَتَى زَمَنُ الرِّبِّيعِ وَأَنْتِ لَاهٍ  
وَقَدْ وَلَّى وَلَمْ تَهْتَفْ بِالْحَنِ  
وَنَفْسُكَ كَالصُّدَى فِي قَاعِ بئرٍ  
وَمِثْلِ الْفَجْرِ مَلْتَحِفًا بِدَجْنٍ<sup>١</sup>  
فَمَا لَكَ لَيْسَ يَسْتَهْوِيكَ حُسْنُ  
وَأَنْتِ الْمَرْءُ تَعْشِقُ كُلَّ حُسْنٍ  
أَتَسْكُتُ وَالشَّبَابُ عَلَيْكَ ضَافٍ  
وَحَوْلُكَ لِلْهَوَى جَنَاتٌ عَدْنُ؟  
رَكَودُ الْمَاءِ يَوْرُثُهُ فِسَادًا!  
فَقُلْتُ لَهَا: اسْتَكِينِي وَاطْمَئِنِّي  
فَمَا حَطَمْتُ يَدَ الْأَيَّامِ رُوحِي  
وَأِنْ حَطَمْتُ أَبَارِيقِي وَدَنِي  
وَلَمْ أَعْقِدْ عَلَى خَوْفٍ لِسَانِي  
وَلَا ضَنْئًا عَلَى الدُّنْيَا بِفَنِّي  
وَلَكِنِّي امْرُؤٌ لِلنَّاسِ ضِحْكِي  
وَلِي وَحْدِي تَبَارِيحِي وَحُزْنِي  
إِذَا أَشْكُو إِلَى خِدْنِ هُمُومِي  
وَفِي وَسْطِ السُّكُوتِ، ظَلَمْتُ خِدْنِي

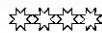
---

(١) العيم المطبق في السماء

وَتَأْتِي كَبِيرَانِي أَنْ يَرَانِي  
فَتَنِي مُغْرورِقاً بِالدَّمْعِ جَفَنِي  
فَأَسْتَرْ عَيْرَتِي عَنْهُ لئَلَا  
يَضِيقُ بِهَا وَأَنْ هِيَ أَحْرَقَتْنِي  
وَيَبْكِي صَاحِبِي فَأِخَالُ أَنِي  
أَنَا الْجَانِي وَأَنْ لَمْ يَنْتَهِمْنِي  
فَأَمْسَحُ أَدْمَعاً فِي مَقَلَّتِيهِ  
وَأَنْ حَكَتِ الْإِلَهِيَّةُ، وَأَنْ كَوَّنَتْنِي  
لَأَنِّي كَلَّمَا رَفَّهَتْ عَنْهُ  
طَرِبْتُ كَأَنَّنِي رَفَّهَتْ عَنِّي  
كَذَلِكَ كَانَ شَأْنِي بَيْنَ قَوْمِي  
وَهَذَا بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ شَأْنِي  
أَقُولُ لِكُلِّ نَوَاحٍ رَوِيْدَا  
فَإِنْ الْحُزْنَ لَا يَغْنِي، وَيُضْنِي  
وَجَدْتُ الدَّمْعَ بِالْأَحْرَارِ يُزْرِي  
فَلَيْتَ الدَّمْعَ لَمْ يُخْلَقْ بِجَفْنِ!



سَبِيلُ الْعِزِّ أَنْ تَبْنِي وَتُعَلِّي  
فَلَا تَقْنَعْ بِأَنْ سَوَاكَ يَبْنِي  
وَلَا تَكُ عَالَةً فِي عُنُقِ جَدِّ  
رَمِيمِ الْعِظَمِ أَوْ عِبَّاءِ عَلَى ابْنِ  
فَمَنْ يَغْرِسْ لِكِي يَجْنِي سِوَاهُ  
يَعِشْ، وَيَمُوتْ مَنْ يَحْيَا لِيَجْنِي!



الْأَثْمَتِي أَتْرَكِينِي فِي سَكُونِي  
وَلُؤْمِي مَنْ يَضِجُ بِغَيْرِ طَحْنٍ<sup>(١)</sup>  
إِذَا صَارَ السَّمَاعُ بِلَا قِيَّاسٍ  
فَلَا عَجَبٌ إِذَا سَكَتَ الْمَغْنِي  
أَنَا وَلَيْتَنُ سَكَتُ وَقَالَ غَيْرِي  
وَجَمَعَ صَاحِبُ الصَّوْتِ الْأَرْزَ  
إِذَا أَنَا لَمْ أَجِدْ حَقْلًا مَرِيْعًا<sup>(٢)</sup>  
خَاسَقْتُ الْحَقْلَ فِي رُوحِي وَذِمَّتِي  
فَكَادَتْ تَمْلَأُ الْأَثْمَارُ كَفِّي  
وَيَعْبِقُ بِالشَّدَا الْفَوَاحِ رِدْنِي

\*\*\*\*

---

(١) الدقيق

(٢) الحميب



## ١١ - موميات

[المجتث]

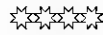
عرجُ صاحبِ الديوانِ في إحدى سفراته على فندقٍ فخْمٍ، فلم يرَ إلا عجائزَ فقال:  
لِمَنْ يَضُوعُ العَبِيرُ؟  
لِمَنْ تُغْنِي الطُّيُورُ؟  
لِمَنْ تُصَفُّ القَنَنَانِي؟  
لِمَنْ تُصَبُّ الخُمُورُ؟  
ولا جـمـالُ أنـيـقُ  
ولا شـبـابُ ضـمـير  
بل مـومـيـاتُ عـلـيـها  
أطـالسُ وحـرير  
راحتْ تُقـعـقـعُ حـولـي  
فكـادَ عـقـلي يـطـير  
ولاذ قـا بـي بـصـدري  
كـأنـه عـصـفُور  
لاحتْ له في الأعـالي  
بـواشِقُ وصـقـور  
وقال: ضُويقتُ فـاهـربْ!  
قلتُ: الفـرارُ عـسير  
مـا لي جـنـاحٌ ولا لي  
سـيـارةٌ أو بـعير  
صـبـراً فـهـذا بـلاءُ  
مـقـدّرٌ مـسـطـور



كَالْبَدْرِ حِينَ تَرَاهُ  
 يُعِينُكَ الْإِنَّاظُورُ  
 تَبْدُو لِعَيْنَيْكَ فِيهِ  
 بِرَازِخٍ وَبِحُورِ  
 وَأَنْجُودُ وَوَهَادُ  
 لَكِنَّهُ مَهْجُورُ!  
 مِثْلُ الْمِسْنِ وَلَكِنْ  
 لَا مَاءَ فِيهِ يَمُورُ  
 مَا لِبِعُوضَةٍ فِيهِ  
 قَوْتُ بِلِ التَّخْضِيرِ  
 وَلَا يُوْتَرُ فِيهِ  
 نَابٌ وَلَا أَظْفُورُ  
 وَلِلْيَدَيْنِ ارْتِعَاشُ  
 وَلِلْعِظَامِ صَرِيرُ  
 أَمَّا الْعُيُونُ فَغَارَتْ  
 وَلَا تَزَالُ تَغُورُ  
 مَغَاوِرُ، بَلْ صَحَارَى  
 بَلْ أَكْهَفُ، بَلْ قُبُورُ  
 وَالْخَصِرُ، عَفُواً وَصَفْحاً!  
 كَانَتْ لِهِنَّ خُصُورُ!  
 ❦  
 هُنَّ السُّعَالَى<sup>١</sup> وَلَكِنْ  
 سُعَالُهُنَّ كَثِيرُ

(١) السُّعَالَةُ أَخْبَثُ الْعِيَانِ، مِمَّا خَلَقَتْهُ الْمَخِيلَةُ

حـدـيـئـهـنـ انـتـفـاضـ<sup>١</sup>  
 وضـحـكـهـنـ هـرـيـر<sup>١</sup>  
 ومـشـيـهـنـ ارـتـبـاك  
 وتـارـةـتـقـديـر  
 يـغـضـبـنـ انـمـالـظـل  
 وانـشـداشـحـرور  
 وانـتـهـادـتـغـصـون  
 وانـتـسـارـي<sup>٢</sup> عـبـير  
 وانـتـمـايلـعـشـب  
 وانـتـمـاوجـنـور  
 فـكـلـشـيـقـبـيـح  
 وـكـلـشـيـحـقـيـر  
 وـكـيـفـيـفـرحـقـاب  
 رـجـاؤـهـمـدـحـور؟  
 مـالـرـمـادـلـهـيـب  
 مـالـجـايدـخـير



مـنـحـولـهـنـالـاقـحـاحـي  
 والـورـدـوالـمـنـثـور  
 وهـنـمـكـتـنـبـات  
 كـاتـهـنـصـخـور  
 لايبـتـسـمـنـلـشـي  
 أمـالـهـنـتـغـور؟

(١) صوت الكلب دون نباحه

(٢) تفاعل من (سرى)

بلى، لهنَّ ثُغُورُ  
وانمّا لاشعورُ!  
كانمّا الحُسنُ في الأر  
ضِ كله تُزوير



في قُـنـدقِ أنا أم في  
جهنّمٍ محشورُ؟  
وهل أنا فيه ضيفُ  
لساعةٍ أم أسير  
يا لـيـتـني لم أره  
وليته مهجور  
فليس يهنا فيه  
إلا الأصمُّ الضُّرير!



## ١٢ - هدايا العيد

[الخفيف]

خرج الناسُ يشترون هدايا الـ  
عيد للأصدقاء والأحبابِ  
فتمنيتُ لو تساعفني الدُّدُ  
يا فاقضي في العيدِ بعضَ رِغابي  
كنتُ أُهدي، إذن، من الصُّبرِ أرطاً  
لأ إلى المنشئين والكتابِ  
وإلى كلِّ نابغٍ عبقريٍّ  
أمَّةُ أهلها نُوو البابِ  
وإلى كلِّ شاعرٍ عربيٍّ  
سألةً من فواكه الألقابِ  
وإلى كلِّ تاجرٍ حُرِّم التُّو  
فيق زقَّين من عصير الكذابِ  
وإلى كلِّ عاشقٍ مُقلِّدٍ  
صبرُكم من ملاحه في التُّرابِ  
وإلى الغادة الجميلة مرا  
ة تُريها ضمائر العُزَّابِ  
وإلى الناشئ الغرير مراناً  
وإلى الشيخ عرمة في الشُّبابِ  
وإلى معشر الكسالى قُصوراً  
من أُجِين وعسجد في السُّحابِ  
علني أستريح منهم فقد صا  
روا كظلي في جيئتي ونهابي

والى ذي الغنى الذي يرهبُ الفقرَ  
 را زدياد الذي به من عذاب  
 كلما عدّ ماله مطمئناً  
 أبصر الفقر واقفاً بالباب  
 والى صاحب المُرَاوِغِ وجهاً  
 أسوداً حالِكا كوجه الغراب  
 فإذا لاح فرتِ الناسُ دُوراً  
 من طريق المنافق الكذاب  
 والى المؤمنين شيئاً من الشكِّ  
 كِ وبعض الإيمان للمُرتاب  
 والى من يسبُّني في غيابي  
 شرفاً كي يصونه من سبابي  
 والى حاسدي عُمراً طويلاً  
 ليُدوم الأسى بهم ممّا بي  
 والى الحقّ قل زهره وحلّاه  
 من ندى لأمع ومن أعشاب  
 فقبيح أن ترتدي الحُلّ القُشَّ  
 عب وتبقى الربا بغير ثياب  
 لم يكن لي الذي أردت، فحسبي  
 أنني بالمنى ملأت وطايي<sup>١</sup>  
 ولو أن الزمان صاحب عقل  
 كنت أهدي إلى الزمان عتابي

\*\*\*\*\*

---

(١) الوطب والوطاب سقاء اللين

### ١٣ - الفراشة المحتضرة

[البسيط]

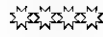
لو كان لي غير قلبي عند مراك  
لما أضاف إلى بلواه بلواك  
فيم ارتجاجك؟ هل في الجو زلزلة؟  
أم أنت هاربة من وجه فتاك؟  
وكم تلورين حول البيت حائرة  
بنت الربا، ليس مأوى الناس مأواك  
قالوا: فراشة حقل لا غناء بها،  
ما أفقر الناس في عيني وأغناك!  
سيماء غاوية، أطوار شاعرة،  
على زهادة عبّاد ونسّاك  
طُغراء<sup>١</sup> مملكة وشى حواشيها  
من نوب الشمس ألواناً ووشاك  
رأيت أحلام أهل الحب كلهم  
لما مثلت أمامي، عند شبّاكي  
من نانمين على ذلّ ومثربة  
ومن تجار وأشراف وملاك<sup>٢</sup>  
وقصّ شكواك قلبي قصة عجباً  
من قبل أن سمعت أذناي شكواك

(١) الطُغراء الطرفة في أعلى الرسائل، تتضمن نعت الحاكم والقباه

(٢) المترية الفاقة والمسكة



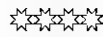
أليس فيك من العُشَّاقِ حَيَّرْتَهُمْ؟  
فكيف لا يفهمُ العُشَّاقُ نَجْوَاكَ؟



حَلِمْتُ أَنْ زَمَانَ الصَّيْفِ مَنْصَرِمٌ  
وَيْلَاهُ! حَقَّقْتُ الْإِيَّامُ رُؤْيَاكَ  
فَقَدْ نَعَاهُ إِلَيْكَ الْفَجْرُ مُرْتَعِشاً  
وَلَيْسَ مِنْعَاهُ إِلَّا بَعْضُ مَنْعَاكَ  
فَالزَّهْرُ فِي الْحَقْلِ أَشْلَاءُ مُبَعَثَرَةٌ  
وَالطَّيْرُ؟.. لَا طَائِرٌ إِلَّا جَنَاحَاكَ

مَدُّ النَّهَارِ إِلَيْهِ كَفُّ مَخْتَلِسِ  
وَفَتْحُ اللَّيْلِ فِيهِ عَيْنُ سَفَاكَ  
شَاءَ الْقَضَاءُ بِأَنْ يَشْقَى فَجَرَّدَهُ  
مِنَ الْحَلِيِّ وَإِنْ تَشْقَى فَأَبْقَاكَ  
لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ شَيْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهِ

وَلَا مِنْ الْعَابِدِينَ الْحَسَنِ الْأَكْ  
تَزُودُ النَّاسُ مِنْهُ الْأُنْسُ وَانصَرَفُوا  
وَمَا تَزُودُ إِلَّا الْيَأْسَ جَفَنَاكَ



يَا رَوْضَةً فِي سَمَاءِ الرُّوضِ طَائِرَةٌ  
وَطَائِرٌ كَالْأَقَاخِي ذَا شَذَا ذَاكَ  
مَضَى مَعَ الصَّيْفِ عَهْدُ كُنْتَ لَاهِيَةً  
عَلَى بَسَاطٍ مِنَ الْأَحْلَامِ ضَحَّاكَ  
تُمْسِينَ عِنْدَ مَجَارِي الْمَاءِ نَائِمَةً  
وَلِلْأَزَاهِرِ وَالْأَعْشَابِ مَغْدَاكَ  
فَكُلَّمَا سَمِعْتَ أَذْنَكَ سَاقِيَةً  
حَثَثْتَ لِلْسَفْحِ مِنْ شَوْقٍ مَطَايَاكَ

وكلّما نورّت في السفح زنبقهُ  
صفّقْت من طربٍ واهتزّ عطفاك  
فما رشفت سوى عطرٍ ولا انفتحت  
إلا على الحسنِ المحبّوبِ عيناك  
وكم لثمت شفاه الوردِ هاتمةً  
وكم مسحت دموع النرجسِ الباكي  
وكم ترجّحت في مهد الضياء على  
توقيع لحن الصبّا أو رجّعه الحاكي  
~~~~~

وكم ركضت فأغرّيت الصغار ضحىً  
بالركض في الحقل ملهاهم وملهاك!  
منّوا بأسرهم إياك أنفسهم  
فأصبحوا بتمنّئهم أساراك  
جروا قُصاراهم حتى إذا تعبوا  
وقفت ساخرة منهم قُصاراك  
لولا جناحاك لم تسلّم طريدتهم،  
قد نجّياك، ولكن أين منجّاك؟  
ها أنت كالحقل في نزع وحشرجة  
وهت قُواك كما استرخى جناحاك  
أصبحت للبؤس في مغناك تائهةً  
كأنه لم يكن بالأمس مغناك  
~~~~~

فراشة الحقل.. في روعي كبته  
مما عراه ومما قد تولّاه  
أحببته وهو دارّ تلعبين بها  
وسوف تهواه نفسي وهو مثواك

قد بات قلبي في دنيا مشوشة  
منذ التفت إلى آثار دنياك  
لا يستقر بها إلا على وجل  
كالطير بين أحابيل وأشرار  
\*\*\*\*\*

خلت أرائك كانت أمس أهلة  
غناء، فالיום لا شاد ولا شاك  
أرض خلاء وجو غير ذي ألح  
بلى، هناك ضباب فوق أشواك  
فيا رياح الخريف العاتيات كفى  
عصفاً فقد كثرت في الأرض قتلاك  
كيف اعتذارك إن قال الإله غداً:  
هل الفراشة كانت من ضحاياك؟  
يا نعمة تتلاشى كلما بعدت  
إن غبت عن مسمعي ما غاب معنك  
ما أقدر الله أن يحييك ثانية  
مع الربيع، كما من قبل سواك  
فيرجع الحقل يزهر في غلاله  
وترجعين، وأغشاه فآلقاك!

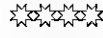
\*\*\*\*\*

## ١٤ - ابتسم

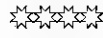
[الكامل]

قال: السماء كئيبة! وتجهما  
قلت: ابتسم، يكفي التجهم في السما!  
قال: الصبا ولي! فقلت له: ابتسم  
لن يرجع الأسف الصبا المتصرما!  
قال: التي كانت سمانى في الهوى  
صارت لنفسي في الغرام جهنما  
خانت عهودي بعدما مأكثها  
قلبي، فكيف أطيق أن أتبسما؟  
قلت: ابتسم واطرب فلو قارنتها  
قضيت عمرك كله متألما!  
قال: التجارة في صراع هائل  
مثل المسافر كاد يقتله الظما  
أو عادة مسلولة محتاجة  
لدم، وتنفت، كلما لهت، دما!  
قلت: ابتسم ما أنت جالب دائها  
وشفائها، فإذا ابتسمت قريبما...  
أكون غيرك مجرما وتبيت في  
وجل، كأنك أنت صرت المجرما؟  
~~~~~  
قال: العدا حولي علت صيحاتهم  
أسرُّ والأعداء حولي في الحمى؟

قلت: ابتسم، لم يطلبوك بدمهم  
لو لم تكن منهم أجل وأعظما!



قال: المواسم قد بدت أعلامها  
وتعرضت لي في الملابس والدمى  
وعلي لأحباب فرض لازم  
لكن كفي ليس تملك درهمما  
قلت: ابتسم، يكفيك أنك لم تزل  
حيًا، ولست من الأحبة معدما!



قال: الليالي جرعتني علقما  
قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما  
فلعل غيرك إن راک مرثما  
طرح الكبة جانباً وترثما  
أترك تغنم بالتبرم درهمما  
أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما؟  
يا صاح، لا خطر على شفقتك أن  
تثألما، والوجه أن يتحطما  
فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى  
متلاطم، ولذا نحب الأنجما!  
قال: البشاشة ليس تسعد كأننا  
يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما  
قلت: ابتسم ما دام بينك والردى  
شبر، فإنك بعد لن تتبسما!



## ١٥ - لو أستطيع

[مجزوء الكامل]

لو أستطيع سَكَبْتُ رَوْ  
حي خُمْرَةً فِي كَاسِهَا  
حَتَّى إِذَا حَالَ النُّوْى  
بَيْنِي وَبَيْنَ كِنَاسِهَا<sup>١</sup>  
وَتَجَاهَلْتُ أَوْ أَنْكَرْتُ  
أَمْرِي لَدَى جُلَاسِهَا  
أَطْلَلْتُ مِنْ أَجْفَانِهَا  
وَجَرَيْتُ مَعَ أَنْفَاسِهَا!

\*\*\*\*

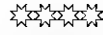
---

(١) بيت تلجه الظباء والبقر، تستكنّ فيه من الحر

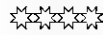
## ١٦ - يانفس

[السريع]

يا نفس لو كنتِ ترين الشُّؤُونَ  
كما يراها سائرُ الناسِ  
لما رماني بعضُهم بالجنونِ  
ولم أجِدْ في الناسِ من يأسِ



بالأمسِ مرَّ الموكبُ الأكبرُ  
فيه الفتى الراكبُ والناعِلُ  
واقبلتِ غيْدُ الحمى تخطرُ  
يهتفن: عاد البطلُ الباسِلُ  
مالكِ يا هذي لا تهتفينِ  
لصاحبِ الدولة والباسِ؟  
فقلتِ لي ضاحكةً تسخرينِ:  
ويلك! هذا قاتلُ الناسِ!



ومجلسِ دارتْ به الأكْوَوسُ  
فشرب القومُ ولم تشربي  
وامتلأتْ بالطربِ الأنفسُ  
وأنتِ في صممتكِ لم تطربي  
كأنما غيَّبكِ الحِنْدِسُ  
أو تاهتِ اللذاتُ في سبْسبِ

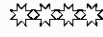
مالك يا هذي لا تضحكين  
للحبيب الضاحك في الكاس؟  
قالت: نهاني أن موج السنين  
سيغمر الأقداح والحاسي!  
~~~~~

وسرت في الروضة شاع الجمال  
فيها، وشاع الحب بين الطيور  
الطلُّ فيها كدموع الدُّلال  
والشوكُ فيها كحديث الغرور  
مشيت في أرجائها كالخيال  
يطوف في الظلماء بين القبور  
كأنما لا ورد في الياسمين  
كأنما لا عطّر في الأس  
ويحك! لا في عزّلي تطربين  
ولا إذا كنت مع الناس  
~~~~~

كان زمان كنت تستأنسين  
بكل وهم خادع كالسُّراب  
حتى إذا أسفر وجه اليقين  
رأيتِه كالوهم شيئاً كذاب  
دنيا الوري ليل وصبح مبين  
وليس في دنياك إلا الضباب  
ما لاحت الأشجار لناظرين  
الا رأيت شبح الفاس!



ولا سمعتِ الكاس ذات الرنينِ  
إلا سمعتِ حطمة الكاس!



مسحتُ في عيني لون النهارِ  
لَمَّا لحت الليل بالرصدِ  
ومات في أذني لحن الهزارِ  
لَمَّا سبقت الصمت للمُنشدِ  
فررتِ بالأذات قبل الفرارِ  
فضاع يومي حائراً في غدي  
خالفت مقياس الورى أجمعينِ  
فكيف يرضون بمقياسي؟  
ما برح الناسُ كما تعلمينِ  
ولم أزلُ فرداً من الناس



## ١٧ - الكنار الصامت

[مجزوء الكامل]

نَسِي الكَنَارُ نَشِيدَهُ  
فَتَعَالَ كِي نَسَى الكَنَارُ  
وَلِيَقْذِفَنَّ بِهِ المَلَالُ  
مِن القِصَاصِ إِلَى القِفَارِ  
وَلتَرْمِيَنَّ بِرِيَشِهِ  
لِلأَرْضِ عَاصِفَةُ النُّفَارِ<sup>١</sup>  
وَلنَسْتَعِضَّ عَنْهُ بِطَيْرِ  
مِن أُجَاجٍ أَوْ نُضَارِ<sup>٢</sup>  
لَا، لَا، فَإِنْ سَكَتَ الكَنَارُ  
رُقْلَمُ يَزَلْ ذَاكَ الكَنَارُ  
أَوْ كَانَ فَارِقَهُ الصُّدَا  
حُ فُلَمُ يَفَارِقُهُ الوُقَارُ  
صَمَّتْ الكَنَارُ، وَإِنْ قَسَا  
خَيْرٌ مِنَ النُّعْمِ المُّعَارُ  
صَبْرًا فَسَوْفَ يَعُودُ لَلتَّ  
تَغْرِيدِ إِنْ عَادَ النُّهَارُ

\*\*\*\*

---

(١) الهرب أو التفرق والمجانبة

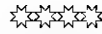
(٢) الفضة أو الذهب

## ١٨ - لم يبق غير الكأس

[الكامل]

لم يبق ما يسليك غير الكاس  
فاشرب، ودع للناس ما للناس!  
ذهب الشباب على الشجون تبثها  
لأخ مؤاس أو لغير مؤاس  
وعلى الحياة تحار في أطوارها  
وتحار في تعليل كل نطاسي  
ثم استفتت وليس في روض المنى  
إلا الضباب، وغير شوك الياس  
وجراح نفس ينظر الأسي لها  
فـيـعـودُ لآخر اس  
الحس مجلبة الكبة والأسي  
قم ننتلق من عالم الإحساس  
وأرى السعادة لا وصول لعرشها  
الأباجنحة من الوسواس  
فكانت ما هي صورة زيتية  
للشيط فيه مراكب ومراسي  
تبو لعينيك السفائن عوما  
وتكاد تسمع رعشة الأمراس  
لكن إذا أدنيتها ولمستها  
لم تلق غير الصبغ والقرطاس

دنيا مُزَيَّفَةٌ ودهرٌ ماذق<sup>١</sup>  
 ما في انفلاتك منهما من باس  
 انَّ اللُّذاتِ التي ضَيَّعْتَهَا  
 رجعتُ إليك عُصاةً في الكاس  
 فاصبغْ رَوَّاقَ بها تُعَدُّ ذَهَبِيَّةً  
 عَطْرِيَّةَ الألوانِ والأنفاس  
 واخْلُقْ لِنَفْسِكَ بِالْمُدَامَةِ جَنَّةً  
 في الأربعِ المَهْجُورَةِ الأَدْرَاسِ<sup>٢</sup>  
 الحُبُّ فيها بَلِيلٌ وَخَمِيلَةٌ  
 وَنَدَى وَأَضْوَاءٌ عَلَى الْأَغْرَاسِ  
 لِلقَصْرِ يَخْلُقُهُ خِيَالُكَ رَوْعَةً  
 كَالْقَصْرِ مِنْ جُذُرٍ وَمِنْ أَسَاسِ



يا أيها السَّاقِي! أدرْ كَاسَاتِهَا  
 كَمَشَاعِلِ الرُّهْبَانِ فِي الْأَغْلَاسِ<sup>(٣)</sup>  
 وَاَنْسِ الهمومَ فليس يسعدُ ذَاكِرُ  
 وَاسِقِ النُّجُومِ فَإِنَّهَا جَلَّاسِي  
 وَاصْرَعْ بِهَا عَقْلَ النَّدِيمِ وَلَبَّهِ  
 مَا نَعَصَ الحَاسِي كَعَقْلِ الحَاسِي  
 وَاهْجِرْ أَحَادِيثَ السِّيَاسَةِ وَالْأَلَى  
 يَتَعَلَّقُونَ بِحَبْلِ كُلِّ سِيَاسِ  
 إِنِّي نَبَذْتُ ثَمَارَهَا مَذْنُوقَتَهَا  
 وَوَجَدْتُ طَعْمَ الْغَدْرِ فِي أَضْرَاسِي

(١) المُنْقُ قِلَّةُ الْإِخْلَاصِ

(٢) الرُّبْعُ الدَّارِسُ الْعَافِي بِفَعْلِ الزَّمَنِ

(٣) الْعَلَسُ ظِلْمَةٌ آخِرُ اللَّيْلِ

وغسلتُ منها راحتي فغسلتُها  
 من سائر الأوضار والأدناس  
 وتركْتُها لاثْنَيْنِ: غُرَّ ساذج،  
 ومُشْعَوذ، وكُذِّبٌ<sup>١</sup> دَسَّاس  
 يرضى لموطنه يصيرُ موطناً  
 وتصيرُ أمَّتُه إلى أجناس  
 ويبيعُها بدراهم معدودة  
 ولو أنَّها جاءت من الخُنَّاس<sup>٢</sup>  
 ما للمنافق من ضمير رادع  
 أيُّ الضمير لحيَّة الأجراس؟  
 ولربُّ قائلةٍ تعاتبُني على  
 صمتي، وبعضُ القولِ حرٌّ مواسي<sup>٣</sup>؛  
 اثنانِ ما لاقيت أقسى منهما:  
 صمتُ الدجى والشاعرِ الحساسِ  
 فأجبتُها: أقسى وأهولُ منهما  
 في مَسْمَعِي: هذا العتابُ القاسي  
 لم تعلمي، والخيرُ ألا تعلمي،  
 كم في السكوتِ فواجعاً<sup>٤</sup> ومسي  
 قالت: أظنك قد نسيت. فقلت: لا  
 ما كنتُ بالناسي ولا المتناسي  
 لكنَّ جرحاً كلَّما عالجته  
 غمر القنوطُ جوارحي وحواسي

(١) تتعدد الصيغ في العربية لتسمية الكاذب، ومنها الكيْذبان ومكْذبان وكُذِّب

(٢) خنس تأخر وغاب والحناس الشيطان لأنه يعيب عند ذكر الله

(٣) الموصى الذي يخلق به، وشفرته حادة وجمعه مواسٍ

ولو أنه في الرأس كنت ضمّدته  
لكنّه في القلب لا في الراس  
إن الألى قد كنت أرمي دونهم  
غلّوا يديّ وخطّموا أقواسي  
واستبدلوا سيفي الجراز<sup>١</sup> بأسيف  
خشب، وباعوا عسّجدي بنحاسي  
والطلّ غير الماس، إلا أنهم  
خدعوا برقرقة النّدى عن ماسي  
وإذا حسبت الروض تغني صورة  
عنه، فذلك منتهى الإفلاس  
أسد الرّخام وإن حكى في شكله  
شكل الغضنفر، ليس بالفراس



قد كان لي حلم جميل مؤنق  
فأضعته لما أضعت نّعاسي  
فكّرت في ما نحن فيه كأمّة  
وضربت أخماسي إلى أسداسي  
فرجعت أخيب ما يكون مؤمل  
راج وأخسر ما يكون الخاسي<sup>٢</sup>  
نرجو الخلاص بغاشم من غاشم  
لا ينقذ النّخاس من نخاس  
ونقيس ما بين الثّريّ والثّرى  
وأمرنا تجري بغير قياس

(١) القاطع

(٢) الحيس التعير والنقص والحياة والعدو

نغشى بلاد الناس في طلب العلا  
وبلادنا متروكة للناس!  
ونكاد نفترش الثرى، وبأرضنا  
للأجنبي موائد وكراس  
ونلوم هاجرها على نسيانها  
واللأنم الناس أول ناس  
ونبيت نفخر بالصوارم والقنا  
ورقائنا ممدودة لافاس  
كم صيحة الدهر في اذاننا  
مرت كما مرت على أرماس!

\*\*\*\*

## ١٩ - رأي الأكثرية

[السيط]

لَمَّا سَأَلْتُ عَنْ الْحَقِيقَةِ قِيلَ لِي:  
الْحَقُّ مَا اتَّفَقَ السُّوَادُ عَلَيْهِ  
فَعَجِبْتُ كَيْفَ ذَبَحْتُ ثَوْرِي فِي الضُّحَى،  
وَالْهِنْدُ سَاجِدَةٌ هُنَاكَ لَدَيْهِ  
نَرْضَى بِحُكْمِ الْأَكْثَرِيَّةِ مِثْلَمَا  
يَرْضَى الْوَلِيدُ الظُّلَمَ مِنْ أَبْوِيهِ  
إِمَّا لَغْنَمٍ يَرْتَجِيهِ مِنْهُمَا  
أَوْ خَيْفَةً مِنْ أَنْ يُسَاءَ إِلَيْهِ

\*\*\*\*\*



## ٢٠ - كتابي

[الطويل]

وسائلة: أي المذهب مذهبي  
وهل كان فرعاً في الديانات أم أصلاً  
وأي نبيٍّ مُرْسِلٍ أقْتَدِي به  
وأي كتابٍ مُنْزَلٍ عِنْدِي الأَعْلَى؟  
فقلتُ لها: لا يَفْتَنِي المرءُ مذهباً،  
وإنْ جُلَّ، إلاَّ كان في عُنُقِهِ غُلًّا  
فما مذهبُ الإنسانِ إلاَّ زجاجةٌ  
تَقْيِدُهُ خمرُاً وتَضَيِّطُهُ خلًّا  
فإنْ كان قُبْحاً لم يَبْدَلْهُ لَوْنُهَا  
جمالاً، ولا نُبْلاً إذا لم يكن نُبْلاً  
أنا ادميُّ كان يَحْسِبُ أَنَّهُ  
هو الكائنُ الأسمى وشِرْعَتُهُ الفُضْلَى  
وأنَّ له الدنيا التي هو بَعْضُهَا  
وأنَّ له الأخرى إذا صام أو صَلَّى  
أمنُّ على الصَّادِي<sup>(١)</sup> إذا ما سَقَيْتُهُ  
وألزَمَهُ شكري، ولستُ أنا الوَيْلَا  
وأنْهَى إذا أَطْعَمْتُ جُوعاً لِقَمَةٍ  
كأنِّي خَلَقْتُ الحَبَّ في الحقلِ، والحَقْلَا  
تَنَلِمَدْتُ لِلإنْسَانِ في الدَّهْرِ حَقِيقَةً  
فأَقْنَنِي غِيّاً، وعَلَّمني جَهْلاً

---

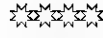
(١) الصادي العطر (والفعل صدي)

نهاني عن قتل النفوس، وعندما  
 رأى غيرة مني تعلم بي القنلا؛  
 ودم إلي الرق ثم استرقني  
 وصور، ظلماً فيه، تمجيداً عدلاً  
 وكان يريني الإثم في كل ما أرى  
 وكل نظام غير ما سنُّ مختلاً  
 فصار الوري عندي: عدواً وصاحباً،  
 وأنفسهم صنفين: علياء أو سفلى  
 وصرت أرى بغضاً، وصرت أرى هوى،  
 وصرت أرى عبداً، وصرت أرى مولى  
 ويا رب شر خلته الخير كله،  
 ويا رب خير، خلته نكبة جلى  
 إلى أن رأيت النجم يطلع في الدجى  
 لذي مقلّة حسرى، وذي مقلّة جذلى  
 وشاهدت كيف النهر يبذل ماءه  
 فلا يبتغي شكراً ولا يدعي فضلاً  
 وكيف يزين الطلّ ورداً وغسجاً  
 وكيف يروي العارض<sup>١</sup> الوعر والسهلا  
 وكيف تغذي الأرض الأم نبتتها  
 وأقبحه شكلاً كأحسنه شكلاً  
 فأصبح رأيي في الحياة كرايها  
 وأصبحت لي دين سوى مذهبي قبلاً

---

(١) السحاب لأنه يعترض الأفق

وصار نبيي كلُّ ما يُطلقُ العقلاً  
وصار كتابي الكونُ لا صحفٌ تُتلى



فدينني كدينِ الروضِ يعبقُ بالشُّدا  
ولو لم يكنْ فيه سوى اللصِّ مُنْسلًا  
فليستْ تُخومُ المالكية تُخومه  
وإنْ له، إنْ يعلموا، غيرهم أهلاً  
فكمْ هشرٌ للأنسامِ والنورِ والنُّدى  
واوى إليه الطيرُ والذُرُّ والنملا  
وكمْ بعثتهُ للحياة من البلى  
قريحةً فنَّانٍ، فُورقٍ واخضلاً  
وأصبح يُجلى طيفه في قصيدةٍ  
وفي رُقعةٍ أو لوحةٍ وهو لا يُجلى  
وديني الذي اختار الغديرَ لنفسه  
ويا حُسنَ ما اختار الغديرُ وما أحلى!  
تجيءُ إليه الطيرُ عطشى فترتوي  
وإنْ وردتهُ الإبلُ لم يـزجرِ الإبلُ  
ويغتسلُ الذنبُ الأثيمُ بمائه  
فلا إثمُ ذا يُمحى، ولا طُهرُ ذا يبلى!  
وديني كدينِ الشُّهبِ تبدو لعاشقٍ  
وقال<sup>١</sup>، وفيها ما يُحبُّ وما يُقلى  
فما استترتْ كيما يضلُّ مسافرٌ  
ولا بزغتْ كي يستنيرَ الذي ضلَّ

---

(١) من القلى البعض (قلاده يقيه)

وليس لها أن تمنع الناس ضوءها  
ولو فتلوا منه، لتكبيّلها، حبلاً  
ودينني كدين الغيث إن سحّ لم يُبلّ  
أروى الأقاحي أم سقى الشوك والدقلى<sup>١</sup>  
فلم يتخيّر في الفضاء مسيره  
ولم ينهمر جوداً ولم ينحبس بؤلاً  
وإن لم أكن كالروض والنجم والحيّا  
فحسبي اعتقادي أن خطتها المثلّى  
\*\*\*

يرى النحل غيري إذ يرى النحل حائماً  
وأبصر قرص الشهد إذ أبصر النحلا  
والمح واحات من النخل في النوى  
إذا جرف الإعصار من واحتي النخلا  
وإن أشرب الصهباء أعلم أنني  
شربت بشاشات الزمان الذي ولّى  
وما همستهُ الريح في أذن الثرى  
وما ذرفت في الليل نجمته الثكلى  
وغصّات من ماتوا على اليأس في الهوى  
فيا شاربها هل لحتم دم القتلى؟  
وإن مربّي طفل رأيت به الورى  
من المثل الأدنى إلى المثل الأعلى  
فيا لك دنيا حسنها بعض قبحها  
ويا لك كوناً قد حوى بعضه الكلاً

\*\*\*\*

---

(١) الأصل لم يبال

## ٢١ - كن بلسماً

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها صاحب الديوان في المَدبة الكبرى التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية، على شرف المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي في بروكلن - نيويورك .

كنْ بلسماً إن صارَ دهرُك أرقماً<sup>١</sup>  
وحلاوة إن صارَ غيرُك علقماً  
إن الحياة حَبَّتْك كلُّ كنوزِها  
لا تبخلنْ على الحياة ببعض ما...  
أحسنْ وإن لم تُجْزِ حتى بالثنا  
أيُّ الجزاء الغيثُ يبغِي إن همي؟  
من ذا يكافئُ زهرةً فواحَةً؟  
أو من يُثيبُ البلبل المُترنماً؟  
عُدُّ الكرامِ الحسنينَ وقِسُّهم  
بهما تجدُ هذينَ منهم أكرماً  
يا صاحِ خُذْ عِلْمَ المحبَّةِ عنهما  
إني وجدتُ الحبَّ عِلْماً قَيِّماً  
لو لم تُفَحْ هذي وهذا ما شدا  
عاشتْ مُذمُّمةٌ وعاش مُذمُّماً  
فاعملْ لإسعادِ السَّوى وهنائهم  
إن شئتَ تسعد في الحياة وتنعماً<sup>٢</sup>



---

(١) الحية التي فيها سواد وبياض



علامة، ولقد وجدتُ مثلاً ما  
 لفظُ أرقُّ من النسيم إذا سرى  
 سحراً، وحلو كالكرى إن هو ما  
 وإذا نطقت ففي الجوارح نشوة  
 هي نشوة الروح ارتوت بعد الظما  
 وإذا كتبت ففي الطروس حدائق  
 وشئ حواشيها اليراع ونمنا  
 وإذا وقفت على المنابر أوشكت  
 أخشابها للزهو أن تتكلما  
 إن كنت قد أخطاك سريال الغنى  
 عاش ابن مريم ليس يملك درهما  
 وأحب حـتى من أحب هلاكة  
 وأعان حتى من أساء وأجرما  
 نام الرعاة عن الخراف ولم تنم  
 فإليك نشكو الهاجعين النوما  
 عبدوا الإله لغنم يرجونه  
 وعبدت ربك لست تطلب مغنما  
 كم روعوا بجهنم أرواحنا  
 فتأملت من قبل أن تتألما!  
 زعموا الإله أعد لها العذابنا  
 حاشا، وربك رحمة، أن يظلمنا  
 ما كان من أمر الورى أن يرحموا  
 أعداءهم إلا أرق وأرحمنا  
 ليست جهنم غير فكرة تاجر  
 الله لم يخلق لنا إلا السما

\*\*\*\*



## ٢٢ - الخمر والدنيا

[الرجز]

يشربُ بنتَ الكرمِ بعضُ الناسِ  
لِكُربَةٍ في النفسِ أو وسواسِ  
وبعضُهمُ لأنه قد ظفِرا  
وبعضُهمُ لأنه قد خسِرا  
وبعضُهمُ لأنه في فرحِ  
وبعضُهمُ لأنه في ترحِ  
وبعضهمُ كي يستردُّ الأَمْسَا  
وبعضهمُ يجرعُها كي ينسى  
وبعضُهمُ ليستفيد قوَّة  
وبعضهمُ لسورةِ الفتوة  
وبعضُهمُ كيما يحلَّ مشكله  
وبعضُهمُ لأنه لا شُغلَ له  
وبعضُهمُ عن رغبةٍ وعن هوى  
وبعضُهمُ لعلَّه يُرضي السَّوى  
وبعضُهمُ من حُبِّه للبائعِ  
وبعضُهمُ نكايةً لِمَنعِ!  
وبعضُهمُ يشربُها أحيانا  
وبعضُهمُ في أيِّ وقتٍ كانا  
وبعضُهمُ مع صحبِهِ في الدارِ  
وبعضُهمُ في حانةِ الخُمَارِ

وبعضُهم في زمرة النُّدمانِ  
وبعضُهم في وحدة الرُّهبانِ  
وبعضُهم في الصيف ذي الرمضاءِ  
وبعضُهم في زمن الشتاءِ  
وبعضُهم عند انجياب الظلمةِ  
وبعضُهم عند طلوع النجمةِ  
وبعضُهم يذمُّها استهجاناً  
وبعضُهم يمدحُها استحساناً  
لكنَّهم كلُّهم يحسُّوها  
الماحُوها والمقبُّحُوها  
فما وجدتُ في زمانِي رجلاً  
وقلتُ: هل تحبُّها؟ فقال: لا  
وسِرُّ هذا أنها كالدنيا  
تؤذي ولكن مع أذاها تُهوى

\*\*\*\*

## ٢٣ - لَمَّا

عَجِباً لَمَنْ أَمْسَى وَكُلُّ فَخَارِهِ  
بِنُضَارِهِ الْمَخْبُوءِ فِي الصَّنَدُوقِ  
مَاذَا يَقُولُ إِذَا اللَّصُوصُ مَضُوا بِهِ  
وَأَقَامَ بَعْدَ نُضَارِهِ الْمَسْرُوقِ؟  
إِنْ يَرْفَعِ الْمَالُ الْكَرِيمَ فَإِنَّهُ  
لِلنَّذْلِ مِثْلُ الْحَبْلِ لِلْمَشْنُوقِ  
لَمَّا صَدِيقِي صَارَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى  
أَيَقْنْتُ أَنِّي قَدْ أَضَعْتُ صَدِيقِي!..

\*\*\*\*\*

## ٢٤ - تأملات

[الكامل]

ليت الذي خلق الحياة جميلة  
لم يُسدل الأستار فوق جمالها  
بل ليته سلب العقول فلم يكن  
أحد يعلل نفسه بمُناها  
ليه كم تُغري الفتى بوصالها  
وتضنُّ، حتى في الكرى، بوصالها  
تُدنيه من أبوابها بيَمينها  
وتردُّه عن خِدرها بِشِماليها  
كم قلت: هذا الأمرُ بعضُ صوابها  
فوجدته بالخبر بعضُ مُحالها  
ولكم خُدتُ بِألها<sup>(١)</sup> وذممتُه  
ورجعتُ أظمأ ما أكونُ لآلها  
قد كنتُ أحسبُني أمنتُ ضلالها  
فإذا الذي خُمتُ كلَّ ضلالها  
إنَّ النفوسَ تغرُّها أمالها  
وتظلُّ عاكفةً على أمالها  
ذهب الصَّبَا وأنا أعالجُ سرَّها  
مُتَحيراً في كُنْهها ومالها  
حتى رأيتُ الشمسَ تُلقي نورها  
في الأرض، فوق سهولها وجبالها

---

(١) الغلَّة الذروة

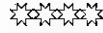
ورأيت أحقر ما بناه عنكب  
متلففاً ومطوّفاً بحبالها  
مثل القصور العاليات قبابها  
الشامخات على الذرا بقلالها<sup>(١)</sup>  
فعلّمت أن النفس تخطر في الحلّى  
والوشي، مثل النفس في أسمالها  
ليست حياتك غير ما صورتها  
أنت الحياة بصمتها ومقالها  
ولقد نظرت إلى الحمام في الربا  
فوجدت من حال الأنام وحالها  
للشوك حظّ الورد من تغريدها  
وشريكه، من بعد، في أعوالها  
تشدو وصاندها يمدّ لها الردى  
فاعجب لحسنة إلى مغتالها  
فغبطتها في أمنها وسلامها  
ووددت لو أعطيت راحة بالها  
وجعلت مذهبها لنفسي مذهباً  
ونسجت أخلاقي على منوالها  
من لج في ضيمي تركت سماءه  
تبكي عليّ بشمسها وهلالها  
وهجرت روضته فأصبح وردّها  
لليأس، كالأشواك في أدغالها  
وزجرت نفسي أن تميل كنفسه  
عن كوثر الدنيا إلى أحوالها

(١) الصلّ الحية التي تقتل إذا نهشت، من ساعتها

نَسِيَانَكَ الْجَانِي الْمَسِيءُ فَضِيلَةً  
وخمودُ نَارٍ جَدَّ فِي إشْعَالِهَا  
فَارِباً بِنَفْسِكَ، وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ،  
أَنْ تَجْعَلَ الْأَضْغَانُ مِنْ أَحْمَالِهَا



زَمَنُ الشَّبَابِ رَحِلْتَ غَيْرَ مُذَمِّمٍ  
وَتَرَكْتَ لِلْحَسِرَاتِ قَلْبِي الْوَالِهَا  
بَبَّتْ عَقَارِبُهَا إِلَيْهِ تَنْوِشُهُ  
وَرَمَتْ بِقَايَاهُ إِلَى أَصْلَالِهَا<sup>١</sup>  
لَمْ يَبْقَ مِنْ لِدَاتِهِ إِلَّا الرُّوَى  
وَمِنَ الصَّبَابَةِ غَيْرُ طَيْفِ خِيَالِهَا  
وَمِنَ الْكُؤُوسِ سِوَى صَدَى رَنَاتِهَا  
وَالرَّاحِ غَيْرُ خُمَارِهَا وَخَبَالِهَا  
يَا جَنَّةً عُوجِلَتْ عَنْ أَثْمَارِهَا  
وَلِذَاذَةُ عُرِّيَتْ مِنْ سِرْبِهَا  
مَا عَابَهَا شَيْءٌ سِوَى اضْمِحَالِهَا  
وَالذَنْبُ لِلْأَقْدَارِ فِي اضْمِحَالِهَا



وَمَلِيحَةٍ فِي وَجْهِهَا أَلْقُ الضُّحَى  
وَالسَّحَرُ وَالصُّهْبَاءُ فِي أَقْوَالِهَا  
قَالَتْ: أَيْنَسَى النَّازِحُونَ بِلَادَهُمْ؟  
مَا هَاجَ حُزْنُ الْقَلْبِ غَيْرُ سُؤَالِهَا  
الْأَرْضُ، سُورِيَا أَحَبُّ رِبْوَعِهَا

---

(١) المطر

(٢) الأسد

(٣) خيمة الناطور

(٤) الطائر، ومفرده قطاة

عندي، ولبنانُ أعزُّ جبالها  
والناسُ أكرمهم عليَّ عشيرها  
روحي الفداء لرهطها ولأهلها؛  
والشُّهْبُ أسطعها التي في أفقها  
ليس الجلالُ الحقُّ غيرَ جلالها  
وأحبُّ غيثٍ ما هَمي في أرضها  
حتى الحيا<sup>١</sup> الباكي على أطلالها  
مرحُ الصِّبَا الجدلان في أسحارها  
ومنى الصِّبَا الولهان في اصالها  
إني لأعرفُ ريحها من غيرها  
بنوافحِ الأشْداءِ في أنيالها  
تلك المنازلُ كم خطرَتْ بساحها  
في ظلِّ ضيغِها<sup>٢</sup> وعطفِ غزالها  
وشدوتُ معَ أطيَّارها، وسهرتُ معَ  
أقمارها، ورقصتُ معَ شلالها  
وسجدتُ للإلهام معَ صفصافها  
وضحكتُ للأحلام معَ وزالها<sup>٣</sup>  
وملأتُ عقلي من حديثِ شيوخها  
وأخذتُ شعري من لُغى أطفالها  
تشتاقُ عيني قبلَ يغمضُها الردى  
لو أنها اكتحلتْ ولو برمالها  
مرتَّ بي الأعوامُ تقفوبعضها  
وثبَّ القطارُ، تعدو إلى أجالها  
وتعاقبتْ صورُ الجمالِ فلم يدم  
في خاطري منها سوى تمثالها

---

(١) الكوكب الدرِّي النجم المضيء

\*\*\*\*



## ٢٥ - شاعر الشهور

[مطلع البسيط]

أيارُ يا شاعرَ الشُّهورِ  
وبسمة الحبِّ في الدهورِ  
وخالق الزهرِ في الروابي  
وخالق العطرِ في الزهورِ  
وباعث الماءِ ذا خريـرِ  
وموجد السَّحَرِ في الخريـرِ  
وغاسلِ الأفقِ والدراري  
والأرضِ، بالنورِ والغبيرِ  
لقد كسوت الثرى لباساً  
أجملَ عندي من الحريرِ  
ما فيك قرٌّ ولا هجيرُ  
ذهبت بالقرِّ والهجيرِ  
فلا ثلوجٌ على الروابي  
ولا غمامٌ على البـدورِ  
أتيت فالكونُ مـهـرجانُ  
من اللذاتِ والحُبـورِ  
أيقظت في الأنفسِ الأمانِ  
والابتساماتِ في التُّغورِ  
وكدت تُحيي الموتى البـوالي  
وتُنبت العُشبَ في الصـخورِ  
وتجعلُ الشُّوكَ ذا أريجٍ

وتَجْعَلُ الصَّخْرَ ذَا شَعُورٍ  
 فَأَيْنَمَا سِرْتُ صَوْتُ بَشْرِي  
 وَكَيْفَ مَا مَاتَ طَيْفُ نَوْرٍ  
 تَشْكُو إِلَيْكَ الشِّتَاءَ نَفْسِي  
 وَمَا جَنَاهُ مِنَ الشُّرُورِ  
 كَمْ لَذْعُ الزُّمَّهْرِيِّرِ جَالِدِي  
 وَدُبُّ حَتَّى إِلَى ضَمِيرِي  
 فَلُذْتُ بِالصُّوفِ أَتَّقِيهِ  
 فَاخْتَرَقَ الصُّوفُ كَالْحَرِيرِ  
 وَكَمْ لَيْالٍ جَالِسْتُ وَحْدِي  
 مُنْقَبِضِ الصَّدْرِ كَالْأَسِيرِ  
 يَهْتَزُّ مَعَ أُنْمَلِي كِتَابِي  
 وَيَرْجِفُ الْحَبْرُ فِي السُّطُورِ  
 تَعُولُ فِيهَا الرِّيحُ حَوْلِي  
 كَنَانِحَاتٍ عَلَى أَمِيرِ  
 وَالْغَيْثُ يَهْمِي بِلا انْقِطَاعٍ  
 وَالرَّعْدُ مُسْتَتَبِعُ الزَّنِيرِ  
 وَاللَّيْلُ مُحَلُولُكَ الْحَوَاشِي  
 وَصَامَتِ الْبَدْءُ وَالْأَخِيرِ  
 وَالشُّهْبُ مَرْتَاعُهُ كَطِيرِ  
 مَخْبِئَاتٍ مِنَ الصُّقُورِ  
 فِي غُرْفَتِي مَوْقِدٌ صَغِيرٌ  
 لِّلَّهِ مِنْ مَوْقِدِي الصُّغِيرِ!  
 يَكَادُ يَنْقُدُ جَانِبَاهُ

من شدة الغيظ لا السَّعِير  
لولا لظاهُ رقصتُ فيها  
بغير دُفٍّ على سريري  
وساعةً وجهها صفيقُ  
كأنه وجهُ مُستعير  
أبطأ في السَّير عَقرباها  
فأبطأ الوقتُ في المسير  
حتى كأنَّ الزمانَ أعمى  
يمشي على الشُّوكِ في الوعر  
كنا طوينَا المُنَى وقلنا:  
ما للأمانِي من نشور  
فلو يزورُ الصِّدور حُلُمُ  
عرجُ منها على قبور  
لقد تولَّى الشِّتاءُ عنَّا  
فصَفَّقِي يا مَنى وطيري!

\*\*\*\*

## ٢٦ - الكأس الباقية

[الخفيف]

دمعة على جبران خليل جبران  
أيها الشاعرُ الذي كان يشدو  
بين ضاحٍ من الجمال وضاحٍ  
جلل أن يصيدك القدرُ الأعـ  
مى ويمشي مقصه في جناح  
موكب الشعـر تائه في فضاء  
ليس فيه سوى حطيم سلاح  
والبسـاتين، والبلابل فيها  
تتغنى، حزينه لرواح  
قنعت بالنواح منك فامـا  
زال عاشت بذكريات نواح  
والدجى، والنجوم تسطع فيه،  
واجم حـسرة على مصباح  
تلمس العين أينما لمسته  
جمرات التياحنا والتياح<sup>(١)</sup>  
قد تولت جلاله السحر عنه  
واضمحلّت مذ صار غير وشاح  
~~~~~  
هبطت ربه الحياة لكي تسـ  
كـب خمر الجمال في أقداح  
فاذا أنت في السرير مسجى

صامتٌ كالطيوفِ في الواحِك  
فتولّت مذعورةً تلطمُ الوجّه  
ه وتبكيك، يا قتيل سَماحِك!  
سبقَتْها الإلهةُ الموتِ كي تحُ  
ظى ولو باليسيرِ من أفراحِك  
ويحها! ويح حبّها من أثيمٍ  
طردتْنا ولم تُقمِ في سَاحِك  
أيبستَ روضك الجميل، ولم تطّ  
فرّ بغيرِ التُّرابِ من أَوَاحِك  
ذهب الموتُ بالكؤوسِ جميعاً  
غيرِ كأسِ ملأتها من جراحِك!

\*\*\*\*\*

## ٢٧ - الشجاع

[الخفيف]

لا أحبُّ الإنسانَ يرضخُ للومِ  
مَ ويرضى بتأفّهاتِ الأمانِ  
إنَّ حياءَ يهابُ أنْ يلمسَ النُّوْ  
رَ كَمِيتٍ في ظُلْمَةِ الأكفانِ  
وحياةٌ أمدّ فيها التَّوقى  
لا توازي في الجدِّ بضعَ ثوانِ  
الشجاعُ الشجاعُ عندي من أم  
سنى يغنى والدمعُ في الأجفانِ

\*\*\*\*

---

(١) عش الطائر في جبل أو جدار (أقل من الوكر)

## ٢٨ - أبي

[الطويل]

طوى بعض نفسي، إذ طواك الثرى عني  
وذا بعضها الثاني يفيض به جفني  
أبي! خانني فيك الردى فتقوّضت  
مقاصير أحلامي كَبَيْتٍ مِنَ التَّبْنِ  
وكانت رياضي حاليات ضواحكا  
فأقوت، وعفى زهرها الجزع المُضني  
وكانت بناني بالسُرور مليئة  
فطاحت يد عمياء بالخمير والدن  
فليس سوى طعم المنيّة في فمي  
وليس سوى صوت النوادر في أذني  
ولا حسن في ناظري وقلّما  
فتحتُهما من قبل إلا على حسن  
وما صور الأشياء بعدك غيرها  
ولكنما قد شوّهتْها يدُ الحزن  
على منكبي تبرّ الضحى وعقيقه  
وقلبي في نار وعيناي في دجن<sup>(١)</sup>  
أبحثُ الأسى دمعِي وأنهبته دمي  
وكنتُ أعدُّ الحزن ضرباً من الجبن  
فمستنكر كيف استحالت بشاشتي

(١) ضعف الرأي (ومنه مأفون)

(٢) العبد القن هو العبد المملوك هو وأبواه

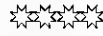
كمستنكر في عاصف رعدة الغصن  
يقول المعزي ليس يجدي البكا الفتى  
وقول المعزي لا يفيد ولا يغني



شخصت بروحي حائراً متطلعاً  
إلى ما وراء البحر أدنو وأستدني  
كذات جناح أدرك السيل عشها  
فطارت على روع تحوم على الوكن  
فواهاً لو أنني كنت في القوم عندما  
نظرت إلى العواد تسألهم عني  
ويا ليتما الأرض انطوى لي بساطها  
فكنت مع الباكين في ساعة الدفن  
لعلي أفي تلك الأبوة حقها  
وان كان لا يوفى بكيل ولا وزن  
فأعظم مجدي كان أنك لي أب  
وأكبر فخري كان قولك: ذا ابني!  
أقول: لو أنني.. كي أبرد لوعتي  
فيزداد شجوي كلما قلت: لو أنني!  
أحتي وداع الأهل يحرمه الفتى؟  
أيا دهر هذا منتهى الحيف والغبن!  
أبي! وإذا ما قلتها فكانني  
أنادي وأدعوا ملاذي ويا ركني  
لمن يلجأ المكروب بعدك في الحمى  
فيرجع ريان المني ضاحك السن؟



خلعت الصبا في حومة المجد ناصعاً  
ونُزّه فيك الشيب عن لُوثَةِ الأفن<sup>(١)</sup>  
فذهنُ كنجِ الصيف في أول الدجى  
ورأي كحد السيف أو ذلك الدهن  
وكنت ترى الدنيا بغير بشاشة  
كأرض بلا ماء وصوت بلا لحن  
فما بك من ضرٍ لنفسك وحدها  
وضحكك والإيناس للجار والخدن  
جريء على الباغي، عيُوف عن الخنا،  
سريع إلى الداعي، كريم بلا من  
وكنت إذا حدثت حدثت شاعرٌ  
لبيب دقيق الفهم والذوق والفن  
فما استشعر المصغي اليك ملالة  
ولا قلت إلا قال من طرب: زدني!



برغمك فارقت الربوع، واننا  
على الرغم منّا، سوف نلحق بالظعن  
طريق مشى فيها الملايين قبلنا  
من الملك السامي إلى عبده القن<sup>٢</sup>  
نظن لنا الدنيا وما في رحابها  
وليست لنا إلا كما البحر للسفن  
تروح وتغدو حُرّة في عبابه  
كما يتهاذى ساكن السجن في السجن  
وزنت بسر الموت فلسفة الورى

---

(١) طير أبيض والذكر قُمري

فشالت، وكانت جعجات بلا طحن  
فأصدق أهل الأرض معرفته به  
كأكثرهم جهلاً يرجم بالظن  
فذا مثل هذا حائر القلب عنده  
وذاك كهذا ليس منه على أمن  
فيا لك سيفراً لم يزل جد غامض  
على كثرة التفصيل في الشرح والمثن  
أيا رمز لبنان جلالاً وهيبة  
وحصن الوفاء المحض في ذلك الحصن  
ضريحك مهما يستسر، وبلدة  
أقمت بها تبني الحامد ما تبني  
أحب من الأبراج طالت قبائرها  
وأجمل في عيني من أجمل المدن  
على ذلك القبر السلام فذكره  
أريج به نفسي، عن العطر تستغني

\*\*\*\*

## ٢٩. ذكرى

[الكامل]

أني أمروؤ لا شيء يَطْرُبُ روحه  
ويَهْزُها كالزهر والألحان  
الحن من قُمْرِيَّةٍ أو مُنْشِدٍ  
والزهر في حقل وفي بستان  
هذا يَحْرُكُ بي دفين صبابتي  
ويَهْزُ ذاك مشاعري وكياني  
يهوى الملاحه ناظري صوراً تُرى  
وأحبُّها في مَسْمَعِي أغاني  
وأحبُّها نوراً جميلاً صافياً  
متألِّقاً في النفس والوجدان  
وأحبُّها سِحْراً يرفُّ مع الندى  
ويموجُّ في الألوان كالألوان  
وأحبُّها ذكرى تُطِيفُ بخاطري  
لأخ هَوَيْتُ، وغادة تهواني  
أو مجلسُ الحبِّ في ظلِّ الصِّبا  
إن الحياةَ جميعها هذان  
أو في خيالِ منازلٍ اشتاقُّها  
كم من جمالٍ في خيالِ مكان  
ولقد نظرتُ إليكم فكانما  
أنا في الربيع، وفي رُبَا لبنان  
أُصْغِي إلى النُسماتِ تروي للرُّبا

ما قالت الأشجار للغدران  
والى السواقي وهي تُنشد للصبا  
والحب، في الفتيات والفتيان  
والى الأزاهر كلما مرت بها  
عذراء ذات ملاحظة وبيان  
مُتهامسات: ما نظن (فلانة)  
أحداً بها أولى من (ابن فلان)  
يا ليت ينثرنا الغرام عليهما  
من قبل ينثرنا الخريف الجاني  
الفت مجاورة الأنام فأصبحت  
وكأنها شيء من الإنسان  
فإذا نظرت إليهما متاملاً  
شاهدت حولك وحدة الأكوان

\*\*\*\*

## ٣٠- يا جنتي

[الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدِّكَ  
وَشَقَانِقَ النُّعْمَانِ فِي شَفَتِكَ  
وَنَشَقَّتْ مِنْ فَوْدِكَ نَدًّا عَاطِرًا  
لَمَّا مَشَتْ كَفَاكَ فِي فَوْدِكَ  
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مَتَوَجِّيًا  
وَالْقُلُوبَ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدِكَ  
وَسَمِعْتُ حَوْلَكَ هَمْسَ أَرْوَاحِ الصَّبَا  
عِنْدَ الصَّبَاحِ، تُهَزُّ مِنْ عِطْفِكَ  
أَيَقْنَنْتُ أَنَّكَ جَنَّةٌ خَالِبَةٌ  
فَحَنَنْتُ، مِنْ بَعْدِ الْمَشْيِبِ، إِلَيْكَ  
وَلِذَاكَ قَدْ صَيَّرْتُ قَلْبِي نَحْلَةً  
يَا جَنَّتِي، كَيْمَا يَحُومُ، عَلَيْكَ  
رُوحِي فِدَاؤُكَ إِنَّهَا لَوَلَمْ تَكُنْ  
فِي رَاحَتِكَ هَوْتُ عَلَى قَدَمَيْكَ

\*\*\*\*\*

---

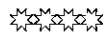
(١) الذي يعيي الأطباء

### ٣١ - الشاعر في السماء

[مطلع البسيط]

راني الله ذات يوم  
في الأرض أبكي من الشقاء  
فرق، والله نوحنان،  
على ذوي الضر والعناء  
وقال: ليس التُّرابُ داراً  
لشعر، فارجع إلى السماء!  
وشاد فوق السماء بيتي  
ومد ملكي على الفضاء  
فالتفت الشهب حول عرشي  
وسار في طاعتي الضياء  
وصرت لا ينطوي صباح  
الأمري ولا مساء  
ولا تسوق الغيوم ريح  
الأولي فوقها لواء  
فالأمربين النجوم أمري  
لي الحكم فيها ولي القضاء  
~~~~~  
لكنني لم أزل حزينا  
مكتئب الروح في العلاء  
فاستغرب الله كيف أشقى  
في عالم الوحي والسُّناء

وقال: ما زال ادميًّا  
 يصبو الى الغيد والطلاء  
 ومسّ روعي واسئل منها  
 شوقي الى الخمر والنساء  
 وطنّ اني انتهي بلاني  
 فلم يزني سوى بلاء  
 واشتدّ نوحى وصار جهرًا  
 وكان من قبل في الخفاء  
 وصار دمعى سيول نار  
 وكان قبلًا سيول ماء



يا أيها الشاعر المعنى  
 حيّرني داؤك العياء  
 هل تشتهي أن تكون طيرًا؟  
 فقلت: كلاً، ولا غناء!  
 هل تشتهي أن تكون نجماً؟  
 أحببت: كلاً، ولا بهاء!  
 هل تبغى المال؟ قلت: كلاً  
 ما كان من مطايعي الثراء  
 ولا قصوراً، ولا رياضاً  
 ولا جنوداً ولا إماء  
 وليس ما بي يا ربُّ داء  
 ولا احتياجي الى نواء  
 ولا حنيني الى القناني

ولا أَشْتِيَاقي إِلَى الْخُطْبَاءِ  
 وَلَا أُرِيدُ الَّذِي لِيْغْيِيْرِيْ  
 ذَا حَكْمَةٍ كَانَ أُمُّ مَضَاءِ  
 لَكِنْ أَمْنِيَّةٌ بِنَفْسِي  
 يَسْتَرْهَا الْخَوْفُ وَالْحَيَاءُ!  
 فَقَالَ: يَا شَاعِرًا عَجِيبًا  
 قُلْ لِي: إِنَّ مَا الَّذِي تَشَاءُ؟  
 فَقُلْتُ: يَا رَبِّ فَصِلْ صَيْفٍ  
 فِي أَرْضِ لَبْنَانٍ أَوْ شَتَاءِ  
 فَإِنَّنِي هَهُنَا غَرِيبٌ  
 وَلَيْسَ فِي غُرْبَةٍ هُنَاءُ!  
 فَاسْتَخْضَحَ اللَّهُ مِنْ كَلَامِي  
 وَقَالَ: هَذَا هُوَ الْغَيْبَاءُ  
 لَبْنَانُ أَرْضُ كُلِّ أَرْضٍ  
 وَنَاسُهُ وَالْوَرَى سَوَاءُ  
 وَفِيهِ بُؤْسِي وَفِيهِ نَعْمِي  
 وَ أَرْدِيَاءُ وَأَتَقَرِّيَاءُ  
 فَأَيُّ شَيْءٍ تَشْتَاقُ فِيهِ؟  
 فَقُلْتُ: مَا سَرَّنِي وَسَاءُ!  
 تَحَنُّنُ نَفْسِي إِلَى السُّوَاقي،  
 إِلَى الْأَقْصَاحِي، إِلَى الشُّذَاءِ  
 إِلَى الرُّوَابِي تَعْرَى وَتُكْسَا  
 إِلَى الْعَصَافِيرِ وَالْغَنَاءِ  
 إِلَى الْعَيْنَاقِيْدِ وَالِدُّوَالِي

(١) الظبة حدّ السيف ، وجمعها في المعاجم ظبّات (ولامها واو ظبوت)



والماء والنور والهواء!  
فأشرف الله من علاه  
يشهد لبنان في المساء  
فقال: ما أنت ذا جنون  
وانمما أنت نوافس  
فإن لبنان ليس طوداً،  
ولا بلاداً، لكن سماء!

\*\*\*\*

## ٣٢ - كلوا واشربوا

[المتقارب]

كُلُوا وَاشْرَبُوا أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ  
وَأَنْ مَلَأَ السُّكَّ الْجَانِعُونَ  
وَلَا تَلْبِسُوا الْخَزْأَ جَدِيداً  
وَأَنْ لَبَسَ الْخِرْقَ الْبَانِسُونَ  
وَحُوطُوا قِصُورَكُمْ بِالرِّجَالِ  
وَحُوطُوا رِجَالَكُمْ بِالْحِصُونِ  
فَلَا تُبْصِرُونَ ضَحَايَا الطُّوَى  
وَلَا يُبْصِرُونَ الَّذِي تَصْنَعُونَ  
وَأَنْ سَاءَ كُفُّهُمْ فِي الْوُجُودِ  
وَأَنْ عَجِبَكُمْ أَنْهُمْ يَغُولُونَ  
مُرُوا فَتَصُولُ الْجَنُودُ عَلَيْهِمْ  
تَعْلَمُهُمْ كَيْفَ فَتَكُ الْمُنُونِ  
فَهُمْ مَعْتَدُونَ، وَهُمْ مَجْرُمُونَ،  
وَهُمْ مَقْلِقُونَ، وَهُمْ ثَانِرُونَ  
وَتِلْكَ الْعِصْيُ لَتِلْكَ الرُّؤُوسِ  
وَتِلْكَ الْحِرَابُ لَتِلْكَ الْبُطُونِ  
وَتِلْكَ السُّجُونُ لِمَنْ شَدَّتْ مُوَاهَا  
إِذَا لَمْ تَرْجُوهُمْ فِي السَّجُونِ؟  
كُلُوا لِلطُّبَا حُلُقُ هَامَاتِهِمْ  
فَإِنَّ الْمُلُوكَ كَذَا يَفْعَلُونَ  
إِذَا الْجَنْدُ لَمْ يَحْرُسُوكُمْ وَأَنْتُمْ

سِرَاقَةُ<sup>١</sup> الْبِلَادِ فَمَنْ يَحْرُسُونَ؟  
وَأِنْ هُمْ لَمْ يَقْتُلُوا الْأَشْقِيَاءَ  
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، مَنْ يَقْتُلُونَ؟  
وَلَا يَحْزَنُنَاكُمْ مَوْتُهُمْ  
فَإِنْهُمْ لَأُرْدَى يُؤَلَدُونَ  
وَقُولُوا كَذَا قَدْ أَرَادَ الْإِلَهُ  
وَأَنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا يَكُونُ  
وَيَا فُقَرَاءَ مَاذَا التَّشْكِي؟  
أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ أَلَا تَخْجَلُونَ؟  
دَعُوا الْأَغْنِيَاءَ وَلِذَاتِهِمْ  
فَهُمْ مِثْلُ لِدَاتِهِمْ زَانِلُونَ  
سَيُمَسُّونَ فِي سَقَرٍ خَالِدِينَ  
وَتَمَسُّونَ فِي جَنَّةٍ تَنُوعُمُونَ  
فَلَا تَعْطَشُونَ، وَلَا تَسْغَبُونَ،  
وَلَا يَرْتَوُونَ، وَلَا يَشْبِعُونَ  
لَكُمْ وَحْدَكُمْ مَالُكُوتُ السَّمَاءِ  
فَمَا بِالْكُمْ لَسْتُمْ تَقْنَعُونَ؟  
فَلَا تَحْزَنُوا أَنْكُمْ سَاهِرُونَ  
فَسَوْفَ تَنَامُونَ مَلَأَ الْجَفُونَ  
سَتَتَّكِنُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ  
تَظَلُّ الْكُمْ وَارْفَاتُ الْغُصُونِ  
يَضُوعُ السَّنَا حَوْلَكُمْ بِالشُّذَا  
وَتَجْرِي الْطَّلَا أَنْهَرًا وَعُيُونَ  
وَتَسْقِيكُمْ الْخَمْرُ حُورٌ حَسَنَاتُ  
كَمَا يَشْتَهَيْنَ، كَمَا تَشْتَهَوْنَ

كذا وعد الله أهل التُّقَى  
وأنتم همُّ أيها المتعبون  
ألا تؤمنون بقول الكتاب؟  
فويل لكم أنكم كافرون!

\*\*\*\*

---

(١) مزامير النبي داود (الزبور) و(اسحق الموصلي) و(معيد) من معني التراث العناني العربي في العصرين الأموي  
(معيد) والعباسي (الموصلي)

### ٣٣. حديث موجة

[الكامل]

قالها في حفلة تكريم سامي الشّوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها.

عندي لكم نبأ عجيبٌ شيقٌ  
سأقصه عليكم تفسيره  
إني رأيت البحر أخرس ساهياً  
كالشيخ طال بما مضى تفكيره  
فسألت نفسي حائراً متلجلجاً:  
يا ليت شعري أين ضاع هديره؟  
بالأمس قالت موجةٌ ثرثارةٌ  
ومضت، فأكملت الحديث صخوره:  
بالأمس مرّ بنا فتى من قومكم  
رقت شمعانله ودق شعوره  
مترنح من خمرة قدسية  
فيها الهوى وفتونه وفتوره  
مترفوق في مشبه يطاء الثرى  
وكانما بين النجوم مسيره  
يلهو بأوتار الكمنجة والدجى  
مرخية، فوق العباب، ستوره  
يهدي إلى الوطن القديم سلامه  
وينشد الوطن الذي سيزوره  
فشجاً الخضم نشيده ومتافه  
فسها، فضاغ هديره وزنيره

أعرفتموه؟.. إنه هذا الفتى  
هذا الذي سحر الخضم مُروره  
داود والمزمار في نغماته  
والموصلي و معبد وسريره  
يا ضيفنا، والأنس أنت رسوله  
وبشيره، والفن أنت أميره  
لو شاع في الفردوس أنك بيننا  
لمشت إلينا سافرات حوره  
ذهب الربيع وجئتنا فكانما  
جاء الربيع، زهوره وطيره  
الفن هش اليك في أمرائه  
وتفتحت لك نوره وقصوره  
إن الجواهر بالجواهر أنسها  
أما التراب فبالتراب حوره  
يا شاعر الألحان! اني شاعر  
أمسى ضئيلاً عند نورك نوره  
أسمى الكلام الشعور إلا أنه  
أسماه<sup>٢</sup> ما أعيا الفتى تصويره  
وأحب أزهار الحدائق وردّها  
وأحب من ورد الرياض عبيره  
أنت الفتى، لك في النسيم حقيقه،  
ولك الغدير صفاؤه وخريره  
القوم صاغية اليك قلوبهم  
والليل من نصته اليك بدوره  
وبهذه الأوتار سحر جائل

متململٌ كالوحي حان ظهوره  
 ان كنت لا تهتاجُهُ وتُثِيرُهُ  
 فمن الذي يَهْتَاجُهُ ويُثِيرُهُ؟  
 دغدغَ بريشتك الكمنجة ينطلقُ  
 ويدبُّ في أرواحنا تأثيره  
 وامشِ بنا في كل لحنٍ فاتنٍ  
 كالماء يجري في الغصونِ ظهوره  
 وأدرِ على الجلاسِ أكوابَ الهوى  
 في راحتيك سُلَافُهُ وعصيرُهُ  
 فيخفُّ في الرجلِ الحليمِ وقاره  
 ويراجعُ الشيخُ المسنُّ غروره  
 وتنامُ في صدرِ الشُّجيِّ همومه  
 ويفيقُ في قلبِ الحزينِ سروره  
 هذي الجموعُ الآنَ شخصٌ واحدٌ  
 لك حكمه، وكما تشاءُ مصيره  
 إن شئتَ طال هُتافُهُ ونشيدُهُ  
 أو شئتَ دام نُواحُهُ وزفيرُهُ  
 أنا وهبناك القلوبَ ولم نهبْ  
 إلا الذي لك قبل أنَا تدبيرُهُ!

\*\*\*\*\*

(١) قبووم كل شي، مقدمه وصدره

(٢) النجر والنجار الأصل والحسب

### ٣٤ - ابسمي

[الرمل]

ابسمي كالورد في فجر الصُّبَا  
وابسمي كالنجم أنْ جَنَّ المساءُ  
وَإِذَا مَا كَفَّنَ الثَّلَاجُ الثُّرَى  
وَإِذَا مَا سَتَّرَ الغَيْمُ السَّمَاءَ  
وَتَغَرَّى الرُّوضُ مِنْ أَزْهَارِهِ  
وَتَوَارَى النُّورُ فِي كَهْفِ الشِّتَاءِ  
فاحلُمِي بالصَّيْفِ ثُمَّ ابْتَسِمِي  
تَخْلُقِي حَوْلَكَ زَهْرًا وَشَدَاءَ  
وَإِذَا سَرَّ نَفْسًا أَنْهَا  
تُحَسِّنُ الْأَخْذَ فَسُرِّي بِالْعَطَاءِ  
وَإِذَا أَعْيَاكَ أَنْ تُعْطِيَ الْغَنَى  
فافرحي أَنَّكَ تُعْطِينَ الرِّجَاءَ

\*\*\*\*

---

(١) السحاب لأنه يعترض في الأفق



۳۵ - مجاهد

[الكامل]

ألقى هذه القصيدة في الحفلة التذكارية التي أقامتها جمعية الشبان المسلمين في مسرح أكادمي أوف ميوزك في بروكلين لفقيد الأمة موسى كاظم باشا الحسيني:

قالوا قضى موسى فقلتُ قد انطوى  
علمٌ، وأُغْمِدَ صَارِمٌ بَتَّارٌ  
فَتَشَوُّشَتْ صُورُ الْمُنَى وَتَنَاثَرَتْ  
كَالزَّهْرِ بَدَدٌ شَمَلَهَا الْإِعْصَارُ  
وَكَانَمَا وَتَرَ الرَّدَى كُلُّ أَمْرٍ  
لَمَّا تَوَلَّى ذَلِكَ الْجَبَّارُ  
جَزِعَتْ لِمَصْرَعِهِ الْبِلَادُ كَأَنَّمَا  
قَدْ غَابَ عَنْهَا جَحْفَلُ جَرَّارٍ  
وَبَكَتْ فَلَسْطِينُ بِهِ قَيْدُومُهَا<sup>١</sup>  
إِنَّ الرِّزَايَا بِالْكَبَارِ كِبَارُ  
لَمَّا نَعَوْهُ نَعَوْا إِلَيْنَا سَيِّدَا  
شَرُفَتْ خِلَانُكُهُ وَطَابَ نَجَارُ<sup>٢</sup>



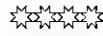
ليس الصَّبا ونضاهُ غير مدنِّسٍ  
كالنَّجم لم تعلقْ به الأوضارُ  
ومشى المشيبُ برأسه فإذا به

(١) النضار الذهب الحالص

(٦) السراب



أَيَّارُ مَذْكُورٌ بِحُسْنِ صَنِيعِهِ  
 وَلَيْئَن تَوَلَّى وَانْقَضَى أَيَّارُ  
 فَاخْدُمْ بِلَادَكَ مِثْلَ مُوسَى كَاطِمِ  
 تُسْبِغْ عَلَيْكَ ثَنَاءَهَا الْأَمْصَارُ  
 إِنَّ السَّنِينَ كَثِيرَهَا كَقَلِيلِهَا  
 إِنْ لَمْ تَزِنْ صَفَحَاتِهَا الْأَثَارُ  
 فَاصْرِفْ عِنَانَكَ فِي الشَّيَابِ إِلَى الْعُلَا  
 بُرْدُ الشَّبِيبَةِ كَالْجَمَالِ مُعَارِ  
 لَا تَقْعُدَنَّ عَنِ الْجِهَادِ إِلَى غَدٍ  
 فَلَقَدْ يَجِيءُ غَدٌ وَأَنْتَ غُيَارُ  
 مَاذَا يُفِيدُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ الثَّرَى  
 وَلِغَيْرِكَ الْأَصَالُ وَالْأَسْحَارُ  
 مَنْ لَيْسَ يَفْتَحُ لِلنَّهَارِ جَفْوَتَهُ  
 هَيِّهَاتِ يَكْحُلُ مَقَاتِيهِ نَهَارُ



وَأَحِبِّبْ بِلَادَكَ مِثْلَ مُوسَى كَاطِمِ  
 حُبِّبْ بِهِ الْإِخْلَاصُ وَالْإِيثَارُ  
 تَضْفِرْ لِرَأْسِكَ مِنْ أَزَاهِرِهَا الرُّبَا  
 تَاجًا، وَتَهْتِفْ بِاسْمِكَ الْأَغْوَارُ  
 إِيَّاكَ تَرْمُقُهَا بِمَقْلَةٍ تَاجِرِ  
 إِنْ أَتَجَارَكَ بِالْمُوَاطِنِ عَارُ  
 وَدِعِ الْمُنَافِقَ لَا تَتَّقْ بَعْهُوَدِ  
 وَطَنُ الْمُنَافِقِ فِضَّةٌ وَنُضَارُ<sup>(١)</sup>

(١) الاسم من الرُّوْعَانِ الْإِقْبَالِ وَالْمِيلِ، مِثْلُ (الْمِرَاوِغَةِ)

(٢) أَرْجُ الطَّيِّبِ فَاحٍ (أَرْجُ بَارِجُ)

## ٣٦ - الكريم

[مجزوء الكامل]

قالوا: ألا تصفُ الكريم لنا؟ فقلتُ على البديء:  
إنَّ الكريم لكالربيع، تحبُّهُ للحُسْن فيه  
وتهشُّ عند لقائه، ويغيبُ عنك فتشَّتْهيه  
لا يرتضي أبداً لصاحبه الذي لا يرتضيه  
وإذا الليالي ساءفتُهُ لا يُدلُّ<sup>(١)</sup> ولا يتيه  
وتراه يبسمُ هازناً في غمرة الخطب الكريمه  
وإذا تحرقُ حاسدوه بكى ورقاً لحاسديه  
كالورد ينفجُ بالشُّدا حتى أنوف السَّارقيه

\*\*\*\*

---

(١) أصل المعنى أبلَّ به وثق وأكسبها هنا معنى التفاخر والتباه

## ٣٧ - عبء

[المقدارك]

فوق الجُمَيِّزة سَنَجَابُ  
والأرنَبُ تَمَرَحُ في الحَقْلِ  
وَأَنَا صَيَّادٌ وَتَّابُ  
لكنَّ الصَّيْدَ على مثلي  
مَحْظُورٌ إِذْ إِنِّي عَبْدُ  
والسَّيِّدِ الْأَبْيَضِ في القَنْ  
يَخْتَالُ كِيُوسَفِ في الحُسْنِ  
وَأَنَا أَتَمَنَّى لَو أَنِّي  
أَصْطَادُ السَّيِّدِ وَلَكِنِّي  
لَا أَقْدِرُ إِذْ إِنِّي عَبْدُ  
وَفَتَاتِي فِي تِلْكَ الدَّارِ  
سُودَاءُ الطُّلُوعِ كَالْقَارِ  
سَيَجِيءُ وَيَأْخُذُهَا جَارِي  
يَا وَيْحِي مِنْ هَذَا الْعَارِ!  
أَفَلَا يَكْفِي أَنِّي عَبْدٌ؟!

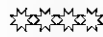
\*\*\*\*\*

## ٣٨ - لبنان

[الكامل]

في حفل توديع صديق لبناني ، عائد إلى الوطن .  
اثنانِ أعيا الدهر أن يُبليهما :  
لبنانُ والأملُ الذي لذويه  
نشتاقهُ والصيفُ فوق هضابه  
ونحبُّهُ والثَّلجُ في واديه  
وإذا تمَدَّله ذُكاءُ حبالها  
بقلائد العُقَيانِ تستغويه  
وإذا تُنقِطُهُ السماءُ عشيَّةً  
بالأنجم الزهراءِ تسترضيه  
وإذا الصُّبايا في الحقول كزهريها  
يضحكن ضحكاً لا تكلف فيه  
هنُّ اللواتي قد خلَقن لي الهوى  
وسقَيْنني السَّحر الذي أسقيه  
هذا الذي صان الشباب من البلى  
وأبى على الأيام أن تطويه  
~~~~~  
ولربما جبلُ أشبَّهه به  
مُسْتَرْسلاً مع روعة التشبيه  
فأقولُ يحكيه، وأعلمُ أنه  
مهما سما هيئات أن يحكيه  
يا لذةً مكذوبةً يلهو بها  
قلبي ويعرفُ أنها تؤذيه

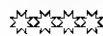
إني أذكّره بذّيّاك الحمي  
وجمّاله وإخالني أنسيه  
وإذا الحقائق أخرجت صدر الفتى  
ألقي مقالده إلى التّمويه  
وطني ستبقى الأرض عندي كلّها  
- حتى أعود إليه - أرض التّيه  
سألوا الجمال فقال: هذا هيكلي  
والشّعر قال: بنيت عرشي فيه



الأرض تستجدي الخضمّ مياهه  
وكنوزة والبحر يستجديه  
يُمسي ويصبح وهو منطرح على  
أقدامه طمعاً بما يحويه  
أعطاه بعض وقاره حتى إذا  
استجداه ثانية سخا ببنيه  
لبنان صنّ كنز العزائم واقتصد  
أخشى، مع الإسراف، أن تُفنيه



غيري يراه سياسة وطوائفاً  
ويظلّ يزعم أنه رائيه  
ويروح من إشفاقه يبكي له  
لبنان أنت أحق أن تبكيه  
لا يسفر الحسن النزيه لناظر  
ما دام منه الطّرف غير نزيه



قُلْ لِلأُلَى رَفَعُوا التُّخُومَ لِأَرْضِهِ  
ضَيِّقَتْهُمُ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِيهِ  
وَلَمَنْ يَقُولُونَ: الْفِرْنَجُ حُمَاتُهُ  
اللَّهُ قَبْلَ سَيُوفِهِمْ حَامِيهِ  
\*\*\*\*\*

يَا صَاحِبِي يَهْنِكُ أَنْكَ فِي غَدٍ  
سَتَعَانِقُ الْأَحْبَابَ فِي نَادِيهِ  
وَتَلْدُ بِالْأَرْوَاحِ تَعْبُقُ بِالشُّدَا  
وَتَهْزُكُ الْأَنْغَامُ مِنْ شَادِيهِ  
إِنْ حَدَّثُوكَ عَنِ النُّعِيمِ فَاطْنَبُوا  
فَاشْتَقَّتْهُ لَا تَنْسَ أَنْكَ فِيهِ!

\*\*\*\*\*



## ٣٩. أنت والكأس

[مجزوء الخفيف]

أنت والكأس في يدي  
فلِمَ من أنت في غدي؟  
فاسْتَشِطَّتْ لِقَوْلِي  
غَضَباً في تمرُّدٍ  
وأشاحت بوجْهِها  
وادَّعَتْ أَنَّني ردي!  
كاذِبٌ في صِبابِي  
مِذاقٌ<sup>١</sup> في تَوَدُّي  
قلتُ: عَفَوا فإِنْها  
سُورَةٌ من مُعَرَّبٍ  
وجرى الصَّالِحُ وَالْتَقَى  
تَغْرِها تَغْرِي الصَّدي<sup>٢</sup>  
أذعن القلبُ طائِعاً  
بِعِدْ ذاك التَّمرُّدِ  
فَنَعَمْنا هُنَيْهَةً  
بِالْوَلَاءِ المَجْدِّدِ  
بَيْنَ ماءٍ مَصْفُوقٍ<sup>٣</sup>  
وَهَزَارٍ مُغَرَّدِ

(١) لم يخلص في ودّه (منق) (يمنق)

(٢) صدي صدى عطش

(٣) تصفيق الماء تحويله من إناء إلى إناء

تُـمَّ عَادَتْ وَسْـاَوْسِي  
فَإَنَّا فِي تَرْدُّدٍ  
رَاعَهَا مَنِّي السُّكُو  
تُ فِذَمْتُ تَبِيَّ أُنْدِي  
قَالَتْ: الْحَبُّ سَرْمَدُ  
قُلْتُ: لَا شَيْءَ سَرْمَدِي  
أَتُحِبُّ بِي نَنِي إِذَا  
زَال مَجْدِي وَسُؤْدِي؟  
فَأَجَابَتْ لِفُورِهَا  
أَنْتِ، لَا الْمَجْدُ، مَقْصَدِي  
قُلْتُ: هَلْ تَحْفَظِينَ عَنْهُ  
بِي إِذَا ضَاعَ عَسْجَدِي؟  
فَأَجَابَتْ بِرُقَّةٍ  
أَنْتِ، مَا عَشْتُ، سَيِّدِي  
كُنْتُ كَالشَّمْسِ فِي الْغَنَى  
أَمْ فَقِيرًا كَجُدْجُدٍ  
حَسَنًا.. قُلْتُ ضَاحِكًا:  
يَا مَلَائِكِي وَفَرَّقَدِي  
إِنَّمَا هَلْ يَوْمٌ لِي  
حَبُّكَ الْمَشْرِقُ النُّدِي  
إِنْ حَنَى الدَّهْرُ قَامَتِي  
وَمَحَا الشَّيْبَ أَسْوَدِي  
وَانْطَوَى رَوْنَقُ الصَّبَا  
مِثْلَ بَرْقٍ بِفَدْفَدٍ<sup>١</sup>

---

(١) الفلاة التي لا شيء فيها

قَالَتْ: الشَّكُّ أَفْعُ الْـ  
 حَبِّ فَأَنْبُذْهُ تَسْعِدْ  
 لَيْسَ حُبِّيكَ لِمَا صَبَا  
 لَسْتُ فِيهِ بِأَوْحَدٍ  
 بَلْ لِمَا فِيكَ مِنْ صِفَا  
 تٍ وَمِنْ طَيِّبٍ مَحْتَدٍ  
 قَالَتْ وَالشَّكُّ رَائِحٌ  
 فِي ضَمِيرِي وَمُعْتَدٍ:  
 وَإِذَا غَالَنِي الْحَمَا  
 مٌ وَأَصَابَ بَحْتُ فِي غَدٍ  
 جُنَّةٌ لِقُهَا التُّرَى  
 بِالْظِلَامِ الْمَوِيدِ  
 لَيْسَ فِيهَا لِصَاحِبِ  
 أَرْبٍ أَوْ لِحُسْنٍ  
 وَسَرَى الدُّودُ حَوْلَهَا  
 يَتَغَذَّى وَيَعْتَدِي  
 وَمَرَرْتُ الْغَدَاةَ بِي  
 فَمَرَرْتُ بِجَأْمَدٍ  
 وَنَظَرْتُ فَلَمْ تَرِنِي  
 غَيْرَ عَظْمٍ مُجَرَّدٍ  
 بِعَثْرَتِهِ يَدُ الْبِلَى  
 كَنَفَايَاتٍ مَوْقِدٍ  
 هَلْ تَحْبِبُّ نَنِي إِنْ  
 لَخَالِي وَمَحْتَدِي؟

---

(١) الجلمد والجلمود الصخر

وَيَكْ! صَاحَتْ وَدَمْعُهَا  
 كَجُمَانٍ<sup>١</sup> مُبَدَّد  
 كَمْ تَظُنُّ الظَّنَّ نَوْبِي  
 أَيُّهَا الزَّائِعُ اهْتَدِ  
 أَشْهَدُ الصَّبِيحَ فَاثْخَا  
 فِي مَرْجِ الزُّبُرِ جَدَّ<sup>٢</sup>  
 أَشْهَدُ الْإِيلَ لَابِسَا  
 طَيِّبَ الْإِسْبَانَ التُّمْرُ  
 أَشْهَدُ الْغَيْثَ مُعْطِيَا  
 أَشْهَدُ الْحَقْلَ يَجْتَدِي  
 وَنَوَاتِ الْجَنَّةِ نَاحِ مِنْ  
 بِسَاغِمٍ<sup>٣</sup> أَوْ مَغْرَدٍ  
 وَالْأَزَاهِي رَوَالِشْذَا  
 فِي وَهَادٍ وَأَنْجَد  
 أَشْهَدُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ  
 أَشْهَدُ اللَّهَ مَوْجِدِي  
 سَوْفَ أَحْيَا كَمَا تَرَى  
 لَاهُوى وَالتَّوَجُّدِ  
 فَاتَّجَانِيكَ فِي الضُّحَى  
 وَهُوَ أَمْرَاسُ غَسَّ جَدَّ

(١) اللؤلؤ

(٢) الجوهر المعروف (لعله الزمرد)

(٣) البعاصير الصوت

وَأَنجَايِكَ فِي الْمَسَا  
 وَالْأَصْبُلِ الْمَوْرِدِ  
 فِي الرُّبَا تَخْلَعُ الْجَمَا  
 لِبُرُوداً وَتَرْتَدِي  
 وَالسُّوَاقي لَهَا غَنَا  
 كَالْحَانِ (مَعْقِد) <sup>١</sup>  
 وَالْعَصَا فِيرِ أَقْبَلَتْ  
 نَحْوَهَا لَتَبَرْدِ  
 أَسْهَرُ اللَّيْلِ وَحَشَّةُ  
 بِفَوَادٍ مَشْدَدِ  
 وَإِذَا نَمْتُ نَمْتُ كِي  
 يَطْرُقُ الْحُفِيُّ مَرْقَدِي  
 فَيُظِلُّ الْهَيَامُ بِي  
 يَنْتَهِي حَيْثُ يَبْتَدِي  
 وَبِحَزْنٍ تَنْهَدَتْ  
 فَاسْتَجَاشَتْ تَنْهَدِي  
 فَأَعْتَنَقْنَا سُوَيْعَةً  
 مِثْلَ جَفْنِي مَسْهَدِ



أَقْلَاتِ الْأَمْسُ هَارِبَا  
 وَغَدُ؟ لَيْسَ مِنْ غَدِ!  
 صُرْتُ وَحْدِي وَلَيْسَ لِي  
 أَرْبُ فِي التَّوَحُّدِ  
 يَا نَدِيمِي إِلَى الْكُؤُودِ  
 سِرِّيَا مُنْشِدُ أَنْشُدِ

---

(١) من معني العصر الأموي

زِدْ لِي الْخَمْرَ كُلَّ مَا  
 قُلْتُ: يَا صَاحِبِي زِدْ  
 لَا تَقْلُ أَيُّ مَوْسِمٍ  
 ذَا، فَذَا يَوْمٌ مَوْلَدِي!  
 أَنَا، مَا زِلْتُ فِي الْحَيَا  
 ةِ، لِي شَيْبَابِي وَسُودْدِي  
 وَلُجَيْنِي وَعَسَّجْدِي  
 وَخِلَالِي وَمَحَبَّتِي  
 إِنَّمَا تِلْكَ أَخْلَفْتُ  
 قَبْلَ لَيْلٍ مِنْ مَوْعِدِي  
 لَمْ تَمُتْ .. لَا، وَإِنَّمَا  
 أَصْبَحْتُ فِي سَوَى يَدِي!  
 ❖❖❖❖❖  
 أَفَلَا الْحُبُّ أَنَّهُ  
 فِي قَلْبٍ وَأَكْبَدٍ  
 فَهُوَ كَالنَّارِ لَمْ تَدْمُ  
 فِي هَشِيمِ الْوَقْدِ!

\*\*\*\*\*

## ٤٠. الشباب والحب

[الطويل]

بكيت الصبا من قبل أن يذهب الصبا  
فيا ليت شعري ما تقول إذا ولي؟  
توهمته يبقَى إذا أنت صُنْته  
عن الشفة الحمراء والمُقْلَة الكحلا  
وخلت الهوى جهلاً فلم يَكُن الهدى  
أخيراً سوى الأمر الذي خِلْتَه جهلاً  
خشيت عليه أن يطوِّحه الهوى  
فألقاك هذا الخوفُ في الهوة السُّفلى  
أتلجم ماء النهر عن جريانه  
مخافة أن يفنى؟ إذن فاشرب الوحلا  
سيبلى الصبا مهما حرصت على الصبا  
فدعه يذوق الحب من قبل أن يبلى  
❖❖❖❖❖

فما ديمة صبّت على الصخر ماءها  
فما أنبتت زهراً ولا أطلعت بقلا  
بأضيع من بُرد الشباب على امرئ  
إذا استطعمته النفس أطعمها العذلاً  
فلا تك مثل الأقحوانة راعها  
من الحقل أن تُجنى فلم تسكن الحقلا  
وأعجبها الوادي فلاذت بقاعه  
فجاء عليها السيل في الليل واستتلى

فما عانقت نور الكواكب في الدُّجى  
ولا لثمت فجرأ ولا رشفت طلاً  
وزالت فلم يستشعرِ النورُ والندى  
على فقدها غمّاً كأن لم تكن قبلاً  
ولا تك كالصُّدّاح إذ خال أنه  
إذا انّخر الألعان أكسبها نُبلاً  
فضنُّ بها والشمسُ تنثرُ تَبَرُّها  
وفضنُّها والأرضُ ضاحكةٌ جذلي  
فلما مضى نورُ الربيع عن الربا  
ودبُّ إلى أزهارها الموتُ مُنْسِلاً  
تحفُّز كي يشدو فلم يلق حوله  
سوى الورقِ الهاوي كاحلامه القتلى!

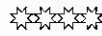
\*\*\*\*



## ٤١ - الغابة المفقودة

[السريع]

يا لهفة النفس على غابة  
كنت وهنداً نلتقي فيها  
أنا كما شاء الهوى والصبا  
وهي كما شاءت أمانيتها  
تكاد من أطف معانيها  
يشربها خاطر رانيها  
أمنت بالله وإياته  
أليس أن الله باريها؟



نبغت الأزهار عند الضحى  
متكئات في نواحيها  
ألوى على الزنبق نسرينها  
والتف عاريها بكاسيها  
واختلجت في الشمس ألوانها  
كأنها تذكر ماضيها  
تلفت فالماء من حولها  
يرقص، والطير تغنيها  
من لقن الطير أناشيدها؟  
وعلم الزهر تخيها؟  
يا هند هذي معجزات الهوى  
وانها فينا كما فيها

لا يستحي الزهرُ بإعلانها  
 فما لنا نحن نُوارِيها؟  
 وتهتِفُ الطيرُ بها في الربُّها  
 فما لنا نحن نُعمِّيها؟  
 لله في الغاية أيامنا  
 ما عابها إلا تلاشيها  
 طورا علينا ظلُّ أرواحها  
 وتارة عطفُ ذوالِيها  
 وتارة نلُهو بأعنانِها  
 وتارة نُحصي أقاصِيها  
 تسكتُ إذ نشكو شحارِيرُها  
 كأنَّما التغريدُ يؤذِيها  
 وإن تضحكنا سمعنا الصدى  
 يضحك معنا في أقاصِيها  
 وإن مشينا فوق كُتبانِها  
 لاحَتْ فشاقتنا أدانيها  
 وفوقنا الأغصانُ معقودة  
 نوانبُ طال تدلِّيها  
 إذا هرزناها على غيرة  
 ألقت من الدُّعْرِ لآلِيها  
 نسيرُ من كهفٍ إلى جدولٍ  
 نكتشفُ الأرض ونطويها  
 والنورُ عطرُ في تعاريجِها  
 والعطرُ نورُ في حواشِيها  
 وتختبي هندُ فاشتاقها  
 وأختبي عنها فأغريها

كم أوهمتني الخوف من طاري  
تُشجّي بذا نفسي فتُشجّيهَا  
فرُحْتُ أعدو نحوها مُشفقاً  
فكان ما حاذرتُ تمويهَا!  
فأعجب لأطواري وأطوارها  
تعبتُ مني وأجارِيهَا!  
❖❖❖❖❖

الله لو دام زمانُ الهوى  
ودام من هند تجنّيهَا  
لا غابتي اليوم كعهدي بها  
ولا التي أحببتُها فيها  
ولا تلالُ كنهود الدُمى  
ولا سفوحُ كترَاقِيهَا<sup>١</sup>  
ولا الندى درّ على عُشبها  
ولا الأقاحي في روابيهَا  
ولا الضحى يُلقي على أرضها  
شباك تَبَرّ من أعاليها  
أهبطني أمس إلى حضنها  
شوقي إلى سجع قماريهَا<sup>٢</sup>  
فلم تخمّشني بأوراقها  
ولم تهلّل لي سواقِيهَا  
قد بدّل الإنسانُ أطوارها  
واغتصب الطيرُ مويهَا

---

(١) الترقوة العظم بين ثعرة النحر والعاتق  
(٢) القمري طائر يشبه الحمام (والجمع القماري)

وفت بالبارود جالمودها  
واجتت بالفأس نواليتها  
وشاد من أحجارها قرية  
سكّانها الناس وأهلها  
يا لهفة النفس على غابة  
كنت وهنداً نلتقي فيها  
جنّة أحلامي وأحلامها  
ودار حبي وتصابيها  
نبكي من اليأس على شوكتها  
وكان يدميني ويُدْمِيها  
كانت تُغطّي بنا بلوارقها  
فصارت الدُّور تُغطّيها!

\*\*\*\*

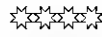
## ٤٢ - أبو غازي

[الوافر]

أبا غازي السَّلامُ عليك مِنَّا  
وعفواً أيَّها المَلِكُ الهُمَامُ  
فما ضاقَ الكلامُ بنا ولكنْ  
وجَدْنَا الحزنَ أرخصَّ الكلامِ  
وخطبُكَ لا يَفِيهِ دَمْعُ بَاكِ  
ولو أنَّ الذي يَبْكِي الغمامَ  
ونحنُ أحقُّ أنْ نُبْكِيَ ونُورِثِي  
فموتُكَ من بني العُربِ انتقامُ  
خبائِثِ راسِنا، والليلُ داجٍ،  
وموجُ الحادِثاتِ له التَّطامُ  
وكنْتَ لنا الدليلَ، فغبتَ عَنَّا  
وكنْتَ حُسَامَنا، فنَبأَ الحُسَامُ!  
كَأَنَّكَ قد وتَّرتَ الموتَ قَدِماً  
وهابَكَ في كِنانَتِكَ السَّهَامُ  
فدبُّ إِلَيْكَ مِثْلُ اللَّصِّ لَيْلاً  
وكانَ الموتُ لَيْسَ لَهُ ذِمَامُ  
طوى الدُّنيا نَعْيُكَ في ثَوَانِ  
فَرِيعِ البَيْتِ والبَلَدِ الحَرَامِ  
و بَجالةٍ كالطَّعِينِ لَهُ أَثْنُ  
وفي بَرْدِي التِّياعِ واضطَّرامِ



وكم أسقمت جسمك كي يصحوا  
وحالفت السهاد وهم نيام  
وكم جازيت عن شرٍ بخير  
وكم جازاك بالغدر الأنام  
خُذلت فما عتبت على صديق  
ولم تحنق وقد كثُر الملام  
وكم قد فُزت في حربٍ وسلم  
فلم يلعب بعطفك العُرام<sup>١</sup>  
خلانق من له عروق كـريم  
وخطئه من له قلب عصام  
خذوا الخلق الرفيع من الصُّحارى  
فإن النفس يُفسدها الزحام  
وكم فقدت جالاتها قصور  
ولم تفقد مروءتها الخيام



وقالوا اندك عرشك في دمشق  
كان العرش أخشاب تُقام  
وكيف تهدد سُدتك الغوالي  
ولم يسلبكها الموت الزوام  
فما كان انتصارهم علاء  
ولا كان انكسارك فيه ذام  
إذا لم تنصر الأرواح ملكاً  
فأحسن ما حوى جثث وهام  
وما زالت لك الأرواح فيهما  
وما زالت عشيرتك الشَّمام

---

(١) الحدة والشرس

تصفقُ لاسمِكَ الأمواهُ فيها  
ويَهْتَفُ في خمائلِها الحمام  
ويذكرُ أهلُها تلكَ السَّجَايا  
فيُشرقُ من تذكُّرِها الظلام  
وليس أحبُّ من حُرِّ مؤاسٍ  
إلى شعبٍ يساءُ ويستتضام  
❖❖❖❖

فقلْ للسَّاخطينَ على الليالي  
ومنْ سَكَنُوا على يأسٍ وناموا  
سينحسرُ الضُّبابُ عن الروابي  
ويبدو الوردُ فيها والخُزام  
ويصفو جُونا بعد انكدارٍ  
ويستقي أرضنا المطرُ الرِّهَامُ  
ونرجعُ أُمَّةٌ تُرجى وتُخشى  
وإنْ كرهَ الزُّعانفُ والطُّغَامُ

\*\*\*\*\*

---

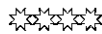
(١) الرهمة المطر الدائم الصغير الفطر



## ٤٣. فلسطين

[المقارب]

ديارُ السَّلامِ، وأرضُ الهنا  
يشقُّ على الكلِّ أنْ تحزننا  
فخطبُ فلسطين خطبُ العُلا  
وما كان رزءُ العُلاهيينا  
سهرنا له فكان السيوف  
تحرُّبنا كباينا ههنا  
وكيف يزور الكرى أعيننا  
ترى حولها للردى أعيننا؟  
وكيف تطيب الحياة لقوم  
تُسدُّ عليهم دروبُ المني  
بلادهم عُرْضُهُ للضياع  
وأمتهم عُرْضُهُ للفنا  
يريدُ اليهودُ بأنْ يصابوها  
وتأبى فلسطين أنْ تُذعننا  
وتأبى المروءة في أهلها  
وتأبى السيوفُ، وتأبى القنا  
أرض الخيال وإيالاته  
وذات الجلال، وذات السُّننا  
تصيرُ لغوغانهم مسرحاً  
وتغدو لشذائهم مكننا



بِنَفْسِي أَرَدْتُهَا السَّلسَبِيلُ  
 وَمَنْ جَاوَرُوا ذَلِكَ الْأَرْدُنَّا  
 لَقَدْ دَافَعُوا أَمْسِ بُونَ الْحَمَى  
 فَكَانَتْ حُرُوبُهُمْ حَرْبَنَا  
 وَجَاوَرُوا بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَهُمْ  
 وَنَحْنُ سَنَبْذُلُ مَا عِنْدَنَا  
 فَقُلْ لِلْيَهُودِ وَأَشْيَاعِهِمْ  
 لَقَدْ خَدَعْتَكُمْ بِرُوقِ الْمُنَى  
 أَلَا لَيْتَ بِالْفُورِ<sup>١</sup> أَعْطَاكُمْ  
 بِلَاداً لَهُ لَا بِلَاداً لَنَا  
 فَلَنَنْدُنَّ أَرْحَبُ مِنْ قُدْسِنَا  
 وَأَنْتُمْ أَحَبُّ إِلَى لُنْدُنَا  
 وَمَنْئَاكُمْ وَطَنَانَا فِي النُّجُومِ  
 فَلَا عَرَبِيَّ بِيَتَاكَ الدُّنَا  
 أَيْسَأُ بَقَوْمِكُمْ رَشَدَهُمْ  
 وَيَدْعُوهُ قَوْمُكُمْ مُحْسِنَانَا!  
 وَيَدْفَعُ لِمَوْتِ الْأَبْرِيَاءِ  
 وَيَحْسِبُهُ مَعْشَرُ دِينَانَا!  
 وَيَا عَجَباً لَكُمْ تَوَغَّرُونَ  
 عَلَى الْعَرَبِ التَّامِزَ وَالْهَدْسَنَا<sup>٢</sup>  
 وَتَرْمُونَهُمْ بِقَبِيحِ الْكَلَامِ  
 وَكَانُوا أَحَقَّ بِضَافِي الثَّنَا  
 وَكُلُّ خَطِيئَاتِهِمْ أَنْهُمْ  
 يَقُولُونَ: لَا تَسْرِقُوا بَيْتَنَا

(١) اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا، وصاحب الوعد الذي وجهه إلى الشري اليهودي (روتشيلد)

(٢) نهر التاميز في بريطانيا والهدسن في أمريكا

فليست فلسطين أرضاً مشاعاً  
 فتُعطى لمن شاء أن يسكننا  
 فإن تطلبوها بسُمر القنا  
 نردكم بطوال القنا  
 ففي العربي صفات الأنام  
 سوى أن يخاف وأن يحبنا  
 وإن تحجلوا بيننا بالخداع  
 فلن تخذعوا رجلاً مؤمناً  
 وإن تهجرها فذلك أولى  
 فإن فلسطين ملك لنا  
 وكانت لأجدادنا قبلنا  
 وتبقى لأحفادنا بعدنا  
 وإن لكم بسواها غنى  
 وليس لنا بسواها غنى  
 فلا تحسبوها لكم موطناً  
 فلم تك يوماً لكم موطناً  
 وليس الذي نبتغيه محالاً  
 وليس الذي رُمتم مُمكناً  
 نصحناكم فارعووا وانبتوا  
 ببافور ذِيالك الأرعنا  
 وأما أبيتم فأوصيكم  
 بأن تحملوا معكم الأكفنا  
 فإننا سنجعل من أرضها  
 لنا وطناً ولكم مدفننا!

\*\*\*\*

## ٤٤ - الغبطة فكرة

[مجزوء الرمل]

أقبل العيْدُ، ولكنْ ليس في الناسِ المسرَّةُ  
لا أرى الأوجوها كالبحاتِ مُكْفَهَره  
كالركايا<sup>(١)</sup> لم تدعْ فيها يدُ الماتحِ قطره  
أو كمِئَلِ الروضِ لم تتركْ به النكباءُ<sup>(٢)</sup> زهره  
وعيوناً دنقت<sup>(٣)</sup> فيها الأمانى المستحرة<sup>(٤)</sup>؛  
فهى حيرى ذاهلاتُ في الذي تهوى وتكره  
وخدوداً باهتاتٍ قد كساها الهمُّ صُفره  
وشفاهاً تحذرُ الضحكُ كأن الضحكُ جمره  
ليس للقومِ حديثٌ غير شكوى مُستمره  
قد تساوى عندهمُ اليأسُ نفعٌ ومضره  
لا تسئلُ ماذا عراهمُ، كأهمُ يجهلُ أمره  
حائرٌ كالطائرِ الخائفِ قد ضيَّعَ وكُره  
فوقه البازيُّ، والأشراكُ في نجدٍ وحفره<sup>(٥)</sup>  
فهو إنْ حطَّ إلى الغبراءِ شكَّ السَّهمُ صدره  
وإذا ما طار لاقى قشَّعاً<sup>(٦)</sup> الجوَّ وصقره  
كلُّهم يبكي على الأملِ ويخشى شرَّ بُكره

(١) الركبة البئر

(٢) الريح

(٣) دنقت العين غارت، والوجه هزل

(٤) المرتفعة الحرارة لقوتها (المستعرة)

(٥) يريد الأرض العالية، والحفرة العائرة في الأرض

فهُمْ مِثْلُ عَجُوزٍ فَقَدَتْ فِي الْبَحْرِ ابْنَهُ  
 أَيُّهَا الشَّكَاكِي الْإِيَالِي إِنَّمَا الْغَبِطَةُ فِكْرُهُ  
 رُبَّمَا اسْتَوْطَنْتِ الْكُوخَ وَمَا فِي الْكُوخِ كَسْرُهُ  
 وَخَلَّتْ مِنْهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ الْمَشْمُخَرُهُ  
 تَلَمَسُ الْغَصْنَ الْمَعْرَى فَإِذَا فِي الْغَصْنِ نَضْرُهُ  
 وَإِذَا رَفَّتْ عَلَى الْقَفْرِ اسْتَوَى مَاءٌ وَخَضْرُهُ  
 وَإِذَا مَسَّتْ حَصَاةً صَقَلَتْهَا فَهِيَ ذَرَّةُ  
 لَكَ، مَا دَامَتْ لَكَ، الْأَرْضُ وَمَا فَوْقَ الْمَجَرَّةِ  
 فَإِذَا ضَيَّعَتْهَا فَالْكُونُ لَا يَعْدِلُ ذَرَّةُ  
 أَيُّهَا الْبَاكِي رَوَيْدًا لَا يَسُدُّ الدَّمْعُ نُغْرَهُ  
 أَيُّهَا الْعَابِسُ لَنْ تُعْطَى عَلَى التَّقْطِيبِ أَجْرُهُ!  
 لَا تَكُنْ مُرًّا، وَلَا تَجْعَلْ حَيَاةَ الْغَيْرِ مَرًّا  
 إِنْ مِنْ يَبْكِي لَهُ حَوْلٌ عَلَى الضَّحْكِ وَقُدْرُهُ  
 فَتَهْلَلْ وَتَرْنَمْ فَالْفَتَى الْعَابِسُ صَخْرُهُ  
 سَكَنَ الدَّهْرُ وَحَانَتْ غَفْلَتُهُ مِنْهُ وَغَرَّهُ  
 إِنَّهُ الْعَيْدُ.. وَإِنَّ الْعَيْدَ مِثْلُ الْعُرْسِ مَرَّهُ

\*\*\*\*\*

## ٤٥. الفتى الأفضل (معربة)

[المقارب]

مضى زمنٌ كان فيه الفتى  
يُباهي بما قومه أثَّروا<sup>(١)</sup>  
ويرفعه في عيون الأنام  
ويخفض من قدره المُنزلُ  
فلا تقعدن عن طلاب العُلا  
وتعذل بلادك إذ تُعذل<sup>(٢)</sup>  
فإنَّ الخلاق حتى عداك  
متى ما سبقتهم هالوا  
فتأبر بجدٍّ على نياها  
فليس يخيبُ الذي يعمل  
وكن رجلاً ناهضاً ينتمي  
إلى نفسه عندما يُسأل  
فلست الثياب التي ترتدي  
ولست الأسامي التي تحمل  
ولست البلاد التي أنبتتُك  
ولكنما أنت ما تفعلُ  
إذا كُننت من وطنٍ خاملٍ  
وفُزت فانت الفتى الأفضل

\*\*\*\*

(١) من الأثلة وهي أصل كل شيء والتأثيل التعظيم والتمكين

(٢) من العذل اللوم

## ٤٦ - مَنْ أَنَا

[المتقارب]

أنا، مَنْ أَنَا يَا تُرَى، في الوجودِ؟  
وما هُوَ شَأْنِي وما موضعي؟  
أنا قطرةٌ لمعتْ في الضحى  
قليلًا على ضِفَّةِ الْمَشْرِعِ<sup>١</sup>  
سيأتي عليها المساءُ فتغلو  
كَأَن لَمْ تُرْقِرْ وَلَمْ تَلْمَعِ  
أنا نغمةٌ وَقَعَتْهَا الْحَيَاةُ  
لَمْ تَدِيعِي وَلَمْ لَا يَدِيعِي  
سيمشي عليها السكوتُ فتُمسي  
كَأَن لَمْ تَمُرْ عَلَى مَسْمَعِ  
أنا شبحٌ رَاكِضٌ مُسْرِعُ  
مع الزمنِ الرَّاكِضِ الْمُسْرِعِ  
سِيرْخِي عَلَيْهِ السِتَارُ وَيَخْفَى  
كَأَن لَمْ يَجِدْ وَلَمْ يُهْطَعْ<sup>٢</sup>  
أنا موجةٌ دَفَعَتْهَا الْحَيَاةُ  
إِلَى أَوْسَعِ فـــــــإِلَى أَوْسَعِ  
ستَنحُلُّ في الشَّطْطِ عَمَّا قَلِيلِ  
كَأَن لَمْ تَدْفَعْ وَلَمْ تُدْفَعْ

(١) يريد مشرعة الماء، مورد الشاربة

(٢) أھطع في عوہ أسرع

فيا قلبُ لا تغترِّ بالشُّبابِ  
 ويا نفسُ بالخُلْدِ لا تطمعي  
 فإنَّ الكهولةَ تمضي كما  
 تولى الشبابُ ولم يرجع  
 ولكنَّ فيها جمالاً بديعاً  
 وفيها حنينٌ إلى الأبدع  
 ومن لا يرى الحُسنَ في ما يراه  
 فما هو بالرجلِ الألعى  
 بني وطني من أنا في الوجودِ،  
 وما هو شأنِي وما موضِعِي؟  
 أنا أنتمُ إن ضحكتمُ لأمرٍ  
 ضحكتمُ، وأدمعتمُ أدمعي  
 ومُطربُ أرواحكمُ مُطربي  
 وموجعُ أكبادكمُ موجعي  
 أما نحنُ من مصدرٍ واحدٍ  
 ألسنا جميعاً إلى مرجعٍ؟  
 رفعتُم مُقامي وأعليتُموهُ  
 لمَّا قد صنعتُ ولم أصنع  
 أحقُّ بإكرامكمُ طائرُ  
 يُغرَّدُ في الروضِ والبَلْعِ  
 وأولى به كوكبُ طالعٍ  
 على سَهْدٍ وعلى هَجٍّ  
 أنا واحدٌ منكمُ يا نجوم  
 بلادي، متى تسطَّعوا أسطع  
 فمن قام يمدحني بينكمُ  
 فقد تمدحُ الكفُّ بالإصبعِ



وما الغيثُ غيرُ الخضمِّ، وليس  
الغديرُ سوى السَّحْبِ الهُمع<sup>١</sup>  
فلولاكمُ لم أكنْ بالخطيبِ  
ولا الشاعرِ السَّاحِرِ المبدعِ  
أنا الآن في سَكْرَةٍ لا أعِي  
فيا ليتني دائماً لا أعِي  
فذي ليلةٍ بجميعِ الزمانِ  
إذا كان في الدهرِ من أجمعِ  
فيا أيها الليلُ باللهِ قفْ  
ويا أيها الصبحُ لا تطلُعِ  
إذا كنتُ قد بَنْتُ عن مرَبِّعي  
فإني وجدتُ بكم مرَبِّعي<sup>٢</sup>  
يمينا سَأْمَلُ في أضلعي  
هواكمُ ما بقيتُ أضلُعي  
وأشكرُكم بلسانِ النسانمِ  
والروضِ والجداولِ المُنْتزعِ  
فلا عذرَ لطيرٍ أمّا رأى  
جمالِ الربيعِ ولم يسجّعِ  
إذا لم أكنْ معكم في غدي  
فإني سَأْمُضِي وأنتم معي

\*\*\*\*

---

(١) همع سال  
(٢) المنزل والمحلة

## ٤٧ - كمنجة الشؤا

[السريع]

كمنجة الشؤا عليك السلام  
بهيكَلِ الوحي وعرش الغرام  
فيك التقت أرواح أهل الهوى  
نجوى وشكوى وبكا وابتسام  
وأودعت فيك الصبا همسها  
وخبأ الأسرار فيك الظلام  
وذاب فيك الحب نوب الندى  
في مبسم<sup>١</sup> الورد وجفن الخزام  
ردي إلينا اليوم دنيا الروى  
فإننا نشقى بدنيا الحطام  
أجنحة الأشواق مقصوصة<sup>٢</sup>  
أو موثقات، والأمانى رمام<sup>٣</sup>  
قد انقضى العمر وأرواحنا  
مفطومعة بالحرص، بئس الفطام  
ننأى عن الحسنى ونشتاقه<sup>٤</sup>  
ونهجر الماء ونشكو الأوام<sup>٥</sup>  
ويبعث الحقل إلينا الشذا  
ونحن لا ننشق إلا الرغام<sup>٦</sup>

---

(١) الشعر

(٢) البقايا

(٣) العطش الشديد

نَسِيرُ وَالْأَضْوَاءُ مِنْ حَوْلِنَا  
كَأَنَّنا فِي هَبْوةٍ أَوْ قَتَامٍ<sup>١</sup>  
وَالْمَاءُ يَجْرِي حَوْلِنَا كَوَثْراً  
وَنَحْنُ نَسْتَسْقِي السَّحَابَ الْجَهَامَ<sup>٢</sup>  
وَنَسْهَرُ اللَّيْلَ لِغَيْرِ الْهَوَى  
مَا تَنْفَعُ الْيَقْظَةُ وَالْقَلْبُ نَامَ  
حَتَّى نَسِينَا كَيْفَ لَوْنُ الضَّحَى  
وَلَمْ نَعُدْ نَذْكُرْ سَجْعَ الْخُمَامِ  
خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَةِ عِنْدِي الْكَرَى  
إِنْ كَانَتْ الْغَيْبَةُ بَنَتْ الْمَنَامَ  
خِلْنَا الْهَوَى تَرْجِعُ أَيَّامُهُ  
لَمْ يَرْجِعِ الْحُبُّ وَلَا الْمَالُ دَامَ  
فِيَا فَتَى الشُّهْبَاءِ يَا شَاعِراً  
قَدْ رَفَعَ الْفَنُّ لِأَسْمَى مَقَامَ  
رَجَعْتَ بِالسَّحْرِ وَكَانَ انْطَوَى  
وَجِئْتَنَا بِالْوَحْيِ فِي غَيْرِ جَامِ  
هَذَا عَصِيرُ الْوَحْيِ فِي آلَةٍ  
خَرَسَاءُ يَجْرِي فِتْنًا لِلْأَنَامِ  
فَإِنْ تَجِدْنَا حَوْلَهَا عَكْفاً  
فَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزُّحَامِ  
فَدَغْدَغِ الْأَوْتَارَ لَا تَكْتَرِثْ  
أَنْ تَذْهَبَ الْفِتْنَةُ بِالْإِحْتِشَامِ

---

(١) الهبة العبار، والقَتَامُ مثله

(٢) السحاب الذي لا ماء فيه

سعادة الأنفس في نشوة  
من صورة أو نغم أو مدام  
وقل لمن يحذر أن يشترك  
ويحبس الدمع لئلا يلام  
اسمع! فهذا وتر ناع  
وانظر! فهذا خشب مستهام  
~~~~~

نيويورك! يا ذات البروج التي  
سمت وطالت كي تمس الغمام  
لن تبأغي والله باب السما  
الاباوتار كنار الشم  
فاصغي إلى أحنانه لحظة  
تحتقري كل صنوف الكلام  
وتدركي أن قصور المني  
تبقى وتنهد قصور الرجاء  
فرحبي معنابه واهتفي:  
هذا أمير الفن، هذا الإمام!

\*\*\*\*\*

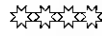
---

(١) حجارة ضخام قد تجمع على القبر

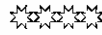
## ٤٨ - إذا

[الهمز]

إذا جَدَّفْتَ جُوزِيَّتَ عَلَى التُّجْدِيفِ بِالنَّارِ  
وإن أَحَبَبْتَ عَيَّيْرَتَ مِنَ الْجَّارَةِ وَالْجَّارِ  
وإن قَامَرْتَ أَوْ رَاهَنْتَ فِي النَّادِي أَوْ الدَّارِ  
فَأَنْتَ الرَّجُلُ الْأَثَمُ عِنْدَ النَّاسِ وَالْبَارِي



وإن تَسَكَّرَ لَكَ تَنْسَى هُمُومًا ذَاتَ أَوْقَارِ  
خَسِرْتَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَلَمْ تَرْبِحْ سِوَى الْعَارِ



وإن قُلْتَ: إِنَّ فَالْعَمِيشُ أَوْزَارُ بَأَوْزَارِ  
وإن الْمَوْتَ أَشْهَى لِي إِذَا لَمْ أَقْضِ أَوْطَارِي  
وَأَسْرَعْتَ إِلَى السَّيْفِ أَوْ السُّمِّ أَوْ النَّارِ  
لَكَ تَخْرُجُ مِنْ دُنْيَا ذَوَوَهَا غَيْرُ أَحْرَارِ  
فَهَذَا الْمَنْكَرُ الْأَعْظَمُ فِي سِرٍّ وَاضِّمَارِ  
إِنَّ فَاحِي وَمَتَّ كَالنَّاسِ: عَبْدًا غَيْرَ مُخْتَارِ!



## ٤٩ - شبح

[الكامل]

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين، قالها في حفلة.  
بأبي خيالٍ لاح لي متلففاً  
بعباءة من عهدِ فخر الدينِ  
يمشي على مهلٍ ويرسلُ طرفه  
في حيرة المستوحشِ الحزونِ  
من أنت يا شبحاً كئيباً صامتاً؟  
قل لي فإنك قد أثرت شجوني  
أخيالٍ خصمٍ أتقي نزواته؟  
أم أنت يا هذا خيالٍ خدين؟  
فأجابني مترقفاً متحبباً  
فسمعتُ صوت أبٍ أبر حنون



يا شاعري قل للألى هجروني  
أنا ما نسيتكم فلا تنسوني  
ما بالكم طولتم حبل النوى  
يا ليت هذا الحبل غير متين  
قد طقت الدنيا فهل شاهدتم  
جبالاً عليه مهابتي وسكوني؟  
أوردتم كمناهلي؟ أنشقتم  
كأزاهري في الحُسن والتلوين؟  
ولقد تظلمتم بأشجارٍ فهل  
رقت غصونٌ فوقكم كغصوني؟

وَسَمِعْتُمْ شَتَّى الطَّيُورِ صَوَادِحاً  
 أَسْمَعْتُمْ أَشْجَى مِنَ الْحُسُونِ؟<sup>١</sup>  
 هَلْ أَنْبَتَتِ كَالْأَرْضِ غَيْرِي بِقَعُهُ  
 فِي مَجْدِهِ وَجَلَالِهِ الْمَيْمُونِ؟  
 أَرَأَيْتُمْ، فِي مَا رَأَيْتُمْ، فِتْنَةً  
 كَالْبَدْرِ حِينَ يُطْلُ مِنْ صَنِينِ؟<sup>٢</sup>  
 أَوْ كَالْغَزَالَةِ وَهِيَ تَنْفُضُ تَبَرُهَا  
 عِنْدَ الْمَغِيبِ عَلَى ذُرَا حَرْمُونِ؟<sup>٣</sup>  
 مَرَّتْ قُرُونٌ وَانْطَوَتْ وَكَأَنَّني  
 لِمَحَاسِنِي كُؤِنْتُ مِنْذُ سَنِينِ  
 أَبْلَيْتُهَا وَبَقِيْتُ، إِلَّا أَنِّي  
 لِلشَّوْقِ كَادَ غِيَابِكُمْ يُبْلِيَنِي



لِبْنَانُ! لَا تَعْذِلْ بَنِيكَ إِذَا هُمْ  
 رَكِبُوا إِلَى الْعُلْيَاءِ كُلِّ سَفِينِ  
 لَمْ يَهْجُرُوا مَلَالَةَ لَكُنْهُمْ  
 خُلِقُوا لِصَيْدِ الْوُلُؤِ الْكَنُونِ  
 وَرَثُوا اقْتِحَامَ الْبَحْرِ عَنْ فِينِيقِيَا  
 أَمْ الثَّقَافَةُ مَصْدَرُ التَّمْدِينِ  
 لِمَا وَلَدَتْهُمْ نَسُوراً حَلَقُوا  
 لَا يَقْنَعُونَ مِنَ الْعُلَا بِالدُّونِ  
 وَالنَّسْرُ لَا يَرْضَى السَّجُونَ وَإِنْ تَكُنْ  
 ذَهَباً، فَكَيْفَ مُحَاسِنُ مِنْ طِينِ

(١) الطائر الحسن الصوت

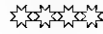
(٢) الجبل، في المتن الشمالي من لبنان

(٣) الجبل (حرمون)

الأرضُ للحشرات تزحفُ فوقها  
والجوّ للبازيِّ والشّاهين<sup>١</sup>



فأجابني والدمعُ ملءُ جفونه  
كم ذا تسأليني ولا تُسأليني؟<sup>٢</sup>  
أنا كالعرينِ اليوم غاب أسوده  
وتفرّقوا عنه لكلّ عرين  
الأرمنيُّ على سفوحٍ والرُّبا  
يبني الحصون لنفسه بحصوني  
وبنو يهوذا ينصبون خيامهم<sup>٣</sup>  
في ظلّ أوديتي وفوق حُزوني<sup>٣</sup>  
وبيني عني غافلون كأنني  
قد صيرتُ في الأشياء غير ثمين  
أنتم ديونٌ لي على أميركا  
ومن المروءة أن تُردّ ديووني  
أو ليس من سُخّر القضاء وهُزّته  
أن يأخذ المُثري من المسكين؟  
عودوا فإنّ المال لا يُغنيكم  
عني، ولا هو عنكم يُغنيني



فشجيتُ ممّا قاله لكنني  
لمّا رأيتمُكم نسيتُ شُجوني  
لبنانُ فيكم مائلٌ إن كنتم<sup>٣</sup>  
في مصر أو في الهند أو في الصّين

---

(١) من الطيور التي تُطلق للصيد

(٢) أسلاه كشف عن همه

(٣) الحزن ما غلظ من الأرض



إِنْ بِنْتُمْ عَنْهُ فَمَا زَالَ الْهُوَى  
يُذْنِيكُمْ مِنْهُ كَمَا يُذْنِيَنِي  
وَحِرَاكُكُمْ<sup>(١)</sup> لِعَلَّانِهِ وَسَكُونُكُمْ،  
وَالِي ثَرَاهُ حَنِينُكُمْ وَحَنِينِي  
لَوْ أَمَسَتْ الدُّنْيَا لَغَيْرِي كُلِّهَا  
وَرُبَاهُ لِي، مَا كُنْتُ بِالْمَغْبُونِ  
أَنَا فِي حِمَاكُمْ طَائِرٌ مُتَرَنِّمٌ  
بَيْنَ الْأَقْبَاحِ الْغَضُّ وَالنَّسْرَيْنِ  
أَنْتُمْ بَنُو وَطَنِي وَأَنْتُمْ إِخْوَتِي  
وَأَنَا أَمْرُ دِينِ الْمَحَبَّةِ دِينِي

\*\*\*\*

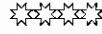
---

(١) الحركة

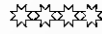
## ٥٠ - أنا وابني

[مجزوء الرمل]

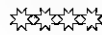
قال ابني وهو خيران بما يحكى ويُقرا  
كيف كان الله؟ إني قد وجدتُ الله سِرّاً  
أسمعُ الناس يقولون به خيراً وشرّاً  
فأفدني . قلتُ: يا ابني أنا مثلُ الناس طُراً  
لي في الصَّحَّةِ راءٌ وفي العِلَّةِ أخرى  
كلَّما زحزحتُ سِتراً خلَّتني أُسدِلُ سِتراً  
لست أدري منك بالأمر ولا غيري أدري!



أَحَسِبُ الله الذي صاغ من الذرات صخرا  
والذي شاء فصارت قطرات الماء بحرا  
والذي شاء فضمَّ البحرُ أصدافاً ودرّاً  
وأراد الضوء أجراماً فصار الضوء زُهوراً<sup>(١)</sup>  
إن هذا الله لما شاء هذا كان فِكراً،



ثمَّ لَمَّا نَظَمَ الألوان في الأرض زهوراً  
ورأى أن يعلن الحبَّ غناءً وحُبوراً  
فتمشَّى في حواشي الأرض سِحراً وعُطوراً  
وتهادى في حواشي الأفق أطيافاً ونوراً  
عندما أوجد هذا كان حبساً وشُعوراً



---

(١) الأنجم الزهر والزُّهرة هي الكوكب الأبيض

مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ جَبَّاراً وَفَتَّاكاً وَقَاهِرَ  
فَأَنَا أَهْوَاهُ رَسَّاماً وَفَنَّاناً، وَسَاحِرَ  
وَأَرَاهُ فِي النَّدَى وَالزَّهْرِ وَالشَّهَبِ السَّوَافِرِ  
فَإِذَا الْأَنْجُمُ غَارَتْ وَانْطَوَتْ كُلُّ الْأَزَاهِرِ  
وَتَلَاشَى كُلُّ مَا أَنْشَأَ وَسَوَّى مِنْ مَنَاطِرِ  
لَا حَ لِي فِي حَسَنِهِ الْأَكْمَلِ فِي دِيْوَانِ شَاعِرٍ!

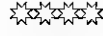
\*\*\*\*

## ٥١ - عبد الله البستاني

[السريع]

يا مَيِّتاً فيه جمالُ الحياة  
ما حازَ منك اللحدُ إلا الرفاتُ  
أنت الفتى الباقي بثاره  
ما أنت بالمرء إذا مات مات!  
وكيف يمتدُّ إليك الردى  
وذاك الحسناءُ في ألفِ ذات؟  
إذا اختفى في الوردِ لونُ الضحى  
فالذنبُ ذنبُ الأعينِ الناظرات  
يصوحُ الزهرُ ويبقى الشُّذا  
ويذهبُ المرءُ وتبقى الصفات  
~~~~~  
يا نائماً أغفى عن التُّرَّهاتِ  
إني وجدتُ الموتُ في التُّرَّهاتِ  
أإنْ مضى الشيءُ نقولُ انقضى  
إذن فمن أين تجيءُ الحياة؟  
أليس دنيا الصَّحْوَ دنيا الكرى  
ومثلُ ظلِّ العيشِ ظلُّ الممات؟  
تُقسِّمُ الأشياءُ أفهامُنَا  
وليسَت النخلةُ إلا النواة  
وفي الغدِ الأمْسُ، ولكنَّنا  
للجهلِ قلنا: الدهرُ ماضٍ وات

بعضُ الردي فيه نجاةُ الفتى  
وربما كان الردي في النجاة

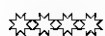


يا قروياً عظمتُ نفسه  
حتى ترضتها نفوسُ العُتاة  
وحسدتُ الصَّيْدُ في كوخه  
وحسدتُ قريته العاصمات  
تلك السجايا لم تزل بيننا  
ساطعة كالأنجم الزاهرات  
وعلمك الزاخر باقٍ لنا  
ما بقيت في الأرض أم اللغات  
في أنفُسِ الناسِ والبائِهَمِ  
وفي بطونِ السَّيرِ الخالدات  
وفي تلاميذك أهلِ الحجَا  
والأدبِ الجمِّ الجميلِ السَّمات  
من شاعرٍ كالروضِ أشعاره  
تسمعُ همسَ الحبِّ فيه الفتاة  
وسامرٍ تحسبُ أقواله  
مسروقةً من مقلِّ الغانيات  
وكاتبٍ تُشرقُ ألفاظُه  
كالدرِّ المختارة المُنْتَقاء  
وصُحْبٍ<sup>١</sup> أخلاقهم كالمنى  
يروون عنك الحكم الغاليات

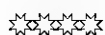
---

(١) مثل عَجَزٍ وقُصْرٍ

لَمْ يَخْتَرْمَكَ الْمَوْتُ يَا نُوحَةَ  
بِاسْقَةٍ قَدْ خَلُفَتْ بِاسِقَاتِ



يَا حُجَّةَ الْفُصْحَى وَدِهْقَانَهَا<sup>١</sup>  
وَبَحْرَهَا الطَّامِي وَشَيْخَ النَّقَاتِ  
الضُّادِ، مَنْ بَعْدِكَ فِي مَاتَمِ  
حَاضِرُهَا وَالْأَعْصُرُ الْغَابِرَاتِ  
فَلَيْسَ فِي لَبْنَانَ غَيْرُ الْأَسَى  
وَلَيْسَ غَيْرُ الْحَزَنِ حَوْلَ الْفُرَاتِ  
فَمَنْ يَعْزِي جَبَلًا وَاحِدًا  
عَزَى الرُّوَاسِي فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ



سَلَخَتْهَا سَبْعِينَ مِنْ أَجْلِهَا  
فِي عَالَمِ الطُّرْسِ وَدُنْيَا الدُّوَاةِ  
النَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ فِي قِيَالِهِمْ  
وَأَنْتِ كَالْعَابِدِ وَقْتُ الصَّلَاةِ  
غَنِيَتِ (بِالضُّادِ) وَأَسْرَارُهَا  
عَنِ الْغَوَانِي وَالطَّلَا وَالسُّقَاةِ  
أَنْتِ الَّذِي رَدَّ إِلَيْهَا الصَّبَا  
إِنَّ الْهَوَى يَجْتَرِحُ الْمَعْجِزَاتِ  
فَاخْتَلَجَتْ أَوْضَاعُهَا بِالْمَنَى  
وَجَاءَ مَاءُ الْحُسْنِ فِي الْمَفْرَدَاتِ  
وَلَهَجَتْ بِاسْمِكَ أَفَاقُهَا  
وَرَدَّدَتْهُ فِي الْبُيُودِ الْخُدَاةِ

---

(١) التاجر (فارسي معرب)

وَحَنَنْتِ النَّوْقُ إِلَى سَمْعِهِ  
 وَطَرِبْتَ مِنْ ذِكْرِهِ الصَّافِنَاتُ<sup>(١)</sup>  
 فَيَا شَبَاباً يَطْلُبُونَ الْعُلَا  
 إِنَّ الْعُلَا لِلْأَنْفُسِ الْمَاضِيَّاتِ  
 وَيَا فَقِيراً يَتَمَنَّى الْغِنَى  
 هَلَّا تَمَنُّيْتَ غِنَى الْمَكْرُمَاتِ؟  
 وَيَا سَرَاةً<sup>(٢)</sup> يَبْذُلُونَ اللَّهُمَّ<sup>(٣)</sup>  
 هَذَا فَقِيرٌ كَانَ يَعْطِي السَّرَاةَ:  
 مِنْ رُوحِهِ لَا فَيُضِ أَمْوَالَهُ  
 إِنَّ هِبَاتِ الرُّوحِ أَسْمَى الْهِبَاتِ  
 لَا يَقْتَضِي قَاصِدَهُ حَمْدَهُ  
 وَيَشْكُرُ الْعَافِي<sup>(٤)</sup> الَّذِي قَالَ: هَاتِ  
 وَإِنْ مَضَى الْعَافُونَ عَنْ بَابِهِ  
 سَارَتْ عَطَايَاهُ وَرَاءَ الْعُفَاةِ  
 فَكَانَ كَالْكَوَاكِبِ يَمْشِي عَلَى  
 ضِيَائِهِ الرُّكْبُ وَذَنْبُ الْفَلَاةِ  
 وَكَانَ كَالْغَيْثِ إِذَا مَا هَمَى  
 أَصَابَ فِي الْأَرْضِ الْحَصَى وَالنَّبَاتِ  
 وَكَانَ كَالْيَنْبُوعِ يَرْتَادُهُ  
 ذُو الشَّيْمِ الْحَسَنَى وَذُو السَّيِّئَاتِ

(١) يريد الحيل (والصافن منها القائم على ثلاث)

(٢) السريّ الرئيس (والجمع سرّاة)

(٣) اللّهوة العطية، (والجمع اللّهوى)

(٤) السائل (عفا الرجل سأل)

وكالفضاءِ الرَّحْبِ في حِلْمِهِ  
يضطربُ البازي به والقطة  
يا صاحبَ البستانِ<sup>(١)</sup> نَمْ امِناً  
فإنَّ في الموتِ زوالَ الشُّكَاةِ  
ما غابَ ماءٌ غابَ تحتَ التُّرى  
فأُطْلِعَ النَّبْتَ وأَحْيَا المَوَاتِ

\*\*\*\*

---

(١) معجم (البستان) لعبد الله البستاني



## ٥٢ - كم تشتكي

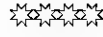
[الكامل]

قالها في مهرجان (بردجفيل)

كم تشتكي وتقول: إنك مُعْدِمٌ  
والأرضُ ملكُك والسَّماءُ والأنجمُ  
ولك الحقولُ وزهرها وأريجها  
ونسيمها والبلبلُ المترنمُ  
والماءُ حولك فضةٌ رقيقةٌ  
والشمسُ فوقك عسجدٌ يتضرعُ  
والنورُ يبني في السُّفوح وفي الدُّرَا  
نوراً مزخرفه، وحيناً يهدمُ  
فكأنه الفنانُ يعرضُ عابثاً  
آياته، قُدَّامَ من يتعلمُ  
وكأنه لصفائه وسنائه  
بحرٌ تعومُ به الطيورُ الحومُ  
هشتُ لك الدنيا فمالك واجماً،  
وتبسَّمتُ فعلام لا تبسِّمُ؟  
إن كنتِ مُكتئباً لعزِّ قد مضى  
هيهات يُرجعه إليك تندمُ  
أو كنتِ تُشفقُ من حلولِ مُصيبةٍ  
هيهات يمنعُ أن تحلَّ تجهمُ  
أو كنتِ جاوزتِ الشبابَ فلا تقلَّ  
شاخ الزمانُ فإنه لا يهزمُ

انظرُ فما زالت تَطُلُّ من الثُّرى  
 صورٌ تكادُ لحسنِها تتكلمُ  
 ما بين أشجارٍ كأنَّ غصُونُها  
 أيدٍ تصفُّقُ تارةً وتُسَامُ  
 وعيونُ ماءٍ دافقاتٍ في الثُّرى  
 تشفي السَّقِيمَ كأنما هي زمزمُ  
 ومسارحُ فتنِ النُّسيمِ بحسنِها  
 فسرى يلدن تارةً ويهمهم  
 فكانه صبُّ ببابٍ حبيبٍ  
 متوسِّلُ مستعطِفٍ مُسترحمِ  
 والجدولُ الجَذلانِ يضحكُ لاهياً  
 والنرجسُ الولهانُ مُعَفِّ يحلُمُ  
 وعلى الصَّعيدِ ملاءةٌ من سُندسٍ  
 وعلى الهضابِ لكلِّ حُسنٍ مِبَسَمِ  
 فهنا مكانٌ بالأريجِ معطَّرُ  
 وهناك طودٌ بالشَّعاعِ مُغمَمُ  
 صُورٌ وإياتٌ تفيضُ بِشاشةٍ  
 حتى كأنَّ اللةَ فيها يَبَسَمِ  
 فامشِ بعقاك فوقها متفهماً  
 إن الملاحَةَ مَلَكٌ من يتفهمُ  
 أتزورُ روحكُ جنةً فتفوتها  
 كيما تزوركُ بالظُّنونِ جهنمُ  
 وترى الحقيقةَ هيكلًا متجسداً  
 فتعافُها لوساوسِ تَنوهمُ

يا مَنْ يَحْنُ إِلَى غَدٍ فِي يَوْمِهِ  
قَدْ بَعَثَ مَا تَدْرِي بِمَا لَا تَعْلَمُ!



قَمِّ بَادِرِ اللَّذَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا  
مَا كُلُّ يَوْمٍ مِثْلُ هَذَا مُوسَمٌ  
وَأَشِيرُ بِسِرِّ الْحَصَنِ سِرِّ شَبَابِهِ  
وَارَوْا أَحَادِيثَ الْمَرْوَةِ عَنْهُمْ  
الْمَعْرُضِينَ عَنِ الْخَنَاءِ، فَإِذَا عَلَا  
صَوْتُ يَقُولُ: إِلَى الْمَكَارِمِ اقْدَمُوا  
الْفَاعِلِينَ الْخَيْرَ لَا لَطَمَاعَةٍ  
فِي مَغْنَمٍ، إِنَّ الْجَمِيلَ الْمَغْنَمِ  
أَنْتَ الْغَنِيُّ إِذَا ظَفَرْتَ بِصَاحِبِ  
مَنْهُمْ وَعِنْدَكَ لِلْعَوَاطِفِ مِنْجَمٌ  
رَفَعُوا لِدِينِهِمْ لَوَاءً عَالِيًا  
وَلَهُمْ لَوَاءٌ فِي الْعُرُوبَةِ مُعْلَمٌ  
إِنْ حَازَ بَعْضُ النَّاسِ سَهْمًا فِي الْعُلَا  
فَلَهُمْ ضُرُوبٌ لَا تُعَدُّ وَأَسْهَمُ  
لَا فَضْلَ لِي إِنْ رَحْتُ أَعْلَنُ فَضْلَهُمْ  
بِقِصَائِنِي. إِنَّ الضَّحَى لَا يُكْتَمُ  
لَكِنِّي أَخْشَى مَقَالَةَ قَائِلِ  
هَذَا الَّذِي يُثْنِي عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ!  
أَحِبَّائِنَا مَا أَجْمَلَ الدُّنْيَا بِكُمْ!  
لَا تَقْبُحُ الدُّنْيَا وَفِيهَا أَنْتُمْ!



### ٥٣ - فلوريدا

[البسيط]

يا جنةً قبلما حلتَ بها قدمي  
أحببتُها قصَّةً واشتقتُ راويها  
كانت لها صورةٌ في النفس حائرةٌ  
مثلُ القصيدة لم تُنسجَ قوافيها  
وددتُ لو أنَّها تَمَّتْ فيبصرها  
غيري، وتُسكِرُه مثلي معانيها  
وكيف تكَمَّل في ذهني ولم أرها  
وما لصورتيها شيءٌ يُحاكيها؟  
وأَيُّما نعمةٍ أدَّى عنوبتها  
كلامُ راوٍ ولا شادٍ يغنيها  
أأنشُقُ العطر لم أهبطُ خمانها؟  
وأشربُ السَّحَر لم أسمعَ قماريها؟  
وتصعدُ النفسُ مِنِّي للسَّماءِ ولا  
حِبالُ نُورٍ تدلَّتْ من دراريها؟  
كانت سعادةً نفسي في تصوُّرها  
والنفسُ يُسعدُها وهمٌ ويُشقيها  
بالوهمِ توجدُ دنيا لا وجودَ لها  
وتنطوي عنك دنيا أنت رانيها  
فكم ظمئتُ وفي روعي جدَّ أولها  
وكم رويتُ وغيري في سواقِها

(١) القُمري طير أبيض يشبه الحمام، (والجمع القماري)

قد كنتُ من قبلُ مثلُ الناسِ كلِّهمُ  
 أقولُ: إنَّ إلهَ الكونِ باريها  
 حتَّى نظرتُ إليها في جلالِتها  
 فصارتُ كلُّ يَقيني أنَّه فيها!  
 لمَّا رأيتُ الجمالَ الحقُّ أدركني  
 زُهدٌ بكلِّ جمالٍ كان تمويها  
 كأنَّما الحورُ مرَّت في شواطئها  
 في ليلةٍ طُفلةٍ رقت حواشيها  
 ففي الرمالِ سناءً من تضاوحِها  
 وفي المياهِ أريجٌ من أغانيها  
 أتيتُها بشبابٍ ضاعَ أكثره  
 وغيبتهُ الليالي في مطاويها  
 فاسترجع الحبُّ قلبي فهو مُغتبطُ  
 وعادتِ الروحُ خضراءَ أمانِها  
 ❖❖❖❖❖

سئلتُ ما راقَ نفسي من محاسِنِها؟  
 فقلتُ للناس: باديها وخافيها  
 وما حَبَبَتْ من الأشجار؟ قلتُ لهم:  
 أني افتُتِنْتُ بكاسيها وعاريها  
 وما هَوَّيت من الأزهار؟ قلتُ لهم:  
 الحبُّ عندي لناميها وذأويها  
 قالوا: وما تَتمَنَّى؟ قلتُ مبتدراً:  
 يا ليتني طائرٌ أو زهرةٌ فيها  
 فربُّ أنشودةٍ من بلبلٍ غرِدٍ  
 حوتَ حكايةَ حبٍ خِفَّتْ أحكيها

وربُّ روحٍ كروحي في بنفسيجة  
 وسُنِّي، أَطَلَّتْ عَلَى رُوحِي تُنَاجِيهَا  
 وربُّ قطرةٍ ماءٍ لا غناءَ بها<sup>١</sup>  
 شاهدتُ مصرعَ دنيا في تلاشيها  
 كلُّ الذي لاح لي في أرضها حسنٌ  
 وأحسنُ الكلِّ في عيني أهاليها  
 إلا نوي السَّحْنِ السُّوداءِ وأعجبا  
 أجنَّةٌ وذُبَابٌ في نواحيها؟  
 إني لي كَبِتُ رُوحِي أَنَّ الْأَحْظَمَ  
 بمقلةٍ أبصرتُ فيها غوانيها  
 دع المساوئِ في الدُّنيا فما برحتُ  
 فيها محاسنُ تُنسينا مساويها  
 كم حاول الليلُ أن يطوي كواكبهُ  
 فكان ينشرُها من حيثُ يطويها  
 واذكرْ أكارمَ قومٍ طابَ عنصرهُم  
 وأشبهوا بسجايهم أقاحيها  
 بني بلادي! وفيكم من خمانِها  
 جمالُها والتَّسَامِي من روايها  
 تسلَّتِ النفسُ عن أحبابِها بكمُ  
 لولاكم لم يكنْ شيءٌ يُسألُها  
 أكرمتموني فشكراً غير منقطعٍ  
 دوامُ شُكْرِكِ لِلنِّعَماءِ يُبقيها

\*\*\*\*\*

---

(١) لا تغني بشي،

## ٥٤ - بين مدّ وجزر

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم صديقه الشاعر جورج صيدح عندما زار نيويورك.  
سَيَّرْتُ في فجر الحياة سفينتي  
واختَرْتُ قلبي أن يكون إمامي  
فجرت على الأمواج قصراً من رؤى  
ملء الفضاء، ملء المدى المُترامي  
وأقلُّ منها البحر حين أقلُّها  
دنيا من الأضواء والأنغام  
ومشى الخيال على الحياة بسحره  
فإذا الهوى في الماء والأنسام  
وإذا الرّمال أزهَرُ فواحه  
والشُّطُّ هيكَلُ شاعرٍ رسّام  
وإذا العُبابُ ملاعبٌ ومراقصُ  
وإذا أنا من صَبْوةٍ لغرام  
أتلقَّفُ اللذات غير مُحاذِرٍ  
وأعْبُ في السُّزلات والأثام  
لا أكتفي وأخاف أني أكتفي  
فكأنما في الإكتفاء حِمامي  
وكان هديّ أن تطول ضالّاتي  
وكان ربي أن يمدّ أواامي<sup>١</sup>

---

(١) حرّ العطش

مررت بي الأعوامُ تتلو وبعضها  
وأنا كأنني لستُ في الأعوام  
كالوجِ ضحكي، كالضيءِ ترنُّجي،  
كالفجرِ زهوي، كالخِصمِ عرامي<sup>١</sup>  
حتى إذا هتف المشيبُ بلُمّتي  
ودنت يدُ الماحي إلى أحلامي  
صرخَ الحجا بي ساخطاً متهكماً:  
«هذا الغنى شرٌّ من الإعدام  
أسلمتني للقلب وهو مُضللُ  
فأضررتني وأضررتك استسلامي  
يا صاحبي! أطلقني من سجنِ الرؤى  
أنا تائه! أنا جانع! أنا ظامي!  
وأراد عقلي أن يقودَ سفينتي  
للشطّ في بحرِ الحياة الطّامي  
فطويتُ أعلامَ الهوى وهجرتُها  
ونسيتُ حتى أنّها أعلامي!  
وحسبتُ الأمي انتهت لما انتهى  
فإذا النّهايةُ أعظمُ الآلام  
وإذا الطريقُ مخاوفٌ ووساوسُ  
وإذا أنا من هبوةٍ لِقَتام<sup>٢</sup>  
أبغى الثراء ولم يكنْ من مطلبي  
وأرى الجمالَ بناظرٍ مُتعام  
وأشيدُ، مثل الناسِ، مجداً زانفاً  
وأشدُّ حولَ الروحِ ثوبَ رِغام<sup>٣</sup>

(١) الشدة والقوة والشراسة

(٢) الهبو والقتام العبار المخطط بالعبارة



فإذا أنا والأرضُ ملكي والسُّمّا،  
 قد صرتُ عبدَ الناس، عبدَ حُطامي  
 فتضايق القلبُ السَّجِينُ وقال لي:  
 يا أيُّها الجاني! قتلت هُيامي!  
 القفرُ بالأحلام روضٌ ضاحكٌ  
 فإذا تلاشتُ فالرياضُ مُوامي<sup>١</sup>  
 أين العيونُ تُذِيبُنِي حركاتُها  
 وتموتُ في سكناتِها الأمي  
 وأُطلُّ من أهداها السُّكْرَى على  
 ظلٍّ، وأنّداءٍ، وزهرٍ نّام  
 لمّا عصاني أن أشبَّ ضرامها  
 أعيّا عليها أن تشبَّ ضرامي  
 الخمرُ ملءُ الجام لكن قد مضى  
 شوقي إلى الخمرِ التي في الجام  
 أسلمتني للعقل وهو مُضَلَّلٌ  
 فأضررتني وأضررتُ استسلامي  
 انظُرْ، أليس تراك في أوهامه  
 أشقى وأتعس منك في أوهامي  
 المالُ! من ذا يشتريه كاهُ  
 منّي بليلِ صبايةٍ وغرام؟  
 يا صاحبي أطلقني من سجنِ النّهي  
 أنا تائه! أنا جائع! أنا ظامي  
 ❖❖❖❖❖

---

(١) المومة الغلاة لا ماء فيها ولا أنيس

لا تسألوني اليوم عن قيثارتي  
قيثارتي خشبٌ بلا أنغام!  
يا شاعراً غنى فردٌ لي الصَّبَا  
فإذا مواكبُهُ تسيرُ أمامي  
إنَّا التقينا في الشباب وفي الهوى  
في حوْمَتَيْنِ - الشُّعْرِ والإلهام  
وسنلتقي وإن افترقنا في غدٍ  
في حبِّ لبنانٍ وحبِّ الشَّامِ  
وستلتقي رُوحِي وروحُك بعدما  
تفنى الهيكلُ في الإله السَّامِي  
أهلاً بذِي الأدبِ الصُّراحِ المصطفى  
بِالْفَاتِحِ الرُّوحِيِّ بِالمِقْدَامِ  
بِالشَّاعِرِ الغُرَيْدِ في الحانِهِ  
عَبَقُ الرِّبْعِ ونَضْرَةُ الأَكْمامِ  
هو إنْ ذَكَرْتَ الشُّعْرَ مِنْ أُمْرانِهِ  
وَإِذَا ذَكَرْتَ المَجْدَ فهو عِصامي

\*\*\*\*\*

## ٥٥ - مستشفى تل شيجا

[الوافر]

أنشدها في مهرجان أقامته لجنة المستشفى في مدينة دترويت.  
أباعثة المطايا من حديد  
كأسراب القطا العالمينا  
ركائب في فجاج الأرض تسري  
تقلل الذاهبين الأيبينا  
تقص على المدائن والقرايا<sup>١</sup>  
حكاية قومك المستنيطينا  
وكيف العقل يخلق من زري  
مهين، لا زري ولا مهينا  
وينفخ في الجماد قوى وحسا  
فيركض تارة ويطيح حيننا  
ويهتف بالقصائد والأغاني  
وقد ذهب الردى بالمنشديننا  
لقد حسدتك أم الفن روما  
كما حسدتك ضررتها أثينا  
فمجدك فوق مجدهما علا  
وحسنك فوق حسنهما فتونا  
نزلنا في حماك فقربينا  
وباركنا ثراك فباركيننا  
فما لطماعة<sup>٢</sup> بنضار فوردي

(١) تجمع القرية في معاجم اللغة، على قرى

(٢) الأصل في المعجم طماعية

وفضَّته اليك اليوم جينا  
 فما هو في سماحته كمعن<sup>(١)</sup>  
 وليست نُوقه لذابحينا  
 ولكن فيك إخوان هويننا  
 لأجلهم جميع الساكنينا  
 أحببونا كأنهم نوونا  
 وأنسوننا بأطفهم نوينا  
 وعاهدناهم إذ عاهدونا  
 فلم نذكُّ ولا نكُتُّوا يميننا  
 إذا غضبوا على الدنيا غضبنا  
 وإن يرضوا على الدنيا رضينا  
 دعاهم للعلأ والخير داع  
 من الوادي فلبوا أجمعينا  
 أيخذل جارة الوادي بنوها؟  
 معاذ الله! هذا لن يكونا  
 فما لاقيت زحلياً<sup>(٢)</sup> جباناً  
 ولا لاقيت زحلياً ضنيننا  
 تأمل كيف أضحى تلُّ شحاً  
 يُحاكي في الجلالة طور سيننا  
 فعن هذا تحدت الوصايا  
 وفي هذا وجدنا المحسنينا  
 على جنباته وعلى ذراه  
 جمال يبهر المتأملينا  
 فلم أر مثله للخير دنيا

(١) معن بن زائدة أحد كرماء العرب في التاريخ

(٢) نسبة إلى زحلة في لبنان

ولم أر مثله فتحاً مبیناً  
 فیا أشبال لبنان المُفدّی  
 ویا إخواننا وبنی أبینا  
 ترنّح عَصْرُکُمْ فخرأ وهشت  
 لصنعکم عظام المائتینا  
 تباری الناسُ فی طلب المعالی  
 فکنتم فی المجال السّابقینا  
 بنی الأهرام فرعون فدامت  
 لتخبر کیف کان الظّالمونا  
 وکم أشقى الجموع الفرد منهم  
 وکم طمس الألف لکی یبینا  
 وشدّت معهداً فی تلّ شیحاً  
 سیبقی ما جاء للبائسینا  
 یطلّ الفجرُ مُبتسماً علیه  
 ویرجع مطمئناً مُستکینا  
 ویمضي یملأ الوادی ثناءً  
 علیکم والأباطح والحزونا  
 أری غیثین یستبقان جوداً  
 هما مطرُ السّما والغائثونا  
 لنّ حجب الغمام الشّمس عنا  
 فلم یطمس ضیاء الله فینا  
 ولم یستر سبیل الخیر عنکم  
 ولم یقْبِضْ أكف البازلینا  
 وجدت المرء حبّ الخیر فیهِ  
 فإنّ یفقدّه صار المرء طیناً  
 تكمش فی الحقول الشوک بخلأ

فذلُّ وعاش مُكْتَبِباً حزيناً  
وأسنى<sup>١</sup> الورد، إذ أعطى شذاه،  
مكانته، فكن في الواهين  
سألت الشعر أن يُثني عليكم  
فقلت لي القوافي: قد عينا  
سيجزيهم عن البؤساء ربُّ  
يكافئ بالجميل المحسنينا

\*\*\*\*

---

(١) أسنى الورد مكانته رفعها (أسناه رفعه)

## ٥٦ - أفاتحة أم ختام

[السريع]

قالها في رثاء الأسقف عمانوئيل أبو حطب  
ما وعظ الإنسان مثل الحِمَامِ  
فاليَتُّ عَظُّ بالصُّمِّتِ أَهْلُ الْكَلَامِ  
أفصح من كلِّ فصيح بنا  
هذا الذي أعياه ردُّ السَّلامِ  
أنِّي أراه وهو في صمِّمته  
أروع من جيشٍ كبيرٍ لِهَامِ<sup>١</sup>  
نامت جفونٌ سهرت لعلًا  
من قبل أن ينجاب جنح الظلامِ  
وسكن الوُثَّابُ في صدره  
من قبل أن يُدرك كلَّ المرامِ  
يا لهفة القوم على كوكبٍ  
لاح قليلاً واختفى في الغمامِ  
ولهفة الدين على سيِّدٍ  
كان يُرجى في الخطوب الجسامِ  
وصاحب قد كان في صحَّبه  
كالروض فيه أرج<sup>٢</sup> وابتسامِ  
ما غاب عنَّا وكأني به  
يفصله عن صحَّبه ألف عامٍ!

(١) الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شيء

(٢) انتشار فوح الطيب (أرج - يلرج)

من الذي يُطْفئُ من بعده  
 في المُهْجِ الحرَّى ذكي الضَّرام؟  
 من الذي يمسحُ دمعَ الأسى  
 وماسحُ الأدمع تحت الرِّغام؟<sup>١</sup>  
 يا نائماً مُستغرقاً في الكرى  
 خطبك قد أقلق حتى النيام!  
 خبر فإنَّ القوم في حيرة  
 هل الردى فاتحة أم ختام؟  
 وهل صحيح أن كلَّ المُنَى  
 يطحنها صرفاً<sup>٢</sup> الردى كالعظام؟  
 وهل حقيق أن أهل العلأ  
 والفضل بعد الموت مثل الطُّغام؟<sup>٣</sup>  
 أم بعد هذا يقظة حادة  
 ينسى بها المرء الشُّقا والسُّقام؟  
 ويصبحُ النَّابِهُ في مَأْمَنٍ  
 من عنتِ المال وعيثِ الحُسام؟  
 وتستوي الحالات في حالة  
 لاحيِّف فيها، لا أذى، لا انتِقام؟  
 خبر، وحدت، كأننا حائر  
 نو الجهل منَّا والأريب الهُمَام

(١) التراب

(٢) صرف الدهر نوائبه

(٣) أوغاد الناس



لَأَيِّمًا أَمْرِي عَيْشُ الْوَرَى؟  
لَأَيِّمًا أَمْرِي مَوْتَ الْأَنَامِ؟  
وَأَيْنَ دَارُ لَيْسَ فِيهَا شَقَا  
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَاتِيكَ دَارَ السَّلَامِ؟  
نَمِ امْنًا، فَالْمَرَّةَ بَعْدَ الرَّدَى  
كَالْفَكْرِ، لَا يُزْرَى بِهِ، لَا يُضَامُ

\*\*\*\*

## ٥٧ - الأسطورة الأزلية

[السريع]

توطئة:

كان زمان لم يزل كأننا  
وحالة ما برحت باقية  
مل بنو الإنسان أطوارهم  
وبرموا بالسقم والعافية  
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا  
لو أنه كونهم ثانیه  
وبالغت أصواتهم عرشه  
في ليلة مقمرة صافية  
فقال اني فاعل ما اشتها  
لعل فيه حكمة خافية  
وشاهدوه هابطاً من عل  
فاحتشدوا في السهل والرابية  
من القرى القانعة الطاوية  
والمدن الجامحة الغابية  
تألبوا من كل صوب كما  
تجتمع الأمطار في الساقية  
يسابق الصاعوك رب الغنى  
والأبله الباقعة<sup>(١)</sup> الداهية  
ويدفع الشيخ التوى عوده  
وصار مثل الرمة البالية

---

(١) الداهية

فتى مضى الفجر ولمّا نزل  
 روعته في وجهه باقيه  
 وتزحم الحسنة ممكورة<sup>(١)</sup>  
 خلابة كالروضة الحالية  
 دمية تشبه في قبحها  
 مدينة مهجورة عافية<sup>(٢)</sup>  
 فصاح رب العرش: ما خطبكم  
 ما بالكم صرخاتكم عالية؟  
 هل أصبحت أرضكم عاقراً؟  
 أم غارت الأنجم في هاوية؟  
 أم أقالع الماء فلا جدول؟  
 وماتت الطير فلا شادية؟  
 أم فقدت أعينكم نورها؟  
 أم غشيت أرواحكم غاشية؟  
 أين الهوى؟ إن لم يكن قد قضى  
 فكل جرح واجد أسية<sup>(٣)</sup>

الفتى

قال الفتى: يا رب إن الصبا  
 صدد أحزاني والامي  
 البستنيه مونقاً بعدما  
 أبلاه أخوالي وأعمامي

(١) المستديرة الحصر، المحفوفة

(٢) عفا الرسم زال وامحى

(٣) الأسى الطيب

وصار، في مذهبهم، عصره  
فتترة زلات واثام  
فاختلفت حالي وحالاتهم  
كأنني في غير أقوامي  
وصيرت كالجدول في فدفد  
أو شاعر ما بين أصنام  
والأخضر المورق في يابس  
أو مثل صاح بين نؤام  
دنياهم دنياي لكنما  
أعلامهم ليست كأعلامي  
عندهم الروضة أشجارها  
والروض عندي الزهر النامي  
والطير لحم ودم عندهم  
وليس عندي غير أنغام  
سكري بها أو بالندى والشذا  
وسكرهم بالخمير في الجام  
يسخر قلبي بالياليهم  
ويسخر الدهر بأيامي  
كأنني جئت ليتبكيهم  
كأنهم جاعوا لإيلامي  
عبء على نفسي هذا الصبا  
أجانش المستوفز الطامي  
يزرع حولي زهرات المني  
وشوكها في قلبي الدامي

فَنَازِلُهُ فِي كُلِّ نَازِلٍ هَوًى  
 فَنَازِلُهُ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الدَّامِ  
 خُذْهُ، وَخُذْ قَلْبِي وَأَحْلَامَهُ  
 فَإِنَّنِي أَشَقَى بِأَحْلَامِي  
 وَمُرَّيْمُرُ الدَّهْرِ فِي لَحْظَةٍ  
 كَالطَّيْفِ أَوْ كَالْبَرْقِ قُدَّامِي  
 وَازْرَعْ نَجُومَ الشَّيْبِ فِي لِمَّتِي  
 فَيَنْجِلِي حِنْدِسُ أَوْهَامِي  
 فَأُبْصِرُ الْحِكْمَةَ فِي ضَوْئِهِ  
 إِنِّي إِلَيْهَا جَانِعٌ ظَامِي

الشيخ

وَجَاءَ شَيْخٌ حَانِرٌ وَاجِفٌ  
 مُشْتَغِلُ الْأَمَّةِ بِأَلِي الْإِهَابِ  
 كَأَنَّمَا زَلْزَلَتْهُ تَحَنُّهُ  
 لِمَا بِهِ مِنْ رَعِشَةٍ وَاضْطِرَابِ  
 فَصَاحَ: يَا رَبِّاهُ! خُذْ حِكْمَتِي  
 وَارِدِّ عَلَى عَبْدِكَ عَصْرَ الشُّبَابِ  
 إِنَّ أَمَانِي الرُّوحَ أَزْهَارَهَا  
 وَإِنْ رُوحِي الْيَوْمَ قَفَرُ يَبَابِ  
 لَا جَدُولَ لَا بَلِيلَ مُنْشِدُ  
 بَلَى، بِهَا الْوَحْشَةُ وَالْإِكْتِنَابِ  
 تِلْكَ الْأَمَانِيُّ عَلَى كَذِبِهَا  
 لَمْ تَكُنْ اللَّذَّةُ فِيهَا كِذَابِ  
 زَالَتْ وَمَا زَلَتْ، وَإِنَّ الشُّقَا  
 أَنْ تُطْمَسَ الْأَيُّ وَيَبْقَى الْكِتَابِ

وتُسَلِّبُ السَّرْحَةَ أَوْرَاقَهَا  
 ولم تزلْ أعراقُها في التُّرَابِ  
 كُنْتُ غَنِيًّا فِي زَمَانِ الصَّبَا  
 وَكُنْتُ صِفْرَ الْكَفِّ صِفْرَ الْوَطَابِ<sup>(١)</sup>  
 صَحَوْتُ مِنْ جَهْلِي فَأَبْصَرْتُنِي  
 كَأَنِّي سَفِينَةٌ فِي الْعُيَابِ  
 قِيلَ لَهَا: فِي الْبَحْرِ كُلِّ الْمُنَى  
 فَلَمْ تَجِدْ فِي الْبَحْرِ إِلَّا الضُّبَابِ  
 نَأَتْ عَنِ الشُّطِّ وَلَمْ تَقْتَرِبْ  
 شَبْرًا مِنَ السَّرِّ الَّذِي فِي الْحِجَابِ  
 وَلَوْ تُرَجِّى أَوْبَهُ لَأَشْتَفْتُ  
 لَكُنَّمَا عَزَّ عَلَيْهَا الْإِيَابِ  
 مَرَّتْ قَفِ الْأَيَّامِ عَنْ سَيْرِهَا  
 فَإِنَّهَا تَرْكُضُ مِثْلَ السُّحَابِ  
 وَضَعُ أَمَامِي، لَا وَرَائِي، الْمُنَى  
 وَطَوَّلَ الدَّرْبَ وَزِدْ فِي الصَّعَابِ  
 مَا لَدَّتِي بِالمَاءِ أَرَوَى بِهِ  
 بِلَ لَدَّتِي فِي الْعَدْوِ خَلْفَ السَّرَابِ

#### الحسنة

وَقَالَتِ الْحَسَنَاءُ: يَا خَالِقِي!  
 وَهَبْتَنِي الْحُسْنَ فَأَشْقَيْتَنِي  
 وَجْهِي سَنِيٌّ مُشْرِقٌ أَنَّمَا  
 مَرَعَى عَيُونِ الْخَلْقِ وَجْهِي السَّنِي

(١) الوطاب أنية اللين (سقاؤه)

حَظِّي مِنْهُ حَظُّ وَرْدِ الرِّبَا  
 مِنْ عَطَرِهِ الْفَوَاحِ وَالسَّوْسِنِ  
 وَمِثْلَ حَظِّ السُّرُوفِ فِي فَيْئِهِ  
 وَالطَّيْرِ مِنْ تَغْرِيدِهَا الْمُتَقِنِ  
 وَمِثْلَ حَظِّ النِّجْمِ مِنْ نُورِهِ  
 فِي الْحِنْدِسِ الْمُعْتَكِرِ الْأُنْجَنِ  
 لِلْقَائِلِ الْفِيءِ، وَلِلسَّمَاعِ الدُّ  
 تَغْرِيدُ، وَالزَّهْرَةُ لِلْمُجْتَنِي  
 وَالنُّورُ لِلْمَدْلُجِ وَالْمُجْتَلِي  
 وَالدَّرُّ لِلْقَانَصِ وَالْمُقْتَنِي  
 كَمْ رِيْبَةٌ دَبَّتْ إِلَى مَضْجَعِي،  
 وَتَهْمَةٌ حَامَتْ عَلَى مَسْكَنِي  
 كَأَنَّمَا لَا أَدَبُ مِمَّا كُنْتُ  
 مَعَ الْجَمَالِ الرَّائِعِ الْمُمَكَّنِ  
 إِنْ عَشِقْتُ نَفْسِي فَوَيْلُ لَهَا  
 وَالْوَيْلُ لِي إِنْ رَجُلٌ حَبَّبَنِي  
 السَّمُّ وَالشُّوْكَ وَجَمْرُ الْغَضَا  
 أَهْوَنُ مِنْ كَاشِحَةِ الْأَكْسَنِ  
 كَمْ تَقْتَفِينِي نَظَرَاتُ الْخَنَا  
 وَيَلِي مِنْ خَائِنَةِ الْأَعْيُنِ  
 لَمْ يَبْقَ فِي رُوحِي مِنْ مَوْضِعِ  
 يَا رَبُّ لَمْ يُخْدَشْ وَلَمْ يُطْعَنْ  
 إِنْ الْغِنَى فِي الْوَجْهِ لِي أَفْءُ  
 يَا لَيْتَنِي دَمِيمَةٌ لَيْتَنِي!

## الجارية

وسكنتُ، فصاحتِ الجارية  
بأكيّة من بُؤسها شاكية  
ذنبي إلى هذا الورى خلقتي  
فهل أنا المجرمةُ الجانية؟  
إن أخطأ الخزافُ في جبله الطُّ  
طين فأيّ الذنبِ لآنيه؟  
أليس من يسخرُ بي يزدرى  
بالقوّة الموجدِ الباريه؟  
لو كنتُ حسناءً بلغتُ العُلا  
فلجمالِ الرتبةِ العاليه  
وبات من أسجدُ قدّامه  
صاغرةً يسجدُ قدّاميه  
فإنّني في ملأ ظالم  
أحكامه جانرةً قاسيه  
ليس لذاتِ القُبْح من غافرٍ  
وفيه من يغفرُ لزانيه  
نفسي جزءُ منك يا خالقي  
وانها عاقلةٌ راقيه  
أليس ظالماً، وهى بنتُ العُلا،  
إن تكُ بالقُبْح إنزُ كاسيه  
فإيكنُ الحُسنُ رداءً لها  
ترفُلُ به أو فلتكنُ عاريه



## الفقير

وأقبل الصُّعلوك مُسترحماً  
في مُقلاتيه شبحُ اليأسِ  
يصرُخُ: يا ربَّاهُ حتى متى  
تُحكِّمُ الموسِرَ في نفسي؟  
وتضعُ التاجَ على رأسِهِ  
وتضعُ الشُّوكَ على رأسِي؟  
ويشربُ الأذاتِ من كأسِهِ  
وأشربُ الغصَّاتِ من كأسِي  
وتتجلى الشُّهبُ في ليلِهِ  
ضاحكةً كالغيدِ في عرسِ  
ويتوارى في نهاري السُّنا  
أو يتبدى حانق الشُّمسِ  
يا ربَّ لا تنقلهُ عن أنْسِهِ  
وانَّما انقُلْني إلى الأنسِ  
فإنَّ تشأَّ ألا يذوق الهنا  
قلبي، فجردَّني من الحسِّ  
لو لم يكن غيري في غبطةٍ  
ما شعرتُ رُوحِي بالبؤسِ

## الغني

وقال ذو الثروة: ما أَشْتَهِي  
لا أَشْتَهِي أَنِّي ذو ثروةٍ  
أنفقتُ أيَّامِي على جمعِها  
وخِلَّتْني أدركتُ أمنيَّتي

فاستعبدتني في زمان الصبا  
 وأوقرت بهم شيخوختي  
 قد ما كنتني قبالما حُرَّتْها  
 وما كنتني وهي في حوزتي  
 كنحالة أمسكها شهدها  
 من الجناحين فلم تُفَلت  
 حسبنتها تكسبني قوة  
 فافترست قوتها قوتي  
 جئت على نفسي وأحلامها  
 جناية الشوك على الورد  
 ينمو وفتنوي فهي عليقة  
 يحذرهما الطائف بالروضة  
 من قائل عني لمن خالني  
 أمرح من دنياي في جنة  
 لا تنظر الأضواء في حجرتي  
 وانظر إلى الظلماء في مهجتي  
 ولا يغرنك قصري فما  
 قصري سوى سجن لحرיתי  
 أني في القصر الرفيع الذرا  
 كطائر، في قفص، ميت  
 كم في عباب البحر من ساج  
 قد مات ظمناً إلى قطرة  
 موت الطوى شر، ولكنما  
 أفلح منه الموت بالتخمة  
 كم من فقير مرّ بي ضاحكاً  
 كأنما يسخر من كُرْبتي

رَأَيْتُهُ بِالْأَمْسِ مِنْ كُتُوتِي  
 فَخِلْتُ نِي أَنْظُرَ مِنْ هُوَّةٍ  
 وَكُنْتُ كَالْحَوْتِ رَأَى مَوْجَةً  
 ضَاكِكَةً تَرْقُصُ كَالطُّفْلَةِ  
 أَوْ حَيَّةً تَدْبُ فِي مَنْجَمٍ  
 تَرْنُو إِلَى فَرَاشَةٍ حُرَّةٍ  
 قَدْ اخْتَفَتْ ذَاتِي فِي بُرْدَتِي  
 فَمَا يَرَى الْخَلْقُ سِوَى بُرْدَتِي  
 فَهَمَّ إِذَا مَا سَلَّمُوا سَلَّمُوا  
 عَلَى خِيُوطِ الْبُرْدِ وَالْجُبَّةِ  
 رَبَّاهُ أَطْلُقَ مِنْ عِقَالِ الْغِنَى  
 رُوحِي، فَإِنِّي مِنْهُ فِي مِحْنَةٍ!  
 وَانزَعُ مَعَ الدِّينَارِ مِنْ قَبْضَتِي  
 صَلَابَةَ الدِّينَارِ مِنْ سِجِّنَتِي  
 وَحَوِّلِ الْمَالَ إِلَى رَاحَةٍ  
 وَحَوِّلِ الْقَصْرَ إِلَى خِيَمَةٍ

الأبله

وَصَرَخَ الْأَبْلَهُ مُسْتَفْسِراً:  
 مَا الْقَصْدُ مِنْ خَلْقِي كَذَا مَا الْمُرَادُ؟  
 أَلَمْ يَكُنْ يَكْمُلُ هَذَا الْوَرَى  
 إِلَّا إِذَا أَوْجَدْتَنِي فِي فُسَادٍ؟  
 لِي صُورَةُ النَّاسِ وَحَاجَاتُهُمْ  
 مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ رُقَادٍ  
 لَكِنْ لَبِّي غَيْرُ الْبَابِ لَهُمْ  
 فَإِنَّهُ مَكَتَنَفٌ بِالسَّوَادِ

يُعجزني إدراكُ ما أدركوا  
 كأنَّ عقلي فحمةٌ أو رماد  
 إن كنتُ إنسانًا فلم ياترى  
 لستُ بإدراكي كباقي العباد؟  
 أو لم أكن منهم فمُرني أكن  
 جرادةً أو أرنبًا أو جواد  
 فالنَّدُّ لا يعدمُ من نِدهِ  
 ذريعةً لاسلِّم أو للجهاد  
 لا تسخرُ النملةُ من نملةٍ  
 وليس يُزري بالقرادِ القرادُ<sup>١</sup>  
 أم أنت كالحقل على رغمه  
 ينمو مع الحنطة فيه القتاد؟

#### الأريب

وجاء بعد الأبله المُستريبُ  
 الألعى العبقريُّ اللبيبُ  
 فقال: إنِّي تائهٌ حائرُ  
 أنا غريبٌ في مكانٍ غريب  
 أبحثُ عن نفسي فلا اهتدي  
 وليس يهديني إليها أريب  
 أنا عالمٌ حيث لا عالمُ  
 أنا لبيبٌ عند غير اللبيب  
 لو أنني كنتُ بلا فطنة  
 سرتُ ولم تكثُرْ أمامي الدُّروب  
 وكان عقلي كعقول الوري  
 وكان قلبي مثل باقي القلوب

(١) دُوِّيَّةٌ تعض الإبل

وصار عندي كالنجوم الورى  
 فلا عدو فيهم أو حبيب  
 ولم أجد في ضحكهم والبكا  
 شيئاً سوى الضحك والا النحيب  
 ولم أسأل كوكباً طالعا:  
 ما لك تبدو ولماذا تغيب  
 ولم أقف في الروض عند الضحى  
 يذهلني لون وشكل وطيب  
 ولم أقل ما كنت من قبل ما  
 كنت ولا ما في سجل الغيوب  
 ما العقول يا رب سوى محنة  
 لولاه لم تكتب علي الذنوب

#### الخاتمة

لما وعى الله شكايا الورى  
 قال لهم: كونوا كما تشتهون  
 فاستبشر الشيخ، وسر الفتى  
 والكاعب الحسناء، والخيروبون  
 لكنهم لما اضمحل الدجى  
 لم يجدوا غير الذي كانا!



هم حدثوا القبح فكان الجمال  
 وعرفوا الخير فكان الصلاح  
 وليس من نقص ولا من كمال  
 فالشوك في التحقيق مثل الأقاح  
 وذرة الرمل كل الجبال  
 وكالذي عز الذي هانا!



## المحتوى

### الديوان الرابع (الخمائل)

|     |                          |
|-----|--------------------------|
| ٦٦٩ | ١ - المدخل               |
| ٦٧١ | ٢ - الشاعر والملك الجائر |
| ٦٧٨ | ٣ - الدمعة الخرساء       |
| ٦٨٣ | ٤ - الفيلسوف المجنح      |
| ٦٨٦ | ٥ - ماء وطنين            |
| ٦٨٨ | ٦ - الإبريق              |
| ٦٩٠ | ٧ - أمنية إلهة           |
| ٦٩٤ | ٨ - ليل الأشواق          |
| ٦٩٧ | ٩ - عش للجمال            |
| ٦٩٩ | ١٠ - وقائلة              |
| ٧٠٢ | ١١ - موميات              |
| ٧٠٧ | ١٢ - هدايا العيد         |
| ٧٠٩ | ١٣ - الفراشة المحتضرة    |
| ٧١٣ | ١٤ - ابتسم               |
| ٧١٥ | ١٥ - لو أستطيع           |

|     |                       |
|-----|-----------------------|
| ٧١٦ | ١٦- يا نفس            |
| ٧١٩ | ١٧ - الكنار الصامت    |
| ٧٢٠ | ١٨ - لم يبق غير الكأس |
| ٧٢٥ | ١٩ - رأي الاكثرية     |
| ٧٢٦ | ٢٠ - كتابي            |
| ٧٣٠ | ٢١ - كن بلسماً        |
| ٧٣٣ | ٢٢ - الخمر والدنيا    |
| ٧٣٥ | ٢٣ - لهما             |
| ٧٣٦ | ٢٤ - تأملات           |
| ٧٤٠ | ٢٥ - شاعر الشهور      |
| ٧٤٣ | ٢٦ - الكأس الباقية    |
| ٧٤٥ | ٢٧ - الشجاع           |
| ٧٤٦ | ٢٨ - أبي              |
| ٧٥٠ | ٢٩ - ذكرى             |
| ٧٥٢ | ٣٠ - يا جنّتي         |
| ٧٥٣ | ٣١ - الشاعر في السماء |
| ٧٥٧ | ٣٢ - كلوا واشربوا     |
| ٧٦٠ | ٣٣ - حديث موجة        |

|     |                        |
|-----|------------------------|
| ٧٦٣ | ٣٤ - ابيسمي            |
| ٧٦٤ | ٣٥ - مجاهد             |
| ٧٦٩ | ٣٦ - الكريم            |
| ٧٧٠ | ٣٧ - عبد               |
| ٧٧١ | ٣٨ - لبنان             |
| ٧٧٤ | ٣٩ - أنت والكأس        |
| ٧٨٠ | ٤٠ - الشباب والحب      |
| ٧٨٢ | ٤١ - الغابة المفقودة   |
| ٧٨٦ | ٤٢ - أبو غازي          |
| ٧٩٠ | ٤٣ - فلسطين            |
| ٧٩٣ | ٤٤ - الغبطة فكرة       |
| ٧٩٥ | ٤٥ - الفتى الأفضل      |
| ٧٩٦ | ٤٦ - من أنا            |
| ٧٩٩ | ٤٧ - كمنجة الشّوا      |
| ٨٠٢ | ٤٨ - إذا               |
| ٨٠٣ | ٤٩ - شبح               |
| ٨٠٧ | ٥٠ - أنا وابني         |
| ٨٠٩ | ٥١ - عبد الله البستاني |



|     |                       |
|-----|-----------------------|
| ٨١٤ | ٥٢ - كم تشكي          |
| ٨١٧ | ٥٣ - فلوريدا          |
| ٨٢٠ | ٥٤ - بين مدّ وجزر     |
| ٨٢٤ | ٥٥ - مستشفى تل شيجا   |
| ٨٢٨ | ٥٦ - أفاتحة أم ختام   |
| ٨٣١ | ٥٧ - الأسطورة الأزلية |
| ٨٤٢ | - المحتوى             |

\*\*\*\*

# الديوان الخامس

## (تبروتراب)

الطبعة الأولى (دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٠).

يضم تسعة وخمسين نصاً شعرياً، جمعها الشاعر المهجري جورج صيدح، صديق أبي ماضي، من المجلات والصحف التي نُشرت فيها، وكثير منها يتكون من أبيات قليلة، ألحقت بدواوين الشاعر الأربعة، وكونت ديوانه الخامس - الأخير. وما تبقى من شعر الشاعر، خارج هذه الدواوين الخمسة، ألحقناه بها، بعد أن وثَّقتُ مصادره .

\*\*\*\*



## ١ - وطن النجوم

[مجزوء الكامل]

وطن النُّجُوم.. أنا هنا حدِّقْ.. أتذكرُ من أنا؟  
المحت في الماضي البعيد فتى غريراً أرعنا؟  
جذلان يمرح في حقولك كالنَّسيم مُدْبِدنا  
المُقتنى المملوك ملعبه وغيّر المقتنى!  
يتسلَّق الأشجار لا ضجراً يُحسُّ ولا ونى  
ويعود بالأغصان يبريها سيوفاً أوقنا  
ويخوض في وحلِّ الشّتاء مُتهللاً مُتيمِّناً  
لا يتقي شرَّ العيون ولا يخاف الألسننا  
ولكم تشيطن كي يقول الناس عنه: «تشيطننا  
أنا ذلك الولد الذي دنياه كانت ههنا!  
أنا من مياه قطرة فاضت جداول من سننا'  
أنا من تُرابك ذرة ماجت مواكب من مُنى  
أنا من طيورك بأبل غنى بمجدك فاغتنى  
حمل الطلاقة والبشاشة من ربوع الدُّنا  
كم عانقت رُحي رُباك وصفقت في المنحنى؟  
للأرز يهزأ بالرياح وبالدهور وبالفنا  
للبحر ينشره بنوك حضارة وتمدُّنا  
للليل فيك مُصائباً للصبح فيك مُؤدِّنا  
للشمس تُبطئ في وداع ذراك كيلا تحزننا

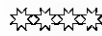
للبدر في نيسان يحلُّ بالضياء الأعيان  
 فينوبُّ في حدقِ المها سحرًا لطيفاً ليّناً  
 للحقل يرتجلُ الروائع زنبقاً أو سوسناً  
 للعُشب يرتجلُ الندى الغصن أثقله الجنى  
 عاش الجمال مشرداً في الأرض ينشدُ مسكناً  
 حتى انكشفت له فالقى رحله وتوطّنا  
 واستعرض الفنُّ الجبال فكنت أنت الأحسننا  
 لله سرُّ فيك يا لبنان لم يُعلن لنا  
 خلق النجوم وخاف أن تُغوي العقول وتفتنا  
 فأعار أرك مجده وجلاله كي نوّمننا  
 زعموا سلوتك.. ليتهم نسبوا إلي المُمكنا  
 فالمرء قد ينسى المُسيء المقتري والحسيننا  
 والخمر والحسناء والوتر المرنج والغنا  
 ومرارة الفقر المُذلّ بلى، ولذات الغنى  
 لكنّه مهما سلا هيّات يسلو الموطنا

\*\*\*\*\*

## ٢ - تحية الشام

[الكامل]

حيّ الشام مُهنّداً وكتّاباً  
والغوَطة الخضراء والمحّراباً  
ليست قِباباً ما رأيتُ وإنما  
عزمٌ تمرّدٌ فاستطال قِباباً  
فالتّم بروحك أرضها تلثمُ عصو  
رأ اللعلاء سكنت حصي وتراباً  
واهبط على بردى يُصفّق ضاحكاً  
يستعطف التلعات<sup>١</sup> والأعشاب  
روح أطل من السّماء عشية  
فرأى الجمال هنا فحنّ فذاباً  
وصفاً وشفّ فأوشكت ضفّاته  
تنساب من وجد به منساباً  
بل أدمع حور الجنان ذرفنها  
شوقاً، ولم تملك لهنّ إياباً  
بردى! ذكرتكَ للعطاشى فارتووا  
وبني النهى<sup>٢</sup> فترشّفوك رُباباً  
مرت بك الأدهار لم تخبّث ولم  
تفسد، وكم خبّث الزمان وطاباً



(١) التلعة ما ارتفع أو انخفض من الأرض (من الأضداد)

(٢) النهية العقل (والجمع نهى)

بِأَبِي وَأُمِّي فِي الْغُرَاءِ مُوسِدُ  
 بَعَثَ الْحَيَاةَ مَطَامِعاً وَرَغَابَا  
 لِمَا ثَوَى فِي مَيْسَلُونٍ تَرَنُّحَتْ  
 هَضْبَاتُهَا وَتَنَفُّسَتْ أَطْيَابَا  
 وَآتَى النُّجُومُ حَدِيثَهُ فَتَهَافَّتَتْ  
 لَتَقُومَ حُرَّاساً لَهُ حُجَّابَا  
 مَا كَانَ يُوسُفُ وَاحِداً بَلْ مُوَكَّبُ  
 لِلنُّورِ غُلْغُلٍ فِي الشَّمْسِ فُغَابَا  
 هَذَا الَّذِي اشْتَاقَ الْكَرَى تَحْتَ الثَّرَى  
 كَيْ لَا يَرَى فِي جُلُقِ الْأَغْرَابَا  
 وَإِذَا نَبَا الْعَيْشُ الْكَرِيمُ بِمَا جِدِ  
 حُرَّ رَأَى الْمَوْتَ الْكَرِيمَ صَوَابَا  
 إِنِّي لَأُزْهِى بِالْأَفْتَى وَأُحِبُّهُ  
 يَهْوَى الْحَيَاةَ مَشَقَّةً وَصِيعَابَا  
 وَيَضُوعُ عَطِراً كَلِمَا شَدَّ الْأَسَى  
 بِيَدَيْهِ، يِعْرُكُ قَلْبَهُ الْوُثْبَا  
 وَيَسِيلُ مَاءً إِنْ حَوَاهُ فَدَفْدُ<sup>١</sup>  
 وَإِذَا طَوَاهُ اللَّيْلُ شَعَّ شِهَابَا  
 وَإِذَا الْعَوَاصِفُ حَجَبَتْ وَجْهَ السَّمَاءِ  
 جَدَلُ الْعَوَاصِفِ لِلسَّمَاءِ أَسْبَابَا  
 وَإِذَا تَقَوَّضَ صَرْحُ أَمَالِ بَنَى  
 أَملاً جَدِيداً مِنْ رَجَاءٍ خَابَا  
 فَابْنُ الْكَوَاكِبِ كُلِّ أَفْقٍ أَفْقُهُ  
 وَابْنُ الضُّرَاغِمِ لَيْسَ يَعْدِمُ غَابَا

❖❖❖❖❖

---

(١) الفلاة لا شيء فيها

عجباً لقومي والعدو ببابهم  
 كيف استطابوا اللهو والألعاب؟  
 وتخاذلت أسيافهم عن سحقه  
 في حين كان النصر منهم قاباً<sup>(١)</sup>  
 تركوا الحسام إلى الكلام تعللاً  
 يا سيف ليتك ما وجدت قراباً!  
 دنياك يا وطن العروبة غابة  
 حشدت عليك أراقماً<sup>(٢)</sup> وذئاباً  
 فالبس لها ماء الحديد مطارفاً  
 واجعل لسانك مخاباً أو ناباً  
 لا شرع في الغابات إلا شرعها  
 فدع الكلام شكايةً وعتاباً  
 هذي هي الدنيا التي أحببتها  
 وسقيت غيرك حباً أكواباً  
 وضحكت مع أحلامها وبكيت في  
 الأمها، وجرعت معها الصاباً<sup>(٣)</sup>  
 وأضل روحك في السرى وأضلها  
 ما خلته ماء فكان سريراً  
 ونظرت، والأوصاب تنهش قابها  
 فرأيت كل لذاعة أوصاباً<sup>(٤)</sup>  
 شاء الظلوم خرابها فإذا الورى  
 لا يبصرون سوى نهاه خراباً

(١) قريباً (قاب الرجل قرّب)

(٢) الأرقم من الحيات ما فيه بياض وسواد

(٣) عصارة شجر مر

(٤) الوصب المرض



دنيا تَأْلُو أَمْسُهَا فِي يَوْمِهَا  
 فَاسْتَجْمَعِ الْأَنْسَابَ وَالْأَحْسَابَ  
 وَسِرَى سِنَاءِ الْوَحْيِ مِنْ أَفَاقِهَا  
 يَغْشَى الْعُصُورَ وَيَغْمُرُ الْأَحْقَابَ  
 الْحَقُّ مَا رَفَعَتْ بِهِ جِدْرَانِهَا  
 وَالْخَيْرُ مَا زَانَتْ بِهِ الْأَبْوَابَ  
 فَاسْتَنْطِقِ التَّارِيخَ هَلْ فِي سِفْرِهِ  
 مَجْدٌ يُضَاهِي مَجْدَهَا الْخَلَائِبَ؟  
 شَابَتْ حَضَارَاتٌ، وَدَالَتْ وَانْطَوَتْ  
 أُمَمٌ، وَمَجْدٌ أُمِّيَّةٌ مَا شَابَا  
 الْأَمْسُ كَانَ لَهَا وَإِنْ لَهَا غَدَا  
 تَتَلَفَّتْ الدُّنْيَا لَهُ إِعْجَابَا  
 غَنِيَّتٌ مِنْ قَبْلِ الْمُحَوَّلَةِ وَالْعَرَا  
 أَفْلا تَغْنِي الرُّوضَةُ الْمَخْضَابَا؟<sup>١</sup>  
 عَطَفَتْ لِيَالِيهَا عَلَيْكَ بِشَاشَةً  
 فَانْسِ الْيَالِي غُرْبَةً وَعَذَابَا  
 وَانْشَرَّ جَنَاحُكَ فَالْفَضَاءُ مَنْوَرٌ  
 وَامَلَأْ كَوْوَسَكَ قَدْ وَجَدْتَ شَرَابَا  
 فَلِشَيْءٍ مِثْلِكَ كُؤِنْتُ، وَلِثَالِهَا  
 خَلَقَ الْإِلَهُ الْبَلْبِلَ الْمِطْرَابَا  
 ❦  
 لَيْتَ الرِّيَاضُ تُعِيرُنِي الْوَانِهَا  
 لِأَصُوغَ مِنْهَا لِلرَّئِيسِ خِطَابَا

(١) الْمُحَوَّلَةُ الْجَدْبُ وَانْقِطَاعُ الْمَطَرِ وَيَبُوسَةُ الْأَرْضِ

وأقول: إني عاجزٌ عن شكره  
عَجَزَ الْأَنَامِلُ أَنْ تَلُمَّ عِبَابَا  
أشكو إلى نفسي الغياء، فتشتكي  
مثلي، وتصممتُ لا تحيرُ جوابا  
فلقد رأيتُ البحرَ حينَ رأيتهُ  
فوقفتُ مضطربُ الروى هيأبا  
أعميد سوريا وكاشف ضرها  
خلقتُ يداك من الشيوخ شبابا  
وبلايلُ كانت تئنُّ سجينه  
أطلقتها وأطرتها أسرابا  
يا صاحب الخلق المصقَّى كالندى!  
لو لم تكن بشرا لكنت سحابا  
أملُ الشبيبة في يدك وديعةُ  
فارفع لها الأخلاق والآدابا  
فالجهلُ، أنى كان، فهو عقوبةُ  
والعلمُ، أنى كان، كان ثوابا  
يا ويح نفسي كم تطاردني النوى  
وتهدُّ مني القلب والأعصابا  
ودعَّتْ خلف البحرِ أمسَ أحبةُ  
وغداً أودعُها هنا أحبابا

\*\*\*\*

### ٣ - الشاعر والكأس

[مجزوء الخفيف]

بات، والكأس في الظلام،  
 في حـديث، ولا كلام  
 هي في صمتها تضيء  
 وهو في صمته يضيء  
 شاعر أنفق الصبا  
 من غرام إلى غرام  
 ذاهل النفس بالروى  
 عن حطام وذي حطام  
 وعن الفقير والغنى  
 وعن الحر والرسول  
 بالشفاه التي طفا  
 بين أهـدأها الأوام<sup>١</sup>  
 بالغواني تطيعة  
 والغواني لها احتكام  
 بالشُّذَّا وهُو فائح  
 والشُّذَّا وهو بالكمام<sup>٢</sup>  
 بالسحاب الذي يسبح  
 ح وبالخادع الجهم<sup>٣</sup>

(١) حرارة العطش

(٢) الكمّ وعاء الطلع وغطاء النور، في الزهر

(٢) السحاب لا ماء فيه

بِالْأَغَارِيدِ وَالْبِلَالِ  
لِوَالِدَيْنِي وَوَالِدَتِي  
حَوْلَهُ الْكَوْنُ فِي وَغْيٍ  
وَهُوَ وَالْكَوْنُ فِي وَنَامٍ  
❖❖❖❖❖❖

مَمَالَهُ الْآنَ وَحَدِّدْ  
سَاكِنُ الْعِرْقِ كَالنِّيَامِ  
سَاهِرٌ غَيْرُ أَنْه  
خَادِرُ الرُّوحِ وَالْعِظَامِ  
صَامِتٌ مِثْلُ كُنْتُمْ بِهِ  
وَكِدْنِي يَا بَلَا أَنْامِ  
أَتُرَى عِضَّهُ الطُّوَى؟  
لَا! فَفِي بَيْتِهِ طَعَامِ  
لَمْ تَزَلْ كَأَسْهٍ لَدَيْهِ  
هَ وَفِي كَأَسْهٍ مُدَامِ  
وَلَهُ تَضْحَكُ الْبُرُوقُ  
قُؤُوبُكِ الْخَيَا السَّجَامِ  
وَلَهُ تَرْتَعِي الْكُؤُوفُ  
كَبُفِي مَسْرَحِ الظَّلَامِ  
وَلَهُ تَلْبِسُ الرُّبَا  
بُرْدُ النُّورِ وَالْغَمَامِ  
وَلَهُ يُعَبِّقُ الشُّذَا  
وَلَهُ تُعْصِرُ الْمُدَامِ

---

(١) الحيا المطر والحصب وسجم سجاماً سال

وله يسمع النُّدى  
 وله يسجعُ الحمَام  
 وله الغفادةُ المائي  
 حنةً والفارسُ الهُمَام  
 كأُها. كأُها له  
 وعلى غيرهِ حرام  
 وهو ساهٍ كأُما  
 بسببِ واهٍ له مرام  
 وجهه غيّر وجهه!  
 أم على وجهه لثام  
 كالتماثيلِ حوله  
 من نَحاسٍ ومن رُخام  
 لا اكْتئابُ ولا رِضاً  
 لا بكاءً ولا ابتسام  
 ليالةٌ ما أمرها  
 ليالةٌ اليأسُ ألفُ عام  
 بقي الحُسْنُ أدماً  
 مات في الشَّاعرِ الهَيام  
 فإذا الكونُ عنده  
 جدتْ كُلُّهُ رِمَام<sup>١</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الرمة القطعة البالية من الحب، والجمع رُمم ورمام

## ٤ - موكب التراب

[الكامل]

في يوم من أيام الصيف الشديدة الحر كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له،  
أمام داره، فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته في الفضاء كالسرايق. وكان في مشهد  
الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية :

مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ وَكَيْفَ عَجَّتْ بِبَابِي؟  
يَا مُوكِبَ الْأَجْيَالِ وَالْأَحْقَابِ  
أَمِنْ الْقُبُورِ؟ فَكَيْفَ مِنْ حَلَّوْا بِهَا؟  
أَهْنَاكَ ذُو أَلَمٍ وَذُو تَطَرَابِ؟  
وَلَهُمْ صَبَابَاتٌ لَنَا؟ أَمْ غُودِرُوا  
فِي بَلَقَعٍ مَا فِيهِ غَيْرُ خَرَابِ؟  
~~~~~

أَمَرْتُ بِالْأَعْشَابِ فِي تِلْكَ الرُّبَا  
وَذَكَرْتُ أَنَّكَ كُنْتَ فِي الْأَعْشَابِ  
حَوْلَ الصَّخُورِ النَّائِمَاتِ عَلَى الثَّرَى  
وَعَلَى حَوَاشِي الْجُدُولِ الْمُنْسَابِ  
وَعَلَامَ تَصْعَدُ كَالسَّحَابَةِ فِي الْفَضَا  
وَالَى التَّرَابِ مَصِيرُ كُلِّ سَحَابِ؟  
لَمَّا طَلَعْتَ عَلَى الشَّعَاعِ مَوْزِعَاً  
مُتَرَجِّجَاً كَخَوَاطِرِ الْمُرْتَابِ  
وَذَهَبْتَ فِي عَرَضِ الْفَضَاءِ كَخِيْمَةٍ  
رُفِعَتْ بِلَا غَمْدٍ وَلَا أَطْنَابِ¹

---

(١) الطَّنْبُ حبل الحياء

قال الصَّحَابُ لِي : استترّ، وتراكضوا  
 للذُّعْرِ يَعْتَصِمُونَ بِالْأَبْوَابِ  
 وَهَبِ اتَّقَيْتُكَ بِالْحِجَابِ فَأَيُّنِي  
 لَا يَدُ خَالِعُهُ وَأَنْتَ حِجَابِي!  
 كم سَارِحٍ فِي غَابَةِ عِنْدِ الضُّحَى  
 جَاءَ الْمَسَاءُ فَكَانَ بَعْضُ الْغَابِ!  
 وَمَصْفُوقٍ لَخُمُرٍ فِي أَكْوَابِهِ  
 طَرِبًا، وَطَيْفُ الْمَوْتِ فِي الْأَكْوَابِ  
 أَنَا لَوْ رَأَيْتُ بِكَ الْقَذَى، مُحَضَّ الْقَذَى،  
 لَسْتَرْتُ وَجْهِي عَنْكَ مِثْلَ صِحَابِي  
 لَكِنْ شَهِدْتُ شَبِيبَةً وَكَهُولَةً  
 وَمَنْىً، وَأَحْلَامًا بِغَيْرِ حِسَابِ  
 وَالشَّارِبِينَ بِكُلِّ كَأْسٍ، وَالْأُلَى  
 عَاشُوا عَلَى ظَمَأٍ لِكُلِّ شَرَابِ  
 وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ سَيْفٍ فِي الْوَعَى  
 وَالْخَانِعِينَ لِكُلِّ ذِي قِرْصَابٍ<sup>(١)</sup>  
 وَالصَّارِفِينَ الْعَمَرَ فِي سُوقِ الْهَوَى  
 وَالصَّارِفِينَ الْعَمَرَ فِي الْمِحْرَابِ  
 وَالْغَيْدَ بَيْنَ جَمِيلَةٍ وَدَمِيمَةٍ  
 وَالْعَاشِيقِينَ : الصَّبَّ وَالْمُتَصَابِي  
 وَالْعَبِيدَ فِي أَغْلَالِهِ وَحَبَالِهِ  
 وَالْمَمْلُوكَ فِي الدِّيْبَاجِ وَالْأَطْيَابِ  
 أَبَوْا جَمِيعًا فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ  
 الْخَاسِرُ الْمُسْبِيَّ مِثْلُ السَّابِي

(١) آلة القَرْصُ، وهو القطع

فضحكتُ من حرصي على مُلْكِ الصِّبَا  
وعجبتُ كيف مضى عليه شبابي  
ووقعتُ أنت على ترابِ ضاحِكٍ  
لَمَّا وقعت عليَّ في جِلْبَابِي  
وكذاك أشواقُ التراب: مألها  
ولئن تقادمَ عهدُها، لَتُراب

\*\*\*\*



## ٥. أين عصر الصبا

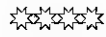
[السريع]

مالي وما لِرشاً الأَغْيَدِ  
خَلَّتْ مِنْ الحُبِّ وَمِنْهُ يَدِي  
نَأَى فَمَا فِي قَرِبِهِ مَطْمَعُ  
لَا تَصِلُ الكَفُّ إِلَى الفَرْقَدِ  
قَطَّعْتُ بِالْيَأْسِ خِيوطَ المُنَى  
وَقَلَّتْ لِلسُّلُوفِ : لَا تَبْعُدِ  
وَصِرْتُ لَا يُطْرِبُنِي مَنَشِدِ  
وَلَا أَنَا أَصِيبُ إِلَى مَنَشِدِ  
أَسِيرُ فِي الرُّوضَةِ عِنْدَ الضُّحَى  
حَيْرَانٌ كَالْمُدْلَجِ فِي فِدْفِدِ  
أَمَامِي المَاءُ وَلَا أَرْتَوِي  
وَحَوْلِي النُّورُ وَلَا أَهْتَدِي  
يَا لَيْتَ شِعْرِي: أَيْنَ عَهْدُ الصَّبَا؟  
وَأَيْنَ أَحْلَامُ الْفَتَى الْأَمْرَدِ؟  
وَلَّى وَلَّتْ كَخِيَالِ الكَرَى  
يَلُوحُ فِي الذَّهْنِ وَلَمْ يُوجَدْ  
فِيَا قُلُوبَ الكَاشِحِينَ اسْكُنِي  
وَيَا عَيُونَ الحَاسِدِينَ ارْقُدِي

---

(١) المغازة الواسعة لاشيء فيها

ويا شياها تَتَقِي صَوْلَتِي  
قَلَّمْتُ أَظْفَارِي فَاسْتَأْسِدِي!



يا سَانِلِي عَنْ أَمْسٍ: كَيْفَ انْقَضَى؟  
دَعُهُ، وَسَلِّئَنِي يَا أَخِي عَنْ غَدٍ  
أَرْوَحُ لِلنَّفْسِ وَأَهْمُنَا لَهَا  
إِنْ تَحْسِبِ الْمَاضِي لَمْ يُوَلَدِ



## ٦ - الصَّيْف

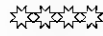
[الرَّمْل]

عَادَ لِلأَرْضِ مَعَ الصَّيْفِ صَبَاها  
فَهِيَ كَالخُودِ<sup>١</sup> الَّتِي تَمَّتْ حُلَاها  
صُورٌ مِّنْ خُضْرَةٍ فِي نَضْرَةٍ  
مَا رَأَاهَا أَحَدٌ إِلَّا اشْتَهَاهَا  
ذَهَبُ الشَّمْسِ عَلَى افْئَاقِها  
وَسَوَادُ اللَّيْلِ مِسْكٌ فِي ثَرَاهَا  
وَنَسِيمُ الْفَجْرِ فِي أَشْجَارِها  
وَشَوْشَاتُ طَرْبِ النُّهْرِ صَدَاهَا  
وَالسَّوَاقي فِتْنٌ رَّاْقَصَةٌ  
ضِحْكُها شِدْوٌ وَتَهْلِيلُ بُكَاهَا  
وَالْأَقْصَا حِي صُورٌ خَلَابَةٌ  
وَأَغَانِي الطَّيْرِ شِعْرٌ لَا يُضَاهِي  
إِنَّهَا الْجَنَّةُ فَأَعْجِبْ لِمَرَى  
هُوَ فِيها وَقَلِيلًا مَا يَرَاهَا  
أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنْ أَزْهَارِها  
لَكَ، لَوْ تَعْلَمُ يَا هَذَا، شَذَاهَا  
أَيُّهَا النَّانِمُ عَنْ أَنْجُمِها  
خَلَقَ اللَّهُ لِعَيْنَيْكَ سَنَاهَا  
أَيُّهَا الْكَابِحُ عَنْ لَذَاتِها

---

(١) الحسناء الشابة

نفسه، هيهات لن تُعطي سواها  
لا تُؤجلَّ لغدٍ ليس غدٌ  
غير يومٍ كالذي ضاع وتاهها  
وإذا لم تُبصرِ النفسُ المُنَى  
في الضحَى كيف تراها في مَسَاهَا  
هذه الجنةُ فاسرَّحْ في رُبَاهَا  
واشهد السَّحرَ زهوراً ومِياهَا  
واستمع للشَّعرَ من بَابِلِهَا  
فهو الشَّعرُ الذي ليس يُضاهي



ما أُحيلَى الصَّيفُ! ما أكرمه!  
ملاً الدنْيا رخاءً<sup>(١)</sup> ورفاهها  
عندما رَدَّ إلى الأرض الصَّبا  
رَدَّ أحلامي التي الدهرُ طواها  
كنت أشكو مثلاً تشكو الضُّنى  
فشفى الأمَ نفسي وشفاهها



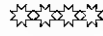
---

(١) سعة الحال

## ٧ - الغد لنا

[الطويل]

تبدّل قلبي من ضلّالته رُشدا  
فلا أربُ فيه لَهْنِدٍ ولا سَعْدِي  
ولم تخبُ نارُ الوجدِ فيه ولا انطوتُ  
ولكن هيامي صار بالأنفع الأجدى  
وما الزُّهدُ في شيءٍ سوى حبٍّ غيرِه  
أشدُّ الورى نُسْكا أشدهمُّ وجدا  
أحبُّ سواي العيش لهواً وراحةً  
وأنكرته لهواً فأحببته كداً  
وما دام في الدنيا سُمُو ورفعةُ  
فما أنا من يرضى ويقنع بالأردا



هو الموتُ أن نحيا شياهاً وديعةً  
وقد صار كلُّ الناسِ من حولنا أُسدا  
وأن نكتفي بالأرض نُسرحُ فوقها  
وقد ملكوا من فوقنا البرق والرعدا  
وأن ينشروا في كلِّ أفق بُنودهم<sup>١</sup>  
وأن نرى فوق السمّاك<sup>٢</sup> لنا بُندا



---

(١) الرايات

(٢) أحد النجمين النيرين في السماء

تأملتُ ماضينا المجيدَ الذي انقضى  
فزلزلَ نفسي أنه انهار وانهدأ  
وكيف امّحت تلك الحضاراتُ كلُّها  
وصارت بلادُ أنبتتْها لها لحدا  
وصيرنا على الدنيا عيالاً وطالما  
تعلم منا أهلها البذل والرّفا  
ونحن الألى كان الحريرُ برودهم  
على حين كان الناسُ ملبسهم جِلدا  
~~~~~

إذا الأمرُ لم يرجعْ فإن لنا غدا  
نُضيء به الدنيا ونملؤها حمدا  
وتُلبسُنا في الليل افاقه سنا<sup>١</sup>  
وتنشرنا في الفجر أنسامه ندا  
فإن نفوس العرب كالشُّهب، تنطوي  
وتخفي، ولكن ليس تبلى ولا تصدا  
ومثل اللّالي لا يخيسُ جمالها  
وان هي لم تُرصف ولم تنتظم عقدا  
إذا اختلفت رأيا فما اختلفت هوى،  
أو افرقت سعيًا فما افرقت قصدا

\*\*\*\*

---

(١) النور

## ٨ - قنبلة الضاء

[المتقارب]

إذا سحقت أرضنا القنبلة  
كما يسحق الحجر الخرولة  
وقوض مفعولها الراسيات  
فصارت غباراً له جأله  
ودب الفنا في نوات الجناح  
وغلغل في النبت فاستأصله  
وفي الماشيات وفي الزاحفات  
عليها، إلى آخر السلسلة  
فلا زهر يارج<sup>١</sup> في روضة  
ولا ديك يصدح في مزبله  
وضاع الزمان ومقياسه  
وأشبهه أخـره أوله  
ولم يبق حي على سطحها  
وأصبح عزير لا شغل له  
فذلك خطب يهول النفوس  
تصوره قبل أن تحمله  
ولكن أمراً يعزي الجميع  
إذا سحقت أرضنا القنبلة  
فلن يدع الموت حياً يـلوم  
سواه على هذه المقتلة!

\*\*\*\*

---

(١) أرج الطيب فاح (أرج يارج)

## ٩. تلك السنون

[الكامل]

في حفلة اليوبيل الفضي لجريدة السميع  
تلك السنون الغاربات وراني  
سِفَرُ كَتَبَتْ حُرُوفُهُ بِدِمَائِي  
مَا عَشْتُهَا لِأَعْدَافِهَا، بَلْ عَشْتُهَا  
لَتَبِينِ فِي سَيِّمَانِهَا سَيِّمَانِي  
سَيَّانٍ، لَوْ أَنِّي قَنَعْتُ بِعَدَافِهَا،  
عَمْرِي وَعَمْرُ الصَّخْرَةِ الصُّمَّاءِ  
وَلَبِذْنِي يَوْمَ التَّفَاخُرِ شَاطِئُ  
مَا فِيهِ غَيْرُ رَمَالِهِ الْخَرَسَاءِ  
لَا حَتَّ لِي الْعُلَيَاءُ فِي أَفَاقِهَا  
فَأَرَدْتُهَا دَرْباً إِلَى الْعُلَيَاءِ  
وَمَحَبَةً لِلْخَيْرِ تَسْرِي فِي دَمِي  
وَرِعَايَةً لِلضُّعْفِ وَالضُّعْفَاءِ  
وَعِبَادَةً لِلْحَقِّ أَيْنَ وَجَدْتُهُ  
وَالْحَسَنَ فِي الْأَحْيَاءِ وَالْأَشْيَاءِ  
لَتَدُورُ بَعْدِي قِصَّةٌ عَنْ شَاعِرٍ  
رَقَصَتْ بِهِ الدُّنْيَا جَنَاحَ ضِيَاءِ  
نَشَرَ الطُّيُوبَ عَلَى دُرُوبِ حَيَاتِهِ  
وَسَرَى هَوًى فِي الطُّيُبِ وَالْأَنْدَاءِ  
وَأَظْلَمَ قَلْبَ الْبَخِيلِ سَمَاحَةً  
وَشَجَاعَةً فِي السَّلَامِ وَالْهَيْجَاءِ



ومشى إلى المظلوم بارق رحمة  
وهوى على الظلام سوط بلاء  
فتعزّ دنيا قد طوت أباني  
وتهش دنيا أطلعت أبناني  
~~~~~

تلك السنون ببؤسها ونعيمها  
مالت بعودي وانطوت برواني<sup>١</sup>  
أين الشُّبابُ ألفُ أحلامي به  
ليس الشُّبابُ الآن لي برداء  
نفسي تُحسُّ كأنما أثقالها  
قد خيّرت فتخيّرت أعضائي  
كم من روى طلعت على جنباتها  
ركباً من الأضواء والأشذاء  
قلّبتُ فيها، بعد أيّ ناظري  
فتعثّرت عيناى بالأشلاء  
يا لاضحايا، لا يرفُّ لموتها  
جفنٌ، ولا تُحصى مع الشهداء  
ودعت لذات الخيال وعفَّتْها  
ورضيت أن أشقى مع الحكماء  
فعرفت مثلهم بآني مُوجدُ  
بؤسي، وأني خالقُ نعماني  
~~~~~

إني أراني بعد ما كابدته  
كالقُلكِ خارجة من الأنواء

---

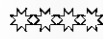
(١) الرُّواء حسن المنظر

وكسائحِ بلغِ المدينة بعدما  
ضلَّ الطريق وتاه في البِيداءِ  
شكراً لأصحابي فلولا حبُّهم  
لم اقترب من عالم اللآلئ  
بهم اقتحمتُ العاصفاتِ بمركبي  
وبهم عقدتُ على النجوم لواني  
❖❖❖❖❖

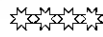
شكراً لأعدائي فلولا عيُّتهم  
لم أدر أنهم من الغوغاءِ  
نهش الأسى لما ضحكتُ قلوبهم  
عرَّسُ المحبة مآتم البغضاءِ  
ذنبي إلى الحُسادِ أني فُتُّهم  
وتركتهم يتعنَّون ورائي  
وخطيئتي الكبرى اليهم أنهم  
قعدوا ولم أقعد على الغبراءِ  
عفو المروءة والرجولة، إنني  
أخطأت حين حسبتهم نُظراني  
❖❖❖❖❖

شكراً لكل فتى مزجتُ بروحه  
روحي، فطاب ولاؤه وولائي  
من كان يحلمُ بالسما فإني  
في قلب إنسان وجدتُ سمانِي  
ليس الجمالُ هو الجمال بذاته  
الحُسنُ يوجد حين يوجد راءِ

ما الكون؟ ما في الكون لولا آدم  
 إلا هباءً عالقٌ بهباءٍ  
 وأبو البرية ما أبان وجوده  
 وأتم غايته سوى حواء  
 إني سكبت الخمر حين سكبتُها  
 للناس، لا لأنجم الزهراء  
 لا تشرب الخمر النجوم وإن تكن  
 معصورة من أنفُس الشعراء



تلك السنون. عقيمها كولدِها  
 حلوٌ لدي. كذا يشاء وفاني  
 فالليلة العسراء من عمري وعم  
 ر الدهر مثل الليلة السُمحاء  
 يا من يقول: ظلمت نفسك فأتد  
 دعني فلست بحاملٍ أعباني  
 إن الحياة الروح بعض عطائها  
 وأنا ثمار الروح كل عطاني  
 ما العمر؟ إن هو كالإناء، وإنني  
 بالطيب الغالي ملأت إناني  
 فإذا بقيت فالجمال بقائي  
 وإذا فنيت ففي الجمال فناني



لله ما أحلى وأسنى ليلتي  
 هي في كتاب العمر كالطُّغراء<sup>١</sup>

(١) الطُّرَّة في رأس الكتاب، تتضمن النعوت واللقاب

يا صَحْبُ لَنْ أَنْسى جَمِيلَ صَنِيعِكُمْ  
حَتَّى تَفَارِقَ هَيْكَلِي حُوبَانِي<sup>١</sup>  
وَتَقُولَ عَيْنِي قَدْ فَقَدْتُ ضِيَانِي  
وَيَقُولَ قَلْبِي قَدْ فَقَدْتُ رَجَائِي

\*\*\*\*

---

(١) النفس

## ١٠ - امتنان

[الخفيف]

في حفلة ميلاد ديوانه (الخمائل)  
ما لقلبي يلج في الخفقان  
لا أنا عاشق ولا أنا جان  
ابتغي أن أقول شيئاً فيعصا  
ني لساني، والسحر تحت لساني  
أنا كالطائر الذي اندفق السحر  
مر عليه، فغص بالألحان  
أو كفك في البحر أوفى عليها  
عارضاً بعد عارض هتان  
غلبتني عواطف الصبح حتى  
صرت في حاجة إلى ترجمان  
أين في موكب القريض لواني  
قد طواه بيائهم وطواني  
أيها المادحون خمري رويداً  
منكم الخمرة التي في دنائي  
من أنا؟ ما صنعت كي تعصبوا بالتد  
تاج رأسي، وأي شأن شاني؟  
لا افتخار لنحلة وجدت حقلأ  
فعادت من زهره بالمجاني (٢)

---

(١) العارض السحاب يعترض الأفق

أَنَا مِنْ رَوْضِكُمْ قَطَفْتُ أَزَاهِي  
 رِي، وَمِنْ بَحْرِكُمْ عَرَفْتُ جَمَانِي  
 إِنْ أَكُنْ فَرَقْدًا فَأَنْتُمْ سَمَانِي  
 أَوْ هَزَارًا فَأَنْتُمْ بُسْتَانِي  
 أَيُّ بَدْعٍ إِنْ أَخْرَجَ الْحَقْلُ لَنَا  
 سِرْ صُنُوفَ النَّبَاتِ فِي نَيْسَانَ؟  
 لَيْسَ لِي مِنْ قِصَانَدِي غَيْرُ أَوْزَا  
 نِ، وَلَيْسَتْ أَصِيلُهُ أَوْزَانِي  
 أَصْدَقُ الشُّعْرِ فِي الْحَيَاةِ وَفِيكُمْ،  
 لَيْسَ غَيْرُ الْأُظْلَالِ ١ فِي دِيَوَانِي

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ما هو الشَّعر؟ أنني ما رأيت أد  
 نين الا وفيه يختصمان  
 قال قوم: وحيُّ يَنْزِلُ الـ  
 هُ ، وقوم: نَفَثُ مِنَ الشَّيْطَانِ  
 ضلُّ هذا وذا، فما خَفَرَ الْإِن  
 سان شيءٌ للشَّعر كالإنسان  
 يعشقُ المرءُ ذاته في سِوَاهُ  
 ويحبُّ الإنسان في الأَكْوَانِ  
 أنا من أَجلِهِ بَنَيْتُ قُصُوري  
 وفرشتُ الدُّروبَ بِالرَّيْحَانِ  
 أنا من أَجلِهِ سَكَبْتُ حُمُوري  
 وشدَدْتُ الأوتارَ في عِيداني  
 أنا من أَجلِهِ رَجَعْتُ مِنَ الرُّو  
 ضة، في راحتي، بِالْأَلْوَانِ

واستعرتُ التهلِيلَ من جدولِ الوا  
 دي، وضحك الرُّضَا من الغُدران  
 ومن الشَّمْسِ في الأصَانِلِ والأَصْدُ  
 بَاحُ<sup>١</sup> نوبِ اللُّجَيْنِ والعِقيانِ<sup>٢</sup>  
 وحملتُ الجلالَ من أرضِ (سوريّ  
 يا) إليه، والسَّحَرِ من (البنان)  
 نحن أهلُ الخيالِ أسعدُ خلقِ الد  
 ه، حتى في حالةِ الحرمانِ  
 كم زهدنا بثروةٍ من نُضارٍ  
 وقنينا بثروةٍ من أمانِ  
 وانطوينا في موكبٍ من ضياءٍ  
 وسطعنا في غمرةٍ من نُحانٍ  
 نتراءى على الصُّعيدِ ص  
 عالِكِ ولكنَّ أرواحنا في العنانِ<sup>٣</sup>  
 إن ظمئنا وعزَّ أن نردَّ الما  
 ءَ روانا تصوُّرُ الغُدرانِ  
 وإذا غابت النجومُ اهتدينا  
 بالرُّؤى، بالرجاء، بالإيمانِ  
 لا يُعدُّ الورى عالينا الليالي  
 نحن قومٌ نعيشُ في الأزمانِ  
 ❦  
 ردُّ عني الكؤوسُ يا أيُّها السَّا  
 قي، فرُّوحِي نشوى بخمرِ المعاني

(١) جمع (الصبح)

(٢) اللجين الفضة، والعقيان الذهب الحالص

(٣) الصعيد الأرض المرتفعة أو الأرض إطلاقاً والصعلوك الفقير الذي لا اعتماد له والعنان هنا السحاب

بالقوافي (جداولاً) من وفاءٍ  
 والأغاني (خمانلاً) من حنانٍ  
 زهد الناس حين دارت عليهم  
 بالتي في كؤوسهم والقناني  
 أيها الليل! أنت أبهى من الفج  
 روان كنت أسود الطيلسان  
 بالوجوه الزهراء، بالأنفس السَّمَّ  
 حاء، من يعرب ومن غسان  
 بملوك البيان، بالأدب الرأ  
 نع، بالمشدين، بالألحان  
 بالغواني، فديتهن، فأسمى الش  
 شعروالفن في الحياة الغواني  
 هذه الشمس هل رأى الناس وجهاً  
 مثلها في البهاء واللمعان  
 تتجلى لنا على اليسر والعُس  
 ر ونمشي في نورها الفتان  
 قد نسينا شعاعها وسناها<sup>١</sup>  
 عندما أشرقت وجوه الحسان  
 قُسم الدهر: أنت يا ليل شطر  
 من حياتي، والعُسُ شطرُ ثانٍ  
 أنت عصرٌ مُستجمعٌ في سُويعا  
 ت، ودنيا رحيبة في مكان  
 قد تلاقت فيك القلوب على الحب  
 بـتلاقى الأجفان بالأجفان

(١) الضوء والنور



لا تقولوا بقائق وثوانٍ  
ذاهباتُ فالعمرُ هذي الثَّواني  
~~~~~  
أنا ما عِشتُ سوف أذكرُ بالشُّكر  
رِجَميلِ الرفاقِ والإخوان  
وإذا مِتُّ في غدٍ فسيأتي  
كمُ ثناني من ظُلْمَةِ الأكفان

\*\*\*\*

## ١١ - اسألوها

[الخفيف]

اسألوها، أو فاسألوا مُضَنَّاها:  
أيُّ شيءٍ قالت له عيناها؟  
فهو في نشوةٍ وما ذاق خمراً  
نشوةُ الحبِّ هذه إياها  
ذاهلُ الطرفِ شارِدُ الفكرِ، لا يد  
سمح حسناً في الأرض إلا راها  
السُّواقِي لكي تحدِّثَ عنها  
والأقاحي لكي تذيع شذاها  
وحَفيفُ النِّسيم في مَسْمَعِ الأُذُنِ  
راقٍ نجوى تبتُّها شفتاها  
يحسبُ الفجرُ قبْسةً من سناها  
ونجومُ السَّماءِ بعضُ حُلاها  
وكذاك الهوى إذا حلَّ في الأر  
واح، سارت في موكبٍ من رِواها  
كان ينهى عن الهوى نفسه الظُّم  
أى، فأَمسى يلوِّمُ من ينهاها  
لمسُ الحبِّ قلبه فهو نارُ  
تتلخَّى ويستلذُّ لظاها!  
كلُّ نفسٍ لم يشرقِ الحبُّ فيها  
هي نفسٌ لم تدركِ ما معناها

\*\*\*\*\*

## ١٢ - أم القرى

[الرملة]

هذه . ملفرد<sup>١</sup> قد لاحت رباها  
فانس يا قلب الليالي وأذاها  
واشهد الفن سَفوحاً وذراً  
والهوى الصافي أريجاً ومياها  
ههنا أودعت أحلام الصبا  
أفما تلمح نوراً في ثراها؟  
ههنا بالأمس في دارتها  
كنت مثل النسر حراً في ذراها  
أتلقى الوحي عن بلبلها  
وهو ولهان يغني لربها  
وتحسُّ الوحي رحي هابطاً  
من سماها، في ضحاها ومساها  
ذهبت عشرون في فُرقتها  
ليتها فيها انقضت لافي سواها  
كم جالسنا تحت صفصافتها  
اشتكي وجدي، وتشكولي هواها  
والسُّواقي استترت الأغناها  
والروابي هجعت إلا شذاها  
والصدى في الغاب لم ننس معاً  
نبسة الإوعاها وحكاها

---

(١) هي ملفرد في ولاية بنسلفانيا حيث أقام الشاعر في صباه، وخطب فتاة أحلامه، وعاد إليها في فصل الشتاء،

نتناجى ويدي في يديها  
فإذا لاح خيالٌ نتلاهي  
أنا دنيا من شباب وهوى  
وهي كالروضة قد تمت حلاها  
أحسن الأيام في العصر انقضت  
أهلوا ينشرها من قد طواها  
صرت في نيويورك طيفاً شارداً  
مع طيوف حائرات في سراها  
طرحت عنها رؤاها ومضت  
تنشدُ المجد الذي فيه شقاها  
كنعاج عميت أبصارها  
ووهت في طلب العُشبِ قواها  
كلُّ ما جدتُ لكي تدركه  
وجدته صار في الأرض وراها!  
أين في نفسي روى تُسعدُها؟  
سُرقتُ (نيويورك) من نفسي رؤاها  
في يدي أمري ولا أمالكه  
ومعي ذاتي وأخشي أن أراها!  
هذه أم القرى قف في حماها  
تسترح نفسي من بعض جواها  
ههنا الإنسان يلقى ذاته  
ههنا لا يحجب المالُ إلها  
لا تقل لي جنتها عارية  
فقرها عندي جميلٌ كغناها  
لم يزل الصيف فيها عبق  
وسماء الصيف ما زالت سماها

لا يزالُ الحبُّ في شلالِها  
وبواديها حديثاً وانتباها  
لم يجردها الشّتَا من وشيها  
بل كساها روعةً فوق بهاها  
فهي في دِياجِةٍ من صِبْغِ  
ما راها أحدٌ إلا اشتهاها

\*\*\*\*



انظر إلى الماء إن البذل شيمته  
يأتي الحقول فيرويه ويحييها  
فما تعكر إلا وهو من حيس  
والنفس كالماء تحكيه ويحكيها  
السجن للماء يؤذيه ويفسده  
والسجن للنفس يؤذيها ويضنيها  
وانظر إلى النار إن الفتك عادتُها  
لكن عادتُها الشنعاء تُرديها  
تفني القرى والمغاني وهي ضاحكة  
لجهلها أن ما تُفنيه يُفنيها  
أرسلت قولي تمثيلاً وتشبيهاً  
لعل في القول تذكيراً وتنبيهاً  
لا شيء يُدرك في الدنيا بلا تعب  
من اشتهى الخمر فليزرع نوالها

\*\*\*\*

## ١٤ - ستعود دنيانا أحب وأجملا

[الكامل]

لم أنس حين مشيت إليّ تلومني  
لما رأتني باسماً مُتهللاً  
قالت: أظربُ والمنايا حوَّ  
في الأرض، كيف رمت أصابت مقتلاً  
انظر فقد خلت البيوت من الشبا  
بولا جمال لمنزل منهم خلا  
فسألتها: أو ليس من أجل العُلا  
وهنا نحن خاضوا الوغى؟ قالت: بلى  
يا هذه إذا بكيت لبُعدهم  
يتبسمون؟ أجابت الحسناء: لا  
كُفِّي الملام إن، فما أنا جاهلُ  
ما تعلمين، وكيف لي أن أجهلا  
لكن بعثت الفكر في آثارهم  
في البحر، في الأجواء، في عُرُضِ الفلا  
فرأيت نور الجد فوق بنودهم  
ورأيتهم يمشون من نصر إلى ..  
سدوا على الباغي المسالك كئها  
فالموت إن ولى وإن هو أقبل



فإذا شممتِ اليوم رائحة الدِّمَا  
وطالعتِ عينكِ آثارَ البِلَى  
فاستبشري فغداً إذا النِّقْعُ<sup>١</sup> انجلى  
ستعودُ دنيانا أحبُّ وأجملاً

\*\*\*\*

---

(١) العبار

## ١٥ - رؤيا

[الكامل]

رؤيا منام.. ربِّ حُلْمٍ في الكرى  
فيه تلوُّحُ حقائِقُ الأشياءِ  
إني حلّمتُ كأنّما أنا سائرٌ  
في روضةٍ خلّابةٍ غناء  
النورُ مفروشٌ على طُرقاتِها  
والعطرُ في النسماتِ والأفياءِ  
والعشبُ فيها سُنْدُسٌ متموجٌ  
والجوُّ أضواءٌ على أضواءِ  
وإذا بصوتٍ كالهريرٍ<sup>(١)</sup> يطنُّ في  
أذني، وأنّي أبْصُرُ وراني  
فأدرتُ طرفي باحثاً متعجباً  
مِمّا سمعتُ. ولستُ في بيّداءِ  
فإذا وراني في الحديقةِ نابحٌ  
ضاري الحاجرِ ضامرُ الأحشاءِ  
كادتْ تُطِلُّ عُرْوَةً من جِأَدِهِ  
وتُطِلُّ مَعَهَا شهوةً لدماني  
أشفقتُ يعلّقُ نأبَهُ بردائي  
فرفسَتْهُ غَضَباً فطار حدائي

---

(١) هدير الكلب صوته دون نباحه

فطوى نواجذه عليه كأنما  
عضت نواجذه على العنقاء<sup>(١)</sup>!  
ومضى به لرفاقه فتهاألوا  
وتقاسموا فكان خير عشاء!  
لا يعجز أحد راني حافياً  
أبلى نعالى السن السُّفهاء!

\*\*\*\*

---

(١) طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم أو الداهية عموماً

## ١٦ - رؤيا ثانية

[الكامل]

وحلمتُ ثانيةً، وكان الكونُ لم  
تبرحْ عليه كلالٌ<sup>(١)</sup> الظُّلُماءِ  
أني رأيتُ جرادةً مطَّروحةً  
في سَبْخَةٍ<sup>(٢)</sup> منهوكة الأعضاء  
ترنو إلى الأفق البعيد بمُقلّةٍ  
كأُمي، وتشتمُ أنجمَ الجوزاءِ  
فسألتُها: ماذا عراكُ فلم تُجبْ  
فسألتُ عنها رُمرةَ الرُفقاءِ  
قالوا: رفيقُنا شهيدةٌ هُزِنَها  
بنصائحِ العقلاءِ والحُكماءِ!  
كانت إذا جاعتَ فحبَّةً خرذلٍ  
تكفي، وإن عطِشتَ فنقطةَ ماءٍ  
سمعتُ بنهرٍ في السُّماءِ وجَنَّةٍ  
ليست لتَصَوِّحِ<sup>(٣)</sup> ولا لفناءِ  
العطرُ في أثمارها، والشَّهْدُ في  
أنهارها، والسَّحَرُ في الأنداءِ  
فاستنكفتُ أن تستمرَّ حياتُها  
في الأرضِ جائمةً على الأقداءِ

---

(١) الكلل والكلال الصبر

(٢) الأرض السبخة ذات ملح ونز

(٣) صَوَّحَ النَّبْتُ تَمَّ يَبَسَهُ

فمضتْ تحلُّقُ في الفضاء، ولم تزلْ  
حتى وهتْ، فهوتْ إلى الغبراء<sup>١</sup>  
رجعتْ إلى الدنيا التي خُلِقَتْ لها  
لم تُخلَقِ الحشراتُ للأجواء  
هذي حكايتها وفيها عبرةٌ  
للطائشين كهذه الحمقاء

\*\*\*\*

---

(١) الأرض

## ١٧ - أيلول الشاعر

[الكامل]

من قصيدة يصف بها المناظر الرائعة التي مر بها في طريقه إلى مونتريال  
الحُسْنُ حولك في الوهاد وفي الدُّرَا  
فانظر، ألسنت ترى الجمال كما أرى؟  
أيلول يمشي في الحقول وفي الربا  
والأرض في أيلول أحسن منظرًا  
شهر يوزع في الطبيعة فنَّه  
شجرًا يَصْقُقُ أو سناً مُتَفَجِّراً  
فالنورُ سِحْرٌ دافقٌ، والماءُ شعْرٌ  
رائقٌ، والعطرُ أنفاسُ التُّرى  
لا تحسبِ الأنهار ماءً راقصاً  
هذي أغانيه استحالت أنهرًا  
وانظر إلى الأشجار تخلع أخضرًا  
عنها، وتلبس أحمرًا أو أصفرًا  
تُغْرِى وتُكْسِي في أوانٍ واحدٍ  
والفن في ما ترتديه وفي العرا  
فكأنما نارٌ هناك خفيَّةٌ  
تنحل حين تهم أن تستشعرا<sup>٢</sup>  
وتنوب أصباغاً كالوان الضحى  
وتموجُ ألحاناً وتسري عنبرا

---

(١) زهر الشجر الأبيض

(٢) تهم أن تنعقد وتشبَّ

صورٌ وأطرافٌ تلوحٌ حفيفةٌ  
وكانها صورٌ نراها في الكرى  
لله من أيلول شهرٌ ساحرٌ  
سبق الشهور وإن أتى متأخراً  
من ذا يُدبجُ أو يحوكُ كوشيه  
أو من يصورُ مثلاً ما قد صوراً؟  
لمست أصابعهُ السماء، فوجهها  
ضاحٍ ومرٌّ على الترابِ فنوراً  
ردُّ الجلال إلى الحياة وردني  
من أرضِ نيويورك إلى أمِّ القرى<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) هي (ملفرد) في ولاية بنسلفانيا انظر النص السابق رقم ١٢

## ١٨ - يا رفاقي

[الرمل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفلة تكريم الدكتور ظافر الرفاعي وزير خارجية سوريا والدكتور فريد زين الدين سفير سوريا في واشنطن ومنذوبها الدائم في الأمم المتحدة.

جُعتُ والخبزُ وفيرٌ في وطائي<sup>١</sup>  
والسُّنَا حولي، وروحي في ضبابِ  
وشربتُ الماءَ عذْباً سائِغاً  
وكأني لم أذُقْ غيرَ سرابِ  
حيرةٌ ليس لها مثلٌ سوى  
حيرةُ الزورقِ في طاعِجِ العُبابِ  
ليس بي داءٌ ولكني امرؤٌ  
لستُ في أرضي ولا بين صحابي  
مرّتِ الأعوامُ تتلو بعضها  
للورى ضحكِي، ولي وحدي اكتئابِي  
كلّما استولدتُ نفسي أملاً  
مدّتُ الدنيا له كفّاً اغتصابِ  
أفلتتُ مني حلاواتُ الرؤى  
عندما أفلتتُ من كفي شبابِي  
بِتُّ لا إلهاً بابُ مُشرعٍ  
لي، ولا الأحلامُ تمشي في ركابي

---

(١) الوطن والوطاب سقاء اللين يريد وعاء الزاد



أشتهي الخمر وكأسي في يدي  
وأحسُّ الروح تعري في ثيابي  
يا رفاقي! حطُّمُوا أقداحكم  
ليس في دني خمرٌ لأنسِكَاب  
جفَّ ضرعُ الشعيرِ عندي ونوى  
ولكم عاشِ لِمَرِّي<sup>١</sup> واحتلاب  
❖❖❖❖❖

أيها السائلُ عني من أنا؟  
أنا كالشمسِ إلى الشرقِ انتسابي  
لغةُ الفولاذِ هاضتُ<sup>٢</sup> لغتي  
لا يعيشُ الشئُ في دنيا اصطِخاب  
لست أشكو أن شكا غيري النوى  
غربةُ الأجسامِ ليست باغتِراب  
أنا كالكرامةٍ لو لم تغتربِ  
ما حواها الناسُ خمراً في الخوابي  
أنا كالكرمةٍ لو لم تغتربِ  
ما حواها الناسُ خمراً في الخوابي  
أنا كالسُّوسنِ لو لم ينتقلْ  
لم يُتَوَجَّ زهره رأسُ كعاب<sup>٣</sup>  
أنا في نيويوركِ بالجسمِ وبالرُّ  
رُوح في الشرقِ على تلك الهضاب  
في ابتسامِ الفجرِ، في صمتِ الدُّجى  
في أسي تششرين، في لوعةٍ اب

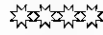
---

(١) مري الضرع مسحه ليد

(٢) هاض الشيء، هيضاً كسره

(٣) المرأة كعب ثديها (ظهر)، فهي كاعب وكعاب

أنا في الغُوطَةِ زهرٌ وندى  
أنا في لبنان نجوى وتصاب  
ربِّ هبِّني لبلادي عودةً  
وليكن للغير في الأخرى ثوابي



أيُّها الأتُّون من ذاك الحمى  
يا دُعاة الخير يا رمز الشُّباب  
كم هَشَّ شَنَا وهَشَّ شَتَّمٌ لامنَى  
وبكى تَمَّ وبكى نَا في مُصَابٍ!  
واشترَكْنَا في جِهَادٍ أو عَذَابٍ  
والتَّقِينَا في حديثٍ أو كِتَابٍ  
وعرفْتُمْ وعرفْنَا مِثْلَكُم  
أَنَّمَا الحقُّ لذي ظُفْرِ ونَابٍ  
كلُّ أرضٍ نَامَ عنها أَهْلُهَا  
فهي أرضٌ لا غَتِصَابٍ وانْتِهَابٍ  
إنَّنِي ألحُّ في أوجهِه كُفَّ  
دَقْفَةُ النُّورِ على تلك الرُّوَابِي  
وأرى أشبَّاحَ أعوامٍ مضتْ  
في كفاحٍ ونضالٍ ووِثَابٍ  
وأرى أطيافَ عصرٍ زاهرٍ  
طالعٍ كالشمس من خَلْفِ الحِجَابِ  
ليته يُسرِّعُ كي أبصره  
قبل أن أغلُو تراباً في التُّرابِ



## ١٩. لوس أنجيلوس

[الكامل]

القصيدة التي ألفها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقيمت على شرفه في لوس أنجيلوس، برعاية الجمعية السورية اللبنانية، في فندق أمباسادور.

أنا لستُ في دنيا الخيال ولا الكرى  
وكانني فيها لروعة ما أرى  
يا قومُ هل هذي حقانقُ أم رؤى  
وأنا؟ أصاح أم شربتُ مُخدراً؟  
لا تعجبوا من دهشتي وتحيري  
وتعجبوا إن لم أكن مُتَحَيِّراً  
كيف التفتُ رأيتُ آيةَ شاعرٍ  
لبقِ تعمَّد أن يُجيدَ لي بـهـراً  
مسحتُ بإصبعها الحياةَ جفونهُ  
فرأى الحاسنَ فانتقى وتخيَّراً  
ما لوس أنجيلوس سوى أنشودة  
الله غناها فجنَّ لها الورى  
خلع الزمانُ شبابه في أرضها  
فهو أخضرارُ في السُّفوح وفي الذرا  
أخذتُ من المدنِ العواصمَ مجدها  
وجلالها وحثوتُ حلاواتِ القُرى  
هي واحدة للمتعبين، وجنَّة  
للعاشقين، وملعبُ لذوي الثِّرا  
كفُنتُ في نيويورك أحلامَ الصُّبا  
وطويتُها. وحسبْتُها لن تُنشرَا

لَكُنِّي لِمَا لَحَتْ زَهْرَهَا  
شَاهَدْتُ أَحْلَامِي تُطِلُّ مِنَ النَّوْرى  
تَتَنَفَّسُ الْهَضْبَاتُ فِي رَأْدِ<sup>١</sup> الضُّحَى  
تَبْرَأُ وَفِي الْأَصَالِ مِسْكاً أَذْفَرَا<sup>٢</sup>  
فَالسَّحَرُ فِي ضِحْكِ النَّدى مُتَرْقِراً  
كَالسَّحَرِ فِي رَقَصِ الضِّيَاءِ مُعْطِراً  
قُلْ لِلأَلَى وَصَفُوا الْجِنَانَ وَأَطْنَبُوا  
لَيْسَتْ جِنَانُ الْخُلْدِ أَعْجَبُ مَنْظَرَا  
كُلُّ الْفُصُولِ هُنَا رِيْعٌ ضَاكٌ  
فَإِذَا تَرَى شَهْراً رَأَيْتَ الْأَشْهَرَا  
إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ مَا حَكَايَاتُ الْهَوَى  
فَانصَبْ لَوْشَوْشَةَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى  
وَانْظُرْ إِلَى الْغُبَرَاءِ تُنَبِّتُ سُنْدساً  
وَتَأْمَلُ الْعُذْرَانَ تَجْرِي كَوْثَرَا  
وَاشْرَبْ بِعَيْنَيْكَ الْجَمَالَ فَإِنَّهُ  
خَمْرٌ بَغِيرِ يَدِ الْهَوَى لَنْ تُعْصَرَا  
حَاوَلْتُ وَصْفَ جَمَالِهَا فَكَأَنَّنِي  
وَلَدْتُ بِأُتْمَلِ يَحْوِشُ الْأَبْحَرَا  
وَاسْتَنْجَدْتُ رُوحِي الْخِيَالَ فَخَانَنِي  
وَكَبَا جَوَادُ فَصَاحَتِي وَتَعَثَّرَا  
أَدْرَكْتُ تَقْصِيرِي وَضَعْفِي عِنْدَمَا  
أَبْصَرْتُ مَا صَنَعَ الْإِلَهُ وَصَوَّرَا  
إِنِّي شَهِدْتُ الْحُسْنَ غَيْرَ مُزَيَّفٍ  
بِئْسَ الْجَمَالُ مُزَيِّفاً وَمُزَوَّراً

(١) رَأْدُ الضُّحَى رَوْنَقُهُ، أَوْ ارْتِفَاعُهُ حِينَ يَغْلُو النَّهَارُ

(٢) الْأَذْفَرُ كُلُّ رِيحٍ مَشْتَتَةٍ مِنْ طَيِّبٍ أَوْ غَيْرِهِ

أَحْبَبْتُ حَتَّى الشُّوكَ فِي صَحْرَانِهَا  
وَعَشَقْتُ حَتَّى نَخْلَهَا الْمُتَكَبِّرَا  
الْبَابِسُ الْوَرَقُ الْيَبِيسُ تَنْسُكَا  
وَالْمُشْمَخِرُ إِلَى السَّمَاءِ تَجْبِرَا  
هُوَ أَدَمُ الْأَشْجَارِ أَدْرَكَهُ الْحَيَا  
لَمَّا تَبَدَّى عُرْيُهُ فَتَسْتَرَا  
ابْنُ الصَّحَارَى قَدْ تَحَضَّرَ وَارْتَقَى  
يَا حُسْنَهُ مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرَا  
وَبَدَتْ غِيَاضُ الْبُرْتَقَالِ فَأَشْبَهَتْ  
جَلَابِبَ خَوْدٍ بِالنُّضَارِ مُزْرَرَا  
مِنْ فَوْقِهَا انْتَشَرَ الضِّيَاءُ مَلَاءَةً  
مِنْ فَوْقِهِ جَوْ صَفَا وَتَبَلُّورَا  
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْقُصُورُ عَلَى الرُّبَا  
عَقْدُ لُغَانِيَةِ هَوَى وَتَبَعَثَرَا  
لَمَّا تَرَاءَتْ مِنْ بَعِيدٍ خَلَّتْهَا  
سُقُنَا وَخَلَّتْ الْأَرْضُ بَحْرًا أَخْضَرَا  
نَفْضُ الصَّبَاحِ سَنَاهُ فِي جُدْرَانِهَا  
وَأَتَى الدَّجَى فَرَأَى مَنَائِرَ لِلْسُّرَى  
مُتَالِقَاتٍ كَابِتَسَامَاتِ الرُّضَا  
تُنْسِيكَ رُؤْيُتُهَا الزَّمَانَ الْأَعْسَرَا  
أَنَا شَاعِرٌ مَا لَاحَ طَيْفٌ مَلَا حَةَ  
إِلَّا وَهَلَّ لِلْجَمَالِ وَكَبُرَا  
وَزَعَتْ نَفْسِي فِي النَفُوسِ مَحَبَّةً  
لَا شَاكِيَا أَلَا وَلَا مُتَضَجِّرَا

(١) الحود الحسناء الشابة والنضار الذهب الحالص

ومشيتُ في الدنيا بقلبي يابسٍ  
 حتى لقيتُ أحبتي فاحْضَوْضرا  
 قد كنتُ أحسبُني كياناً ضائعاً  
 فإذا أنا شخصٌ يعيشُ مكرراً  
 فكأنني ماءُ الغمامِ إذا انطوى  
 في الأرض ردتُّه نباتاً مُثمِراً  
 ما أكرمَ الأشجارُ في هذا الحمى  
 فيها لقاصدها البشاشةُ والقرى<sup>١</sup>  
 تقري الفقير على خصاصةِ حاله  
 كرمأ كما تقري الغنيَّ الموسِرا  
 البذلُ يدينُها، سواءُ جئتُها  
 مُتقدماً أم جئتُها مُتأخراً  
 فكأنَّها مِنكمْ تعالمتِ الندى  
 كيما تُغيثُ الناسَ إنْ خطبُ عرا<sup>٢</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الإحسان إلى الضيف (قراه يقريه)

(٢) عراه يعروه غشيه

## ٢٠ - عصر الشبيبة

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه السيد مالك الدوماني في فندق روزفلت - هوليوود بكاليفورنيا.

يا ليتما رجع الزمان الأول  
زمن الشباب الضاحك المتهلل  
عهد ترحلت البشاشة إذ مضى  
وأتى الأسى فاقام لا يترحل  
ولّى الصبا وتبددت أحلامه  
أودى به وبها قضاء حول<sup>١</sup>  
حصدت أنامله المني فتساقطت  
صرعى كما حصد السنابل منجل  
فالروح قيثار وهت وتقطعت  
أوتاره، والقلب قفر ممحل  
والشيب يضحك برقّه في لمّتي  
هذي الضوايح يا فؤادي أنصل  
أشتاق عَصْرَكَ يا شبيبة مثلاً  
يشتاق للماء النّـمير الأيل<sup>٢</sup>  
إذ كانت الدنيا بعيني هيكلاً  
فيه الإلهات الجمال تُرتّل

(١) يتحول ويتغير

(٢) ذكر الوعل

من كلِّ حسناءٍ كأنَّ حديثها السَّ  
سأوى أو الوحي الطُّهورُ المنزل  
وأنا وصحبي لا نفكرُ في غدٍ  
فكانَ ليس غدٌ ولا مُستقبلُ!  
نلهو ونلعبُ لا نُبالي ضمُّنا  
كوخٍ حقيرٍ أمْ حوانا منزل  
نتوهمُ الدنيا لِفِرطٍ غرورنا  
كملتْ بنا وبغيرنا لا تكملُ  
ونخالُ أن البدر يطلُّعُ في الدُّجى  
كيما يسامرُنا فلا نتمللم  
ونظنُّ أنَّ الرُّوض ينشرُ عطره  
من أجلنا. ولنا يُغني البَليل  
فكأنَّما الأزهارُ سِرْبُ كواعبٍ  
وكأنَّما هو شاعرٌ يتغزلُ  
في كلِّ منظورٍ نراه ملاحه  
وسعادةً في كلِّ ما نتخيَّل  
لا شيءٌ يُزعجُ في الحياة نفوسنا  
لا طاري، لا عارض، لا مُشكل  
فكأننا في عالمٍ غيرِ الذي  
تتزاحمُ الأيدي به والأرجلُ  
وكأننا رهطُ الكواكبِ في الفضاء  
مهما جرى في الأرض لا تتزلزلُ



الناسُ في طلبِ المعاشِ وهمُّنا  
 كأسُ مُشعِشَةٍ وطَرْفُ أَكْحَلِ  
 كم عَنَّفُونَا في الهوى واسترسلوا  
 لو أنَّهم عَرَفُوا الهوى لم يَعْذَلُوا  
 ولو أنَّهم ذاقُوا كما ذُقْنَا الرُّوى  
 شَبِعَتْ نَفُوسُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَأْكُلُوا  
 زَعَمُوا تَبَذَّلْنَا وَلَمْ يَتَبَذَّلُوا  
 إِنْ الْحَقِيقَةُ: كُنَّا مُتَبَذَّلًا!  
 حُرِّمُوا لِذَاتِ الْهَيَامِ وفَاتِنَا  
 دَرَكُ الحُطَامِ، فَأَيْنَا هُوَ أَجْهَلُ؟  
 إِنِّي تَأَمَّلْتُ الْأَنَامَ فِرَاعِنِي  
 كَيْفَ الْحَيَاةُ بِهِمْ تَجِدُّ وَتَهْزِلُ  
 لَا يَضْبُطُونَ مَعَ الصُّرُوفِ قِيَادَهُمْ  
 إِلَّا كَمَا ضَبَطَ الْمِيَاهَ الْمُنْخَلُ  
 بَيْنَا الْفَتَى مَلَأَ النُّوَاطِرَ وَالنُّهَى  
 فَلِذَا بِهِ رَقْمٌ خَفِيَ مَهْمَلُ  
 يَا صَاحِبِي وَالْعَمْرُ ظِلُّ زَائِلُ  
 إِنْ كُنْتَ تَأْمَلُ فِيهِ أَوْ لَا تَأْمَلُ  
 الذِّكْرُ أَتَمَنُّ مَا اقْتَنَيْتَ وَتَقْتَنِي  
 وَالْحَبُّ أَنْفَسُ مَا بَذَلْتَ وَتَبَذَّلُ  
 قِيلَ: اغْتَنَى زَيْدٌ، فَلَيْتَكَ مِثْلَهُ  
 أَنَا مِثْلُهُ، إِنْ لَمْ أَقُلْ: أَنَا أَفْضَلُ!  
 الشَّمْسُ لِي وَلَهُ، وَالْأَلَاءُ الضُّحَى  
 وَالنِّيَرَاتُ، وَمِثْلُنَا الْمُتَسَوَّلُ

أما النُّصارُ فَإِنَّهُ يا صاحبي  
عَرَضُ يَزُولُ وَسِالَعَةٌ تَتَنَقَّلُ  
ما دُمْتُ في صَحْبِي ودامَ وفاؤُهُمْ  
فأنا الغنيُّ الحقُّ لا المُتَمَوِّلُ  
أنا لستُ أُعَدِلُ بِالمُناجمِ واحداً  
وأبيعُ من عَقْلُوا بما لا يَعْقِلُ

\*\*\*\*

## ٢١ - عطش الأرواح

[الرمل]

زحزحت عن صدرها الغيم السماء  
وأطل النور من كهف الشتاء  
فالرؤابي حُلل من سُندسٍ  
والسّواقى ثرثرات وغناء  
رجع الصَّيفُ ابتساماً وشذاً  
فمتى يرجعُ للدنيا الصفاء  
فأرى الفردوس في كلِّ حمى  
وأرى الناس جميعاً سعداء  
زالت الحربُ وولتْ أنما  
ليس للذعر من الحرب انقضاء  
إنْ صَحَوْنَا فَأَحَادِيثُ الْوَعَى  
في الحمى الأهل والأرض الغراء  
وإذا نمنا تراءت في الكرى  
صُورُ الهولِ وأشباحُ الفناء  
فهني في الأوراق حَبْرُ هَانِجٍ  
وعلى الراديو فحيحُ الكهرباء  
نَتَّقِي في يومنا شرَّ غدٍ  
وإذا الصُّبْحُ انطوى خِفتنا المساء  
عجباً! والحربُ بابُ الردى

وطريقُ الدمارِ وعَفَاءُ  
 كيف يهواها بنو الناس، فهل  
 كرموا في هذه الدنيا البقاء؟  
 إن يَكُنْ عِلْمُ الْوَرَى يُشَقِّقُهُمْ  
 يا إلهي ردُّ للناس الغباء  
 وليجئ طُوفانُ نُوحٍ قبلَ ما  
 تَغرقُ الأرضُ بطُوفانِ الدِّماءِ  
 واعصم الأسرارَ واحجُبْ كُنْهَها  
 عن نوي العلمِ وأربابِ الذُّكاءِ  
 فلقد أَكثرتْ أسبابُ الأذى  
 عندما أَكثرتْ فينا العُلَماءُ  
 كم وجدنا أفةً مُهلِكَةً  
 كأما زَحَزَحْتَ عن سِرِّ غِطاءِ  
 قد تَرَفَّى الخَلْقُ لَكُنْ لَمْ تَزَلْ  
 شِرْعَةُ الغَايَةِ شِرْعُ الْأَقْوِيَاءِ  
 حُرْمُ الْقَتْلِ، وَلَكِنْ عِنْدَهُمْ  
 أَهْوَى الْأَشْيَاءِ قَتْلُ الضُّعَفَاءِ  
 لا تَقْلُ لي هَكَذَا إِلَهَ قَضَى  
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَسْرَارَ الْقَضَاءِ  
 جاعني بِالماءِ أروي ظَمْئِي  
 صاحبُ لي من صِحابِي الْأَوْفِيَاءِ  
 يا صديقي! جَنَّبِ الْمَاءَ فَمَي  
 غَطَشُ الْأَرْوَاحِ لَا يُرَوَّى بِمَاءِ  
 أَنَا لَا أَشْتاقُ كَاسَاتِ الطَّلَا  
 لَا وَلَا أَطْلُبُ مَجْدًا أَوْ ثَرَاءِ  
 إِنَّمَا شَوْقِي إِلَى دُنْيَا رِضَا

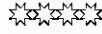
والى عـصـرِ سـلامٍ وإخاء  
لا تـعـدّني بالسُّمـا يا صاحبي  
السُّمـا عـنـدي قـربُ الأصدقاء  
وأراني الآن في أكـنـافـهم  
فأنا الآن كـأني في السُّمـاء!

\*\*\*\*

## ٢٢ - بلادي

[الكامل]

إنِّي مررتُ على الرياضِ الحاليَّةِ  
وسمعتُ أنغامَ الطيورِ الشَّاديَّةِ  
فطربتُ، لكن لم يُحبِّ قواديَّ  
كطُيورِ أرضي أو زهورِ بلادي



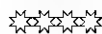
وشربتُ ماءَ النِّيلِ شيخِ الأنهرِ  
فكأنني قد نُقتُ ماءَ الكوثرِ  
نهرُ تبارك من قديمِ الأعصرِ  
عذبٌ، ولكن لا كماءِ بلادي



وقرأتُ أوصافَ المروءة في السَّيرِ  
فظننتُها شيئاً تلاشى واندثر  
أو إنها كالغُولِ ليس لها أثرٌ  
فإذا المروءة في رجالِ بلادي



ورسمتُ يوماً صورةً في خاطري  
للحُسْنِ، إن الحسنَ ربُّ الشعامرِ  
وذهبتُ أنشدها فأعيا خاطري  
حتى نظرتُ إلى بناتِ بلادي



---

(١) إشارة إلى كونه من السَّعالي المتخيلة (توصف بالحبث والслаطة)

قالوا : أليس الحسنُ في كلِّ الدنيا  
فعلام لم تمدح سواها موطننا  
فأجبتهم: إني أحبُّ الأحسننا  
أبداءً، وأحسنُ ما رأيتُ بلادي  
~~~~~

قالوا: رأيناها فلم نر طيباً  
ولّى صباها والجمالُ مع الصبا  
فأجبتهم: ليتكن بلادي سبباً  
قفراً، فليست أحبُّ غير بلادي  
~~~~~

قالوا: تأملْ أيَّ حالٍ حالها  
صدع القضاء صروحها فأمالها  
ستموت.. إن الدهر شاء زوالها  
أتموت؟ كلا لن تموت بلادي  
~~~~~

هي كالغدير إذا أتى فصلُ الشتاء  
فقد الخريف وصار يحكي الميَّتا  
أو كالهازار حبسته.. لكن متى  
يُعِدُّ الربيعُ يُعَدُّ إلى الإنشادِ  
~~~~~

الكوكبُ الوضّاحُ يبقى كوكباً  
ولئنْ تستُر بالدجى وتنقُباً  
ليس الضبابُ بسالبِ حسنِ الربا  
والبؤسُ لا يمحو جمال بلادي  
~~~~~

لا عِزَّ إلا بالشبابِ الرّاقِي  
النّاهضِ العِزَماتِ والأخلاقِ  
الثّانِرِ المتفجّرِ الدّفّاقِ  
لولاهُ لم تَشْمَخْ جبالُ بلادِي

\*\*\*\*



## ٢٣ - روعة العيد

[البسيط]

يا شاعر الحُسنِ هذي روعةُ العيدِ  
فاستنجدِ الوحي واهتِفْ بالأناسِ  
هذا النعيمُ الذي قد كنتَ تنشدهُ  
لا تلهُ عنه بشيءٍ غيرِ موجودِ  
محاسنُ الصَّيفِ في سهلٍ وفي جبلِ  
ونشوةُ الصَّيفِ حتى في الجلاميدِ  
ولستُ تُبصِرُ وجهاً غيرِ مُؤتلقِ  
ولستُ تسمعُ إلا صوتَ غريدِ  
فمَ حَدِّثِ الناسَ عن لبنان كيف نجا  
من الطغاة العُتاةِ البيضِ والسُّودِ  
وكيف هشتُ دمشقُ بعد محنتِها  
واسترجعتُ كلَّ مَسلوبٍ ومفقودِ  
❦  
فاليومُ لا أجنبيُّ يستبدُّ بنا  
ويستخفُّ بنا استخفافَ عرَبيدِ  
يا أرزُ صفَّقْ، ويا أبناءَ ابتهجوا  
قد أصبحَ السُّرْبُ في أَمْنٍ من السَّيدِ  
ما بلبلُ كان مسجوناً فأطلقهُ  
سجَّانُهُ، بعد تعذيبٍ وتنكيدِ

فراح يطوي الفضاء الرُّحْبَ منطلقاً  
إلى الرُّبَا والسُّواقِي والأُمَاليْدِ<sup>١</sup>  
إلى المروجِ يُصَلِّي في مسارجِها  
إلى الكُرومِ يُغْنِي للعنَاقيدِ  
مَنِّي بأُسْعَدَ نَفْساً قد نزلتُ على  
قومي الصُّناديدِ أبناءِ الصُّناديدِ<sup>٢</sup>  
سَمَاءُ لِبْنانٍ بِشَرُفٍ في ملامِحِهِمْ  
وفجرِهِ في ثغورِ الخُرْدِ الغَيدِ<sup>٣</sup>  
إنْ تسكنوا الطُّودَ صارَ الطُّودُ قِبَلَتَنَا  
أو تهبطوا البِيدَ لم نَعشَقْ سِوَى البِيدِ

\*\*\*\*

---

(١) الأملود من النساء الناعمة المستوية القامة

(٢) الصنديد السيد الشجاع

(٣) الحريدة الحسناء الشابة

## ٢٤ - يا أنشودتي انطلقِي

[البسيط]

أنشودةٌ في ضميري كم أوارِيها  
وما شِفاني إلا أنْ أغْنِيها  
ولّى الشتاءُ ونفسي في كبْتِها  
واستضحك الصيفُ إلا في نواحيها  
كأنها زهرةٌ في الظلِّ نابِتةٌ  
لا نور يغمرُّها، لا ماء يسقيها  
كأنها الحربُ في قلبي زلازلُها  
وبعضُ أهلي أقوامٌ تُعانيها  
حكايةٌ أتقلّى حين اسمعُها  
ويأكلُ الحُزنُ قلبي حين أرويها  
وارحمتهُ لأوربّا فما فتكتُ  
أفعى باتّعى كأهلِها بأهلِها  
لم يبق غيرُ الضُّواري في خلانِقِها  
ومن حضارتِها الأُمُخازِيها  
كانت تُعدُّ الدَّواهي في مصانعِها  
لغيرِها، فأصابَتْها دواهيها  
وكلُّ طابخٍ سَمٍّ سوف يأكُلُه  
وكلُّ حافِرٍ بئرٍ واقعٌ فيها  
لو دام إيمانُها لم تنطلقْ سَقَرُ  
بدورها، والأفاعي في مغانيها

لكن أكبت على الآلات تعبدُها  
وتستعينُ بها من دونِ باريها  
فصار مالكُها عبداً لسلطانها  
وصار كلُّ ضعيفٍ من أضياعها  
وصار إنسانُها للقلبِ أونةً  
والذبح، مثلُ المواشي في مراعيها  
يا نفسُ سرِّي<sup>١</sup>، ويا أنشودتي انطلقِي  
من عالمِ الصمت، إنَّ الصمتَ يُؤذيها  
أُشرقُ الأفقُ لم يُطلعْ كواكبُه  
وتجملُ الأرضُ لم تُخرجْ أقاحيها  
اليومُ يومُ القوافي تهتفينُ بها  
لا يشربُ الناسُ خمراً لم تصبَّيها  
هذا هو العيدُ قد لاحت مواكبُه  
يا قلبُ هلِّ لها، يا شعراً حيَّيها

\*\*\*\*\*

---

(١) سرِّي عنك

## ٢٥ - في قلبك الله

[البسيط]

مرّت ليالٍ وقلبي حائر قلق  
كالفؤك في النّهر هاج النّوء مجراه  
أو كالسافر في قفر على ظمأ  
أضنى المسير مطاياهُ وأضناه  
لا أدرك الأمر، أهواه وأطلبه  
وأبلغ الأمر، نفسي ليس تهواه!  
عجبت من قائل: إني نسيتكم،  
من كان في القلب كيف القلب ينساه؟  
إن كنت بالأمس لم أهبط مرابعكم  
فالتّير يقعد موثوقاً جناحاه  
فلا يُقرّبه شوق إلى نهر  
وليس تنقله في الرّوض عيناه  
وليس يشكو ولا يبكي مخافة أن  
تؤذي مسامع من يهوى شكّواه  
إني لأعجب منّا كيف تخدعنا  
عن الحقائق أمثال وأشباه  
إذا بنى رجلاً قصراً وزخرفه  
سُقنا إليه التّهاني وامتدحناه  
وما بنى قصره إلا ليحجب عن  
أبصارنا في زواياه خطاياهُ

ونمدحُ المرءَ من خَزٍّ ملابسُهُ  
وذلك الخَزُّ لم تنسُجَهُ كَفَّاه  
وانْ أتانا أخو مالٍ يكاثُرنا  
بالتَّبَرِّ تِيها رِجُوناهُ وخِفْنَاه  
وقد يكونُ نُضارُ في خِزائِنه  
دماً سَفَكْنَاهُ أو جُهداً بَذَلْنَاه  
لا تحسبِ المجدَ ما عيناك أبصرتا  
أو ما ملكتَ هو السلطانُ والجاهُ  
المالُ مولانُ ما أمسكتُهُ طمعاً  
فانفقَهُ في الخيرِ تُصبحُ أنتَ مولاهُ  
ما دام قلبُك فيه رَحمةٌ لأخٍ  
عانٍ، فانتَ امرؤٌ في قلبك الله

\*\*\*\*

## ٢٦ - الرأي الصواب

[الكامل]

يا نفسُ هذا منزلُ الأحبابِ  
فأنسى عذابك في النوى وعذابي  
وتهأللي كالفجر في هذا الحمى  
وتألقي كالخمر في الأكواب  
ولتمسح البشري دموعك مثلما  
يمحو الصباح ندى عن الأعشاب  
واسترجعي عهد البشاشة والرضا  
فالدهر عاد تضاحكاً وتصابي  
أنا بين أصحابي الذين أحبهم  
ما أجمل الدنيا مع الأصحاب!  
قد كنت مثل الطائر المحبوس في  
قفص، ومثل النجم خلف ضباب  
يمتد في جنح الظلام تأو هي  
ويطول في أن الزمان عتابي  
وأهز أقلامي فترشح حدة  
وأسى، ويندى بالدموع كتابي  
حتى لقيتكم فبت كأنني  
لسرتي، استرجعت عصر شبابي  
ليس التعبد أن تبث على الطوى  
وتروح في خرقة من الأثواب

لكنه إنقاذُ نفسٍ معذبٍ  
من رِبْقَةِ الألامِ والأوصابِ<sup>(١)</sup>  
ليس التعبُّدُ عزلةً وتنسُّكاً  
في الدير، أو في القفر، أو في الغاب  
لكنه ضبطُ الهوى في عالمٍ  
فيه الغوايةُ جمَّةُ الأسبابِ  
وحبائلُ الشيطانِ في جنباته  
والمالُ فيه أعظمُ الأربابِ  
هذا هو الرأي الصَّوابُ وغيره  
مهما حلا للناس، غيرُ صوابٍ

\*\*\*\*

---

(١) الوصب الوجع والمرض (وصب يوصب وصباً)



## ٢٧. ليس السرف في السنوات

[الكامل]

قُلْ للذي أحصى السنين مُفاخراً  
يا صاح ليس السرف في السنوات  
لكنه في المرء كيف يعيشها  
في يقظة أم في عميق سبات  
قَمَّ عُدُّ الآف السنين على الحصى  
أتعدُّ شبه فضيلة لحصاة؟  
خيرٌ من الفلوات لا حد لها  
روضٌ أغنَّ يقاس بالخطوات  
كن زهرة أو نغمة في زهرة  
فالمجد للأزهار والنغمات  
تمشي الشهور على الورود ضحوة  
وتنام في الأشواك مكتئبات  
وتموتُ ذي العقم قبل مماتها  
وتعيشُ تلك الدهر في ساعات  
تُحصى على أهل الحياة بقائق  
والدهر لا يُحصى على الأموات  
العمر - إلا بالثر - فارغ  
كالبيت مهجوراً وكالمومة<sup>١</sup>  
جعل السنين مجيدة وجميلة  
ما في مطاويها من الحسنات

\*\*\*\*

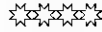
---

(١) المغارة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس

## ٢٨ - إِيَّاكَ عَنِّي<sup>١</sup>

[الكامل]

كم تستثيرُ بي الصَّبَابَةَ والهُوَى  
عَنِّي إِلَيْكَ، فَإِنْ قَلْبِي مِنْ حَجَرٍ  
مَا لِي وَلِلْحَسَنَاءِ أُغْرِي مُهْجَتِي  
بِوَصَالِهَا، وَالشَّيْبُ قَدْ وَخَطَ الشَّعْرَ  
كَمْ بِالْجَزِيرَةِ لَوْ يَتَّحُ لِي الْهُوَى  
مِنْ غَادَةٍ تَحْكِي بِطَلْعَتِهَا الْقَمَرَ  
وَلَكَمْ بِهَا مِنْ جَدُولٍ وَحَدِيقَةٍ  
مِنْ صَنْعَةِ الرَّحْمَنِ لَا صُنْعَ الْبَشَرِ  
فِيهَا اللُّوَاتِي أَنْ رَمَتْ الْحَاضِهَا  
شَلَّتْ يَدَ الرَّأْمِيِّ وَقَطَّعَتْ الْوَتَرَ<sup>٢</sup>  
قَدْ كَانَ لِي فِي كُلِّ خَوْفٍ مَطْمَعٌ  
وَلِكُلِّ رَائِعَةٍ الْحَاسِنِ بِي وَتَرَ<sup>٣</sup>  
أَيَّامُ شَعْرِي كَالِدَجَى مُحَلُولِكُ  
أَيَّامُ عَيْشِي لَا يُخَالِطُهُ كَدَرٌ



ذُرْنِي وَأَشْجَانِي، وَجَسْمِي، وَالضُّنَى  
وَيْدِي، وَأَقْلَامِي، وَطَرْفِي، وَالسَّهْرَ

(١) النص مجتزأ من نص طويل موجه إلى (شكري أبي صالح) انظر في شعر الشاعر (خارج الدواوين)، النص رقم (٢) وانظر ما قلنا فيه

(٢) واحد من أوتار القوس

(٣) يعني هنا وترأ من أوتار العود

أَبَيْتُ الْهُوَ وَالْهُمُومُ تُحِيطُ بِي  
وَأَنَامُ عَنْ قَوْمِي، وَقَوْمِي فِي خَطَرٍ!  
صَوْتُ الْمَصْفَقِ مَوْعِدُ مَا بَيْنَنَا  
مَاذَا أَقُولُ لَهُمْ، إِذَا الدِّيكُ اسْتَحَرَ؟<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) استحر الطائر غرَّدَ بسحر، يعني الدعوة إلى النهوض

## ٢٩ - دودة وببل

[الخفيف]

نظرت دودة تدبُّ على الأر  
ض إلى ببل يطير ويصيح  
فمضت تشبكي إلى الورق السأ  
قط في الحقل: أنها لم تُجنح  
فاتت نملة إليها وقالت  
اقنعي واسكُتي فما لك أصلح  
ما تمنيت إذ تمنيت إلا  
أن تصيري طيراً يُصاد ويُبح  
فالزمي الأرض فهي أحنى على الثو  
د وخلي الكلام فالصمت أريح

\*\*\*\*

### ٣٠ - هدية العيد

[الخفيف]

أيُّ شيءٍ في العيد أُهدي إليك  
يا ملاكي، وكلُّ شيءٍ لـديك  
أسواراً؟ أم دُمُجاً من نُضارٍ؟<sup>(١)</sup>  
لا أحبُّ القيود في معصمَيْك  
أم خُموراً؟ وليس في الأرض خمرٌ  
كالتّي تسكبين من لحظَيْك  
أم وروداً؟ والورد أجملُّه عند  
سدي الذي قد نشقت من خديك  
أم عقيقاً كمّه جتي يتلظى؟  
والعقيق الثمين في شفـتـيك  
ليس عندي شيء أعزُّ من الرو  
ح وروحي مُرهونهُ في يدك

\*\*\*\*\*

---

(١) الدُمُج والدملوج السوار من الحليّ، ويعطي العضد والنضار الذهب الحالص

### ٣١ - إن الحياة قصيدة!

ما القبور كأنما لا ساكن  
فيها وقد حوت العصور الماضية  
طوت الملايين الكثيرة قبلنا  
ولسوف تطوينا وتبقى خاليه  
أين الممها وعيونها وفتونها  
أين الجبابر والملوك العاتيه  
زالوا من الدنيا كأن لم يُولدوا  
سحقَّتْهُمْ كَفُّ الْقَضَاءِ الْقَاسِيه  
إن الحياة قصيدة أعمارنا  
أبيأتها، والموتُ فيها القافيه  
متَّعَ لحاظك في النجوم وحُسْنِهَا  
فلسوف تمضي والكواكبُ باقيه

\*\*\*\*\*

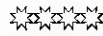
## ٣٢ - ليالي بوسطن

[الرمل]

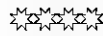
إِنْ أَغِبَّ يَا صَحْبُ عَنْ ذَاكَ الْحَمَى  
لَمْ أَزَلْ مَعَكُمْ كَمَا أَنْتُمْ مَعِي  
فَإِذَا الْأَنْجَمُ شَعَّتْ فِي السَّمَاءِ  
قُلْتُ هَذَا أَنْتُمْ فِي مَجْمَعٍ  
وَإِذَا الشَّادِي بِلَحْنٍ رَنَّمَا  
خِلْتُ أَصَوَاتَكُمْ فِي مَسْمَعِي



أَهْ لَوْ يُغْنِي خَيَالُ عَنْ عِيَانِ  
كَانَ كَالْمَنْهَلِ، رَسْمُ الْمَنْهَلِ  
وَلِعَاشَ الْمَرْءُ فِي دُنْيَا الْأَمَانِ  
يَقْطَعُ الدُّنْيَا وَلَمْ يَنْتَقِلِ  
وَسَلَوْنَا عَنْ مَكَانٍ بِمَكَانٍ  
وَلَأَغْنِي أَخْرُورٌ عَنْ أَوَّلِ



وَلِنَابَتٍ عَنْ نَجُومِ نَيَّراتِ  
صُورٌ مَطْبُوعَةٌ فِي الْوَرَقِ  
وَكَتَفِينَا بِخَرِيرِ السَّاقِيَاتِ  
فِي الدُّجَى عَنْ مَائِهَا الْمُنْدَفِقِ



يَا لِيَالِي بوسطن . هل ترجعين  
فأرى صحتي الكرام البررة

ويزولُ الهمُّ عن قلبي الحزينِ  
بالوجوه المشرقاتِ النضرة  
إنه يسألني في كلِّ حينٍ:  
أين تلك الجنةُ المختصرة؟



ذهبتْ يا قلبُ إلا ذكرياتُ  
كبروقٍ ضحكتْ في الغسقِ<sup>(١)</sup>  
تأسرُ العينُ بها في الظلماتِ  
وهي تفتني في رحابِ الأفقِ  
يا ليالي بوسطنْ ليت الحياةُ  
عدلتْ فينا فلم نفترقِ



---

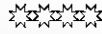
(١) العسق أول ظلمة الليل



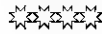
### ٣٣ - صوت من سوريا

[مجزوء الرمل]

صوتُ سوريا الجميلة  
صوتُك العذبِ الرخيم  
ضاحكٌ مثلُ الخميَّة  
لاعبٌ مثلُ النِّسيم



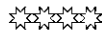
يا أخا الورقاء<sup>١</sup> غنْ  
فالغنا شِعْرُ السماء  
فهو في الغُصنِ ثَنٌّ  
وهو في النِّجم بهاء



صوتُ سوريا الجميلة  
صوتُك العذبِ الرخيم  
ضاحكٌ مثلُ الخميَّة  
لاعبٌ مثلُ النِّسيم



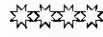
غنَّنا حتى نَمِيلاً  
مثلُ أغصانِ الأراك<sup>٢</sup>  
كم بننا صَبّاً عليلاً  
لا يداويه سِـواك



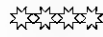
---

(١) الحمامة في لونها بياض وسواد  
(٢) شجر أغصانه طيبة الرائحة، يُتخذ منها السِّواك

صَوْتُ سَوْرِيَّا الْجَمِيلَةِ  
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرَّخِيمِ  
ضاحِكٌ مِثْلَ الْخَمِيلَةِ  
لَاعِبٌ مِثْلَ النَّسِيمِ



أَيُّهَا الْمَحْزُونُ هَيَّا  
وَاسْمِعِ الْيَوْمَ الْكَنَّارَ<sup>١</sup>  
سَاجِعاً سَاجِعاً شَجِيحاً  
ذَاكَ رَأَى تِلْكَ الدِّيَارَ



صَوْتُ سَوْرِيَّا الْجَمِيلَةِ  
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرَّخِيمِ  
ضاحِكٌ مِثْلَ الْخَمِيلَةِ  
لَاعِبٌ مِثْلَ النَّسِيمِ



لَيْتَنَّا كُنَّا طَيِّوراً  
حَوْلَ عَيْنٍ أَوْ غَدِيرٍ  
نَرَشْفُ الْمَاءَ نَمِيراً<sup>٢</sup>  
نَأْكُلُ الْحَبَّ النَّثِيرَ



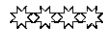
صَوْتُ سَوْرِيَّا الْجَمِيلَةِ  
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرَّخِيمِ

---

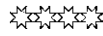
(١) الكناري طائر حسن الصوت، منسوب إلى جزر الكناري الإسبانية في المحيط الأطلسي

(٢) الماء النмир الماء الناجع

ضاحكٌ مثلُ الخميِّله  
لاعبٌ مثلُ النُّسيمِ



موطنُ نهوى سُهولة  
مثالُ ما نهوى رُباهُ  
الصَّبابةُ فيه عالية  
تتداوى بِـنَداهِ



كم بدا البدرُ ضحوكًا  
راقصاً فوق الكرومِ  
واستوى الليلُ ما يَكَا  
لايسأُ تاج النُّجومِ  
صوتُ سوريا الجميلة  
صوتُكَ العذبُ الرخيمِ  
ضاحكٌ مثلُ الخميِّله  
لاعبٌ مثلُ النُّسيمِ



## ٣٤ - حكمة المتنبي

[الطويل]

جلستُ أناجي روح أحمد في الدُّجى  
وللهمَّ حولي كالظلام سُدُولُ  
أفكر في الدنيا وأبحث في الورى  
وعيني ما بين النجوم تجُولُ  
طويلاً، إلى أن نال من خاطري الونى<sup>١</sup>  
ورأى على طرفي الكليل ذُبُولُ  
فأطرقتُ أمشي في سطور كتابه  
بطرفي، فالفيت السطور تقول  
سوى وجع الحُسَّادِ داوٍ فإنه  
إذا حلَّ في قلبٍ فليس يحول  
فلا تطمعن من حاسدٍ في مودةٍ  
وإن كنت تُبديها له وتُنِيلُ

\*\*\*\*

---

(١) الضعف والفتور والإعياء

### ٣٥ - أنفُسُ العُشَّاقِ

[مجزوء الكامل]

بالأمسِ بادرنِي صديقُ حائرٍ يستفهمُ  
أجهنمُ نارُ، كما زعمَ الهداةُ وعالموا؟  
أم زمهريرُ قارسُ قاسٍ وكونٌ مظلم؟  
فأجبتُهُ: ما الزُّمهريرُ وما اللَّظى المتضرمُ  
بجهنمٍ..! لكنَّما ألا تُحبُّ جهنمُ  
يا صاحبي إنَّ الخواءَ هو العذابُ الأعظمُ  
القلبُ، إلا بالمحبةِ، منزلُ مُتردِّمٍ<sup>(١)</sup>  
هي للجراحةِ مرهمٌ، هي للسَّعادةِ سَلَمٌ  
هي في النُّجومِ تالِقٌ، هي في الحياةِ ترنمُ  
هي أنفُسُ العُشَّاقِ في غسقٍ<sup>٢</sup> الدَّجى تَنبَسِّمُ

\*\*\*\*

---

(١) متهدم (يلؤه الردم)

## ٣٦. رُوحِي فِدَاكَ

[الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدِّكَ  
وَشَقَانِقَ النُّعْمَانِ فِي شَفَتَيْكَ  
وَعَلَى جَبِينِكَ مِثْلَ قَطْرَاتِ النُّدَى  
وَالنُّرْجِسُ الْوَسْنَانَ فِي عَيْنَيْكَ  
وَنَشَقْتُ مِنْ فَوْدِكَ<sup>١</sup> نَدَاءً عَاطِراً  
لَمَّا مَشَيْتُ كَفَّاكَ فِي فَوْدِكَ  
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مُتَوَجِّعاً  
وَالْقُلُ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدِكَ  
وَسَمِعْتُ حَوْلَكَ هَمْسَ نَسَمَاتِ الصَّبَا  
عِنْدَ الصَّبَاحِ، تَهَزُّ مِنْ عَطْفِكَ<sup>٢</sup>  
أَيَقَنْتُ أَنَّكَ جَنَّةٌ خَالِبَةٌ  
فَحَنَنْتُ مِنْ بَعْدِ الْمَشِيِّ إِلَيْكَ  
وَلِذَاكَ قَدْ صَيَّرْتُ قَلْبِي نَحْلَةً  
يَا جَنَّتِي، حَتَّى يَحُومَ عَلَيْكَ  
رُوحِي فِدَاؤُكَ أَنْهَا لَوْلَمْ تَكُنْ  
فِي رَاحَتَيْكَ، هَوَتْ عَلَى قَدَمَيْكَ..

\*\*\*\*\*

---

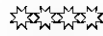
(١) جانباً الرأس

(٢) العطفان الجانبان عن يمين وشمال

## ٣٧ - لو

[السريع]

لو أنني يا هندُ بدرُ السّما  
نزلتُ من أفقي إلى مَحْدَعِك<sup>(١)</sup>  
وصيرتُ عِقْدًا لكِ أو خاتما  
في جِيدِك النَّاصِعِ أو اصْبِعِ  
أو بَلْبِلِ الرُّوضِ ما لذّ لي  
الإنشادُ إن لم يَكُنْ في مَسْمَعِ  
ولو أكونُ الأرجَ الذّاكي  
لما هجرتُ الرُّوضَ لولاكِ  
وما حواني غيرُ مَعْنَاكِ  
ولم أفحّ حتى تكوني معي



فيك وفي الوردِ سِرُّ الصُّبَا  
وفي الصُّبَا سِرُّ الهوى والجمالِ  
فإنّ تريّني واجماً باهتاً  
حيالها أخشى عليها الرُّوالِ  
فإنّني شاهدتُ طيفَ الرّدى  
ينسلُّ كالسَّارقِ بين الظُّلالِ

---

(١) المَحْدَعُ الحجرة في البيت

ولاح لي في الورق النّامي  
منطرحاً في الأرض قدامي  
أشباح أمالي وأحلامي  
أحلام من؟ أحلام مضمّناتك

\*\*\*\*



### ٣٨ - مقلتان

[السريع]

رأيتُ في عينيك سحر الهوى  
مُنْدَفِقاً كالنُّورِ من نجمتين  
فببتُ لا أقوى على دفعه  
من ردِّ عنه عارضاً<sup>١</sup> باليدين؟  
يا جنَّةَ الحبِّ ودنيا المُنَى  
ما خِلْتَنِي ألقاكِ في مقلتين

\*\*\*\*

### ٣٩ - فردوسي

بنيتُ فردوسي وزخرفته  
حتى إذا تمَّ ضيُّعته  
أجريتُ في أنهاره كوثرأ  
فذاقه الناسُ وما ذُقته

\*\*\*\*

---

(١) العارض هنا ما يعترض المقدم على الأمر

## ٤٠ - ثَقِيل

[الخفيف]

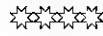
وثَقِيلِ كَأَنَّهُ بَرْدٌ كَانُوا  
نَ قَلِيلِ الْحَيَاءِ جَمَّ الْكَلَامِ  
لَيْسَ يَدْرِي بِأَنَّهُ لَيْسَ يَدْرِي  
أَنْ بَعْضَ الْأَنْعَامِ كَالْأَنْعَامِ  
يَتَمَنَّى يَا بُعْدَ مَا يَتَمَنَّى  
لَوْ جَرَى ذِكْرُهُ عَلَى الْأَقْلَامِ  
وَالَّذِي أَطْمَعُ الْبَنِيَّ وَأَغْرَا  
هُ بِسَبِّ الْكِرَامِ حِلْمُ الْكِرَامِ  
وَالَّذِي صَيَّرَ الْكَرِيمَ حَلِيمًا  
كُرْهُهُ أَنْ يُعْدَّ صِنُّو الطُّغَامِ  
مَنْعَ الْبُيُوتِ أَنْ يُصَادَ وَيُرْمَى  
كَوْنُهُ غَيْرَ صَالِحٍ لِلطُّعَامِ!

\*\*\*\*

## ٤١ - وداع

[الكامل]

ذهب الربيعُ ففي الخماثل وحشةٌ  
مثلُ الكبةِ من فراقك فينا  
لو دُمت لم تحزنْ عليه قلوبنا  
ولئن أضعنا الورد والنسرينا  
فلقد وجدنا في خالك زهرة الـ  
مُفتر والماء الذي يروينا  
ونسيمه السَّاري كأنفاس الرضا  
وشعاعه يغشى المروج فتونا  
حزت المحاسن في الربيع وفقته  
إذ ليس عندك عوسجٌ يدمينا



يا أشهراً مرّت سِراعاً كالمنى  
لو أستطيع جعلتكن سنينا  
وأمرت أن يقف الزمان عن السرى  
كيلا نمر بساعة تبكيانا  
ونمد أيدينا فترجع لم تُصب  
وتعود فوق قلوبنا أيدينا  
خوفاً عليها أن تساقط حسرةً  
أو أن تفيض لواعجاً وشجوناً

---

(١) شجر من شجر الشوك (المفرد عوسجة)

قَد كُنْتُ خِلْتُ الدَّهْرَ حَطْمَ قَوْسِهِ  
حَتَّى رَأَيْتُ سِهَامَهُ تُصِمِّينَا  
فَكَأَنَّمَا قَدْ سَاءَ وَأَمْضَى  
أَنَا تَمَتُّعَنَا بِقُرْبِكَ حِينَا

\*\*\*\*

## ٤٢ - تحية الشاعر

[الرمل]

قالها في بعض الشعراء وأهل الفكر في الوطن والمهجر في يوبيل شكيب أرسلان  
امنحيني يا نجوم الألقا  
وهبينني يا زهور العبقا  
أبعثُ الشعْر إلى الدنيا هوى  
وضياءً وغناءً شيقا  
فإذا خامر نفساً طربتُ  
وإذا لامس قلباً خفقا  
وإذا يتلى لمُشتاق سلا  
وإذا يُروى لبك صفا  
فمن الشعْر لقوم حكمة  
ومن الشعْر لأقوام رقى<sup>١</sup>  
أنا لا أستعذب الشعْر إذا  
لم أجده روضة أو أفقا  
~~~~~  
حبذا ليلتنا من ليلة  
يُكْرم الأحرار حراً لبقا  
شاعرُ ما إن جرى في حلبة  
أبداً إلا وكان الأسبقا  
كاتبُ لابل سحاب هتين<sup>٢</sup>  
كم روى الأرواح خمراً وسقى!

(١) الرقية العوذة

(٢) هتن المطر هطل

قُلْ لِمَنْ حَاوَلْ أَنْ يُلْحِقَهُ  
 أَنْ هَذَا عَارِضٌ<sup>١</sup> لَنْ يُلْحِقَا  
 قَلَامُ يَهْمِي عَلَى أُمَّتِهِ  
 رَحْمَةً إِذْ تُمَطِّرُ الدُّنْيَا شَقَا  
 وَإِذَا مَا أُوذِيتَ أَوْ ظُلِمْتَ  
 أَمْطِرِ الدُّنْيَا شُؤْظًا<sup>٢</sup> مَحْرِقَا  
 وَبُوتَ زَعَقَاتُهُ كَابِنِ الشُّرَى  
 رِيحٌ فِي عَرِيْسِهِ أَوْ ضَوِيْقَا<sup>٣</sup>  
 هُوَ الْحَقُّ إِلَى أَنْ يَنْجَلِي  
 وَعَلَى الْبَاطِلِ حَتَّى يُزْهَقَا  
 أَنْفَقَ الْعُمُرَ عَلَى خِدْمَتِهَا  
 إِمَّا أَعْلَى الَّذِي قَدْ أَنْفَقَا  
 قُلْ لِمَنْ أَرْجَفَكَ يُّنْقَاقُهُ  
 فِي حِمَاهُ: إِنَّهُ لَنْ يُفْلَقَا  
 وَلِمَنْ حَاوَلْ أَنْ يُغْضِبَهُ:  
 أَنَّهُ أَعْلَى وَأَسْمَى خُلُقَا  
 أَمِيرٌ تَتَّقِيهِ بَوْلُهُ  
 يَتَوَقَّى كَاشِحًا مَخْتَلِقَا  
 وَهُوَ مِثْلُ الشَّمْسِ لَنْ يَبَاغِهَا  
 صَاعِدٌ مَهْمَا تَعَالَى وَارْتَقَى  
 إِنْ يُوبِيْلُكَ يُوبِيْلُ النَّهْيِ  
 هُنَّاتٌ (بَغْدَادُ) فِيهِ (جَلْقَا)<sup>٤</sup>

\*\*\*\*

(١) السحاب يعترض الأفق

(٢) القطعة من النار

(٣) الشرى موضع تنسب إليه الأسود، ويقال للشجعان هم أسود الشرى وعريسة الأسد (دون تشديد) ما يجمعه

في مأواه لأشباهه، كالعش للطائر

## ٤٣ - أخو الورقاء

[الكامل]

رسالة إلى الشاعر القروي أُلقيت في الحفلة الوداعية التي أُقيمت في ولاية تكساس وقد تعذّر على الناظم حضورها.

لله من عبث القضاء وسُخره  
بالناس والحالات والأشياء  
كم دُرّة في التّاج، ألفُ مثْلِها  
في القاع، لم تخرُج من الظّلماء!  
ولكم تعذّر بالغبار سَميدعُ  
وانداحت الأطوادُ للجُبناء  
ولكم جُنَى عِلْمٍ على أربابه  
وجنّى الهناء جماعةُ الجُهلاء  
أرأيت أعجب حالة من حالنا  
أزِفَ الرُّحيلُ ولم نَفُزْ بِإِلقاء!  
عاشتْ شُهوراً بالرجاء قلوبنا  
وبلحظة أمست بغير رجاء  
ماتتْ أمانينا الحسانُ أجنةً  
لم تكتحلْ أجفانُها بضياء  
فكانتْها برقٌ تالّق وانطوى  
في الليل، لم تأمحه مُقلّةُ راء  
وكاننا كنّا نخلّق في الفضأ  
صُعُداً لنلمس منكبَ الجوزاء

---

(١) السيد الكريم السخيّ الشجاع السريع (جمعه سمادع وسمادعة)

حتى إذا حان الوصول.. رمت بنا  
 نكباءً عاتيةً إلى الغبراء<sup>(١)</sup> !  
 وكان تَكْسَسَ وهي في هذا الحمى  
 صُقْعُ<sup>(٢)</sup> كسانبول قصي ناء  
 طوبى لها، إن كان يعلم أهلها  
 أن النزيل بها أخو الورقاء<sup>(٣)</sup>  
 كانت مسارح الرعاة فأصبحت  
 لما أتاهما، كعبة الشعراء  
 هو بلبل عبق النبوة في أغا  
 نيه، وفيها، نكهة الصهباء  
 وجلال لبنان وقد غمر المساء  
 هضباته، وانسال في الأوداء  
 غنى، ففي النسمات والأوراق والـ  
 عُدران أعراس بلا ضوضاء  
 وبكى، فشاع الحزن في الأزهار والـ  
 أظلال والألوان والأضواء  
 هونفحة قُدسيّة هبطت إلى  
 هذا التّرى من عالم اللّلاء  
 لو عاد للندى البراق وحزته  
 ما كان إلا نحوه إسْراني<sup>(٤)</sup>  
 أشكو البعاد وليس لي أن أشتكي  
 فسماؤه موصوله بِسْماني

(١) الأرض

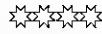
(٢) الناحية والجهة والمحلة

(٣) الحمامة الورقاء الرمادية اللون

(٤) البراق مركب الرسول (ص) ليلة الإسراء والمعراج



ما حال بين نفوسنا: ما حال بين  
نَ جُـسُومنا من أجـبـلِ وفـضـاء  
فلـكـمَ نـظـرتُ إلى الرُّبـا فلمـحـتُه  
في الأَقْـحـوانِ الخـيـرِ المِـعْـطـاءِ  
وسمعتُ ساقيةً تئنُّ فـخـاً تُـنـي  
لِـبُـكـائِه أوطـانِه اصـغـانـي  
وإذا تـلـوحُ لي الجِـبالُ ذكـرتُه  
فالشـاعـرُ القـرـويُّ طـودُ إـبـاءِ  
مَنْ كان يحلُمُ بالغـديـرِ فإِنَّه  
يـبـدو له في كلِّ قـطـرةٍ مـاءِ  
إنْ كـنتُ لم أره فـقـدْ شـاهـدتهُ  
بـعـيـونِ أصـحـابـي، وذاك عـزائـي



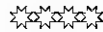
أفتى القوافي كالشواظ على العدا  
وعلى قلوب الصُّحْبِ كالأنـداءِ  
سارت إليك تحيَّتي ولو أنـني  
خُـيـرتُ، كـنت تحيـتي ودُعائـي



## ٤٤ - شاعر الدّير

[البسيط]

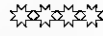
أُلقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة.  
عادت رياض القوافي وهي حاليّة  
وكان صوّح فيها الزهر والعُشب  
واسترجعت دلوله الأعلام نخوتها  
وكان أدركها الإعياء والتعب  
بشاعر عبقرٍ، في قصائده  
عطر وخمر وسحر رائق عجب  
فاشرب بروحك خمراً كلّها أرج  
وانشق بروحك عطراً كلّهُ طرب  
وامرح بدنيا جمال من تصوّره  
فإنّها السّحر إلا أنّه أدب  
والبسّ مطارف حاكّتْها يراعته  
تبقي عليك ويبلى الخز والقصب<sup>١</sup>  
كم دُرّة يتمنّى البحر لو نسبت  
اليه، باتت إلى مسعود تنسب  
لو أنّها فيه لم تهتج غواربه<sup>٢</sup>  
لكنّها لسواه فهو يصطخب  
فلا جناح إذا قال شاعرنا  
للبحر: يا بحر أغلى الدرّ ما أهب!



(١) الخزّ الحرير، والقصب أنابيب من جوهر والمطرف الرداء من الحرير (والجمع مطارف)

(٢) غرب كل شيء حدّه

يا شاعر الدَّيرِ<sup>١</sup> كم هَلَّلتِ قافيةً  
غنى الرواةُ بها وأختالتِ الكُتُبُ  
طلاقةَ الفجرِ فيها وهو منبثقُ  
ورقةِ الماءِ فيها وهو منسكبُ  
مرّت على هضباتِ الدَّيرِ هائِمةً  
فكاد يورقُ فيها الصَّخْرُ والحطبُ  
إذا تساقى النَّدَامَى الرّاح صافيةً  
كانت قوافيك في الرّاح التي شربوا  
فأنت في السَّنِ الأَشْيَاخِ إنْ نطقوا  
وأنت في هممِ الشُّبَّانِ إنْ وثبوا



مسعودُ عيدك والشَّهرُ الجميلُ<sup>٢</sup> معاً  
قد أقبلَا وأنا في الأرضِ أضطربُ  
يحرّ نفسِي أنِّي اليومُ مبتعدُ  
وأنت من حولك الأنصارُ والصُّحبُ<sup>٣</sup>  
البَيدُ والناسُ ما بيني وبينكمُ  
ليت المهامِ<sup>٤</sup> تُطَوِّى لي فاقترِبُ  
ما كان أسعدني لو كنتُ بينكمُ  
كيما يؤدي لسانِي بعض ما يجب  
لصاحبِ أنا تِيَاهُ صُحْبَتِهِ  
وشاعرِ طالما تاهت به العُربُ



---

(١) دير القمر بلدة الشاعر سماعة

(٢) شهر أيار ١٩٢٩

(٣) الصُّحبُ (على الأصل) وجمعها أصحاب

(٤) المهمة المفازة البعيدة، وجمعها (مهامه)

## ٤٥ - لا يدرك الهرم النجوم

[مجزوء الكامل]

قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر المرحوم مسعود سماحة.

يا شاعراً حلّو المودّة في الحضور وفي الغياب  
شَهْدٌ ولَاؤُكُ والأنامُ ولَاؤُهُمْ شَهْدٌ وصَابُ<sup>(١)</sup>  
أنا إن شكوتُ إليك منك، وسال في كُتّبي العِتَابُ  
فحكايتي كحكاية الظمن في قفْرِ يَبَاب  
لم يَرَوْهُ لَمُ السُّرَابِ فراح يستسقي السُّحَاب  
فهمى فكان الخيرُ فيه للأباطح والهَضَاب  
مسعودُ أهونُ بالمشيب فما أمحى إلا الخَضَاب  
ماذا عليك من الثُلُوجِ وفي ضلوعك حُرَابُ  
الكأسُ أجملُ في النواظر إذ يرصّعها الحَبَابُ<sup>(٢)</sup>  
إن شَابَ منك المَفْرقانِ فما أظن القلبَ شَابَ  
لا تَزْعُمَنَّ له المتَابَ فإنَّ تَوَيْتَه كَذَابُ  
ما زال يخفُّ بالهوى، ويفيضُ بالسَّحَرِ العُجَابُ  
ويُريك دنيا لا تُحَدُّ، ومن ورائك ألف باب  
دنيا من اللذات والأفراح في دنيا عذاب  
ويُريك جنّات الجمال وأنت في الطُّللِ الخراب

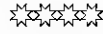


أفتى القوافي الشاديّات كأنها أطيّارُ غاب

(١) الصاب عصارة شجر مرّ (واحدته صابة)

(٢) الفقاعات التي تعلق سطح الشراب (اليعاليل)

إِنْ قِيلَ أَنَّكَ صِرْتَ شَيْخاً قُلْ: أَجَلَ شَيْخِ الشُّبَابِ  
أُتْرَى إِذَا الْعَنْوَانُ ضَاعَ يَضِيعُ مَضْمُونُ الْكِتَابِ؟  
السَّيْفُ لَيْسَ يَعْيبُهُ مَشْيُ الْخُلُوقَةِ فِي الْقِرَابِ<sup>١</sup>  
وَالْخَمْرُ خَمْرٌ فِي إِنَاءٍ مِنْ لُجَيْنٍ أَوْ تِرَابِ  
وَحَيَاةٌ مِثْلُكَ لَيْسَ تَدْخُلُ فِي قِيَاسٍ أَوْ حِسَابِ  
فَعَدُّ زَمَانِكَ مِثْلُ أَمْسٍ وَإِنْ مَضَى عَصْرُ الشُّبَابِ  
لَا يَدْرُكُ الْهَرَمُ النُّجُومَ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا شَهَابٌ  
وَإِذَا يُعَابُ عَلَى الْمَشْيِيبِ فَتَى فَمَنْ ذَا لَا يُعَابُ  
أَوْ كَانَ يُمَدِّحُ بِالسَّوَادِ فَمَنْ تُرَى مَدْحُ الْغُرَابِ؟



يَا نَفْحَةً مِنْ شَاعِرٍ  
أَرْجِ الْكِتَابَ بِهَا وَطَابُ  
الْفَجْرُ أَهْدَى لِي السَّنَا  
وَالرُّوضُ أَهْدَى لِي الْمَلَابِ<sup>٢</sup>



---

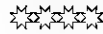
(١) قراب السيف غمده والخلوقة بفعل القدم والاستعمال  
(٢) السنا النور والملاب ضرب من الطيب كالخلوق والزعفران

## ٤٦. بنت القفر

[الوافر]

أرسل الشاعر مسعود سماعة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة بكمية  
من البنِّ الفاخر.

أدريها قهوة كعصير بكر  
تجلت في الكؤوس بكف بكر<sup>١</sup>  
كان المسك يغلي حين تغلي  
ويجري في الأواني حين تجري  
تعيد إلى الضعيف قوى وتهدى  
إليه غبطة وصفاء فكر  
تعشقها الشعوب فكل شعب  
أعد لها الثغور وكل قطر  
تلوح حبها في كل كوخ  
ولاح حباؤها في كل قصر  
يضوع عبيرها برمال نجد  
ويعبق عطرها بقصور مصر  
تمشي عنبراً في كل أنف  
وتنزل قرقفاً<sup>٢</sup> في كل ثغر  
ويزري طعمها حلواً ومراً  
بما في الأرض من حلومر



(١) القهوة البكر، والفتاة البكر

(٢) الحمر

وسمراء إذا زادت صباحاً  
أحب إلي من بيض وسمر  
يحوك لها البخار رداءً<sup>(١)</sup>  
ويكسوها الحباب وشاح در  
كسرت الدن من عهد بعيد  
فأمتست بعد خمير الدن خمري  
فإن حلت قواك جيوش ضعف  
وهالك عبء هم مسبط<sup>٢</sup>  
عاليك بقهوة رقت وراقت  
كشعرك لا يجارى أو كشعري  
(مسعود)

#### فأجابه بالقصيدة التالية:

شربناها على سر القوافي  
وسر الشاعر السمع الأبر  
سقانا قهوتين (بغير من)  
عصير شجيرة وعصير فكر  
فنحن اثنان: سكران لحين  
على أمن، وسكران لدهر  
فمن أمسى يهيم ببنت قصر  
فإننا هائمون ببنت قفر  
إذا حضرت فذلك يوم سعد  
وإن غابت فذلك يوم قهر  
لها من ذاتها ستر رقيق  
كما صبغ الحياء جبين بكر

(١) ضرب من الطيب يدخن به

(٢) اسبطر اضطلع وامتد

إذا دارت على الجالّس هَشُّوا  
 كأن كُؤُوسَهَا أَخْبَارُ نَصَرِ  
 ونرشفُهَا فنرشفُ ريقَ خُودِ<sup>١</sup>  
 وننشقُهَا فننشقُ رِيحَ عَطَرِ  
 ولا نخشى من الحُكَّامِ حَدًّا  
 وعند الله لم توصمَ بِوِزْرِ  
 فما في شربها اثمٌ ونُكْرُ  
 وشربُ الخمرِ نكْرُ أي نُكْرِ  
 وليست تستخفُّ أخا وقارِ  
 وبنّت الدنّ بالأحلامِ<sup>٢</sup> تُزري  
 وتحفظُ سرَّ صاحبِهَا مَصُونًا  
 وبنّت الكرمَ تفضحُ كلَّ سرِّ  
 ولصَّهْبَاءِ أوقاتٍ، وهذي  
 شرابُ الناسِ في حرٍّ وقرِّ  
 وتصلحُ أن يطافَ بها مساءً  
 وتحسنُ أن تكونَ شرابَ ظُهرِ  
 فلو عرفتَ مزاياها الغواني  
 لعلَّقَ حبُّهَا في كلِّ نَحَرِ  
 كأن حبوبِهَا خُضْرًا وصُفْرًا  
 فصَّوصَ زَمْرُدٍ وشنُورٍ<sup>٣</sup> تَبَرِّ  
 كأن الجنَّ قد نفثت رُؤَاهَا  
 على أوراقِهَا في ضوِّ فجرِ  
 ألسنت ترى إليها كيف تطغى  
 وكيف تثورُ إن مُسَّتْ بِجَمَرِ

(١) الحسناء الشابة

(٢) العقول (الحلم العقل)

(٣) الشنرة هي، في الأصل، القطعة من الذهب



كَأَنَّ نَخِيلَ مِصْرٍ قَدْ حَسَاها  
 وَالْأَمَّا اهْتِزَازُ نَخِيلِ مِصْرٍ؟  
 جَلَوْتُ بِهَا مِنَ الْأَكْدَادِ ذَهْنِي  
 كَمَا أَنِّي غَسَلْتُ هُمُومَ صَدْرِي  
 وَمَا هِيَ قَهْوَةٌ تُطَهِّرُ وَتُخَسِّنُ  
 وَلَكِنْ نَفْحَةٌ مِنْ رُوحِ حُرٍّ  
 حَوَى فِي شِعْرِهِ عَيْثُ (ابْنِ هَانِي)  
 وَزَادَ عَلَيْهِ فَلَسَفَةٌ (الْمَعْرِي)<sup>(١)</sup>  
 فَيَا لَكَ شَاعِرًا لَبِقًا لَعُوبًا  
 كَأَنَّ يَرَاعَهُ أَنْبُوبُ سِحْرِ  
 يَفِيضُ سَلَاسَةً فِي كُلِّ لَفْظٍ  
 وَيَجْرِي رَقَّةً فِي كُلِّ سَطْرِ  
 حَوَتْ دَارُ السَّمِيرِ هَدْيَتِيهِ  
 وَتَحْوِي هَذِهِ الْأَوْرَاقُ شُكْرِي

\*\*\*\*\*

---

(١) ابن هانئ هو أبو نواس، والمعري هو أبو العلاء

## ٤٧ - تلك المنازل

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم الأستاذ كمال جنبلاط.  
تلك المنازل.. كيف حال مُقيمها<sup>(١)</sup>  
إنّا قنّعنا بعدها.. برسومها  
تمشي على صور الطيور لحاظنا  
نشوى، كمن يصغي إلى ترنيمها  
ونكاد نعشق في الأزاهير الدمي  
أزهارها ونحس نقح شميمها  
نشواقها في بؤسنا ونعيمنا  
ونحبها، في بؤسها ونعيمها  
لولا الخيال يعين أنفسنا لما  
سكنت ولم يهدأ صراخ كلومها  
ولكان شهد الأرض في أفواهنا،  
وهو اللذيذ، أمر من زقومها<sup>(٢)</sup>  
يا حاملاً في نفسه وحديثه  
أحلام أرزتها ولطف نسييمها  
حدث بنيها شيخهم وفتاهم  
عن ليث غابتها وظبي صريمها<sup>(٣)</sup>

---

(١) يريد السؤال عن المقيم فيها

(٢) كل طعام يقتل (في المعاجم طعام أهل النار)

(٣) الصريم أرض لا تثبت شيئاً والقيصوم نبات قريب منه، كثير في البادية

خَبَّرَهُمْ أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَمْ تَزَلْ  
تَحْنُو عَلَى الْعِشَاقِ بَيْنَ كُرُومِهَا  
مَازَالَ بَابُهَا يُغْنِي لِلرُّبَا  
وَالسِّحْرُ تَنْفَقُهُ لَوَاحِظُ رِيمِهَا  
وَالرِّيحُ تَلْتَقِطُ الشُّذَا وَتُذِيعُهُ  
مِنْ شَيْحِهَا طَوْرًا وَمِنْ قَيْصُومِهَا<sup>١</sup>  
وَهَضَابُهَا يَلْبَسُنْ عَسْجَدَ شَمْسِهَا  
حِينَئِذٍ، وَأَحْيَانًا لُجَيْنِ نَجُومِهَا<sup>٢</sup>  
وَالْفَجْرُ يَرْقُصُ فِي السَّهُولِ وَفِي الدُّرَا  
مَتَهَلَّلًا فَتَهَشُّ بَعْدَ وُجُومِهَا  
إِنْ بُدِّلَتْ مِنْهَا التُّخُومُ فَإِنَّهَا  
مَا بُدِّلَتْ وَاللَّهِ غَيْرُ تَخُومِهَا  
حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلِهَا وَنَجُومِهَا  
وَعَنْ الْهَوَى فِي لَيْلِهَا وَنَجُومِهَا  
وَعَنْ الشُّطُوطِ الْحَالِمَاتِ بَعُودَةَ  
لِلْغَائِبِينَ، وَرَجْعَةَ لِنَعِيمِهَا  
وَعَنْ الرُّوَابِي الشَّائِخِصَاتِ إِلَى السَّمَاءِ  
الْعَالِقَاتِ رُؤُوسُهَا بَغِيُومِهَا  
فَكَأَنَّهَا سَحَبٌ هَوَتْ مِنْ حَالِقِ  
وَرَسَتْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى بِهِمُومِهَا  
وَعَنْ الْحَيَاةِ جَمِيلِهَا وَقَبِيحِهَا  
وَعَنْ النُّفُوسِ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا  
وَعَنْ الْأَلَى مَا لَمْ يَتَوَرَّعُوا  
عَنْ سَلْبِ أَعْزَلِهَا وَطَأْمِ يَتِيمِهَا

(١) الشَّيْخُ نَبَتْ سُهْلِيَّ رَاحَتِهِ طَبِيعَةَ قُوَّةِ

(٢) الْعَسْجَدُ الذَّهَبُ وَاللُّجَيْنُ الْفُضَّةُ

وعن الثعابين التي في أرضها  
وعن الذئاب العُصْل<sup>١</sup> خَافَتْ خُومِهَا  
الجاهليَّة، اه من أصنامها  
بوركت يا مَنْ جَدُّ في تحطيمها  
والطائفية أنت أولُ معولٍ  
في سورها، ثابرْ على تهديمها  
حتى تعود وواحدُ أقنوم<sup>٢</sup>ها  
ويحلُّ روحُ الله في أقنوم<sup>٣</sup>ها  
قل للشَّيْبة أن تُبين وجودها  
وتُعزْ أنفسها بهونِ جسمِها  
كم ذا تشعُّ ولا تُضيءُ علومُها  
سُرَّجُ الظلامِ إنَّ جليلُ علومِها  
يا واحداً منها يُحمِلُ نفسه  
الأم عانيها وليلِ سليمِها<sup>٣</sup>  
إنَّ أكرمَ تلكَ نفوسنا في ليلة  
فلكم قضيت العمر في تكرمِها

\*\*\*\*

(١) العُصْل الالتواء والاعوجاج والصلابة (أعصل، عصلاء) يشير إلى الأنياب

(٢) الأقنوم الأصل

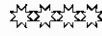
(٣) العاني الأسير، يريد هنا المتعب والمعاني والسليم اللديغ (السلم لدغة الحية) يريد هنا المصاب

## ٤٨ . دمة الشاعر

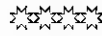
### إلى روح الشاعر خليل مطران

[مجزوء الرمل]

(مرات يتفجع فيها صاحب الديوان على الراحين من زملائه الشعراء).  
عندما أبدع هذا الكون ربُّ العالمينا  
ورأى كلَّ الذي فيه جميلاً وشميلاً  
خلق الشاعر... كي يخلق للناس عُيونا  
تُبصرُ الحُسن... وتهواه حراكاً وسكوناً  
وزماناً، ومكاناً، وشُخوصاً وشؤوناً  
فارتقى الخلق... وكانوا قبله لا يرتقوناً  
واستمرَّ الحُسنُ في الدنيا ودام الحبُّ فينا

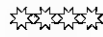


إنه روحٌ كريمٌ لبس الطين المهيئنا  
ونبيُّ بهر الخلق وما أعلن ديننا  
يلمحُ النُّجم خفياً، ويرى العطر دفيناً  
ويُرينا الطُّهر حتى في الجناة الأثميننا  
ويُحسُّ الفرح الأسمى جريحاً أو طعيننا  
كلَّما شاعت دُمَاه أَمْلاً في البائسيننا

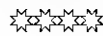


من سيواه ثائرٌ فيه وقارُ الناسِ كينا  
من سيواه عابدٌ فيه جنونُ الثائريننا  
من سيواه عائقُ الله يقيننا لا ظنوننا

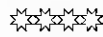
من تُرى إلهٌ يحيا نغماتٍ ولحونا  
من تُرى إلهٌ يُفني ذاته.. في الآخريننا



لو أبى الله علينا وعاليه أن يكوننا  
عادت الأرض وهاداً شاحباتٍ وحزونا<sup>(١)</sup>  
ترتدي الوحشة والهول ضباباً ودجونا<sup>(٢)</sup>  
وأقاضيها هشيماً لا أريجاً وفئتونا  
وسواقيهها سرايباً هازناً بالطامئيننا  
وشواذيهها<sup>(٣)</sup> دُمى خرساء تؤذي الناظريننا  
واسْتَفَاقَ الجدولُ الحالمُ غيظاً وجنوننا  
واستوى النهرُ على وجه الثرى جرحاً نخيننا  
وانطوت دنيا الرؤى فيها.. ومات الحالمونا



أي وربي، لو مضى الشاعرُ عنا لشقيننا  
ولعشنا بعده في غصصٍ لا ينتهيننا  
ولأمسى الله مثل الناس مغموماً حزيننا!



زعموا ولّى ولن يرجع... ويح الجاهليننا  
لم يمّت من كان لله خالياً وخديننا  
عاش حيناً، وسيحيا بعدما غاب قروننا



---

(١) الأرض فيها خلود غليظة

(٢) الدجن العيم المطبق في السماء

## ٤٩ - مازال في الأرض حياً

[الخفيف]

قال الشاعر هذه القصيدة عندما جاءه نبأ وفاة صديقه الأديب أمين الريحاني، وقد  
تأثر بالنبأ المفاجيء.

أيُّ خطبٍ دها فبات المهجرُ  
مثل حقلٍ مرّت عليه صرصر<sup>١</sup>  
ضربت عِقْدَ زهره فتبعثر  
ومشت فوق عُشبه فتنگر  
بعد أن كان عبهرياً<sup>٢</sup> ندياً  
~~~~~

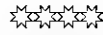
قد سمعنا يا ليتنا لم نسمع  
نبأ زعزع القلوب وضعضع  
فجزعنا وحققنا أن نجزع  
لفراق الفتى الأديب الألع  
وذرفنا دمعاً سخينا سخياً  
~~~~~

قد بكينا كما بكى لبنان  
وحنّنا كآرزه الأحزان  
ليس بعد الأمين ثم مكان  
غير مستوحش ولا إنسان  
نو وفاء لم يبك ذاك الوفي  
~~~~~

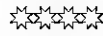
(١) باردة

(٢) العبر الياسمين أو النرجس

المعيُّ قد غابَ تحت الرُّغامِ<sup>١</sup>  
أنَّما لم يغب عن الأفهام  
فهو باقٍ فينا مدى الأيام  
فعاليه تحييتي وسلامي  
عاش حراً ومات حُراً أبيًّا



لم يُعَفَّرَ جبينه في التراب  
لم يواربَ في موقفٍ لم يُحابِ  
لم يَبِعْ قومه من الأغراب  
لم يسِرْ في سوى طريق الصَّواب  
لم يكن خائناً ولا إمّعيًّا<sup>٢</sup>



عاش في الأرض مثل زهر البنفسج  
كلَّما زاد فرَّكه يتأرجح<sup>٣</sup>  
وكنجم في بُرجه يتوهج  
لا يبالي أحبه من أدلج<sup>٤</sup>  
أم أحبَّ الليل البهيم الدجيا<sup>٥</sup>



فابسيمي فوق قبره يا نجوم  
وترنم من حوله يا نسيم

---

(١) التراب

(٢) الإمعة الذي لا رأي له، يتابع كل أحد، ولا يثبت على شيء

(٣) الأرج نفحة الطيب، ويتأرجج تنتشر رائحته

(٤) الدلجة سير السحر أو سير الليل كله

(٥) دجا الليل هداً وسكن، مع انتشار سواده وخفوت نجمه والبهيم من الإبهام



فالدفينُ الذي هناك يُقيمُ  
بطلُ مصراعِ وروحِ كريم  
ولسانُ تخالُّه نبويًّا  
وتنصَّتْ إذا رأيتِ الأقاحي  
جاثياتٍ في هيكلِ الأرواحِ  
قائناتٍ بلهجةِ النصَّاحِ  
أيها الناسُ! بعضُ هذا النَّواحِ  
فأمينُ - ما زال في الأرضِ حيًّا

\*\*\*\*

## ٥٠ - يا قائد القوم

[البسيط]

رثى بها صديقه الحميم الدكتور رزق حداد ألقاها في الحفلة التأسيسية.  
يا أيها الشعْرُ أسعِفْني فأرثيه  
ويا دموعُ أعينيني فأبكيه  
بحثتُ لي عن مُعزٍّ يومٍ مصرعه  
فلم أجِدْ غيرَ محزونٍ أعرّيه  
وما سألتُ امرأً فيما تَفَجَّعه  
الا وجاب: « اني من مُحَبِّيه  
كأنّما كلُّ إنسانٍ أضاع أخاً  
أو انطوت فجأةً دنيا أمانيه  
فذا أساهُ لهيبٌ في أضالعه  
وذا أساهُ دموعٌ في مآقيه  
فهل درى أيُّ سهمٍ في القلوبِ رمى  
لما نعاها إلى الأسماعِ ناعيه؟  
يا شاعرَ الحُسْنِ هذا الرُّوضُ قد طلعتْ  
فيه الرِّياحينُ وافتترتْ أقاحيه  
وشاعَ أيارُ عَطراً في جوانبه  
ونضرةٌ واخضراراً في روابيه  
فأين شِعركُ يسري مع نسائمه؟  
وأين سِحركُ يجري في سواقيه؟  
هجرتهُ فامّحتْ منه بشاشتهُ  
مات الهوى فيه لمّا مات شاديه  
أغنى عن الدرّ في القيعانِ مُختبئاً  
درُّ يساقطهُ الحدادُ من فيه

وكان للسحر تأثير فآبطله  
 بالسحر يجري حلالاً في قوافيه  
 بلاغة المتنبي في مدائحه  
 ودمع خنساء صخر<sup>١</sup> في مراثيه  
 لا يعذب الشعر إلا حين ينظمه  
 أو حين ينشده أو حين يرويه  
 ويا طبيباً يداوي الناس من علل  
 داء الأسى اليوم فيهم من يداويه؟  
 أمسى الذي كان يشجينا ويطربنا  
 لا شيء يطربه لا شيء يشجيه  
 لقد تساوى لديه شلّو ساجعة  
 وصوت نائحة في الحي تبكيه<sup>٢</sup>  
 صارت لياليه نوماً غير منقطع  
 ولم تكن هكذا قبلاً لياليه  
 قد كان نبراسنا في المعضلات إذا  
 ما ليأها جنّ وأربدت نواصيه<sup>٣</sup>  
 فمن لنا في غد إن أزمه عرضت  
 وليس فينا أخو حزم يضاهيه  
 من الحزين يؤاسيه ويسعده  
 والمريض يداويه فيشفيه  
 يا قائد القوم إن تسأل فإنهم

(١) (الخنساء) الشاعرة التي بكت (في صدر الإسلام) أخاها (صخرأ) في مرثاة

(٢) سجع الحمامة، يريد العناء والشدو

(٣) الناصية مقدم شعر الرأس

(٤) تيه اليهود في سيناء أربعين عاماً، بعد خروجهم من مصر، مع موسى عليه السلام

باتوا خيارى كإسرائيل في التَّيِّه<sup>١</sup>؛  
لَمَّا رَأَوْكَ مُسَجِّى بَيْنَهُمْ عَلِمُوا  
مَا الْعِيشُ غَيْرُ أَخَابِيلِ<sup>(١)</sup> وَتَمُوِيهِ  
يَا رِزْقُ قَلْبِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ فِطْرُ  
وَكُلُّ قَلْبٍ كَقَلْبِي فِي تَشْطِطِيهِ  
لَمْ يَحْوِ نَعَشُكَ جَسَماً لَا حَرَكَ بِهِ  
بَلْ أَنْتِ أَمَالُنَا مَوْضُوعَةٌ فِيهِ  
غَدَاً يُوَارِيكَ عَنْ أَبْصَارِنَا جَدْتُ  
لَكِنْ فَضْلُكَ لَا شَيْءٌ يُوَارِيهِ

\*\*\*\*

---

(١) الحبال الفساد، والأخابيل جمع (أخبولة)

## ٥١ - لَيْتَهُمْ عَرَفُوهُ!

[الكامل]

رثى بها صديقه يعقوب روفائيل صاحب مجلة (الأخلاق).

يا نفسُ قد ذهب الرفيقُ الألعى  
فتجأدي لفراقه أو فاجزعي  
هذي النهايةُ لا نهايةَ غيرها  
للحيّ أن يُسرّعَ وإن لم يُسرّعِ  
للموتِ من ملك البسيطة كلّها  
أو حاز من دنياه بضعة أذرع  
فازرع طريقك بالورودِ وبالسُّنَا<sup>١</sup>  
لا يحصد الإنسانُ إن لم يزرع  
واعملْ لكي تمضي وتبقى رقة  
في مَبْسَمٍ أو نَغْمَةٍ في مَسْمَعٍ  
أو صورةً مثلُ الربيعِ جميلة  
في خاطرٍ أو ناظرٍ مُستمتع  
~~~~~

يا صَحْبَ يعقوبِ ويا عُشْرَاءَ  
منْ منكم أبكي ولا يبكي معي؟  
إنّا تساوينّا فبين ضلوعكم  
نارٌ ومثلُ سعيرها في أضلعي  
~~~~~

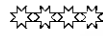
---

(١) النور

لَبْنَانُ! هَذَا مِنْ رِيَاضِكَ زَهْرَةٌ  
 نَهَبْتُ كَأَنَّ<sup>١</sup> فِي الْأَرْضِ لَمْ تَتَضَوَّعْ  
 لَبْنَانُ! هَذَا مِنْ سَمَانِكَ كَوْكَبٌ  
 غَرَبَتْهُ حَتَّى انْطَوَى فِي بَلْقَعٍ<sup>٢</sup>  
 لَبْنَانُ! هَذَا مِنْ مُرُوجِكَ قِطْعَةٌ  
 فِيهِ بِشَاشَةٌ كُلُّ مَرْجٍ مُمَرِّعٍ<sup>٣</sup>  
 قُلْ لِلْبِنْفَسِ فِي سَفُوحِكَ وَالرُّبَا:  
 وَلَيْ شَبِيهُكَ فِي الْوَدَاعَةِ فَاحْشَعِ  
 وَأَمْرُ طَيُورِكَ أَنْ تَنْوَحَ عَلَى فِتْنٍ  
 قَدْ كَانَ يَهْوَاهَا وَإِنْ لَمْ تَسْجَعِ  
 قَدْ عَاشَ مِثْلُكَ لِلْمَرْوَةِ وَالْعُلَا  
 مُتَعَفِّفًا كَالزَّاهِدِ الْمُتَوَرِّعِ  
 مُتَرْفِعًا فِي قَوْلِهِ وَفِعَالِهِ  
 عَمَّنْ غَوَى وَهَوَى وَلَمْ يَتَرْفَعْ  
 كَمْ حَرَضَتْهُ النَّفْسُ فِي نَزَوَاتِهَا  
 لِيَكُونَ صَاحِبَ حِيلَةٍ أَوْ مَطْمَعِ  
 فَأَجَابَهَا: يَا نَفْسُ لَا تَتَوَرَّطِي  
 صَدَأُ النَّفُوسِ هِيَ الْمَطَامِعُ فَاقْنَعِي  
 لَيْسَ الْمُحَارِبُ فِي الْوَعَى بِأَشَدَّ بَأٍ  
 سَاءَ مِنْ مُحَارِبٍ نَفْسِهِ أَوْ أَشْجَعِ  
 ❖❖❖❖❖❖  
 يَا صَاحِبِي! أَضْنَكْتُ<sup>٤</sup> جِسْمَكَ فَاسْتَرْحِ  
 وَأَطْلَتِ يَا يَعْقُوبُ سَهْدَكَ فَاهْجِعِ

(١) مخففة من (كأنها)

حدثت قومك حِقْبَةً فتَسَمَّعُوا  
والآن نورٌ حديثهم فتَسَمَّعْ  
هَجَرُوا الكلامَ إلى الدموعِ لأنهم  
وجدوا البلاغةَ كُلَّهَا في الأدمعِ  
كيف التفتُ وسرتُ لا ألقى سِوَى  
مُتَوَجِّعٍ يشكو إلى مُتَوَجِّعٍ  
حتى الألى نفثوا عليك سُمومهم  
حَزَّ الأسى أكبادهم كالْمِبْضَعِ<sup>١</sup>  
عرفوا مكانك بعد ما فارقتهم  
يا ليتهم عرفوه قبل المصراعِ  
ولكم تمنُّوا لو تعودُ إليهم  
أنت الشبابُ، إذا مضى لم يرجعِ



حنُّوا إلى أَرْجِ الأزاهرِ بعدما  
عَبَثَتْ بِهَا أيدي الرياحِ الأربعِ  
واستعذبوا الماءَ المسلسلَ بعدما  
نَضِبَ الغديرُ وجفَّ ماءُ المَشْرِعِ<sup>٢</sup>  
يا لوعةَ الأحبابِ حينَ تساءلوا  
عنه، وعانوا بالجوابِ الموجعِ  
إن الذي قد كان معكم قد مضى  
من موضعٍ أدنى لأرفعِ موضعِ

---

(١) مبضع الجراح  
(٢) مشرعة الماء مورد الشارب

من عالمٍ متكلفٍ متصنعٍ  
تشقى نفوسُ فيه لم تتصنعِ  
للعالم الأسمى الطُّهورُ، ومن مُجا  
ورةِ الأنعامِ إلى جوارِ المُبَدِّعِ

\*\*\*\*



## ٥٢. سكت الشادي وبَّح الوتر!

[الرمل]

قالها يرثي رفيقه الشاعر ندره حداد وقد فاجتته المنية في حفلة عرس.  
لا تسَلْ أين الهوى والكوثرُ  
سكت الشادي وبَّح الوترُ  
فجأة.. وانقلب العرسُ إلى  
ماتم.. ماذا جرى؟ .. ما الخير؟  
ماجت الدارُ بمن فيها، كما  
ماج نهرُ ثائرٍ مُنْكَدِر  
كلُّهم مُستفسرٌ صاحبه  
كلُّهم يؤذيه من يستفسر  
همس الموتُ بهم همسته  
إن همس الموت ریح صرصرُ  
فإذا الحيرةُ في أحداقهم  
كيفما مالوا وأنى نظروا  
علموا... يا ليتهم ما علموا  
أن نبياً من رؤى تُحتضر!  
والذي أطربهم عن قُدره  
بات لا يقوى ولا يقدر  
يبس الضحك على أفواههم  
فهو كالسُخْر وان لم يسخرُوا  
وإذا الأسى.. يدُ مخنولة  
ومُحيّا.. اليأس فيه أصفر<sup>(١)</sup>

---

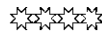
(١) الأسى الطيب

شاع في الدار الأسى حتى شكت  
أرضها وطائته والجدر  
فعلى الأضواء منه فترة  
وعلى الألوان منه أثر  
والقناني صور باهية  
والأغاني عالم مندثر  
الهنا أفلت من أيديهم  
والأمانى...؟ .. إنها تنتحر  
ذبحت أفرأحهم في لمح  
قوة تجني ولا تعذر  
تقلع النبت الذي تغرسه  
والشذا فيه. وفيه الثمر  
إعبثي ما شئت يا دنيا بنا  
وتحكم ما تشا يا قدر  
إن كن زهراً فما أمجدنا  
أو كن شوكاً فهذا الخطر  
فلنعش في الأرض زهراً وليطل  
أجل الشوك الذي لا يزهر

❖❖❖❖❖

رحل الشاعر عن دار الأذى  
وانقضت معه الليالي الغررا  
كم حوته وحواها ملكاً  
دولة الروح التي لا تقهر

عاش لا يُنكر إلا ذاته  
 إن حب الذات شيء مُنكر  
 شاعر أعجب معنى صاغه  
 لبرايـا.. موته المبتكر  
 الجمال الحق ما يعبده  
 والجمال الزور ما لا يبصر  
 والحديث الصّفو ما ينشره  
 والحديث السوء ما يختصر  
 إنه كان ملاكاً بشراً  
 فمضى عنا الملاك البشر  
 ونفوس الخلق إما طينة  
 لا سنأفيها، وإما جوهر



يا رفيقي! ما بلغت المنتهى  
 ليست الحد الأخير الحفر  
 فاعبر النهر إلى ذاك الحمى  
 حيث جبران<sup>١</sup> العميد الأكبر  
 ورشيد نغمة شادية  
 ونسيب نغم مستبشر  
 وجميل فكرة هانمة  
 وأمين أمل مضموض<sup>٢</sup>  
 قل لهم إنّنا غدونا بعدهم  
 لا حديث طيب لا سمر

---

(١) جبران خليل جبران عميد الرابطة القلمية، وكان الشاعر عضواً فيها

كسماءٍ ليس فيها أنجمٌ  
أو كروضٍ ليس فيه زهر  
كلنا منتظرٌ ساعتهُ  
والمصيرُ الحقُّ ما ننتظر

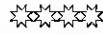
\*\*\*\*

## ٥٣ - لم يهدم الموت إلا هيكل الطين

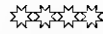
[البسيط]

رثى بها رفيقه الشاعر نسيب عريضة.

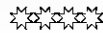
لم يبرح الروض فيه الماء والزهر  
ولم يزل في السماء الشمس والقمر  
لكنها الآن في أذهاننا صور  
شوهاً، لا القلب يهواها ولا النُّظر  
قد انطوى حُسنها لما انطوى الشاعرُ



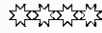
قل للمغني الذي قد غصَّ بالنغم  
أنِّي نظيرك قد خان الكلام فمي  
ومثل ما بك بي من شدة الألم  
أما العزاء فشيء زال كالْحُلُم  
كيف السَّبيلُ إلى خمرٍ ولا عاصر!



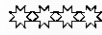
مضى الذي كان في البلوى يُعزينا  
وكان يُحيي - إذا ماتت - أمانينا  
ويسكبُ السَّحر أنعاماً ويسقينا  
مضى نسيبُ النبيِّ المصطفى فينا  
وصار جسماً رميماً في يدِ القابرِ



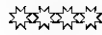
كم جاءنا في الليالي السود بالآلق  
وبالندى من حواشي القفر والعبق  
وبالأغاني وما من صادق لبق  
وانما هو سحر الحبر والورق  
السحر باق ولكن قد مضى السّاحر!



كالشمس يسترّها عند المسا الغسق<sup>(١)</sup>  
ونورها في رحاب الأرض منطلق  
تدوي الورود ويبقى بعدها العبق  
حتى لمن قطفوا منها ومن سرقوا  
كعالم غابر في عالم حاضر



إن كان مات نسيب كالملايين  
من العبيد الموالى والسلاطين  
فالحى في هذه الدنيا الى حين  
لكن نسيب الى كل الأخايين  
وان نأى وسما للعالم الطاهر



لسوف يرجع عطراً في الرياحين  
أو نسمة تنهذى في البساتين  
أو نسمة في ثغور الخرد العيين<sup>(٢)</sup>  
فالموت ما هدا إلا هيكل الطين  
لا تحزنوا، فنسيب غائب حاضر



---

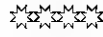
(١) أول ظلمة الليل

(٢) المرأة الحريصة الحساء التي لم تُمسس قط والعيناء، الواسعة العين والعين أرادها للجمع

## ٥٤. ربح الردى

[الرملى]

عصفق ربح الردى بالمشعل  
فخبيا



أيها النائم عينا والعيون  
فى سهر

نحن من بعدك أسرى للشجون  
والكدر

تشتكى أرواحنا ظلم الممنون  
والقدر

للسما. لىل. الفجر الجلى  
للربا



للاقاحى الذابلات الذاوىة  
كالأمانى

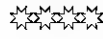
للسواقى النانحات الباكىة  
كالغوانى

سلب الدهر حلاها الغالىة  
فى ثوان

وبشاشات الزمان الأول  
والصبا



يا ربيعاً من وفاءٍ وكرمٍ  
في بدنٍ  
من رأى قبلك دنيا من شيمٍ  
في كفٍ  
خالصت روحك من سجنِ الألمِ  
والشجنِ  
ومضى لبحرٍ ماءً الجدولِ  
طرباً



يا كريم الأصل قد زانك فعلاً  
وصفاتك  
عشت للناس كأن الكُلَّ أهلك  
ولداً  
لهم كل الذي تحوي وتملك  
وحياتك!  
كنت في دنيا الضباب المسدلِ  
كوكباً



عصفت ريح الردى بالمشعلِ  
فخباً  
فإذا كلُّ قُصُورِ الأملِ  
كالهبا





## ٥٥ - الشاعر في حفلات تكريمه

### المأهدون في المهجر

[الكامل]

ألقاها في المدبة الكبرى التي أقامها المجلس المّلي في مونتريال كندا بمناسبة مرور  
٤٠ سنة على تأسيسه.

الأربعون لو أنها تتكلم  
لروت لنا قصص العظامم عنكم  
ولحدثتنا كيف عن أعشاشكم  
طرتم بأجنحة المني اذ طرتم  
يوم الفراق كظمتكم الامكم  
وأخف من ألم الفراق جهنم  
وبكى الأحبة حولكم، وجفونكم  
تعصي البكا، حزن الجبابر أبكم  
أيد تودع موطننا وعشيرة  
ومطامح خلف البحار تسلم  
ضاقت على أحلامهم تلك القرى  
فاخترتم الدنيا الوساع لتحلموا  
وغيرتم الأفاق لا زاد لكم  
إلا الصبا المتوئب المتضرم  
كاليث ليس له سلاح في السرى  
إلا مخالبه التي لا تثلّم  
تتخيلون البحر شوقاً لتعبروا  
وانداح بين الشاطئين لتسلموا  
والدرّ مخبوءاً لكم في قاعه  
كي تخرجوه وتغنموا ما شئتم

والموجُ اذ يطغى ويهدر حولكم  
 جوقاً لطردهم ومكم يترنم  
 واذا النجوم تآلقت تحت الدجى  
 خلتم لأجلكم تضيء الأنجم  
 وحسبتم شم الجبال سلالماً  
 نصبت لكم كي تصعدوا فصعدتم  
 والشمس منجم عسجد<sup>(١)</sup> متكشف  
 لذوي الطموح وأنتم أنتم هم  
 ولكم تالمت الحقائق بالرؤى  
 كالأرض يغشاها السراب الموهم  
 لتطل من أرواحنا أشواقها  
 فنطوف حول خدورها ونحوهم  
 لم تقنعوا كالخاملين بأنكم  
 لكم شراب في الحياة ومطعم  
 لو أن تكون حياتكم كحياتهم  
 غيباً، يموت به الوقار ويعدم  
 وتأقفا في الليل وهو منور  
 وتبرماً في الصبح وهو تبسم  
 لو أن يكون ثرائكم كترائهم:  
 قصر عفا أو هكل مترم<sup>(٢)</sup>  
 وحديث أسلاف قد التحفوا الفنا  
 فهم سواء في القياس وجرهم<sup>(٣)</sup>

(١) العسجد الذهب

(٢) جرى فيه الإصلاح (تردّم ثوبه رقعته وأصلحه)

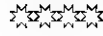
(٣) قبيلة كانت تقطن مكة المكرمة

من يقترب من أمسٍ يبعد عن غدٍ  
 ويعش مع الموتى ويصبح منهم!!  
 وكرهتُم أن تنقضي أيامكم  
 شكوى لمن يرثي ومن لا يرحم  
 أو أن يبيت على الحضيض مقامكم  
 والودود يزحف فوقه والأرقم<sup>١</sup>  
 فنفرتم كالنحل، ما من زهرة  
 فيها جنى، إلا وفيها مغنم  
 في كل شطّ مارد، في كل طود  
 قشع<sup>٢</sup>، في كل وادٍ ضيغم  
 المجد مطالبكم وأنتم سهد  
 والمجد حاكمكم وأنتم نوم  
 لا شيء صعب عندكم حتى الردى  
 الصعب عند نفوسكم أن تحجموا  
 ما بضعة من أمة، هي أمة  
 في ذاتها، ولها طراز معلّم  
 فيكم جميع صفاتها وخلالها  
 والروض يحويه عطوراً قمم  
 إن الألى عابوا الجهاد عليكم  
 علكوا مداركهم ولم يستطعموا!  
 طلبوا السلامة في القعود ففاتهم  
 درك الثراء وبعد ذا لم يسلموا!  
 هؤلاء دود القز أحسن منهم  
 وأجل في نظر الحياة وأفهم

(١) الحية فيها بياض وسواد

(٢) الضيعم الأسد والقشع من أسمائه

قالوا: كهولٌ قد تصرَّم عصرهم  
ليت الشباب من الكهول تعلَّموا  
إن لم تشيدوا كالأوائل تدمِّرا  
أو بعليكَ فإنَّكم لم تهدِّموا  
ولكنَّ غدَّ وجماله وبهاؤه  
ولكنَّ من الأَمْسِ النَّفِيسِ القِيمِ



حدثتُ نفسي والقِطارُ يخبُّ بي  
عجلانٌ يخرقُ الدُّجى ويُدِّمدِم  
فسألْتُها مُستفهِماً. ولربما  
سألَ العلِيمُ سواهَ عَمَّا يَعْلَمُ:  
ما أحسنُ الأيام؟ قالت: يومُكم!  
والناس؟ فابتدرتُ وقالت: أنتمُ  
والدُّور؟ قالت: نورُكم. والمالُ؟  
قالت: إن أحسنه الذي أنفقتمُ  
والحُسْنَ؟ قالت: كلُّ ما أحببتُمُ  
والأرض؟ قالت: أينما استوطنتمُ  
ما كان أكملَ يومُكم وأتمَّهُ  
لولم يكن في مهد عيسى ماتم  
وكذا الحياة قديمُها وحديثُها:  
ذكرى نُسرُّ بها، وذكرى تُؤلم



## ٥٦. قف يا قطار بنا

[الكامل]

ألقاها في المدبة الكبرى التي أقامتها مؤسسة وطنية في مدينة كانتون، أوهايو.

منذُ افترقنا لم أدُقْ وسنا  
لله ما صنع الفراقُ بنا؛  
قُلْ للخليين: الهناء لكم  
الحب قد خلق العذاب لنا  
لم أنس قولتها التي ملأت  
نفسي أسى وجواني شجنا  
ماذا جنينا كي تُفارقنا  
أملأنا وسئمت صحتنا؟  
فأجبتُها بلسان مُعتذر:  
لم تجني أنت ولا ملأت أنا  
لكن رأيت الماء منطاقاً  
رياً، فإن هولم يسيراً أجنا<sup>(١)</sup>  
والسيف إن طال التواء به  
يصداً ويصبح حده خشناً  
والسحب إن وقفت وما هطلت  
لم ترو أودية ولا قننا<sup>(٢)</sup>  
إن الحياة مع الجمود قذى  
ومع الحراك بشاشة وهنا

---

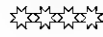
(١) أجن الماء بأجن تغير طعمه ولونه

لا تعذّليني فالقُرى أربي  
 حيث الحياةُ رغائبُ ومُنَى  
 حيث النجومُ تلوحُ سافرةُ  
 لم تلتحفِ سِتْرًا ولا كَفْنَا  
 والفجرُ ملءُ جِيوبِهِ أَرْجُ  
 والطيرُ يملأُ شُلُوبَهَا الوُكُنَا<sup>١</sup>  
 وعلى الرُّبَا الأظلالُ راقصةُ  
 ويدُ النَّسِيمِ تُداعِبُ الغُصْنَا  
 ويحُ المدائنُ إنْ ساكنَها  
 كالميتِ لم يُطمِرْ ولا دُفِنَا  
 كم رُحْتُ استسقي سحائبَها  
 فهُمَّتْ ولكنْ مَحَنَةٌ وضُنَى  
 ولكم سهرتُ فلم أجِدْ قمرًا  
 ولكم شدوتُ فلم أجِدْ أدْنَا  
 لو كان يَأْلَفُ بِلِيلُ غُرْدُ  
 قَفْصًا، أحبُّ الشاعِرِ المَدْنَا  
 كرهِ الورى طولَ المُقامِ بها  
 فاستنَبطوا العجالاتِ والسُفْنَا  
 ولقد ظفرتُ بمركبٍ لَجِبِ  
 فخرجتُ أطوي السهلَ والحَزْنَا<sup>٢</sup>  
 والشوقُ يَدْفَعُهُ ويدْفَعُنِي  
 حتى يُلَغْتَ المنزلَ الحَسْنَا  
 ❦❦❦❦❦

(١) الوكن عش الطائر في حديقة أو جدار (الوكر عش الطائر)

(٢) الحزن ما غلظ من الأرض (الحزونة)

قف يا قطارُ على ربوعهم  
 إن الأحياء يا قطارُ .. هُنا  
 هذي منازلهم تهشُّ لنا  
 أخطأتُ.. بل هذي منازلنا!  
 ما حلَّ منهم موضعاً أحداً  
 الا وصار لكُلُّنا وطننا  
 سوريَّة في كانتٍ نغمُ  
 عذبٌ، ولبنانُ شذاً وسنا  
 إن تنطفئ زُهرُ النجوم ففي  
 هذي الوجوه عن النجوم غنى  
 واذا الحياة طوت محاسنها  
 عني وصار نعيمها مِننا  
 منَّا أنتهم في خاطري فإذا  
 دنياي فيها السرور دنا



يا قومُ هذا اليومُ يومكمُ  
 من ينتهزه ينلُ رضا وثنا  
 فالتنبيسطُ أيديكمُ كرمًا  
 السُّحبُ أنفعُها الذي هتنا  
 أنا لا أرى مثل البخيل فتى  
 يَضوى ويُهزلُ كلُّما سَمنا  
 من لا يشيدُ بماله أثراً  
 أو يستفيدُ بماله مِننا  
 ويعيشُ مثل العنكبوت يعشُ  
 في الناس مذموماً ومُمتنا

فابنوا وشيدوا تكرموا رجلاً  
كم قد سعى من أجلكم وبني  
وطن وأهل لائذون بكم  
أفتخذون الأهل والوطناء؟  
قطنا بنوك اليوم قد نهضوا  
فتمجدي بنيك يا قطنا .

\*\*\*\*



## ٥٧ - «ميامي فلوريدا»

[البسيط]

ألقاها في المدبّة التي أقامها النادي السوري اللبناني الأميركي في ميامي فلوريدا  
تكريماً له.

ما طائرُ كان في بيداءٍ موحشةٍ  
فساقه ذو نحو البساتين  
فبات تُسعدّه فيها بلائها  
حيناً ويسعدّها بعض الأحيين  
مني بأسعد حظاً مُدّ نزلت بكم  
يا معشر السادة الغر الميامين  
فررت من بردِ كانونٍ فقابلني  
في أرضكم بالأقاحي شهرُ كانون  
أنسامٌ أيارٍ تسري في أصانلها  
وفي عشيّاتها أنفاسٌ تشرين  
توزّع السحر شطراً في مغارسها  
واخر في لحاظ الخرد العين<sup>١</sup>  
كلّ الشتاء ربيعٌ في شواطئها  
وكلّ أيامها عيدُ الشعانين<sup>٢</sup>  
لكنّ ميامي وإن جلت مفاتنها  
لولا وجودكم ليست لتغريني  
إني لأشهدُ دنيا من عواطفكم  
أحبّ عندي من دنيا الرياحين

---

(١) العناء الواسعة العين

(٢) عيد عند المسيحيين، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس

وكأما سمعتُ نجاكم أُنْذِي  
ظَنَنْتُ أَنِّي فِي دُنْيَا تَلَاحِينَ  
لَأَنْتُمْ النُّورُ لِي وَالنُّورُ مَنْطَمِسٌ  
وَأَنْتُمْ الْمَاءُ إِذَا لَا مَاءَ يَرَوِينِي  
أَحْبَبْتُكُمْ حُبَّ إِنْسَانٍ لِإِخْوَتِهِ  
إِذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ فَوْقِي وَلَا دُونِي  
إِنْ كَانَ فِيكُمْ قَوِيٌّ لَا يُقَاهِرُنِي  
أَوْ كَانَ فِيكُمْ ضَعِيفٌ لَا يُدَاجِينِي<sup>١</sup>  
قُلْ لِمَرِيٍّ مِثْلِ قَارُونَ بِثَرَوَتِهِ  
إِنِّي أَمْرٌ بِصِحَابِي فَوْقَ قَارُونَ<sup>٢</sup>  
مَنْ يَكْتَسِبُ صَاحِبًا تَبْقَى مَوَدَّتُهُ  
فَهُوَ الْغَنِيُّ بِهِ لَا ذُو الْمَلَائِينَ  
فَاخْتَرْتُ صِحَابَكَ وَانْظُرْ فِي اخْتِيَارِهِمْ  
إِلَى الطُّبَّانِعِ قَبْلَ الْآوَنِ وَالذَّيْنِ  
لَيْسَ الْوِدَادُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى أَبَدٍ  
مِثْلُ الْوِدَادِ الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينٍ  
وَالْمَرْءُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَوَاطِفُهُ  
إِنْ تَنْدَرَسَ، فَهُوَ بَيْتٌ غَيْرُ مُسْكُونٍ  
وَإِنْ عَاطِفُهُ هَذَا مَظَاهِرُهَا  
مِنْ عَالَمِ الرُّوحِ لَا مِنْ عَالَمِ الطُّنِينِ  
لَوْ فَاتَنِي كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ  
وَلَمْ تَقُتْنِي فَإِنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ  
لَوْ الْقَوَافِي تَوَاتَيْنِي شَكَرْتُكُمْ  
كَمَا أُرِيدُ، وَلَكِنْ لَا تَوَاتَيْنِي

(١) المداجاة المدارة

(٢) من وزراء أحد فراعنة مصر يضرب مثلاً في العنى والعزور، وإليه تُنسب البحيرة في الفيوم

لا يمدحُ الوردُ إنسانٌ يقولُ له:  
يا وردُ إنَّكَ نوَّ عطرٍ وتلويين  
فاستنطقوا القلبَ عني فهو يُخبرُكم  
فالحُبُّ والقلبُ مكنونٌ بمكنون  
لولا المحبَّةُ صارَ الكونُ أجمعه  
طوبى الأفاعي وفردوس السُّراحين<sup>١</sup>  
إني سأحفظُ في قلبي جميلكم  
وسوف أذكره في العُسرِ والألِين

\*\*\*\*

---

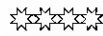
(١) السُّرحان الذئب

## ٥٨ - ضرة جلق

[الكامل]

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في مونتريال.  
لا تَقْلَقِي يومَ النُّوى أو فاقِ لَقِي  
يا نفسُ كلُّ تَجْمَعُ لِتَفَرِّقِ  
اللهُ قَدَّرَ أَنْ تَمْسُ يَدُ الْأَسَى  
أرواحنا كيما ترقُّ وترتقي  
أوفى على الشُّهْبِ الدُّجَى فتَأَلَّقَتْ  
لولا اعتكارُ الليلِ لم تَتَأَلَّقِ  
والفحمُ ليس يُضَيءُ إن لم يضطرمَّ  
والندُّ ليس يضوعُ إن لم يُحرقِ  
لا أضربُ الأمثالَ مدحاً للنُّوى  
ليت الفراقُ ويومه لم يُحَلِّقِ  
ما في الوداعِ سوى تلَعَثُ السِّنِ  
وذهولِ أرواحٍ وهمٌ مُطَبِّقِ  
~~~~~  
عَنَّفْتُ قَلْبِي حينَ طَالَ حُفُوقُهُ  
فأجاب: بل لُْمَنِي إذا لم أخْفِقِ  
أنا طائرٌ قد كان يمرحُ في الرُّبَا  
وعلى ضفافِ الجدولِ المترقِّقِ  
فطوى القضاءَ مَروِجَهُ وفُضَاءَهُ  
ليُزَجَّ في قَفْصِ الحَديدِ الضَّيِّقِ

لا، بل أنا ملكٌ صَحَوْتُ فلم أَجِدْ  
عرشي ولا تاجي ولا استَبْرِقي<sup>١</sup>  
هانتُ مُعَاذِيرِي وضاعتُ حُكْمَتِي  
لما سمعتُ حكايةَ القلبِ الشَّقِي  
لو تعدلُ الدنيا بنا لم يَنْتَثِرْ  
شَمْلُ نَظْمِنَاهُ، ولم نَتَفَرَّقْ



للهِ مونتريالُكم ذاتُ الحُلِي  
ومدينةُ الطُّودِ الأشمِ الأَبْلَقِ  
كم وقفةٌ لي عند شاطئِ نهرها  
لا أستقي منه، وروحي تستقي  
مُتَعَلِّماً منه التَّواضعَ والنُّدى  
والصفحَ عن عبثِ الجهولِ الأحمقِ  
أعطى الحقولَ حياتها ومضى كأنَّ  
لم يُعْطِها شيئاً ولم يتصدقْ  
من كان لا يدري فيقْطُعه زرعها  
من فضلِ هذا الهاجعِ المستغرقِ  
ضَيَّعتُ عند الواعظينِ سعادتي  
ووجدتُها في واعظٍ لم يَنْطُقْ  
ملءُ المدائنِ والقُرى الأوهَّ  
وهباته، ويعيشُ عيشُ المُمْلِقِ  
لولاهُ لم يخضرُ قاعُ مُجَدِّبٍ  
لولاكم شجرُ المُنَى لم يُورِقْ

---

(١) الإستبرقُ الديباجُ (مغرب)

عرضت محاسنها الحياة عليكم  
فأخذتم بأحبها والأليق  
أنا منكم في روضة معطارة  
من مَونق فيها اللُحاظ لمَونق  
العطر يعبق من جميع ورودها  
ما إن مررتُ بزهرة لم تعبق  
❖❖❖❖

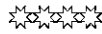
لله مونتريالكم وجلالها  
هي رومة الصغرى وضرة جلق  
رقت علي نجومها وتواضعت  
حتى لكدت أحسها في مفرقي  
فكانما هي أنتم وكانما  
أرواحكم من نورها المتدفق  
رجع الشباب إلي حين هبطتها  
واليوم أخرج من شبابي الريق  
ساطر عنها في غد بحشاشة  
مكأومة وبناظر مغرورق  
ويغيب عني طودها وقبابها  
وقصورها خلف الفضاء الأزرق  
وتظل صورتها تلوح بخاطري  
بعض الرؤى سلوى وإن لم تصدق

\*\*\*\*

## ٥٩ - الشباب أبو المعجزات

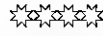
[المتقارب]

سلامٌ عليكم رجال الوفاء  
وَألف سلامٌ على الوافيات  
ويا فرح القلب بالناشئين  
ففي هؤلاء جمال الحياة  
هم الزهور في الأرض إذ لا زهور  
وشهب إذ الشهب مستخفيات  
إذا أنا أكبرت شأن الشباب  
فإن الشباب أبو المعجزات  
حصون البلاد وأسوارها  
إذا نام حُرَّاسُها والحِماة  
غدُّ لهم وغدُّ فيهم  
فيا أمسٍ فآخر بما هوات  
ويا حبُّذا الأمهات اللواتي  
يلدن النوايح والنابغات  
فكم خلدت أمَّهٌ بيراغ  
وكم نشأت أمَّهٌ في نواة



أنا شعاعٌ أبداً تائقُ  
إلى الحُسن في الناس والكَائنات  
أحبُّ الزهور وأهوى الطيور  
وأعشق ثرثرة السَّاقيات

ورقصر الأشعة فوق الروابي  
وضحك الجداول والفقهقات  
تطالع عيناي في ذا المكان  
روائع فاتنة ساحرات  
كان الفضاء وفيه الطيور  
بحور بها سفن سابحات  
كان الزهور ترقرق فيها  
سقيط الندى أعين باكيات  
ومن بلبل ساجع لمغن  
من زهرة غضة لفتاة



فما أجمل الصيف في الخلوات  
وأروع أياته البيئات  
نضا السّتر عن حسنات الوجود  
وكانت كآسراره المضمّرات  
وأحيا رغائبنا الذابلات  
فعاشت وكانت كأرض موات  
ففي الأرض سحر، وفي الجو عطر  
فيا كريم ويا لهيبات  
أمامكم العيش حرّ رغيد  
الافاغّموا العيش قبل الفوات





## المحتوى

### الديوان الخامس (تبروتراپ)

٨٤٩	١ - وطن النجوم
٨٥١	٢ - تحية الشام
٨٥٦	٣ - الشاعر والكأس
٨٥٩	٤ - موكب التراب
٨٦٢	٥ - أين عصر الصبا
٨٦٤	٦ - الصيف
٨٦٦	٧ - الغد لنا
٨٦٨	٨ - قنبلة الفناء
٨٦٩	٩ - تلك السنون
٨٧٤	١٠ - امتنان
٨٧٩	١١ - اسألوها
٨٨٠	١٢ - أم القرى
٨٨٣	١٣ - من انتهى الخمر فليزرع دواليها
٨٨٥	١٤ - ستعود دنيانا أحب وأجملًا
٨٨٧	١٥ - رؤيا
٨٨٩	١٦ - رؤيا ثانية
٨٩١	١٧ - أيلول الشاعر
٨٩٣	١٨ - يا رفاقي
٨٩٦	١٩ - لوس انجيلوس
٩٠٠	٢٠ - عصر الشبيبة

٩٠٤	٢١ - عطش الأرواح
٩٠٧	٢٢ - بلادي
٩١٠	٢٣ - روعة العيد
٩١٢	٢٤ - يا أنشودتي انطلقِي
٩١٤	٢٥ - في قلبك الله
٩١٦	٢٦ - الرأي الصواب
٩١٨	٢٧ - ليس السر في السنوات
٩١٩	٢٨ - إليك عني
٩٢١	٢٩ - دودة وبلبل
٩٢٢	٣٠ - هدية العيد
٩٢٣	٣١ - إن الحياة قصيدة
٩٢٤	٣٢ - ليالي بوسطن
٩٢٦	٣٣ - صوت من سورية
٩٢٩	٣٤ - حكمة المتنبّي
٩٣٠	٣٥ - أنفاس العشاق
٩٣١	٣٦ - روحي فداك
٩٣٢	٣٧ - لو
٩٣٤	٣٨ - مقتلان
٩٣٤	٣٩ - فردوسي
٩٣٥	٤٠ - ثقيل
٩٣٦	٤١ - وداع
٩٣٨	٤٢ - تحية الشاعر (في يوبيل شكيب أرسلان)
٩٤٠	٤٣ - أخو الورقاء

٩٤٣	٤٤ - شاعر الدير
٩٤٥	٤٥ - لا يدرك الهرم النجوم
٩٤٧	٤٦ - بنت القفر
٩٥١	٤٧ - تلك المنازل
٩٥٤	٤٨ - دمة الشاعر (إلى روح الشاعر خليل مطران)
٩٥٦	٤٩ - ما زال في الأرض حياً
٩٥٩	٥٠ - يا قائد القوم
٩٦٢	٥١ - ليتهم عرفوه
٩٦٦	٥٢ - سكت الشّادي وُبحّ الوتر
٩٧٠	٥٣ - لم يهدم الموت إلا هيكل الطين
٩٧٢	٥٤ - ربح الردى
٩٧٤	٥٥ - الشاعر في حفلات تكريمه (المأهدون في المهجر)
٩٧٨	٥٦ - قف يا قطار بنا
٩٨٢	٥٧ - ميامي فلوريدا
٩٨٥	٥٨ - ضرة جلق
٩٨٨	٥٩ - الشباب أبو المعجزات
٩٩٠	المحتوى

\*\*\*\*\*

## ( ما لم تجمعه الدواوين )

جمعه الدكتور جورج ديمتري سليم من الصحف والمجلات العربية والمهجّرية، التي نشر فيها، في كتاب سماه إيليا أبو ماضي ١٨٨٩ - ١٩٥٧ ، دراسات عنه، وأشعاره المجهولة - ووثّقها بالرجوع إلى مصادرها، فسَمّاها وحدّد تواريخها وأعداد أبياتها.

**الطبعة الأولى ( دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ ).**

تضم المجموعة خمسة وستين نصّاً شعريّاً، بين طويل ومعتدل وقصير. وهي سعة ديوان كامل من دواوين الشاعر، أو تزيد على بعضها، وتكوّن ما يزيد على خمس مجموع شعره في الدواوين الخمسة، وتُكمّله، في تغطية المناسبات والأحداث والمواقف، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأمريكا .

\*\*\*\*



## ١ - إلى بطل الوطنية

الشيخ عبد العزيز جاويش<sup>١</sup>

[الوافر]

لئن حَبَّبُوكَ عَنْ مَقْلِ الْبَرَايَا  
فَمَا حَجَبُوا هَوَاكَ عَنِ الصُّدُورِ  
وَأَنْ تَكُ قَدْ حُبِّسْتَ وَأَنْتَ حُرٌّ  
فَكَمْ فِي الْحَبْسِ مِنْ أَسَدٍ هَصُورِ  
كَبِيرِ الْقَوْمِ أَكْبَرُهُمْ خَطُوبَا  
لِذَاكَ رُمِيتَ بِالْخَطْبِ الْكَبِيرِ  
لَقَدْ أَعْلَيْتَ قَدْرَ السَّجْنِ حَتَّى  
أَحَبَّ السَّجْنَ سَكَانُ الْقُصُورِ  
وَلَا عَجَبٌ إِذَا أُسْكَنْتَ فِيهِ  
فَكَمْ فِي اللَّيْلِ مِنْ قَمَرٍ مُنِيرِ  
تَعَدَّدَتِ الطَّيُورُ فَلَا حَبِيسُ  
سِوَى الْغُرْدِ الْجَمِيلِ مِنَ الطَّيُورِ  
يَقُولُ الشَّامِتُونَ: السَّجْنُ يُزْرِي  
لِئِنْ صَدَقُوا فَبِالْجَانِي الْكَفُورِ  
وَمَا فِي صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ عَيْبُ  
عَلَى الدَّاعِي إِلَى تَرْكِ الشُّرُورِ

---

(١) رأس تحرير جريدة (اللواء) لسان حال الحزب الوطني الذي أنشأه زعيمه مصطفى كامل (ت ١٩٠٨) قبضت عليه سلطات الاحتلال الإنجليزي أكثر من مرة وأودع السجن لأسباب متعددة تتعلق بمواقفه الوطنية ومقالاته في

فصبراً، يا نزيل السَّجَنِ، صبراً  
فما عرَفَ الهَنَاءَ سِوَى صَبْرِ  
وحسَبُكَ عطفُ هذا الشعبِ فخرًا  
وحسَبُ عِدَاكَ توبيخُ الضُّميرِ

\*\*\*\*

## ٢ - مصر والاحتلال

[الرمل]

خَلَّنِي أَسْتَصْرِخُ الْقَوْمَ النَّيَامَا  
أَنَا لَا أَرْضِي لـ مَصْرِ أَنْ تُضَامَا  
لَا تَلُمَّ فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ فَتِي  
هَاجَهُ الْعَابِثُ بِالْحَقِّ فَلَامَا  
أَوْ فَلُمَّنِي إِنْ قَلْبِي كَلَّمَا  
زِدْتَ فِي تَعْنِيْفِهِ زَادَ هُيَامَا  
سَوْفَ أَشْكُو الْهَمَّ إِنْ أَحْرَجَنِي  
رُبَّمَا خَفَّفْتَ الشَّكْوَى السُّقَامَا<sup>١</sup>  
وَقَفَّةً فِي شَاطِئِ النَّيْلِ مَعِي  
نُقْرِئُ النَّيْلَ التَّحَايَا وَالسَّلَامَا  
وَأُنَاجِيهِ أَمَّانِي أُمَّةً  
مَنْعُوهَا مَاءَهُ إِلَّا لِمَامَا  
عَلَّاهُ يَبْعَثُ مِنْ أَسْرَارِهِ  
قُوَّةً تَبْعَثُ فِي الشَّعْبِ اعْتِزَامَا<sup>٢</sup>  
قَسَمًا بِ النَّيْلِ لَوْ أَنْ بِهِ  
مَا بِنَفْسِي مِنْ جَوْي<sup>٣</sup> سَالِ ضِرَامَا  
لَسْتُ أَنْسَى لَيْلَةً بَتُّ بِهَا  
وَالْأَسَى يَدْفَعُ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَا

---

(١) المرض

(٢) العزيمة

(٣) الجوى الحرقنة وشدة الوجد من الحزن أو غيره



أَرْقَبُ الْأَقْمارِ فِي أَفلاكِها  
مِثْلَما يَرْقَبُ راعِيها السَّوامُ<sup>(١)</sup>  
لَمْ يُورِّقْنِي اشْتِياقُ أَوْ هوى  
ما الهوى بُغْيَةً مِنْ بِالْجَدِّ هاما  
راعٍ نَفْسِي أَنْ مَصْرًا رُوِّعَتْ،  
بَأَبِي مَصْرٍ وَمِنْ فِيها أَقاما!  
حَسَبُ مَصْرٍ أَنَّها الْأَرْضُ الَّتِي  
إِمْنَ اللَّهُ بِها الْبَيْتَ الْحَراما  
وَبَنِيها أَنْهُمْ نَسْلُ الْأَلَى  
عَرَكُوا الدَّهْرَ فِتْيًّا وَغَلاما  
كُرِّمَتْ مَصْرٌ وَأَهْلُها فَمَا  
نَقَضَتْ عَهْداً وَلَا خَانُوا ذِمَّاما  
كَانَ لِلْأَحْرارِ فِيها مَوْتٌ  
يَعَصِمُ الْحُرُّ فَلَا يَخْشَى اهْتِضاماً  
ثُمَّ هَاضَ الدَّهْرُ مِنْ جَانِبِها  
إِنَّمَا يَهْتَضِمُ<sup>(٢)</sup> الدَّهْرُ الْكَراما  
أَرْبَى مَصْرٌ عَلَى رَغْمِ الْعِدا  
لَسْتُ أَعْنِي بِالْعِدا إِلَّا الطُّغامِ<sup>(٣)</sup>  
لَسْتُ مَصْرِيًّا وَلَكِنْ نَسَبُهُ  
بَيْنَنا تَجْمَعُ مَصْرًا وَ الشَّما  
أُمَّةٌ تَرْتَقِبُ اسْتِقْلالَها  
مِثْلَما يَرْتَقِبُ الصَّادِي<sup>(٤)</sup> الْغَمامِ

(١) سامت الماشية رعت، فهي السائمة والسَّوام

(٢) هاضه كسره وهضمه حقه واهتضمه، فهو مهتضم (مظلوم)

(٣) العوغاء وأردياء الناس

(٤) العطشان (صدي بصدى)

ما لهم يسعون في ايدائها؟  
 ما رمت سهماً ولا سلّت حساماً  
 زعموا اصلاحها وهي التي  
 ما شكت غيرهم داءً عقاماً<sup>١</sup>  
 حبسوا النيل على نفعهم  
 وأعاضوها<sup>٢</sup> من الريّ الأواما<sup>٣</sup>  
 فإذا ما صرخت تشكو الصدى  
 جعلوا القانون في فيها لجاماً  
 أنكروا خطوتها نحو العلا  
 ربّ ذي لبّ عن الحقّ تعمّامى  
 ورموها بالتّواني، ويحهم  
 أخمولٌ أنها تهوى السّلاماً؟  
 قد خلتّ تسعة أعوام على  
 شقوة النيل ، سوى عشرين عاماً  
 وانقضّى العمر ولماً تنجلوا  
 فإلام أيها القوم، إلا ما؟  
 ❖❖❖❖❖❖  
 كَبَلُوا أَقْلَامَنَا جُهدكم  
 وامنعوا الألسُن والصُّحُف الكلاما  
 وإذا عزّ عليكم أننّا  
 في وئام، فانشروا فينا الخصاماً  
 وإذا عزّ عليكم أننّا  
 في حياة، فابعثوا فينا الحماماً

(١) لا شفاء منه (العقيم)

(٢) أعطوها العوض (عاضه وأعاضه)

(٣) حر العطش (أم يؤوم)

يَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ مِنْ أَجْسَادِهَا،  
أَوْ فَكُونُوا أَنْتُمْ الْمَوْتَ الزُّوَامَا  
إِنَّمَا يَنْقَلِبُ الْأَمْرُ إِلَى  
ضِدِّهِ إِنْ جَاوَزَ الْأَمْرُ التَّمَامَا

\*\*\*\*

### ٣ - روزفلت ' ومصر

[الوافر]

خطيب الأمر ما أنصفت مصرأ  
ولا أنصفت ماضيك القريبأ  
ولكن كنت للباغي علينا  
أقومي! إن للباغي ضريبأ  
لعمرك ما حلت بنا صديقأ  
ولكن كنت طوافاً مريبأ  
أطعت بنا الوحشة، وما عهدنا  
- وحقك - وأشيأ إلا كنوبأ  
كأنني ب العميد<sup>٢</sup> إليك أوحى  
بما أوحى، فقامت بنا خطيبأ  
تحاول أن تُحببهم إلينا  
متى ألفيتنا نهوى الخطوبأ؟  
وتأمل أن نبيت على قُنوط  
كان اليأس ما قتل الشعوبأ  
أيأ ضيف الكنانة! جرت فاقصد<sup>٣</sup>  
فما شعب الكنانة دون كوبأ  
أترجو أن تكون لنا نصيرأ  
وترجو لو تكون لهم حبيبأ؟  
لقد خدعتك، يا روزفلت منهم  
زخارف تُخدع الفطن الأريبأ

\*\*\*\*

---

(١) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وقتها (١٩١٠) خطب في الجامعة المصرية خطبة لم ترض عنها مصر  
(٢) عميد السلطة الإنجليزية المحتلة (غورست) والشاعر يأتي على ذكره أكثر من مرة

## ٤ - عيد الحرية العثماني<sup>١</sup>

[البسيط]

هذا مجالٌ، فهل في الحيِّ قوَالُ؟  
إني، على العَجَزِ، في المِضمارِ جَوَالُ  
ما أجمل القول والأذانُ صاغِيَةٌ  
والصُّمْتُ، حيثُ على الأسماعِ إقفالُ!  
حَسْبِي وحسبُكَ أن الشُّمْلُ مُلتَمُّ  
والصفودانِ ولأَيامِ إقبالِ  
وحسبُ شِعْرِكَ هذا العيدُ، من سببِ  
إذا نَبَتْ بِكَ أسبابُ وأوصالِ  
لم يبقَ في الشَّرْقِ من قُطْرٍ ولا بلدِ  
الا وفيه احتفالاتٌ وحُفَّالُ<sup>٢</sup>  
فانشِرْ قوافيكِ في الأفاقِ، فهي على الـ  
أكبادِ ماءٌ وفي الأنواقِ جِرِيالُ<sup>٣</sup>  
إني أراك مُطاعاً في شواردها  
ما أنت ممَّن على الأشعارِ يحتالِ  
إن القوافي إذا أحكمت عُقْدَتَهَا  
فما يعيبُكَ إكثارُ وإقلالِ  
وإنَّ أجَدْتَ فلا تعباً بذِي سَفْهِ  
فحيثُما كان مجدٌ كان عُدَّالِ

(١) بمناسبة مرور سنة على إعلان هذا الدستور (١٩١٠)

(٢) حفل القوم اجتمعوا واحتشدوا، فهم حافلون وحُفَّال

(٣) جريال الحمرة

فَفَهِم صَمْتُكَ، لَا وَاشٍ وَلَا رَصْدُ  
يُخْشَى، وَلَا ظَالِمٌ لِلْحُرِّ يَغْتَالُ؟<sup>(١)</sup>  
إِنْ كُنْتَ تَبْخُلُ بِالْأَقْوَالِ تَمْلِكُهَا  
فَكَيْفَ جُودُكَ بِالدُّنْيَا وَلَا مَالُ؟  
❖❖❖❖❖

طَالَ السُّكُوتُ، وَمَا لِي فِيهِ مِنْ أَرْبٍ  
وَأِنَّمَا بِي لِهَذَا الْعِيدِ أَجْلَالُ  
عِيدٌ إِذَا عُدَّ فِي الْأَعْيَادِ زِينُهَا  
كَالشَّمْسِ فِي الشُّهُبِ، هَلْ لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ؟  
عِيدُ رَاهِ نَوَى الْحَاجَاتِ، فَابْتَاسُمُوا  
شَوْقًا، وَكَمْ لِنَوَى الْحَاجَاتِ أَمَالُ  
تَفَاعَلُوا أَنْ تَمُوزَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ  
عِيدًا كَغَيْرِهِمْ، قَدْ يَصْدُقُ الْفَالُ  
تَمُوزِ أَنْتِ مَنْيْلُ الشُّرْقِ بَغْيَتُهُ  
فِي حِينَ أَسْمَحُ<sup>(٢)</sup> قَوْمٌ فِيهِ بُخَالُ  
بِتَنَا نَوْدُ شُهُورِ الْعَامِ أَجْمَعِهَا  
تَمُوزِ، أَوْ أَنْ يَوْمَ الْعِيدِ أَجْيَالُ!  
❖❖❖❖❖

بَادَ الزَّمَانُ الَّذِي تُخْشَى غَوَائِلُهُ  
فَيْنَا، وَبَدَّلَتْ الْأَحْوَالُ أَحْوَالُ  
وَبَاتَ طَاغِيَةُ الْأَمْلَاقِ مَعْتَقِلًا  
لَهُ مِنَ الْهَمِّ أَصْفَادُ وَأَغْلَالُ  
لَمْ أَنْسَهُ، وَهَوْفِي يَلْدِيزُ مَمْتَنَعُ  
خَوْفِ الْمَنِيَةِ، إِنْ الْخَوْفُ قَتَالُ

---

(١) الرُّصْدُ الرَّاصِدُونَ (يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ وَالْمُؤَنَّثُ)

(٢) سَمَحَ وَأَسْمَحَ جَادَ وَأَعْطَى عَنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ

والشعبُ قد جاش كالبركانِ من غضبٍ  
أو الغضبِ نَفَرِ بَانتَ عنه أشبال  
والجيشُ مندفعٌ كالسيلِ من حنقٍ  
والبيضُ مشرعةٌ والرمحُ عَسَّالٌ<sup>١</sup>  
وللقذائفِ حولِ القصرِ فرقةٌ  
يكاد يحدثُ منها فيه زلزال  
وللبنادقِ أصواتٌ إذا طرقتُ  
أذنيه، أيقن أن الشعبَ فعَّال  
لما رأى الموتَ أمسى منه مُقترباً  
بكى بكاءً صغيرٍ ما له ال  
أمسكْ عليك دموعاً غيرَ مُجديةٍ  
دمعُ المُضَيِّعِ دمعُ الشعبِ اذلال  
نقضتْ عهدك لما صيرت مؤتمناً  
لو عاهد الذنبُ أوفى وهو ختال  
قَمَّ فانزع التَّاج طوعاً قبل تنزعه<sup>٢</sup>  
عنك العوالي، فقد ضاقت بنا الحال  
ودعْ سريرَ بني عثمانٍ عن كُثْبِ  
ما أنتَ أهلٌ له، للمُلكِ أَقْيَالٌ<sup>٣</sup>  
المُلكُ لاقَ به من كِ الرِشادِ حجاً  
هيهاتَ ما لـ رِشادِ المُلكِ أمثال  
به المنازلُ أضحتْ وهي عامرةٌ  
وكننتَ فيها وكانت وهي أطلال



(١) عسل الرمح اهتز

(٢) على تقدير أن تنزعه

(٣) القيل في الأصل الملك من ملوك حمير، وجمعه أقيال

دار السلام ! سَقَّتْكَ السُّحْبُ هَامِيَةً  
ما دام للسُّحْبُ في الأكوانِ تَجَوَّالٌ  
إني أرى فيكَ بغداداً وأُبَصِّرُ في  
بُرْدِ الرشيدِ رشادَ الملكِ يَخْتَالُ  
يَعُدُّني القومُ من نُزَّالِ مصرَ ولي  
قلبٌ على البُعدِ ممن فيكَ نَزَّالُ  
إمّا ثنَّتْ بِصِري عنكَ الجبالُ فما  
كانت لِتَحْجُبَ سَمْعِي عنكَ أَجْبالُ  
يا دُرَّةَ الشَّرْقِ، دَمَتِ الدَّهْرُ حَالِيَةً<sup>(١)</sup>  
فالشَّرْقُ لَوْلَاكَ أَمْسَى وهو مِعْطَالُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الحالي ذو الحلية (حلي بحلي)  
(٢) العطل فقدان الحلي، والمرأة عاطل ومعطال



## ٥ - نفثة مصدور

[الوافر]

سوى لبنان يمقُّته فؤادي  
وغير بنييه أمنعهم ودادي  
بلاد الله واسعه ولكن  
تضيّق لديّ إن ضاقت بلادي  
بلاد قد طبعّت على هواها  
كما طبع الزمان على عنادي  
فما أنفك أطمح للمعالي  
ولا ينفك يبخّل بالمُراد  
يصوب كل حين كلّ سهم  
إليّ فلا يصيب سوى فؤادي  
لقد كثرت خطوب الدهر عندي  
ولم تبرح لديّ على ازدياد  
لعمرك أبك لو كانت نُضاراً<sup>١</sup>  
أمِنْتُ عليه من داء النّفاد  
نحلت من الهموم، فلو تراني  
لما ميّزت طيفي من سواي<sup>٢</sup>  
ولا أدري وقد طال اغترابي  
لن أشكو وقد طال انفرادي

---

(١) الذهب الحالص

فالولا يشمتُ الأعداءُ مني  
 جرى دمعي فأزرى بالسُّهاد  
 أضينُ به ولي قـلـابُ كـرـيمُ  
 جوادُ لا يـضـن بمسـتـفـاد  
 شعوبُ لا تُعدُّ، ولا كـقـومـي  
 تساوى باعـتـقـادهم اعتـقـادي  
 أحـنُّ إلى لقائهم وأصـبـو  
 كما حنـت إلى المـاء الصـوادي<sup>١</sup>  
 يكادُ الشوقُ ينقلُنـي إليهم  
 لو أن الشوقَ ينقل غير باد  
 ترى، هل عندهم أني ودهري  
 لأجلهم أبـيتُ على جهاد؟  
 ففي أرقٍ إذا غفـلوا ونـاموا  
 وفي خوفٍ ولو أمـنوا العـوادي  
 كرامٌ في زمانٍ ليس فيه  
 كريمٌ الكفـ في الكـرب الشـداد  
 يزيـنون النـجاد إذا احتـبـوه  
 ويزدانُ العـوالمُ<sup>٢</sup> بالنـجاد  
 شـموسٌ يـسـتـضـاءُ بهم، غـيـوثُ  
 إذا سـئـلوا، ليـوثُ في الطـراد  
 ولكن ساءتِ الأحكامُ فيهم  
 فساؤوا سـمـعةً في كلِّ ناد  
 تـمادوا في التـساهل مع أناسٍ  
 تـمادوا في النـقائص والفساد

---

(١) الصادية العطشى، وجمعه الصوادي (صدي بصدى)

فَرَاغَ الظُّلْمُ حَتَّى بَاتَ سَهْلًا  
 وَإِنَّ الظُّلْمَ أَجْدَرُ بِالْكَسَادِ  
 وَبَاتَ الْعَدْلُ مُضْطَهَدًا لَدَيْهِمْ  
 وَهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ الْإِضْطِهَادِ  
 فَيَا لَهْفِي عَلَى لَبْنَانَ يُمَسِّي  
 وَأَهْلُؤَهُ عَلَى وَشْنِ الْحِدَادِ  
 عَلِيلٌ يَسْتَغِيثُ وَلَا طَبِيبٌ  
 وَمَأْسُورٌ وَلَيْسَ هُنَاكَ فَادٍ  
 يَسُومُ السَّائِكِينَ الْخَسْفَ غِرًّا  
 غَوِيٌّ ضَلَّ عَنْ نَهْجِ الرُّشَادِ  
 وَأَحْزَابٌ كَمَا أُدْرِي وَتُدْرِي  
 تُنَادِي بِالْوِفَاقِ وَلَا تَنَادِي  
 رَأَوْا فِي الشَّعْبِ رَاحِلَةً ذُلُولًا  
 عَلَى وَهْنٍ فَكَانُوا كَالْقُرَادِ<sup>(١)</sup>  
 وَفِي لَبْنَانَ مُرْتَبِعًا خَصِيبًا  
 عَلَى ضَعْفٍ فَكَانُوا كَالْجَرَادِ  
 فَمَا تَرَكُوا لَنَا مَجْدًا طَرِيفًا  
 وَلَا أَبْقَوْا عَلَى مَجْدِ تِلَادِ<sup>(٢)</sup>  
 سِتَاتِيهِمْ شَوَارِدُ مَقَاتٍ  
 تَقِيمُ الْهَاجِعِينَ عَنِ الْوَسَادِ  
 أَشَدُّ عَلَى النَفُوسِ مِنَ الْمَنَايَا  
 وَمِنْ وَقَعِ السَّيُوفِ عَلَى الْهُوَادِي<sup>(٣)</sup>

(١) القُرَاد بويبة تعض الإبل

(٢) القديم الأصلي، ضد الطارف

(٣) الهوادي أوائل الحيل

يَحْبِرْهَا فَتَى فِي الشَّعْرِ فَدْ  
حَبِيبٌ دُونَهُ وَأَبُو دُوَادٍ<sup>١</sup>  
يَغْرُهُمْ سَكُوتُ الشَّعْبِ حِينًا  
وَلَا يَدْرُونَ مَا تَحْتَ الرُّمَادِ  
وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ الشَّعْبَ سَيْلٌ  
إِذَا مَا أَنْصَبَ أَفْعَمَ كُلُّ وَادٍ  
وَبِحَرِّ لَيْسَ يَسْلَمُ رَاكِبُهُ  
فَإِنَّ الْبَحْرَ صَعْبُ الْإِنْقِيَادِ  
فَإِنْ يَرْقُدْ فَإِنَّ لِكُلِّ جَفْنٍ  
وَلَا نُكْرُ، نَصِيبًا فِي الرُّقَادِ  
لَنَا دَيْنٌ عَلَيْهِمْ غَيْرُ نَذْرٍ  
وَإِنَّ الدِّينَ أَحْرَى بِالسُّدَادِ  
فَإِنْ دَامَتْ عِمَايَتُهُمْ وَدَامُوا  
وَدَامَ الظُّلْمُ يَجْرِي فِي الْعِبَادِ<sup>٢</sup>  
فَأَنْذَرَهُمْ بِيَوْمٍ مُسْتَطِيرٍ  
يَطِيرُ لَهُوْلُهُ قَلْبُ الْجَمَادِ  
تَنْوِبُهُ عَنِ الْقَلَمِ الْعَوَالِي  
وَأَنْهَارُ الدَّمَاءِ عَنِ الْمِدَادِ<sup>٣</sup>

\*\*\*\*

---

(١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (الشاعر العباسي) وأبو دُوَادٍ الإيادي (الشاعر الجاهلي)  
(٢) عِمَايَتُهُمُ العَوَايَةُ واللَّجَاجُ فِي الْبَاطِلِ

## ٦ - نجوى لبناني<sup>١</sup>

[الكامل]

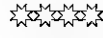
لا الغيدُ تُصَبِّيني<sup>٢</sup> ولا الأقداحُ  
مهما تغالي فيهما المَداحُ  
إني امرؤُ كلفُ بِإِدراكِ العُلا  
دأبي الجهادُ وغايتي الإصلاح  
أهوى بلادي دانيأً أو نانيأً  
أُعَلِّي في حبِّ البلادِ جُنَّاحُ؟  
لبنانُ، لستُ أبي، ولستُ فتاك، إنَّ  
صرفتُ فؤادي عن هواك رداحُ<sup>٣</sup>  
زعم العواذلُ أنَّ سلوَتُك، ويحهم  
غيرُ السلوَلِمن أحبَّ يَتاحُ؟  
ما إن هجرتُك عن قلبي لكنما  
قلبُ إلى نيلِ العُلا طَمَّاحُ  
لبنانُ حسبي أنني لك أنتمي  
وكفأك أني البلبِلُ الصِّداحُ  
أشدو بذكرك ما بقيتُ، ومِرْقَمي  
تجري به فوق الطُّروسِ الرَّاحُ  
قالوا: سكتَ فقلت: ليس بضائري  
بعضُ السكوتِ كأنه إفصاحُ

(١) أول قصيدة تنشرها له (مرأة العرب) بعد نزوله سنسنتاتي

(٢) صبا مال إلى الجهل وأصباه أماله

(٣) امرأة رداح تامة الحلق

فلربما صمتت شفاه ذوي الهوى  
عمداً، لكي تتخاطب الأرواحُ



شيخ الرواسي<sup>١</sup> ! ما لأهلك أصبحوا  
لا الحزنُ يجمعُهُم ولا الأفراح  
كالغصن يسكن كلما سكن الصُّبَا  
ويميل أنى مالت الأرياح  
عبثت بهم أهواؤهم فتفرقوا  
شيعةً، وليس مع الخلاف نجاح  
لا يملكون مع الزمان قيادهم  
كالْفُك تجري ما لها ملاح  
لله أنت إذ الزمانُ مُسالمٌ  
وبنوك كوكب سعادهم وضاح  
أيام كان عليك من صنع العُلا  
حُلٌّ، ومن نسج الفخار وشاح  
بالأمس يرهبك الزمانُ وصرفه  
واليوم بات حِمَاك وهو مُباح  
لم يبق شيءُ فيك لم تعلق به الـ  
أكدارُ، إلا الماء فهو قراح<sup>٢</sup>  
أضحى صباحاً ليلٌ مصرَّب يوسف  
فعلام ليس ليلنا إصباح<sup>٣</sup>؟  
سعدت به وبعهدِهِ، في أرضنا  
يشقى الأميرُ ويُرهِقُ الفلاح

---

(١) الجبال

(٢) الماء القراح الزلال الصافي

(٣) يقصد النبي يوسف بن يعقوب (عليه السلام)

وتَنالُ كَفُّ الظُّلَمِ كُلِّ أَخِي نُهْيُ  
 حُرٌّ، وَيُخْفَى الْحَقُّ وَهُوَ صُورُ  
 فَكَأَنَ بَيْتَ الدِّينِ أَصْبَحَ يَلْدُزاً  
 وَكَأَنَّمَا هُوَ ذَلِكَ السَّفَّاحُ<sup>١</sup>  
 نَرْجُو الصَّلَاحَ مِنَ الْفَسَادِ جِهَالَةً  
 هِيَهَاتَ، لَيْسَ مَعَ الْفَسَادِ صَلَاحُ  
 ❖❖❖❖❖  
 أَبْنَاءُ ذَا الْجِيلِ الْأَشْمُ! تَحْيَةُ  
 تَزْكُو وَيَزْكُو نَشْرُهَا الْفِيَّاحُ<sup>٢</sup>  
 حَتَّامَ أَنْتُمْ مَغْمُضُونَ عَلَى الْقَذَى  
 لَا تَنْهَضُونَ، كَأَنْكُمْ أَشْبَاحُ؟  
 أَجْهَلْتُمْ أَنَّ الْبَقَاءَ تَنَازَعُ؟  
 أَنْسَيْتُمْ أَنَّ الْحَيَاةَ كَفَّاحُ؟  
 فَمَتَى أَرَاكُمْ طَارِحِينَ خُمُولَكُمْ  
 وَلَكُمْ غَدُوءَ الْعُلَا وَرَوَاحُ؟  
 بِالْعِلْمِ فَاعْتَصِمُوا فَلَمْ أَرِ سُبَّةً  
 كَالْجَهْلِ، فَهُوَ لِأَهْلِهِ فَضَّاحُ  
 فَالْعِلْمُ فِي الرَّجُلِ الْقَوِي فَضِيلَةٌ  
 وَالْعِلْمُ فِي الرَّجُلِ الضَّعِيفِ سِلَاحُ  
 هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْغَرْبِ قَدْ بَلَّغُوا السُّهَاءُ  
 مَجْدًا، وَمَا غَيْرَ الْعُلُومِ جَنَاحُ<sup>٣</sup>  
 فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ  
 إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحُ

\*\*\*\*\*

(١) بيت الدين قصر الرئاسة في لبنان آنذاك، ويلدز قصر السلطان عبد الحميد في استانبول

(٢) النشْر الرِّيح الطَّيِّبَةُ وَفَاحٌ يَفُوحٌ وَيَفِجُ

(٣) السُّهَاءُ كَوَيْكَبٌ خَفِيَ الضُّوءُ فِي بَنَاتِ نَعَشِ الْكُبْرَى

## ٧ - عتاب إلى إلياس عطا الله

[البسيط]

يا روح إلياس بالأرواح نفديك  
إن المليكة تُفدى بالممالك  
لولا تجنيك لم أحسُّد أخا ولع  
ما كان أسعدني لولا تجنيك  
لم الصلُّود وما قلبي بمنصرف  
إلى سواك، ولا سري بمهتوك؟  
كاتبتنا مرة في العمر واحدة  
ثنى ولا جعلها بيضة الديك  
~~~~~

نيويورك ، يا من فتنت الخلق كلهم  
ما كنت فاتنتي لولا فتى فيك  
أخو سجايا، لو أن الله فرقها  
في الناس، ما أبصرت عيني بصعلوك  
هلال لطف وظرف غير منخسف  
وطود حلم وحزم غير مدكوك  
يجود للناس بالعقيان مرقمه<sup>١</sup>  
إن شاء منسبكاً أو غير مسبوك  
فاقت كتابته الكتاب قاطبة  
وفاق إعلانهُ إعلان مألوك!<sup>٢</sup>

---

(١) المرقم القلم والعقيان الذهب الحاصر





صبراً، فإن تنقُمي أركبِتنِي حُشِنَا  
أو تقنطي فاقْد أشمتَ شانِيك  
لَعَلَّما رقعهُ تحظى العيونُ بها  
من الحبيب فتشفيها وتشفيك

\*\*\*\*

## ٨ - اليهودي التائه

[مجزوء الرجز]

أَكَلُ يَوْمٍ مَخْرَقَةٌ  
وَقَصَّةٌ مَالْفُقَّةُ؟  
مَنْ أَحْمَقُ ذِي عُزْرِ  
أَوْ جَاهِلُ ذِي فَيْهَقَةٍ<sup>(١)</sup>  
وَكُلُّ يَوْمٍ طَارِقُ  
يَأْخُذُكُمْ بِالْهَيْبَةِ<sup>(٢)</sup>  
كَذَا الَّذِي طَافَ عَالِيَهُ  
كَمْ يَسْتَدِرُّ الصَّدَقَةَ  
وَيَسْتَنْثِيرُ الدِّينَ فِيهِ  
كَمْ، وَهُوَ رَبُّ الزُّنْدَقَةِ  
فَمَا تَرَأَى شَبَحُ  
مِنْكُمْ إِلَّا الْحِقَّةُ  
وَمَا أَصَابَ مُوصِداً  
فِي الْحَيِّ إِلَّا طَرَقَهُ  
وَمَا رَأَى مَانِداً  
إِلَّا أَمَالَ عُنْدَقَهُ  
أَعَجِبْهُ سَمَّ نَكَمُ  
فَصَارَ مِثْلَ الْعَلَقَةِ

(١) تفهيق في مشيته أو كلامه تبخر وتعالَم وتشدَّق

(٢) من اللغة المحكية أخذ الأمور بالمشاغلة وضجيجها

يَمْتَصُّ أُمُومًا الْكُومُ  
مَصْرُ الْهَجِيرِ<sup>(١)</sup> الزَّنْبِقُ  
يَمْلَأُ مِنْ جِيُوبِ الْكُومِ  
جِيُوبُهُ الْمُمُخِرُ  
أَنْ تَسْتَحُوا لَا يَسْتَحِي  
كَذَا الْإِلَهُ خَالِقُهُ  
جَارِي الْيَهُودِي تَانَهَا  
بَلْ بَزْرُهُ، بَلْ سَبِقُهُ  
فَالْيَوْمُ فِي مِثْلِ الْنُطْقَةِ  
وَفِي غَدٍ فِي مِثْلِ الْنُطْقَةِ  
يَا حَامِلَ الْكَشْكُولِ فِي الدَّ  
عَاتِقِ أَيْنَ الْمُنْطَقَةِ<sup>(٢)</sup>  
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مَا عَجَبِي مِنْ رَجُلٍ  
صَارَ قَفَاهُ مَقْفَرُهُ<sup>(٣)</sup>  
بَلْ عَجَبِي مِنْ مَقْفَرٍ  
قَدْ صَارَ خَلْفَ الْعَنْفَقَةِ<sup>(٤)</sup>  
فِي أَلْهَامِ قَرْعَةٍ  
بَلْ يَا أَلْهَامِ مِنْ مَزْلَقَةٍ!  
دَانِرَةٌ مِثْلَ الرُّحَى  
بِيَضَاءِ مِثْلِ الشَّرْنَقَةِ  
فِي الْبَرْدِ تَغْلُو جَمْدًا  
وَفِي الْهَجِيرِ مِثْلُ صَقَةٍ

(١) الهجير والهاجرة نصف النهار، عند الزوال إلى العصر  
(٢) ما بين المنكب والعنق والمنطقة كل ما شُدَّ به الوسط، مثل (النطاق)  
(٣) مفروق الرأس حيث يفرق فيه الشعر  
(٤)

رَأْسُ تَظَلُّ أَرْجُلُ الدَّ  
بُرْعُوْثُ فِيهِ قَالِقَهُ  
فَلَوْ تَرَاهُ حَاسِرًا  
ظَنَنْتُهُ قَدْ حَالَ قَهُ  
هَذَا هُوَ السَّيِّدَانُ وَالِدُ  
أَنْفِ الْكَبِيرِ الْمَطْرِقِ  
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

عَوْ بَنَانِي قَالَمِي  
أَضَاعَ شِعْرِي رَوْنَقَهُ  
وَلَا أَطَاعَتْنِي الْقَوَا  
فِي الشَّارِدَاتِ الْمُوْنِقَهُ  
إِنْ كُنْتُ لَا أَرْعَاكُمْ  
رَعَى الْجَفَوْنَ الْحَدَقَهُ  
الْأَمَّ يَسْتَجْهِرُكُمْ  
أَجْهَلُ مَنْ هَبْنُقَهُ؟<sup>١</sup>  
دُمُ الْقَالِوْبِ مَا لَكُمْ  
فَحَازُوا أَنْ يُهَرِّقَهُ  
أَتَجْعَلُونَ عِرْقَ الدَّ  
أَجْسَادَ مَنْكُمْ عِرْقَهُ؟  
أَرَأَيْكُمْ مَنْ نَطِقُهُ؟  
وَقَدْ عَرَفْتُمْ مَنْ نَطِقَهُ  
أَمْ صَوْتُهُ؟ وَصَوْتُهُ  
أَحْسَنُ مِنْهُ النِّقْنِقَهُ  
أَمْ وَجْهُهُ؟ وَلَوْرَا  
هَ الْقَرْدُ طَاحَ الْحَالِقَهُ !

---

(١) الهَيْئُ الْأَحْمَقُ (وَالنَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ) وَقَدْ أَصْبَحَ مَثَلًا يُضْرَبُ

قَوْمُوا اقْرؤُوا تَارِيخَهُ  
 هل فيه الا مُؤَيِّدُهُ؟<sup>١</sup>  
 في كل يوم يَبْتَغِي  
 ضَرِيْبَةً او نَفَقَهُ  
 كَأَنَّكُمْ بِعَوْلَةٍ  
 كَأَنَّهُ مَطْلَأُ قَه  
 بل كَأَمَّا أَحْسَنُ بَالًا  
 إملاق أبْدَى مَالَقَهُ  
 فصور البحر لكم  
 وهو أجاجٌ<sup>٢</sup> مَرْقَهُ  
 وصور الأرض على أَد  
 تساعهاك البندقة  
 وحواله عَصَابَةٌ  
 تجهلُ الا الشَّقَّ شَقَهُ  
 ضَمَانٌ مَيِّتَةٌ  
 وألسنٌ مَفْرُقَهُ  
 يرعى لها عهودها  
 كما تُرَاعِي مَوْتَهُ  
 قد وافقته مَثَامَا  
 وافق شَنْ طَبَقَهُ  
 لَكِنَهَا لِعِائَةٍ  
 قد نَزَعَتْ مِنْهُ النَّقَهُ

(١) الموبق من المعاصي الكبائر المهلكة

(٢) ملج مر

والله لو كان قِصَا  
صُ النَّصْبِ مِثْلَ السُّرْقَةِ  
لَأَصْبَحَتْ أَيْدِيهِمْ  
مَقْطُوعَةٌ مَعَهُ  
وَأَبْصَرَتْ أَعْيُنُكُمْ  
أَتَقَاهُمْ فِي الْمَشْنَقَةِ!

\*\*\*\*

## ٩ - وقف عليك الشعر

(إلى كل حامل كشكول)

[الكامل]

أسفي على الكشكول كيف تمرقاً  
يا صاحب الكشكول، طال لك البقا  
لا يحزننك اليوم أنك مُخفقٌ  
ما أنت أولُ ذي رياءٍ أخفقاً  
عقبى الحماقة ما علمت، وإنما  
هيهات أن تعظ الحوادثُ أحمقاً  
أعييت كل مَهذبٍ ومُؤدبٍ  
حتى العصا، وعييت أن تتخلفاً  
كم ذا تطوَّف في الدائن والقُرى  
متبجحاً، مُتنطِعاً، مُتفِيهاً  
مُتوعداً كل امرئٍ مُستضعفٍ  
مُتملقاً من يعشق المتملقاً  
خلت السنون وأنت تستجدي الوري  
فمتى أراك على الوري مُتصديقاً؟  
جانوك بالموفور حتى أملقوا  
وتلفَّتوا فرأوك منهم أملقاً  
أنفقت مالهم كما أنفقتَه  
الله أعلم كيف باد وأنفِقاً  
لو كان شعراً كنت صاحب لِمّةٍ  
أو كان لفظاً كنت أغزر منطقاً



بددته وعفوت عن أرواحهم  
لله قلبك ما أرق وأشققا!  
مال الشحاذة لا يدوم، وإن يدم  
فقد اقتنيت به سعيراً مُحرقاً  
~~~~~

كم ذا تشيدُ الباخرات وتبتني!  
مهلاً، فإن البحر أصبح ضيقاً  
أقارقت حتى الإنكليز، وطالما  
ظنوا العباب لهم حلالاً مُطلقاً  
هلاً وقد هيئت كامن حقدهم  
صافيتهم وعقدت معهم موثقاً؟  
لا، لا، فإن هم أغرقوها كُلها  
بقيت لديك سفينة لن تغرقا  
أعني المدرعة المصفحة التي  
تخشى العواصف حولها أن تُخفقا  
هي طاسة سحرية، مُرها تكن  
في الماء فُلكاً، في الفضاء مُحلقاً  
قد قال قوم: مغنطيس تحتها  
ويقول قوم: إن فيها زنبقاً  
كذب الذين تقولوا: يا سيدي  
الحق أن بها الجنون المُطبقاً!  
~~~~~

جفّ القذال<sup>١</sup>، وبات أجرد عارياً  
لو كنت تحفظ ماء وجهك أورقاً

---

(١) القذال جماع مؤخر الرأس (الجمع أقدلة وقُدُل)

طار السوادُ عن المفارقِ وامّحى  
فاليوم أصبح كلُّ رأسِك مَفْرَقا  
لو حاول البُرغوثُ يمشي فوقهُ  
لم يأمن البُرغوثُ أن يتزحلقا  
ضيّعت عمرك في المعاصي كلّه  
فمتى تحنّ إلى الفضيلة والتقى؟  
❖❖❖❖❖

وقفْ عليك الشّعْرُ حتى ترعوي  
وعلى الضلال الحقُّ حتى يزهدا  
أنّى حللت وجدت ثم شواردا  
تُلهيك إن تلهو وإن تتشددّا  
ملء الشّفاه، فإن هممت بلفظة  
نطقت بها الأفواه كي لا تنطقا  
تغري بقلبك كلُّ همٍّ مقلق  
وتنودّ عنك النوم حتى تارقا  
وتكونُ إمّا سِرتَ غرباً مغرباً  
وتكونُ إمّا سِرتَ شرقاً مشرقاً  
فإذا راک إلى لقائك شيقُ  
أمسى إلى التوديع منه أشوقا  
لا مرحباً إمّا نزلت، ولا إذا  
أزمعت تسمع من يقول: إلى اللقاء  
يا ساكني كندا، السلام عليكم  
إنّ المنافق بينكم لن ينفقاً  
وفاكم ذاك الغرابُ مُبَكِّراً  
فمنعتموه بينكم أن ينعقا

لو لم تكونوا الأسد أو أشبالها  
ما خاف أن يعوي ولا أن ينهقا  
ما مر ذكركم على ذي مسمع  
الاتمأكه السرور فصفقا

\*\*\*\*

## ١٠ - ماذا؟

[البسيط]

ما الطَّيْرُ ضاقتَ بها الأوكارُ فاضطربتَ  
في الأرض باحثةً عن مرتعٍ خصبٍ  
تغالبُ الريحُ في الأجواء صاعدةً  
وتتقي الناس عند الحسِّو والنَّعبِ<sup>(١)</sup>  
حتى إذا هبطتَ في السفحِ مزدرعاً  
فيه الفواكهُ من نخلٍ ومن عنبٍ<sup>(٢)</sup>  
وأودعتَ رُغْبَها الأعشاشُ، وانطلقتَ  
تقتاتُ بالبُسْرِ أحياناً وبالرُّطبِ<sup>(٣)</sup>  
ساقِ القضاء إليها كل محتيلٍ  
فلم تجزْ عطياً إلا إلى عطبٍ<sup>(٤)</sup>  
أشقى وأتعسُ حظاً من مهاجرةٍ  
في الغربِ شرقيةِ الأنسابِ والحسبِ  
كانما البؤسُ خلُقَ من خلانقها  
فكلَّما غالبتُهُ فاز بالغلبِ  
طَلَبُ النِّوانِبِ في حلٍّ ومرتلٍ  
في دارةِ الأرض أو في دارةِ الشَّهْبِ  
إنْ تركبِ البحرَ فالسمسارُ يرصدها

(١) حسِّو الطائر الماء، والنَّعبُ مثله (نعب ينعب نعباً)

(٢) المزرع موضع الزرع، مثل (المزرعة)

(٣) من مراحل نضج التمر البسر والرُّطب، والتمر آخرها

أو تطلب البرُّ فالدلالُ في الطلبِ  
 حاموا عليها كما حام النسورُ على  
 جرحي اللهازمِ <sup>(١)</sup> والهنديَّة القُضْبُ  
 أو كالذباب على صحنٍ من الضربِ  
 أو كاليهود على عجلٍ من الذهب <sup>٢</sup>  
 كأنها الشاةُ، غال الموتُ راعيها  
 فكلُّ ضرعٍ عليه كلُّ مُحْتَلِبِ  
 هناك يسأبها حكامُها، وهنا  
 أهلُ الكشاكيلِ والأكياسِ والحُقْبِ  
 باسمِ المساكينِ أحياناً، وأونةً  
 باسمِ الهيكلِ والإصلاحِ والأدبِ  
 موتى الضمانِ، موتى كلِّ عاطفةٍ  
 فليس فيهم - وكم بين اللصوص - أبي  
 إن يُرهقوها، وهم منها، فلا عجبُ  
 لا يعرفُ السوسُ غيرَ الفتكِ بالخشبِ  
 في كلِّ يومٍ لهم في قتلها أربُ  
 وما لها أربُ في قتلِ ذي أربِ  
 تغرَّبَتْ في سبيلِ المجد، واغتربوا  
 طماعةً بمجاني كلِّ مُغتربِ  
 يا ليت من شاطروها مالهأ حملوا  
 شطراً من الظلم، أو شطراً من التعبِ  
 ❖❖❖❖❖  
 يا أمَّةَ هاضتِ الأيامُ جانبهم

(١) لَهْزَمَه قطعهُ واللَهْزَمُ السنانُ القاطعُ وقُضِبَ قطع (يعني السيوفُ الهنديَّةُ القاطعةُ)

(٢) الضربُ العسل الأبيض العليظُ

وطمع الضعف فيهم كل مغتصب  
 لا تأخذوا بأمني مروة  
 ما در أهل الأماني غير محشوب<sup>١</sup>  
 أموالكم، أنتم أولى الأنام بها  
 فراقبوا الله في مستحدث النشب  
 هذا السلاح الذي يشرى السلاح به  
 هذا المسمى بحق كاشف النوب  
 هذا المنجي من الآفات صاحبه  
 ان تفقدوه فقدتم أنفع الصحب<sup>٢</sup>  
 لا تحسبوا أنني بالشح امركم  
 ان المواطر عندي أفضل السحب  
 وانما رقدكم من لا خلاق لهم  
 كمأيس الخرز ذات الظلف والغيب<sup>٣</sup>  
 جود الكريم على من يستخف به  
 مضيع، كالحيا في الموضع الحرب  
 ماذا؟ أيعجم أهل اللوم عودكم  
 وأنتم النجب نسل السادة النجب؟<sup>٤</sup>  
 وتطربون، وسيف الموت منصلت؟  
 وتلعبون، وشر الناس ذو اللعيب  
 ان كان صوتي لم يبلغ مسامعكم  
 فذاك من حسن حظ اليوم والحرب

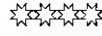
(١) الدرّة الزائفة

(٢) جمع الصاحب صحب

(٣) نوات الأظلاف المجترّة من الحيوان والعيب والعيب الجلد تحت الحنك

(٤) الحيا المطر

(٥) عجم اختبر وجرب وراز ومافي معناها



ثَلَاثَةٌ لَا أَصَابَتْ غَيْرَ أَوْلَهَا  
أَهْلُ النَّفَاقِ وَدَاءُ السُّلِّ وَالْجَرَبِ  
يَقُولُ قَائِلُهُمْ: مَهْلًا إِلَى رَجَبٍ  
كَأَنَّنِي سَوْفَ أَبْقِيهِ إِلَى رَجَبٍ!  
إِنْ يَعْجِبِ النَّاسُ مِنْ فِدَمٍ تَوَعَّدَنِي  
فَإِنَّهُ عَجَبٌ أَدْعَى إِلَى الْعَجَبِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ الْغَرِيقُ إِذَا ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ  
لَا يَحْمَدُ الْبَحْرُ ذَا التِّيَّارِ وَالْعُيْبِ<sup>(٢)</sup>  
تَبُّ النَّحَاةِ، وَتَبُّ الْمُؤْمِنُونَ بِهِمْ  
أَهْلُ السُّخَافَاتِ وَالتَّضَلُّيلِ وَالْكَذِبِ<sup>(٣)</sup>  
كَمْ جَوَّزُوا مِنْ كَلَامٍ لَا جَوَّازَ لَهُ  
وَأَوْجَبُوا مِنْ أُمُورٍ قَطُّ لَمْ تَجِبْ  
وَكَمْ رَوَوْا مِنْ أَحَادِيثٍ مَلْفُوقَةٍ  
وَزَوَّروا مِنْ حِكَايَاتٍ وَمِنْ خُطَبِ  
النَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالْإِعْرَابِ أَجْمَعِهَا  
سَفَاسَفٌ، لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِي الْعَرَبِ  
هَذَا تَعَالِيمُ كَسَلِي مَا يُدَلُّ بِهَا  
إِلَّا فِتْنَى أَعْجَمِي الْخَلْقِ وَالنُّسَبِ  
فَلَا حَبَا إِلَهَ نَحْوِيَا بِرَحْمَتِهِ  
أُولَى بِرَحْمَتِهِ مِنْهُ «أَبُولَهَبِ  
لَوْلَا أَكَاذِبُهُمْ مَا بَاتَ مُنْتَصِبًا

(١) الْفِدَمُ الْعَبِيٌّ عَنِ الْبَيَانِ، الثَّقِيلُ فِي الْكَلَامِ

(٢) الْعُيْبُ الْمَيَاهُ الْمُنْتَفِقَةُ

(٣) تَبُّ هَلَكَ

(٤) الرِّمَاحُ

بين العوالي<sup>١</sup> الغوالي فارغُ القصب  
ما كنتُ أملُ أن يمتدُّ بي زماني  
حتى يطاولني قِردٌ بلا ذنب<sup>٢</sup>  
يا أجهل الخلق - حتى ناقلِ القُرب -  
أربأ بنفسك أن يهتاجني غضبي  
أو تطلعنَّ عليكم كلُّ أكلة  
ترعى الهشيم ولا تُبقي على العُشب  
تنقضُّ مثل نجوم الرجم هاوية  
في إثر كل رجيم غير ذي أدب  
فما تُغادرُ قلباً غير منخلع  
ولا تُغادرُ حبلاً غير مضطرب  
فإن جنحتم إلى كهفٍ ليحجبكم  
وجدتم الموت في الأستار والحُجب  
حتى إذا ظنَّ أن الساعة اقتربت  
جعلتُ كل قريب غير مقترب  
وما أنا بالذي يهوى البقاء لكم  
لو أن في الموت ما في العيش من كُرب

\*\*\*\*\*

---

(١) لأسعد رستم معارضة شعرية للنص بعنوان (فإنه مثله في الذنب والذنب) (انظر كتاب جورج سليم ص ٢٩٢)



---

(١) الوعل تيس الجبل  
(٢) العُجْج الرجل الشديد العليظ

## ١١ - حكاية

[المجثت]

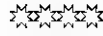
رَبَّيْتُ كَلْبًا صَغِيرًا  
وَكُنَّ أَنْ ذَلِكَ نَسْرًا  
وَقُلْتُ: يَحْرُسُ دَارِي  
إِذَا أَتَى الْبَابَ سِرًّا  
فَكُنْتُ أَتِيهِ صَبْحًا  
بِاللَّحْمِ، وَالشُّحْمِ عَصْرًا  
حَتَّى إِذَا اجْتَنَزَ سَتًا  
مِنْ الشَّهْوَرِ، وَأُخْرَى  
وَأَشْبَهَ الْوَعْلَ<sup>١</sup> سَاقًا  
وَأَشْبَهَ الْبَغْلَ ظَهْرًا  
وَصَارَ كَالْعِلْجِ<sup>٢</sup> عُنْقًا  
وَصَارَ كَالْفِيلِ صَدْرًا  
وَافَى إِلَيَّ صَبْحًا بِأَبِي  
وَأَنْتَ بِالصُّحْبِ أَدْرَى  
فَأَبْصُرُوا الْكَلْبَ عِنْدِي  
عَيْنَاهُ تَقْدَحُ جَمْرًا  
فَقَالَ مِنْهُمْ ظَرِيفٌ:  
قَنُوتُ، وَاللَّهِ، مُهْرًا!

---

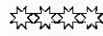
(١) هَرَّ الْكَلْبُ صَوْتٌ نَزَّاحٌ



فَأَقْبِلْ الْحَيَّ يَشْكُو  
فَقُلْتُ: يَا قَوْمُ صَبِرَا  
لَوْ كُنْتُ أَكْسِبُ أَجْرًا  
أَوْ كُنْتُ أُحْرِزُ فَخْرًا  
خَنَقْتُ بِالْحَبْلِ نَمْرًا  
لَكِنْ لِلْكَلْبِ عُمْرَا

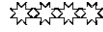


مَدِينَةُ الْعِلْمِ كَانَتْ  
لَأَهْلِهِ مُسْتَقَرًّا  
فَخَانَهَا الدَّهْرُ حَتَّى  
بَنَى بِهَا الْجَهْلُ جُحْرًا



يَا مَنْشَى الْفُؤَاكَ، مَهْلًا  
لَا تَمْخُرِ الْفُؤَاكَ بَرًّا  
وَيَا كَثِيرَ الْأَمَانِي،  
شَيْدَتْ فِي الْجَوْقِصَرَا  
أَضَاقَتْ الْأَرْضُ حَتَّى  
وَلَّيْتُ وَجْهَكَ بِحَرَا؟  
أَتَأْكُلُ الْمَالَ سُحْتًا؟  
وَتَقْتَضِي الشُّعْبَ أَجْرًا؟  
أَتَحْسِبُ النَّاسَ حَمَقَى؟  
يَا أَحْمَقَ النَّاسِ طُرًّا  
لَا تَلْبِسِ الدِّينَ ثَوْبًا  
عَصَرَ الْجَهَالَةَ مَرًّا  
وَلَا تَقَاتِلْ بِمَكْرٍ

فألله أعظم مكرًا



وأنت يا وافر عمرو

حتّام تتبع عمرا؟

ولست تجلبُ نفعاً

ولست تدفعُ ضرراً

إن البليّة غرٌّ

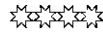
أمسى يناصرُ غِرا

لا تعذلّ الشّعْر إمّا

جنى عليك الأمرُ

قد كنت قبل القوافي

أقلُّ عـقلاً وقـدرا



ما في ضالوعي حقدٌ

ولست أطلبُ ثأراً

لكنّما الحرّ يابى

أن يـخدع النـذل حـراً

وأهلُ لبنان أهلي

وكنـتُ بالأهـل بـراً



---

(١) نبطويه من نحويي العرب

(٢) الداء العضال الشديد الذي يعي الأطباء

(٣) الآل السراب

## ١٢ - أيا عجل اليهود

[الوافر]

توعدني مُقَلَّدُ نَفْطَوِيهِ  
كَمَا تَتَوَعَّدُ الْأُنْثَى الرَّجَالَا<sup>١</sup>  
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لُونِي مُقَامَا  
وَلَكِنْ يَنْبَحُ الْكَلْبُ الْهَلَالَا  
وَلَوْ أَغْفَى وَلَا حَ لَهْ خِيَالِي  
لَظَنَّ الْمَوْتَ بِأَغْتَهْ خِيَالَا  
مَعَاذَ اللَّهِ يَخْلُقُ غَيْرَ شَيْءٍ  
فَمَنْ هَذَا الَّذِي خَلَقَ الْمُحَالَا؟  
وَيَكْذِبُ آدَمُ إِمَّا ادَّعَاهُ  
فَإِنَّ النَّاسَ لَا تَلِدُ الْبِغَالَا  
أَبْعَدَ الْيَوْمِ أَعْجَبُ مَنْ عَجِيبٍ  
وَمُقَلِّوْبُ اسْمِهِ يَبْغِي النُّضَالَا؟  
أَظُنْ حَيَاتَهُ هَانَتْ عَلَيْهِ  
وَالَا لَاتَّقَى الدَّاءَ الْعُضَالَا<sup>٢</sup>  
وَأَمَّا اللَّهُ شَاءَ هَلَاكَ نَفْسٍ  
عَلَى ظَمَأٍ، أَرَاهَا الْمَاءَ الْآ<sup>٣</sup>  
شَحَافَاهُ فَلَمَّا مَرَّ ذَكَرِي  
بِطَرْفِ لَهَاةِ أَمْسَى سُعَالَا<sup>٤</sup>  
وَكُنْتُ نَسِيتُ أَهْلَ الْيَوْمِ حَتَّى

(١) المذل والمذال القلق والضجر (مذل بالشيء ضاق به)

(٢) الجل للدابة كالثوب للإنسان (والجمع جلال) والسحال اللجام

نظرتُ اليومَ ألامَّهم خِصالا  
 وما فُكِّرتُ بالغوغاءِ حتى  
 سمعتُ اليومَ أسخفهم مقالا  
 إذا عُدَّ الأفاضلُ كان صِفِّراً  
 وصِفِّراً يلزم الجَنبَ الشِّمالا  
 فواعجباً، أَمات الخَلْقُ حتى  
 يمارس حِرْفَةَ الأدبِ الكُسَالى؟  
 ويا لَهْفِ البلاغةِ كيف ذُلَّتْ  
 ولهْفِ الشعرِ كيف غدا مَذالاً<sup>١</sup>  
 ويا لَهْفِ الصحافةِ يدَّعيها  
 حمارُ طالما لبس الجلالا  
 متى فارقت، يا هذا، المرامي؟  
 وكيف قطعت، يا هذا، الحبالا؟  
 أتَنهَقُ، والغضُّ نَفْرَقِيْدُ باعٍ  
 وتحسُّبُهُ وما عاف القتالا؟  
 فما زالت مواضعُهُ حِداداً  
 وما برحتْ مَخالِبُهُ طِوالا  
 بلى، أنت الذي بالأمس شَدَّتْ  
 عليك يداي في السُّفْرِ الرِّحالا  
 فلستُ بِنابغِ الشُّعراءِ إن لم  
 أَرِدْ عليك جُأَكَ والسَّحالا<sup>٢</sup>  
 أما، والله، لو طُلَّتِ الثُّريا

(١) الشَّيْعُ أحدُ سِيور النعل

(٢) الفودان جانباً الرأس، والقذال جماع مؤخر الرأس

(٣) الدحل حفرة ضيقة من فوق، واسعة من أسفل (الجمع دحال ودُحول)

وجاوزت المناكب والقللا  
 لمّا أمسيت إلا نون شسعي  
 ينالك كيف ملّت وكيف مالا<sup>١</sup>  
 فإمّا تستر القودين عنه  
 فاست بساتر عنه القذالا<sup>٢</sup>  
 ودعوى الفضل لا تُجديك شيئاً  
 فقد كنت الحقيير ولن تزال  
 أيا عجل اليهود، ولست تبرأ  
 والا كنت أحسن منك حالا  
 إذا هزّ العصا موسى وأهوى  
 فلايس يقيكها قرنّان طالا  
 أتهرب من أمام الليث دُعراً  
 وتزعم أنه لزم الدحالا؟<sup>٣</sup>  
 وتجنّ ثم تدعوه جباناً؟  
 لقد أضحكت، يا هذا، التُّكالي  
 ومن تكن الحماقة فيه طبعاً  
 يكنّ هذا المال له مالا  
 يدافعني اللئيم بكلّ غرّ  
 فلم أرحم، ولا رحِم السُّخالا  
 زعانفُ لست أرضاها مطايا  
 ولا أرضى رؤوسهم نعالا  
 لقد فرست نفوسهم القوافي  
 وإن الحقّ يفتّرس الضلّالا  
 إذا حرّم الهجاء على حرام

---

(١) السُّلّ والسُّلال الداء يضني ويقتل



فليس يكون في شيء حلالاً  
ومن يدري ويُغضي عن فسادٍ  
فقد خان الفضيلة والكمالاً  
لتذروهم عواصفها رمالاً  
وتنسفهم ولو صاروا جبلاً  
وترميهم أوائلها سهاماً  
وتقرعهم أوخرها نصلاً  
وتُمسي في حناجرهم جراحاً  
وتمشي في دمانهم سلالاً<sup>١</sup>  
فإن سلموا فقد سلموا اليوم  
توقاه الأجنّة والخبالي

\*\*\*\*

---

(١) الفسّل الرديء من كل شيء والجعل من نواب الأرض، أسود اللون

(٢) البقاع أراض من لبنان تجاور الحدود السورية اليوم

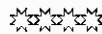
(٣) الباء، لعة، تدخل على الذاهب، على غير ما في البيت

## ١٣ - يا نوح

أين دلائل الطوفان؟

[الكامل]

أهل الفسادِ وزمرة الشَّيْطانِ  
كم تدَّعونَ محبةَ الأوطانِ!  
خلَّوا النُّواحَ على الرُّبوعِ وأهلِها  
ما ثمَّ من خطرٍ على لبنان  
أنَّى يضيعُ، وأهلُه أسدُّ الشُّرى  
وله من الدُّولاتِ خيرُ ضمان  
وإذا الضُّراعِمُ لم تحصُنْ أجماتها  
أيصونها فسَلُ من الجُعْلانِ؟<sup>١</sup>  
أمَّا البقاعُ فلا يردُّ بالسِّنِ  
ثرثارة، بل بالنَّجيعِ القاني<sup>٢</sup>  
رَبُّوا على الشَّعبِ المُهاجرِ ماله  
لا تُبدلوه حقانقاً بأمان<sup>٣</sup>  
فالقومُ حاجتُهُمُ إلى أموالِهِمُ  
مثلُ احتياجِهِمُ إلى العِرفانِ  
تَعِسَ الَّذِي رَضِيَ الأمانِي ثروةً  
إن الأمانِي ثروةُ الكسلانِ



قلتم: ندودُ الضَّيِّمِ عن إخواننا

---

(١) يشير إلى العلم الأمريكي

(٢) السلطان العثماني

اخوانكم في غبطة وأمان  
 يحميهم علم النجوم، ولم يزل  
 علم الكواكب مكرم الضيفان<sup>(١)</sup>  
 هم بين أهليه وفي أكنافهم  
 وكانهم في الأهل والإخوان  
 وزعمتم بالنازحين غرامكم  
 وغرامكم بالأصفر الرنان  
 لو صبح زعمكم وكنتم قوة  
 لوقيتموهم سطوة العبدان  
 جاروا عليهم، لم يبالوا زاجراً  
 جور القوي على الضعيف العاني  
 لهفي عليهم، كيف روع سربهم  
 وتبدلوا من عزهم بهوان  
 ولقد أتكم صرخة استنجادهم  
 فكانها مرت على حيطان  
 باتوا يسامون العذاب، ويثم  
 تدعون بالإعزاز للسلطان<sup>(٢)</sup>  
 نيمتم فخلتم كل طرف نانماً  
 ما أجهل الوسنان باليقظان!  
 رفع الستار، وبان كل مكتم  
 أتقاتلون الحق بالبهتان؟  
 لا غرو أما سبني سفهاؤكم

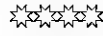
(١) يقصد يعوق (العق) خلاف الرق

(٢) قلاه أبغضه والسنا الضوء

(٣) اللوى منقطع الرمل واد بعينه أكثر الشعراء القدامي من ذكره في مواطن الشجن والعقاب من الجوارح (جمعه عقبان)

(٤) الهيمان منطقة تشد على الوسط وتجعل فيها النفقة

ان الجريح يسبُّ كلَّ سِنَّانٍ  
 ذمُّ الخفافيش الضياءَ لآثِهِ  
 يعتاقُ أقواها عن الطيران<sup>(١)</sup>  
 ومن العجائب أنها تقلِّي السَّنا  
 وتظلُّ حائمةً على النيران<sup>(٢)</sup>  
 خُلِقَ الوري، ولكل نفسٍ غايةُ  
 وخُلِقْتُمْ للهذِر والهنديان  
 أتى نجاتك، يا عصفير اللوى  
 ولقد أتاك كاسرُ العقبان؟<sup>(٣)</sup>



قُلْ للذي ملأَ اليباب سفاننا:  
 يا نوح! أين دلائلُ الطوفان؟  
 من ذا يسيرُ بها إلى غاياتها؟  
 بل كيف تحميها من القُرصان؟  
 الآن أيقنتِ البريةُ أنها  
 وإن ارتقتْ فرعُ من السُّعدان  
 لا تعذلِ الصبيانَ في سُخْفٍ، فقد  
 تحوي الكهولُ سخافةَ الصبيان  
 يضعُ المسامُ كفه في كفه  
 وتظلُّ عيناه على الهميان<sup>(٤)</sup>  
 والله، لولا أنه في مننِّه

(١) الكشكول (كلمة فارسية) الحقية التي تحوي كل شيء، وتعلّق بالكف

(٢) السرطان من حشرات الماء

(٣) الدجّن امتلاء السماء بالعيوم

(٤) العول كل ما اغتال الإنسان، والجمع (غيلان)

(٥) سجر التنور أوقده وأحماءه فلعله أراد



عندي لكل منكم ما نعلان<sup>٦</sup>  
بل ما لمقلوب اسمه يُخفي اسمه  
والحُسن لا يخشى من الإعلان  
إن التَّحجُّب لو يكون فضيلة  
لم يبد من خديهما القمران  
وإذا هتكت السُّتر عن مُتكنن  
لم تلق إلا خائفاً أو جاني  
زعم المؤدب أن غييراً ساءه  
الأيُّسار به إلى الميِّدان<sup>١</sup>  
فمضى فقصرت القواطع ذيله  
وسطت مواضيهها على الأذان  
حتى إذا جاء المروض واعتلى  
متننيه راب الفارس الكشاحان<sup>٢</sup>  
لكنه ما زال غير مُصدق  
حتى علا صوت كصوت الجان  
فاستل صارمه فطاح برأسه  
ورمى بجثته إلى الغربان  
مادام يصحب كل حي صوته  
فالعير لا يخفيه جلد حصان<sup>٣</sup>  
إن تستتر هيهات تستر مفرقاً  
أثار شسعي فيه كالعنوان<sup>٤</sup>  
يا أيها الغرُّ الذي من أجله

(١) الأخمص باطن القدم وخصره

لعن القريض مؤلف الأوزان  
ما أنت بالغ ما وطأت بأخمصي  
حتى تنال الفرقدين يدان<sup>١</sup>

\*\*\*\*

---

(١) السفير العثماني في واشنطن  
(٢) المومة المفازة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس  
(٣) يقصد ما طلع به رسم بك على الناس (الطلعة)  
(٤) السائمة الإبل الراعية (سامت تسوم رعت)

## ١٤ - توديع رستم بك<sup>(١)</sup>

[الخفيف]

رُزْتُ عَنَّا، فلم نُبَلِّ، مثلما زَا  
ل، مع الليلِ طَارِقُ الأحلامِ  
ما كرهتُ المَقَامَ فينَا، ولكنْ  
يَأْنِفُ الذَّنْبُ غيرُ سَكْنَى المَوَامِي<sup>٢</sup>  
كنتُ ضيفاً فلم يَزَلْ بك سوءُ الطُّ  
طَلَعِ<sup>(٣)</sup> حتى خَسِرْتَ عَطْفَ الكِرَامِ  
خُلِقَ السُّوءُ في الفَتَى ليس يُخْ  
فيه جَمَالُ الرِّدَاءِ والهِنْدَامِ  
وإذا المرءُ كانَ غيرَ كَرِيمٍ  
فَضَحَّتْهُ مَظَاهِرُ الإِكْرَامِ  
لَقِنْتُكَ الإسلامَ عَصِيَّةً شَرِ  
لِيَتَهَا لَقِنْتُكَ عِلْمَ الكَلَامِ  
جِئْتَ تَنْفِي الإِجْرَامَ عَنْهُمْ، فَأَجْرَمَ  
تَ إِلَى الصِّدْقِ أَيُّمَا إِجْرَامِ  
كَيْفَ أَنْكَرْتَ نَبِيَّهِمْ أُمَّةَ الأَرِ  
مِنَ، نَبِيَّ الجَزَارِ بَعْضَ السُّوَامِ<sup>٤</sup>

(١) الكأس الدهاق المترعة الممتلئة (دهق الماء أفرغه بشدة)

(٢) الداهية، والأمر الفظيع

(٣) العادية السحابية، وجمعها العوادي

(٤) طما الماء طُمياً، فهو طام إذا ارتفع وملاً النهر

(٥) أرض فروق استانبول



ودم الأبرياء ما جف، لا جف  
 ففت عليهم مدامع الأيتام؟  
 سلبوا الطفل أمه وأباه  
 ورموه في النار ذات الضرام  
 أحرقوا النور، روعوا ساكنيها  
 وأتوا كل منكر وحرام  
 جرعوهم كأس الحمام بهاقاً  
 واستساقوا دماءهم كالمدام<sup>(١)</sup>  
 ما أثاروا حرباً، ولا ارتكبوا إد  
 ذا<sup>(٢)</sup> ولم يبسطوا يداً لحسام  
 ولئن صح أنهم أحدثوا إد  
 مما أثنى في الآثام بالآثام؟  
 زلة لو وقيت لها، لم تحقر  
 من كبار النفوس والأحلام  
 فتحمل، لا شيعتك الغواذي  
 لا، ولا عدت نحونا بسلام<sup>(٣)</sup>  
 هكذا يقذف النواة فم الآ  
 كل، والجيفة الخضم الطامي<sup>(٤)</sup>  
 وإذا ما بلغت أرض فروق  
 مرتع الظلم، مربع الظلام<sup>(٥)</sup>  
 حيث يقضي الحياة فيها ضياءً  
 بين عود وقينة وغلām<sup>(٦)</sup>  
 حيث يشقى الحر الأبى، ولا يند  
 عم إلا زعانف الأقموام

قُلْ لِمَن أَرْقُوا الْعِبَادَ وَنَامُوا:  
أَنَّا سَاهِرُونَ غَيْرُ نِيَامٍ  
نَحْنُ لَا نَمُقِّتُ الْحُكُومَةَ، لَكِن  
نَمُقِّتُ الْمُسْتَبِيدَ بِالْأَحْكَامِ  
إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ يَبْرَأُ مِنْكُمْ  
أَيُّهَا الْعَابِثُونَ بِدِ الْإِسْلَامِ  
قَدْ سَلَبْتُمْ مَالَ الرِّعَايَا وَكِدْتُمْ  
تَسْلُبُونَ الْعَيُونَ طَيْفَ الْمَنَامِ  
كُشِفَ الْخَيْرُ عَنْكُمْ، فَإِذَا أَنْ  
تُمْ لَصُوصُ فِي صُورَةِ الْحَكَّامِ

\*\*\*\*\*

---

(١) المجلة التي كان يصدرها عيد المسيح حداث، وأصبحت تنطق بلسان الرابطة القلمية

(٢) الشنب برودة وعنوبة في الأسنان

(٣) الحور شدة بياض العين في شدة سوادها

## ١٥ - إلى شاعر «السائح»<sup>١</sup>

[المقدّارك]

بالقدِّ الأَمِيفِ، بالنُّهدِ  
بالثُّغرِ الأشنِبِ<sup>٢</sup>، بالخدِّ  
بالمفرِقِ، بالشُّعْرِ الجُعْدِ  
بعيونِ الحُورِ<sup>٣</sup> السَّحَّارَةِ

ما شدُّ القينَةَ في السُّحرِ  
وهُتَافِ الطَّيْرِ على الشُّجَرِ  
في الفجرِ، ورَنَاتِ الوترِ  
أحلى من صوتِ النُّقَّارَةِ

ذو البلوى يعشوقُ ذا البلوى  
فانشُدْ، فغناؤك لي سلوى  
لو يعطي الشاعرُ ما يهوى  
لتمنَّيْتُ تُنشِدُ أشعارَهُ

أفديك بروحي، يا صاحِ،  
وبكلِّ هَزارٍ صدَّاحِ  
فلأنت حَيَاةُ الأرواحِ  
فانشُدْ للمزهرِ أوتارَهُ

ضع كَفَّكَ، يا ذا، في كَفِّي

فَكِلَانَا يَبْحَثُ عَنِ الْفِ  
حَالِ الْأَخْلَاقِ، أَخِي لَطْفٍ  
مَا يَدُلُّ شَيْءٌ أَطْوَارَهُ

كَمْ تَشْكُوهُمْ لِنَاسٍ  
وَبَلَاؤُكَ مِنْهُمْ، يَا نَاسٍ  
كَنْ قَاسِي الْقَلْبِ عَلَى الْقَاسِي  
فَالْحَازِمُ يُخْفِي أَسْرَارَهُ

صَبْرٌ دَمْعٌ عَنْهُمْ فِي الطَّرْفِ  
لَا تُغْزِي الْقُوَّةُ بِالضَّعْفِ  
مَا تَرْجُو، يَا رَبُّ الدُّفِّ،  
مِنْ شَعْبٍ يَكْرَهُ أَحْرَارَهُ؟

قَدْ شِئْتَ وَشِئْتَ بِهِ الْيُسْرَا  
وَأَرَادَ إِلَهُهُ بِهِ الْعُسْرَا  
فَعَالِيَهُ أَنْ يَجْنِيَ الْوِزْرَا  
وَعَالِيَنَا أَنْ نَجْنِيَ غَارَهُ

يَا مَلَكَ بَيْنَ شَيَاطِينٍ  
صَرَخَ بِالْحَقِّ الْكَنُونِ  
لَا تَرْهَبْ لَوَمَةٍ مَأْفُونِ  
ثَرْتَارٍ يَخْدُمُ ثَرْتَارَهُ

قَدْ أَنْ يَبْدُو النُّورُ

وَيَبِينُ الْحَقَّ الْمُسْتَوْرُ  
فَلَا يَخْرُسُ ذَاكَ الْمَاجُورُ  
مَنْ قَبْلَ نُمُزْقِ أَسْتَارِهِ

مَا شَاءَ اللَّهُ فَقَدْ كَانَا  
لَا تَبْغِي الْمَلَّةُ شَيْطَانَا  
الْمَلَّةُ تَطْلُبُ مَطْرَانَا  
لَا يُوْذِي الْجَارُ وَلَا الْجَارُهُ

مَطْرَانَا تَعْرِفُهُ الْأُمَّةُ  
مَطْرَانَا يُخْلِصُ فِي الْخِدْمَةِ  
مَطْرَانَا لَمْ يَحْصِرْ هِمَّةُ  
فِي جَمْعِ الدَّرْهِمِ وَالْبَبَارَةِ

مَطْرَانَا تُغْمِضُ عَيْنَاهُ  
الْأَعْيُنُ خِدْمَةُ مُوْلَاهُ  
يَعْصِي الضَّالِّلُ وَدُنْيَاهُ  
وَيُحِبُّ الْعِلْمَ وَأَنْصَارَهُ

يَا شُعْبَا بَاتَ بَلَا أَمَلٍ  
أَنْ ضَاقَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ سَلِ  
كَمْ ذَنْبٍ فِي ثَوْبِ الْحَمَلِ  
قَدْ سَنَّ لِقَتْلِكَ أَظْفَارَهُ!

---

(١) الصنارة رأس العزل (في الأصل)

فارغِبْ بالصَّبْرِ عَنِ الْيَاسِ  
وَاحْذَرِ نَزْعَاتِ الْخَنَاسِ  
وَوَسْوَاسِ أَهْلِ الْوَسْوَاسِ  
فَوَرَاءَ الطُّعْمِ الصَّنَارَةُ<sup>١</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الجُعْلُ دويبة سوداء  
(٢) العسق أول ظلمة الليل

## ١٦ - انقر يا دف على الطارة

[المتدارك]

بالحق، بأحرار البلاد  
ما دام يراعي طوع يدي  
وفؤادي يخفق في جسدي  
لا أنصر إلا أنصاره

يا قومي، قد طفح الكيل  
وتعالى للقيم السيل  
وتنكر للصبح اليل  
واستأسد جعلان<sup>(١)</sup> الحارة

فدعوا أيار وأطياره  
والخمير ورب الخماره  
وليئنفخ كل مزماره  
لنشن على الجهل الغارة

ونقاتل بالصبح الفسقا<sup>(٢)</sup>  
ونسد على الشر الطرقا  
ونضايقه كي يختنقا

---

(١) الشُّفر واحد أشفار العين، وهي حروف الأحفان تثبت عليها الهدب

(٢) الجبل

(٣) نهر في أمريكا

وتــــــــــــــــفكُ يــــــــــــــــداهُ أزراره

ما أثقل ذِيَاكَ الضَّيْفَا  
أرأيتمْ كأنونا صيفاً؟  
لا حلَّ على طُرْفِي طَيِّفاً  
أخشى أن يسلبَ أشْفاره<sup>١</sup>

إنْ مرَّ على حُسْنِ شأنه  
أو طوِّد<sup>٢</sup> زِعْزَع أركانَه  
أو قَصَرَ رَوْع سَكَّانَه  
أو روضٍ أنبلَ أنهاره

لو تدري الأرضُ به انقلابتْ  
أو تدري الشمسُ به احتجبتْ  
ومياه الهدسُن<sup>٣</sup> لاضطربتْ  
والليل لساقط أقماره

تمساحٌ يخطُر في حُلَّة  
شُرْفِي القلبِ مِنَ العِلَّة  
ظُلُّ الطَّاعِمِينَ وَلَا ظِلُّهُ  
لا جاور إلا سُمْساره

يا هذا، أولى بك السُّفْرُ

---

(١) المرقم القلم وانصلت القلم مضى وسبق  
(٢) الدمنة آثار الناس وما سوتوا والجمع بمن



في ليلٍ ليس به قمرٌ  
أو فاسكتَ يحمّدك البشرُ  
وتُصالحَ جارتها الجارة

صمتاً، أو ينطقُ من سكتنا  
فوحقَّ الشُّعر إذا رمتنا  
كفاه، ومِرْقَمُهُ انصابتنا<sup>(١)</sup>  
هيهات يُفيدك ثرثارة

يا حامل مَكروبِ الفِتَنِ  
قد طال وقوفُك في الدِّمَنِ<sup>(٢)</sup>  
لا تُلقِ الأُمّةَ في المَحَنِ  
يكفيك الشّاعمرُ إنذاره

\*\*\*\*

---

(١) عبدالمسيح حداد صاحب مجلة (السائح)، وزميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) وكان من المفريين إليه قبل أن تسوء العلاقة بينهما

(٢) طالب رُفْد

(٣) لعلها : العضب وهو السيف القاطع

## ١٧ - وقائفة

[الوافر]

أيا عبد المسيح<sup>١</sup> عليك مني  
سلامٌ كلُّما ذُكِرَ المسيحُ  
حبيبٌ تُك لا لأنك ربٌّ وفَرٍ  
تجودُ به، ولا أنا مُستَمِيح<sup>٢</sup>  
ولا أنا من يسيرُ به هواهُ  
ويخفُّ كلُّما هزَّتْه ريحٌ  
ولكن شاقني الأدبُ الصَفِيُّ  
وتيمني بك الصدقُ الصَّريحُ  
وأنت والوفاءُ على اتصالٍ  
وبينك والرياءُ مدى فسحٍ  
ومن عجبٍ، ولم أصحِّبك عمري  
أحسُّ كأننا جسدٌ وروح  
لك القلمُ الذي ما اهتزَّ إلا  
تهيبُ سطوةُ القصبِ الصَّفِيح<sup>٣</sup>  
لئن أمسيت من قومٍ بغيضاً  
فمكروهٌ من الجربى الصَّحيحُ  
وإنَّ الشمسَ، وهي أحبُّ شيءٍ  
يذمُّ ضياءُها الجفنُ القريحُ  
وهذا الملحُ يدخلُ كلَّ جوفٍ  
ويخشى مسَّهُ العضوُ الجريحُ  
وكم في الناسِ من مُتَرٍ كبيرٍ

ولكن ليس كالسميح الشحيح  
 وقائلة: أعاد غرابُ نوح؟  
 نعم، عاد الغرابُ، فأين نوح؟  
 غرابُ ريشه سرق وخز  
 وصوت الناعقات به فحيح  
 ينوح على الصروح وساكنيها  
 وما ماتوا، ولا خلت الصروح  
 ولكن في الغراب النوح طبع  
 وأي غراب سوء لا ينوح؟  
 قبيح أن يذم الحسَن فينا  
 قبيح كل ما فيه قبيح  
 وأقبح أن يظل اليوم حياً  
 ويحوي البلب الغرد الضريح  
 دخیل لو حواه الخلد أمسى  
 جحيماً ليس فيه مُستريح  
 أتى، لم يدعه أحد إلينا  
 أيا هذا الثقيل، متى تروح؟  
 قد اشتاق الذين نزلت عنهم  
 وملّ مقامك القوم النُزوح  
 أهُم بأن أحدث عنه قومي  
 ويُمسِكُنِي الإباءُ فلا أبوح  
 فأقنع بالأشائر، وهي نزر  
 لأن القوم أكثرهم فصيح  
 وإن وراءها وراء صممتي

سَهَامًا لَا تُمَيِّتُ وَلَا تُرِيحُ  
وَصِيحَاتٍ تَزْعِزُ كُلَّ طَوْدٍ  
وَتُنْكِرُ بَعْدَهَا الضَّيْفَ الْمُسَوَّحَ

\*\*\*\*

---

(١) عمد جمع العمود  
(٢) قوم جلة حلوا في مكان ونزلوا فيه (المحلة)  
(٣) الرنل من الرجال

## ١٨ - يا قومي!

[المتدارك]

إِنَّ الْمُعْتَزَّ بِأَمْوَالِهِ  
مِثْلُ الْمُعْتَزِّ بِأَخْوَالِهِ  
فَخَرُّ الْإِنْسَانِ بِأَعْمَالِهِ  
لَا بِالْدِينَارِ وَلَا الْبَارَةِ

مَا هَذَا الْقِصَّةُ، يَا عَمْدُ؟<sup>١</sup>  
أَرْجَالُ يَرَأْسِهِمْ وَلِدُ؟  
لَمْ يَنْظُرْ قَبْلَكُمْ أَحَدٌ  
أُسْدًا تَتَصِيدُهَا فَارَهُ!

وَجِبَالًا تَسْحَبُهَا نَمْلُهُ  
وَبِحَارًا تُخْزِنُ فِي سَلَّةِ  
مِثْلًا أَصْبَحَتْ فِي الْحِلَّةِ<sup>٢</sup>  
يَتَنَاقَلُهُ أَهْلُ الْحَارَةِ

أَيُّهَا جَمُّ كَاهِنِكُمْ نَذْلُ؟  
وَيَسْبُ أَدْيَبِكُمْ فَسَلُ؟<sup>٣</sup>  
أَجْمُودُ فَيَكُمُّ أَمْ جَهْلُ؟  
أَمْ تَكُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ؟

---

(١) التَّبُّ الْهَلَاكُ وَالْحِسْرَانُ (تَبَّتْ يَدَاهُ)

يا قـومـي، دعوهُ لا واه  
يوم الهـيـجاء ولا لاه  
بالخالق، بل بابن الله  
لا تؤنّوا الله وأنصـاره

تبّ الشيطان وتبّاعة  
والشر ونفس تبّاعة  
شجر ماعون زراعه  
من منكم يعشق أثماره

بل غرس ياكل غارسه  
ولباس يجرح لابسـه  
ولهيب يحرق قابسـه  
ومزار يهـتـك زواره

إن تغسل بالوحد الثوبا  
يزدّد إثماً، تزدّد عيباً  
إن تخضب بالليل الشّيبا  
لا تخف الـليل وأقمـاره

من يطلب من غير نصرا  
كالطفئ بالزيت الجمرأ  
من يحضنّ يا قومي، الهـرأ  
لا يجنّني الا أقـذاره

---

(١) سماء مبرار تنر بالمطر

(٢) المناطق الآهلة بالناس

يا قومي، خلوا الأغراضا  
يا قومي، صُونُوا الأعراضا  
وتوقُّوا ذاك العَضاضا  
من قبل يُحْمَلَكُم غارُهُ

أو ما فيكم ذو إحساسٍ  
ينهاهُ عن شتمِ الناسِ؟  
أنسيتم عام الإفلاسِ؟  
فنقصُ عايكم أخباره

ونقيمُ الميَّت من لحدهُ  
ونسلُّ الصَّارم من غِمدِهِ  
إن عاد البحرُ إلى مدِّهِ  
لا يمسِكُ شيءٌ تبيَّارَهُ

ونسيرُها صحفاً صُحفاً  
تحكي المِدرارُ<sup>١</sup> إذا وكفا  
إن نرَم الطُّود بها رجفاً  
أو حصننا دكَّت أسواره

فتزور المنزل والقصرِ  
وترُودُ الأهل<sup>٢</sup> والقفِّرا  
ويطالعُها سطرّاً سطرّاً  
من ليس يُطالعُ أسطاره

ويـرددها أهلُ الأدبِ

ويغنيها أهلُ الطربِ  
وتدارُ بها بنتُ العنبِ  
ويحيي الجارُ بها جاره

عندي أسرارٌ لو تُنشرُ  
لتمنّى صاحبكم يُقبرُ  
كحديثِ الفِسطانِ الأحمر!!  
فليحذرْ ذاك الدوّارَ

مما دامتْ دارُك من خَشَبِ  
لا تقذفْ غيرك بالهَبِ  
إن هِجَتِ السَّيْثَ بلا سَبَبِ  
لم يَأْمَنْ جِسْمُكَ أَظْفَارَ

\*\*\*\*

---

(١) القدمُ العبيّ الثقيل

(٢) المفْعول اللسان



## ١٩ - يا هذا!

[المتدارك]

خُذْهَا أَبْيَاتاً مشهورةً  
كصُراخِ النفسِ المقهورة  
ودموعِ البكرِ المذعورة  
قد حمّلتها الجاني عارةً

يا هذا الضاربُ في الأرضِ  
في غيرِ مُفيدٍ أو فرضٍ  
كم يُغضي الشعبُ ولا تُغضي  
إلا لتَحاربِ أحمرارةً

أَيُفَرِّقُ مَالُ الإحسانِ  
مابينِ فلانٍ وفلانٍ؟  
من قَدَّمَ مَيِّتَ الوجودِ  
أو غرَّ يَجْهَلُ مقداره<sup>١</sup>

أو أحْمَقُ من ذي الخُفَّيْنِ  
شَرِيرِ المَقْولِ<sup>٢</sup> والعَيْنِ  
لا يَعْرِفُ إلا شَخْصَيْنِ:  
دَلالَ الشرِّ وسمسارَ

---

(١) يبدو أن القصيدة تدور حول مشروع مريب يقوم على جمع أموال الإحسان، وصرفها في إحياء أرض قفراء،

إِنْ تَقْبِلْ هَذَا شَوَارِبُهُ  
أَوْ تَدِيرْ هَذَا حَوَاجِبُهُ  
وَأَدَارْ عَالِيكَ عَقَارِبُهُ  
وَأَهْلَانِ اللَّهَ وَمَخْتَارَهُ

أَدِمَاءُ قُلُوبِ الْعَمَّالِ  
مَا بَيْنَ نِسَاءٍ وَرَجَالِ  
تُعْطَى الْغَيْبِي بَطَّالِ  
مَا فَارَقَ بَابَ الْخَمَّارَةِ؟

عَجِبُ، بَلْ أَعْجَبُ مَنْ عَجِبِ  
أَنْ يَحْمِلَ شَيْخُ عَقْلٍ صَبِي  
وَجَهْلُ يُفْخِرُ بِالذَّهَبِ  
فَخَرَّ الْأَعْمَى بِالنَّظَّارَةِ

مَا هَذَا شَأْنُ الزَّهَّادِ  
مَا هَذَا شَأْنُ الْعُبَّادِ  
أَضْحَكَتِ الرِّائِحُ وَالْغَادِي  
وَالْجَارُ وَأَبْنَاءُ الْجَارِ

لِلَّهِ، فَوَادُّكَ مَا أَقْسَا  
نَنْسِيَاكَ وَتَأْبَى أَنْ نَنْسَى  
أَرَدَدَ لِلْأَرْمَالَةِ الْفَأْسَا  
وَاتْرَكَ لِلْعَامِلِ دِينَارَهُ

فَالشَّعْبُ أَحَقُّ بِأَمْوَالِهِ

من ذاك الفقير ومن اله  
ومن السلطان وعمّاله  
وذئاب التُّرك الغدّارة

أولى بالمال المجموع  
عندي من ذاك المشرّوع  
شعبٌ في الشرق، من الجوع  
قد أوشك يأكُل أطماره

يا قومي، أرواح البشر  
أولى بالعطف من الحجر  
فسلوا الطوَّاف، أخا السفر  
أن يرفع عنكم أوزاره

يكفيكم بذلُ الآلاف  
يكفيكم حملُ الأضياف  
من كل بغيضٍ أو جافٍ  
لا يعرف محتاجُ داره

ذاك الممدوم إذا وجّدا  
لا يحيا الشعب إذا فقدا  
أنبيعُ الوالد والولدا

---

(١) البيت من قصيدة لابن زُرَيْق البغدادي (من أصحاب الواحدة) ت ٤٢٠ هـ

(٢) أرض هبّعة واسعة ومبسوطة

(٣) المقول اللسان

(٤) الرّبع الدار، وجمعها ربوع وأربع

(٥) أضالعه الأولى أي بما يخفي صدره (أضالعه الثانية) تضلّع من الطعام ملاً أضالعه به، وهو ما يعنيه في هذه الفقرة ما يأكل مما أخذ من الناس

(٦) حيالة القانص أداة قنصه والعافي طالب المعروف، وجمعه العفاة

كي نُحيي القفر وأشجاره؟

\*\*\*\*

## ٢٠ - ماذا تقول؟

[البسيط]

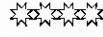
كأنما هو في حلٍّ ومُرتحلٍ  
موكَّلٌ بفضاءِ الله يذرعه<sup>١</sup>  
تخاله في فجاج الأرض مضطرباً  
في قبضة الريح تلويه وتدفعه  
كأنه الزنبق الرجراج منفلت  
أو مهيع الزنبق الرجراج مهيعه<sup>٢</sup>  
فما يمرّ بشخصٍ لا يسانئه  
ولا يمرّ ببابٍ ليس يقرعه  
ولا يحرك غير المال مقوله  
ولا يحرك إلا الشر أصبعه<sup>٣</sup>  
لا يسأل الناس عذراً عن لجاجته  
كأن أربع هذا الخلق أربعه<sup>٤</sup>  
ليس البلاء بما يخفي أضالعه  
لكنه في الذي تخفي أضالعه<sup>٥</sup>

(١) أقض المضجع خشن ونبا (الفعل يتعدى ويلزم)

(٢) القطة طائر كالحمام وجمعه القطا

(٣) الداحية الأرض المبسوطة

لو يقنصُ البدرَ أمسى في حبالته  
لكن حمأه من العافي ترفعه<sup>٦</sup>  
إني لأغبط شخصاً ليس يعرفه  
ولا أهـنـى إلا من يـودعه



يا جامع المالِ الاقأ مؤلفه  
لنـ . ولا وارثُ المالـ . تجمعه؟  
هل أنت طابخه يوماً فكله؟  
أم أنت جاعله في الماء تجرعه؟  
أردد على العامل المسكين فضته  
فقد أقصر على المسكين مضجعه<sup>(١)</sup>  
لا ينفع المرء ما جادت به يده  
حتى يكون محتاج تبصره  
أليس في الأرض غير القفر تعشفه؟  
وغير صوت القطا<sup>٢</sup> في القفر تسمعه؟  
أما ترى الشيخ كاد الحزن يقتله؟  
أما ترى الطفل كاد الجو يصصره؟  
حتام تمسك شيئاً لست صاحبه  
وصاحب الشيء ما ينفك يتبعه؟  
أولى بما بذل الجائون أهلهم  
فكم تضيئ بما جادوا وتمنعه  
ما البر أن تبتنى داراً بداحية  
لا يبصر المرء فيها من يشيعه<sup>٣</sup>  
وانما هو اطعام لذي سغب  
الماء حلواً على العطشان موقعه

فَجُدَّ عَلَيْهِ بِمَا جُدْنَا عَلَيْكَ بِهِ  
يَجْزِيكَ خَيْرًا وَيَرْضَى عَنْكَ مَبْدَعَهُ  
لَا تَجْعَلِ الْمَالَ فَوْقَ الدِّينِ مَرْتَبَةً  
لِلْمَالِ مَوْضِعَهُ، وَالدِّينِ مَوْضِعَهُ  
أَوْدَعْتَ مَا أُودِعَ الْمَمْلُوكُ فِي يَدِهِ  
فَكُنْ أَمِينًا عَلَى مَا أَنْتَ مُودَعُهُ  
دِعِ التَّصَنُّعَ فِيمَا أَنْتَ قَائِلُهُ  
فَرُبَّمَا فَضَحَ الْجَانِي تَصَنُّعَهُ  
إِنْ كَانَ غَرَّكَ ثَوْبٌ أَنْتَ لَا بَسَّهَ  
فَانْظُرْ إِلَيْكَ مَلِيًّا حِينَ تَخْلَعُهُ  
لَا تَنْصُرِ الْبَغْيَ إِنْ اللَّهَ يَكْرَهُهُ  
جَهَنَّمَ مَرَّتَ الْبَاغِي وَمُضْجَعُهُ  
مَاذَا تَقُولُ إِذَا جِئْتَ إِلَهَ غَدًا  
وخبَّرَ النَّاسَ عَمَّا كُنْتَ تَصْنَعُهُ؟

\*\*\*\*\*

- 
- (١) اختار جورج صيدح من هذا النص المقطعين الأخيرين في (تير وتراب)، بعد أن أغفل الأبيات الثلاثة الأخيرة من المقطع الأخير، ووضع لهما عنواناً غير عنوان هذا النص (إليك عني) انظر النص رقم ٢٨ في (تير وتراب) ولم نعمل المقطعين هنا حتى تكتمل صورة النص كما أرادها أبو ماضي، ويتنظم السياق فيه
- (٢) النميقة الكتاب (نمق الكتاب ينمقه كُتِبَ وحسَّه وجوَّده)
- (٣) نار إبراهيم الحليل (عليه السلام) التي هي برد وسلام
- (٤) سقر جهنم
- (٥) دياركم (الرُّبْع الدار)

---

(١) إشارة إلى المثل المعروف أصبح أثراً بعد عين

## ٢١ - إلى شكري أبي صالح<sup>١</sup>

[الكامل]

وردتْ نَمِيقَتُكَ الْجَمِيلَةَ وَالصُّورَ  
فَلَكَ الثَّنَاءُ مِنَ الْبَصِيرَةِ وَالْبَصَرَ<sup>٢</sup>  
وَعَلَيْكَ مِنِّي أَلْفُ تَحِيَّةٍ  
وَعَلَى الْأَحْبَةِ فِي الْإِقَامَةِ وَالسُّفَرِ  
إِنْ تَحْمِلُوا مِنْ شَوْقِكُمْ وَحَنِينِكُمْ  
نَارَ الْخَلِيلِ<sup>٣</sup>، فَإِنْ فِي قَلْبِي سَقَرٌ<sup>٤</sup>  
مَا لَاحَ بَرَقٌ أَوْ تَرْنَمٌ طَانَرٌ  
إِلَّا ذَكَرْتُكُمْ، وَمِثْلِي مِنْ ذَكَرِ  
فَسَلُّوا الدُّجَى عَنِّي إِذَا رَقَ الدُّجَى  
عِنْدَ الدُّجَى، عَنِّي وَعَنْ وَجْدِي خَبَرِ  
وَسَلُّوا السَّمَاءَ وَمَا بِهَا مِنْ أَنْجَمٍ  
وَسَلُّوا الْغَمَانِمَ وَالنَّسَانِمَ، وَالشَّجَرِ  
وَسَلُّوا الْحَمَانِمَ حِينَ تَشْدُو فِي الضَّحَى  
فَأَنَا الَّذِي عَامَّتْهَا تِلْكَ السُّورُ  
أَشْتَاقُكُمْ، وَأَحَبُّ مَنْ يَشْتَاقُكُمْ  
وَأَحَبُّ أَرْبُعَكُمْ<sup>٥</sup> وَمَنْ فِيهَا اسْتَقَرَّ  
تَالِلُهُ لَمْ يَشْغَلْ فَوَادِي شَاغِلُ

---

(١) وتر القوس

(٢) الحمد الحسناء

(٣) استحر الطائر غرد بسحر، يعني الدعوة إلى النهوض

(٤) من يحملون الكشكول ويسألون الناس والنور (في الأصل) جيل من الناس، دأبهم الترحال، لهم لعة خاصة، ويعيشون على الكدية والسرقة



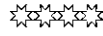
عنكم ولكن عاقني صرفُ القدرِ  
لولا الحوادثُ ما قعدتُ عن الأقا  
ورضيتُ، بعد العين منكم، بالأثر<sup>١</sup>  
شكري! وقد عبثتُ بنا أيدي النوى  
صبراً فإن الله يجزي من صبر  
يُغنيك صوتُ العود عن جِسِّ الوترِ  
فاعذرْ أخاك فإنَّ مثلك من عذر  
❖❖❖❖❖

كم تستثير بي الصَّبابة والهوى  
عني اليك، فإن قلبي من حجر  
ما لي وللحسناء أغري مُهجتي  
بوصالها والشَّيبُ قد وخط الشَّعر  
في الشَّيب متَّعظ وفيه مزدجرٌ  
وبما مضى عظه وفي الآتي عبر  
كم بـ الجزيرة لو يُتاح لي الهوى  
من عادة تحكي بطلعتها القمر  
مثل الغزال إذا رنا، مثل القضي  
عب إذا انتنى، مثل الصباح إذا سَفَر  
وب سنسناتي من مسارح للمها  
من صنعة الرحمن لا صنع البشر  
ولكم بها من جدول وحديقة  
تُنسيك هاتيك الخمانل والنهر  
فيها اللواتي إن رمتَ ألحاظها

---

(١) زملهُ لهُ في ثوبه في الكلام إشارة إلى الآية الكريمة: يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ

شَلَّتْ يَدَ الرَامِي، وَقَطَّعَتِ الْوَتَرَ<sup>١</sup>  
قَدْ كَانَ لِي فِي كُلِّ خَوْدٍ مَطْمَعٌ  
وَلِكُلِّ رَائِعَةٍ الْمَحَاسِنِ بِي وَطَرٍ<sup>٢</sup>  
أَيَّامَ شَعْرِي كَالدَّجَى مُحَلُولِكُ  
أَيَّامَ عَيْشِي لَا يَخَالِطُهُ كَدَرُ



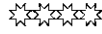
ذَرْنِي وَأَشْجَانِي وَجَسْمِي وَالضَّنَى  
وَيَدِي وَأَقْلَامِي وَطَرْفِي وَالسَّهْرَ  
أَبَيْتُ الْهُوَ وَالْهَمُّومُ تُحِيطُ بِي؟  
وَأَنَامَ عَنْ قَوْمِي وَقَوْمِي فِي خَطَرٍ؟  
صَوْتُ الْمَصْفُوقِ مَوْعِدُ مَا بَيْنَنَا  
مَاذَا أَقُولُ لَهُمْ إِذَا الدَّيْكَ اسْتَحَرَّ؟<sup>٣</sup>  
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ثَلَاثَةً  
لَتُزْفَنَ يَدِي كَشَاكِيلِ النُّورِ  
مَنْ كُلِّ أَحْمَقٍ بَيْنَنَا مَتَجَوَّلٍ  
إِنْ غَابَ غَابَ الْهَمُّ أَوْ يَحْضُرُ حَاضِرُ  
لَا أَنْثَنِي، لَا أَنْثَنِي، لَا أَنْثَنِي،  
حَتَّى يَفُوزَ الْعَامِلُونَ عَلَى الْبَقَرِ



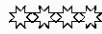
## ٢٢ - و...و

[البسيط]

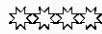
وزاهدٍ همةً في المدح يسمعه  
من كل من همة أن يخلق الكذبا  
يُعلم الناس ألا يعبدوا أحداً  
إلا الإله، ويمسي يعبد الذهبا  
وأن يجوبوا بما تحوي خزانهم  
ولا يحدودُ بدينارٍ لمن نُكبا  
ضيفٌ يتيه على المُثري وصاحبه  
كما يتيه على المغلوب من غلبا  
ذنبُ المُقلِّ لديه غيرُ مغتفرٍ  
ومكثُر البذل يقضي بعض ما وجبا!  
كأنه دائنٌ طال المطالُ به  
كأنه يهب الإنسان ما وهبا  
يا ذا المزمِّل إن الدين والنشبا  
ضدان ما اتفقا يوماً ولا اصطحبا  
إن كنت من يبتغي الدنيا ويطلبها  
فارغب عن الدين واطرح ذلك اللُقبا  
احفظ لنفسك بين الناس حُرمتها  
من يكسب الذمَّ في مالٍ فما كسبا  
لا تنفخ النار، لا تدفع سيواك لها  
إني لأشفق أن تغدو لها حطباً



ما إن رأيتُ كقومي في سَمَاحَتِهِمْ  
كالغيثِ يسقون حتى الموضع الخربا  
لو كان للذنب أن يغشى منازلَهُمْ  
ما عاد إلا وفي فكيه ما طابا  
ضعفُ يسميه من يُمنى به: كرماً  
كما يسمى الخُمار المُحتسي طربا  
هذا الذي أوجد الكسلان بينهم  
وأوجد اللهو للكسلان واللعبا



وجاهل يدعي علماً ومعرفة  
شرُّ البليات غرُ يدعي الأدبا  
إذا يساقُ إليه العُرف نكُره  
وان رأى الخفض في أحواله نصبا  
من الأعارب إلا أن منطقتَهُ  
مما يبغض فيه العجم و العربا  
أمسى يُشبهه من يحكي بسيرته  
يهودا ، بالذي من أجلنا صلبا  
لو كان يعرف رأي العارفين به  
لراح يُنكر ما أُملي وما كُتبنا



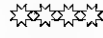
وسافل في حضيض الأرض ملتصق  
يحوك من أعظم الموتى له نسبنا

(١) هو الحدس الظن والتخمين (٢) العلس أول ظلمة الليل

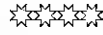
(٣) العالم بالأمور، الحاذق بالطب (ومثله نطيس ونطاسي)

(٤) العلس امتلاء مستحسن في باطن الشفة، لامتلانها بالدم

في كل يوم له دينٌ يُدِلُّ به  
ساء المُتاجرُ بالأديان مُنْقَلَباً



وأبْلَه سائرُ مع كلِّ ذي أربٍ  
سَيَّر الدُّلُول، ولا تدري له أرباً  
لم يضحكِ الناسُ لو أمسى له ذنبٌ  
لذاك لم يخلقِ المولى له ذنباً!



قد أكثر الدهرُ في عيني عجائبه  
حتى غداً عجباً ألا أرى عجيباً  
من عاشر الناس لم يأمن دسانسهم  
فاختر لنفسك من غير الوري صحباً



---

(١) عجز البيت من قصيدة ابن سينا (العينية) المعروفة ساقه في تحية ضيف نيويورك راعي الطائفة الأرثوذكسية في كندا، الذي تولى حفلة (التعميد)  
(٢) نزع اشتاق (نزوعاً)  
(٣) الشهاب الثاقب المضيء

## ٢٣ - ما كان أحوجني

[البسيط]

ما كان أحوجني يوماً إلى لقب  
يقاتلُ الشكَّ عني في نويِ الحُدسِ<sup>١</sup>  
وطيَّاسانِ بهِ نقشٌ وزرْكشةٌ  
وصولجانِ كرمحِ الفارسِ الشُّكسِ  
إنَّ لصدَّقني من لا يصدَّقني  
ولو جعلتُ الضحى جزءاً من الغلسِ<sup>٢</sup>  
وودَّ من كنتُ قبلَ اليومِ خادماً  
لو أنه خادمي، أو أنه فرسي  
فإنَّ مشيتُ رأيتُ الغيدَ شاخصةً  
ومن هنا وهناك الناسُ كالحرَسِ  
وإن تكلمتُ قالوا: ليس ذا بشراً  
وانما هو وحي الروحِ ذي القُدسِ  
فهان عندهم بذلُ النفانسِ لي  
إن كان في بذلها إدراكُ ملتمسي  
وأيدوا كلَّ مشروعٍ يؤيِّدني  
فيهم، وإن كان مشروعاً بلا أُسسِ  
وبات لثمٌ يدي في عُرْفِ بعضِهِم  
أشفي له من دواءِ العالمِ النُّطسِ<sup>٣</sup>  
يحنو فيملؤها تمرأً، وظاهرها  
لثماً، كتقبيل ذي وجدٍ لذي لغسٍ<sup>٤</sup>  
وقد يكون كلامي بالياً خلقاً  
لا روح فيه، وكفِّي كفُّ مختلسِ  
لو كان ذلك لي، أو كنتُ صاحبه  
ما احتجتُ يوماً إلى سيفٍ ولا تُرسِ

(١) اللوى منقطع الرمل وادِ بعينه يتردد ذكره في الشعر القديم

## ٢٥ - النكبة في سوريا

[السريع]

لله ما أحلى، وما أجمل  
أن تنصر المسكين ذات الحلى<sup>١</sup> !  
إن التي تقتل أجفانها  
أبت على البانس أن يُقتل<sup>٢</sup>  
فأقبلت تبذل أموالها  
وتسأل المُمثري أن يبذل  
في الله مسعاهما واحسانها  
فهكذا الغيد والافلا

\*\*\*\*

---

(١) و الحلي وجمعه الحُلِّيّ والأبيات في الشاء على السيدات السوريات اللواتي خرجن إلى شوارع نيويورك لجمع الإعانات لإغاثة الجائعين المنكوبين بالوباء في سورية  
(٢) أجفانها يريد العيون

## ٢٦ - انقريا دَفَّ على الطَّارَة

[المقدّارَك]

قد عاد النُّقْرُ على الطَّارَة  
والشَّاعِرُ حَرَّكَ أوتارَه<sup>١</sup>  
لِيُعِينِ الحَقُّ وأنصَارَه  
الأخذُ مالَ المحتاجِ

يا سيِّدنا ربُّ التَّاجِ  
ما أحلى الحَقُّ وأنصَارَه !  
لا تَلْعَبْ بَيْنَ الأمواجِ  
وتوقُّ البَحْرَ وتيَارَه

أو ليستَ نفسُ المسكينِ  
أولى بالمالِ من العِينِ؟<sup>٢</sup>  
أو ليستَ قِامِدَةُ الدِّينِ  
أن يعطيَ نُو النُّعْمِ جارَه ؟

إن كنتَ حَقِيقاً تُرْكِيّاً  
فبِرِّكَ صرِّحْ رَسْمِيّاً

---

(١) كان المهجريون يتناشدونها وأمثالها في سهراتهم

(٢) يريد الحسنات واسعات الأعين (عناء)



أَذِيعِ المَكْتُومِ المَخْفِيَّ  
وَأَنْزَحِ عَنِ وَجْهِكَ أَسْتَارَهُ

لَوْ يَلْقَى صَخْرٌ مَا تَلْقَى  
مِنْ وَخْزِ يَرَاعٍ لَأَنْشَقَا  
لَا تَغْضِبْ إِنْ قَانَا الْحَقَّ  
وَذَمَمْنَا الْجَهْلَ وَأَضْرَارَهُ

إِنْ كَانَتْ وَخْزَاتُ الدَّاعِي  
لَمْ تُدَمِّ جِلْدَ الطَّمَّاعِ  
فَتَنَكَّبْ، يَا هَذَا الرَّاعِي  
نَارَ الْحِدَادِ وَمِسْمَارَهُ

\*\*\*\*

---

(١) الذي هو القاتل نفسه (الشاعر)

## ٢٧ - توديع أمين الريحاني<sup>١</sup>

[الكامل]

كم ذا يلومُ على الهوى المُتشدِّقُ  
غيرُ الغرامِ يجوزُ فيه المنطقُ  
والى متى يُلحى الحبُّ على الهوى  
وأحقُّ باللومِ الذي لا يعشق ؟  
يا صاحبي! هو ذا الغرامُ، مريضُهُ  
لا يُرتجى، وأسيرُهُ لا يُعتقُ  
لي مهجةٌ تأبى الرضوخَ لأمرٍ  
رضختُ له، وهو المليك المطلق  
ضحك الألى جهلوا الغرامَ وبطشه  
لمَّا رأوني في دموعي أغرق  
ماذا على اللاحين ؟ لا أجفانُهم  
سكُرى، ولا أحشاؤهم تتمزقُ  
ما شارك العشاق في الأهم  
إلا عليمٌ بالهوى أو شيق  
يهوى أخو البلوى أخا البلوى، كما  
يهوى الوريق<sup>٢</sup> من الغصون المورق  
إنَّ عنفَ الخالي الشَّجيَّ فربما  
لام الذكيُّ على الذكاء الأحمق

(١) في مناسبة سفره إلى فرنسا (١٩١٦)

(٢) العصفور الوريق الأخضر المكتسي بالورق وأورق الشجر يورق اكتسى بالورق





هذا الذي ان قيل ذا رجل النُّهى  
 لا يزدهي عَجَباً ولا يتفیهق<sup>١</sup>  
 دلّ العيون عليه صدقُ مقالهِ  
 ولكم يدلّ على النفوس المنطق  
 ما زال يستنّدي الأكفُ لذي الطوى  
 حتى لكاد بنفسه يتصدّق<sup>٢</sup>  
 هو زهرةٌ يحيي النفوس أريجها  
 هو كوكبٌ أنواره لا تُمحق  
 شتم المقصر عنه كلُّ مبرّرٍ  
 لما راه غبارهُ لا يُألحق  
 لم يدّر أن البدر يُعرفُ في الدجى  
 والعود يظهرُ طيبهُ إذ يحرق  
 يا صاحبي! وأخو الغلاء مُحسّدٌ  
 ولأنت أعرفُ بالأمور وأصدق  
 ما من يكرّس للبلاد يراعه  
 مثلُ الذي يبرّاه يستترزق  
 سامحٌ عِداتك واغتفر زلاتهم  
 فالصفح أجدرُ بالكریم وأخلق  
 ما أنت أولُ عبقريّ نابغ  
 كاد الطُغامُ له ففان وأخفقوا  
 ❦  
 يا قاصد البلد البعيد، ترفّقاً  
 ما دام هذا الدهر لا ترفّق

(١) المتكبر، المتوسع في الكلام  
 (٢) استندى الأكف استعطاها (الندى الكرم والعطاء)

إِنْ كَانَ بَعْضُ الْوَدِّ يُخْلَقُهُ <sup>(١)</sup> النَّوَى  
 وَيَبْنِيهِ <sup>(٢)</sup> ، فَوَدَّ أَنْ لَا يَخْلُقَ  
 فَإِذَا رَأَيْتَ الْبَحْرَ يَعْلُو مَوْجَهُ  
 فَأَعْلَمَ بِأَنْ دُمُوعَنَا تَتَدَفَّقُ  
 وَإِذَا رَأَيْتَ النَّجْمَ يَنْظُرُ سَاهِيًا  
 فَأَعْلَمَ بِأَنْ فِي النُّجُومِ نُحْدَقُ  
 وَإِذَا سَمِعْتَ الطَّيْرَ تَهْتَفُ فِي الضُّحَى  
 فَأَعْلَمَ بِأَنْ قُلُوبَنَا تَتَشَوَّقُ  
 إِنَّا سَنَحْفَظُكَ أَمِينٍ وَلَاءَهُ  
 مَهْمَا أَثَارَ الْمَفْسُودِ وَأَقْلَقُوا  
 وَإِذَا الْجَسُومُ عَنِ الْجَسُومِ تَفَرَّقَتْ  
 فَانْفُوسُ أَهْلِ الْوَدِّ لَا تَتَفَرَّقُ

\*\*\*\*\*

---

(١) يُبْلِيهِ (خُلِقَ الثَّوبُ يَخْلُقُ بَلِي )

(٢) يَقْطَعُهُ ( الْبَيْتُ الْقَطْعُ )

## ٢٨ - إكليل توفيق خوري

[الكامل] و[الوافر]

قد قال ندرا واصفاً ميماسكم  
فأثار بي شوقاً إلى الميماس<sup>١</sup>  
ما كنتُ حمصياً، ولكني فتى  
في سرِّ حمص الآن أشربُ كاسي<sup>٢</sup>  
~~~~~  
أيا ابن مدينة العاصي<sup>٣</sup> الجميلة  
تهانئ شاعرٍ يهوى الفضيلة  
وألفاظُ تنمُّ على وفاءٍ  
واخلاصٍ وإن كانت قليلة  
جعلتُ إلى محبتكم دليلي:  
فؤادي، والهوى الصافي دليله  
ملكتمْ مُهْجتي لا بالعوالي  
ولكنْ بالسُّجَّياتِ النبيلة<sup>٤</sup>  
متى أروي من العاصي غليلي؟  
ويروي كل حمصي غليله؟  
فإني مثلكم أهوى رُبَّها  
كما أهوى نسانمها العلية

(١) الميماس من متزهات حمص المعروفة

(٢) ارتجل البيتين في بيت صاحب الإكليل في التعقيب على قصيدة ألقاها نذرة حداد (وهو في حمص) زميل أبي

ماضي في (الرابعة القلمية) والأبيات بعدها ألقيت في الحفلة نفسها

(٣) الخطاب لتوفيق خوري نفسه (في النص السابق)

فلا يفخرَ على حمصٍ قبيلُ  
بمحتدِه<sup>(١)</sup>، فواحدُكم قبيلةُ  
نفوسٍ رجالُكم فيها شبابُ  
وفي شُبَّانكم حزمُ الكُهولة  
لنا ولكِ المسرةُ والتَّهاني  
فقد عاشتْ أمانينا القتيلة  
وأعطِ القوسَ بارئها بيومٍ  
قطفتْ أحبَّ أزهارِ الخميِّلة  
بقيتْ مع النُّبِيهةِ في صفاءٍ  
ترفُّ عليكِما النِّعمُ الجزيِّلة<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

---

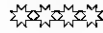
(١) المحتد الأصل  
(٢) النُّبِيهة اسم العروس



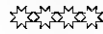
## ٢٩ - حاملات الطيب<sup>١</sup>

[الرمل]

حاملاتُ الطيب تشدو طرباً  
بإِيقاكنَّ، يا كرامَ  
وتُحيي حَبْرنا المنتخبا  
من له أسمى مقام  
فانشُري عطرك، يا رِيح الصَّبَا  
وتغنَّ، يا حمامَ  
فلقد نلنا المُنَى والأربا  
وظفرنا بالمِرام



نحمدُ اللهَ العزيزَ المننَ  
من نفى عنا الكُربَ  
وحبانا بعد طول الزمنِ  
بالرئيسَ المنتخب  
ذي المعالي، صاحبَ القَدْرِ السُّني  
خير راعٍ، خير أبٍ  
عزَّ فيه الدين بعد الوهنِ  
وعلا صرحُ الأدبِ



---

(١) نشيد أنشده أعضاء ( جمعية حاملات الطيب ) في الحفلة التي أقامها تكريماً لأسقف (بروكلن)

وَلَنَحْيَ بَعْدَ ذَاكَ الْعِلْمَا  
عِلْمَ الْعَدْلِ الْجَمِيلِ  
عِلْمًا فِي ظِلِّهِ الْحَقُّ سَمَا  
فَهُوَ الْحَقُّ كَفِيلِ  
رَافَقَتْ فِيهِ الْخَطُوطُ الْأَنْجَمَا<sup>١</sup>  
وَلَهُ ظِلٌّ ظِلُّ الْبَيْلِ  
فَلْتَعِشْ أَمِيرِيكَ خَيْرَ حِمَى  
أَلْفَ جِيلٍ بَعْدَ جِيلِ

\*\*\*\*\*

---

(١) علم أمريكا

### ٣٠ - ولقد ذكرتكَ

[الكامل]

ولقد ذكرتكَ، يا بلادي، بعدما  
ذهب الشُّبابُ، ومَرَّتِ الأعوامُ  
فتمثلتُ تلكَ الربوعُ لناظري  
خرباً<sup>١</sup>، عليها وحشةٌ وظلام  
ورأيت قومي ساقطينَ على التُّرى  
جثثاً تلوح كأنها أصنام  
يمشي عليها الظالمونَ بخيالهم  
وينال منها الذنبُ والضَّرغامُ  
بالأمس كانوا والطُيورُ طعامهم  
واليوم هم للكاسراتِ طعام  
وهنا، نرى إخوانهم، أجفانهم  
مفتوحة، لكنهم نَوَام  
لاهمين عنهم بالجدال كما لها  
بَبَوات<sup>٢</sup> رومة قبلُ، والأروام  
فبكيتُ، ثم بكيتُ، من فرطِ الأسى  
يا ليت شعري، هل بكى اللَمَامُ؟<sup>٣</sup>  
لم يبك، بل أرخى العنانَ لصوته  
يشدو ويرقصُ حوله الأَقزامُ  
غنى، وفي تلك البلاد مناحةٌ  
فعلى الجمادِ تحيةٌ وسلام

\*\*\*\*\*

(١) الحربة موضع الحراب، والجمع خرب

(٢) باباوات، وخطفت لسلامة الوزن

### ٣١ - تنصير ابن حنا نحاس

[الوافر]

تكاثرت الكواكب والأهله  
لذلك غابت الشمس المطة  
كواكب لا يلم بها خسوف  
ولا تخفي أشعتها الأكله<sup>(١)</sup>  
أراني بين إخوان وصحب  
بهم ينسى غريب الأهل أهله  
أتينا اليوم نفرح مع صديق  
جعلنا في جوانحنا محله  
يرجى في الحياة كل حر  
لنصر فضيلة ولدفع عنه  
وحبر<sup>(٢)</sup> هام فيه عارفوه  
ولم ينكر عليه الضد فضله  
به وبمثله في كل ناد  
نفاخر كل طائفة وميله  
فما ضر الذي عملت يدا  
على تفريقنا لو كان مثله  
أيامولى القلوب، بلا نزاع  
وأكرم نازل في ذي المحله

(١) يبدو أرادها جمعاً (للأكليل) أو (للكتة) بمعنى الستر، وجمعهما في المعاجم (أكاليل) و(كلل)

(٢) أسقف (بروكلن) جنوبي (نيويورك) الذي تولى عملية التعميد

لقد خافت عليك سماءُ أزلن  
فحَاكَتْ من غمائمِها مِظْلَهُ  
و حَنَّا عَمَدَ الفادي قديماً<sup>١</sup>  
وأنت اليوم قد عمّدت نجله

\*\*\*\*

---

(١) أفاد أبو ماضي من اسم أبي الطفل المعمّد (حنّا) فذكر معه النبي يحيى (يوحنا) الذي عمّد المسيح (الفادي) في مياه الأردنّ

## ٣٢ - جمعية الصليب الأحمر السورية<sup>(١)</sup>

[الكامل]

إِنَّ الصُّلَيْبَ وَكَانَ الَّةَ نِقْمَةٍ  
أَمْسَى شِعَارَ الْخَيْرِ وَالتَّهْذِيبِ  
لَا تَعْجَبُوا مِمَّا بِهِ مِنْ حُمْرَةٍ  
هَذَا - وَحَقِّكُمْ - دُمُ الْمَصْلُوبِ  
لَا يَدْعُ أَنْ ظَهَرَتْ عَجَانِبُهُ لَنَا  
فَلَكُمْ أَتَى بِعَجِيبَةٍ وَعَجِيبِ  
هَذَا لَوَاءٌ<sup>٢</sup> ضَامِنٌ كَشَفَ الْأَذَى  
عَنْ قَلْبِ كُلِّ مَعَذَّبٍ مِنْ كُوبِ  
لَمَّا شَهِدْتُ، كَمَا شَهِدْتُمْ، صُنْعَهُ  
طَرِبَ الْفَوَادُ وَكَانَ غَيْرَ طَرُوبِ  
إِنِّي أَحْيِي النَّاهِضَاتِ إِلَى الْعُلَا  
بِاسْمِ الْجُنُودِ، وَبِاسْمِ كُلِّ أَدِيبِ  
هِنَّ الْكَوَاكِبُ فِي الشَّرُوقِ، وَإِنَّمَا  
هِيَ هَاتِ يُوْذِنُ نَوْرُهَا بِمَغِيبِ  
لَوْ كُلُّ فَاضِلَةٍ تَخَاطَبُ قَوْمَهَا  
قَالَتْ لِكُلِّ لَبِيبَةٍ وَلَبِيبِ:  
أَبْنَاءُ سُورِيَا، أَحْمِلُوا صُلْبَانَكُمْ  
لِخَيْرٍ، إِنِّي قَدْ حَمَلْتُ صُلَيْبِي !

\*\*\*\*\*

---

(١) أُلْقَاهَا فِي حَفْلَةٍ أَقَامَتْهَا جَمْعِيَّةُ الصُّلَيْبِ الْأَحْمَرِ السُّورِيَّةِ (١٩١١) وَجُعِلَ رِبْعُهَا لِإِعَانَةِ الْجُنُودِ الْأَمْرِيكِيِّينَ  
وَالسُّورِيِّينَ

(٢) يَقْصِدُ الرَّايَةَ

### ٣٣ - توديع نعمة تادرس<sup>١</sup>

[الكامل]

زمنُ الربيعِ مضى وكنْتُ أحبُّهُ  
فجَلستُ بعدَ ذهابِهِ أبْكِيهِ  
والْيَوْمَ يَهْجُرُنِي حَبِيبُ آخِرُ  
فكَأَن مَافِي الْقَلْبِ لَا يَكْفِيهِ  
اِثْنَانِ مَا لِلشَّعْرِ بَعْدَ نَوَاهُمَا  
مَعْنَى يَلُوحُ لَهُ فَيَسْتَهْوِيهِ  
فَصَلُّ الرِّبِيعِ لِأَنَّهُ الْفَصْلُ الَّذِي  
يَجِدُ الْفَتَى كُلَّ الْإِذَاذَةِ فِيهِ  
وَأَخُ يَسُوقُ الْعُرْفَ<sup>٢</sup> نَحْوَ صَدِيقِهِ  
عَفْوًا، وَلَا يُوْذِي الَّذِي يُوْذِيهِ  
وَإِذَا يَلُودُ بِهِ امْرُؤٌ فِي نَكْبَةٍ  
فَكَأَنَّمَا هُوَ لَا تَذُبُّ بِأَخِيهِ  
هَذَا الَّذِي تَأْسَى الْقُلُوبُ لِبُعْدِهِ  
عَنْهَا، وَتَصِحُّبُهُ لِكِي تَحْمِيهِ  
مَا لِلْكِنَايَةِ وَالْإِشَارَةِ مَوْضِعُ  
يَا صَاحِبِي أَنْتَ الَّذِي أَعْنِيهِ  
شَاءَ الَّذِي خَلَقَ السُّمَّاحَ وَأَهْلَهُ  
فَبِرَاكٍ كِي تَعْلُو وَكِي تُعَالِيهِ

(١) تاجر السجاد الشرقي في (نيويورك) الذي أهداه أبو ماضي ديوانه الثاني (سماه الجزء الثاني) وطبعه في

نيويورك ١٩١٩ (وهو الذي تبرع لأبي ماضي بتكاليفه)

(٢) المعروف بالجلود والإحسان والنصفة وحسن الصحبة

فإذا يجود نُوو النُّضار<sup>١</sup> ببعضه  
 جادت يداك بكل ما تحويه  
 لك في القلوب مكانه لو أنها  
 كانت لغيرك هز عطف<sup>٢</sup> التيه  
 كل يودع فيك صاحبه الذي  
 بنفسه وبمنفسه يفديه  
 سيحبك البحر الذي تجتازه  
 ويحبك البر الذي تطويه  
 ويحبك البلد الذي تختاره  
 إن كنت أو ما كنت من أهليه  
 كل المواطن الكريم بلاده  
 والناس منه كأهم كنويه  
 سافر ترافقك السلامة ولتعد  
 باليمن والإقبال والتنويه  
 لكن بربك لي اليك وصيه  
 ليست بأمر، لا، ولا تنبيه  
 هي إن تزر وطناً نقدر ذكره  
 ونجله ونصونه ونقيه  
 فانظر بأعيننا البلاد وأهلها  
 ليرى بك الوطن القديم بنيه

\*\*\*\*

---

(١) النضار الذهب الحالص

(٢) أحد الجانبين، عن يمين وشمال



### ٣٤- دار رشيد أيوب<sup>(١)</sup>

[السريع]

كيف تركت الدار، يا صاحبي  
مفتوحة الباب لمن يطرق؟  
أليس في هذا الحمى سارق؟  
أليس في بيتك ما يُسرق؟  
أم علم القوم على جهالهم  
أنك ذاك الشاعر المفلق؟<sup>(٢)</sup>  
جميلة دارك، يا سيدي  
ودربها، والشجر المورق  
لكنها عمياء صماء لا  
عين ولا سمع ولا منطق  
جئت إليها املا شيقاً  
وعدت منها وأنا أشوق!

\*\*\*\*

---

(١) زار الشاعر داره في ميلفورد (بنسلفانيا) فلم يجد فيها أحداً، ووجد الأبواب مفتحة (١٩٢١)

(٢) شاعر مفلق مجيد، بجي، بالأعاجيب

### ٣٥ - رثاء المطران أثناسيوس عطا الله<sup>١</sup>

[مجزوء الكامل]

زُرْتُ الحديقةَ في الضُّحَى لأرى الغصونَ المورقةَ  
فإذا الطيورُ صوامتُ، وإذا الأزهارُ مُطرقةَ

وإذا النسيمُ له أنينٌ كالجريحِ أو الطعنينِ  
ويلاه من ذاك السكوتِ، وإه من هذا الأنينِ

ماذا أصاب الأقحوان، فإنه لا يبسمُ  
ماذا دها طير الأراكمة؟ فهو لا يترنمُ؛

أي المصائب بالرياض؟ فقل لي: نضب الغديرُ؛  
فالطيرُ والأزهارُ حائرةٌ تفكر في المصيرُ

فعرفتُ أني في الحديقة حاضراً في مآتمِ  
وشعرتُ أن الحزنَ يسرُبُ<sup>٢</sup> في عروقي مع دمي

الجنةُ الغناء، يا أبناء حمص، أنتمُ  
أما الغديرُ فإنه هذا الفقيدُ الأعظمُ

أثناسيوس، علمتنا ووعظتنا حياً وميتاً  
أشرقت إشراق الصباح، ومثلما يمضي مضيتنا

---

(١) مطران حمص

(٢) سرب مضى وذهب

اللَّهُ بَارَكَ حِمَصَ حِينَ سَكَنْتَ فِي أَرْجَائِهَا  
وَدِيَانَهُ قَدْ كُنْتَ فِي دَنِيَاكَ مِنْ رُؤْسَانِهَا

كَمْ مَهْمَةٌ<sup>١</sup> لِّلْيَاسِ كُنْتَ بِهِ دَلِيلَ التَّائِهِيْنَا  
كَمْ حَوْمَةٌ لِّلْبُؤْسِ كُنْتَ بِهَا مُقِيلَ<sup>٢</sup> الْعَاثِرِيْنَا

قَدْ كُنْتَ مَصْبَاحاً إِلَهِيّاً يَضِيءُ لِكُلِّ سَارٍ  
وَقَدْ انْطَفَأَتْ فَكُنَّا لِحَزْنٍ يَعْتُرُ فِي النَّهَارِ

عَلِمْتَنَا أَنَّ التَّنَسُّكَ لَيْسَ فِي سَكْنَى السَّبَّاسِ<sup>٣</sup>  
بَلْ فِي مَقَارِعَةِ الْخُطُوبِ، وَفِي مَصَارِعَةِ التَّجَارِبِ

لَيْسَ الْفَضِيلَةُ وَالتَّقَى أَلَا يَضُرُّ الْمَرْءَ غَيْرُهُ  
وَيَصُونُ مِنْهُ نَفْسَهُ، بَلْ أَنْ يَسْوَاقَ إِلَيْهِ خَيْرُهُ

خَالَفَتْ كُلَّ النَّاسِكِينَ، مِنَ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ  
خُضَّتِ الْمَعَاثِرُ، عِنْدَمَا خَافُوا التَّعَرُّضَ لِلْمَعَاثِرِ

قَدْ كَانَ نُسْكُكَ جَرَأَةً عَظْمَى وَنُسْكُكُمْ فَرَاراً  
يَا وَيْحَهُمْ لَمْ يَنْفَعُوا فِي نُسْكِهِمْ حَتَّى الْقِفَارَا

---

(١) المهمة المفازة البعيدة

(٢) أقاله من عشرته أقامه منها

(٣) السَّبَّاسُ الأرض القفر البعيدة

(٤) العثرة الزلّة والمعثر حيث يعثر المرء

قد كنت تزهد بالجواهر وهي أكوامٌ لديكا  
وتُسَرُّ إذ تسعى إلى المسكين أو يسعى اليكا

ما أحقر التَّيجان عندي، إن ذكرتْكَ، والأرائكُ  
إن الملوَّك من الأنعام، وأنت من جنس المملانك

شادوا على الجثث العروش وشِدَّتْ عرشك في النفوسُ  
فمضت عروشُهم، وعرشك خالد مثل الشُّموسُ

له كيف حواك لحدُّ، أيها البحرُ الكبيرُ  
له كيف خبا سناؤك، أيها القبسُ المُنيرُ

قد كنت كُلك، أيها الراعي الأمين، لكُأنا  
أثناسيوس، نم هانئاً فلكم سهرت لأجانا

\*\*\*\*

## ٣٦ - جمعية الاتحاد السوري<sup>١</sup>

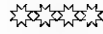
[البسيط]

ما طائرُ كان في قفَرٍ على ظمأٍ  
فساقهٌ قدرُ نحو البساتين  
فاعتاض من لفحات القيظِ وارفةً  
ممدودة الظلِ خضراء الأفانين  
وبات تُنشده فيها بلائها  
حيناً ويُنشدها بعض الأحيين  
منِّي بأسعد نفساً مذ نزلتُ بكم  
يا معشر السادة الغر الميامين  
فإن رُوحِي لتمشي من عواطفكم  
مغمورة بالأقاحي والرياحين  
ومقاتي تمشي، من وجوهكم،  
في أنجم تتجلى لي فتهديني  
أرنو فيُشرق في نفسي جمالكم  
كالوحي في خاطرٍ بالوحي مفتون  
إن المروءة لو شادت أريكتها  
كانت قوائمها شمَّ العرانيين<sup>٢</sup>  
ترقُّ أخلاقكم كالخمر أونه  
وتارة تمزجون البأس باللين

---

(١) ألفت في الحفلة التي أقامتها الجمعية لتكريمه (١٩٢٥) بصفته رئيسها السابق اختار منها جورج صيدح ثلاثة عشر بيتاً في الديوان الذي أصدره من شعر الشاعر (تبروتراپ) النص ٥٧

ومن يجربكم في الحالتين يجد  
لطف الملائك أو حرّم الأساطين<sup>(١)</sup>  
بكم أصول على الأيام ثائرة  
خطوبها، وأباهي من يباهيني  
لأنتم الماء لي والنفس ظامئة  
وحبكم قمرى في ليل كانون  
أحببتكم حب إنسان لإخوته  
إذ ليس بينكم فوقى ولا لوني  
إن كان فيكم ضعيف لا يحاذرني  
أو كان فيكم قوي لا يُقاويني  
ولا أداجي لأمر منكم أحداً  
ولا أرى أحداً منكم يداجيني<sup>(٢)</sup>  
نحلتهموني فضلاً لستُ صاحبه  
ولم يكن قط في ظني وتخميني  
لكن رأيتم خيلاً من فضائلكم  
فخيلتم أنه خُلقي وتكويني  
والشمس إن نظرت في الماء صورتها  
رأت هنالك شمساً ذات تلوين



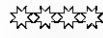
قلّ لامرئٍ مثل قارون بثروته:  
إني امرؤٌ بصحابي فوق قارون<sup>(٣)</sup>  
من يصطنع صاحباً تبقى مودته  
فهو الغنيُّ به لا ذو الملايين

(١) الأساطين السواري، المفرد أسطوانة، وهي السارية

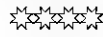
(٢) المداجاة المدارة

(٣) من وزراء الفراغة يُضرب به المثل في العنى والغرور، وإليه تنسب البحيرة في الفيوم

فاختر صِحابك وانظر في اختيارهم  
إلى الغرائز قبل اللون والدين



المرء في هذه الدنيا عواطفه  
إن تدرس فهو بيت غير مسكون  
وإن عاطفته هذي مظاهرها  
من عالم الروح لا من عالم الطين  
لوفاتني كل ما في الأرض من ذهب  
ولم تفتني فإني غير مغبون



لو القوافي تواتيني شكرتكم  
كما أريد، ولكن لا تواتيني  
فاستنطقوا القلب أو جسّوه يخبركم<sup>(١)</sup>  
فالحب والقلب مكنون بمكنون  
وفي زواياه شعراً لا وزن له  
ورب شعري جميل غير موزون  
إني سأحمد يا صبي صنيعكم  
حمداً إلى الدهر لا حمداً إلى حين



---

(١) وقعت جواباً للطلب، ولكنه ساقها على هذا النحو، حفاظاً على الوزن

## ٣٧ - نشيد يوسف بك كرم<sup>١</sup>

[البسيط]

يا من هزمت العدا في كل مُعْتَرِكِ  
في مهجتي جيشُ حزنٍ غيرٍ منهزمٍ  
لَقُوكَ بالعلمِ القاني، وما علموا  
أن التُّقَى والنُّهَى والمجد في العلم  
وغيبوا البطل الصنديد في جدثٍ  
وأودعوا في التُّرى طوداً من الشُّمم  
لا يوسفُ أخريحي مَرايَنا  
مضى الردى بالشجاع الطاهر الشَّيم  
ولا فوارس حول الأرز رابضة  
كالأسد في الغاب، كالعقبان<sup>٢</sup> في القمم  
لبنانٌ بعدك في ليلٍ بلا قمرٍ  
وأرزُ لبنان في جوٍّ من الألم  
لله عهدك من عهدٍ نَقْدَسُهُ  
وتسبَّطَ الذُّبَّه الأرواحُ في الحُلُم  
لم يبق غيرُ خيالاتٍ تطوفُ بنا  
فيا نفوسُ إذا مرَّتْ بكِ ابتسيمي  
يا راقداً في ضريحٍ كلُّه شرفُ

---

(١) زعيم لبناني تزعم حركة تمرد مسلحة ضد الوالي العثماني دُفن في (امدن) حيث ولد، بعد أن نفى إلى فرنسا (١٨٢٣ - ١٨٨٩) ابتاعها أحد الموسيقيين (اسكندر المعلوف) ولحنها وسجلها على اسطوانة صارت تباع في الأسواق

(٢) العُقاب من جوارح الطير (أنثى) وجمعها عقبان



قام الأسودُ إلى أسيافهم، فقم  
يا صاحب السيف، كاد السيفُ يهلكنا  
يا ليث لبنان! عاث الذنبُ بالغنم  
أشرف بروحك من أوج السناء على  
سهول لبنان والغابات والأكم<sup>١</sup>  
يدعوك للجود لبنان وأرزته  
يا ابن الأكارم، هذي ساعة الكرم

\*\*\*\*

---

(١) الأكمة التلّ، وجمعها أكم وأكام

### ٣٨ - إلى ندره حداد<sup>١</sup>

[مجزوء الكامل]

إنَّ العيون وطالما أودعت شعرك سحرها  
حملت عليك فأدركتك، وأدركت بك ثأرها  
قد كنت تخشى أسرها، فغدت تحمد أسرها  
وإذا الفتى عرف الهوى، عرف الحياة وسرها  
فأحببها تسقيه حازر<sup>٢</sup> خلها أو خمها  
وإذا رأى أشواكها أغضى ليلمح زهرها  
ويظل يرجو فجرها، والليل يطمس فجرها



قدر الفتى في حبه، فارفع لنفسك قدرها  
ندره، صبرت على زمانك طائعا لا مكرها  
الغيد حولك كالنجوم، وأنت تؤثر هجرها  
ولك الشباب وكل ما خدع النفوس وغرها  
لا النفس زاهدة، ولست كمن تكلف قهرها  
لكن شغلت بغادة أخذت قريضك خدرها  
ما زلت تنعتها وتجهل مثل غيرك أمرها  
حتى جفت قصر الخيال، وصار قلبك قصرها  
فاشكر لدهرك جوده واحمد لنفسك صبرها  
ونعمت ما وأمنت ما مد الحياة وجزرها



(١) أرسلها إلى زميله في (الرابطة القلمية) يهنئه فيها بخطبته عام ١٩٢٥ وتلا القصيدة التي بعدها (النصر ٢٩) في حفل زواجه

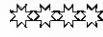
(٢) الحزر من اللين فوق الحامض

### ٣٩ - في عرس ندره حداد

[مجزوء الخفيف]

شاعرُ كان حائراً  
أذهب الحبُّ حيرته  
طائرُ كان تائهاً  
وجد الآن جنَّته  
صولته الحُسن والهوى  
تسلَّب المرء صولته  
إن ندره الذي بغى  
أن يُعاصي مشيئته  
أسلم اليوم قلبه  
بيديه ومهجته  
لم يكن زاهداً ولا  
جاهلاً قطُّ قوته  
فلكم هدقاعة  
قبالما هدقوته  
بل لأمرٍ مقدرٍ  
أخّر الدهرُ قُرعته  
يا أسيراً كأنه  
أسرُّ نال بُغيته  
ليس بالعاشقِ امرؤ  
خاف في الحبِّ محنته

إنما الحبُّ ضلّالةٌ  
لو عرفنا حقيقته  
أنت يا صاحِ بلبلُ  
يعشقُ الكلَّ نفحاته  
جددتَ دولةَ الهوى  
بك للشعرِ دولته  
دمت في العيشِ صاحِ لا  
يُخلقُ¹ الدهرُ جدته



نصيبُ الحبِّ فُخّه  
وهو يدري قنيصته  
وكمما صاد ندره  
سوف يصطادُ إخوته  
فجواداً و ثريّاً  
و خالياً وزمّـرته  
وغداً، وهو ممّـقّبـلُ،  
يعلقُ الكلَّ عُلقته!



---

(١) أخلق الدهر جدته أبلاها (خلق الشيء بلي)

## ٤٠ - كذا الإله خلقه<sup>١</sup>

[مجزوء الرجز]

إلى متى تُضِلُّكُمْ  
يا قومُ تلك الورقة؟  
الأم يستجِّه لكم  
أجهل من هينئقة؟<sup>٢</sup>  
أراقكم من طئقة؟  
وقد عرفتم من طئقه  
أم صوَّته؟ وصوَّته  
أحسن منه النقَّنة  
أم وجهه؟ ولورا  
ه القرد طاح الخلقه  
هو الذي طاف عاي  
كم يستدر الصدقه  
فما تراءى شبح  
منكم إلا لـحقه  
وما أصاب مؤصداً  
في الحي الا طئرقه

---

(١) (جريدة مرآة العرب ٩ / ١ / ١٩٢٦) ردَّ بها على أبيات ظهرت في جريدة (الهدى) أواخر سنة ١٩٢٥ وأوائل سنة ١٩٢٦ وعارضها أسعد رستم في أربعين بيتاً (جريدة الهدى ١٥ / ١ / ١٩٢٦) بعنوان: هل يستحق المشنقة؟ وهو عجز بيت كان أبو ماضي أتى به في أبيات من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ ونقل منها هنا ( على عادته أحياناً ) جملة أبيات ( انظر النص رقم ٨ اليهودي الثاني)  
(٢) يُضرب به المثل في الحمق

وما رأى مائدة  
إلا أموال عُذَّقه  
أعجبه سَمَنُكُمْ  
فصار مثل العاقه  
يَمْتَصُّ أموالكم  
مصرُ الهجير الزُّنْبَقه  
يملاً من جيوبكم  
جيوبه المُمْخِرُقه  
في كل يوم يبتغي  
ضريبة أو نفقه  
كانكم بعولهُ  
كانه مَطْأُقه  
بل كما أحسُّ بال  
إملاق أبدي ماقه  
فصور البحر لكم  
وهو أجاج مرقه  
وصور الأرض على أد  
تساعها كالْبُنْدُقه  
إن تستحووا لا يستحي  
كذا الإله خالقُه!

\*\*\*\*

## ٤١ - النار أشد أكل<sup>١</sup>

[الطويل]

ويا ربّ عاوي ظنّ أن عواءه  
يقيه - ولكن ما وقاه - غواني  
يصيح، وفرط الخوف يرجف روحه،  
صياح صغار الطير خوف الأجل<sup>٢</sup>  
ويبكي ولم تضغط على عنقه يدي  
فكيف إذا فارت عليه مراجلي؟  
جهول، وبعض الجهل يهلك أهله  
غبي رأينا فيه صورة باقل<sup>٣</sup>  
نصحتك ألا تجعل النصل مركباً  
فإن المنايا في ركوب المناصل  
واني نار ليس يخبو سعيها  
فلا تصطلي، فالنار أشد أكل

\*\*\*\*

---

(١) ردّ بها على مقالة ظهرت في جريدة (الهدى) بعنوان (النسناس القول)

(٢) الأجل الصقر

(٣) يضرب به المثل في العباء، في تراثنا

## ٤٢ - إلى النابح العاوي<sup>١</sup>

[البسيط]

يا أيها النابحُ العاوي بلا سببٍ  
أما لِنَفْسِكَ نو ودّ فينّهاها؟  
إن كان غرّك أن الحِلْمُ شيمتنا  
فربما خالفتَ نفسُ سجاياها  
نحن النجومُ التي تهدي أشعُّها  
من ضلٍّ، بل نحن أسماها وأسناها  
لكننا نغتدي إن ثار ثائرنّا  
نيزاكاً تتقي الدنيا شظاياها  
ما حدّثتنا بغيرِ الجدِ أنفسنا  
ولم نشأ غايَةً إلا بلغناها  
هل يزعجُ الشُّهبُ نَبَّاحُ بلا نبي؟  
وهل يعوقُ في الأفلاكِ مسّراها؟  
إذا سكّتنا فإنّ الليثَ يأنفُ من  
قتلِ البعوضةِ مهما طال قرّناها  
إذا نظرنا إلى الجِعْلانِ<sup>٢</sup> سارحةً  
ولم نطأها فإنّا قد حقّرناها  
وفي الحقائقِ ذاتِ الزهرِ مشغلةً  
عن رؤيةِ الجُعْلِ يمشي في زواياها

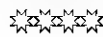
(١) كتبها ردّاً على قصائد نشرها أسعد رستم ونشرتها جريدة (الهدى) ١٩٢٦، وعارضها هذا بعد نشرها، بقصيدة أخرى جعل عنوانها (هاها، الدورلي)  
(٢) المفرد جُعْل من بويبات الأرض



فيا غيباً على جهل يطاولنا  
ورطت نفسك فانظر كيف عبقباها  
من أنت ؟ هل أنت ذو قدر فنخفضه  
أو حرمة تتأذى إن هتكناها ؟  
ما أنت إلا الهباء المستطار، فهل  
نفري الهباء بأسياق حملناها ؟  
❖❖❖❖❖

يا كلب سوق ويا خنزير مربلة  
يا جيفة ما تحامى الناس إلاها  
على الدروب كلاب ما لها عدد  
لاشك أنك أعداها وأعواها  
وانما الناس في أمر قد اختلفوا:  
هل أنت أسعدُها أم أنت أشقاهها ؟  
إن السَّفالة لو تأوي إلى سكن  
كالخَلْق، لم يك إلا أنت متواها  
أعياك أن ترتقي حتى ترى بشراً  
فصيرت كالتيس نطاحاً وتياها  
خبئ قرونك، واحذر أن تنيه بها  
فكم قرون كهذي قد حطمنها  
في الأخطبوط الذي صاحبتَه عظه  
لو كنت تفهم معناها ومعزاها  
كم مرة قرئت منا كتائبه  
فلم تكن لحظة حتى هزمنها  
فارتدَّ يعول من يأس ومن ألم  
عويل جارية قد مات مولاها

أَلَمْ تَكُنْ كَقُرُونِ الْوَعْلِ، شَانِكُهُ  
 قُرُونُهُ السُّودُ كُبَّرَاهَا وَصَغَّرَاهَا ؟  
 الْيَوْمَ لَيْسَ لَهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ  
 نَحْنُ الَّذِينَ بَأَيْدِينَا كَسَرْنَاهَا  
 إِنْ يَسْتَعِزُّ بِكَ فَالْغَرْقَانُ لَوْ نَظَرْتُ  
 عَيْنَاهُ فِي الْبُرِّ سَعْلَةً<sup>١</sup> لَنَادَاهَا  
 وَإِنْ تَكُنْ نَفْسُهُ فِي الْجِسْمِ بَاقِيَةً  
 فَإِنَّمَا خُبِّثَهَا فِي الْجِسْمِ أَبْقَاهَا  
 فَمَا نَجَتْ بُومَةٌ يَوْمًا بِقُوَّتِهَا  
 وَإِنَّمَا قُبِّحَهَا الْمَشْهُورُ نَجَّاهَا  
 نَفْسُ لَوْ انْتَشَرَتْ يَوْمًا نَقَانِصُهَا  
 لَعَمَّتْ الْأَرْضُ أَدْنَاهَا وَأَقْصَاهَا  
 نَفْسُ يَشْكُ الْوَرَى فِي اللَّهِ إِنْ زَعَمُوا  
 أَنْ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ سَوَّاهَا  
 فَإِنَّ عَزْرِيْلَ يَخْشَى أَنْ تَدْنِسَهُ  
 وَالْأَرْضُ إِنْ أَصْبَحَتْ فِي الْأَرْضِ مِثْلَهَا  
 مَا ضَرَمَ مَنْ وَصِمَتْ بِالْعَارِ جِبْهَتُهُ  
 لَوْ أَنَّهُ بِسِوَى الْأَوْحَالِ غَطَّاهَا  
 أَتَيْتُهُ بَعْدَمَا شَأَلْتُ نِعَامَتَهُ  
 وَغَيَّبَ الْبِرُّ يُمْنَاهَا وَيُسْرَاهَا<sup>٢</sup>  
 فَكَانَ مِثْلَ الَّذِي مَاتَتْ كِرَامَتُهُ  
 وَكَنْتُ مِثْلَ الَّذِي قَدْ جَاءَ يَنْعَاهَا



(١) السَّعْلَةُ الْعَوْلُ (وَالْجَمْعُ السَّعَالِي)

(٢) شَأَلَتْ نِعَامَتَهُ كِتَابَةً عَنِ التَّفَرُّقِ وَزَوَالِ النِّعْمَةِ، أَوْ الْعِيَابِ وَالْمَوْتِ

يا نذل! والنذل إنسان بلا شَمِّ  
ما سيم من خِطَّةٍ إلا ويرضاها  
زعمت خطفَ الظِّباءِ الغيدِ عادتنا  
هل أخبرتكَ بأننا قد خطفناها؟  
بالله يا نجل ...<sup>١</sup> معذرة  
إذا ذكرنا لِباناتٍ قضيناها  
كنا نسينا، ولكن ما برحت بنا  
حتى ذكرنا التي كنا نسيناها  
فاغفرْ خطيئتنا، نغفرْ خطيئتها  
واستغفرِ الله كي نستغفر الله  
❖❖❖❖❖

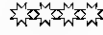
وربُّ طاهرةٍ في البيتِ أمانة  
جشمتها خطَّةً شنعاءَ تباها  
حسبتها كالتي ساءتِ خلانقُها  
بل كدت تحسبها يا وغدُ إياها  
دنوت للورد في الخدين تقطِفُهُ  
فراح يرتعُ في خديكَ نعلها!  
❖❖❖❖❖

سلِّ السُّجونِ التي جاورتها زمناً  
كم ليلةٍ بتَ مَلَقَى في زواياها  
وفي قفاكَ نعالُ الجُنْدِ راقصةٌ  
كأنما هو نأديها ومأهاها  
شدُّوا عليك، وقد خالوا نعالهم  
تُدْمي قفاكَ فذاها وأدماها!

---

(١) ينبغي أن يكون ذكر أمه على صفةٍ لا تليق

فانظرْ قَدْ ذَاكَ<sup>(١)</sup> فِي الْمِرَاةِ أَنْ بَه  
أَثَارَهَا وَكَثِيرًا مِنْ بَقَايَاهَا !  
إِنْ كَانَ هَاجَ بَكَ الشُّوقُ الْقَدِيمُ لَهَا  
فَعِنْدَنَا أَلْفُ نَعْلٍ قَدْ حَفَظْنَاهَا



مَا تُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَيْبٍ نَزِيدُكَ  
أَنْتِ الْمَعَانِبُ أَوْلَاهَا وَأُخْرَاهَا  
وَمَا هَجُونَاكَ يَا لَاشَيْءٍ نَعْرِفُهُ  
بِذِي الْقَوَافِي، وَلَكِنَّا هَجُونَاهَا !



---

(١) جماع مؤخر الرأس

## ٤٣ - دعه ينبج

[الخفيف]

قد سكّنا عن اللئيم طويلاً  
حين كان السكونُ أولى وأصلحَ  
وصفحنا عن ذنبه وعفونا  
عفوحرٍّ، والحرُّ يعفو ويصفح  
وحسبنا هيرعوي، فتماذى  
وظننا هينتهي، فتنطّح  
فصفعناه صفعةً بات منها  
يتلوى، وتارةً يترجّح<sup>١</sup>  
قلّ لمن سبّه اللئيمُ كهذا:  
شبّ بل شاب وهو في اللوم يسبح  
عرف الكلب أنه الكلب لنا  
س ودعه من بعد ذلك ينبج!

\*\*\*\*

---

(١) يتأفل (رجح - يرجح ثقل)

## ٤٤ - خطبة ميشيل حداد

[مجزوء الكامل]

إنَّ الحِياةَ خَمِيلَةً والعاشقين زهورها  
الحُبُّ في أكبادنا خفقانُها وشُعورُها  
والحُبُّ في زهر الرُّبَا ألوانُها وعبيرُها  
هو في الجداول شتوُها، هو في الكواكب نورُها  
من حبِّ كان له الحِياةُ سرُّها وسرورُها  
ونفوسُ أبناءِ الغرامِ إلى الخلود مصيرُها  
فاشربْ على ذكرى الهوى كأساً هواك مديرها  
ميشالُ، مملكةُ الشبابِ اليوم أنت أميرُها  
زارتْكَ مثلُ الشَّمسِ في زمن الربيع سَفورُها  
حسناءُ كالطَّيِّبِ الغريرِ دلالُها ونُفُورُها  
قد طاب خُلُقُك واستوى وصفُها، ورقَّ ضميرُها  
ولها الجمالُ وعرشُها . ولك المُنَى وقُصورُها  
فرحتْ لحبِّكُما السَّما ونجومُها وبُدُورُها

\*\*\*\*\*

## ٤٥ - الجدول الطروب

[مجزوء الكامل]

من علم الإنشاد هذا الراقص المتبختر؟  
إني اهتديت به إليه، وكان سرّاً مضمراً  
يجري طروباً وهو لا يدري لماذا قد جرى  
الدوح حانيه عليه تخاف أن يتكدراً  
ويأذ للأزهار أن ترنؤ إليه وتنظراً  
ولقد سمعت الطائر تدعوه الحبيب الأكبر  
فوقفت أرمقه وأسأل حائراً مستفسراً  
ما حُبُّ الأطياف والأشجار فيه يا ترى؟  
أحصاه؟ إن البحر يحوي في حشاه جوهراً  
أم مأوّه؟ إني رأيت السيل منه أغزراً  
أو طهره؟ إني وجدت الطل منه أطهر  
ما السر في هذي ولا في كونه يسقي الثرى  
بل كونه يسدي الجميل ويستحي أن يظهر

\*\*\*\*

## ٤٦ - صوت بلادي<sup>١</sup>

[الكامل]

ما الروضُ وشَّاهُ الربيعُ بزهره  
وكسا ثراهُ مَفُوفُ الأبرادِ<sup>٢</sup>  
عندي بأجمل منكم في ناظري  
وأحبُّ من أرواحكم لفؤادي  
أبصرتكم فرأيتُ صورة أمّتي  
وسمعتكم فسمعتُ صوت بلادي  
لبنانُ زودَ بالطموحِ نفوسكم  
لما رحلتم في طلاب الزادِ<sup>٣</sup>  
وحنَّتكم سوريَّةُ بجمالها  
وجمالها فوق الجمال العادي  
فأنا أحيي في كهولكم النُّهى  
والطُّهر والأحلام في الأولادِ<sup>٤</sup>  
والحُسن في فتياتكم، والعزم في  
فتيانكم، ومروءة الأجداد  
الناسُ عندي كالشهور، وانكم  
في الناس كالأحادي والأعياد  
فإذا سكَّتْ فكي أناجيكم وان  
أنشدَ فليس لغيركم انشادي

\*\*\*\*

(١) استهل بها خطبة القاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في تولينو أوهايو (١٩٢٦)

(٢) الفوف الزهر والأبراد جمع البرد

(٣) يقصد طلب العيش

(٤) النُّهى العقل، لأنه ينهى وجمعها النُّهى



## ٤٧ - يا ليتني...<sup>١</sup>

[السريع]

إذا أطلَّ البدرُ من خِدره  
فإنما يطلُّعُ كي تنظريه  
وإن شدا البابلُ في وكره  
فإنما يشدو لكي تسمعيه  
وإن يَفُحَّ عطرُ زهور الربا  
فإنما يعبقُ كي تنشقيه  
يا ليتني البدرُ الذي تنظرين!  
يا ليتني الطيرُ الذي تسمعين!  
يا ليتني العطرُ الذي تنشقين!  
أواه لو تصدَّق يا ليتني!

\*\*\*\*

---

(١) نشر في ملحق الجداول (دار اليقظة) بعنوان (عروس الجمال)

## ٤٨ - الزمهرير<sup>١</sup> في نيسان

[الخفيف]

رجع الزمهريرُ أمسَ إلينا  
ورجعنا نشكو من الزمهريرِ  
جاء نيسانُ كالح الأفق، عاري الـ  
أرض، حيران كاليتيم الفقير  
أو كمأك داس الغزاة حماءً  
فهو في حيرة وفي تفكير  
أو فتاة مفجوعة بحبيب  
مات في وجهها ضياء السُرور  
إيه نيسانُ قد أتيت، ولكن  
بمحيًا أفك<sup>٢</sup> وحالة زور  
لا دليل على وجودك يا شه  
ر الأقاحي سوى غناء الطيور  
ليت شعري ماذا هناك فلم  
تُخرج لنا الزهر من وراء الستور؟  
نحن لولا الحسابُ خلناك لم تو  
لد، وأن الشهور غير الشهور!

\*\*\*\*

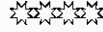
---

(١) شدة البرد

## ٤٩. النجمة الهاوية<sup>(١)</sup>

[مخلع البسيط]

هذا هو المنزل الأخير  
إلى هنا ينتهي المسير  
وينطوي الخوف والترجي  
وينقضي الحزن والسرور  
ما كان أحلى الحياة لولم  
يكن إلى الحفرة المصير  
كم من عصور مضت وغابت  
فيها ولم تشبع القبور

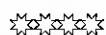


مررت بالزهور ذابلات  
كأنما مسها السَّعِيرُ  
فقلت: ماذا عراك حتى  
فارقك الزهو، يا زهور؟  
فلم تجاوبني الأقاحي  
وانما جاوب الغدير  
فقال: سلمى مضت، وكانت  
زنبقة ما لها نظير  
فغاض نهر وجف روض  
وغاب نجم وأندك سُّور

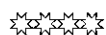
---

(١) في رثاء (سلمى ملوك)، قرية (عزيز عطية) وتليت في مدفنها في نيويورك (١٩٤٠)

يا وحشة الدار بعد سلمى  
 فقد خبا بدرها المنير  
 سلمى التي صمتها وقار  
 وفي أحاديثها عبير  
 فليس في مشيها اختيال  
 وليس في نطقها غرور  
 كم بانسٍ لاذ في جماها  
 وكم رجا رفدها فقير  
 أليس جوراً من الـيـالي  
 أن تحتوي اللؤلؤ القبور؟



يا قبر سلمى ، ما أنت قبر  
 بل عالم نيّر طهور  
 ففـيك مثل الـريـاض عطر  
 وفـيك مثل السـماء نور  
 حـويت دنـيا نُـبل وفضـل  
 يا أيّها الحـيـز الصـغير  
 لم أر من قبـلها ثـريـاً  
 شـعاعـة في الثـرى تخـور<sup>١</sup>  
 وقـبل إخوانها نسـوراً  
 تـبـكي، أجـل قد بـكى النـسـور



(١) خار يخور صاح يريد هنا أرسلت نورها

عزیز؄ یا ضعیفاً<sup>(۱)</sup> جریحاً  
وطائراً جنحاً کسیر  
الدمع فی مقلاتیہ یطغی  
والحزن فی صدره یغور  
الخطبُ یا صاحبی کبیر  
وأنت یا صاحبی کبیر  
فکن صبوراً علی الرزایا  
فإنما یؤجر الصبور

\*\*\*\*\*

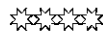
---

(۱) الضیع الأسد

## ٥٠ - رثاء رشيد أيوب

[الرمل]

نام لَمَّا تَعِبْتَ أَجْفَانُهُ  
وَإِذَا مَا تَعَبَ الْإِنْسَانُ نَامَ  
خَرَجَ الشَّاعِرُ مِنْ دُنْيَا الْأَسَى  
مَثَلَمَا يَنْسَلُ نُورٌ مِنْ قَتَامٍ  
وَمَضَى عَنَّا إِلَى مَوَاطِنِهِ  
وَطَنُ الشَّاعِرِ أَمْنٌ وَسَلَامٌ  
لَا تَقْلُ: هَذَا الَّذِي كَانَ أَنْطَوَى  
مَا أَنْطَوَى، يَا صَاحِبِي، إِلَّا الرُّغَامُ<sup>(١)</sup>  
سَأَلُوا الْجَدُولَ عَنْ أَلْحَانِهِ  
فَهِيَ فِي الْجَدُولِ وَجَدٌ وَهَيَامٌ  
وَسَأَلُوا الْأَزْهَارَ عَنْ أَحْلَامِهِ  
فَهِيَ فِي الزَّهْرِ أَرْيَجٌ وَابْتِسَامٌ  
وَسَأَلُوا صِبْيَانًا<sup>(٢)</sup> عَنْ شَاعِرِهِ  
إِنَّهُ فِيهِ جَلالٌ وَاحْتِسَامٌ  
هُوَ فِي قِمَمَتِهِ عَزَّتْهَا  
وَهُوَ فِي الْوَادِي اتَّضَاعٌ وَاحْتِشَامٌ  
لَمْ يَزَلْ مَا بَيْنَنَا أَسْطُورَةٌ  
يَتَلَقَّاها كَرَامٌ عَنْ كَرَامٍ



(١) الرُّغَامُ التراب

(٢) الجبل في المثلث الشمالي من لبنان والمرثي من قرية (بسكتا) في سفحه وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية)

أيها الشاعِرُ لا تخشِ الأذى  
 لستَ بعدَ اليومِ جاراً لأنام<sup>١</sup>  
 جهلوا قيمةَ أرواحهم  
 فغدا الجوهرُ عبداً للحطام  
 لا هناءَ لنفوسٍ صُورَت  
 من سناءٍ<sup>٢</sup> معَ نفوسٍ من ظلام  
 أعتقتُ روحك من أغلالها  
 وأناشيدك من أسرِ الكلام  
 أنت بعدَ اليومِ لا يشكو الطوى  
 جسمك العاني، ولا تخشِ السقام<sup>٣</sup>  
 أنت في الدنيا التي أحببتَها  
 وهي دنيا الحُرِّ فيها لا يُضام  
 ليس فيها قيمٌ زائفةٌ  
 تخدعُ العقلَ وأمالَ جهام<sup>٤</sup>  
 ليس فيها كالتّي فارقتَها،  
 أعينٌ يقظى وأرواحٌ نيام  
 رويتَ نفسُك من كوثرها  
 وبقينا لعناءٍ وأوام<sup>٥</sup>  
 نمُ هنيئاً، إن أحلى غبطةٍ  
 - مثلما تعرفُ - رؤيا في منام!

\*\*\*\*\*

---

(١) لم تعد جاراً لأحد من الناس  
 (٢) السناء، الرفعة، وأرادها للنور (السنا)  
 (٣) السقام المرض والعاني المتعب  
 (٤) الجهام السحاب الذي لا ماء فيه  
 (٥) الأوام العطش ونوار في الرأس

## ٥١ - إنه الشاعر¹

عندما أنشأ الوجود الله  
في زمانٍ في الدهر ما أقصاه  
وبدت في النّبات والماء والأحيا  
ء والصخر يقظة وانتباه  
فأطلت من السماء الدّري  
وتجارت على الصّعيد المياه  
وترامى النّسيم في صفحة النّهر  
— ربّ أسرار وجّده وهواه  
وسرى الفجر يوقظ الروضة الوسّ  
— نى ويّذري على المروج نّداه  
ومشى الليل بعده يطمس الأش  
— ياء إلا أحلامه ورّواه  
والورود الحسناء إلا شذاها  
والغدير الطروب إلا صّداه  
نظر الله في السماء وفي الأر  
ض طويلاً فتمتّت شفتاه:  
إنني قد خلقت كوناً بديعاً  
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه  
غير أنّي نسيتُ خلُقُ شيئاً  
لازماً لا يُتَمّمه إله

---

(١) يبدو أنّ المعنى فيها الشاعر الحمصي نسيب عريضة، وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية)



وهو عينُ ترى الوجود كعيني  
ولسانٌ يقول: ما أحلاه !  
وإذا الله شاء أمراً قضاهُ  
أو تمنّى وجود شيءٍ براه  
فإذا كان له هيكُلُ الطير  
من وفي هيكُلِ الترابِ إليه!  
نو فؤادٍ تظلُّ فيه الأمانى  
في صباها، وإن تقضى صباها  
كلُّ من يعشقُ الجمال أخوه  
كل أرضٍ فيها الهوى مغناه  
هو الحقُّ غيظُهُ ورضاهُ  
وهو الحبُّ ضحكُهُ وبُكاه  
من تُراه هذا الذي صاغه الله  
كما يشتهيهِ لما اشتهاه ؟  
إنه الشَّاعرُ الذي كلُّ دنيا  
تنطوي قبل تنطوي <sup>(١)</sup> دنياه  
كم سقانا خمراً بغيرِ كووسٍ  
فسكرنا ولم تذُقها الشِّفاء  
وأرانا الصُّباحَ والليلُ يغشا  
نا بأكفانه كما يغشا  
يعشقُ الروضَ في حُلّاه، ويهـ  
ـواهُ معرّى مجرّداً من حُلّاه  
يرتوي الناسُ بالمياه ويرويـ  
ـه خريراً تُصغي له أذنّاه

(١) في التقدير « قبل أن تنطوي »

أيها السائلون عنه: لماذا  
ليس يسعى للغنى كسواه ؟  
ما الغنى عندكم ؟ فإني أخشى  
أن تكونوا جهلتُم معناه  
أهو المال ؟ ما وجدتُ غنيًّا  
قطُّ إلا ومـالُه مـولاه  
أفمن كان كوكباً يهجرُ الأفق  
قُل لِّمسي زجاجةٌ مثواه ؟  
والذي الكونُ دارُه، كيف يُرضي  
هـ انزواءً في حَفنةٍ من ثراه ؟  
وجد المال عاتياً مستبداً  
فأبى أن يكون من أسراه  
لا تقولوا: ماذا اقتنى وحواه ؟  
أيُّ شيءٍ خيَّالُه ما حواه ؟  
إنه الشَّاعرُ الذي ازدادتِ الدُّنْيا  
بهاً لَّما غدتْ مأواه  
فاشربوا، يا رفاقُ، سرُّفتي العا  
صي وحيُّوه، إنه إيَّاه!

\*\*\*\*

## ٥٢ - تكريم الأب منصور إسطفان<sup>١</sup>

[الكامل]

لم أنس حين مشيت إليّ تلوّمني  
لما رأتنني باسماً مُستهلاً  
قالت: أظربُ، والمنايا حوّم  
في الأرض، كيف رمت أصابت مقتلاً ؟  
انظر، فقد خلت البيوت من الشبا  
بولا جمال المنزل منهم خلا  
فسألتها: أليس من أجل العُلا  
وهناكنا خاضوا الوغى ؟ قالت: بلى  
يا هذه، إذا بكيت لبُعدهم  
يتبسّمون ؟ أجابت الحسناء: لا  
كُفّي الملام إنّي، فما أنا جاهل  
ما تعلمين، وكيف لي أن أجهلا ؟  
لكن بعثتُ الفكر في آثارهم،  
في البحر، في الأجواء، في عُرُض الفلا  
فرايت نورَ المجد فوق بُنودهم  
ورأيتهم يمشون من نصر إلى ..  
سنّوا على الباغى المسالك كلها  
فالموت إنّ وليّ وإنّ هو أقبلا

---

(١) اقتصر جورج صيدح، من النص على أحد عشر بيتاً الأولى، ونشرها في الديوان الحامس الذي أشرف على إصداره بعد موت الشاعر، باسم (تبر وتراب النص ١٤)، وجعلها بعنوان عجز البيت الحادي عشر (ستعود دنيانا أحب وأجملا)

فإذا شممتِ اليومَ رائحةَ الدِّمَا  
 وطالعتِ عينُناكِ أَثَارَ البِلَى  
 فاستبشري، فغداً إذا النِّقْعُ<sup>(١)</sup> انجلى  
 ستعودُ دنيانا أحبَّ وأجملًا  
 بالطامحين إلى الكمال، العاملي  
 من على الإخاء، الناهضين إلى العُلا  
 ك الإسطفاني الذي لا يأتلي  
 حرباً على الباغي وعون المُبتلى  
 مستهدياً ب الناصري<sup>(٢)</sup>، مبشراً  
 بالحبِّ والغفران ما بين الملا  
 حلو المودة، لا يشوبُ ولاءه  
 كلفُ، ولا يسلو الصديق وان سلا  
 ما إن دعا داع لنصرة بئس  
 إلا وكان هو المُغِيثُ الأوَّلَا  
 إن لم يشيّد هيكلاً من مرمرٍ  
 فلقد بنى في كل قلب هيكلاً  
 خُلِقَ كماء المُنْ عَذْب طاهرُ  
 وسجيّة تحكي الرحيق السُّلسلا  
 يا ابن الألى ما دار يوماً ذكرهم  
 في محفل إلا أضاء المَحْفِلَا  
 كانوا ربيعاً زاهراً في جيلهم  
 ومضوا، وما زالوا ربيعاً مُقْبِلَا  
 لبس الحلى<sup>(٣)</sup> قومُ فما شرفوا بها  
 وعُنيت بالخُلُق الرفيع عن الحلى

(١) العبار

(٢) السيد المسيح (عليه السلام) وقد ولد في الناصرة

(٣) يريد الحلى، وجمعه الحُلَى

عَيْثَا يَحَاوِلُ طَمَسُ فَضْلِكَ مُرْجِفٌ<sup>١</sup>  
لَا يَبْلُغُ النِّجْمُ الْغَيْبَارُ وَأَنْ عَلَا  
كَمْ هَاجَمَتْ لِبْنَانَ رِيحٌ صَرْصَرُ<sup>٢</sup>  
لِتَدْكُهُ، أَرَأَيْتُمُوهُ تَزَلُّزَلَا؟  
زَعَمَ الْقَصَائِدُ لَيْسَ تُشْبِعُ جَانِعَا  
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْوُرُودَ لَتُؤْكَلَا!  
الْأَنْبِيَا - وَالْوَحْيُ شَعْرٌ رَائِعٌ -  
شَبِعُوا، وَمَا أَكَلُوا الْكِتَابَ الْمُنْزَلَا!  
الشَّعْرُ رِيحَانُ النُّفُوسِ إِذَا صَفَتْ  
أَمَّا إِذَا كَشَفَتْ طَبِيعَتَهَا فَلَا  
فَاغْفِرْ مَسَاءَتَهُ، فَإِنَّ الْحُرَّ مَنْ  
يَعْفُو عَنِ الْجَانِي الْأَثِيمِ تَفْضُّلَا



سُقْتُ الثَّنَاءَ إِلَيْكَ حَلَوًا سَائِعَا  
لَوْلَمْ يَكُنْ فِي مَدْحِ شَخْصِكَ مَا حَلَا  
هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِهِمْ،  
وَأَفُوا كَمَا تَرِدُ الطِّيُورُ الْمُنْهَلَا  
لَمْ يُكْرَمُوا الْعَشْرِينَ وَالْخَمْسَ الَّتِي  
مَرَّتْ، بَلِ الْأَدَبُ الصَّحِيحُ الْأَنْبَلَا  
عِشْ، يَا صَدِيقِي، مِثْلَهَا فِي مِثْلَهَا  
لِلْعِلْمِ رُكْنًا، لِلْفَضِيلَةِ مَوْنَلَا



---

(١) أَرْجَفَ خَاضِرٌ فِي الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةَ  
(٢) رِيحٌ صَرْصَرٌ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ، وَشَدِيدَةُ الصَّوْتِ

## ٥٣ - رثاء إلياس عطا الله<sup>(١)</sup>

[الكامل]

دنيا من الأمال والأحلام  
زالت وغابت مثل طيف منام  
عصف الردى بورودها فتناثرت  
ومضى بشاديها وبالألغام  
لم يبق فيها روحه تحنو على  
تعب، ولا ماء يفيض لظامي  
أرسلت صوتي في جوانبها فلم  
يرجع إلى أذني غير كلامي  
إلياس إنك أنت دنياي التي  
ضيعتها، ورجعت بالالام

يا صاحباً قد كنت أستهدي به  
إن ضاع مصباحي، وجن ظلامي  
لا تسألني عن فؤادي، إنني  
سلمت للأحزان قلبي الدامي  
أرفيق روعي، قد أتيت مسلماً  
إلياس ما لك لا ترد سلامي؟  
عجباً، كأنك في زمان غابر  
أو موضع قاص وأنت أمامي

---

(١) القاهما الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٢)، في بروكلن، جنوبي نيويورك

أنا مع رفاقك تائقون لقولة  
أو لفظة، فانطق ولو بلام  
يا عِظْم خيبتنا، فإننا نبتغي  
خمراً، ولا من خمرة في الجام  
إن الذي قد كان معنا قد سما  
عنا، وصار مع الإله السَّامي  
ومن استوى في عالم الأرواح لا  
يدنو إليه عالم الأجسام

\*\*\*\*\*

## ٥٤ - دار «السمير» الجديدة<sup>١</sup>

[الرجز]

يا مرحباً بالأصدقاء، مرحباً  
ملأتم الدار وروحي طرباً  
ضحكتُ لما قيل لي: الصيفُ انقضى  
وأنتم حُولي كأنهار الربا  
صيرتموها فلماً مؤثلاً  
لما طلعتُم في ذراها شهباً  
وصارت الدنيا بعيني جنة  
وصار ماني كوثرأ، بل أعذباً  
لوجئتكم من عبقر<sup>٢</sup> بسحرها  
وسقتُ في شعري الدَّراري<sup>٣</sup> موكباً  
لما وفيتُ بعضَ بعضِ دينكم  
ولا قضيتُ اليومَ شكراً وجباً  
من يستفد مثلي صباحاً مثلكم  
قد استفاد أدباً ونسباً  
ما كانت السمير إلا ورقاً  
لولاكم، والدارُ إلا خشباً  
إن كان من حسنٍ فمنكم قد أتى  
ما قيمة المصباح لولا الكهربا

(١) ألقاها الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٢)، في بروكلن، جنوبي نيويورك  
(٢) أرض الجن التي توحى بالشعر (ولكل شاعر شيطان يتبعه ويوحى إليه)، في الأسطورة المتناقلة وإليها ينسب الشعراء فيقال (العبقري، والعباقرة)  
(٣) نجوم السماء التي تضيء



لو كانت السَّمِير من أهل الغنى  
سأقت تحاياها إليكم ذهباً  
أو روضه، أهدت إليكم زهرها  
أو عطرها مع القبول والصَّبَا  
أو فاكاً، رقت عليكم وحنّت  
وعَلَّقت في كل بيت كوكباً  
أو جِولاً، غنّت لكم مياهُه  
ما دمتُم تُصغون حتى تنضب  
لكنها جريدةٌ قد أنشئت  
لِتُخدم العلم وتُعلي الأديبا  
تريد للناس الحياة حرة  
للناس طُراً عجماً و عرباً  
تنفقُ مما عندها وإنها  
لتنفق العمر اللذيذ الطيباً  
لا تطلبوا منها سوى ما ملكت  
لا تملك الصُّهباء إلا الطُربا

\*\*\*\*\*

---

(١) الريح الندية التي تهب من نجد

## ٥٥ - إلى عازر داود

[الرمل]

أيها الجالسُ بين النجمتينِ  
غَنِّنا، يا صاحبي، أنشودتينِ  
قد شربنا خمرة الكرم، وأنَّ  
أنت أنشدت شربنا خمرتين

\*\*\*\*

## ٥٦ - إلى المونسينيور منصور إسطفان<sup>١</sup>

[الكامل]

هذي تحيُّتُنا إلى المنصورِ  
مشفوعةً بتحيَّةِ الجمهورِ  
مع أنفس الشعراء نرسلُ شوقنا  
فاسمع بأذن الروحِ لحن شعورِ  
وانشِقْ أريج قلوبنا، فقلوبنا  
من وجدها كمجامرِ البخورِ  
يا نسر لبنان المخلِّق في الفضاءِ  
المجدُّ تحت جناحك المنشورِ  
فاسلمْ لأمتك التي تبني لها  
لتزيدها من سعيك المبرورِ

\*\*\*\*

---

(١) أحد الأبناء (انظر النص ٥٢) وألقيت الأبيات في حفلة أقيمت لتدشين كنيسة لبنان ( ألقاها سعيد عقل عريف الحفلة)

## ٥٧ - رثاء نجلاء صباغ<sup>١</sup>

[الكامل]

رجع الربيعُ إلى المدائن والقُرى  
نوراً وعطراً في السُّفوح وفي الذُّرا  
لمست يده العُود أجرد يابساً  
فاذا به قد صار رطباً أخضر  
لله منه ساحراً ومصوراً  
بهرت عجائبه العقول وحيراً  
عرض الجمال وقال للناس: انظروا  
فاله قد خلق العيون لتنظروا  
لكنما العين التي كانت ترى  
ألق الربيع وحسنه ليست ترى  
الموت أغمضها على غير الرؤى  
ما في الردى شيء كأحلام الكرى  
لكنما القلب الذي يهوى الشدا  
والنور، قد أمسى دفيناً في التُّرى  
إن لم نرحب بالربيع ولم نهم  
بالحُسن فيه، فحقَّقنا أن نُعذرا  
فلقد أضعنا حين جاء إلى الحمى  
في بنت مطرانٍ ربيعاً أنورا  
سكتت لكي تتحدث الدنيا بها  
وغفت لكي تبكي العيون وتسهر

---

(١) زوج أحد أصدقائه (قيصر صباغ) وألقيت الأبيات في حفلة دفنها، في ميلفورد بينسلفانيا

نجلاءً إنك روضةٌ معطارةٌ  
 عصف الحمام بها، فعاتٍ وبعثرا  
 رحلت عن القصر البشاشةً وانطوى  
 عهد الصفا والأنس في أم القرى<sup>١</sup>  
 فاليوم لا الأرواح تبسم للمنى  
 فيه، ولا اللذات تجري كوثرها  
 أفنيت نفسك كالشموع توقداً  
 وقطعت عمرك كالكوكب في السرى  
 فازددت مجداً في الزمان وشهرةً  
 وازداد قومك رفعةً بين الورى  
 زانتك في الدنيا شمانل حرةً  
 هي كالجواهر إنما لا تشتري  
 فعليك، يا فخر النساء وفخرنا،  
 منّا السلام ممسكاً ومعطراً  
 ولقيصر منّا العزاء، فقيصر  
 كالنسر هيض جناحه وتكسراً  
 بل صار بعدك، يا رفيقه عمره،  
 وترأ، يغص بالحنه متعثراً  
 إننا نودع نجمة وضاءة  
 زالت، وندفن كنز فضل في الثرى

\*\*\*\*

(١) لقب ميلفورد بينسلفانيا (انظر النص ٣ من الديوان الثاني، والنص ١٢ من تير وتراب)

## ٥٨ - في حفلة تكريمه ببيروت<sup>١</sup>

[مجزوء الكامل]

المرءُ ليس يُقاسُ في الدِّ  
دُنْيَا بِعِلْمٍ أَوْ بِجَهْلٍ  
بل بالذي في طَبْعِهِ  
الْفَطْرِيُّ مِنْ كَرَمٍ وَنُبْلِ  
فَالرَّبُّ ذِي عِلْمٍ أَسَا  
ءَ لَأَهْلِهِ وَالْغَيْرِ أَهْلٍ  
وَالرَّبُّ ذِي جَهْلٍ أَفَا  
دَ النَّاسِ فِي خِصْبٍ وَمَحَلٍ  
لَوْ لَا ارْتِفَاعُ نَفْسِكُمْ  
لَمْ يَرْتَفَعْ أَبْدَأُ مُحَايٍ  
لَوْ لَا عِيُونُكُمْ الْحَبُّةُ  
مَا تَرَأَى قَطُّ فَضْلِي  
دَامَتْ مَكَارِمُكُمْ لَكِي  
يَشْدُو بِهَا الشُّعْرَاءُ مِثْلِي

\*\*\*\*\*

---

(١) الأبيات الحثامية للقصيدية التي ألفاها الشاعر في الحفلة التي علّق فيها مدير خارجية لبنان وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة ضابط

## ٥٩ - في حفلة تكريمه بدمشق<sup>١</sup>

[الكامل]

أنا إن شكرتُك يا أبا حسان  
أعليتُ من قدرِي وقدرِ بياني  
أشرفت في نفسي سناً فأريتني  
وجهَ الربيع ولست في نيسان  
سأتيه أني في زمانك عانِشُ  
ومعي يتيه - كما آتیه - زماني

\*\*\*\*

## ٦٠ - في صالة منصور

[مجزوء الرمل]

شربت عيـنـاكِ رُوحـي  
فهـي في عـيـنـيكِ سـحـرٌ  
وأذاب الحبُّ قـلـبي  
فهو في كأسـي خـمـر  
هذه الـلـيـلـةُ دـنـيـا  
كلُّ ما فيـهـا يـسـرٌ  
لا تـقـلُّ لـيـلٌ و يـمـضـي  
لـيـس لـأـنـذة عـمـر

\*\*\*\*

---

(١) الخطاب في الأبيات لرئيس جمهورية سورية يومذاك (١٩٤٩) شكري القوتلي

## ٦١ - في بيت فخري البارودي<sup>١</sup>

[السريع]

يا صاحبي! قد كمل المجلسُ  
ونحن نلح الملاء الأقدسُ  
لتنعس الأنجمُ في أفلاكها  
سنسهر الليل ولا ننفس!

\*\*\*\*

## ٦٢ - إلى توفيق فخر<sup>٢</sup>

[الرجز]

رافقت الهناء، يا رفيقُ  
وعُدت بالتوفيق، يا توفيقُ  
يا شاعراً أخلاقه كشعره  
متانة، كقلبه رقيقُ  
أنت صديق لا يحول وده  
في زمن قلّ به الصديق

\*\*\*\*

---

(١) في سهرة موسيقية، في بيته وقد داهم الندامى النعاس  
(٢) كان يعاين الشاعر في تحرير جريدة (السمير)، وكان على أبواب رحلة إلى جمهورية الدومينيك

## ٦٣ - إلى رشيد أيوب<sup>(١)</sup>

[الطويل]

رَأَيْتُكَ تَحْتَ اللَّيْلِ كَاللَّيْلِ سَاكِتاً  
وَعِنْدَ ضَفَافِ الْبَحْرِ تَهْدُرُ كَالْبَحْرِ  
تَنْنُ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي طَالَ جَوْرُهَا  
وَتَشْكُو مِنَ الدَّهْرِ الْخَوْنِ إِلَى الدَّهْرِ  
بَكَيْتَ فَأَبْكَيْتَ الْجَلَامِدَ فِي الثُّرَى  
وَنُحْتُ فَحَرَّمْتُ الرُّقَادَ عَلَى الْبَدْرِ  
فَأَصْبَحَ فِي هَذِي السَّمَوَاتِ حَانِراً  
كَصَاحِبِ إِيْمَانٍ يَمِيلُ إِلَى الْكُفْرِ  
أَرَاهُ بَعِينِي مُصْغِياً كُلَّ لَيْلَةٍ  
لَأَنَّكَ قَدْ عَوَّدْتَهُ رَنَّةَ الشَّعْرِ  
أَرَى فِيكَ مِنْ شَيْخِ الْمَعْرَِّةِ نَفْحَةً  
وَفِي نَفْحَاتِ الشَّيْخِ<sup>٢</sup> شَيْءٌ مِنَ السَّحَرِ  
وَهَبَّتْكَ مِنْ شَعْرِي وَعِنْدَكَ مِثْلُهُ  
وَلَوْ كُنْتُ ذَا تَبَرٍ وَهَبْتُكَ مِنْ تَبَرِي  
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا ذَاكَ شَافِعاً  
فَإِنِّي قَدْ أَلْقَيْتُ حِمْلِي عَلَى شَكْرِي<sup>٣</sup>

\*\*\*\*\*

(١) إثر صدور ديوانه (الأبيات) وكان يلقب بالشاعر الدرويش انظر رثاء أبي ماضي إياه (النص ٥٠)

(٢) أبو العلاء المعري

(٣) شكري أبو صالح الذي كتب له الشاعر (النص ٢١)



## ٦٤ - «رحلة الفتاة»

[الرمل]

لي فتاة ملأت صدري جوى<sup>١</sup>  
ذاب فيها القلب شوقاً واحترق  
كل يوم لي منها موعد  
في صباح، في مساء، في غسق<sup>٢</sup>  
لا تظنوني أثيماً في الهوى  
ف فتاتي من مداد وورق

\*\*\*\*

## ٦٥ - شعار «السمير»<sup>٣</sup>

[الرمل]

أنا لا أهدي إليكم ورقاً  
غيركم يرضى بحبر وورق  
إنما أهدي إلى أرواحكم  
فكراً تبقى متى الطرس<sup>٤</sup> احترق

\*\*\*\*

---

(١) الحرقعة وشدة الوجد (جوي - بجوى)

(٢) أول ظلمة الليل

(٣) جريدة أبي ماضي التي أصدرها ابتداءً من سنة ١٩٢٩

(٤) الورق

## المحتوى

### (ما لم تجمعه الدواوين)

- ١ - إلى بطل الوطنية (الشيخ عبد العزيز جاويش) ..... ٩٤٥
- ٢ - مصر والاحتلال ..... ٩٩٧
- ٣ - روزفلت ومصر ..... ١٠٠١
- ٤ - عيد الحرية العثماني ..... ١٠٠٢
- ٥ - نقشة مصدر ..... ١٠٠٦
- ٦ - نجوى لبناني ..... ١٠١٠
- ٧ - عتاب إلى إلياس عطا الله ..... ١٠١٣
- ٨ - اليهودي التائه (أو كل حامل كشكول) ..... ١٠١٦
- ٩ - وقّفْ عليك الشعر (إلى كل حامل كشكول) ..... ١٠٢١
- ١٠ - ماذا ؟ ..... ١٠٢٥
- ١١ - حكاية ..... ١٠٣٠
- ١٢ - أيا عجل اليهود ..... ١٠٣٤
- ١٣ - يانوح أين دلائل الطوفان ؟ ..... ١٠٣٨
- ١٤ - توديع رستم بك ..... ١٠٤٤
- ١٥ - إلى شاعر «السائح» ..... ١٠٤٧
- ١٦ - انقر يا دف على الطارة ..... ١٠٥١
- ١٧ - وقائلة ..... ١٠٥٤
- ١٨ - يا قومي ! ..... ١٠٥٧
- ١٩ - يا هذا ! ..... ١٠٦١
- ٢٠ - ماذا نقول ؟ ..... ١٠٦٤
- ٢١ - إلى شكري أبي صالح ..... ١٠٦٧

٢٢ - و ...	١٠٧٠
٢٣ - ما كان أحوجني	١٠٧٣
٢٤ - تنصير نور عبد المجيد حداد	١٠٧٤
٢٥ - النكبة في سوريا	١٠٧٦
٢٦ - انقريا دف على الطارة	١٠٧٧
٢٧ - توديع أمين الرحاني	١٠٧٩
٢٨ - إكليل توفيق خوري	١٠٨٤
٢٩ - حاملات الطيب	١٠٨٦
٣٠ - ولقد ذكرتك	١٠٨٨
٣١ - تنصير ابن حنّا نحاس	١٠٨٩
٣٢ - جمعية الصليب الأحمر السورية	١٠٩١
٣٣ - توديع نعمة تادرس	١٠٩٢
٣٤ - دار رشيد أيوب	١٠٩٤
٣٥ - رثاء المطران أشاثيوس عطا الله	١٠٩٥
٣٦ - جمعية الاتحاد السوري	١٠٩٨
٣٧ - نشيد يوسف بك كرم	١١٠١
٣٨ - إلى ندره حداد	١١٠٣
٣٩ - في عرس ندره حداد	١١٠٤
٤٠ - كذا الإله خلقه	١١٠٦
٤١ - النار أشره أكل	١١٠٨
٤٢ - إلى النابج العاوي	١١٠٩
٤٣ - دعه ينبج	١١١٤
٤٤ - خطبة ميشيل حداد	١١١٥

١١١٦	٤٥ - الجدول الطروب
١١١٧	٤٦ - صوت بلادي
١١١٨	٤٧ - يا ليتني
١١١٩	٤٨ - الزمهرير في نيسان
١١٢٠	٤٩ - النجمة الهاوية
١١٢٣	٥٠ - رثاء رشيد أيوب
١١٢٥	٥١ - إنه الشاعر
١١٢٨	٥٢ - تكريم الأب منصور إسطفان
١١٣١	٥٣ - رثاء إلياس عطاالله
١١٣٣	٥٤ - دار «السمير» الجديدة
١١٣٥	٥٥ - إلى عازر داود
١١٣٥	٥٦ - إلى المونسنيور منصور إسطفان
١١٣٦	٥٧ - رثاء نجلاء صباغ
١١٣٨	٥٨ - في حفلة تكريمه ببيروت
١١٣٩	٥٩ - في حفلة تكريمه بدمشق
١١٣٩	٦٠ - في صالة منصور
١١٤٠	٦١ - في بيت فخري البارودي
١١٤٠	٦٢ - إلى توفيق فخر
١١٤١	٦٣ - إلى رشيد أيوب
١١٤٢	٦٤ - «رحلة الفتاة»
١١٤٢	٦٥ - شعار «السمير»
١١٤٣	- الفهرس

\*\*\*\*

## المحتوى العام

■ الديوان الأول - الجزء الأول (تذكّار الماضي)	٧٧
■ الديوان الأول - الجزء الثاني	٢٤٥
■ الديوان الثالث (الجداول)	٥٥١
■ الديوان الرابع (الخمائل)	٦٦٧
■ الديوان الخامس (تبر وتراب)	٨٤٧
■ ما لم تجمعه الدواوين	٩٩٢

\*\*\*\*